

الاحتجاج

تأليف
أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي
من علماء القرن السادس

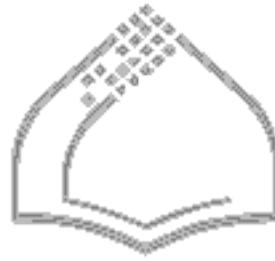
تأليفات وملاحظات
السيد محمد باقر النعماني الحلي

١-٢



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الاحتجاج



مرکز تحقیقات کلامی و علوم اسلامی

اسم الكتاب : الاحتجاج

المؤلف : ابي منصور احمد ابن علي بن ابي طالب الطبرسي

تاريخ الطبع : ١٤٠٣ هـ ق

المطبعة : سعيد - مشهد المقدسه

الناشر : نشر المرتضى

١٣٩٧

الاحتجاج

تأليف
أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي
من علماء القرن السادس
مركز تحقيق كتابات علماء الإسلام

تعليقات وملاحظات
السيد محمد باقر الموسوي الخراساني

الجزء الأول

الطبعة المحققة المنيارة
جميع الحقوق على هذه الطبعة المزدانة
بالتعليق القيمة محفوظة للناسخين
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
۱۴۰۱ هـ - ۱۳۸۱ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بقلم: العلامة الجليل السيد محمد بحر العلوم

بين يدي القراء الكرام كتاب جليل، يعتبر من المصادر القيمة في موضوعه ومؤلف هذا الكتاب هو: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، أبو منصور. وتكاد تجمع المصادر على هذا القدر من اسمه ونسبه، إلا ابن شهر آشوب فقد ذكره على الوجه التالي «أحمد بن أبي طالب»^١.

وحذا حذوه الشيخ المجلسي عند ذكره كتاب الإحتجاج، وأعتقد أن الشيخ يوسف البحراني حاول توجيه رأي ابن شهر آشوب بقوله: «وقد يعبر عنه بأبن أحمد بن أبي طالب الطبرسي، والظاهر أنه من باب الإختصار في النسب فلا يتوهم التعدد»^٢.

ولم تحدد لنا المصادر سنة ولادته، كما لم تحدد لنا سنة وفاته، غير أن الحجة الثابت شيخنا المحقق أغا بزرك الطهراني يستنتج سنة وفاته من معاصريه وتلاميذه ويعتدهم أدركوا أوائل القرن السادس الهجري، بدليل أنه أستاذ رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب الذي توفي سنة ٥٨٨ هـ عن مائة سنة إلا عشرة أشهر فهو من أهل الخامسة الذين أدركوا أوائل السادسة أيضاً^٣.

ويتجه لغير هذا الرأي كل من عمر رضا كحالة^٤، وإسماعيل باشا^٥ ويعتقدان بأنه توفي في حدود سنة ٦٢٠ هـ.

ولقد روى مترجمنا عن جماعة، منهم أبو جعفر مهدي بن الحسن بن أبي حرب الحسيني المرعشي^٦. وروى عنه رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب، الذي صرح بذلك في كتابه^٧ بقوله: «شيخنا أحمد بن أبي طالب».

(١) معالم العلماء : ٢٥ .

(٢) كشكول البحراني : ٣٠١ - ١ .

(٣) الذريعة الى تصانيف الشيعة : ٢٨١ - ١ .

(٤) معجم المؤلفين ١٠ - ٣ .

(٥) إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون : ٣١ - ١ .

(٦) مهدي بن الحسن بن أبي الحرب المرعشي ، عنه المحقق الوحيد من أجلاء الطائفة ، ومن مشايخ الاجازة من مشايخ الطبرسي ، وقد وصف بالعالم العابد العادل الموثق ، بروي عن الشيخ الصدوق أبي عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد الدوريسي عن أبيه عن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي . راجع (رجال المامقاني : ٣/٢٩١ ، وكشكول البحراني : ١٧٣٠١) .

(٧) معالم العلماء : ٢٥ .

وكان موضع اعتماد الشهيد في شرح الإرشاد، فكثيراً ما نقل فتاواه وأقواله^١ وذكره أعلام المترجمين بكل ما يدل على مكانته العلمية، فقد أثنى عليه السيد ابن طاووس، ووصفه الحر العاملي بأنه «عالم فقيه فاضل، محدث، ثقة» وتحدث عنه الشيخ يوسف البحراني بقوله: «الفاضل، العالم، المعروف، كان من أجل العلماء، ومشاهير الفضلاء»^٢ واعتبره الخونساري في كتابه: «من اجلاء اصحابنا المتقدمين»^٣ واورد ترجمته عمر رضا كحالة فوصفه بأنه: «فقيه مؤرخ»^٤ ومن هذه الفقرات المعدودة نستطيع ان نعرف مكانة مترجمنا العلمية ومدى الثقة التي كان يتسم بها. ودلت المصادر المترجمة له بأنه مؤلف قدير، له عدة كتب، فالى جانب كتاب (الإحتجاج) الذي نحن بصدد خلف الكتب التالية: وهي:

١- الكافي في الفقه، او (الكافي من فقه الشيعة).

٢- تاريخ الأئمة (ع).

٣- فضل الزهراء عليها السلام.

وهذه الكتب وإن لم نعر عليها فقد أورد ذكرها كل من ابن شهر اشوب والشيخ عباس القمي، والسيد محسن الأمين العاملي، وعمر رضا كحالة، واسماعيل باشا^٥.

٤- مفاخرة الطالبيه. مركز تحقيق تكملة علوم اسلامی

وقد ذكر هذا الكتاب كل من ابن شهر اشوب، والسيد الأمين العاملي^٦.

٥- كتاب الصلاة.

وانفرد بذكر هذا الكتاب ابن شهر اشوب^٧.

٦- تاج المواليد.

وانفرد بذكر هذا الكتاب السيد محسن الأمين العاملي^٨ وقال: «ينقل عنه السيد النسابة احمد بن محمد بن المهنا بن علي بن المهنا العبيدلي المعاصر للعلامة الحلبي في كتابه «تذكرة النسب» ولكن الشيخ احمد بن أبي ظبية البحراني في كتابه «عقد اللال في مناقب النبي والآل» نسبته الى أمين الإسلام أبي علي

(١) كشكول البحراني: ٣٠٢ - ١، واعيان الشيعة: ٩٩ - ٩.

(٢) كشكول البحراني: ٣٠١ - ٣٠٢ - ١.

(٣) روضات الجنات: ١٩ - ١.

(٤) معجم المؤلفين: ١٠ - ٢.

(٥) راجع: معالم العلماء: ٢٥، والكنى والالقب: ٤٠٤ - ٢، واعيان الشيعة ١٠٠ - ٩ ومعجم المؤلفين ١٠ - ٢.

وايضاح المكنون: ٢١٣ - ١ و ١٦٦ و ٢٥٩ - ٢.

(٦) معالم العلماء: ٢٥، واعيان الشيعة: ١٠٠ - ٩.

(٧) معالم العلماء: ٢٥.

(٨) اعيان الشيعة: ١٠٠ - ٩.

فضل بن الحسن الطبرسي صاحب التفسير . فقد وقع اشتباه في نسبة الكتاب المذكور اما من العبيدي ، او البحراني ، وكونه من العبيدي القريب من زمن المؤلف بعيد .

ولقد وقع نظير هذا الإشتباه الذي يشير اليه المرحوم السيد الأمين اشتباه آخر في كتاب الإحتجاج نفسه . فقد نسب بعض المؤلفين كتاب الإحتجاج الى أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، صاحب تفسير مجمع البيان .

وفي صدد إثبات هذا الكتاب لأبي منصور احمد بن أبي طالب الطبرسي قال الشيخ يوسف البحراني : «ويظهر من كتاب المجلي لابن أبي جمهور الإحسائي أنّ كتاب الإحتجاج للشيخ أبي الفضل الطبرسي . قال في أول البحار بعد نسبة كتاب الإحتجاج لأحمد بن أبي طالب : وينسب هذا الكتاب الى أبي علي الطبرسي وهو خطأ ، بل هو تأليف أبي منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، كما صرح به السيد ابن طاووس في كتاب كشف المحجة»^١ .

وقال الخونساري : «وقد غلط صاحب الغوالي ، والمحدث الاسترآبادي غلطاً فاحشاً يبعد عن مثلها غاية البعد في نسبة (كتاب الإحتجاج) الى الشيخ أبي علي الطبرسي صاحب التفسير ، مع ان بينهما بونا بعيداً ، وتصريح جمهور الاصحاب واسنادهم عنه واليه على خلاف ذلك جداً»^٢ .

وقطع السيد الامين بالاشتباه ، و اضاف بان صاحب رياض العلماء قال : قد توهم بعضهم بان الإحتجاج لصاحب مجمع البيان أبي علي الفضل الطبرسي ، وهو توهم فاسد»^٣ .

وأكد البحراني على صحة نسبة هذا الكتاب لأبي منصور احمد بن علي الطبرسي ، ونقل عنه السيد الامين عن اللؤلؤة قوله : «غلط جملة من متأخري اصحابنا في نسبة كتاب الإحتجاج الى أبي علي الطبرسي»^٤ . وادرج كل من الحجة الشيخ اغا بزرك الطهراني ، واسماعيل باشا ، وعمر رضا كحالة اسم هذا الكتاب في قائمة مؤلفات أبي منصور الطبرسي* .

ولعل الاشتباه الذي نشأ مرجعه الى اشتراكهما في لقب واحد ، وعصر واحد كما صرح بذلك الشيخ البحراني بقوله : «وان كان عصرهما متحداً ، وهما شيخا ابن شهر اشوب واستاذاه وطني ان بينهما قرابة»^٥ . واذا كنا ونحن في صدد التفريق بين هاتين الشخصيتين لا اشتراكهما في لقب واحد فمن الجدير ان نذكر ان عدد من اعلام الشيعة يشتركون في هذه النسبة أيضاً وهم :

١- ابو منصور ، احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي والمعروف بصاحب كتاب (الإحتجاج) وهو الذي نحن بصدد الحديث عنه .

(١) الكشكول : ٣٠١ - ١ .

(٢) روضان الجنات : ١٩ - ١ .

(٣) اعيان الشيعة : ١٠٠ - ٩ .

(٤) الكشكول : ٣٠١ - ١ و اعيان الشيعة : ١٠٠ - ٩ .

(٥) الذريعة : ٢٨١ - ١ ومقدمة تفسير البيان هـ - ١ ومجمع المؤلفين : ١٠ - ٢ وايضاح المكنون : ٣١ - ١ .

(٦) الكشكول : ٣٠١ - ١ ، و اعيان الشيعة : ١٠٠ - ٩ .

- ٢- ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، صاحب (تفسير مجمع البيان) المتوفى سنة ٥٤٨ هـ .
- ٣- ابو نصر ، الحسن بن الفضل بن الحسن رضي الدين ، صاحب كتاب (مكارم الاخلاق) وقد وصفته المصادر بأنه : كان فاضلاً فقيهاً ، محدثاً جليلاً .
- ٤- ابو الفضل ، علي بن الحسن بن الفضل بن الحسن ، صاحب كتاب (مشكاة الانوار) الذي ألفه تكميلاً لكتاب والده مكارم الاخلاق^١ .
- ٥- ابو علي محمد بن الفضل الطبرسي . هكذا ذكره الحر العاملي ووصفه بأنه «كان عالماً صالحاً عابداً يروي ابن شهر اشوب عنه عن تلامذة الشيخ الطوسي»^٢ .
- ٦- الشيخ حسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبرسي ، المعاصر للخواجة نصير الدين الطوسي^٣ .
- ٧- الحاج ميرزا حسين بن العلامة محمد تقي النوري الطبرسي صاحب كتاب (مستدرك الوسائل) المتوفى عام ١٣٢٠ .

وهناك عدد آخر ولكننا اخترنا المشهورين منهم .

والطبرسي : نسبة الى طبرستان ، وهي التي تعرف بمازندران بل قد يقال : طبرستان على جميع تلك البلاد ، حتى يشمل استراباد ، وجرجان ونحوها وهي واقعة على طرف بحر الخزر ، وتعرف ببحيرة طبرستان .

وطبر : بالفارسية الفاس ، وهي من كثرة اشتباك اشجارها لا يسلك فيها الجيش إلا بعد ان يقطع بالطبر الأشجار من بين ايديهم .

وأستان : الناحية بالفارسي ، فسميت طبرستان ، أي ناحية الطبر .

ونقل عن صاحب تاريخ قم المعاصر لابن العميد : ان طبر معرب ، وهي ناحية معروفة بحوالي قم ، وان الطبرسي (احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي) وسائر العلماء المعروفين قد كانوا اهل هذه الناحية^٤ .

والكتاب الذي نحن بصدده ، يعتبر من المصادر المحترمة في باب ، ولعلنا نستطيع من خلال الفقرات التي سنوردها والتي تتضمن آراء الاعلام فيه - نلمس مدى اهميته ، ووزنه العلمي .

قال البحراني : «قال المجلسي في اول البحار انه قال في الفصل الثاني : وكتاب الاحتجاج وان كان اكثر اخباره مراسيل لكنه من الكتب المعروفة وقد اثني السيد ابن طاووس على الكتاب وقد اخذ عنه اكثر المتأخرين»^٥ .

وقال الخونساري : «وكتاب الاحتجاج معتبر معروف بين الطائفة مشتمل على كل ما اطلع عليه من احتجاجات النبي والأئمة ، بل كثير من اصحابهم الاجداد مع جملة من الاشقياء المخالفين»^٦ .

(١) راجع تراجم هؤلاء المذكورين في الكافي والالقاء ٤٠٩ - ٢ .

(٢) امل الأمل : مادة محمد . (٣) اعيان الشيعة ٩٨ - ٩ .

(٤) كشكول البحراني ٣٠٢ و ٣٠٣ - ١ و اعيان الشيعة : ٩٧ و ٩٨ - ٩ .

(٥) الكشكول : ٣٠١ - ١ . (٦) روضات الجنات : ١٩ - ١ .

وقال الشيخ أغابزرك الطهراني : وفي الكتاب احتجاجات النبي (ص) والأئمة (ع) وبعض الصحابة، وبعض العلماء، وبعض الذرية الطاهرة، وأكثر أحاديثه مراسيل الاما رواه عن تفسير العسكري عليه السلام، كما صرح به في أوله بعد الخطبة، فهو من الكتب المعتبرة التي اعتمد عليها العلماء الأعلام : كالعلامة المجلسي، والمحدث الحر، واضرابها^١.

ومن خلال هذه الفقرات نستفيد بان الكتاب بمجموعه موضع اعتماد الأعلام والباحثين، بالرغم من ان أكثر احاديثه مراسيل، الا ان الثقة الكبيرة التي يتمتع بها مؤلف الكتاب، زرعت في نفوس المؤلفين الاعتماد عليه، والنقل عنه دون تمحيص وتحقيق، وتدقيق في اسناد الاخبار والأحاديث.

اما البواعث التي دعت المؤلف لتأليف هذا الكتاب، فقد حدثنا الطبرسي نفسه عنها، فقال :

«ثم ان الذي دعاني الى تأليف هذا الكتاب عدول جماعة من الأصحاب من طريق الحجاج جداً، وعن سبيل الجدال وان كان حقاً وقولهم : «ان النبي (ص) والأئمة (ع) لم يجادلوا قط، ولا استعملوه، ولا للشيعة فيه اجازة، بل نهوهم عنه وعابوه» فرأيت عمل كتاب يحتوي على ذكر جل من محاوراتهم في الفروع والاصول مع اهل الخلاف، وذوي الفضول، قد جادلوا فيها بالحق من الكلام وبلغوا غاية كل مرام وانهم (ع) انما نهوا عن ذلك الضعفاء والمساكين من اهل القصور عن بيان الدين، دون المبرزين في الاحتجاج الغالبين لاهل اللجاج فانهم كانوا مأمورين من قبلهم بمقاومة الخصوم، ومداولة الكلام فعلت بذلك منازلهم وارتفعت درجاتهم وانتشرت فضائلهم»^٢.

اذاً فالمؤلف اندفع الى تأليف هذا الكتاب بدافع العقيدة لينير للمتخبطين بطريق الغواية، نور الهداية والخير، ويبسط ما وسعه المجال عن جميع ما يتعلق بالنبي (ص) وآل بيته (ع) واتباعهم، وليكشف لذوي اللجاج مدى المكانة العالية، والمقام السامي، التي تتمتع بها هذه الصفوة.

اما منهج الطبرسي في تأليف كتابه الاحتجاج، فقد اوضحه لنا نفسه في مقدمة كتابه المذكور، يقول :

«وانا ابتدئ في صدر الكتاب بفصل ينطوي على ذكر آيات من القرآن التي امر الله تعالى بذلك انبياءه بحاجة ذوي العدون، ويشتمل ايضاً على عدة اخبار في فضل الذايين عن دين الله القويم، وصراطه المستقيم بالحجج القاهرة والبراهين الباهرة، ثم نشرع في ذكر طرف من مجادلات النبي (ص) والأئمة (ع)، وربما بقي في أثناء كلامهم كلام جماعة من الشيعة، حيث تقتضي الحال ذكره ولا تأتي في اكثر ما نوره من الاخبار باسناده اما لوجود الاجماع عليه او موافقته لما دلت العقول اليه، او لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤلف، الا ما اورده عن ابي محمد الحسن العسكري (ع) فانه ليس في الاشتهار على حد ما سواه وان كان مشتملاً على مثل الذي قدمناه، فلاجل ذلك ذكرت اسناده في أول جزء من ذلك دون غيره لأن جميع ما رويت عنه (ع) انما رويته باسناد واحد من جملة الاخبار التي ذكرها (ع) في تفسيره»^٣.

ولقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات في ايران والتجف غير ان هذه الطبعة التي بين ايدينا قد تميزت عن

سابقته بمميزات هامة :

أولاً- من حيث التعليق والفهرسة :

فقد تصدى الاخ الفاضل السيد محمد باقر الخرسان لتحقيقها والتعليق عليها وترجمة الاعلام الواردة فيها، وشرح الكلمات اللغوية ووضع فهارس لها بالإضافة الى تقسيمها جزئين . الامر الذي دل على قابلية الاخ الخرسان في مضمار التحقيق والتعليق والجهد الذي صرفه في هذا الكتاب والذي يبشر عن مستقبل زاهر يبعث بالامل والتقدير واني ارجو مخلصاً له ذلك .

ثانياً- من حيث الاخراج والطباعة :

وفي هذا المضمار اقدر للاخ إخراج هذا الكتاب بهذه الحلة الفشيية والطباعة الانيقة والتي يتجلى فيها كل مظاهر الخدمة الصادقة والاخلاص العميق في ابراز هذه الكتب بصورة تتناسب وهذا العصر الذي تقدمت فيه كل الامور الى الاحسن .

وفي الختام ادعوا الله عز وجل ان يوفق المعلق الناشر لخدمة الدين الاسلامي وبأخذ بيده الى ما يصبو اليه من الجزاء الاوفر من محمد (ص) وعلي وانجالة الغر الميامين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهو المسدد للصواب .

محمد السيد علي بحر العلوم .

النجف الاشرف في ١٣٨٥/١٢/١٨
مركز تحقيق ودراسة علوم الإمام علي

الاحتجاج



مركز تحقيقات كتابية وعلوم اسلامی

تألیف

أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي
من علماء القرن السادس



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتعالي عن صفات المخلوقين، المتزه عن نعوت الناعتين، المبرأ مما لا يليق بوحدةانيته، المرتفع عن الزوال والفناء بوجوب إلهيته، الذي استعبد الخلائق بحمد ما تواتر عليهم من نعمائه، وترادف لديهم من حسن بلائه، وتتابع من أياديه وعواطفه، وتفاقم من مواهبه وعوارفه، جم عن الإحصاء عددها، وفاق عن الإحاطة بها مددها، وخرست ألسن الناطقين بالشكر عليها عن أداء ما وجب من حقها لديها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يثقل بها ميزان العارفين، وتبيض بها وجوههم يوم الدين، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبي، خاتم الرسل والأنبياء، وسيد الخلائق كلهم والأصفياء، وأن وصيه علي بن أبي طالب (ع) خير وصي وخير إمام ولي. وأن عترته الطاهرة خير العتر، الأئمة الهادية الاثنا عشر، أمناء الله في بلاده، وحججه على عباده، بهم تمت علينا نعمته، وعلت كلمته، اختارهم للبرية إظهاراً للطفه وحكمته، وإنارة لأعلام عدله وزحمته، فانزاحت بهم علة العبيد، وزهق باطل كل مستكبر عنيد، بأن عصمهم من الذلّوب وبرأهم من العيوب، حفظاً منه للشرائع والأحكام، وسياسة لهم وهيبة لأهل المعاصي والآثام، وزجراً عن التفاسم والتكالب، وردعاً عن التظالم والتوائب، وتأديباً بهم لأهل العتو والعدوان، ورفعاً لما تدعو إليه دواعي الشيطان. ولم يمهلهم سدى بلا حجة فيهم معصوم، إما ظاهر مشهور أو غائب مكتوم، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الحجة، ولا يلتبس عليهم في دينه المحجة، ولم يجعل اليهم اختياره، لعلمه بأنهم لا يعلمون أسرارهم، ولأنه عز وجل متعال عن فعل شيء لا يجوز عليه: مثل تكليف ما لا يمتدّي العباد إليه، وقد نزه نفسه عن أن يشرك به أحد في الاختيار حيث قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. القصص ٦٨.

ثم ان الذي دعاني الى تأليف هذا الكتاب: عدول جماعة من الأصحاب، عن طريق الحجاج جداً، وعن سبيل الجدال وان كان حقاً، وقولهم: «إن النبي (ص) والأئمة (ع) لم يجادلوا قط، ولا استعملوه ولا للشبهة فيه إجازة، بل نهوهم عنه وعابوه» فرأيت عمل كتاب يحتوي على ذكر جمل من محاوراتهم في الفروع والأصول، مع أهل الخلاف وذوي الفضول، قد جادلوا فيها بالحق من الكلام، وبلغوا غاية كل مرام.

وإنهم (ع) انما نهوا عن ذلك الضعفاء والمساكين من أهل القصور عن بيان الدين، دون المبرزين في الاحتجاج الغالين لأهل اللجاج، فإنهم كانوا يأمورين من قبلهم بمقاومة الخصوم، ومداواة الكلوم، فعلمت بذلك منازلهم، وارتفعت درجاتهم وانتشرت فضائلهم.

وانا ابتدئ في صدر الكتاب بفصل ينطوي على ذكر آيات من القرآن التي أمر الله تعالى بذلك أنبياءه بمحاجة ذوي العدوان، ويشتمل أيضاً: على عدة أخبار في فضل الذابين عن دين الله القويم وصراطه المستقيم، بالحجج القاهرة والبراهين الباهرة.

ثم نشرع في ذكر طرف من مجادلات النبي والأئمة عليه وعليهم السلام، وربما يأتي في أثناء كلامهم كلام جماعة من الشيعة حيث تقتضي الحال ذكره، ولا تأتي في أكثر ما نورد من الأخبار بأسناده: أما الوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلّت العقول اليه، أو لا شهرته في السير والكتب بين المخالف والمؤلف، إلا ما أوردته عن أبي محمد الحسن العسكري (ع)، فإنه ليس في الإشتهار على حد ما سواه، وإن كان مشتملاً على مثل الذي قدمناه، فلأجل ذلك ذكرت أسناده في أول جزء من ذلك دون غيره، لأن جميع ما رويت عنه (ص) إثماريته بأسناد واحد من جملة الأخبار التي ذكرها (ع) في تفسيره.

والله المستعان فيما قصدناه وهو حسبي ونعم الوكيل.



مركز تحقيقات كتابتور علوم اسلامی

فصل

في ذكر طرف مما أمر الله
في كتابه من الحجاج والجدال
بالتي هي أحسن وفضل أهله

قال الله تبارك وتعالى- في كتابه مخاطباً لنبيه (ص): ﴿وَجَادِثْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل/١٢٥.
وقال عز من قائل: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت/٤٦.
وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية البقرة/٢٥٨.

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم (ع) أيضاً لما احتج على عبدة الكوكب المعروف بالزهرة، وعبدة الشمس والقمر جميعاً: بزوالها، وانتقالها، وطلوعها، وأفولها، وعلى حدوثها، وإثبات محدث لها، وفاطر إياها، ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ الى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ الأنعام/٧٥-٨٣، وغير ذلك من الآيات التي فيها الأمر بالاحتجاج، وسياق ذكر شرحها في مواضعها إنشاء الله تعالى.

وروي عن النبي (ص) أنه قال: «نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبياً».
وأما الأخبار في فضل العلماء فهي أكثر من أن تعد أو تحصى، لكننا نذكر طرفاً منها:

فمن ذلك ما حدثني به السيد العالم العابد أبو جعفر مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي رضي الله عنه
قال: حدثني الشيخ الصدوق أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد الدوريسي^١ رحمه الله عليه قال: حدثني أبي

(١) السيد أبو جعفر مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي عالم عابد، يروي عنه الطبرسي صاحب الاحتجاج بحق روايته عن أبيه عن الصدوق محمد بن علي بن بابويه ويروي هو عن جعفر بن محمد... العباسي الدوريسي. أعيان الشيعة ٤٨ - ١٢١.

(٢) أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس الدوريسي الرازي من أكابر علماء الامامية، من بيت العلم والفضل، كثير الرواية، كان مشهوراً في جميع القنون معظماً في الغاية عند نظام الملك الوزير. والدوريسي نسبة إلى دوريس قرية من قرى الري يقال لها الآن (درشت) الكنى والألقاب ٢ - ٤٠٨.

محمد بن أحمد^١ قال : حدثني الشيخ السعيد أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي^٢ رحمه الله ، قال :
حدثني أبو الحسن محمد بن القاسم المفسر الاسترابادي^٣ قال : حدثني أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد وأبو
الحسن علي بن محمد بن سيار^٤ - وكانا من الشيعة الإمامية - قال :

حدثنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري (ع) . قال : حدثني أبي عن آبائه (ع) عن رسول الله (ص) أنه
قال : أشد من يتم اليتيم الذي انقطع عن أمه وأبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ، ولا يقدر على الوصول إليه ، ولا
يدري كيف حكمه فيما يتلى به من شرائع دينه ، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا ، وهذا الجاهل بشريعتنا
المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى^٥ .

وهذا الإسناد عن أبي محمد الحسن العسكري (ع) قال : قال علي بن أبي طالب (ع) : « من كان من
شيعتنا عالماً بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حيوانه به^٦ ، جاء يوم القيامة
على رأسه تاج من نور يضيء لجميع أهل العرصات ، وحلة لا تقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذاقها ، ثم ينادي
مناد : « يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد ، ألا فمن أخرجته في الدنيا من حيرة جهله فليتبشّث
بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزهة الجنان » فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيراً ، أوفتح
عن قلبه من الجهل قفلاً ، أو أوضح له عن شبهة^٧ .

وهذا الإسناد عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري (ع) قال : قال الحسين بن علي^٨ : « فضل كافل يتيم
آل محمد المنقطع عن مواليه الناشئ في رتبة الجهل^٩ ، يخرج من جهله ، ويوضح له ما اشتبه عليه - على فضل
كافل يتيم يطعمه ويسقيه ، كفضل الشمس على السها .

وهذا الإسناد عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري قال : قال الحسين بن علي (ع) : « من كفل لنا يتيماً
قطعته عنا محبتنا باستئارنا ، فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أُرشدته وهداه ، قال الله عز وجل : أيها العبد
الكريم المواسي لأخيه أنا أولى بالكرم منك ، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف

(١) أبو جعفر محمد بن أحمد بن العباس الدوريسي من ولد حذيفة بن اليمان العيسي الصحابي ، يروي عن الصدوق
ويروي عنه ولده جعفر بن محمد أعيان الشيعة ٤٣ - ٢٦٦ .

(٢) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، شيخ الحفظة رئيس المحدثين ولد بدعاء مولانا
صاحب الأمر عليه السلام ، له نحو من ثلاثمائة مصنف ورد بغداد سنة ٣٥٥ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن ،
مات بالري سنة ٣٨٦ الكنى والألقاب ١ - ٢١٢ .

(٣) محمد بن القاسم الاسترابادي المفسر ، الرواي لتفسير الإمام العسكري عليه السلام ، شيخ ابن بابويه ، روى عنه
كثيراً في الفقيه والتوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام ، وترضى عنه وترجم عليه شرح مشيخة إلفيه ص ١٠٠ .

(٤) أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد وأبو الحسن علي بن محمد بن سيار قال الإمام العسكري عليه السلام لوالديهما :
« خلفا على ولديكما لأفيدهما العلم الذي يشرفهما الله تعالى به » ، ومن هذا الكلام يظهر عظيم منزلتهما وثقلهما بمكس ما رماهما
بعضهم بالضعف لأن من علمه الإمام علماً يشرفه الله تعالى به لا يعقل كونه غير عدل . تنقيح المقال ٢ - ٣٠٥ .

(٥) الرفيق : جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين . وفي بعض النسخ « الرفيق الأعلى » .

(٦) حيوانه : أعطيتاه بلا عوض .

(٧) في بعض النسخ « الحسن بن علي » .

(٨) الناشئ : الواقع فيما لا مخلص منه .

قصر، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعيم».

وهذا الإسناد عنه (ع) قال: قال محمد بن علي الباقر عليها السلام: «العالم كمن معه شمعة نضيء للناس، فكل من أبصر بشمعته دعا بخير، كذلك العالم، معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والخيرة، فكل من أضاء له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل، فهو من عتقائه من النار، والله يعوضه عن ذلك بكل شعرة لمن اعتقه ما هو أفضل له من الصدقة بمائة ألف فطاراً على الوجه الذي أمر الله عز وجل به، بل تلك الصدقة وبإل على صاحبها لكن يعطيه الله ما هو أفضل من مائة ألف ركعة يصلّيها من بين يدي الكعبة.

وهذا الإسناد عنه (ع) قال: قال جعفر بن محمد الصادق عليها السلام: «علماء شيعةنا مرابطون في الشجر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعهم عن الخروج على ضعفاء شيعةنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب؛ ألا فمن انتصب لذلك من شيعةنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا، وذلك يدفع عن أديانهم.

وعنه (ع) بالإسناد المتقدم قال: قال موسى بن جعفر عليها السلام: فقيه واحد ينقذ بيتاً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمامه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فلذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عابدة.

وعنه (ع) قال: قال علي بن موسى الرضا عليها السلام: «يقال للعابد يوم القيامة: نعم الرجل كنت، همتك ذات نفسك، وكفيت مؤنتك فادخل الجنة، ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم ووفر عليهم نعم جنان الله تعالى وحصل لهم رضوان الله تعالى؛ ويقال للفقيه: يا أيها الكافل لايتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك؛ فيقف فيدخل الجنة معه فتاماً وفتاماً وفتاماً^١ حتى قال عشراً وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمن أخذ عنه وعمن أخذ عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة. فانظروا كم صرف ما بين المنزلتين^٢».

وعنه (ع) قال: قال محمد بن علي الجواد (ع): «من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم، المتحيرين في جهلهم، الأسارى في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين برد وساوسهم، وقهر الناصبين بحجج ربهم ودلائل أثمتهم، ليحفظوا عهد الله على العباد بأفضل الموانع، بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على العباد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء.

(١) الفطار: قبل هو ألف ومائتا أوقية، وقيل مائة وعشرون رطلاً، وقيل هو ملء مسك ثور ذهباً، وقيل: ليس له وزن عند العرب، وفسر الفطار من الحسنات في حديث مذكور في معاني الأخبار وغيره بألف ومائتي أوقية وأوقية، أعظم من جبل أحد.

(٢) في بعض النسخ: ألف ألف عابده.

(٣) الفتام: الجماعة الكثيرة من الناس، وقد فر في بعض الأحاديث بمائة ألف.

(٤) الصرف: الفصل، يقال: هذا صرف على هذا أي فضل.

وعنه (ع) قال: قال علي بن محمد (ع): «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم (ع) من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسون أزمنة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسون صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل».

وعنه (ع) قال: «يأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبيننا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم، على رأس كل واحد منهم تاج بهاء قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة، فشعاع تيجانهم ينبت فيها كلها فلا يبقى هناك يتيم قد كفله ومن ظلمة الجهل علموه ومن حيرة التيه أخرجوه إلا تعلق بشعبة من أنوارهم، فرفعتهم إلى العلو حتى تحاذي بهم فوق الجنان، ثم ينزلهم على منازلهم المعلقة في جوار أستاذيهم ومعلميهم وبحضرة أئمتهم الذين كانوا إليهم يدعون، ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلا عميت عينه وأصمّت أذنه وأخرس لسانه وتحول عليه أشد من لهب النيران، فيحملهم حتى يدفعهم إلى الزبانية فيدقونهم^١ إلى سواء الجحيم».

وقال أيضاً أبو محمد الحسن العسكري (ع): «إن محبي آل محمد (ع) مساكين، مواساتهم أفضل من مواساة مساكين الفقراء، وهم الذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم من مقاتلة أعداء الله الذين يعيرونهم بدينهم ويسفّهون أحلامهم، ألا فمن قواهم بفقهم وعلمهم حتى أزال مسكنتهم، ثم يسلطهم على الأعداء الظاهرين النواصب وعلى الأعداء الباطنين إبليس ومردته حتى يهزمهم عن دين الله يذودهم^٢ عن أولياء آل رسول الله (ص)، حول الله تعالى تلك المسكنة إلى شياطينهم فأعجزهم عن إضلالهم، فضى الله تعالى بذلك قضاء حقاً على لسان رسول الله (ص)».

وقال أبو محمد الحسن بن علي العسكري (ع): قال علي بن أبي طالب (ع) «من قوى مسكيناً في دينه ضعيفاً في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه^٣ لقنه الله تعالى يوم يدلي في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمد نبي، وعلي ولي، والكعبة قبلي، والقرآن بهجتي وعدتي، والمؤمنون إخواني فيقول الله: أدليت بالحجة^٤ فوجبت لك أعالي درجات الجنة، فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة».

وقال أبو محمد (ع): قالت فاطمة (ع) - وقد اختصم إليها امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدين إحداهما معاندة والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحاً شديداً، فقالت فاطمة: إن فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك أشد من حزنها، وإن الله عز وجل قال للملائكة: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف مما كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سنة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان له معداً من الجنان».

وقال أبو محمد (ع): قال الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) وقد حمل إليه رجل هدية فقال له: أيما أحب إليك أن أرد عليك بدلتها عشرين ضعفاً يعني عشرين ألف درهم - أو أفتح لك باباً من العلم تقهر فلاناً الناصبي

(١) الدع: الدفع بعنف.

(٢) أفحمه: أسكته.

(٣) الذود: الطرد والمنع.

(٤) أدلى بالحجة: أظهرها.

في قريتك تنفذ به ضعفاء أهل قريتك؟ إن أحسنت الاختيار جمعت لك الأمرين ، وإن أسأت الاختيار خيّرتك لتأخذ أيهما شئت .

فقال : يا ابن رسول الله فتواي في قهري ذلك الناصب واستنفاذي لأولئك الضعفاء من يده قدره عشرون ألف درهم؟ قال : أكثر من الدنيا عشرين ألف ألف مرة .

قال : يا ابن رسول الله فكيف أختار الأدون بل أختار الأفضل ، الكلمة التي أقهر بها عدو الله وأذوده عن أوليائه . فقال الحسن بن علي عليهما السلام : قد أحسنت الاختيار ، وعلمته الكلمة وأعطاه عشرين ألف درهم ، فذهب فأفحم الرجل ، فاتصل خبره به فقال له حين حضر معه : يا عبد الله ما ربح أحد مثل ربحك ولا اكتسب أحد من الأوداء مثل ما اكتسبت مودة الله أولاً ، ومودة محمد وعلي ثانياً ، ومودة الطيبين من آلها ثالثاً ، ومودة ملائكة الله تعالى المقربين رابعاً ، ومودة إخوانك المؤمنين خامساً ، واكتسبت بعدد كل مؤمن وكافر ما هو أفضل من الدنيا ألف مرة فهنيئاً لك هنيئاً .

وقال أبو محمد (ع) : قال جعفر بن محمد عليهما السلام : «من كان همه في كسر النواصب عن المساكين من شيعة الموالين حية لنا أهل البيت يكسرهم عنهم ويكشف عن مخازيهم ويبين عوارهم لويغفم أمر محمد وآله جعل الله تعالى همه أملاك الجنان في بناء قصوره ودوره ، يستعمل بكل حرف من حروف حججه على أعداء الله أكثر من عدد أهل الدنيا أملاكاً ، قوة كل واحد بفضل عن حمل السماوات والأرضين ، فكم من بناء وكم من نعمة وكم من قصور لا يعرف قدرها إلا رب العالمين» .

وقال أبو محمد عليه السلام : قال علي بن موسى الرضا عليهما السلام : «أفضل ما يقدمه العالم من محبينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقه وذله ومسكنته أن يغيب في الدنيا مسكيناً من محبينا من يد ناصب عدو الله ولرسوله ، يقوم من قبره والملائكة صفوف من سفير قبره إلى موضع محله من جنان الله ، فيحملونه على أجنحتهم يقولون له : مرحباً طوباك^(١) يا دافع الكلاب عن الأبرار ويا أيها المتعصب للأئمة الأخيار» .

وقال أبو محمد لبعض تلامذته لما اجتمع إليه قوم من مواليه والمحبين لآل محمد رسول الله بحضرته وقالوا : يا ابن رسول الله (ص) إن لنا جاراً من النصاب يؤذينا ويحتج علينا في تفضيل الأول والثاني والثالث على أمير المؤمنين (ع) ويورد علينا حججاً لا ندري كيف الجواب عنها والخروج منها- : مر بهؤلاء إذا كانوا مجتمعين يتكلمون فتستمع عليهم فيستدعون منك الكلام فتكلم وأفحم صاحبهم واكسر عربه^(٢) وأفل^(٣) حدّه^(٤) ولا تبق له باقية ، فذهب الرجل وحضر الموضع وحضروا وكلم الرجل فأفحمه وصيره لا يدري في السماء هو أو في الأرض .

قالوا : ووقع علينا من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وعلى الرجل والمتعصبين له من الغم والحزن

(١) عوارهم : عيوبهم .

(٢) طوباك : طوى لك ، وطوى اسم للجنة ، وقيل شجرة فيها .

(٣) عربه : حدّته ، وفي بعض النسخ «عربته» وهو أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين .

(٤) فل حدّه : مثل حد سيفه ، وهو كناية عن كسر الشوكة .

مثل ما لحقنا من السرور. فلما رجعنا إلى الإمام قال لنا: «إن الذين في السماوات لحقهم من الفرح والطرب بكسر هذا العدو الله كان أكثر مما كان بحضرتكم، والذي كان بحضرة إبليس وعناة مردته من الشياطين من الحزن والغم أشد مما كان بحضرتهم، ولقد صلى على هذا العبد الكاسر له ملائكة السماء والحجب والعرش والكرسي، وقابلها الله تعالى بالإجابة فأكرم إياه وعظم ثوابه، ولقد لعنت تلك الأملاك عدو الله المكسور وقابلها الله بالإجابة فشدد حسابه وأطال عذابه».



مركز تحقیقات کتابت و نشر علوم اسلامی

فصل

في ذكر طرف مما جاء عن النبي (ص)
من الجدل والمحاربة والمناظرة وما يجري
مجرى ذلك مع من خالف الإسلام وغيرهم

قال أبو محمد الحسن بن علي العسكري (ع) : ذكر عند الصادق (ع) الجدل في الدين وأن رسول الله (ص) والأئمة (ع) قد نهوا عنه . فقال الصادق (ع) : «لم ينه عنه مطلقاً ، ولكنه نهى عن الجدل بغير التي هي أحسن ، أما تسمعون الله يقول : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ الْبَالِغِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^١ وقوله : ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^٢ فالجدل بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين ، والجدل بغير التي هي أحسن محرم بحرم الله على شيعتنا ، وكيف يحرم الله الجدل جملة وهو يقول : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾^٣ وقال الله تعالى : ﴿تِلْكَ أُمَانِيَهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٤ فجعل الله علم الصدق والإيمان بالبرهان ، وهل يؤق ببرهان إلا بالجدل بالتي هي أحسن .

قيل : يا ابن رسول الله فيما الجدل بالتي هي أحسن وبالتي ليست بأحسن ؟

قال : أما الجدل بغير التي هي أحسن فإن تجادل به مبطلاً فيورد عليك باطلاً فلا ترده بحجة قد نصبها الله ، ولكن تجحد قوله أو تجحد حقاً . يريد بذلك المبطل أن يعين به باطله ، فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة لأنك لا تدري كيف المخلص منه ، فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم وعلى المبطلين ، أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلتهم وضعف في يده حجة له على باطله ، وأما الضعفاء منكم فتغم قلوبهم^٥ لما يرون من ضعف الحق في يد المبطل .

وأما الجدل بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له ، فقال الله له حاكياً عنه : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، فقال الله تعالى في الرد عليه : ﴿قُلْ [يَا مُحَمَّدُ] يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾* إلى آخر السورة .

فأراد الله من نبيه أن يجادل المبطل الذي قال : كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم ؟ فقال الله تعالى :

(٣) البقرة : ١١١ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

(٥) يس ٧٨ - ٨٠ .

(١) العنكبوت : ٤٦ .

(٤) تغم قلوبهم : تغطي قلوبهم .

قل ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أفيعجز من ابتداء به لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلى بل ابتداءه أصعب عندكم من إعادته، ثم قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ أي إذا أكمُن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب ثم يستخرجها فعرّفكم أنه على إعادة ما يبلى أقدر، ثم قال ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^١ أي إذا كان خلق السماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي، فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي.

قال الصادق (ع): فهو الجدال بالتي هي أحسن، لأن فيها قطع عذر الكافرين وإزالة شبههم. وأما الجدال بغير التي هي أحسن فإن تجد حقاً لا يمكنك أن تفرق بينه وبين باطل من تجادله. وإنما تدفعه عن باطله بأن تجد الحق، فهذا هو المحرم لأنك مثله، جحد هو حقاً وجحدت أنت حقاً آخر.

وقال أبو محمد الحسن العسكري (ع): فقام إليه رجل آخر وقال: يا ابن رسول الله (ص) أفجادل رسول الله؟

فقال الصادق (ع) مهما ظننت برسول الله من شيء فلا تظنن به مخالفة الله، أليس الله قد قال: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ و﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ لمن ضرب الله مثلاً، أفظن أن رسول الله (ص) خالف ما أمر الله به فلم يجادل بما أمره الله به ولم يخبر عن أمر الله بما أمره أن يخبر به، ولقد حدثني أبي الباقر عن جدي علي ابن الحسين عن أبيه الحسين بن علي سيد الشهداء عن أبيه أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أنه اجتمع يوماً عند رسول الله (ص) أهل خمسة أديان: اليهود، والنصارى، والدهرية، والثنوية، ومشركوا العرب^٢.

ف قالت اليهود: نحن نقول: عزيز بن الله، وقد جئناك يا محمد لننظر ما تقول فإن اتبعنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفنا خصمناك.

وقالت النصارى: نحن نقول: إن المسيح ابن الله اتحد به وقد جئناك لننظر ما تقول، فإن اتبعنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفنا خصمناك.

وقالت الدهرية: نحن نقول: إن الأشياء لا بدولها وهي دائمة، وقد جئناك لننظر فيما تقول، فإن اتبعنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفنا خصمناك.

وقالت الثنوية: نحن نقول: إن النور والظلمة هما المديبران. وقد جئناك لننظر فيما تقول، فإن اتبعنا فنحن

(١) يس: ٨١.

(٢) اليهود هم أتباع النبي موسى بن عمران عليه السلام وكتابهم المقدس هو التوراة، والنصارى هم أتباع النبي عيسى بن مريم عليه السلام وكتابهم المقدس هو الإنجيل، والدهرية هم الذين ينفون الرب والجنة والنار ويقولون وما يهلكنا إلا الدهر وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحصان منهم على غير ثبوت، والثنوية هم الذين يثبتون مع القديم قدماً غيره، قيل المجوس الذين يثبتون مبدئين مبدأ للخير ومبدأ للشر وهما النور والظلمة ويقولون بنو إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل هم طائفة يقولون إن كل مخلوق مخلوق للخلق الأول. ومشركوا العرب هم الذين كانوا يعكفون على أصنام لهم ويعبدونها من دون الله تعالى ويمتقدون فيها أنها منشأ الخير والشر وواسطة بين العبد والرب.

أسبق إلى الصواب منك، وإن خالفنا خصمناك .
وقال مشركوا العرب: نحن نقول إن أوثاننا آلهة، وقد جئناك لتنظر فيما نقول فإن اتبعنا فنحن أسبق
إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفنا خصمناك .

فقال رسول الله (ص): آمنت بالله وحده لا شريك له وكفرت [بالجبت والطاغوت] ^١ بكل معبود سواه .
ثم قال لهم: إن الله تعالى قد بعثني كافة للناس بشيراً ونذيراً وأحجة على العالمين، وسيرد كيد من يكيد دينه في
نحره .

ثم قال لليهود: اجتمعوني لأقبل قولكم بغير حجة؟ قالوا: لا . قال: فما الذي دعاكم إلى القول بأن عزيراً
ابن الله؟ قالوا: لأنه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعدما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلا لأنه ابنه .

فقال رسول الله (ص): فكيف صار عزير ابن الله دون موسى وهو الذي جاء لهم بالتوراة ورؤي منه من
المعجزات ما قد علمتم . ولئن كان عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه بإحياء التوراة فلقد كان موسى بالنبوة أولى
وأحق، ولئن كان هذا المقدار من إكرامه لعزير يوجب له أنه ابنه فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة
أجل من النبوة، لأنكم إن كنتم إنما تريدون بالنبوة الدلالة على سبيل ما تشهدونه في دنياكم من ولادة الأمهات
الأولاد بوطئ آبائهم لمن فقد كفرتم بالله وشبهتموه بخلقه وأوجبتم فيه صفات المحدثين، فوجب عندكم أن
يكون محدثاً مخلوقاً وأن يكون له خالق صنعه وابتدعه .

قالوا: لساننا يعني هذا، فإن هذا كفر كما دللت، لكننا نعي أنه ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة،
كما قد يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه وإبانتته بالمنزلة من غيره «يا بني» و«إنه ابني» لا على إثبات ولادته منه
لأنه قد يقول ذلك لمن هو أجنبي لا نسب له بينه وبينه، وكذلك لما فعل الله تعالى بعزير ما فعل كان قد اتخذ ابناً
على الكرامة لا على الولادة .

فقال رسول الله (ص): فهذا ما قلته لكم إنه إن وجب على هذا الوجه أن يكون عزير ابنه فإن هذه المنزلة
بموسى أولى، وإن الله يفضح كل مبطل بإقراره ويقلب عليه حجته، إن ما احتججتم به يؤديكم إلى ما هو أكثر
مما ذكرته لكم، لأنكم قلتم إن عظمائكم قد يقول لأجنبي لا نسب بينه وبينه: «يا بني» و«هذا ابني» لا
على طريق الولادة، فقد تجدون أيضاً هذا العظيم يقول لأجنبي: «هذا أخي» و«يا بني» و«هذا شيعي» و
«أبي» و«آخر»: «هذا أخي» و«آخر» «هذا سيدي»: و«يا سيدي» على سبيل الإكرام، وإن من زاده في
الكرامة زاده مثل هذا القول، فإذا يجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله أو شيخاً له أو أباً أو سيداً لأنه قد
زاده في الإكرام مما لعزير، كما أن من زاد رجلاً في الإكرام فقال له: يا سيدي ويا شيعي ويا عمي ويا
رئيسي على طريق الإكرام، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول أفيجوز عندكم أن يكون
موسى أخاً لله أو شيخاً أو عمّاً أو رئيساً أو سيداً أو أميراً لأنه قد زاده في الإكرام على من قال له: يا شيعي
أو يا سيدي أو يا عمي أو يا رئيسي أو يا أميري؟

قال: فبهت القوم وتحيروا وقالوا: يا محمد أجلنا نتفكر فيما قد قلته لنا فقال: انظروا فيه بقلوب معتقدة

للإنصاف يهدكم الله .

ثم أقبل على النصارى فقال لهم : وأنتم قلتم إن القديم عز وجل اتحد بالمسيح ابنه ، فما الذي أردتموه بهذا القول ؟ أردتم أن القديم صار محدثاً لوجود هذا المحدث الذي هو عيسى ، أو المحدث الذي هو عيسى صار قديماً كوجود القديم الذي هو الله أو معنى قولكم إنه اتحد به أنه اختصه بكرامة لم يكرم بها أحداً سواه ؟ .

فإن أردتم أن القديم صار محدثاً فقد أبطلتم ، لأن القديم محال أن ينقلب فيصير محدثاً ، وإن أردتم أن المحدث صار قديماً فقد أحلتكم لأن المحدث أيضاً محال أن يصير قديماً ، وإن أردتم أنه اتحد به بأنه اختصه واصطفاه على سائر عبادہ فقد أقررتكم بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الذي اتحد به من أجله ، لأنه إذا كان عيسى محدثاً وكان الله اتحد به بأن أحدث به معنى صار به أكرم الخلق عنده فقد صار عيسى وذلك المعنى محدثين ، وهذا خلاف ما بدأتكم تقولونه .

فالت النصارى : يا محمد إن الله لما أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتخذه ولدًا على جهة الكرامة .

فقال لهم رسول الله (ص) : فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الذي ذكرتموه ، ثم أعاد (ص) ذلك كله ، فسكتوا إلا رجلاً واحداً منهم فقال له : يا محمد أو لستم تقولون : إن إبراهيم خليل الله ؟ قال : قد قلنا ذلك . قال : فإذا قلتم ذلك فلم منعتونا من أن نقول إن عيسى ابن الله ؟

قال رسول الله (ص) : إنهما لن يشتمها ، لأن قولنا إبراهيم خليل الله فإنما هو مشتق من الخلعة ، والخلعة إنما معناها الفقر والفاقة ، فقد كان خليلاً إلى ربه فقيراً وإليه متقطعاً وعن غيره متعففاً معرضاً مستغنياً ، وذلك لما أريد قذفه في النار فرمي به في المنجنيق فبعث الله جبرئيل فقال له : أدرك عبدي ، فجاء فلقبه في الهواء فقال له : كلني ما بدا لك فقد بعثني الله لنصرتك فقال إبراهيم : حسبي الله ونعم الوكيل إني لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلا إليه ، فسماه خليله أي : فقيره ومحتاجه والمتقطع إليه عمن سواه .

وإذا جعل معنى ذلك من الخلعة وهو أنه قد تخلل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان الخليل معناه العالم به وبأموره ، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه . ألا ترون أنه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله ، وإن من يلد الرجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده ، لأن معنى الولادة قائم به .

ثم إن وجب لأنه قال لإبراهيم خليلي ، أن تقيسوا أنتم فتقولوا بأن عيسى ابنه وجب أيضاً كذلك أن تقولوا لموسى إنه ابنه ، فإن الذي معه من المعجزات لم يكن بدون ما كان مع عيسى ، فقولوا : إن موسى أيضاً ابنه ، وإن يجوز أن تقولوا على هذا المعنى أنه شيخه وسيده وعمه ورئيسه وأميره كما قد ذكرته لليهود .

فقال بعضهم لبعض : وفي الكتب المنزلة إن عيسى قال «أذهب إلى أبي وأبيكم» .

فقال رسول الله (ص) فإن كنتم بذلك الكتاب تعلمون فإن فيه «أذهب إلى أبي وأبيكم» فقولوا إن جميع الذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء الله كما كان عيسى ابنه من الوجه الذي كان عيسى ابنه ، ثم إن في هذا الكتاب مبطل عليكم هذا الذي زعمتم أن عيسى من وجهة الاختصاص كان ابناً له ، لأنكم قلتم إنما قلنا إنه ابنه لأنه اختصه

بما لم يختص به غيره، وأنتم تعلمون أن الذي خص به عيسى لم يخص به هؤلاء القوم الذين قال لهم عيسى: «أذهب إلى أبي وأبيكم»، فبطل أن يكون الإختصاص لعيسى، لأنه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى، وأنتم إنما حكيتكم لفظة عيسى وتأولتموها على غير وجهها، لأنه إذا قال: «أذهب إلى أبي وأبيكم، فقد أراد غير ما ذهبتم إليه ونحلتموه، وما يدريكم لعله عني أذهب إلى آدم أو إلى نوح وأن الله يرفعني إليهم ويجمعني معهم وآدم أبي وأبيكم وكذلك نوح، بل ما أراد غير هذا.

قال: فسكت النصارى وقالوا: ما رأينا كالיום مجادلاً ولا مخاصماً مثلك وسننظر في أمورنا. ثم أقبل رسول الله على الدهرية فقال: وأنتم فيما الذي دعاكم إلى القول بأن الأشياء لا بدولها وهي دائمة لم تزل ولا تزال؟

فقالوا: لأننا لا نحكم إلا بما نشاهد ولم نجد للأشياء حدثاً فحكمنا بأنها لم تزل، ولم نجد لها انقضاء وفناء فحكمنا بأنها لا تزال.

فقال رسول الله (ص): أفوجدتم لها قدماً أم وجدتم لها بقاءً أبداً لا يبد؟ فإن قلتم إنكم وجدتم ذلك أنهضتم لأنفسكم أنكم لم تزالوا على هيتكم وعقولكم بلا نهاية ولا تزالون كذلك، ولئن قلتم هذا دفعتم العيان وكذبكم العالمون والذين يشاهدونكم.

قالوا: بل لم نشاهد لها قدماً ولا بقاءً أبداً.

قال رسول الله (ص): فلم صرتم بأن تحكموا بالقدم والبقاء دائماً لأنكم لم تشاهدوا حدوثها وانقضاءها، أولى من تارك التميز لها مثلكم، فيحكم لها بالحدوث والإنقضاء والإقطاع لأنه لم يشاهد لها قدماً ولا بقاءً أبداً الأبد، أو لستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما يعد الآخر؟ فقالوا: نعم.

فقال: أترونها لم يزالا ولا يزالان؟ فقالوا: نعم.

فقال: أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار؟ فقالوا: لا.

فقال (ص): فإذا منقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جارياً بعده. قالوا: كذلك هو.

فقال: قد حكمتكم بحدوث ما تقدم من ليل ونهار لم تشاهدوها فلا تنكروا الله قدرته.

ثم قال (ص): أنقولون ما قبلكم من الليل والنهار متناه أم غير متناه؟ فإن قلتم إنه غير متناه فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوله، وإن قلتم متناه فقد كان ولا شيء منها. قالوا: نعم.

قال لهم: أقلت إن العالم قديم غير محدث وأنتم عارفون بمعنى ما أقررتم به وبمعنى ما جحدتموه؟ قالوا: نعم.

قال رسول الله (ص): فهذا الذي تشاهدونه من الأشياء بعضها إلى بعض يفتقر، لأنه لا قوام للبعض إلا بما يتصل به، كما نرى البناء محتاجاً بعض أجزائه إلى بعض وإلا لم يتسق ولم يستحكم وكذلك سائر ما نرى.

وقال أيضاً: فإذا كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوته وتماه هو القديم فأخبروني أن لو كان محدثاً كيف

كان يكون وماذا كانت تكون صفته؟

قال : فبهتوا وعلموا أنهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلا وهي موجودة في هذا الذي زعموا أنه قديم ، فوجها وقالوا : سننظر في أمرنا .

ثم أقبل رسول الله (ص) على الثوية الذين قالوا : «النور والظلمة هما المديران» فقال : وأنتم فما الذي دعاكم إلى ما قلتموه من هذا؟ .

فقالوا : لأننا وجدنا العالم صنفين خيراً وشرّاً ، ووجدنا الخير ضدّاً للشر ، فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشيء وضده بل لكل واحد منهما فاعل ، ألا ترى أن الثلج محال أن يسخن كما أن النار محال أن تبرد ، فأثبتنا لذلك صانعين قديمين ظلمة ونوراً .

فقال لهم رسول الله (ص) : أفليستم قد وجدتم سواداً وبياضاً وحمرة وصفرة وخضرة وزرقة ، وكل واحدة ضد لسايرها لاستحالة اجتماع مثلين منها في محل واحد كما كان الحر والبرد ضدّين لاستحالة اجتماعهما في محل واحد؟ قالوا : نعم .

قال فهلاً أثبتتم بعدد كل لون صانعاً قديماً ليكون فاعل كل ضد من هذه الألوان غير فاعل الضد الآخر؟ قال : فسكتوا .

ثم قال : فكيف اختلط النور والظلمة ، وهذا من طبيعة الصعود وهذه من طبيعة النزول ، رأيتم لو أن رجلاً أخذ شرقاً يمشي إليه والآخر غرباً أكان يجوز عندكم أن يلتقيا ما داما سائرين على وجهيهما؟ قالوا : لا . قال : فوجب أن لا يختلط النور والظلمة للذهاب كل واحد منهما في غير جهة الآخر ، فكيف وجدتم حدث هذا العالم من امتزاج ما هو محال أن يمتزج بل هما مديران جميعاً مخلوقان؟ فقالوا : سننظر في أمورنا . ثم أقبل رسول الله (ص) على مشركي العرب فقال : وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا : نتقرب بذلك إلى الله تعالى .

فقال لهم : أو هي سامعة مطيعة لرّبها عابدة له حتى تتقربوا بتعظيمها إلى الله؟ قالوا : لا .

قال : فأنتم الذين نحتتموها بأيديكم؟ قالوا : نعم .

قال : فلأن تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أخرى من أن تعبدوها ، إذ لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم والحكيم فيها يكلفكم .

قال : فلما قال رسول الله (ص) هذا القول اختلفوا فقال بعضهم : إن الله قد حلّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصورة فصورنا هذه الصور نعظيمها لتعظيمنا تلك الصور التي حل فيها ربنا .

وقال آخرون منهم : إن هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا فمثلنا صورهم وعبدناها تعظيماً لله .

وقال آخرون منهم : إن الله لما خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له كنا نحن أحق بالسجود لآدم من الملائكة ، ففاننا ذلك فصورنا صورته فسجدنا لها تقرباً إلى الله كما تقربت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله تعالى ، وكما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكة ففعلتم ثم نصبتهم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريباً^(١) مسجداً إليهم وقصدتم

(١) محاريب جمع محراب ، ومحراب المسجد قيل سمي بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى ، وقيل بل المحراب =

الكعبة لا محاريبكم وقصدتم بالكعبة إلى الله عز وجل لا إليها .

فقال رسول الله (ص): أخطأتم الطريق وضللتهم ، أما أنتم - وهو (ص) يخاطب الذين قالوا إن الله يحل في هياكل رجال كانوا على هذه الصور التي صورناها فصورنا هذه الصور نعظمها لتعظيمنا لتلك الصور التي حل فيها ربنا - فقد وصفتم ربكم بصفة المخلوقات ! أو يحل ربكم في شيء حتى يحيط به ذاك الشيء ، فأبى فرق بينه إذا وبين سائر ما يحل فيه من لونه وطعمه ورائحته ولينه وخشونته وثقله وخفته ، ولم صار هذا المحلول فيه محدثاً وذلك قديماً دون أن يكون ذلك محدثاً وهذا قديماً ! وكيف يحتاج إلى المحال من لم يزل قبل المحال وهو عز وجل كان لم يزل ، وإذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال ، وما وصفتموه بالزوال والحدوث فصفوه بالفناء ، لأن ذلك أجمع من صفات الحال والمحلول فيه ، وجميع ذلك متغير الذات فان كان لم يتغير ذات الباري تعالى بحلوله في شيء جاز أن لا يتغير . بأن يتحرك ويسكن ويسود ويبيض ويحمر ويصفر وتحله الصفات التي تتعاقب على الموصوف بها حتى يكون فيه جميع صفات المحدثين ويكون محدثاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !!

ثم قال رسول الله (ص): فإذا بطل ما ظنتموه من أن الله يحل في شيء فقد فسد ما بنيتم عليه قولكم . قال : فسكت القوم وقالوا : سننظر في أمورنا .

ثم أقبل رسول الله (ص) على الفريق الثاني فقال : أخبرونا عنكم إذا عدا تم صور من كان يعبد الله فسجدتم لها وصليتم فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الذي أبقيتم لرب العالمين ؟ أما علمتم أن من حق من يلزم تعظيمه وعبادته أن لا يساوى به عبده ؟ أرايتم ملكاً أو عظيماً إذا سؤيتموه بعبده في التعظيم والخضوع والخشوع أيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير ؟ فقالوا : نعم .

قال : أفلا تعلمون أنكم من حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له تزرون^١ على رب العالمين ؟ قال : فسكت القوم بعد أن قالوا : سننظر في أمرنا .

ثم قال رسول الله (ص) للفريق الثالث : لقد ضربتم لنا مثلاً وشبهتمونا بأنفسكم ولسنا سواء ، وذلك أنا عباد الله مخلوقون مريبون نأتمر له فيما أمرنا وتنزجر عما زجرنا ونعبده من حيث يريد منا ، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه ولم نتعد إلى غيره مما لم يأمرنا ولم يأذن لنا ، لأننا لا ندري لعلنا إن أراد منا الأول فهو يكره الثاني ، وقد نهانا أن نتقدم بين يديه ، فلما أمرنا أن نعبده بالتوجه إلى الكعبة أطعناه ، ثم أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي تكون بها فأطعناه ، ولم نخرج في شيء من ذلك من اتباع أمره .

والله حيث أمر بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره ، فليس لكم أن تقيسوا ذلك

^١ أصله في المسجد ، وهو اسم خص به صدر المجلس فسمي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد ، وكان هذا أصح قال تعالى ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل﴾ .

(١) تزرون : نعيون وتعابون .

عليه لأنكم لا تدرون لعلمه يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به .

ثم قال لهم رسول الله (ص) : أرايتم لو أذن لكم رجل دخول داره يوماً بعينه ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره ، أولكم أن تدخلوا داراً له أخرى مثلها بغير أمره ؟ أو وهب لكم رجل ثوباً من ثيابه أو عبداً من عبيده أو دابة من دوابه ألكم أن تأخذوا ذلك ؟ قالوا : نعم .

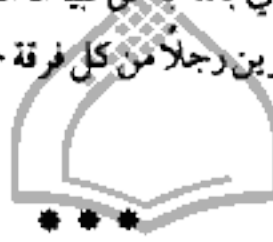
قال : فإن لم تأخذوه ألكم أخذ آخر مثله ؟ قالوا : لا لأنه لم يأذن لنا في الثاني كما أذن في الأول .

قال (ص) : فأخبروني الله أولى بأن لا يُتقدم على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين ؟ قالوا : بل الله أولى بأن لا يتصرف في ملكه بغير إذنه .

قال : فلم فعلتم ؟ ومتى أمركم بالسجود أن تسجدوا لهذه الصور ؟

قال : فقال القوم : سننظر في أمورنا وسكتوا .

وقال الصادق عليه السلام : فوالذي بعثه بالحق نبياً ما أنت على جماعتهم إلا ثلاثة أيام حتى أتوا رسول الله (ص) فأسلموا ، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً من كل فرقة خمسة وقالوا : ما رأينا مثل حجبتك يا محمد نشهد أنك رسول الله .



«إحتجاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جماعة من المشركين»

وقال الصادق عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : أنزل الله «الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» الآية وكان في هذه الآية رد على ثلاثة أصناف منهم لما قال : «الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض» فكان رداً على الدهرية الذين قالوا : إن الأشياء لا بدو لها وهي دائمة .

ثم قال : «وجعل الظلمات والنور» فكان رداً على الثنوية الذين قالوا : إن النور والظلمة هما مدبران .

ثم قال : «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» فكان رداً على مشركي العرب الذين قالوا : إن أوثاننا آلهة .

ثم أنزل الله : «قل هو الله أحد» إلى آخرها ، فكان رداً على من ادعى من دون الله ضدّاً أو نداً .

قال : فقال رسول الله (ص) لأصحابه : قولوا «إياك نعبد» أي : نعبد واحداً لا نقول كما قالت الدهرية : إن الأشياء لا بدو لها وهي دائمة ، ولا كما قالت الثنوية : إن النور والظلمة هما المدبران ، ولا كما قال مشركوا العرب : إن أوثاننا آلهة فلا نشرك بك شيئاً ولا ندعو من دونك إلهاً كما يقول هؤلاء الكفار ولا نقول كما قالت اليهود والنصارى : إن لك ولداً تعاليت عن ذلك .

قال : فذلك قوله : «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» وقالت طائفة غيرهم من هؤلاء

الكفار ما قالوا، قال الله تعالى: يا محمد ﴿قلك أمانتهم﴾ التي يمنونها بلا حجة ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ وحثتكم على دعواكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ كما أتى محمد ببراهينه التي سمعتموها.

ثم قال: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ تعالى يعني كما فعل هؤلاء الذين آمنوا برسول الله لما سمعوا ببراهينه وحثته ﴿وهو محسن﴾ في علمه ﴿فله أجره﴾ وثوابه ﴿عند ربِّه﴾ يوم فصل القضاء ﴿ولا خوف عليهم﴾ حين يخاف الكافرون مما يشاهدونه من العقاب ﴿ولا هم يحزنون﴾^١ عند الموت لأن البشارة بالجنان تأتيهم.

«احتجاج النبي صلى الله عليه وآله على جماعة من المشركين»

عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: قلت لأبي، علي بن محمد عليه السلام هل كان رسول الله (ص) يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجهم؟ قال: بلى مراراً كثيرة.

منها ما حكى الله من قولهم: ﴿وقالوا ما هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك من السماء فجاءناه﴾^٢ وقالوا: ﴿لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾^٣ وقوله عز وجل: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ إلى قوله ﴿كتاباً نقرؤه﴾^٤ ثم قيل له في آخر ذلك: لو كنت نبياً كموسى أنزلت علينا كسفاً من السماء ونزلت علينا الصاعقة في مسألتنا إليك لأن مسألتنا أشد من مسائل قوم موسى لموسى عليه السلام.

قال: وذلك أن رسول الله (ص) كان قاعداً ذات يوم بمكة بفناء الكعبة إذا اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي وأبو البختری ابن هشام وأبو جهل والعاص بن وائل السهمي وعبد الله بن أبي أمية المخزومي، وكان معهم جمع ممن يليهم كثير ورسول الله (ص) في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ويؤدي إليهم عن الله أمره ونهيه.

فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمد وعظم خطبه، فتعالوا نبداً بتقريره وتبكيته وتوبيخه والاحتجاج عليه وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه ويصغر قدره عندهم، فلعلهم ينزع عما هو فيه من غيه وباطله وتمرده وطغيانه، فإن انتهى وإلا عاملناه بالسيف الباتر.

قال أبو جهل: فمن ذا الذي يلي كلامه ومجادلته؟ قال عبد الله بن أبي أمية المخزومي: أنا إلى ذلك، أفما ترضاني له قرناً حسياً ومجادلاً كفيماً؟

قال أبو جهل بلى، فأتوه بأجمعهم فابتدأ عبد الله بن أبي أمية المخزومي فقال:

يا محمد لقد ادعيت دعوى عظيمة وقلت مقالاً هائلاً، زعمت أنك رسول الله رب العالمين، وما ينبغي لرب العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشر مثلنا تأكل كما نأكل وتشرب كما نشرب وتمشي في الأسواق كما نمشي!

فهذا ملك الروم وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلا كثير المال عظيم الحال له قصور ودور وفساطيط وخيام وعبيد وخدام، ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده.

ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنمّا يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا، ما أنت يا محمد إلا رجلاً مسحوراً ولست بنبي.

فقال رسول الله (ص): هل بقي من كلامك شيء؟

قال: بلى، لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجلاً من فيما بيننا أكثره مالاً وأحسنه حالاً فهلاً أنزل هذا القرآن الذي تزعم أن الله أنزله عليك وابتعثك به رسولاً على رجل من القريتين عظيم إمام الوليد بن المغيرة بمكة وإمام عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

فقال رسول الله (ص): هل بقي من كلامك شيء يا عبد الله؟

فقال: بلى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً بمكة هذه، فإنها ذات أحجار وعرة وجبال، تكسح أرضها^١ وتحفرها وتجري فيها العيون، فإننا إلى ذلك محتاجون أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمنا وتفجر الأنهار خلالها خلال تلك النخيل والأعناب تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً^٢ فإنك قلت لنا ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾^٣ فلعلنا نقول ذلك.

ثم قال: أوتأتى بالله والملائكة قبيلاً، تأتي به وهم وهم لنا مقابلون، أو يكون لك بيت من زخرف تعطينا منه وتغنينا به فلعلنا نطغي، وإنك قلت لنا: ﴿كلاً إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾^٤.

ثم قال: أوترقى في السماء أي تصعد في السماء ولن نؤمن لرقيك أي لصعودك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه من الله العزيز الحكيم إلى عبد الله بن أبي أمية المخزومي ومن معه بأن آمنوا بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب فإنه رسولي وصدّقه في مقاله إنه من عندي، ثم لا أدري يا محمد إذا فعلت هذا كله أو من بك أولاً أو من بك، بل لو رفعتنا إلى السماء وفتحت أبواباً^٥ وأدخلتناها لقلنا إنمّا سكرت أبصارنا وسحرتنا.

فقال رسول الله (ص): يا عبد الله أبقى شيء من كلامك؟ قال: يا محمد أوليس فيما أوردته عليك كفاية وبلاغ، ما بقي شيء فقل ما بدا لك وافصح عن نفسك إن كان لك حجة واثنتنا بما سألناك به.

فقال رسول الله (ص): اللهم أنت السامع لكل صوت والعالم بكل شيء من علم ما قاله عبادك، فأنزل الله عليه: يا محمد ﴿وقالوا ما هذا الرسول يأكل الطعام﴾ إلى قوله ﴿رجلاً مسحوراً﴾^٦ ثم قال الله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً﴾^٧ ثم قال: يا محمد ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً

(١) تكسح أرضها: تفشّرها من التراب.

(٢) كسفاً: قطعاً قد ركب بعضها على بعض.

(٣) الطور: ٤٤، والمركوم: المتراكم الذي يجعل بعضه على بعض.

(٤) الملق: ٦ - ٧.

(٥) سكرت أبصارنا: غطيت وغشيت عن النظر.

(٦) الفرقان: ٧ - ٨.

(٧) الاسراء: ٤٨.

من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً^١ وأنزل عليه : يا محمد ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك﴾^٢ الآية وأنزل الله عليه : يا محمد ﴿وقالوا لو لا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر﴾ إلى قوله ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾^٣.

فقال له رسول الله (ص) : يا عبد الله أما ما ذكرت من أني أكل الطعام كما تأكلون وزعمت أنه لا يجوز لأجل هذا أن أكون لله رسولاً فإنما الأمر لله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو محمود وليس لك ولا لأحد الاعتراض عليه بلّم وكيف، ألا ترى أن الله كيف أفقر بعضاً وأغنى بعضاً وأعز بعضاً وأذل بعضاً وأصح بعضاً وأسقم بعضاً وشرف بعضاً ووضع بعضاً، وكلهم ممن يأكل الطعام، ثم ليس للفقراء أن يقولوا لم أفقرنا وأغنيتهم؟ ولا للوضعاء أن يقولوا لم وضعنا وشرفتهم ولا للزمنى^٤ والضعفاء أن يقولوا لم أزمنا وأضعفنا وصححتهم؟ ولا للأذلاء أن يقولوا لم أذللتنا وأعززهم ولا لقباح الصور أن يقولوا لم قبحنا وجملتهم؟ بل إن قالوا ذلك كانوا على ربهم رادين وله في أحكامه منازعين وبه كافرين، ولكان جوابه هم : أنا الملك الخافض الرافع المغني المفقّر المعز المذل المصحح المسقم وأنتم العبيد ليس لكم إلا التسليم لي والانقياد لحكمي، فإن سلّمتم كنتم عباداً مؤمنين وإن أبيتم كنتم بي كافرين وبعقوباتي من الهالكين.

ثم أنزل الله عليه : يا محمد ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ يعني أكل الطعام و﴿يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد﴾^٥ يعني قل لهم أنا في البشرية مثلكم ولكنّ ربي خصني بالنبوة دونكم كما يخص بعض البشر بالغي والصحة والجمال دون بعض من البشر، فلا تنكروا أن يخصني أيضاً بالنبوة.

ثم قال رسول الله (ص) وأما قولك « هذا ملك الروم وملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلا كثير المال عظيم الحال له قصور ودور وفساطيط وخيام وعبيد وخدام ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده » فإن الله له التدبير والحكم لا يفعل على ظنك وحسبانك ولا باقتراحك بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو محمود، يا عبد الله إنما بعث الله نبيه ليعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى ربهم ويكذّب نفسه في ذلك آناء الليل ونهاره، فلو كان صاحب قصور محتجب فيها وعبيد وخدام يسترونه عن الناس أليس كانت الرسالة تضيع والأمور تتباطأ، أو ما ترى الملوك إذا احتجبوا كيف يجري الفساد والقبايح من حيث لا يعلمون به ولا يشعرون.

يا عبد الله إنما بعثني الله ولا مال لي ليعرفكم قدرته وقوته وأنه هو الناصر لرسوله ولا تقدرّون على قتله ولا منعه في رسالاته، فهذا بين في قدرته وفي عجزكم وسوف يظفري الله بكم فأسعكم قتلاً وأسرّاً، ثم يظفري الله ببلادكم ويستولي عليها المؤمنون من دونكم ودون من يوافقكم على دينكم.

ثم قال رسول الله (ص) وأما قولك لي : ﴿لو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنما يبعث ملكاً لا بشراً مثلنا﴾ فالملك لا تشاهده حواسكم لأنه من جنس هذا الهواء لا عيان منه، ولو شاهدتموه - بأن يزداد في قوى أبصاركم - لقلتم ليس هذا ملكاً بل هذا بشر،

(٢) هود : ١٢ .

(٤) الزمى : الذين ألم بهم المرض ، المرضى .

(٦) الكند : الالحاح والشدة في الطلب .

(١) الفرقان : ١٠ .

(٣) الانعام ٩٨ .

(٥) الكهف : ١١٠ .

لأنه إنما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي ألفتهموه لفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده ، فكيف كنتم تعلمونه صدق الملك وأن ما يقوله حق ، بل إنما بعث الله بشراً وأظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتهم ضماثر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عما جاء به أنه معجزة وأن ذلك شهادة من الله بالصدق له ، ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدل لكم أن ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزاً ، ألا ترون أن الطيور التي تطير ليس ذلك منها بمعجز لأن لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها ، ولو أن آدمياً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً ، فإن الله عز وجل سهل عليكم الأمر وجعله بحيث تقوم عليكم حجته وأنتم تقترحون عمل الصعب الذي لا حجة فيه .

ثم قال رسول الله (ص) : «أما قولك «ما أنت إلا رجل مسحور» فكيف أكون كذلك وقد تعلمون أني في صحة التمييز والعقل فوقكم ، فهل جربتم علي منذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة خزية^(١) أوزلة أو كذبة أو خيانة أو خطأ من القول أو سفهاً من الرأي ، أنظنون أن رجلاً يعتصم طول هذه المدة بحول نفسه وقوتها أو بحول الله وقوته ، وذلك ما قال الله ﴿أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ إلى أن يثبتوا عليك عمى بحجة أكثر من دعاويهم الباطلة التي تبين عليك تحصيل بطلانها .

ثم قال رسول الله (ص) : «أما قولك «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بالطائف» فإن الله ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت ولا خطر له عنده كما له عندك بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضة لما سقى كافراً به تحالفاً له شربة ماء ، وليس قسمة الله إليك بل الله هو القاسم للرجحات والفاعل لما يشاء في عبده وإمائه ، وليس هو عز وجل ممن يخاف أحداً كما تخافه أنت لما له وحاله فعرفته بالنبوة لذلك ، ولا ممن يطمع في أحد في ماله أو في حاله كما تطمع أنت فتخصه بالنبوة لذلك ، ولا ممن يحب أحداً محبة الهواء كما تحب أنت فتقدم من لا يستحق التقديم وإنما معاملته بالعدل ، فلا يؤثر إلا بالعدل لأفضل مراتب الدين وجلاله إلا الأفضل في طاعته والأجدي في خدمته ، وكذلك لا يؤخر في مراتب الدين وجلاله إلا أشدهم تباطؤاً عن طاعته .

وإذا كان هذا صفة لم ينظر إلى مال ولا إلى حال بل هذا المال والحال من تفضله ، وليس لأحد من عباده عليه ضريبة لازبة ، فلا يقال له إذا تفضلت بالمال على عبد فلا بد أن تتفضل عليه بالنبوة أيضاً لأنه ليس لأحد إكراهه على خلاف مراده ولا إلزامه تفضلاً لأنه تفضل قبله بنعمه .

ألا ترى يا عبد الله كيف أغنى واحداً وقبح صورته ، وكيف حسن صورة واحد وأفقره ، وكيف شرف واحداً وأفقره ، وكيف أغنى واحداً ووضع . ثم ليس لهذا الغني أن يقول «هلا أضيف إلى يساري جمال فلان» ولا للجميل أن يقول «هلا أضيف إلى جمالي مال فلان» ، ولا للشريف أن يقول «هلا أضيف إلى شرفي مال فلان» ولا للوضيع أن يقول «هلا أضيف إلى ضيعتي شرف فلان» ولكن الحكم لله يقسم كيف يشاء

(١) وفي بعض النسخ «خربة» وهي العيب والعورة والذلة .

(٢) الضريبة : التي تؤخذ في الجزية ونحوها واللازب : اللازم الشديد للزوم .

ويفعل كما يشاء ، وهو حكيم في أفعاله محمود في أعماله وذلك قوله تعالى : « وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » قال الله تعالى « أ هم يقسمون رحمة ربك » يا محمد « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا »^١ فأحوجنا بعضاً إلى بعض ، أحوج هذا إلى مال ذلك ، وأحوج ذلك إلى سلعة هذا وإلى خدمته .

فترى أجل الملوك وأغنى الأغنياء محتاجاً إلى أفقر الفقراء في ضرب من الضروب : إما سلعة معه ليست معه ، وإما خدمة يصلح لها لا ينهيها لذلك الملك أن يستغني إلا به ، وإما باب من العلوم والحكم هو فقير إلى أن يستفيدا من هذا الفقير ، فهذا الفقير يحتاج إلى مال ذلك الملك الغني ، وذلك الملك يحتاج إلى علم هذا الفقير أو رأيه أو معرفته .

ثم ليس للملك أن يقول هلا اجتمع إلى مالي علم هذا الفقير ، ولا للفقير أن يقول هلا اجتمع على رأيي وعلمي وما أنصرف فيه من فنون الحكمة مال هذا الملك الغني . ثم قال الله : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » ثم قال : يا محمد قل لهم « ورحمة ربك خير مما يجمعون »^٢ أي ما يجمعه هؤلاء من أموال الدنيا .

ثم قال رسول الله (ص) : وأما قولك « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » إلى آخر ما قلته ، فإنك قد اقترحت على محمد رسول الله أشياء : منها ما لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوته ورسول الله (ص) يرتفع عن أن يغتنم جهل الجاهلين ويحتج عليهم بما لا حجة فيه ، ومنها ما لو جاءك به كان معه هلاكك ، وإنما يؤق بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الإيمان بها لا ليهلكوا بها فإنما اقترحت هلاكك ورب العالمين أرحم بعباده وأعلم بمصالحهم من أن يهلكهم كما تقترحون ، ومنها المحال الذي لا يصح ولا يجوز كونه ورسول رب العالمين يعرفك ذلك ويقطع معاذيرك ويضيق عليك سبيل مخالفته ، ويلجئك بحجج الله إلى تصديقه حتى لا يكون لك عنه محيد ولا محيص ، ومنها ما قد اعترفت على نفسك أنك فيه معاند متمرد لا تقبل حجة ولا تصغي إلى برهان ، ومن كان كذلك فدواؤه عذاب الله النازل من سمائه في جحيمه أو بسيف أوليائه .

فأما قولك يا عبد الله : « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » بمكة هذه فإنها ذات أحجار وصخور وجبال تكسح أرضها وتحفرها وتجري فيها العيون فإننا إلى ذلك محتاجون فإنك سألت هذا وانت جاهل بدلائل الله .

يا عبد الله أرأيت لو فعلت هذا أكنت من أجل هذا نبياً؟ قال : لا .

قال رسول الله (ص) : أرأيت الطائف التي لك فيها بساتين أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتها وذللتها وكسحتها وأجريت فيها عيوناً استنبطتها؟ قال : بلى .

قال (ص) : وهل لك في هذا نظراء؟ قال : بلى .

قال : فصرت أنت وهم بذلك أنبياء؟ قال : لا .

قال (ص) : فكذلك لا يصير هذا حجة لمحمد لو فعله على نبوته ، فما هو الا كقولك : لن نؤمن لك حتى تقوم

وتمشي على الأرض كما يمشي الناس أو حتى تأكل الطعام كما يأكل الناس .

وأما قولك يا عبد الله : « أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمنا وتفجر الأنهار خلالها تفجيراً » أو ليس لك ولا أصحابك جنان من نخيل وعنب بالطائف تأكلون وتطعمون منها وتفجرون الأنهار خلالها تفجيراً ، أفصرتهم أنبياء بهذا ؟ قال : لا .

قال (ص) : فما بال اقتراحكم على رسول الله (ص) أشياء لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه ، بل لو تعاطاها لدل تعاطيها على كذبه لأنه يحتج بما لا حجة فيه ويخندع الضعفاء عن عقولهم وأديانهم ، ورسول رب العالمين يحل ويرتفع عن هذا .

ثم قال رسول الله (ص) : يا عبد الله وأما قولك « أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً » فإنك قلت : « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحب مكرهم » فإن في سقوط السماء عليكم هلاككم وموتكم ، فإنما تريد بهذا من رسول الله (ص) أن يهلكك ورسول رب العالمين أرحم من ذلك ، لا يهلكك ولكنه يقيم عليك حجج الله ، وليس حجج الله لنبيه وحده على حسب اقتراح عباده ، لأن العباد جهال بما يجوز من الصلاح وما لا يجوز منه من الفساد ، وقد يختلف اقتراحهم ويتضاد حتى يستحيل وقوعه ، والله عز وجل طبيبك لا يجري تدبيره على ما يلزم به المحال .

ثم قال رسول الله (ص) : وهل رأيت يا عبد الله طبيباً كان دواؤه للمرضى على حسب اقتراحهم ، وإنما يفعل به ما يعلم صلاحه فيه أحبه العليل أو كرهه ؟ فأنتم المرضى والله طبيبك ، فإن أنقذتم لدوائه شفاكم وإن تمردتم عليه أسقمكم .

وبعد فمق رأيت يا عبد الله مدعي حق من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى بينة على دعواه على حسب اقتراح المدعي عليه ؟ إذا ما كان يثبت لأحد على أحد دعوى ولا حق ، ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا بين صادق وكاذب فرق .

ثم قال رسول الله (ص) : يا عبد الله وأما قولك : « أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً يقاتلوننا ونعانيهم » فإن هذا من المحال الذي لا خفاء به ، وإن ربنا عز وجل ليس كالمخلوقين يحى ويذهب ويتحرك ويقابل شيئاً حتى يؤتى به ، فقد سألتهم بهذا المحال ، وإنما هذا الذي دعوت إليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم ولا تغني عنكم شيئاً ولا عن أحد .

يا عبد الله أوليس لك ضياع وجنان بالطائف وعقار بمكة وقوام عليها ؟ قال بلى . قال : أفشاهد جميع أحوالها بنفسك أو بسفراء بينك وبين معامليك ؟ قال : بسفراء .

قال (ص) : أرايت لو قال معاملك وأكرتك وأخدمتك لسفرائك : لا نصدقكم في هذه السفارة إلا أن تأتونا بعبد الله بن أبي امية لنشاهده فنسمع ما يقولون عنه شفاهاً ، كنت تسوغهم هذا أو كان يجوز لهم عندك ذلك ؟ قال : لا .

قال (ص): فما الذي يجب على سفرائك أليس أن يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدفعهم على صدقهم يجب عليهم أن يصدقوهم؟ قال: بلى.

قال (ص): يا عبد الله أرأيت سفيرك لو أنه لما سمع منهم هذا عاد إليك وقال لك: قم معي فإنهم قد اقترحوا عليّ جيئتك معي أليس يكون هذا لك مخالفاً وتقول له: إنما أنت رسول لا مشير ولا أمر؟ قال: بلى.

قال (ص): فكيف صرت تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسوغ لأكرتك ومعاملتك أن يقتوحوه على رسولك إليهم؟! وكيف أردت من رسول رب العالمين أن يستندم إلى ربّه بأن يأمر عليه وينهى وأنت لا تسوغ مثل هذا على رسولك إلى أكرتك وقوامك؟! هذه حجة قاطعة لإبطال جميع ما ذكرته في كل ما اقترحت يا عبد الله. وأما قولك يا عبد الله: ﴿أو يكون لك بيت من زخرف - وهو الذهب﴾ أما بلغك أن لعظيم مصر بيتاً من زخرف؟ قال: بلى.

قال (ص): أفصار بذلك نبياً؟ قال: لا.

قال (ص): فكذلك لا يوجب لمحمد (ص) نبوة لو كان له بيوت، ومحمد لا يغنم جهلك بحجج الله.

وأما قولك يا عبد الله: ﴿أو ترقى في السماء﴾، ثم قلت: ﴿ولن نؤمن لرفيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾ يا عبد الله الصعود إلى السماء أصعب من النزول عنها، وإذا اعترفت على نفسك أنك لا تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم النزول، ثم قلت: ﴿حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه من بعد ذلك، ثم لا أدري أو من بك أولاً أو من بك﴾ فأنت يا عبد الله مقر بأنك تعاند حجة الله عليك، فلا دواء لك إلا تأديبه لك على يد أوليائه من البشر أو ملائكته الزبانية، وقد أنزل عليّ حكمة بالغة جامعة لبطلان كل ما اقترحت فقال عز وجل:

﴿قل﴾ يا محمد: ﴿سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾^١ ما أبعد ربي عن أن يفعل الأشياء على ما يقترحه الجهال مما يجوز ومما لا يجوز، وهل كنت إلا بشراً رسولاً لا يلزمني إلا إقامة حجة الله التي أعطاني، وليس لي أن أمر على ربي ولا أنهي ولا أشير فأكون كالرسول الذي بعثه ملك إلى قوم من مخالفيه فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم ما اقترحوه عليه.

فقال أبو جهل: يا محمد ها هنا واحدة ألتست زعمت: أن قوم موسى احترقوا بالصاعقة لما سألوه أن يريهم الله جهرة؟ قال (ص): بلى.

قال: فلو كنت نبياً لا احترقنا نحن أيضاً، فقد سألنا أشد مما سأل قوم موسى، لأنهم كما زعمت قالوا: ﴿أرنا الله جهرة﴾ ونحن نقول: ﴿لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلاً﴾ نعينهم.

فقال رسول الله (ص): يا أبا جهل أما علمت قصة إبراهيم الخليل لما رفع في الملكوت، وذلك قول ربي: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكونن من المؤمنين﴾^٢ قوى الله بصره لما

رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فهم بالدعاء عليهما فأوحى الله إليهم: يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فإنني أنا الغفور الرحيم، الجبار الحليم، لا يضرني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم، ولست أسوسهم بشقاء الغيظ كسياستك، فاكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فإنما أنت عبد نذير لا شريك في الملك ولا مهيمن علي ولا عبادي وعبادي معي بين خلال ثلاث: إما تابوا إلي فثبت عليهم وغفرت ذنوبهم وستر عيوبهم، وإما كففت عنهم عذابي لعلمي بأنه سيخرج من أصلابهم ذريات مؤمنون فأرق بالآباء الكافرين وأتاني بالأمهات الكافرات وأرفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم فإذا تزايدوا حل بهم عذابي وحق بهم بلائي، وإن لم يكن هذا ولا هذا فإن الذي أعدته لهم من عذابي أعظم مما تريده بهم، فإن عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي.

يا إبراهيم خل بيني وبين عبادي فأنا أرحم بهم منك وخل بيني وبين عبادي فإنني أنا الجبار الحليم العلام الحكيم أديرهم بعلمي وانفذ فيهم قضائي وقدري.

ثم قال رسول الله (ص): يا أبا جهل إنما دفع عنك العذاب لعلمه بأنه سيخرج من صلبك ذرية طيبة عكرمة ابنك، وسيلي من أمور المسلمين ما إن أطاع الله ورسوله فيه كان عند الله جليلاً والا فالعذاب نازل عليك، وكذلك سائر قريش السائلين لما سألوا من هذا إنما امهلوا لأن الله علم أن بعضهم سيؤ من بمحمد ويتال به السعادة، فهو لا يقطعه عن تلك السعادة ولا يخل بها عليه، أو من يولد منه مؤ من فهو ينظر أباه لإيصال ابنه إلى السعادة، ولولا ذلك لتزل العذاب بكافتكم. فانظر إلى السماء، فنظر فإذا أبوابها مفتحة وإذا النيران نازلة منها مسامحة لرؤوس القوم^(١) تدنو منهم حتى وجدوا حرها بين أكتافهم، فارتعدت فرائص أبي جهل والجماعة، فقال رسول الله (ص): ﴿لا تروعنكم فإن الله لا يهلككم بها وإنما أظهرها عبرة﴾.

ثم نظروا إلى السماء وإذا قد خرج من ظهور الجماعة أنوار قابلتها ورفعتها ودفعتها حتى أعادتها في السماء كما جاءت منها، فقال رسول الله (ص): إن بعض هذه الأنوار أنوار من قد علم الله أنه سيسعده بالإيمان بي منكم من بعد، وبعضها أنوار ذرية طيبة ستخرج من بعضكم ممن لا يؤمن وهم يؤمنون.

وعن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: قيل لأمر المؤمنين يا أمير المؤمنين هل كان لمحمد (ص) آية مثل آية موسى في رفعه الجبل فوق رؤوس الممتنعين عن قبول ما أمروا به؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إي والذي بعثه بالحق نبياً ما من آية كانت لأحد من الأنبياء من لدن آدم إلى أن انتهى إلى محمد صلى الله عليه وآله إلا وقد كان لمحمد مثلها أو أفضل منها، ولقد كان لرسول الله (ص) نظير هذه الآية إلى آيات آخر ظهرت له، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أظهر بمكة دعوته وأبان عن الله تعالى مراده، رمت العرب عن قسي عداوتها بضروب مكائدهم ولقد قصدته يوماً لأنني كنت أول الناس

(١) مسامحة لرؤوس القوم: محاذية لرؤوسهم.

(٢) الفرائص جمع الفريضة، وهي لحمة بين الثدي والكف ترعد عن الفزع.

إسلاماً، بعث يوم الإثنين وصليت معه يوم الثلاثاء، وبقيت معه أصلي سبع سنين حتى دخل نفر في الاسلام وأيد الله تعالى دينه من بعده فجاء قوم من المشركين فقالوا له:

يا محمد تزعم أنك رسول رب العالمين، ثم إنك لا ترضى بذلك حتى تزعم أنك سيدهم وأفضلهم فلئن كنت نبياً فائتنا بآية كما تذكره من الأنبياء قبلك: مثل نوح الذي جاء بالغرق ونجا في سفينته مع المؤمنين، وإبراهيم الذي ذكرت أن النار جعلت عليه برداً وسلاماً، وموسى الذي زعمت أن الجبل رفع فوق رؤوس أصحابه حتى انقادوا لما دعاهم إليه صاغرين داخرين، وعيسى الذي كان ينبتهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وصار هؤلاء المشركون فرقاً أربعة: هذه تقول أظهر لنا آية نوح، وهذه تقول أظهر لنا آية موسى، وهذه تقول أظهر لنا آية إبراهيم، وهذه تقول أظهر لنا آية عيسى.

فقال رسول الله (ص): إنما أنا نذير مبين أنيتكم بآية مبينة هذا القرآن الذي تعجزون أنتم والأمم وسائر العرب عن معارضته وهو بلغنكم، فهو حجة بينة عليكم، وما بعد ذلك فليس لي الإقتراح على ربي وما على الرسول إلا البلاغ المبين إلى المقرين بحجة صدقه وآية حقه، وليس عليه أن يقترح بعد قيام الحجة على ربه ما يقترحه عليه المقترحون الذين لا يعلمون هل الإصلاح أو الفساد فيما يقترحون.

فجاء جبرئيل فقال: يا محمد إن العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني سأظهر لهم هذه الآيات وإنهم يكفرون بها إلا من أعصمه منهم ولكي أريهم ذلك زيادة في الإعذار والإيضاح لحججك، فقل هؤلاء المقترحين لآية نوح عليه السلام: امضوا إلى جبل أبي قبيس، فإذا بلغتم سفحه فسترون آية نوح، فإذا غشيكم الهلاك فاعتصموا بهذا وبطفليين يكونان بين يديهما. وقل للفريق الثاني المقترحين لآية إبراهيم عليه السلام امضوا إلى حيث تريدون من ظاهر مكة، فسترون آية إبراهيم في النار، فإذا غشيكم النار فسترون في الهواء امرأة قد أرسلت طرف خمارها فتعلقوا به لتنجيكم من الهلكة وترد عنكم النار. وقل للفريق الثالث [المقترحين لآية موسى]: امضوا إلى ظل الكعبة فسترون آية موسى، وسينجيكم هناك عمي حمزة. وقل للفريق الرابع ورئيسهم أبو جهل: وأنت يا أبا جهل فائتني عندني ليتصل بك أخبار هؤلاء الفرق الثلاث، فإن الآية التي اقترحتها تكون بحضرتي.

فقال أبو جهل للفرق الثلاث: قوموا فافتروا ليتبين لكم باطل قول محمد صلى الله عليه وآله، فذهب الفريق الأول إلى جبل أبي قبيس، والثاني إلى صحراء ملساء، والثالث إلى ظل الكعبة، ورأوا ما وعدهم الله ورجعوا إلى النبي (ص) مؤمنين وكلما رجع فريق منهم إليه وأخبروه بما شاهدوا ألزمه رسول الله (ص) الإيمان بالله فاستمهل أبو جهل إلى أن يجيء الفريق الآخر حسب ما أوردناه في الكتاب الموسوم بمفاخر الفاطمية تركنا ذكره ها هنا طلباً للإيجاز والإختصار.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فلما جاءت الفرقة الثالثة وأخبروا بما شاهدوا عياناً وهم مؤمنون بالله وبرسوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله - لأبي جهل -: هذه الفرقة الثالثة قد جاءتك وأخبرتتك بما شاهدت.. فقال أبو جهل: لا أدري أصدق هؤلاء أم كذبوا، أم حقيق لهم ذلك أم خيل إليهم فإن رأيت أنا ما اقترحته عليك من نحو آيات عيسى بن مريم فقد لزماني الإيمان بك وإلا فليس يلزماني تصديق هؤلاء على كثرتهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا جهل فإن كان لا يلزمك تصديق هؤلاء على كثرتهم وشدة تحصيلهم فكيف تصدق بآثار آبائك وأجدادك ومساوي أسلاف أعدائك وكيف تصدق على الصين والعراق والشام إذا حدثت عنها، وهل المخبرون عن ذلك إلا دون هؤلاء المخبرين لك عن هذه الآيات مع سائر من شاهدا معهم من الجمع الكثيف الذين لا يجتمعون على باطل يتخرونه إلا إذا كان بإزائهم من يكذبهم ويخبر بضد إخبارهم، ألا وكل فرقة محجوجون بما شاهدوا، وأنت يا أبا جهل محجوج بما سمعت ممن شاهده.

ثم أخبره النبي (ص) بما اقترح عليه من آيات عيسى من أكله لما أكل وادخاره في بيته لما أذخر من دجاجة مشوية وإحياء الله تعالى إياها وإنطاقها بما فعل بها أبو جهل وغير ذلك على ما جاء به في هذا الخبر، فلم يصدقه أبو جهل في ذلك كله بل كان يكذبه وينكر جميع ما كان النبي (ص) يخبره به من ذلك إلى أن قال النبي لأبي جهل: أما كفاك ما شاهدت أم تكون آمناً من عذاب الله قال أبو جهل: إني لأظن أن هذا تخيل وإيهام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فهل تفرق بين مشاهدتك لها وسماعتك لكلامها - يعني: الدجاجة المشوية التي أنطقها الله له - وبين مشاهدتك لنفسك ولسائر قريش والعرب وسماعتك كلامهم؟ قال أبو جهل: لا.

فقال رسول الله (ص): فما يدريك إذا أن جميع ما تشاهد وتحس بحواسك تخيل. قال أبو جهل: ما هو تخيل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ولا هذا تخيل، وألا فكيف تصح أنك ترى في العالم شيئاً أوثق منه؟.. تمام الخبر.

رسالة لأبي جهل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر إلى المدينة والجواب عنها بالرواية عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام.

وهي أن قال: يا محمد إن الخيوط التي في رأسك هي التي ضيقت عليك مكة ورمت بك إلى يثرب، وإنها لا تزال بك تنفرك وتحنك على ما يفسدك ويتلفك إلى أن تفسدها على أهلها وتصليهم حر نار جهنم وتعديك طورك، وما أرى ذلك إلا أوسيو ول إلى أن تنور عليك قريش ثورة رجل واحد لقصد أثارك ودفع ضرك وبلاتك، فتلقاهم بسفهائك المغترين بك ويساعدك على ذلك من هو كافر بك مبغض لك، فيلجئه إلى مساعدتك ومظافرتك خوفاً لأن لا يهلك بهلاكك ويعطب عياله بعطبك، ويفتقر هو ومن يليه بفقرك وبفقر شيعتك، إذ يعتقدون أن أعداءك إذا قهروك ودخلوا ديارهم عنوة لم يفرقوا بين من والاك وعاداك، واصطلموهم باصطلامهم لك وأتوا على عيالاتهم وأموالهم بالسبي والنهب، كما يأتون على أموالك وعيالك، وقد أعذر من أنذر وبالغ من أوضح.

واديته هذه الرسالة إلى محمد وهو بظاهر المدينة بحضرة كافة اصـ: إبه وعامة الكفار من يهود بني إسرائيل،

وهكذا، أمر الرسول: ليجب المؤمنين ويغري بالوثوب عليه سائر من هناك من الكافرين.

فقال رسول الله (ص): للرسول: قد أطريت مقاتلك واستكملت رسالتك؟ قال: بلى.

قال (ص): فاسمع الجواب، إن أبا جهل بالمكانة والعطب يتهددني، ورب العالمين بالنصر والظفر يعدني، وخبر الله أصدق، والقبول من الله أحق، لن يضر محمدًا من خذله أو يفضب عليه، بعد أن ينصره الله ويتفضل بجوده وكرمه عليه، قل له: يا أبا جهل إنك واصلتني بما ألقاه في خلدك الشيطان، وأنا أجيبك بما ألقاه في خاطري الرحمن، إن الحرب بيننا وبينك كائنة إلى تسع وعشرين يوماً، وإن الله سيقتلك فيها بأضعف أصحابي، وستلقى أنت وشيبة وعتبة والوليد وفلان وفلان - وذكر عدداً من قريش - في قليب بدر مقتولين أقتل منكم سبعين وأسر منكم سبعين، وأحلبهم على الفداء الثقيل.

ثم نادى جماعة من بحضرته من المؤمنين واليهود وسائر الأخطا: ألا تحبون أن أريكم مصرع كل واحد منهم هلموا إلى بدر! فإن هناك الملتقى والمحشر، وهناك البلاء الأكبر، لأضع قدمي على مواضع مصارعهم، ثم ستجدونها لا تزيد ولا تنقص ولا تتغير ولا تتقدم ولا تتأخر لحظة ولا قليلاً ولا كثيراً. فلم يخف ذلك على أحد منهم ولم يجبه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وحده، قال: نعم بسم الله. فهل الباقيون: نحن نحتاج إلى مركوب وآلات ونفقات، ولا يمكننا الخروج إلى هناك وهو مسيرة أيام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لسائر اليهود: فأنتم ماذا تقولون؟

فقالوا: نحن نريد أن نستقر في بيوتنا ولا حاجة لنا في مشاهدة ما أنت في ادعائه محيل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأنصب لكم في المسير إلى هناك أخطوا خطوة واحدة! فإن الله يطوي الأرض لكم ويوصلكم في الخطوة الثانية إلى هناك.

قال المسلمون: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله فلنشرف بهذه الآية وقال الكافرون والمنافقون: سوف نمتحن هذا الكذاب لينقطع عذر محمد ويصير دعواه حجة عليه وفاضحة له في كذبه.

قال: فخطا القوم خطوة ثم الثانية فإذا هم عند بئر بدر، فتعجبوا فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اجعلوا البئر العلامة واذرعوا من عندها كذا ذراع، فذرعوها فلما انتهوا إلى آخرها قال: هذا مصرع أبي جهل يجرحه فلان الأنصاري، ويجهز عليه عبد الله بن مسعود أضعف أصحابي.

ثم قال: اذرعوها من البئر من جانب آخر ثم من جانب آخر ثم من جانب آخر كذا وكذا ذراعاً وذراعاً، وذكر أعداد الأذرع مختلفة، فلما انتهى كل عدد إلى آخره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا مصرع عتبة، وهذا مصرع شيبة، وذاك مصرع الوليد، وسيقتل فلان وفلان إلى أن سُمي سبعين منهم بأسمائهم، وسيؤسر فلان وفلان إلى أن ذكر سبعين منهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وصفاتهم، ونسب المنسوبين إلى أمهاتهم وأبائهم، ونسب الموالى منهم إلى مواليتهم.

ثم قال صلى الله عليه وآله: أوقفتم على ما أخبرتكم به؟ قالوا: بلى.

قال (ص): إِنَّ ذَلِكَ لَحَقَّ كَائِنٍ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا فِي الْيَوْمِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ وَعَدًّا مِنْ اللَّهِ مَفْعُولًا وَقَضَاءً حَتْمًا لَازِمًا... تمام الخبر.

ثم قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ اكْتُبُوا بِمَا سَمِعْتُمْ. فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَا وَوَعَيْنَا وَلَا نَنْسَى.

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: الْكِتَابَةُ أَذْكَرُ لَكُمْ. فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الدَّوَاةُ وَالْكَتْفُ؟ فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: ذَلِكَ لِلْمَلَائِكَةِ. ثم قال (ص): يَا مَلَائِكَةَ رَبِّي اكْتُبُوا مَا سَمِعْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي الْكِتَابِ وَاجْعَلُوا فِي كَمِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كِتْفًا مِنْ ذَلِكَ.

ثم قال: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ تَأْمَلُوا أَكْمَامَكُمْ وَمَا فِيهَا وَأَخْرِجُوهَا وَاقْرَؤُوهَا، فَتَأْمَلُوهَا، وَإِذَا فِي كَمِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَحِيفَةٌ، قَرَّوْهَا وَإِذَا فِيهَا ذَكَرَ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وآله فِي ذَلِكَ سِوَاءَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ وَلَا يَتَأَخَّرُ.

فقال (ص): أَغْيِضُوهَا فِي أَكْمَامِكُمْ تَكُنْ حِجَّةً عَلَيْكُمْ وَشِرْفًا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَحِجَّةً عَلَى أَعْدَائِكُمْ فَكَانَتْ مَعَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ جَرَّتِ الْأُمُورُ كُلُّهَا بَيِّنًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، قَابَلُوهَا فِي كَتَبِهِمْ فَوَجَدُوهَا كَمَا كَتَبَهَا الْمَلَائِكَةُ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ وَلَا تَتَأَخَّرُ، فَقَبِلَ الْمُسْلِمُونَ ظَاهِرَهُمْ وَوَكَّلُوا بِاطْنِهِمْ إِلَى خَالِقِهِمْ.

مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

«احتجاجه صَلَّى الله عليه وآله وسلم على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك»

قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: لَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِمَكَّةَ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَتَوَجَّهَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي صَلَاتِهِ، وَيَجْعَلَ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِذَا أَمَكَنَ وَإِذَا لَمْ يَمَكُنْ اسْتَقْبَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ كَيْفَ كَانَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وآله يَفْعَلُ ذَلِكَ طَوْلَ مَقَامِهِ بِهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمَّا كَانَ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَ مُتَعَبِدًا بِاسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ اسْتَقْبَلَهُ وَانْحَرَفَ عَنِ الْكَعْبَةِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَجَعَلَ قَوْمٌ مِنْ مُرَدَّةِ الْيَهُودِ يَقُولُونَ:

وَاللَّهُ مَا دَرَى مُحَمَّدٌ كَيْفَ يَصَلِّي حَتَّى صَارَ يَتَوَجَّهُ إِلَى قِبَلَتِنَا وَيَأْخُذُ فِي صَلَاتِهِ بِهَدْيِنَا وَنَسْكِنَا. فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ عَنْهُمْ وَكَرِهَ قِبَلَتَهُمْ وَأَحْبَبَ الْكَعْبَةَ، فَجَاءَهُ جِبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص): يَا جِبْرِئِيلُ! لَوَدِدْتُ لَوْ صَرَفَنِي اللَّهُ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَدْ تَأْذَيْتَ بِمَا يَتَّصِلُ بِِي مِنْ قَبْلِ الْيَهُودِ مِنْ قِبَلَتِهِمْ. فقال جِبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَاسْأَلْ رَبَّكَ أَنْ يَحُولَكَ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّكَ عَنْ طَلِبَتِكَ وَلَا يَخْشِيكَ مِنْ بَغْيَتِكَ، فَلَمَّا اسْتَمَّ دُعَاءَهُ، صَعِدَ جِبْرِئِيلُ ثُمَّ عَادَ مِنْ سَاعَتِهِ فَقَالَ: اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^١ الْآيَات.

فقال اليهود عند ذلك: ﴿وما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾؟ فأجابهم الله أحسن جواب فقال: ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ وهو يملكهما وتكليفه التحويل إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾^١ وهو أعلم بمصلحتهم وتؤديهم طاعتهم إلى جنات النعيم.

قال أبو محمد عليه السلام: وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله (ص) فقالوا: يا محمد هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها أربعة عشر سنة ثم تركتها الآن، أفحقاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل فإن ما يخالف الحق باطل؟! أو باطلاً كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدة فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟

فقال رسول الله (ص): بل ذلك كان حقاً وهذا حق، يقول الله: ﴿قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ إذا عرف صلاحكم أيها العباد في استقبالكم المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله في عباده وقصده إلى مصالحكم.

ثم قال رسول الله (ص): لقد تركتم العمل يوم السبت ثم عملتم بعده سائر الأيام، ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده، أفتركتم الحق إلى الباطل، أو الباطل إلى الحق، أو الباطل إلى الباطل، أو الحق إلى الحق؟ قولوا كيف شئتم فهو قول محمد وجوابه لكم. قالوا: بل ترك العمل في السبت حق، والعمل بعده حق.

فقال رسول الله (ص): فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق، ثم قبلة الكعبة في وقته حق. فقالوا له: يا محمد أقبداً الربك فيما كان أمرك به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس حتى نقلك إلى الكعبة؟ فقال رسول الله (ص) ما بداله عن ذلك فإنه العالم بالعواقب والقادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطاً ولا يستحدث رأياً بخلاف المتقدم جل عن ذلك، ولا يقع عليه أيضاً مانع يمنعه من مراده، وليس يبدو إلا لمن كان هذا وصفه، وهو عز وجل يتعالى عن هذه الصفات علواً كبيراً.

ثم قال لهم رسول الله (ص): أيها اليهود أخبروني عن الله أليس يُمرض ثم يُصَح، ويصح ثم يمرض، أبداله في ذلك؟ أليس يحيي ويميت، أبداله في كل واحد من ذلك؟ قالوا: لا.

قال (ص): فكذلك الله تعبد نبيه محمداً بالصلاة إلى الكعبة بعد أن كان تعبد بالصلاة إلى بيت المقدس وما بداله في الأول.

ثم قال (ص): أليس الله يأتي بالشتاء في إثر الصيف، والصيف في أثر الشتاء، أبداله في كل واحد من ذلك؟ قالوا: لا.

قال (ص): فكذلك لم يبد له في القبلة.

قال: ثم قال (ص): أليس قد ألزمتكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة؟ وألزمتكم في الصيف أن تحترزوا من الحر؟ أقبداً له في الصيف حين أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء؟ قالوا: لا.

فقال رسول الله (ص) : فكذلكم الله تعبدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء ثم تعبدكم في وقت آخر بصلاح يعلمه بشيء آخر ، فإذا أطمعتم الله في الحالتين استحققتن ثوابه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾^١ يعني : إذا توجهتم بأمره فثم الوجه الذي تقصدون منه الله وتاملون ثوابه .

ثم قال رسول الله (ص) : يا عباد الله أنتم كالمرضى والله رب العالمين كالطبيب فصلاح المرضى فيما يعمله الطبيب ويدبره به لا فيما يشتهي المريض ويقترحه . الا فسلموا لله أمره تكونوا من الفائزين .

فقبل : يا ابن رسول الله فلم أمر بالقبلة الأولى؟

فقال : لما قال الله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ﴾ وهي : بيت المقدس ﴿ إلا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه ﴾^٢ إلا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد ، وذلك أن هوى أهل مكة كان في الكعبة ، فأراد الله أن يبين متبعي محمد من خالفه باتباع القبلة التي كرهها ومحمد يأمر بها ، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة ليبين من يوافق محمد أفعالاً يكرهه ، فهو مصدقه وموافقه .

ثم قال : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾^٣ إن كان التوجه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت لكبيرة إلا على من يهدي الله ، فعرف أن الله أن يتعبد بخلاف ما يريد المرء ليتلي طاعته في مخالفة هواه .

وقال أبو محمد عليه السلام : قال جابر بن عبد الله الأنصاري : سألت رسول الله (ص) عبد الله بن صوريا غلام يهودي أعور ، تزعم اليهود أنه أعلم يهودي بكتاب الله وعلوم أنبيائه . عن مسائل كثيرة يعنته فيها^٤ فأجابه عنها رسول الله (ص) بما لم يجد إلى إنكار شيء منه سبيلاً .

فقال له : يا محمد من يأتيك بهذه الأخبار عن الله ؟ قال (ص) : جبرئيل . قال : لو كان غيره يأتيك بها لأمنت بك ، ولكن جبرئيل عدونا من بين الملائكة ، فلو كان ميكائيل أو غيره سوى جبرئيل يأتيك لأمنت بك .

فقال رسول الله (ص) : لم اتخذتم جبرئيل عدواً ؟ قال : لأنه ينزل بالبلاء والشدة على بني إسرائيل ، ودفع «دانيال» عن قتل (بخت نصر) حتى قوي أمره وأهلك بني إسرائيل ، وكذلك كل بأس وشدة لا ينزلها إلا جبرئيل ، وميكائيل يأتينا بالرحمة .

فقال رسول الله (ص) : ويحك أجهلت أمر الله وما ذنب جبرئيل إلا أن أطاع الله فيما يريد بكم ؟ أرايتم ملك الموت هل هو عدوكم وقد وكله الله بقبض أرواح الخلق ؟ أرايتم الأباء والأمهات إذا أوجروا الأولاد^٥ الدواء الكريمة لمصالحهم ، أيجب أن يتخذهم أولادهم أعداء من أجل ذلك ؟ لا . ولكنكم بالله جاهلون ، وعن حكمه

(١) البقرة - ١١٥ .

(٢) البقرة - ١٤٣ .

(٣) يعنته فيها : يطلب زلته ويشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه أدائه .

(٤) بخت أصله بوخت وهو بمعنى ابن ، نصر اسم صنم كان قد وجد عنده ولم يعرف له أب فنسب إليه ، وغرب بيت المقدس وقتل من اليهود مقتلة عظيمة عندما أصبح ملكاً .

(٥) أوجره : جعل الوجور في فيه ، والوجور : الدواء يجعل في وسط الفم .

غافلون . أشهد أن جبرئيل وميكائيل بأمر الله عاملان وله مطيعان ، وأنه لا يعادي أحدهما إلا من عادي الآخر ، وأن من زعم أنه يحب أحدهما ويبغض الآخر فقد كفر وكذب ، وكذلك محمد رسول الله وعلي أخوان ، كما أن جبرئيل وميكائيل أخوان فمن أحبهما فهو من أولياء الله ، ومن أبغضهما فهو من أعداء الله ، ومن أبغض أحدهما وزعم أنه يحب الآخر فقد كذب وهما منه بريئان والله تعالى وملائكته وخيار خلقه منه براء .

وقال أبو محمد عليه السلام : كان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قل من كان عدواً لجبرئيل ﴾^(١) الآيتين : ما كان من اليهود أعداء الله من قول سئ في جبرئيل وميكائيل وما كان من أعداء الله النصاب من قول أسوأ منه في الله وفي جبرئيل وميكائيل وسائر ملائكة الله ، أما ما كان من النصاب : فهو أن رسول الله (ص) لما كان لا يزال يقول في علي عليه السلام الفضائل التي خصه الله عز وجل بها والشرف الذي نحلّه الله^(٢) تعالى ، وكان في كل ذلك يقول : أخبرني به جبرئيل عليه السلام عن الله ، ويقول في بعض ذلك جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، ويفتخر جبرئيل على ميكائيل في أنه عن يمين علي عليه السلام الذي هو أفضل من اليسار ، كما يفخر نديم ملك عظيم في الدنيا يجلسه الملك عن يمينه على النديم الآخر الذي يجلسه على يساره ، ويفتخران على إسرافيل الذي خلفه بالخدمة ، وملك الموت الذي أقامه بالخدمة وأن اليمين واليسار أشرف من ذلك ، كافتخار حاشية الملك على زيادة قرب محلهم من ملكهم .

وكان رسول الله (ص) يقول في بعض أحاديثه : إن الملائكة أشرفها عند الله أشدها لعلي بن أبي طالب عليه السلام حباً ، وأنه قسم الملائكة فيما بينها والذي شرف علياً على جميع الوري بعد محمد المصطفى . ويقول مرة : إن ملائكة السماوات والحجب ليستاقون إلى رؤية علي بن أبي طالب عليه السلام كما تستاق الوالدة الشفيقة إلى ولدها البار الشفيق آخر من بقي عليها بعد عشرة دفتهم ، فكان هؤلاء النصاب يقولون : إلى متى يقول محمد : جبرئيل ، وميكائيل ، والملائكة ، كل ذلك تفخيم لعلي وتعظيم لشأنه ، ويقول الله تعالى لعلي خاص من دون سائر الخلق ، برئنا من رب ومن ملائكة ومن جبرائيل ومن ميكائيل هم لعلي بعد محمد مفضلون وبرئنا من رسل الله الذين هم لعلي بعد محمد مفضلون .

وأما ما قاله اليهود : فهو أن اليهود أعداء الله ، لما قدم رسول الله (ص) المدينة أتوه بعبد الله بن صوريا فقال : يا محمد كيف نومك فإنا قد أخبرنا عن نوم النبي صلى الله عليه وآله الذي يأتي في آخر الزمان ؟ فقال : تنام عيني وقلبي يقظان . قال : صدقت يا محمد .

ثم قال : فأخبرني يا محمد الولد يكون من الرجل أو من المرأة ؟ فقال النبي (ص) : أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل ، وأما اللحم والدم والشعر فمن المرأة . قال : صدقت يا محمد .

ثم قال : يا محمد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء ، ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء ؟ فقال رسول الله (ص) : أيها علامأزه ماء صاحبه كان الشبه له .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عمن لا يولد له ومن يولد له ؟ فقال (ص) : إذا مغرت النطفة لم يولد له . أي : إذا حمرت وكدرت . فإذا كانت صافية ولد له .

(١) البقرة - ٩٧ ٩٨ .

(٢) نحلّه الله : وهب له الله . وفي بعض النسخ « أهله الله » ومعناه : رآه أهلاً لذلك .

فقال: أخبرني عن ربك ما هو؟ فنزلت: ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها.

فقال ابن صوريا: صدقت خصلة بقيت لي إن قلتها آمنت بك واتبعتك، أي ملك يأتيك بما تقوله عن الله؟ قال (ص): جبرئيل. قال ابن صوريا: ذاك عدونا من بين الملائكة ينزل بالقتل والشدة والحرب، ورسولنا ميكائيل يأتي بالسرور والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آتاك، لأن ميكائيل كان مسدد ملكنا وجبرئيل كان مهلك ملكنا، فهو عدونا لذلك.

فقال له سلمان الفارسي رضي الله عنه: وما بدء عداوته لكم؟ قال: نعم يا سلمان، عادانا مراراً كثيرة، وكان من أشد ذلك علينا أن الله أنزل على أنبيائه أن بيت المقدس يحرب على يد رجل يقال: «بخت نصر» وفي زمانه، وأخبرنا بالحين الذي يحرب فيه، والله يحدث الأمر بعد الأمر فيمحو ما يشاء ويثبت، فلما بلغنا ذلك الخبر الذي يكون فيه هلاك بيت المقدس بعث أوائلنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل وأفاضلهم نبياً كان يعد من أنبيائهم يقال له «دانيال» في طلب بخت نصر ليقته، فحمل معه وقرمال لينفقه في ذلك، فلما انطلق في طلبه لقيه ببابل غلاماً ضعيفاً مسكيناً ليس له قوة ولا منعة، فأخذه صاحبنا ليقته فدفع عنه جبرئيل وقال لصاحبنا: إن كان ربكم هو الذي أمر بهلاككم فإن الله لا يسلطك عليه، وإن لم يكن هذا فعل أي شيء تقتله؟ فصدقه صاحبنا وتركه ورجع إلينا فأخبرنا بذلك. وقوي بخت نصر وملك، وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذة عدواً، وميكائيل عدو لجبرئيل.

فقال سلمان: يا ابن صوريا، قيم ذا العقل المسلوب به غير سبيله ضللت. أرايتم أوائلكم كيف بعثوا من يقتل بخت نصر وقد أخبر الله تعالى في كتبه على السنة رسلة أنه يملك ويحرب بيت المقدس؟ أرادوا تكذيب أنبياء الله في إخبارهم أو اتهموهم في إخبارهم أو صدقوهم في الخبر عن الله ومع ذلك أرادوا مغالبة الله، هل كان هؤلاء ومن وجهوه إلا كفاراً بالله؟ وأي عداوة يجوز أن يعتقد لجبرئيل وهو يصدده عن مغالبة الله عز وجل وينهى عن تكذيب خبر الله تعالى؟

فقال ابن صوريا: قد كان الله تعالى أخبر بذلك على ألسن أنبيائه، ولكنه يحوم ما يشاء ويثبت. قال سلمان: فإذا لا تثقون بشيء مما في التوراة من الأخبار عما مضى وما يستأنف فإن الله يحوم ما يشاء ويثبت، وإذا لعل الله قد كان عزل موسى وهارون عن النبوة وأبطل في دعواهما لأن الله يحوم ما يشاء ويثبت، ولعل كلما أخبركم به عن الله أنه يكون لا يكون وما أخبركم به أنه لا يكون لعله يكون، وكذلك ما أخبركم أنه لم يكن لعله كان، ولعل ما وعده من الثواب يحوه ولعل ما وعده من العقاب يحوه، فإنه يحوم ما يشاء ويثبت. إنكم جهلتم معنى ﴿يحوم الله ما يشاء ويثبت﴾ فلذلك أنتم بالله كافرون، ولأخباره عن الغيوب مكذبون وعن دين الله منسلخون.

ثم قال سلمان: فإني أشهد أنه من كان عدواً لجبرئيل فإنه عدو لميكائيل وأنها جميعاً عدوان لمن عاداهما مسلمان لمن سالمهما، فأنزل الله تعالى عند ذلك موافقاً لقول سلمان: ﴿قل من كان عدواً لجبرئيل﴾ في مظاهرتة

لأولياء الله على أعداء الله ونزوله بفضائل علي عليه السلام ولي الله من عند الله ﴿فإنه نزل﴾ فإن جبرئيل نزل هذا القرآن ﴿على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه﴾ من سائر كتب الله ﴿وهدي﴾ من الضلالة ﴿وبشري للمؤمنين﴾ بنبوته محمد وولاية علي عليه السلام ومن بعده من الأئمة [الاثني عشر] بأنهم أولياء الله حقاً إذا ماتوا على مواليتهم لمحمد وعلي وآلها الطيبين .

ثم قال رسول الله (ص) : يا سلمان ، إن الله صدق قولك ووافق رأيك ، وإن جبرئيل عن الله تعالى يقول : يا محمد ، سلمان والمقداد أخوان متصافيان في وداك ووداد علي أخيك ووصيك وصفيك ، وهما في أصحابك كجبرئيل وميكائيل في الملائكة ، عدوان لمن أبغض أحدهما وليان لمن والى محمداً وعلياً عدوان لمن عادى محمداً وعلياً وأولياءهما ، ولو أحب أهل الأرض سلمان والمقداد كما تحبهما ملائكة السماوات والحجب والكرسي والعرش لمحض وداهما لمحمد وعلي ومواليتهما لأوليائهما ومعاداتهما لأعدائهما لما عذب الله أحداً منهم بعذاب البتة .

وقال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام : لما نزلت هذه الآية ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾^٢ في حق اليهود والنواصب فغلظ على اليهود ما وبخهم به رسول الله ، فقال جماعة من رؤسائهم وذوي الألسن والبيان منهم : يا محمد ، إنك تهجوننا وتدعي على قلوبنا ما الله يعلم منها خلافه إن فيها خيراً كثيراً ، نصوم ونتصدق ونواسي الفقراء .

فقال رسول الله (ص) : إنما الخير ما أريد به وجه الله وعمل على ما أمر الله تعالى ، وأما ما أريد به الرياء والسمعة ومعاندة رسول الله وإظهار الغنى له والتمالك والشرف عليه فليس بخير ، بل هو الشر الخالص ووبال على صاحبه ، ويعذبه الله به أشد العذاب .

فقالوا له : يا محمد ، أنت تقول هذا ونحن نقول : بل ما ننفعه إلا لإبطال أمرك ودفع رياستك ولتفريق أصحابك عنك ، وهو الجهاد الأعظم ، نأمل به من الله الثواب الأجل العظيم ، فأقل أحوالنا أنك تساوينافي الدعاوى ، فاي فضل لك علينا؟ .

فقال رسول الله (ص) : يا أخوة اليهود ! إن الدعاوى يتساوى فيها المحقون والمبطلون ، ولكن حجج الله ودلائله تفرق بينهم فتكشف عن غمويه المبطلين وتبين عن حقائق الحقيقين ، ورسول الله محمد لا يغتم بجهلكم ولا يكلفكم التسليم له بغير حجة ، ولكن يقيم عليكم حجة الله التي لا يمكنكم دافعها ولا تطيقون الإمتناع عن موجبها ، ولو ذهب محمد ويريكم آية من عنده لشككتكم وقتلتم إنّه متكلف مصنوع محتال فيه معمول أو متواطأ عليه ، وإذا اقترحتم أنتم فأراكم ما تقترحون لم يكن لكم أن تقولوا معمول أو متواطأ عليه أو متأت بحيلة أو مقدمات ، فما الذي تقترحون؟ فهذا رب العالمين قد وعدني أن يظهر لكم ما تقترحون ليقطع معاذير الكافرين منكم ويزيد في بصائر المؤمنين منكم .

قالوا : قد أنصفتنا يا محمد ، فإن وفيت بما وعدت من نفسك من الإنصاف فأنت أول راجع عن دعواك للنبوّة

وداخل في غمار الأمة ومسلم لحكم التوراة، لعجزك عما نقترحه عليك وظهور باطل دعواك فيما ترومه من حججك.

فقال رسول الله (ص): الصديق ينبي عنكم لا الوعيد، اقترحوا ما تقترحون ليقطع معاذيركم فيما تسألون فقالوا له: يا محمد، زعمت أنه ما في قلوبنا شيء من مواساة الفقراء ومعاونة الضعفاء والنفقة في إبطال الباطل وإحقاق الحق، وإن الأحجار ألين من قلوبنا وأطوع لله منا، وهذه الجبال بحضرتنا، فهل بنا إليها أو إلى بعضها، فاستشهدها على تصديقك وتكذيبنا، فإن نطقت بتصديقك فأنت المحق يلزمنا اتباعك، وإن نطقت بتكذيبك أو صمتت فلم ترد جوابك فاعلم بأنك المبطل في دعواك المهاند لهواك.

فقال رسول الله (ص): نعم هلموا بنا إلى أيما جبل شئتم استشهدوه ليشهد لي عليكم. فخرجوا إلى أوعر جبل رأوه، فقالوا: يا محمد، هذا الجبل فاستشهده.

فقال رسول الله (ص) للجبل: إني أسألك بجاء محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم خفف الله العرش على كواهل ثمانية من الملائكة بعد أن لم يقدروا على تحريكه وهم خلق كثير لا يعرف عددهم غير الله عز وجل وبحق محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم تاب الله على آدم وغفر خطيئته وأعادته إلى مرتبته، وبحق محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم وسؤال الله بهم رفع إدريس في الجنة مكاناً علياً، لما شهدت لمحمد بما أودعك الله بتصديقه على هؤلاء اليهود في ذكر قساوة قلوبهم وتكذيبهم في جحدهم لقول محمد رسول الله (ص). فتحرك الجبل وتزلزل وفاض عنه الماء ونادى: يا محمد، أشهد أنك رسول رب العالمين وسيد الخلق أجمعين، وأشهد أن قلوب هؤلاء اليهود كما وصفت أقسى من الحجارة، لا يخرج منها خير كما قد يخرج من الحجارة الماء سيلاً أو تفجراً وأشهد أن هؤلاء كاذبون عليك فيما به يقرفونك من الفرية على رب العالمين.

ثم قال رسول الله (ص): وأسألك أيها الجبل، أmerk الله بطاعتي فيما التمسه منك بجاء محمد وآله الطيبين الذين بهم نجى الله نوحاً من الكرب العظيم ويرد الله النار على إبراهيم وجعلها عليه برداً وسلاماً ومكنه في جوف النار على سرير وفراش وثير لم ير تلك الطاغية مثله لأحد من ملوك الأرض أجمعين، وأنبت حوالبه من الأشجار الخضرة النظرة النزهة وعما حوله من أنواع النور مما لا يوجد إلا في فصول أربعة من جميع السنة. قال الجبل: بلى أشهد لك يا محمد بذلك، وأشهد أنك لو اقترحت على ربك أن يجعل رجال الدنيا قروداً وخنازير لفعل، أو يجعلهم ملائكة لفعل، أو يقلب النيران جليداً أو الجليد نيراناً لفعل، أو يهبط السماء إلى الأرض أو يدفع الأرض إلى السماء لفعل، أو يصير أطراف المشارق والمغارب والوهاد كلها صرة كصرة الكيس لفعل، وأنه قد جعل الأرض والسماء طوعك، والجبال والبحار تتصرف بأمرك، وسائر ما خلق من الرياح والصواعق وجوارح الإنسان وأعضاء الحيوان لك مطيعة، وما أمرتها به من شيء انتمرت.

فقالت اليهود: يا محمد. علينا تلبس وتشبه؟! قد أجلسرت مرده من أصحابك خلف صخور من هذا الجبل، فهم ينطقون بهذا الكلام ونحن لا ندري أنسمع من الرجال أم من الجبل، لا يغتر بمثل هذا إلا ضعفاؤك الذين تبجج في عقولهم^(١)، فإن كنت صادقاً ففتح عن موضعك هذا إلى ذلك القرار واثمر هذا الجبل

(١) تبجج في عقولهم: تلعب فيها، يقال: بجج الصبي إذا لاعبه وسكته عن المناغاة.

أن ينقلع من أصله فيسير إليك إلى هناك ، فإذا حضرك ونحن نشاهده فائمه أن ينقطع نصفين من ارتفاع سمكه ثم ترتفع السفلى من قطعته فوق العليا وتنخفض العليا تحت السفلى ، فإذا تجعل أصل الجبل قلته وقلته أصله لنعلم أنه من الله ، لا يتفق مثله بمواطأة ولا بمعاونة مؤهين متمردين .

فقال رسول الله (ص) - وأشار إلى حجر فيه قدر خمسة أرتال : يا أيها الحجر تدحرج ! فتدحرج . ثم قال لمخاطبه : خذه وقربه من أذنك فسيعيد عليك ما سمعت ، فإن هذا جزء من ذلك الجبل ، فأخذه الرجل ، فأدناه إلى أذنه فطلق الحجر بمثل ما نطق به الجبل أولاً من تصديق رسول الله (ص) فيها ذكره عن قلوب اليهود ومما غبر به^١ من أن نفقاتهم في دفع أمر محمد (ص) باطل ووبال عليهم .

فقال له رسول الله (ص) : اسمعت هذا؟ أخلف هذا الحجر أحد يكلمك ويوهمك أن الحجر يكلمك؟

قال : فائتني بما اقترحت في الجبل . فتباعد رسول الله (ص) إلى فضاء واسع ، ثم نادى الجبل وقال : يا أيها الجبل ، بحق محمد وآله الطيبين ، بجاههم ومسانلة عباد الله بهم ، أرسل الله على قوم عاد ريحاً صرصراً عاتية لترع الناس كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وأمر جبرئيل أن يصيح صيحة هائلة في قوم صالح حتى صاروا كهشيم المحتضر ، لما انفصلت من مكانك بإذن الله وجئت إلى حضرتي هذه ووضع يده على الأرض بين يديه . فتزلزل الجبل وصار كالقارع الهملاج^٢ حتى دنا من أصبعه أصله فلزق بها ، ووقف ونادى : ها أنا سامع لك مطيع يا رسول رب العالمين وإن رغمت أنوف هؤلاء المعاندين مرني بأمرك .

فقال رسول الله (ص) : إن هؤلاء اقترحوا علي أن أمرك أن تنقلع من أصلك فتصير نصفين ثم ينحط أعلاك ويرتفع أسفلك فتصير ذروتك أصلك وأصلك ذروتك .

فقال الجبل : أنا مرني بذلك يا رسول رب العالمين؟ قال : بلى . فانقطع نصفين وانحط أعلاه إلى الأرض وارتفع أسفله فوق أعلاه فصار فرعه أصله وأصله فرعه ، ثم نادى الجبل : يا معاشر اليهود ، هذا الذي ترون دون معجزات موسى الذي تزعمون أنكم به مؤمنون ؟

فنظر اليهود بعضهم إلى البعض ، فقال بعضهم : ما عن هذا محيص ، وقال آخرون منهم : هذا رجل منجوت مؤق له ما يريد والمنجوت يتأتى له العجائب فلا يفرنكم ما تشاهدون .

فناداهم الجبل : يا أعداء الله ! قد أبطلتم بما تقولون نبوة موسى ، هلا قلتم لموسى . إن قلب العصائباناً وانفلاق البحر طرقا ووقوف الجبل كالظلة فوقكم اثماتاً لك لأنك مؤق لك يأتيك جدك بالعجائب فلا يغرنما ما نشاهده . فألقمتهم الجبال بمقالتها والصخور ولزمتهم حجة رب العالمين .

وعن معمر بن راشد ، قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : أتى يهودي إلى رسول الله (ص) فقام بين يديه يحذ النظر إليه ، فقال : يا يهودي ما حاجتك؟

فقال : أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي كلمه الله عز وجل وأنزل عليه التوراة والعصا وقلق له البحر

(١) غير به : مضى به وذهب .

(٢) القارع : الصاعد المرتفع ، والهملاج : السريع السير .

وأظله بالغمام؟

فقال له النبي (ص): إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه، ولكني أقول: إن آدم لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: «اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي» فغفرها الله له، وإن نوحاً لما ركب السفينة وخاف الغرق قال: «اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق» فأنجاه الله عز وجل، وإن إبراهيم لما ألقي في النار قال: «اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني» فجعلها برداً وسلاماً، وإن موسى لما ألقي عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: «اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني» قال الله تعالى: لا تخف إنك أنت الأعلى.

يا يهودي، إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوة يا يهودي، ومن ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم (ع) لنصرته، فقدمه ويضلي خلفه.

وعن ابن عباس قال: خرج من المدينة أربعون رجلاً من اليهود قالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الكاهن الكذاب حتى نوبّخه في وجهه ونكذّبه، فإنه يقول: أنا رسول رب العالمين. وكيف يكون رسولاً وآدم خير منه ونوح خير منه وذكروا الأنبياء (ع) - فقال النبي (ص) لعبد الله بن سلام: التوراة بيني وبينكم، فرضيت اليهود بالتوراة.

فقال اليهود: آدم خير منك، لأن الله عز وجل خلقه بيده ونفخ فيه من روحه.

فقال النبي (ص): آدم النبي أبي، وقد أعطيت أنا أفضل مما أعطى آدم. قالت اليهود: وما ذاك؟ قال: إن المنادي ينادي كل يوم خمس مرات «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» ولم يقل آدم رسول الله، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة وليس بيد آدم. فقالت اليهود: صدقت يا محمد، وهو مكتوب في التوراة. قال هذه واحدة.

قالت اليهود: موسى خير منك. قال النبي (ص): ولم؟ قالوا: لأن الله عز وجل كلمه بأربعة آلاف كلمة ولم يكلمك بشيء.

فقال النبي (ص): لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك. قالوا: وما ذاك؟ قال (ص): هو قوله عز وجل: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾، وحملت على جناح جبرئيل حتى انتهت إلى السماء السابعة، فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، حتى تعلقت بساق العرش، فنوديت من ساق العرش «إني أنا الله لا إله إلا أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الرؤف الرحيم»، ورأيت بقلبي وما رأيته بعيني، فهذا أفضل من ذلك. قالت اليهود: صدقت يا محمد، وهو مكتوب في التوراة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذه اثنتان.

قالوا: نوح أفضل منك. قال النبي (ص): ولم ذاك؟ قالوا: لأنه ركب السفينة فجرت على الجودي.

قال النبي صلى الله عليه وآله: لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك. قالوا: وما ذاك؟ قال: إن الله عز وجل أعطانني

نهرًا في السماء مجراه من العرش وعليه ألف ألف قصر لبنة من ذهب ولبنة من فضة، حشيشها الزعفران ورضراضها الدر والياقوت، وأرضها المسك الأبيض، فذلك خير لي ولأمتي، وذلك قوله تعالى: «إنا أعطيناك الكوثر»^١. قالوا: صدقت يا محمد، هو مكتوب في التوراة، وهذا خير من ذلك. قال النبي (ص): هذه ثلاثة.

قالوا: إبراهيم خير منك. قال: ولم ذاك؟ قالوا: لأن الله اتخذته خليلًا.

قال النبي صلى الله عليه وآله: إن كان إبراهيم خليله فأنا حبيبه محمد. قالوا: ولم سميت محمدًا؟ قال: سماني الله محمدًا وشق اسمي من اسمه، هو الم محمود وأنا محمد وأمتي الحامدون على كل حال. فقالت اليهود: صدقت يا محمد، هذا خير من ذلك. قال النبي صلى الله عليه وآله: هذه أربعة.

قالت اليهود: عيسى خير منك. قال (ص): ولم ذاك؟ قالوا: إن عيسى بن مريم كان ذات يوم بعقبة بيت المقدس، فجاءه الشياطين ليحملوه، فأمر الله جبرئيل أن يضرب بجناحك الأيمن وجوه الشياطين وألقهم في النار، فضرب بأجنحته وجوههم وألقاهم في النار.

فقال رسول الله (ص): لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك.

قالوا: وما هو؟ قال (ص): أقبلت يوم بدر من قتال المشركين وأنا جائع شديد الجوع، فلما وردت المدينة استقبلتني امرأة يهودية وعلى رأسها جفنة وفي الجفنة جدي مشوي وفي كمها شيء من سكر، فقالت: الحمد لله الذي منحك السلامة وأعطاك النصر والظفر على الأعداء، وإني قد كنت نذرت لله نذرًا إن أقبلت سالمًا غانمًا من غزاة بدر لأذبحن هذا الجدي ولأشوينه ولأحملنه إليك لتأكله.

فقال النبي (ص): فنزلت عن بغلي الشهباء، فضربت بيدي إلى الجدي لتأكله، فاستنطق الله الجدي، فاستوى على أربع قوائم وقال: يا محمد، لا تأكلني فإني مسموم قالوا: صدقت يا محمد، هذا خير من ذلك. قال النبي (ص): هذه خمسة.

قالوا: بقيت واحدة ثم نقوم من عندك. قال: هاتوا قالوا: سليمان خير منك. قال: ولم ذاك؟ قالوا: لأن الله عز وجل سخر له الشياطين والإنس والجن والطيور والرياح والسباع.

فقال النبي (ص): فقد سخر الله لي البراق وهو خير من الدنيا بحذافيرها، وهي دابة من دواب الجنة، وجهها مثل وجه آدمي، وحوافرهما مثل حوافر الخيل، وذنبها مثل ذنب البقر، وفوق الحمار ودون البغل، وسرجه من ياقوته حمراء، وركابه من درة بيضاء، مزومة بألف زمام من ذهب، عليه جناحان مكللان بالدر والياقوت والزبرجد، مكتوب بين عينيه «لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمدًا رسول الله».

قالت اليهود: صدقت يا محمد، وهو مكتوب في التوراة، وهذا خير من ذلك يا محمد، نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله.

فقال لهم رسول الله (ص) لقد أقام نوح في قومه ودعاهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ثم وصفهم الله عز وجل

(١) الرضراض: ما دق من الحصى.

(٢) الكوثر: ١.

فقللهم فقال: ﴿وما آمن معه الا قليل﴾^١، ولقد تبني في سني القليلة وعمرى اليسير ما لم يتبع نوحاً في طول عمره وكبر سنه، وإن في الجنة عشرين ومائة صف أمتي منها ثمانون صفاً، وإن الله عز وجل جعل كتابي المهيم على كتبهم الناسخ لها، ولقد جئت بتحليل ما حرّموا وبتحريم ما أحلوا. من ذلك أن موسى جاء بتحريم صيد الحيتان يوم السبت حتى أن الله تعالى قال لمن اعتدى منهم في صيدها يوم السبت: «كونوا قردة خامسين»^٢ فكانوا، ولقد جئت بتحليل صيدها حتى صار صيدها حلالاً. قال الله تعالى: «أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم»^٣ وجئت بتحليل الشعوم كلها وكتمت لا تأكلونها.

ثم إن الله عز وجل صلى على في كتابه العزيز، قال الله عز وجل: «إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسلياً»^٤ ثم وصفني الله عز وجل بالرافة والرحمة وذكر في كتابه: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»^٥، وأنزل الله تعالى أن لا يكلموني حتى يتصدقوا بصدقة وما كان ذلك لشيء قط، قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾^٦ ثم وضعها عنهم بعد أن افترضها عليهم برحمته ووفاءه. وعن ثوبان، قال: إن يهودياً جاء إلى النبي (ص) فقال: يا محمد أسألك فتخبرني، فركض ثوبان برجله وقال: قل يا رسول الله. فقال: لا أدعوه إلا بما سمعاه أهله.. فقال: أرايت قوله عز وجل: «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات»^٧ أين الناس يومئذ؟ فقال: في الظلمة دون المحشر. فقال: فما أول ما يأكل أهل الجنة إذا دخلوها؟ قال: كبد الخوت. قال: فما طعامهم على أثر ذلك؟ قال: كبد الثور. قال: فما شرابهم على أثر ذلك؟ قال: السلسيل. قال صدقت. أفلا أسألك عن شيء لا يعلمه إلا نبي؟ قال: وما هو؟ قال: عن شبه الولد أباه وأمه قال: ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى. فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد أنثى. وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد ذكراً. قال: يا ذن الله تعالى ومن تشبه أباه قبل ذلك يكون الشبه، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل خرج الولد أنثى. وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً. قال: يا ذن الله عز وجل ومن تشبه أمه قبل ذلك يكون الشبه.

ثم قال النبي (ص): والذي نفسي بيده، ما كان عندي مما سألتني عنه حتى أنبأني الله عز وجل في مجلسي هذا على لسان أخي جبرئيل.

ذكر ما جرى لرسول الله (ص) من الإحتجاج على المنافقين في طريق تبوك وغير ذلك من كيدهم لرسول الله (ص) على العقبة بالليل.

قال أبو محمد الحسن العسكري (ع): لقد رامت الفجرة ليلة العقبة قتل رسول الله (ص) على العقبة^٨.

(١) هود : ٤٠ . (٢) البقرة : ٦٥ . (٣) المائدة : ٩٦ . (٤) الاحزاب : ٥٦ . (٥) التوبة : ١٢٨ . (٦) المجادلة : ١٢ . (٧) إبراهيم : ٤٨ .

(٨) عقبة - بالتحريك - : هو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه ، وهو طويل صعب الى صعود الجبل . - والعقبة ، منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة ، وهو ماء لبني عكرمة من بكر بن وائل . مرصد الاطلاع : ٢ -

ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل علي بن أبي طالب (ع) فما قدروا على مغالبة ربهم ، حملهم على ذلك حسدهم لرسول الله (ص) في علي (ع) لما فخم من أمره وعظم من شأنه .

من ذلك أنه لما خرج النبي (ص) من المدينة ، وقد كان خلفه عليها وقال له : جبرئيل أتاني وقال لي : يا محمد ، إن العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك : يا محمد ، إنا أن نخرج أنت وقيم علي أو تقيم أنت ويخرج علي ، لا بد من ذلك ، فإن علياً قد نديته لإحدى اثنتين لا يعلم أحد كنه جلال من أطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري . فلما خلفه أكثر المنافقون الطعن فيه فقالوا : مله وسئمه وكره صحبته ، ف تبعه علي (ص) حتى لحقه ، وقد وجد غماً شديداً عما قالوا فيه .

فقال رسول الله (ص) : ما أشخصك يا علي عن مركزك ؟ فقال : بلغني عن الناس كذا وكذا . فقال له (ص) : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ فانصرف علي إلى موضعه ، فدبروا عليه أن يقتلوه وتقدموا في أن يحفروا له في طريقه حفيرة طويلة قدر خمسين ذراعاً ثم غطوها بخص رفاق ونثروا فوقها يسيراً من التراب بقدر ما غطوا به وجهه الخصب ، وكان ذلك على طريق علي الذي لا بد له من سلوكه ليقع هو ودابته في الحفيرة التي قد عمقوها ، وكان ما حوالى المحفور أرض ذات حجارة ودبروا على أنه إذا وقع مع دابته في ذلك المكان كبسوه بالأحجار حتى يقتلوه .

فلما بلغ علي (ع) قرب المكان لوى فرسه عنقه وأطاله الله فبلغت جحفلته^(١) أذنيه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، قد حفرت لك ها هنا ودبر عليك الختف وأنت أعلم ، لا تحرفيه ، فقال له علي (ع) : جزاك الله من ناصح خير أكما تدبر تدبير ، وإن الله عز وجل لا يخلبك من صنعه الجميل . وسار حتى شارف المكان فوقف الفرس خوفاً من المرور على المكان . فقال علي (ع) : سر ياذن الله سالماً سوريا عجباً شأنك بديعاً أمرك ، فتبادرت الدابة ، فإن الله عز وجل قد متن الأرض^(٢) وصلبها كأنها لم تكن محفورة وجعلها كسائر الأرض ، فلما جاوزها علي (ع) لوى الفرس عنقه ووضع جحفلته على أذنه ثم قال : ما أكرمك على رب العالمين ، أجازك على هذا المكان الخاوي^(٣) فقال أمير المؤمنين (ع) : جزاك الله بهذه السلامة عن نصيحتك التي نصحتني بها .

ثم قلب وجه الدابة إلى ما يلي كفلها ، والقوم معه بعضهم أمامه وبعضهم خلفه وقال : اكتشفوا عن هذا المكان فكتشفوا فإذا هو خاوي لا يسير عليه أحد إلا وقع في الحفرة ، فأظهر القوم الفرع والتعجب عماراً وأمنه ، فقال علي (ع) للقوم : أتدرون من عمل هذا؟ قالوا : لا ندري .

قال (ع) : لكن فرسي هذا يدري . يا أيها الفرس كيف هذا ومن دبر هذا؟ فقال الفرس : يا أمير المؤمنين ، إذا كان الله عز وجل يبرم ما يروم جهال القوم نقضه أو كان ينقض ما يروم جهال الخلق إبرامه فالله هو الغالب والخلق هم المغلوبون ، فعل هذا يا أمير المؤمنين فلان وفلان إلى أن ذكر العشرة ، بمواطأة من أربعة وعشرين هم

(١) الجحفلة الذي الحافر كالشفة للإنسان .

(٢) متن الأرض : صلب متنه وقواه .

(٣) الخاوي : الخالي ، القفر .

مع رسول الله (ص) في طريقه، ثم دبر وأراهم على أن يقتلوا رسول الله (ص) على العقبة والله عز وجل من وراء حياطة رسول الله وولي الله لا يغلبه الكافرون.

فأشار بعض أصحاب أمير المؤمنين (ص) بأن يكتب رسول الله بذلك ويبعث رسولا مسرعا، فقال أمير المؤمنين (ع): إن رسول الله إلى محمد رسوله أسرع، وكتابه إليه أسبق، فلا يهمنكم هذا إليه.

فلما قرب رسول الله (ص) من العقبة التي يذاتها فضائح المنافقين والكافرين، نزل دون العقبة، ثم جمعهم فقال لهم: هذا جبرئيل الروح الأمين يخبرني أن علياً دبر عليه كذا وكذا، فدفع الله عز وجل عنه من الطافه وعجائب معجزاته بكذا وكذا، ثم إنه صلب الأرض تحت حافر دابته وأرجل أصحابه، ثم انقلب على ذلك الموضع علي وكشف عنه فرثيت الحفيرة، ثم إن الله عز وجل لامها كما كانت لكرامته عليه، وأنه قيل له كاتب بهذا وأرسل إلى رسول الله (ص) فقال: رسول الله إلى رسول الله أسرع وكتابه إليه أسبق.

ثم لم يخبرهم رسول الله (ص) بما قال علي (ع) على باب المدينة: «إن مع رسول الله منافقين سيكيدونه ويدفع الله عنه». فلما سمع الأربعة والعشرون أصحاب العقبة ما قاله رسول الله (ص) في أمر علي (ع) قال بعضهم لبعض: ما أمرهم محمد أبداً بالخرقة^(١)، وإن فيجأ مسرعاً أتاه أو طير أمن المدينة من بعض أهله وقع عليه، إن علياً قتل بحيلة كذا وكذا وهو الذي إاطانا عليه أصحابنا، فهو الآن لما بلغه كتم الخبر وقلبه إلى ضده يريد أن يسكن من معه لئلا يمدوا أيديهم عليه، وهيئات والله ما لثت علياً بالمدينة إلا حينه ولا أخرج محمداً إلى هاهنا إلا حينه، وقد هلك علي وهو هاهنا هالك لا محالة. ولكن تعالوا حتى نذهب إليه ونظهر له السرور بأمر علي ليكون أسكن لقلبه إلينا إلى أن تمضي فيه تدبيرنا فحضره وهنؤوه على سلامة علي من الورطة التي رامها أعداؤه.

ثم قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن علي (ع) أهو أفضل أم ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله (ص): وهل شرفت الملائكة إلا بحبها لمحمد وعلي وقبولها لولايتها، وإنه لا أحد من محبي علي قد نظف قلبه من قدر الغش والدغل ونجاسات الذنوب إلا كان أطهر وأفضل من الملائكة، وهل أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إلا لما كانوا قد وضعوه في نفوسهم إنه لا يصير في الدنيا خلق بعدهم إذا رفعوا عنها إلا وهم-يعنون أنفسهم-أفضل منه في الدين فضلاً وأعلم بالله وبدينه علماً، فأراد الله أن يعرفهم أنهم قد أخطأوا في ظنونهم واعتقاداتهم، فخلق آدم وعلمه الأسماء كلها ثم عرضها عليهم فعجزوا عن معرفتها، فأمر آدم (ع) أن ينبئهم بها، وعرفهم فضله في العلم عليهم.

ثم أخرج من صلب آدم ذريته، منهم الأنبياء والرسل والخيار من عباد الله أفضلهم محمد ثم آل محمد، والخيار الفاضلون منهم أصحاب محمد وخيار أمة محمد وعرف الملائكة بذلك أنهم أفضل من الملائكة إذا احتملوا ما حملوه من الأثقال وقاسوا ما هم فيه بعرض يعرض من أعوان الشياطين ومجاهدة النفوس واحتمال أذى ثقل العيال والاجتهاد في طلب الحلال ومعاناة مخاطرة الخوف من الأعداء من لصوص مخوفين ومن سلاطين

(١) خرق الكذب: صنعه. ومعنى هذه الجملة: ما أمر محمد بصنع الكذب ووضع.

(٢) الفيح: السريع السير الذي يأتي بالأخبار.

جورة قاهرين وصعوبة في المسالك في المضائق والمخاوف والأجراع^(١) والجبال والتلاع^(٢) لتحصيل أقوات الأنفس والعيال من الطيب الحلال، فعرفهم الله عز وجل أن خيار المؤمنين يحتملون هذه البلايا ويتخلصون منها، ويحاربون الشياطين وهزمونهم، ويجاهدون أنفسهم بدفعها عن شهواتها، ويغلبونها مع ما ركب فيهم من شهوات الفحولة وحب اللباس والطعام والعز والرياسة والفخر والخيلاء ومقاساة العناء والبلاء من إبليس وعفاريته وخواطيرهم وإغوائهم واستهوائهم ودفع ما يكابدونه من أليم الصبر على سماعهم الطعن من أعداء الله وسماع الملامهي والشتيم لأوليائه الله، ومع ما يقاسونه في أسفارهم لطلب أقواتهم والحرب من أعداء دينهم، أو الطلب لمن يأملون معاملته من مخالفينهم في دينهم.

قال الله عز وجل: يا ملائكتي وأنتم من جميع ذلك بمعزل، لا شهوات الفحولة يزعجكم ولا شهوة الطعام تحفزكم^(٣) ولا خوف من أعداء دينكم ودنياكم تنجب^(٤) في قلوبكم، ولا لإبليس في ملكوت سماواتي وأرضي شغل على إغواء ملائكتي الذين قد عصمتهم منه. يا ملائكتي، فمن أطاعني منهم وسلم دينه من هذه الآفات والنكبات فقد احتمل في جنب محبي ما لم تحتملوا واكتسب من القربات إلي ما لم تكتسبوا.

فلما عرف الله ملائكته فضل خيار أئمة محمد وشيعته علي وخلفائه عليهم السلام واحتمالهم في جنب محبة ربهم ما لا تحتمله الملائكة، أبان بني آدم الخيار المتقين بالفضل عليهم، ثم قال: فلذلك فاسجدوا لآدم، لما كان مشتملاً على أنوار هذه الخلائق الأفضلين ولم يكن سجودهم لآدم، إنما كان آدم قبله لهم يسجدون نحوه لله عز وجل، وكان بذلك معظماً له مبجلًا. ولا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد من دون الله ويخضع له خضوعه لله ويعظم بالسجود له كتعظيمه لله، ولو أمرت أحداً أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعةنا وسائر المكلفين من شيعةنا أن يسجدوا لمن توسط في علوم علي وصي رسول الله ومحض وداد خير خلق الله علي بعد محمد رسول الله واحتمل المكاره والبلايا في التصريح بإظهار حقوق الله ولم ينكر علي حقاً أرقبه عليه* قد كان جهله أو غفله.

ثم قال رسول الله (ص): عصى الله إبليس فهلك لما كان معصيته بالكبر على آدم، وعصى آدم الله بأكل الشجرة فسلم ولم يهلك لما لم يقارن بمعصيته التكبر على محمد وآله الطيبين، وذلك أن الله تعالى قال له: يا آدم، عصاني فيك إبليس وتكبر عليك فهلك، ولو تواضع لك بأمرني وعظم عز جلالتي لأفلح كل الفلاح كما أفلحت، وأنت عصيتني بأكل الشجرة وعظمتني بالتواضع لمحمد وآل محمد فتفلح كل الفلاح وتزول عنك وصمة الزلة، فادعني بمحمد وآله الطيبين لذلك، فدعاهم، فأفلح كل الفلاح لما تمسك بعروتنا أهل البيت.

ثم أن رسول الله (ص) أمر بالرحيل في أول نصف الليل الأخير، وأمر مناديه فنادى: ألا لا يسبقن رسول الله (ص)

(١) الجرعة: رملة مستوية لا تثبت شيئاً.

(٢) التلاع: جمع التلعة، وهو ما علا من الأرض وما سفلى وفي بعض النسخ «الطلاع» وهو جمع الطلع بكسر الطاء: المكان المشرف الذي يطلع منه.

(٣) الحفز: الدفع من الخلف، والحفز بالرمح: الطعن به.

(٤) النجب: السير السريع، وفي بعض النسخ «تنجب» ومعناه تجبن قلوبكم وتعملكم بلا فؤاد. يقال: «رجل نجب» أي الجبان الذي لا فؤاد له.

(٥) أرقبه عليه: انظره منه.

أحد إلى العقبة ولا يطاها حتى يجاوزها رسول الله (ص). ثم أمر حذيفة أن يقعد في أصل العقبة فينظر من يمر بها ويخبر رسول الله (ص). وكان رسول الله أمره أن يتشبه بحجر. فقال حذيفة: يا رسول الله، إني أتبين الشرقي وجوه القوم من رؤساء عسكرك، وإني أخاف إن قعدت في أصل الجبل وجاء منهم من أخاف أن يتقدمك إلى هناك للتدبير عليك يحس بي ويكشف عني فيعرفني ويعرف موضعي من نصيحتك فيتهمني ويخافني فيقتلني.

فقال رسول الله (ص): إنك إذا بلغت أصل العقبة فاقصد أكبر صخرة هناك إلى جانب أصل العقبة، وقل لها: إن رسول الله يأمرك أن تنفرجي لي حتى أدخل جوفك، ثم يأمرك أن تثقيبي فيك ثقبه أبصر منها المارين وتدخل علي منها الروح لئلا أكون من الهالكين، فإنها نصير إلى ما تقول لها بإذن الله رب العالمين.

فأدى حذيفة الرسالة، ودخل جوف الصخرة، وجاء الأربعة والعشرون على جماهم وبين أيديهم رجالتهم، يقول بعضهم لبعض: من رأيتهم هنا كائناً من كان فاقتلوه لأن لا يخبروا محمدًا، أنهم قد رأوا هاهنا فينكص محمد ولا يصعد هذه العقبة إلا نهاراً فيبطل تدبيرنا عليه. وسمعها حذيفة، واستقصوا فلم يجدوا أحداً وكان الله قد ستر حذيفة بالحجر عنهم. فتفرقوا، فبعضهم صعد على الجبل وعدل عن الطريق المسلول، وبعضهم وقف على سفح الجبل عن يمين وشمال، وهم يقولون: الآن ترون جبين محمد كيف أغراه بأن يمنع الناس عن صعود العقبة حتى يقطعها هو لنخلوبه هاهنا فنمضي فيه تدبيرنا وأصحابه عنه بمعزل، وكل ذلك يوصله الله تعالى من قريب أو بعيد إلى أذن حذيفة ويعيه حذيفة فلما تمكن القوم على الجبل حيث أرادوا كلمت الصخرة حذيفة وقالت له: انطلق الآن إلى رسول الله (ص) فأخبره بما رأيت وبما سمعت. قال حذيفة: كيف أخرج عنك وإن رأي القوم قتلوني مخافة على أنفسهم من غيبي عليهم؟ قالت الصخرة: إن الذي ممكنك من جوفي وأوصل إليك الروح من الثقب التي أحدثها في هو الذي يوصلك إلى نبي الله وينقذك من أعداء الله. فنهض حذيفة ليخرج فانفرجت الصخرة بقدرة الله تعالى، فحوّله الله طائراً فطار في الهواء محلّقاً حتى انقضّ بين يدي رسول الله، ثم أعيد على صورته فأخبر رسول الله (ص) بما رأى وسمع.

فقال رسول الله: أوعرفتهم بوجوههم؟ فقال: يا رسول الله كانوا مثلثمين وكنت أعرف أكثرهم بجماهم، فلما فتشوا المواضع فلم يجدوا أحداً أحذروا اللثام فرأيت وجوههم وعرفتهم بأعيانهم واسمائهم فلان وفلان حتى عدّ أربعة وعشرين.

فقال رسول الله (ص): يا حذيفة إذا كان الله يثبت محمدًا لم يقدر هؤلاء ولا الخلق أجمعون أن يزيلوه، إن الله تعالى بالغ في محمد أمره ولو كره الكافرون.

ثم قال: يا حذيفة فانهض بنا أنت وسلمان وعمار وتوكلوا على الله، فإذا جزنا الشية الصعبة فائذوا للناس أن يتبعونا، فصعد رسول الله (ص) وهو على ناقته وحذيفة وسلمان أحدهما أخذ بحطام ناقته يقودها والآخر خلفها يسوقها، وعمار إلى جانبها، والقوم على جماهم ورجالتهم منبثون حوالي الشية على تلك العقبات، وقد جعل الذين فوق الطريق حجارة في دباب فدحرجوها من فوق لينفروا الناقة برسول الله (ص) ويقع به في المهوى الذي يهول الناظر إليه من بعده، فلما قربت الدباب من ناقة رسول الله (ص) أذن الله لها فارتفعت ارتفاعاً عظيماً فجاوزت ناقة رسول الله (ص) ثم سقطت في جانب المهوى ولم يبق منها شيء إلا صار كذلك وناقة

رسول الله كأنها لا تحس بشيء من تلك القعقعات التي كانت للدباب .

ثم قال رسول الله (ص) لعمار : إصعد إلى الجبل فاضرب بعصاك هذه وجوه رواحلهم فارم بها ، ففعل ذلك عمار فنفرت بهم رواحلهم وسقط بعضهم فانكسر عضده ومنهم من انكسرت رجله ومنهم من انكسر جنبه واشتدت لذلك أوجاعهم ، فلما انجبرت واندملت بقيت عليهم آثار الكسر إلى أن ماتوا ، ولذلك قال رسول الله (ص) في حذيفة وأمير المؤمنين عليه السلام : « إنهما أعلم الناس بالمتأقين » لعودته في أصل الجبل ومشاهدته من مر سابقاً لرسول الله (ص) .

وكفى الله رسوله أمر من قصد له ، وعاد رسول الله (ص) إلى المدينة سالماً فكسى الله الذل والعار من كان قعد عنه ، وألبس الخزي من كان دبر عليه وعلى علي ما دفع الله عنه عليه السلام .

احتجاج النبي (ص) يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب (ع) ومن بعده من ولده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

حدثني السيد العالم العابد أبو جعفر مهدي ابن أبي حرب الحسيني المرعشي رضي الله عنه^(١) قال : أخبرنا الشيخ أبو علي الحسن بن الشيخ السعيد أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي رضي الله عنه ، قال : أخبرني الشيخ السعيد الوالد أبو جعفر^(٢) قدس الله روحه ، قال : أخبرني جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري^(٣) ، قال : أخبرنا أبو علي محمد بن همام^(٤) ، قال : أخبرنا علي السوري^(٥) ، قال : أخبرنا أبو محمد العلوي^(٦) من ولد الأفضس - وكان من عباد الله الصالحين - قال : حدثنا محمد بن موسى الهمداني^(٧) ، قال : حدثنا محمد بن خالد

(١) مضت ترجمته في هذا الكتاب ص ٦

(٢) الشيخ أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي ، كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً جليلاً ثقة ، له كتاب الأملاني وشرح النهاية ، قرأ على والده جميع تصانيفه وإليه ينتهي أكثر الإجازات عن الشيخ الطوسي تنقيح المقال ١ - ٣٠٦ .

(٣) شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥ وقدم العراق سنة ٤٠٨ وبقي في بغداد مدة ثم هاجر إلى النجف الأشرف وبقي إلى أن توفي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من محرم سنة ٤٦٠ ، كان جهلة من جهالة الإسلام وعظيماً من عظماء أئمة محمد (ص) صنف في علوم عصره فكانت مصنفاته هي الام والرجع ، ولم يجرأ على الافتاء بعده أحد من علماء الشيعة إلى سنين متعادية لقوته في الفقه واضطلاعه في العلوم الإسلامية وكان فضلاً تلامذته الذين كانوا مجتهدين من الخاصة يزيدون على ثلاثمائة . الكنى والألقاب ٢ / ٣٥٧ - ٣٥٩ .

(٤) أبو محمد هارون بن موسى الشيباني ثقة جليل القدر عظيم المنزلة واسع الرواية عديم النظر وجه أصحابنا معتمد عليه لا يطمعن عليه في شيء توفي سنة ٣٨٥ . الكنى والألقاب ٢ / ١٠٨ .

(٥) أبو علي محمد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الاسكافي شيخ أصحابنا ومتقدمهم ، له منزلة عظيمة ، كثير الحديث ، ولد يوم الاثنين ٦ ذي الحجة سنة ٢٥٨ وتوفي يوم الخميس ١٩ جمادي الثانية سنة ٣٣٦ رجال النجاشي ص ٢٩٤ .

(٦) لم نقف على ترجمة له - فليراجع .

(٧) يحيى الكشي أبا محمد العلوي من بني ذبارة علوي سيد متكلم فقيه من أهل نيشابور له كتب كثيرة ، منها كتاب في المسح على الرجلين في إبطال القياس وكتاب في التوحيد . رجال النجاشي ص ٣٤٥ .

(٨) محمد بن موسى بن عيسى أبو جعفر الهمداني السمرقاني ، ضعفه القميون بالغلو له كتاب ما روى في أيام الأسبوع وكتاب الرد على الغلاة رجال النجاشي ص ٢٦٠ واقول : كيف يقال في محمد هذا انه غال مع العلم ان من مؤلفاته كتاب الرد على الغلاة - فلاحظ .

الطبرسي ، قال : حدثنا سيف بن عميرة^٢ وصالح بن عقبة^٣ جميعاً عن قيس بن سميان^٤ عن علقمة بن محمد الحضرمي^٥ عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال : حج رسول الله (ص) من المدينة وقد بلغ جميع الشرايع قومه غير الحج والولاية ، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له : يا محمد إن الله جل اسمه يقرؤك السلام ويقول لك : إني لم أقبض نبياً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلا بعد إكمال ديني وتأكيدي حجتي وقد بقي عليك من ذاك فريضةان مما تحتاج أن تبليغها قومك : فريضة الحج ، وفريضة الولاية والخلافة من بعدك ، فإني لم أخل أرضي من حجة ولن أخليها أبداً ، فإن الله جل ثناؤه يأمرك أن تبليغ قومك الحج وتحج ويحج معك من استطاع إليه سبيلاً من أهل الحضرة والأطراف والأعراب وتعلمهم من معالم حجهم مثل ما علمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وتوقفهم من ذلك على مثال الذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلغتهم من الشرائع .

فنادى منادي رسول الله (ص) في الناس : ألا إن رسول الله يريد الحج وأن يعلمكم من ذلك مثل الذي علمكم من شرائع دينكم ويوقفكم من ذلك على ما أوقفكم عليه من غيره ، فخرج (ص) وخرج معه الناس وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله ، فحج بهم وبلغ من حج مع رسول الله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتبعوا العجل والسامري ، وكذلك أخذ رسول الله (ص) البيعة لعلي بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامري سنة بسنة ومثلاً بمثل ، وانصلت التلبية ما بين مكة والمدينة^٦ . فلما وقف بالموقف أتاه جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل فقال : يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك : إنه قد دنا أجلك ومدتك وأنا مستقدمك على ما لا بد منه ولا عنه محيص ، فاعهد عهدك وقدم وصيتك واعمد إلى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك والسلاح والتأبوت وجميع ما عندك من آيات الأنبياء ، فسلمه إلى وصيك وخليفتك من بعدك حجتي البالغة على خلقي علي بن أبي طالب عليه السلام ، فأقمه للناس علماً وجدد عهده وميثاقه وبيعته ، وذكرهم ما أخذت عليهم من بيعتي وميثاقي الذي واثقتهم وعهدي الذي عهدت إليهم من ولاية ولبي ومولاهم ومولى كل مؤمن ومؤمنة علي بن أبي طالب عليه السلام ، فإني لم أقبض نبياً من الأنبياء إلا من بعد إكمال ديني وحجتي وإتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي ، وذلك كمال توحيددي وديني وإتمام نعمتي على خلقي باتباع ولبي وطاعته وذلك أني لا أترك أرضي بغير

(١) أو عيد الله محمد بن خالد الطبرسي التميمي كان يسكن بالكوفة في صحراء جرم ، له كتاب نوادر ، مات ليلة الأربعاء ٢٧ جمادي الثانية سنة ٢٥٩ وهو ابن ٩٧ سنة تنفيح المقال ٣ / ١١٤ .

(٢) سيف بن عميرة النخعي عربي ثقة كوفي ، روي عن أبي عبد الله وإبي الحسن عليهما السلام له كتاب يرويه جماعات من أصحابنا رجال النجاشي ص ١٤٣ .

(٣) صالح بن عقبة بن قيس بن سميان بن أبي ربيعة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، قيل انه روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، له كتاب يرويه جماعة انتهى المقال ص ١٦٣ .

(٤) لم نقف على ترجمته .

(٥) علقمة بن محمد الحضرمي هو أخو عبد الله بن محمد الحضرمي . رجال الكشي ص ٣٥٤ .

(٦) ذكر البحالة الثبت الحجة الأميني في سفره القيم « الغدير » حديث الغدير بتفاصيله في الجزء الأول ، وعده الراويين لحديث الغدير ، فكانوا من الصحابة ١١٠ شخصاً ، ومن التابعين ٨٤ شخصاً ، ومن الرواة العلماء ابتداءً من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر ٣٦٠ شخصاً وذكر من المؤلفين في حديث الغدير خصيصاً ٢٦ شخصاً . انظر الجزء الأول من الكتاب ص ١٤ - ١٥٧ .

ولي ولا قيم ليكون حجة لي على خلقي ، فاليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .

بولاية وليي ومولى كل مؤمن ومؤمنة عليّ عبيدي ووصي نبي والخليفة من بعده وحجتي البالغة على خلقي ، مقرون طاعته بطاعة محمد نبي ومقرون طاعته مع طاعة محمد بطاعتي ، من أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني ، جعلته علماً بيني وبين خلقي ، من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ومن أشرك بيّعه كان مشركاً ومن لقيني بولايته دخل الجنة ، ومن لقيني بعداوته دخل النار ، فأقم يا محمد علماً علماً وأخذ عليهم البيعة وجدّد عهدي وميثاقي لهم الذي واثقتهم عليه ، فإنّي قابضك إليّ ومستقدمك عليّ .

فخشي رسول الله (ص) من قومه وأهل النفاق والشقاق : أن يتفرّقوا ويرجعوا إلى الجاهلية لما عرف من عداوتهم ولما ينطوي عليه أنفسهم لعلّ من العداوة والبغضاء وسأل جبرئيل أن يسأل ربّه العصمة من الناس وانتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة من الناس عن الله جل اسمه ، فأخّر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف^١ ، فأتاه جبرئيل عليه السلام في مسجد الخيف فأمره بأن يعهد عهده ويقيم علماً للناس يهتدون به ، ولم يأت به بالعصمة من الله جل جلاله والذي أراد حتى بلغ كراع الغميم^٢ بين مكة والمدينة ، فأتاه جبرئيل وأمره بالذي أتاه فيه من قبل الله ولم يأت به بالعصمة .

فقال : يا جبرئيل إني أخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي عليه السلام فرحل فلما بلغ غدير خم^٣ قبل الجحفة^٤ بثلاثة أميال أتاه جبرئيل عليه السلام على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والإنتهار والعصمة من الناس فقال : يا محمد إن الله عز وجل يقول لك : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي- وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾^٥ .

وكان أوائلهم قريب من الجحفة فأمره بأن يرد من تقدم منهم ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان ليقوم علماً علماً للناس ويبلغهم ما أنزل الله تعالى في عليّ ، وأخبره بأن الله عز وجل قد عصمه من الناس ، فأمر رسول الله عندما جاءته العصمة منادياً ينادي في الناس بالصلاة جامعة ويرد من تقدّم منهم ويحبس من تأخر وتنحى عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير أمره بذلك جبرئيل عن الله عز وجل ، وكان في الموضع سلمات^٦ فأمر رسول

(١) الخيف هو المنحدر من غلظ الجبل قد ارتفع عن سيل الماء فليس شرفاً ولا حفيفاً ، وخيف منى هو الموضع الذي ينسب إليه مسجد الخيف . مراصد الاطلاع ٤٩٥/١ .

(٢) كراع الغميم : موضع بالحجاز بين مكة والمدينة امام عسفان بثمانية أميال وهذا الكراع جبل اسود في طرف الجرة يمتد اليه . مراصد الاطلاع ٣ - ١١٥٣ .

(٣) غدير : ما غودر من ماء المطر في مستنقع صغير او كبير غير انه لا يبقى في القوط . ونخم : قيل رجل ، وقيل غيظة ، وقيل موضع تصب فيه عين ، وقيل بئر قريب من الميثب حفرها مرة بن كعب ، نسب إلى ذلك غدير خم ، وهو بين مكة والمدينة ، وقيل على ثلاثة أميال من الجحفة ، وقيل على ميل ، وهناك مسجد ، للنبي . مراصد الاطلاع ١ / ٤٨٢ ، ٢ / ٩٨٥ .

(٤) الجحفة : كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق مكة على أربع مراحل . . وكان اسمها مهبة وسميت الجحفة لان السيل جففها ، وبينها وبين البحر ستة أميال . مراصد الاطلاع ١ / ٣١٥ .

(٥) المائدة : ٦٧ .

(٦) سلمات : أشجار .

الله (ص) أن يقيم ما تحتهم^١ وينصب له حجارة كهيئة المنبر ليشرف على الناس، فتراجع الناس واحتبسوا آخرهم في ذلك المكان لا يزالون، فقام رسول الله (ص) فوق تلك الأحجار ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذي علا في توحده، ودنا في فقره، وجل في سلطانه، وعظم في أركانه، وأحاط بكل شيء علماً وهو في مكانه، وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه مجيداً لم يزل محموداً لا يزال، باري المسموكات^٢ وداحي المدحوات وجبار الأرضين والسموات، قدوس سبوح رب الملائكة والروح، متفضل على جميع من برأه منطول على جميع من أنشأه، يلحظ كل عين والعيون لا تراه، كريم حلیم ذو أناة، قد وسع كل شيء رحمته ومن عليه بنعمته، لا يعجل بانتقامه ولا يبادر إليهم بما استحقوا من عذابه، قد فهم السرائر وعلم الضمائر، ولم تخف عليه المكنونات، ولا اشتبهت عليه الخفيات، له الإحاطة بكل شيء والغلبة على كل شيء والقوة في كل شيء والقدر على كل شيء وليس مثله شيء، وهو منشيء الشيء حين لا شيء، دائم قائم بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، جل عن أن تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، لا يلحق أحد وصفه من معانية، ولا يجد أحد كيف هو من سر وعلاية إلا بما دل عز وجل على نفسه.

وأشهد أنه الله الذي ملا الدهر قدسه، والذي يغشي الأبد نوره، والذي ينفذ أمره بلا مشاورة مشير ولا معه شريك في تقدير ولا تفاوت في تدبير، صور ما أبدع على غير مثال، وخلق ما خلق بلا معونة من أحد ولا تكلف ولا احتيال، أنشأها فكانت، وبرأها فبانت، فهو الله الذي لا إله إلا هو المتقن الصنعة، الحسن الصنعة، العدل الذي لا يجور، والأكرم الذي ترجع إليه الأمور.

وأشهد أنه الذي تواضع كل شيء لقدرته وخضع كل شيء لهيبته، ملك الأملاك ومملك الأفلاك، ومسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى، يكور الليل على النهار^٣ ويكور النهار على الليل بطلبه حثيثاً، قاصم كل جبار عنيد ومهلك كل شيطان مريد، لم يكن معه ضد ولا ند، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، إله واحد ورب ما جدد، يشاء فيمضي ويريد فيقضي، ويعلم فيحصى ويميت ويحيي، ويفقر ويغني، ويضحك ويكي، ويمنع ويعطي.

له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل لا إله إلا هو العزيز الغفار، مجيب الدعاء ومجزل العطاء، محصي الأنفاس ورب الجنة والناس، لا يشكّل عليه شيء ولا يضجره صراخ المستصرخين ولا يبرمه الحاح الملحين، العاصم للصالحين والموفق للمفلحين ومولى العالمين الذي استحق من كل من خلق أن يشكره ويحمده.

أحمد على السراء والضراء والشدة والرخاء وأؤ من به وبملائكته وكتبه ورسله، أسمع أمره وأطيع وأبادر إلى كل ما يرضاه، وأستسلم لقضائه رغبة في طاعته وخوفاً من عقوبته، لأنه الله البدي لا يؤمن مكره ولا يخاف

(١) أي يكس ما تحتهم.

(٢) السمك: السقف، أو من أعلى البيت إلى أسفله، والغاية من كل شيء، والمقصود هنا السموات وما فيها.

(٣) كور الشيء: إدارته، ضم بعضه إلى بعض ككور العمارة، ويكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل:

إشارة إلى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادها.

جوره ، وأقرله على نفسي بالعبودية وأشهد له بالربوبية وأؤدي ما أوحى إليّ حذراً من أن لا أفعل فتحتل بي منه قارعة^(١) لا يدفعها عني أحد وإن عظمت حيلته لا إله إلا هو ، لأنه قد أعلمني أنّي إن لم أبلغ ما أنزل إليّ فما بلغت رسالته وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة ، وهو الله الكافي الكريم ، فأوحى إليّ : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ في عليّ [يعني في الخلافة لعلي بن أبي طالب عليه السلام] - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ .

معاشر الناس ما قصّرت في تبليغ ما أنزل الله تعالى إليّ ، وأنا مبين لكم سبب نزول هذه الآية : إنّ جبرئيل عليه السلام هبط إليّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربي وهو السلام أن أقوم في هذا المشهد فأعلم كل أبيض وأسود أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أخي ووصي وخليفتي والإمام من بعدي ، الذي محله مني محل هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي وهو وليكم من بعد الله ورسوله ، وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليّ بذلك آية من كتابه : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾^(٢) وعليّ بن أبي طالب عليه السلام أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع يريد الله عز وجل في كل حال .

وسألت جبرئيل أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم - أيها الناس - لعلمي بقلّة المتقين وكثرة المنافقين وإدغال^(٣) الآثمين واختل^(٤) المستهزئين بالإسلام الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، وكثرة أذاهم لي في غير مرة حتّى سموني أذنًا^(٥) ، وزعموا أنّي كذلك لكثرة ملازمته إياي وإقبالي عليه ، حتّى أنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذنٌ قُلْ أَذَنٌ - عَلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أذنٌ - خَيْرٌ لَكُمْ يَوْمَنَ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية^(٦) .

ولو شئت أن أسمي باسمائهم لسميت وأن أومي إليهم بأعيانهم لأومات وأن أدل عليهم لدللت ، ولكنّي والله في أمورهم قد تكرّمت ، وكل ذلك لا يرضى الله مني إلا أن أبلغ ما أنزل إليّ ، ثم تلا (ص) : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ في عليّ - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ .

فاعلموا معاشر الناس أنّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين لهم بإحسان ، وعلى البادي والحاضر وعلى الأعجمي والعربي والحر والمملوك والصغير والكبير وعلى الأبيض والأسود وعلى كل موحد ماض حكمه بجائز قوله نافذ أمره ، ملعون من خالفه مرحوم من تبعه مؤمن من صدّقه فقد غفر الله له ولمن سمع منه وأطاع له .

معاشر الناس إنّ آخر مقام أقومه في هذا المشهد فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربكم ، فإنّ الله عز وجل هو مولاكم وإلّهم ثم من دونه محمّد (ص) وليكم القائم المخاطب لكم ، ثم من بعدي علي وليكم وإمامكم بأمر

(١) القارعة : الداهية والنكبة المهلكة .

(٢) المائدة : ٥٥ .

(٣) الإدغال : المخالفة والخيانة ، وإدغل في الأمر : ادخل فيه ما يفسده .

(٤) الختل : الخديعة .

(٥) الاذن بضمين : الرجل المستمع لما يقال له .

(٦) التوبة : ٦١ .

ربكم، ثم الإمامة في ذريتي من ولده إلى يوم تلقون الله ورسوله، لا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرّمه الله، عرّفني الحلال والحرام وأنا أفضيت لما علّمني ربي من كتابه وحلاله وحرامه إليه.

معاشر الناس ما من علم إلا وقد أحصاه الله في، وكل علم علّمت فقد أحصيته في إمام المتقين، وما من علم إلا علّمته علياً، وهو الإمام المبين.

معاشر الناس لا تصلوا عنه ولا تنفروا منه ولا تستكبروا [ولا تستنكفوا] من ولايته، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به ويزهق الباطل وينهى عنه ولا تأخذه في الله لومة لائم. ثم إنه أول من آمن بالله ورسوله، وهو الذي فدى رسوله بنفسه وهو الذي كان مع رسول الله ولا أحد يعبد الله مع رسوله من الرجال غيره. معاشر الناس فضّلوه فقد فضّله الله، واقبلوه فقد نصبه الله.

معاشر الناس إنه إمام من الله ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته، ولن يغفر الله له، حتياً على الله أن يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه وأن يعدّبه عذاباً شديداً نكراً أبداً ودهر الدهور، فاحذروا أن تخالفوه فتصلوا ناراً وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين.

أيها الناس بي والله بشر الأولون من النبيين والمرسلين، وأنا خاتم الأنبياء والمرسلين والحجة على جميع المخلوقين من أهل السماوات والأرضين، فمن شك في ذلك فهو كافر كفر الجاهلية الأولى، ومن شك في شيء من قولي هذا فقد شك في الكل منه، والشاك في ذلك فله النار.

معاشر الناس حباني الله بهذه الفضيلة منّي علي وإحساناً منّي إلي، ولا إله إلا هو، له الحمد مني أبدأ الأبدان ودهر الدهرين على كل حال.

معاشر الناس فضّلوا علياً فإنه أفضل الناس بعدي من ذكر وأنثى، بنا أنزل الله الرزق وبقي الخلق، ملعون ملعون مغضوب مغضوب من ردي علي قولي هذا ولم يوافقه، ألا إن جبرئيل أخبرني عن الله تعالى بذلك ويقول: «من عادى علياً ولم يتولّه فعليه لعنتي وخصمي» فلتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله أن تخالفوه فتزل قدم بعد ثبوتها إن الله خير بما تعملون.

معاشر الناس إنه جنب الله الذي ذكر في كتابه فقال تعالى: «أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله»^١.

معاشر الناس تدبروا القرآن وافهموا آياته وانظروا إلى محكماته ولا تتبعوا متشابهه، فوالله لن يبين لكم زواجه ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده ومصعده إليّ وشائل بعضه ومعلمكم أن من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وهو علي بن أبي طالب (ع) أخي ووصي، ومولاته من الله عز وجل أنزلها عليّ.

معاشر الناس إن علياً والطيبين من ولدي هم الثقل الأصغر، والقرآن الثقل الأكبر فكل واحد مني عن صاحبه وموافق له لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، هم أمناء الله في خلقه وحكمائوه في أرضه، ألا وقد أدبت، ألا وقد بلغت ألا وقد أسمعتم، ألا وقد أوضحت، ألا وإن الله عز وجل قال وأنا قلت عن الله عز وجل، ألا إنه ليس

أمير المؤمنين غير أخي هذا ولا تحمل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره.

ثم ضرب بيده إلى عضده فرفعه، وكان منذ أول ما صعد رسول الله (ص) شال علياً حتى صارت رجله مع ركة رسول الله (ص)، ثم قال:

معاشر الناس هذا علي أخي ووصي وواعي علمي وخلفتي على أمي وعلى تفسير كتاب الله عز وجل والناس إلى الله والعامل بما يرضاه والمحارب لأعدائه والموالي على طاعته والناهي عن معصيته، خليفة رسول الله وأمر المؤمنين والإمام الهادي وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بأمر الله.

أقول وما يبذل القول لدي بأمر ربّي، أقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه والعن من أنكره واغضب على من جحد حقّه، اللهم إنك أنزلت عليّ أن الإمامة بعدي لعليّ وليك عند تبياني ذلك ونصبي إياه بما أكملت لعبادك من دينهم وأتممت عليهم بنعمتك ورضيت لهم الإسلام ديناً، فقلت: «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً أني قد بلغت.

معاشر الناس إنما أكمل الله عز وجل دينكم بإمامته، فمن لم يأت به ويمن يقوم مقامه من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة والعرض على الله عز وجل فأولئك الذين حبطت أعمالهم وفي النار هم فيها خالدون، لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون.

معاشر الناس هذا علي أنصركم لي وأحقكم بي وأقر بكم إلي وأعزكم عليّ والله عز وجل وأنا عنه راضيان، وما نزلت آية رضى إلا فيه، وما خاطب الله الذين آمنوا إلا بدأ به، ولا نزلت آية مدح في القرآن إلا فيه، ولا شهد بالجنة في هل أتى على الإنسان إلا له، ولا أنزلها في سواه ولا مدح بها غيره.

معاشر الناس هو ناصر دين الله والمجادل عن رسول الله، وهو التقي النقي الهادي المهدي، نبيكم خير نبي ووصيكم خير وصي وبنوه خير الأوصياء.

معاشر الناس ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من صلب علي.

معاشر الناس إن إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد، فلا تحسدوه فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم، فإن آدم أهبط إلى الأرض لخطيئة واحدة وهو صفوة الله عز وجل وكيف بكم وأنتم أنتم ومنكم أعداء الله، إنه لا يبغض علياً إلا شقي ولا يتوالى علياً إلا تقي ولا يؤمن به إلا مؤمن مخلص، وفي عليّ والله نزلت سورة والعصر: «بسم الله الرحمن الرحيم» والعصر إن الإنسان لفي خسر» إلى آخرها.

معاشر الناس قد استشهدت الله وبلغتكم رسالتي، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

معاشر الناس اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

معاشر الناس آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه من قبل أن نظمس وجوهاً فنردها على أدبارها.

معاشر الناس النور من الله عز وجل في مسلوكم ثم في عليّ ثم في النسل منه إلى القائم المهدي الذي يأخذ بحق

الله وبكل حق هولنا، لأن الله عز وجل قد جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين.

معاشر الناس انذركم أني رسول الله قد خلت من قبلي الرسل أفإن مت أو قتلت انقلبتم على أعقابكم ومن يتقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين، ألا وإن علياً هو الموصوف بالصبر والشكر ثم من بعده ولدي من صلبه.

معاشر الناس لا تمنوا على الله إسلامكم فيسخط عليكم ويصيبكم بعذاب من عنده إنه لبالمرصاد.

معاشر الناس إنه سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون.

معاشر الناس إن الله وأنا بريثان منهم.

معاشر الناس إنهم وأنصارهم وأتباعهم وأشياعهم في الدرك الأسفل من النار وليش مشوى المتكبرين، ألا إنهم أصحاب (الصحيفة) فلينظر أحدكم في صحيفته. قال: فذهب على الناس إلا شردمة منهم أمر الصحيفة.

معاشر الناس إنني أدعها إمامة ووراثة في عقي إلى يوم القيامة، وقد بلغت ما أمرت بتبليغه حجة على كل حاضر وغائب وعلى كل أحد ممن شهد أو لم يشهد ولد أو لم يولد، فليبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد إلى يوم القيامة، وسيجعلونها ملكاً واغتصايأ، ألا لعن الله الغاصبين والمغتصبين، وعندها سنفزع لكم أيها الثقلان فيرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنصرون.

معاشر الناس إن الله عز وجل لم يكن يذركم على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، وما كان الله ليطلعكم على الغيب.

معاشر الناس إنه ما من قرية إلا والله .. اكها بتكذيبها، وكذلك يهلك القرى وهي ظالمة، كما ذكر الله تعالى، وهذا علي إمامكم وإمام، وهو مواعيد الله، والله يصدق ما وعده.

معاشر الناس قد ضل قبلكم أكثر الأولين، والله لقد أهلك الأولين وهو مهلك الآخرين، قال الله تعالى: «ألم نهلك الأولين» ثم تتبعهم الآخرين * كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين».

معاشر الناس إن الله قد أمرني ونهاني، وقد أمرت علياً ونهيته، فعلم الأمر والنهي من ربّه عز وجل، فاسمعوا لأمره تسلموا، وأطيعوا تهتدوا، وانتهوا لنهيّه ترشدوا، وصيروا إلى مراده ولا تنفركم السبل عن سبيله.

معاشر الناس أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم باتباعه، ثم علي من بعدي، ثم ولدي من صلبه، أئمة يهدون إلى الحق وبه يعدلون، ثم قرأ: «الحمد لله رب العالمين» إلى آخرها وقال: في نزلت وفيهم نزلت، وهم عمّت وإياهم خصّت، أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ألا إن حزب الله هم الغالبون، ألا إن لهداه عليّ هم أهل الشفاق والنفاق، والحادون، وهم العادون، وإخوان الشياطين الذين يوحى بعضهم إلى

بعض زخرف القول غروراً.

ألا إن أولياءهم الذين ذكرهم الله في كتابه فقال عز وجل : « لا تعبدوا ما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله »^٢ إلى آخر الآية.

ألا إن أولياءهم الذين وصفهم الله عز وجل فقال : « الذين آمنوا ولم يلبسوا^٣ إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »^٤ ألا إن أولياءهم الذين وصفهم الله عز وجل فقال : « الذين يدخلون الجنة آمنين » تتلقاهم الملائكة بالتسليم أن طبتم فادخلوها خالدين^٥.

ألا إن أولياءهم الذين قال لهم الله عز وجل : « يدخلون الجنة بغير حساب »^٦ ،
ألا إن أعداءهم يصلون سعيراً^٧.

ألا إن أعداءهم الذين يسمعون لجهنم شهيقاً وهي تفور ولها زفير^٨.

ألا إن أعداءهم الذين قال الله فيهم : « كلما دخلت أمة لعنت اختها »^٩ الآية.

ألا إن أعداءهم الذين قال الله عز وجل : « كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال مبين »^{١٠}.

ألا إن أولياءهم « الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير »^{١١}.

معاشر الناس شتان ما بين السعيير والجنة ، عدونا من ذمه الله ولعنه ، وولينا من مدحه الله وأحبه .

معاشر الناس ألا وإني منذر وعلي هاد^{١٢}.

معاشر الناس إني نبي وعلي وصي .

ألا إن خاتم الأئمة منا القائم المهدي .

ألا إنه الظاهر على الدين .

(١) حاد بتضعيف الدال : خالفه ولم يطع أمره .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

(٣) أي يستروا إيمانهم بظلم ، فإن اللبس في الأصل بمعنى السر .

(٤) الانعام : ٨٢ .

(٥) هذا المضمون مأخوذ من قوله تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جازوها وقفت أبوابها قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » الزمر : ٧٣ .

(٦) مأخوذ من قوله تعالى : « فأولئك يدخلون الجنة يرفقون فيها بغير حساب » غافر : ٤٠ .

(٧) مأخوذ من قوله تعالى « فسوف يدعو ثبوراً » ويصل سعيراً » الانشقاق : ١٢ .

(٨) إشارة إلى قوله تعالى : « إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيصاً وزفيراً » الفرقان : ١٢ .

(٩) الأعراف : ٣٨ .

(١٠) المثلث : ٨ - ٩ .

(١١) غرف الماء بيده : أخذه بها ، وهذا إشارة إلى ما أخذه علي عليه السلام من علوم النبي صلى الله عليه وآله الكثيرة

التي هي كالبحر العميق الذي لم يصل الناس إلى أعماقه .

ألا إنه المنتقم من الظالمين .

ألا إنه فاتح الحصون وهادمها .

ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك .

ألا إنه مدرك بكل ثار لأوليائه الله .

ألا إنه الناصر لدين الله .

ألا إنه الغرّاف في بحر عميق .

ألا إنه يسم^١ كل ذي فضل بفضله ، وكل ذي جهل بجهله .

ألا إنه خيرة الله ومختاره .

ألا إنه وارث كل علم والمحيط به .

ألا إنه المخبر عن ربه عز وجل والمنبه بأمر إيمانه .

ألا إنه الرشيد السديد .

ألا إنه المفوض إليه .

ألا إنه قد بشر به من سلّط بين يديه .

ألا إنه الباقي حجة ولا حجة بعده ، ولا حق إلا معه ، ولا نور إلا عنده ، ألا إنه لا غالب له ولا منصور عليه .

ألا وإنه ولي الله في أرضه ، وحكمه في خلقه ، وأمينه في سره وعلايته .

معاشر الناس قد بينت لكم وأفهمتكم ، وهذا علي يفهمكم بعدي .

ألا وإني عند انقضاء خطبتي أدعوكم إلى مصافقتي^٢ على بيعته ، والإقرار به ، ثم مصافقته بعدي .

ألا وإني قد بايعت الله وعلي قد بايعني ، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عز وجل ، «فمن نكث فإنما ينكث على

نفسه»^٣ الآية .

معاشر الناس إن الحج والصفاء والمروة والعمرة من شعائر الله ، «فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن

يطوف بهما»^٤ الآية .

معاشر الناس حجوا البيت ، فما ورده أهل بيت إلا استغفوا ، ولا تخلّفوا عنه إلا افتقروا .

(١) يسم الشيء : يجعل له علامة يعرف بها .

(٢) صفق يده بالبيعة ، وصفق على يده : ضرب يده على يده ، والمصافحة : المياعة .

(٣) الفتح : ١٠ ، ونكث العهد والبيع : نقضه ونبذه .

(٤) البقرة : ١٥٨ .

معاشر الناس ما وقف بالموقف مؤمن إلا غفر الله له ما سلف من ذنبه إلى وقته ذلك ، فإذا انقضت حجته استؤنف عمله ^١ .

معاشر الناس الخجاج معاونون^٢ ونفقاتهم مخلفة ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

معاشر الناس حجوا البيت بكمال الدين والفققة ، ولا تنصرفوا عن المشاهد إلا بتوبة وإقلاع^٣ .
معاشر الناس أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كما أمركم الله عز وجل ، لئن طال عليكم الأمد فقصرتم أو نسيتم فعلي^٤ وليكم ومبين لكم ، الذي نصبه الله عز وجل بعدي ، ومن خلفه الله مني ومنه يخبركم بما تسألون عنه ، ويبين لكم ما لا تعلمون .

إلا إن الحلال والحرام أكثر من أن أحصيها وأعرّفها ، فأمر بالحلال وأنهى عن الحرام في مقام واحد ، فأمرت أن آخذ البيعة منكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله عز وجل في علي^٥ أمير المؤمنين والأئمة من بعده ، الذين هم مني ومنه أئمة قائمة منهم المهدي إلى يوم القيامة الذي يقضي بالحق .
معاشر الناس وكل حلال دللتكم عليه أو حرام نهيتكم عنه ، فإني لم أرجع عن ذلك ولم أبدل . ألا فاذكروا ذلك واحفظوه ، وتواصوا به ولا تبدلوه ، ولا تغيروه .

ألا وإني أجدد القول : ألا فاقموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واثمروا بالمعروف ، وانهاؤا عن المنكر .
ألا وإن رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أن تنتهوا إلى قولي وتبلغوه من لم يحضر وتأمروه بقبوله ، وتنهوه عن مخالفته ، فإنه أمر من الله عز وجل ومني ، ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلا مع إمام معصوم .
معاشر الناس القرآن يعرفكم أن الأئمة من بعده ولده ، وعرفتكم أنه مني وأنا منه ، حيث يقول الله في كتابه : «وجعلها كلمة باقية في عقبه»^٦ . وقلت : «لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما» .

معاشر الناس التقوى ! التقوى ! احذروا الساعة كما قال الله عز وجل : «إن زلزلة الساعة شيء عظيم»^٧ . اذكروا الممات والحساب والموازين والمحاسبة بين يدي رب العالمين والثواب والعقاب ، فمن جاء بالحسنة أثيب عليها ، ومن جاء بالسيئة فليس له في الجنان نصيب .

معاشر الناس إنكم أكثر من أن تصافقوني بكف واحدة ، وقد أمرني الله عز وجل أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعلني^٨ من إمرة المؤمنين ، ومن جاء بعده من الأئمة مني ومنه على ما أعلمتكم : أن ذريتي من صلبه ، فقولوا بأجمعكم «أنا سامعون ، مطيعون ، راضون ، منقادون لما بلغنا عن ربنا وربك في أمر علي وأمر ولده من صلبه من الأئمة ، نبايعك على ذلك بقلوبنا وأنفسنا وأبدينا ، على ذلك نحبها ونحوت ونبعث ولا نغير ولا نبدل ، ولا نشك ولا نرتاب ، ولا نرجع عن عهد ولا ننقض الميثاق ، نطيع الله ونطيعك وعلينا أمير المؤمنين وولده الأئمة الذين ذكرتهم من ذريتك من صلبه بعد الحسن والحسين اللذين قد عرفتكم مكانهما مني

(١) ومعاونون : مساعدون ، ومخلفة : معوضة .

(٢) الإقلاع : الترك ، والمراد منه هنا ترك الذنوب .

(٣) الزخرف : ٢٨ .

(٤) الحج : ١ .

ومحلها عندي ومنزلتها من ربي عز وجل فقد أديت ذلك إليكم وإنهما سيدا شباب أهل الجنة، وإنهما الإمامان بعد أبيهما علي وأنا أبوهما قبله.

وقولوا: أطينا الله بذلك وإياك وعلياً والحسن والحسين والأئمة الذين ذكرت، عهداً وميثاقاً مأخوذاً لأمير المؤمنين من قلوبنا وأنفسنا والستتنا ومصافقة أيدينا من أدركهما بيده وأقر بهما بلسانه^١ ولا نبغي بذلك بدلاً ولا نرى من أنفسنا عنه حولاً أبداً، أشهدنا الله وكفى بالله شهيداً وأنت علينا به شهيد، وكل من أطاع ممن ظهر واستتر وملائكة الله وجنوده وعبيده والله أكبر من كل شهيد.

معاشر الناس ماتقولون فإن الله يعلم كل صوت وخافية كل نفس، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإثمًا يضل عليها، ومن بايع فإثمًا يبايع الله يد الله فوق أيديهم.

معاشر الناس فاتقوا الله وبايعوا علياً أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة كلمة طيبة باقية، يهلك الله من غدر ويرحم الله من وفى، ﴿ومن نكث فإثمًا ينكث على نفسه﴾ الآية.

معاشر الناس قولوا الذي قلت لكم وسلموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» وقولوا: «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» الآية.

معاشر الناس إن فضائل علي بن أبي طالب (ع) عند الله عز وجل، وقد أنزلها في القرآن أكثر من أن أحصيتها في مقام واحد، فمن أنباكم بها وعرفها فصدقوه.

معاشر الناس من يطع الله ورسوله وعلياً والأئمة الذين ذكرتهم فقد فاز فوزاً عظيماً.

معاشر الناس السابقون السابقون إلى مبايعته وموالاته والتسليم عليه بإمرة المؤمنين، أولئك هم الفائزون في جنات النعيم.

معاشر الناس قولوا ما يرضى الله به عنكم من القول، «فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإلن يضر الله شيئاً»^٢ اللهم اغفر للمؤمنين واغضب على الكافرين والحمد لله رب العالمين.

فناداه القوم: سمعنا وأطعنا على أمر الله وأمر رسوله بقلوبنا والستتنا وأيدينا وتداكو^٣ على رسول الله وعلى عليٍّ (ع) فصافقوا بأيديهم، فكان أول من صافق رسول الله (ص) الأول والثاني والثالث والرابع والخامس وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس على طبقاتهم وقدر منازلهم، إلى أن صليت المغرب والعتمة في وقت واحد، ووصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً ورسول الله يقول كلما بايع قوم: «الحمد لله الذي فضّلنا على جميع العالمين». وصارت المصافقة سنة ورسماً، وربما يستعملها من ليس له حق فيها.

وروي عن الصادق (ع) أنه قال: لما فرغ رسول الله (ص) من هذه الخطبة رأى الناس رجلاً جميلاً بهياً طيباً

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الضمير في أدركهما وأقر بهما عائدان على العهد والميثاق، وتفدير الكلام: قولوا أطينا الله بالذي ذكرت من العهد والميثاق المأخوذ من أمير المؤمنين (ع)، فمن أدرك منا العهد والميثاق في هذا الاجتماع صافق بيده، وأقر بالعهد والميثاق بلسانه.

(٣) تداكوا عليه: ازدحموا عليه.

الريح فقال : نالته ما رأيت محمداً كالיום قط ، ما أشد ما يؤكد لابن عمه وإنه يعقد عقداً لا يحله إلا كافر بالله العظيم ورسوله ، ويل طويل لمن حل عقده .

قال : والتفت إليه عمر بن الخطاب حين سمع كلامه فأعجبته هيأته ، ثم التفت إلى النبي (ص) وقال : أما سمعت ما قال هذا الرجل ، قال كذا وكذا؟ فقال النبي (ص) يا عمر أتدري من ذلك الرجل؟ قال : لا . قال : ذلك الروح الأمين جبرئيل ، فيأيك أن تحله ، فإنك إن فعلت قاله ورسوله وملائكته والمؤمنون منك براء .

ذكر تعيين الأئمة الطاهرة بعد النبي (ص) واحتجاج الله تعالى بمكانهم على كافة الخلق .
 روى أبو بصير عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال : قال أبي محمد بن علي الجابر بن عبد الله الأنصاري : إن لي إليك حاجة متى يخف عليك أن أخلو بك فاسألك عنها ؟ قال له جابر : في أي الأحوال أحببت ، فخلا به أبي في بعض الأوقات وقال له :

يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيت في يد أمي فاطمة وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب .

فقال جابر : أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة صلوات الله عليها في حياة رسول الله (ص) فهنيئها بولادة الحسين عليه السلام ورأيت في يدها لوحاً أخضر فظننت أنه من زمرد ، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه نور الشمس ، فقلت لها : يا أمي وأبي أنت يا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟
 فقالت (ع) : هذا اللوح أهده الله تعالى إلى رسول الله (ص) فيه إسم أبي واسم بعلي واسم ابني وأسماء الأوصياء من ولدي ، فأعطانيه أبي ليسرني بذلك . قال جابر : فأعطتني أمك عليها السلام فقرأته واستنسخته .

قال له أبي : فهل لك يا جابر أن تعرضه علي؟ قال : نعم ، فمشى معه أبي حتى انتهى إلى منزل جابر وأخرج إلى أبي صحيفة من رق وقال : يا جابر أنظر في كتابك لأقرأ عليك ، فنظر جابر في نسخته وقرأ أبي فما خالف حرف حرفاً . قال جابر : فأشهد بالله أنني هكذا رأيت في اللوح مكتوباً :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب من الله العزيز العليم لمحمد نبيه ورسوله ونوره وسفيره وحجابه ودليله ، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين .

عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي ولا تحجد آلائي ، فإنني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين ومذل الظالمين وديان يوم الدين ، لا إله إلا أنا من رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذبته عذاباً لا أعدبه أحد من العالمين ، فإنني فاعبدوا علي فتوكل ، إنني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً ، وإنني فضلتك على الأنبياء وفضلت وصيكتك على الأوصياء ، وأكرمتك بشيبيك بعده وسبطيك الحسن والحسين فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه ، وجعلت حسيناً خازن علمي وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة ، وهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة ، وجعلت كلمتي التامة معه وحجتي البالغة عنده ،

بعتريته أئيب وأعاقب:

أولهم عليّ سيد العابدين وزين أوليائي الماضين، وابنه شبيه جده المحمود محمد الباقر لعلمي والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر الصادق الراد عليه كالراد عليّ، حق القول مني لأكرم من مثوى جعفر ولأسرته في أشياعه وأنصاره وأوليائه، وانتجت بعده موسى، واتيح بعده فتنة عمياء حندس^١ إلا أن خيط فرضي لا ينقطع وحجتي لا تخفى وإن أوليائي لا يشقون.

ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ومن غير آية من كتابي فقد افترى عليّ، ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة عبيدي موسى وحبيبي وخيرتي.

ألا إن المكذّب بالثامن مكذّب بكل أوليائي عليّ وليي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوة وأمنحه بالإضطلاع بها يقتله عفرية مستكبر، يدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي، حق القول مني لأقرن عيني بمحمد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه، وهو معدن علمي وموضع سري وحجتي على خلقي، لا يؤمن به عبد إلا جعلت الجنة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجب النار. وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي، اخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن العسكري.

ثم أكمل ديني بابنه محمد رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب، سيد أوليائي سيدل أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدعائهم ويفشو الويل والرنة في نساءهم، أولئك أوليائي حقاً بهم أذفع كل فتنة عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل وأرفع الأصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.

قال عبد الرحمن بن سالم^٢: قال أبو بصير^٣: لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث لكفاك، فصنة إلا عن أهله. وعن علي بن أبي حمزة^٤ عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله (ص): حدثني جبرئيل عن رب العزة جل جلاله أنه قال: من علم أن لا إله إلا أنا وحدي وأن محمداً عبدي ورسولي وأن علي بن أبي طالب عليه السلام وليي وخليفتي وأن الأئمة من ولده حججتي أدخلته الجنة برحمتي، ونجيت من النار بعفوي، وأبحث له جوارِي، فأوجبت له كرامتي، وأتممت عليه نعمتي وجعلته من خاصتي وخالصتي. إن ناداني لبيته وإن دعاني أجبت وإن سألتني أعطيت وإن سكت ابتدأته، وإن أساء رحمتي، وإن فرمتني

(١) الحندس: الليل المظلم، والظلمة الشديدة.

(٢) عبد الرحمن بن سالم بن عبد الرحمن الأشل الكوفي العطار، وكان سالم يباع المصاحف، وعبد الرحمن بن سالم أخو عبد الحميد بن سالم له كتاب رجال النجاشي ص ١٧٧.

(٣) أبو بصير يحيى بن القسم الأسدي، مما أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه وعن جماعة آخرين مذكورين في كتب التراجم وانقادوا اليهم بالفقه، توفي سنة ١٥٠ بعد أبي عبد الله الصادق عليه السلام الكني والألقاب ١٧/١.

(٤) علي بن أبي حمزة مولى الأنصار الكوفي، روى عن أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن موسى عليهما السلام، وصنف كتاباً عدة منها كتاب جامع في أبواب الفقه. رجال النجاشي ص ١٨٨.

دعوته، وإن رجع إلي قبلته، وإن قرع بابي فتحت.

ومن لم يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن محمدًا عبدي ورسولي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن علي بن أبي طالب خليفتي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن الأئمة من ولده حججتي فقد جحد نعمتي وصغر عظمي وكفر بآياتي وكتبي، إن قصدني حجبتة وإن سألني حرمتة، وإن ناداني لم أسمع نداءه، وإن دعاني لم أستمجبه دعاءه، وإن رجاني خيبتة، وذلك جزاؤه مني وما أنا بظلام للعبيد.

فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله ومن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب؟ فقال: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم زين العابدين في زمانه علي بن الحسين، ثم الباقر محمد ابن علي، وستدركه يا جابر فإذا أدركته فأقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم التقي الجواد محمد بن علي، ثم النقي علي بن محمد، ثم الزكي الحسن بن علي، ثم ابنه القائم بالحق مهدي أمي محمد بن الحسن صاحب الزمان - صلوات الله عليهم أجمعين - الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي، من أطاعهم فقد أطاعني ومن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله عز وجل السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها.

وروي عن النبي (ص) أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي لا يحبك إلا من طابت ولادته، ولا يبغضك إلا من خبثت ولادته، ولا يواليك إلا مؤمن ولا يعاديك إلا كافر.

فقام إليه عبد الله بن مسعود فقال: يا رسول الله فقد عرفنا علامة خبث الولادة والكافر في حياتك ببغض علي وعداوته، فما علامة خبث الولادة والكافر بعدك إذا أظهر الإسلام بلسانه وأخفى مكنون سريره؟

فقال رسول الله (ص): يا ابن مسعود إن علي بن أبي طالب عليه السلام إمامكم بعدي وخليفتي عليكم، فإذا مضى فالحسن والحسين إبنائي إماماكم بعده وخليفتي عليكم، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد أئمتكم وخلفائي عليكم، تاسعهم قائم أمي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، لا يحبهم إلا من طابت ولادته ولا يبغضهم إلا من خبثت ولادته ولا يواليهم إلا مؤمن ولا يعاديه إلا كافر من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، ومن أنكرني فقد أنكر الله عز وجل ومن جحد واحداً منهم فقد جحدني ومن جحدني فقد جحد الله عز وجل، لأن طاعتهم طاعتي وطاعتي طاعة الله ومعصيتهم معصيتي ومعصيتي معصية الله.

يا ابن مسعود إياك أن تجد في نفسك حرجاً مما أقضي فتكفر، فوعزة ربي ما أنا متكلف ولا أنا ناطق عن الهوى في علي والأئمة عليهم السلام من ولده.

ثم قال (ص) وهو رافع يديه إلى السماء: اللهم وال من والي خلفائي وأئمة أمي من بعدي وعاد من عاداهم، وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، ولا تحل الأرض من قائم منهم بحجتك إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لثلا يطل دينك وحجتك وبيناتك.

ثم قال (ص) : يا ابن مسعود قد جمعت لكم في مقامي هذا ما إن فارقتموه هلكتم وإن تمسكتكم به نجوتكم . والسلام على من اتبع الهدى .

والأخبار في هذا المعنى متواترة لا تحصى كثرة ذكرنا طرفاً منها جلاء اللأبصار وشفاء ألماً في الصدور وهدى لقوم ينصفون .

وذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله (ص) من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة من قبل من استحقها ومن لم يستحق ، والإشارة إلى شيء من إنكار من أنكر على من تأمر على علي بن أبي طالب (ع) تأمره وكيد من كاده من قبل ومن بعده .

عن أبي الفضل محمد بن عبد الله الشيباني ^١ بإسناده الصحيح عن رجال ثقة أن النبي (ص) خرج في مرضه الذي توفي فيه إلى الصلاة متوكئاً على الفضل بن عباس وغلّام له يقال له ثوبان ، وهي الصلاة التي أراد التخلف عنها لثقله ثم حمل على نفسه وخرج ، فلما صلى عاد إلى منزله فقال لغلّامه : اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأنصار وتجلّاه الغشي وجاءت الأنصار فأخذوا بالباب وقالوا : استأذن لنا على رسول الله (ص) . فقال : هو مغشي عليه وعنده نسأوه ، فجعلوا يبكون فسمع رسول الله (ص) البكاء فقال :

من هؤلاء ؟ قالوا : الأنصار . فقال : من هاهنا من أهل بيتي ؟ قالوا : علي والعباس ، فدعاهما وخرج متوكئاً عليهما فاستند إلى جذع من أساطين مسجد موكان الجذع جريد نخل - فاجتمع الناس وخطب فقال في كلامه : « معاشر الناس » إنه لم يمت نبي قط إلا خلف تركة ، وقد خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي ، ألا فمن ضيعهم ضيعه الله ، ألا وإن الأنصار كرشي وعييتي ^٢ التي آوي إليها ، وإنّي أوصيكم بتقوى الله والإحسان إليهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم .

ثم دعا أسامة بن زيد فقال سر على بركة الله والنصر والعافية حيث أمرتك بمن أمرتك عليه وكان صلّى الله عليه وآله قد أمره على جماعة من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين الأولين وأمره أن يغير على مؤتة ^٣ واد في فلسطين فقال له أسامة : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أتأذن لي في المقام أياماً حتى يشفيك الله ، فلنّني متى خرجت وأنت على هذه الحالة خرجت وفي قلبي منك قرحة فقال : انفذ يا أسامة لما أمرتك فإن القعود عن الجهاد لا يجب في حال من الأحوال .

قال : فبلغ رسول الله (ص) أن الناس طعنوا في عمله ، فقال رسول الله (ص) : بلغني أنكم طعتم في عمل أسامة وفي عمل أبيه من قبل ، وأيم الله إنه لخليق للإمارة وإن أباه كان خليقاً لها ، وإنه وأباه من أحب الناس إليّ فأوصيكم به خيراً ، فلئن قلتم في إمارته لقد قال قائلكم في إمارة أبيه .

(١) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن يهلول الشيباني كان سافر في طلب الحديث عمره ، أصله كوفي ، كان في أول عمره ثبناً ثم خلط منتهى . المقال ص ٢٨٠ .

(٢) الكرش : الجماعة من الناس ، وعيال الرجل ، وصغار أولاده والعبية ما يجعل فيه الثياب ، وعية الرجل : موضع سره .

(٣) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ، وقيل إنها من مشارف الشام على النهر عشر ميلاً من أذرح بها قبر

جعفر بن أبي طالب وزيد بن أبي حارثة وعبد الله بن ربيعة على كل قبر منها بناء منفرد . مرصداً الاطلاع ٣ - ١٣٣٠ .

ثم دخل رسول الله (ص) بيته ، وخرج اسامة من يومه حتى عسكر على رأس فرسخ من المدينة ، ونادى منادي رسول الله (ص) : أن لا يتخلف عن اسامة أحد ممن أثمرته عليه ، فلحق الناس به ، وكان أول من سارع إليه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فنزلوا في رفاق^(١) واحد مع جملة أهل العسكر .

قال : وثقل رسول الله (ص) ، فجعل الناس ممن لم يكن في بعث اسامة يدخلون عليه أرسالا^٢ وسعد بن عباد يومئذ شاك^٣ وكان لا يدخل أحد من الأنصار على النبي (ص) الا انصرف إلى سعد يعودوه .

قال : وقبض رسول الله (ص) وقت الضحى من يوم الإثنين بعد خروج اسامة إلى معسكره بيومين ، فرجع أهل العسكر والمدينة قد رجفت بأهلها ،

فأقبل أبو بكر على ناقة حتى وقف على باب المسجد فقال : أيها الناس مالكم تموجون^(٤) إن كان محمد قد مات فرب محمد لم يميت^٥ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا^(٥) .

قال ثم اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد وجاءوا به إلى سقيفة بني ساعدة^٦ فلما سمع بذلك عمر أخبر بذلك أبا بكر فمضيا مسرعين إلى السقيفة ومعهما أبو عبيدة بن الجراح ، وفي السقيفة خلق كثير من الأنصار وسعد بن عباد بينهم مريض فتنازعوا الأمر بينهم قال الأمر إلى أن قال أبو بكر في آخر كلامه للأنصار : إنما ادعوكم إلى أبي عبيدة بن الجراح أو عمر وكلاهما قد رضى هذا الأمر وكلاهما أراهما له أهلا . فقال عمر وأبو عبيدة : ما ينبغي لنا أن نتقدمك يا أبا بكر وأنت أقدمنا إسلاماً وأنت صاحب الغار وثاني اثنين فأت أحق بهذا الأمر وأولى به .

فقال الأنصار : نحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم ، فنجعل منا أميراً ومنكم أميراً ونرضى به على أنه إن هلك اخترنا آخر من الأنصار فقال أبو بكر بعد أن مدح المهاجرين : وأنتم يا معاشر الأنصار ممن لا ينكر فضلهم ولا نعمتهم العظيمة في الإسلام ، رضىكم الله أنصار الدين وكهف الرسول وجعل إليكم مهاجرته وفيكم محل أزواجه ، فليس أحد من الناس بعد المهاجرين الأولين بمنزلتكم ، فهم الأمراء وأنتم الوزراء . فقال الحباب بن المنذر الأنصاري يا معاشر الأنصار أمسكوا على أيديكم فإنما الناس في فيثكم وظلالكم ، ولن يجتري مجتر على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم . وأثنى على الأنصار ثم قال : فإن أبي هؤلاء تأميركم عليهم فلننا نرضى بتأميرهم علينا ولا نفنع بدون أن يكون منا أمير ومنهم أمير .

فقام عمر بن الخطاب فقال : هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، إنه لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع إلى توالي أمرها من كانت النبوة فيهم وألوا الأمر منهم ، ولنا بذلك على من خالفنا الحجة الظاهرة والسلطان البين ، فما ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو

(١) الرفاق : الصحراء الأرض المستوية اللينة التراب تحته صلابه ، وقيل التي نضب عنها الماء ، وقيل اللينة المتسعة .

(٢) أي : قطائع مجتمعين .

(٣) أي : مريض .

(٤) تموجون : تختلف أموركم وتضطربون .

(٥) آل عمران : ١٤٤ .

(٦) سقيفة بني ساعدة : بالمدينة ، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها . مراصد الاطلاع ٢ - ٧٢١ .

متجانف بإثم^١ أو متورط في الهلكة محب للفتنة .

فقام الحباب بن المنذر ثانية فقال : يا معشر الأنصار أمسكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقال هذا الجاهل وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر وإن أبوا أن يكون منا أمير ومنهم أمير فاجلوهم عن بلادكم وتولوا هذا الأمر عليهم فأنتم والله أحق به منهم ، فقد دان بأسيا فكم قبل هذا الوقت من لم يكن يدين بغيرها وأنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب^٢ ، والله لئن أحد رد قولي لأحضر أنفه بالسيف .

قال عمر بن الخطاب : فلما كان الحباب هو الذي يجيبني لم يكن لي معه كلام فارغ ، فإنه جرت بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله (ص) فنهاني رسول الله (ص) عن مهايرته^٣ فحلفت أن لا اكلمه أبداً .

قال عمر لأبي عبيدة : تكلم . فقام أبو عبيدة بن الجراح وتكلم بكلام كثير وذكر فيه فضائل الأنصار ، وكان بشير بن سعد سيّداً من سادات الأنصار لما رأى اجتماع الأنصار على سعد بن عباد لتأثيره حسده وسعى في إفساد الأمر عليه وتكلم في ذلك ورضي بتأثير قريش وحث الناس كلهم لا سيما الأنصار على الرضا بما يفعله المهاجرون .

فقال أبو بكر : هذا عمر وأبو عبيدة شيخان من قريش فبايعوا أيهما شئتم .

فقال عمر وأبو عبيدة : ما نتولى هذا الأمر عليك امدد يدك نباعك فقال بشير بن سعد : وأنا ثالثكما .

وكان سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج ، فلما رأيت الأوس صنيع سيدها بشير وما ادعت إليه الخزرج من تأييد سعد أكبوا على أبي بكر بالبيعة وتكاثروا على ذلك وتزاحموا ، فجعلوا يطرؤن سعداً من شدة الزحمة وهو بينهم على فراشه مريض . فقال : قتلتموني . قال عمر : أقتلوا سعداً قتله الله ، فوثب قيس بن سعد فأخذ بلمحية عمر وقال : والله يا ابن صهاك الجبان في الحرب والفرار الليث في الملأ والأمن لو حركت منه شعرة ما رجعت وفي وجهك واضحة^٤

فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر مهلاً فإن الرفق أبلغ وأفضل .

فقال سعد : يا ابن صهاك - وكانت جدة عمر - الحبشية أما والله لو أن لي قوة على النهوض لسمعتها مني في سككها زثيراً أزعجك وأصحابك منها ولا لحقتكما بقوم كنتما فيهم أذناباً أذلاء تابعين غير متبوعين لقد اجترأتما .

ثم قال للخزرج : احملوني من مكان الفتنة ، فحملوه وأدخلوه منزله ، فلما كان بعد ذلك بعث إليه أبو بكر أن قد بايع الناس فبايع . فقال : لا والله حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي وأخضب منكم سنان رعي وأضربكم

(١) المدل : الذي يقيم الدليل على مدعاه ، والمدل بباطل : الذي استدل بباطل والمتجانف : المائل عن الحق .

(٢) جذيل : تصغير جذل ، وهو العود الذي ينصب للابل الجري لتحتك به وهو تصغير تعظيم ، أي : أنا من يستشفى برأيه كما تستشفى الابل الجري بالاحتكاك بهذا العود وعذيق : تصغير العذق : النخلة . والرجبة أن تعدد النخلة الكريمة بيناه من حجارة أو غشب إذا خيف عليها لوطها وكثرة حملها أن تقع ، وقد يكون ترجيب النخلة بأن يجعل حولها شوك لئلا يرقى إليها . وملخص المراد من هذا الكلام : أنني الذي يؤخذ برأيه وهو ستر وحفظ لما يخاف عليه من المكاره والأضرار .

(٣) المهايرة مأخوذة من الهتر ، وهو السقط في الكلام والخطأ فيه .

(٤) الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك .

بسيّفي ما اقلت يدي فأقاتلكم بمن تبغني من أهل بيتي وعشيرتي، ثم وأيم الله لو اجتمع الجن والإنس عليّ لما بايعتكم أيها الغاصبان حتى اعرض على ربي وأعلم ما حسابي .

فلما جاءهم كلامه قال عمر: لا بد من بيعته . فقال بشير بن سعد: إنه قد أبى ولج وليس بمبايع أويقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه الخزرج والأوس فاتركوه فليس تركه بضائر، فقبلوا قوله وتركوا سعداً، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يقضي بقضائهم، ولو وجد أعواناً لصال بهم ولقاتلهم، فلم يزل كذلك مدة ولاية أبي بكر حتى هلك أبو بكر، ثم ولي عمر وكان كذلك، فخشي سعد غائلة عمر فخرج إلى الشام فمات بحوران^(١) في ولاية عمر ولم يبايع أحداً.

وكان سبب موته أن رمي بسهم في الليل فقتله، وزعم أن الجن رموه، وقيل أيضاً أن محمد بن سلمة الأنصاري تولى ذلك بجعل جعل له عليه. وروي أنه تولى ذلك المغيرة بن شعبة وقيل خالد بن الوليد.

قال: وبايع جماعة الأنصار ومن حضر من غيرهم، وعلي بن أبي طالب مشغول بجهاز رسول الله (ص)، فلما فرغ من ذلك وصلى على النبي (ص) والناس يصلون عليه من بايع أبا بكر ومن لم يبايع جلس في المسجد، فاجتمع عليه بنو هاشم ومعهم الزبير بن العوام، واجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان وبنو زهرة إلى عبد الرحمن بن عوف، فكانوا في المسجد كلهم مجتمعين إذ أقبل أبو بكر ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقالوا: مالنا نراكم حلقاً شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار والناس، فقام عثمان وعبد الرحمن بن عوف ومن معها فبايعوا، وانصرف علي وبنو هاشم إلى منزل علي (ع) ومعهم الزبير.

قال: فذهب إليهم عمر في جماعة ممن بايع فيهم أسيد بن حصين وسلمة بن سلامة فالقروهم مجتمعين، فقالوا لهم: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس، فوثب الزبير إلى سيفه فقال عمر: عليكم بالكلب العقور فاكفونا شره، فبادر سلمة بن سلامة فانتزع السيف من يده فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره، وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم ومضوا بجماعتهم إلى أبي بكر، فلما حضر وقالوا: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس، وأيم الله لئن أبيتم ذلك لنحاكمنكم بالسيف.

فلما رأى ذلك بنو هاشم أقبل رجل فجعل يبايع حتى لم يبق ممن حضر إلا علي بن أبي طالب، فقالوا له بايع أبا بكر.

فقال علي (ع): أنا أحق بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقراية من الرسول وتأخذونه منا أهل البيت غصباً، أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله (ص) فاعطوكم المقادة وسلّموا لكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، أنا أولى برسول الله حياً وميتاً، وأنا وصيه ووزيره ومستودع سره وعلمه، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم أول من آمن به وصدقه، وأحسنكم بلاءاً في جهاد المشركين وأعرفكم بالكتاب والسنّة

(١) حوران بالفتح: كورة واسعة من أعمال دمشق في القبلّة ذات قرى كثيرة ومزارع، قصبتها بصرى، ومنها أذرعات وزرع وغيرها مراصد الاطلاع ١ - ١٣٥.

وأفقهكم في الدين وأعلمكم بعواقب الأمور، وأذربكم لساناً وأثبتكم جناناً، فعلام تنازعونا هذا الأمر؟ أنصفونا إن كنتم تحافون الله من أنفسكم، وأعرفوا لنا الأمر مثل ما عرفته لكم الأنصار، وإلا فبوءوا بالظلم والعدوان وأنتم تعلمون.

فقال عمر: يا علي أما لك بأهل بيتك اسوة؟

فقال علي (ع): سلوهم عن ذلك، فابتدر القوم الذين بايعوا من بني هاشم فقالوا: والله ما بيعتنا لكم بحجة على علي، ومعاذ الله أن نقول إنا نوازيه في الهجرة وحسن الجهاد والمحل من رسول الله (ص).

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع طوعاً أو كرها.

فقال علي عليه السلام إحلب حلباً لك شطره، اشد له اليوم ليرد عليك غداً، إذا والله لا أقبل قولك ولا أحفل بمقامك ولا اباع فقال أبو بكر: مهلاً يا أبا الحسن ما نشك فيك ولا نكرهك.

فقام أبو عبيدة إلى علي عليه السلام فقال: يا ابن عم لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك ولا علمك ولا نصرتك ولكنك حدث السن - وكان لعلي عليه السلام يومئذ ثلاث وثلاثون سنة - وأبو بكر شيخ من مشايخ قومك، وهو أحل لثقل هذا الأمر، وقد مضى الأمر بما فيه فسلم له، فإن عمرك الله يسلموا هذا الأمر إليك، ولا يختلف فيك اثنان بعد هذا إلا وأنت به خليك وله حقيق، ولا تبعث الفتنة في أو أن الفتنة فقد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا معاشر المهاجرين والأنصار الله الله لا تنسوا عهد نبيكم إليكم في أمري، ولا تخرجوا سلطان محمد من داره وقعريته إلى دوركم وقعريوتكم، ولا تدفعوا أهله عن حقه ومقامه في الناس.

فوالله معاشر الجمع إن الله قضى وحكم ونبيه أعلم وأنتم تعلمون بأنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان القاري منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله المضطلع بأمر الرعية، والله إنه لفينا لا فيكم فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً وتفسدوا قديمكم بشر من حديثكم.

فقال بشير بن سعد الأنصاري الذي وطأ الأرض لأبي بكر وقالت جماعة من الأنصار: يا أبا الحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان.

فقال علي عليه السلام: يا هؤلاء كنت أدع رسول الله مسجى لأواريه وأخرج انازع في سلطانه، والله ما خفت أحداً يسموله وينازعنا أهل البيت فيه ويستحل ما استحلتهموه، ولا علمت أن رسول الله (ص) ترك يوم غدیر خم لأحد حجة ولا لقاتل مقالا، فأنشد الله رجلاً سمع النبي يوم غدیر خم يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» أن يشهد الآن بما سمع.

قال زيد بن أرقم: فشهد اثنان عشر رجلاً بدرياً بذلك وكنت ممن سمع القول من رسول الله (ص) فكتمت الشهادة يومئذ، فدعا علي علياً فذهب بصري.

قال : وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت وخشي عمر أن يصغي الناس إلى قول علي عليه السلام ، ففسح المجلس وقال : إن الله يقلب القلوب ، ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة ، فانصرفوا يومهم ذلك .

وعن أبيان بن تغلب قال : قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله (ص) أنكر على أبي بكر فعله وجلسه مجلس رسول الله (ص)؟ قال : نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثنا عشر رجلاً ، من المهاجرين : خالد بن سعيد بن العاص ، وكان من بني أمية وسلمان الفارسي وأبوذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي ، ومن الأنصار أبو الهيثم بن التيهان ، وسهل وعثمان إبن حنيف ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وأبي بن كعب ، وأبو أيوب الأنصاري .

قال : فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم ، فقال بعضهم لبعض : والله لنا تينته ولننزله عن منبر رسول الله (ص) ، وقال آخرون منهم : والله لئن فعلتم ذلك إذا أعنتم على أنفسكم فقد قال الله عز وجل : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾^١ فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام لنستشيره ونستطلع رأيه .

فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين بأجمعهم فقالوا : يا أمير المؤمنين تركت حقاً أنت أحق به وأولى به من غيرك ، لانا سمعنا رسول الله يقول «علي مع الحق والحق مع علي يميل مع الحق كيف ما مال» ولقد هممنا أن نصير إليه فنزله عن منبر رسول الله (ص) ، فجئناك لنستشيرك ونستطلع رأيك فما تأمرنا؟

فقال أمير المؤمنين : وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا خرباً ، ولكنكم كالملح في الزاد وكالكحل في العين ، وأيم الله لو فعلتم ذلك لأتيموني شاهرين بأسيا فكم مستعدين للحرب والقتال وإذا لأتوني فقالوا لي : بايع وإلا قتلناك ، فلا بد لي من أن أدفع القوم عن نفسي ، وذلك أن رسول الله (ص) أوعز إلي قبل وفاته وقال لي : «يا أبا الحسن إن الأمة ستغدر بك من بعدي وتنقض فيك عهدي وإنك مني بمنزلة هارون من موسى وإن الأمة من بعدي كهارون ومن اتبعه والسامري ومن اتبعه» فقلت : يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان كذلك؟ فقال : «إذا وجدت أعواناً فبادر اليهم وجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً كف يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً» .

فلما توفي رسول الله (ص) اشتغلت بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه ثم آليت على نفسي يمناً أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن ، ففعلت ثم أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين فدرت على أهل بدر وأهل السابقة فناشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصرتي فيما أجابني منهم إلا أربعة رهط : سلمان ، وعمار ، وأبوذر ، والمقداد ، ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي ، فأبوا علي إلا السكوت لما علموا من وغارة صدور القوم وبغضهم لله ورسوله ولأهل بيت نبيه ، فانطلقوا بأجمعهم إلى الرجل فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم ليكون ذلك أوكد للحجة وأبلغ للعذر وأبعد هم من رسول الله (ص) إذا وردوا عليه .

فسار القوم حتى أهدقوا بمنبر رسول الله (ص) وكان يوم الجمعة ، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون

(١) البقرة : ١٩٥ .

(٢) الوعر : الحقد والضغن والعداوة والتوفد من الغيظ .

للأنصار: تقدّموا وتكلّموا! فقال الأنصار للمهاجرين: بل تكلّموا وتقدّموا أنتم! فإن الله عزّ وجلّ به أياكم في الكتاب، إذ قال الله عزّ وجلّ: ﴿لقد تاب الله على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾. قال أبان: قلت له يا ابن رسول الله إن العامة لا تقرأ كما عندك. قال: وكيف تقرأ؟ قال: قلت إنها تقرأ: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ فقال: ويلهم فأبي ذنب كان لرسول الله (ص) حتى تاب الله عليه عنه، إنما تاب الله به على أمته فأول من تكلّم به خالد بن سعيد بن العاص ثم باقي المهاجرين ثم بعدهم الأنصار.

وروي أنهم كانوا غيّباً عن وفاة رسول الله (ص) فقدّموا وقد تولّى أبو بكر وهم يومئذ أعلام مسجد رسول الله (ص)، فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: إتق الله يا أبا بكر فقد علمت أن رسول الله (ص) قال ونحن محتوشوه^١ يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النصر وقد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام يومئذ عدة من صناديد رجائهم وأولي البأس والنجدة منهم:

يا معاشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصية فاحفظوها وموعدكم أمراً فاحفظوه، ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي، ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتواظروا وتنصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم ووليكم أشراركم، ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمراتي من بعدي اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمري واجعل لهم نصيباً من مرافقتي يدركون به نور الأنبياء، اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها كعروض السماء والأرض.

فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا من يقتدى برأيه. فقال له خالد: بل أنت يا ابن الخطاب فإنك تنطق على لسان غيرك، وأيم الله لقد علمت قريش أنك من الأمها حسباً وأدناها منصباً وأجسها قدراً وأأخلمها ذكراً وأقلهم عناء عن الله ورسوله، وأنتك لجبان في الحروب بخيل بالمال لثيم العنصر، مالك في قريش من فخر ولا في الحروب من ذكر، وأنتك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين* فكان عاقبتهم أنها في النار خالد بن سعيد وذلك جزاء الظالمين^٢ فأبلس^٣ عمر وجلس خالد بن سعيد.

ثم قام سلمان الفارسي وقال: «كرديد ونكرديد» أي فعلتم ولم تفعلوا، وقد كان امتنع من البيعة قبل ذلك حتى وجىء^٤ عنقه، فقال: يا أبا بكر إني من نسند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه، وإني من تفرع إذا سئلت عما لا تعلمه، وما عذر لك في تقدّمك على من هو أعلم منك وأقرب إلى رسول الله وأعلم بتأويل كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ومن قدّمه النبي (ص) في حياته وأوصاكم به عند وفاته، فنبذتم قوله وتناسيتم وصيته وأخلفتم الوعد

(١) التوبة: ١١٧.

(٢) احتوشوه واحتشوا به: احاطوا به.

(٣) الخشر: ١٦ - ١٧.

(٤) أبلس: سكت على مضض أو خوف..

(٥) وجىء عنقه: لوي وضرب.

ونقضتم العهد وحللتهم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد حذراً من مثل ما أنتموه وتنبهاً للأمة على عظيم ما اجترمتوه من مخالفة أمره فعن قليل يصفولك الأمر وقد أثقلتك الوزر ونقلت إلى قبرك وحملت معك ما كسبت يداك، فلوراجعت الحق من قريب وتلافيت نفسك وتبت إلى الله من عظيم ما اجترمت كان ذلك أقرب إلى نجاتك يوم تفرد في حفرتك ويسلمك ذوو نصرتك، فقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا، فلم يردعك ذلك عما أنت متشبث به من هذا الأمر الذي لا عذر لك في تقلده ولا حظ للمدين ولا المسلمين في قيامك به، فالله الله في نفسك، فقد أعذر من أنذر ولا تكون كمن أدبر واستكبر.

ثم قام أبوذر الغفاري فقال: يا معشر قريش أصبتم قباحة وتركتم قرابة، والله ليرتدن جماعة من العرب ولتشكن في هذا الدين، ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان، والله لقد صارت لمن غلب، ولتطمحن إليها عين من ليس من أهلها، وليسفكن في طلبها دماء كثيرة فكان كما قال أبوذر.

ثم قال: لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله (ص) قال: الأمر بعدي لعلي ثم لابني الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي فاطرحتهم قول نبيكم وتناسبتهم ما عهد به إليكم، فأطعتم الدنيا الفانية ونسيتم الآخرة الباقية التي لا يهرم شبابها ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها ولا يموت سكانها بالحقير التافه الغاني الزائل، فكذلك الأمم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها ونكصت على أعقابها وغبرت وبدلت واختلفت، فساوَيْتموهم حذو النعل بالنعل والغاة بالقذة، وعما قليل تذوقون وبال أمركم وتحزون بما قدّمت أيديكم، وما الله بظلام للعبيد.

ثم قام المقداد بن الأسود فقال: يا أبا بكر ارجع عن ظلمك، وتب إلى ربك والزم بيتك، وابك على خطيئتك، وسلم الأمر لصاحبه الذي هو أولى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله (ص) في عنقك من بيعته، والزمك من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد وهو مولاه، ونبه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه بضمه لكما إلى علم النفاق ومعدن الشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله على نبيه (ص): ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١) فلا اختلاف بين أهل العلم أنها نزلت في عمرو، وهو كان أميراً عليكم وعلى سائر المنافقين في الوقت الذي أنفذه رسول الله (ص) في غزاة ذات السلاسل، وإن عمراً قلد كما حرس عسكره. فأين الحرس إلى الخلافة، اتق الله وبادز بالإستقالة قبل فواتها، فإن ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تركز إلى دنياك ولا تغرنك قرية^(٢) وغيرها، فعن قليل تضمحل عنك دنياك ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك، وقد علمت وتيقنت أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله فسلمه إليه بما جعله الله له فإنه أتم لسترك وأخف لوزرك، فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي وإلى الله ترجع الأمور.

ثم قام إليه بريدة الأسلمي فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا لقي الحق من الباطل، يا أبا بكر أنسيت أم تناسيت وخدعت أم خدعتك نفسك أم سؤلت لك الأباطيل، أولم تذكر ما أمرنا به رسول الله (ص) من تسمية علي عليه السلام بإمرة المؤمنين والنبي (ص) بين أظهرنا، وقوله في عدة أوقات: «هذا علي أمير المؤمنين وقاتل الفاسقين»، اتق الله وتدارك نفسك قبل أن لا تدركها وأنقذها مما يهلكها واردد الأمر إلى من هو أحق به منك،

(١) نكصت على أعقابها، رجعت القهقري.

(٢) الكوثر: ٣.

ولا تنماد في اغتصابه ، وراجع وأنت تستطيع أن تراجع ، فقد محضتكم النصيح ودللتك على طريق النجاة ، فلا تكونن ظهيراً للمجرمين .

ثم قام عمار بن ياسر فقال : يا معاشر قريش ويا معاشر المسلمين إن كنتم علمتم وإلا فاعلموا أن أهل بيت نبيكم أولى به وأحق بإرثه وأقوم بأمور الدين وآمن على المؤمنين وأحفظ لملته وأنصح لأمته ، فمروا أصحابكم فليرد الحق إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف أمركم ويظهر شتاتكم وتعظم الفتنة بكم وتختلفوا فيما بينكم ويطمع فيكم عدوكم ، فقد علمتم أن بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم ، وعلي [أقرب منكم إلى نبيكم وهو] من بينهم وليكم بعد الله ورسوله وفرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد حال عند سيد النبي (ص) أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلها غير بابه ، وإيثاره إياه بكريمته فاطمة دون سائر من خطبها إليه منكم ، وقوله (ص) : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها » وإنكم جميعاً مضطرون فيها أشكل عليكم من أمور دينكم إليه وهو مستغن عن كل أحد منكم إلى ماله من السوابق التي ليست لأفضلكم عند نفسه ، فما بالكُم تحيدون عنه وتبتزون عليه حقه وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة بشئ للظالمين بدلاً ، اعطوه ما جعله الله له ولا تتولوا عنه مدبرين ، ولا ترتدوا على أعقابكم فتقبلوا خاسرين .

ثم قام أبي بن كعب فقال : يا أبا بكر لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك ، ولا تكن أول من عصى رسول الله (ص) في وصيه وصفيه وصدف عن أمره ، أردد الحق إلى أهله تسلم ، ولا تنماد في غيك فتندم ، وبادر الإنابة يخف وزرك ، ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك ، فعن قليل تفارق ما أنت فيه وتصير إلى ربك ، فيسالك عما جنت وما ربك بظلام للعبيد .

ثم قام خزيمة بن ثابت فقال : أيها الناس أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري ؟ قالوا : بلى . قال : فاشهد أني سمعت رسول الله (ص) يقول : « أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل وهم الأئمة الذين يقتدى بهم » وقد قلت ما علمت ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال : وأنا أشهد على نبينا (ص) أنه أقام علياً - يعني في يوم غدیر خم - فقالت الأنصار : ما أقامه للخلافة ، وقال بعضهم : ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله (ص) مولاه ، وكثر الخوض في ذلك فبعثنا رجالاً منا إلى رسول الله (ص) فسألوه عن ذلك فقال : قولوا لهم علي ولي المؤمنين بعدي وأنصح الناس لأمتي ، وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، إن يوم الفصل كان ميقاتاً .

ثم قام سهل بن حنيف فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي محمد وآله ثم قال : يا معاشر قريش إشهدوا علي أني أشهد على رسول الله وقد رأيته في هذا المكان - يعني الروضة - وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب (ع) وهو يقول : أيها الناس هذا علي إمامكم من بعدي ، ووصي في حياتي وبعد وفاتي ، وقاضي ديني ومنجز وعدي ، وأول من يصافحني على حوضي ، فطوبى لمن اتبعه ونصره ، والويل لمن تخلف عنه وخذله .

وقام معه أخوه عثمان بن حنيف وقال : سمعنا رسول الله (ص) يقول : أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدموهم وقدموهم فهم الولاة من بعدي ، فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله وأي أهل بيتك ؟ فقال علي والطاهرون من ولده . وقد بين (ص) فلا تكن يا أبا بكر أول كافر به ، ولا تحونوا الله والرسول وتحونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال : اتقوا عباد الله في أهل بيت نبيكم ، وارددوا إليهم حقهم الذي جعله الله لهم ، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا (ص) ومجلس بعد مجلس يقول : « أهل بيتي أنتمكم بعدي » ويومئ إلى علي ويقول : « هذا أمير البررة وقاتل الكفرة مخذول من خذله منصور من نصره » فتوبوا إلى الله من ظلمكم إياه إن الله تواب رحيم ، ولا تتولوا عنه مدبرين ولا تتولوا عنه معرضين .

قال الصادق عليه السلام : فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يجر جواباً ، ثم قال : ولئيتكم ولست بخيركم أقبلوني أقبلوني . فقال له عمر بن الخطاب : إنزل عنها يا لكع^(١) إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام ؟ والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة .

قال : فترز ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله (ص) ، فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل فقال لهم : ما جلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم ؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل ، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل ، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل ، فخرجوا شاهرين بأسيا فهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله (ص) ، فقال عمر : والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس لناخذن الذي فيه عيناه .

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال : يا ابن صهاك الحشية بأسيا فكم تهددوننا أم بجمعكم تفرعوننا ، والله إن أسيا فنا أحد من أسيا فكم وإنا لا كتر منكم وإن كنا قليلين لأن حجة الله فينا ، والله لولا أني أعلم أن طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أولى بي لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن ابلي عذري .

فقال أمير المؤمنين : إجلس يا خالد فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك سعيك ، فجلس وقام إليه سلمان الفارسي فقال : الله أكبر الله أكبر سمعت رسول الله (ص) بهاتين الأذنين وإلا صمنا يقول : « بينها أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار يريدون قتله وقتل من معه ، فلست أشك إلا وإنكم هم » فهم به عمر بن الخطاب فوثب إليه أمير المؤمنين (ع) وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض ثم قال : يا ابن صهاك

(١) اللكع : اللثيم والعبد الأحمق .

الحبشية لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدّم لأريك أينما أضعف ناصراً وأقل عدداً .
ثم التفت إلى أصحابه فقال : انصرفوا رحمكم الله ، فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل
أخوأي موسى وهارون ، إذ قال له أصحابه : ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ (١)
والله لا دخلته إلا لزيارة رسول الله (ص) أو لقضية أقضيها فإنه لا يجوز بحجة أقامها رسول الله
(ص) أن يترك الناس في حيرة .

وعن عبد الله بن عبد الرحمن قال : ثم إن عمر احتزم بأزاره وجعل يطوف بالمدينة
وينادي : ألا إن أبا بكر قد بويح له فهلموا إلى البيعة ، فبثال (٢) الناس يبايعون ، فعرف أن جماعة
في بيوت مستترون ، فكان يقصدهم في جمع كثير ويكبسهم ويحضرهم المسجد فيبايعون حتى إذا
مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل علي (ع) فطالبه بالخروج فأبى ، فدعا عمر بحطب ونار
وقال : والذي نفس عمر بيده ليخرجن أو لأحرقنه على ما فيه . فقيل له : إن فاطمة بنت رسول
الله وولد رسول الله وآثار رسول الله (ص) فيه ، وأنكر الناس ذلك من قوله .

فلما عرف انكارهم قال : ما بالكم أتروني فعلت ذلك إنما أردت التهويل ، فراسلهم علي أن
ليس إلى خروجي حيلة لأنني في جمع كتاب الله الذي قد نبذتموه وأهتكم الدنيا عنه ، وقد حلفت أن
لا أخرج من بيتي ولا أدع ردائي على عاتقي حتى أجمع القرآن .

قال : وخرجت فاطمة بنت رسول الله (ص) إليهم فوقفت خلف الباب ثم قالت : لا عهد
لي بقوم أسوأ محضراً منكم ، تركتم رسول الله (ص) جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم فيما بينكم ولم
تؤمرونا ولم تروا لنا حقاً ، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدیر خم ، والله لقد عقد له يومئذ الولاء
ليقطع منكم بذلك منها الرجاء ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيكم ، والله حسيب بيننا
وبينكم في الدنيا والآخرة .

وفي رواية سليم بن قيس الهلالي (٣) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال : أثبت علياً
(ع) وهو يغسل رسول الله (ص) ، وقد كان أوصى أن لا يغسله غير علي (ع) وأخبر أنه لا يريد
أن يقلب منه عضواً إلا قلب له ، وقد قال أمير المؤمنين (ع) لرسول الله (ص) : من يعينني على
غسلك يا رسول الله ؟ قال جبرئيل .

فلما غسله وكفنه أدخلني وأدخل أبا ذر والمقداد وفاطمة وحسناً وحسيناً (ع) فتقدم وصفنا
خلقه فصلّى عليه وعائشة في الحجرة لا تعلم قد أخذ جبرئيل ببصرها ثم أدخل عشرة من المهاجرين
وعشرة من الأنصار فيصلّون ويخرجون ، حتى لم يبق من المهاجرين والأنصار إلا صلّى عليه .

(١) المائدة : ١٤ .

(٢) انثال الناس : اتصبوا واجتمعوا .

(٣) أبو صادق سليم بن قيس الهلالي ، كان من أصحاب علي عليه السلام وكان هارباً من الحجاج لأنه طلبه ليقنتله فلجأ
إلى أبان بن عياش ، فأواه فلما حضرته الوفاة قال لأبان : « إن لك علياً حقاً وقد حضرته الوفاة يا ابن أخي . إنه كان من أمر
رسول الله كيت وكيت ، واعطاه كتاباً وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور رواه عنه أبان بن عياش الفهرست للطوسي ص ٨١ .

وقلت لعلّي (ع) حين يغسل رسول الله (ص) : إن القوم فعلوا كذا وكذا وإن أبا بكر الساعة لعلّي منبر رسول الله (ص) وما يرضى الناس أن يبايعوا له بيد واحدة إنهم ليبايعون بيديه جميعاً يميناً وشمالاً .

فقال علي (ع) : يا سلمان فهل تدري من أول من يبايعه على منبر رسول الله (ص) ؟ فقلت : لا إلا أنّي قد رأيته في ظلّة بني ساعدة حين خصمت الأنصار ، وكان أول من بايعه بشير ابن سعد ثم أبو عبيدة بن الجراح ثم عمر بن الخطاب ثم سالم مولى أبي حذيفة [ومعاذ بن جبل] .

قال : لست أسألك عن هذا ، ولكن تدري من أول من بايعه حين صعد منبر رسول الله (ص) ؟ قلت : لا ، ولكنّي رأيت شيخاً كبيراً متوكئاً على عصاه بين عينيه سجادة شديدة التشمير وهو يبكي ويقول : الحمد لله الذي لم يمتني ولم يخرجني من الدنيا حتى رأيته في هذا المكان أبسط يدك أبايك ، فبسط يده فبايعه ثم نزل فخرج من المسجد .

فقال لي علي (ع) : يا سلمان وهل تدري من هو ؟ قلت : لا ولكنّي ساءتني مقالته كأنه شامت بموت رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال علي : إنّ ذلك إبليس لعنه الله ، أخبرني رسول الله أنّ إبليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله (ص) إياي بغدير خم بأمر الله تعالى ، فأخبرهم أن يبلغ الشاهد الغائب ، فأتاه أبالسة ومردة أصحابه فقالوا : إنّ هذه أمة مرحومة معصومة وما لنا ولا لك عليهم من سبيل ، قد علموا إمامهم ومفزعهم بعد نبيهم ، فانطلق إبليس كئيباً حزيناً ، فأخبرني رسول الله (ص) أن لو قد قبض أن الناس سيبايعون أبا بكر في ظلّة بني ساعدة بعد أن تحاصمهم بحقك وحجتك ، ثم يأتون المسجد فيكون أول من يبايعه على منبري إبليس في صورة شيخ كبير مستبشر يقول كذا وكذا ، ثم تجتمع شياطينه وأبالسته فيخر ويكسع^(١) ثم يقول كذا زعمتم أن ليس لي عليهم سبيل فكيف رايتموني صنعت بهم حين تركوا أمر من أمرهم الله بطاعته وأمرهم رسوله .

فقال سلمان : فلما كان الليل حمل عليّ فاطمة على حمار وأخذ بيد ابنه الحسن والحسين ، فلم يدع أحداً من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتى منزله وذكر حقه ودعاه إلى نصرته ، فما استجاب له من جميعهم إلا أربعة وأربعون رجلاً ، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلّقين رؤوسهم معهم سلاحهم وقد بايعوه على الموت ، فأصبح ولم يوافه منهم أحد غير أربعة .

قلت لسلمان : من الأربعة ؟

قال : أنا وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام .

(١) يكسع : يضرب دبره يده أو بهدر قدمه .

ثم أتاهم من الليلة الثانية فناداهم الله فقالوا : نصحبك بكرة ، فما منهم أحد وفي غيرنا ،
ثم الليلة الثالثة فما وفي أحد غيرنا .

فلما رأى علي (ع) غدرهم وقلة وفائهم لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه ، فلم يخرج
حتى جمعه كله فكتبه على تنزيله والناسخ والمنسوخ ، فبعث إليه أبو بكر أن اخرج فبايع ، فبعث
إليه إنني مشغول فقد آليت بيمين أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أؤلف القرآن وأجمعه ،
فجمعه في ثوب وختمه ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله (ص)
فنادى (ع) بأعلى صوته : أيها الناس إنني لم أزل منذ قبض رسول الله (ص) مشغولاً بفلسه ثم
بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب ، فلم ينزل الله على نبيه آية من القرآن إلا وقد جمعتها كلها
في هذا الثوب ، وليست منه آية إلا وقد أقرأنها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمني تأويلها .
فقالوا : لا حاجة لنا به عندنا مثله .

ثم دخل بيته فقال عمر لأبي بكر : أرسل إلى علي فليبايع فإننا لسنا في شيء حتى يبايع ولو قد
بايع أمناه وغائلته . فأرسل أبو بكر رسولا أن أجب خليفة رسول الله (ص) ، فأتاه الرسول فأخبره
بذلك .

فقال علي (ع) : ما أسرع ما كذبتكم على رسول الله (ص) ، إنه ليعلم ويعلم الذين حوله أن
الله ورسوله لم يستخلفا غيري ، فذهب الرسول فأخبره بما قاله فقال : اذهب فقل أجب
أمير المؤمنين أبا بكر ، فأتاه فأخبره بذلك .

فقال علي (ع) : سبحان الله والله ما طال العهد بالنبي مني وإنه ليعلم أن هذا الاسم لا
يصلح إلا لي ، وقد أمره رسول الله (ص) سابع سبعة فسلموا علي بإمرة المؤمنين ، فاستفهمه هو
وصاحبه عمر من بين السبعة فقالا : أمر من الله ورسوله ؟ فقال لهما رسول الله (ص) : نعم حقا
من الله ورسوله إنه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وصاحب لواء الغر المحجلين ، يقعه الله يوم
القيامة على الصراط فيدخل أوليائه الجنة وأعداءه النار .

قال : فخانطلق الرسول إلى أبي بكر فأخبره بما قال ، فكفوا عنه يومئذ ، فلما كان الليل حمل
فاطمة (ع) على حمار ثم دعاهم إلى نصرته فما استجاب له رجل غيرنا أربعة ، فإننا حلقنا رؤوسنا
وبذلنا نفوسنا ونصرتنا .

وكان علي بن أبي طالب (ع) لما رأى خذلان الناس له وتركهم نصرته واجتماع كلمة الناس
مع أبي بكر وطاعتهم له وتعظيمهم له جلس في بيته ، فقال عمر لأبي بكر : ما يمنعك أن تبعث
إليه فيبايع ، فإنه لم يبق أحد إلا وقد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة معه . وكان أبو بكر أرق
الرجلين وأرفقهما وأدهما وأبعدهما غورا والآخر أفظهما وأغلظهما وأخشنها وأجفاهما .

فقال : من نرسل إليه ؟ فقال عمر أرسل إليه قنفذاً . وكان رجلاً فظاً غليظاً جافياً من

الطلاق أحد بني تيم - فأرسله وأرسل معه أعواناً ، فانطلقوا فاستأذنوا فابن علي (ع) أن يأذن له ، فرجع أصحابه فنفذوا إلى أبي بكر وعمر وهما في المسجد والناس حولهما فقالوا : لم يأذن لنا . فقال عمر : هو إن أذن لكم وإلا فادخلوا عليه بغير إذنه .

فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمة (ع) : اخرج عليكم^(١) أن تدخلوا بيتي بغير إذن ، فرجعوا وثبت قنفذ فقالوا : إن فاطمة قالت كذا وكذا فخرجت أن تدخل عليها البيت بغير إذن منها ، فغضب عمر وقال : ما لنا وللنساء . ثم أمر أناساً حوله فحملوا حطباً وحمل معهم فجعلوه حول منزله وفيه علي وفاطمة وابناهما (ع) ، ثم نادى عمر حتى أسمع علياً (ع) : والله لتخرجن ولتبايعن خليفة رسول الله أو لأضرمن عليك بيتك ناراً ، ثم رجع فقعده إلى أبي بكر وهو يخاف أن يخرج علي سيفه لما قد عرف من بأسه وشدة . ثم قال لقنفذ : إن خرج وإلا فاقنحم عليه ، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم ناراً .

فانطلق قنفذ فاقنحم هو وأصحابه بغير إذن ، وبادر علي إلى سيفه ليأخذه فسبقوه إليه فتناول بعض سيوفهم فكثروا عليه فضبطوه وألقوا في عنقه حبلأ أسود ، وحالت فاطمة (ع) بين زوجها وبينهم عند باب البيت فضربها قنفذ بالسوط على عضدها ، فبقي أثره في عضدها من ذلك مثل الدملوج^(٢) من ضرب قنفذ إياها ، فأرسل أبو بكر إلى قنفذ اضربها فأجأها إلى عضادة بيتها ، فدفعها فكسر ظلعاً من جنبها وألقت جنباً من بطنها ، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت من ذلك شهيدة صلوات الله عليها .

ثم انطلقوا بعلي (ع) ملبياً بحبل حتى انتهوا به إلى أبي بكر وعمر قائم بالسيف على رأسه وخالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وسالم والمغيرة بن شعبة واسيد بن حصين وبشير بن سعد وسائر الناس قعود حول أبي بكر عليهم السلاح وهو يقول : أما والله لو وقع سيفي بيدي لعلمتم أنكم لن تصلوا إلي ، هذا جزاء مني وبالله لا ألوم نفسي في جهد ولو كنت في أربعين رجلاً لفرقت جماعتكم ، فلعن الله قوماً بايعوني ثم خذلوني .

فانتهره عمر فقال : بايع . فقال : وإن لم أفعل ؟ قال : إذا نقتلك ذلاً وصغاراً . قال : إذن تقتلون عبد الله وأخا رسول الله (ص) . فقال أبو بكر : أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا نقر لك به . قال (ع) : اتحدون أن رسول الله (ص) آخى بين نفسه وبين فاعادوا عليه ذلك ثلاث مرات ثم أقبل علي (ع) فقال :

يا معاشر المهاجرين والأنصار أنشدكم بالله أسمعتم رسول الله (ص) يقول يوم غدیر خم كذا وكذا ، وفي غزاة تبوك كذا وكذا ؟ فلم يدع شيئاً قاله فيه (ع) علانية للعامة إلا ذكره . فقالوا : اللهم نعم .

فلما خاف أبو بكر أن ينصروه ويمنعوه بأدرهم فقال : كل ما قلته قد سمعناه بأذاننا ووعته قلوبنا ، ولكن سمعت رسول الله (ص) يقول بعد هذا : إنا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدنيا ، وإن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة .

فقال علي (ع) : أما أحد من أصحاب رسول الله (ص) شهد هذا معك ؟ قال عمر : صدق خليفة رسول الله (ص) قد سمعنا منه هذا كما قال ، وقال أبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ ابن جبل : صدق قد سمعنا ذلك من رسول الله (ص) .

فقال لهم : لشدة ما وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي تعاقدتُم عليها في الكعبة : إن قتل الله عمداً أو أمانته أن تزووا هذا الأمر عنا أهل البيت .

فقال أبو بكر : وما علمك بذلك أطلعناك عليها ؟ قال علي يا زبير ويا سلمان وأنت يا مقداد أذكركم بالله وبالإسلام أسمعتم رسول الله (ص) يقول ذلك لي وعداً فلاناً وفلاناً حتى عد هؤلاء الخمسة قد كتبوا بينهم كتاباً وتعاهدوا وتعاقدوا على ما صنعوا ؟ قالوا : اللهم نعم قد سمعناه يقول ذلك لك ، فقلت له بأبي أنت وأمي يا نبي الله فيما تأمرني أن أفعل إذا كان ذلك ؟ فقال لك : إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم ونازلهم ، وإن لم تجد أعواناً فبايعهم واحقن دمك .

فقال علي (ع) : أما والله لو أن أولئك الأربعين رجلاً الذين بايعوني ووفوا لجاهدتكم في الله والله ، أما والله لا ينالها أحد من عقبكم إلى يوم القيامة .

ثم نادى قبل أن يبايع : « يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني »^١ ثم تناول يد أبي بكر فبايعه ، فقبل للزبير بايع الآن ، فأبى فوثب عليه عمر وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة في أناس فانتزعوا سيفه من يده فضربوا به الأرض حتى كسر ، فقال الزبير وعمر على صدره : يا ابن صهاك أما والله لو أن سيفي في يدي لحدت عني ، ثم بايع .

قال سلمان : ثم أخذوني فوجؤوا عنقي حتى تركوها مثل السلعة^٢ ثم فتلوا يدي ، فبايعت مكرهاً ، ثم بايع أبو ذر والمقداد مكرهين ، وما من الأمة أحد بايع مكرهاً غير علي وأربعتنا .

ولم يكن أحد منا أشد قولاً من الزبير ، فلما بايع قال : يا ابن صهاك أما والله لولا هؤلاء الطلقاء الذين أعانوك ما كنت لتقدم عليّ ومعني السيف لما قد علمت من جنبك ولؤمك ، ولكنك وجدت من تقوى بهم وتصول بهم ، فغضب عمر فقال : أتذكر صهاك ؟ فقال الزبير : ومن صهاك وما يمنعني من ذلك ، وإنما كانت صهاك أمة حبشية لجدي عبد المطلب فزى بها نفيل

فولدت أباك الخطاب فوهبها عبد المطلب له بعدما ولدته ، فإنه لعبد جدي فولد زنا ، فأصلح بينها أبو بكر وكف كل منها عن صاحبه .

فقال سليم : فقلت يا سلمان بايعت أبا بكر ولم تقل شيئاً ؟ قال : قد قلت بعد ما بايعت : نبأ لكم سائر الدهر ، أوتدرون ماذا صنعتم بأناسكم ، أصبتم وأخطأتم ، أصبتم سنة الأولين ، وأخطأتم سنة نبيكم حتى أخرجتموها من معدنها وأهلها . فقال لي عمر : أما إذا بايع صاحبك وبايعت فقل ما بدا لك وليقل ما بدا له .

قال : قلت فإنني أشهد أنني سمعت رسول الله (ص) يقول : إن عليك وعلى صاحبك الذي بايعته مثل ذنوب امته إلى يوم القيامة ومثل عذابهم . وقال : قل ما شئت أليس قد بايع ولم يقر الله عينيك بأن يليها صاحبك . قال : قلت فإنني أشهد أنني قرأت في بعض كتب الله المنزلة آية باسمك ونسبك وصفتك باب من أبواب جهنم . قال : قل ما شئت أليس قد عزلها الله عن أهل البيت الذين قد اتخذتموهم أرباباً .

قال : قلت : فاشهد أنني سمعت رسول الله (ص) يقول وقد سألته عن هذه الآية : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ ﴾^(١) فقال : إنك أنت هو . فقال عمر : اسكت . قال : قلت أسكت الله نامتك^(٢) أيها العبد يا ابن اللخناء^(٣) . فقال لي علي (ع) : اسكت يا سلمان ، فسكت فوالله لولا أنه أمرني بالسكوت لأخبرته بكل شيء نزل فيه وفي صاحبه ، فلما رأى ذلك عمر أنه قد سكت قال : إنك له مطيع مسلم وإذا لم يقل أبو ذر والمقداد شيئاً كما قال سلمان .

قال عمر : يا سلمان ألا تكف عنا كما كف صاحبك ، فوالله ما أنت بأشد حباً لأهل هذا البيت منها ولا أشد تعظيماً لهم ولحقهم ، فقد كفّا كما ترى وبايعا . فقال أبو ذر : أفتعيرنا يا عمر بحب آل محمد وتعظيمهم ، لعن الله من أبغضهم وابتر عليهم وظلمهم حقهم وحمل الناس على رقابهم ورد الناس على أديبارهم القهقري وقد فعل ذلك بهم .

فقال عمر : آمين فلعن الله من ظلمهم حقهم ، لا والله ما لهم فيها حق وما هم وعرض الناس في هذا الأمر إلا سواء . قال أبو ذر : فلم خاصمتهم بحقهم وحجتهم ؟ فقال علي (ع) : يا ابن صهاك فليس لنا حق وهو لك ولا ابن آكلة الذباب .

فقال عمر : كف الآن يا أبا الحسن إذا بايعت ، فإن العامة رضوا بصحابتي ولم يرضوا بك فما ذنبي . قال علي (ع) : لكن الله ورسوله لم يرضيا إلا بي فأبشر أنت وصاحبك ومن اتبعكما

(١) الفجر : ٢٥ - ٢٦ .

(٢) النامة : الصوت ، يقال نامت الله نامته ، أي نعمته وصوته .

(٣) اللخناء : المرأة المنتنة الفرج .

وآزرهما بسخط من الله وغذابه وخزيه ، ويلك يا ابن الخطاب أوتدري مما خرجت وفيه دخلت وماذا جنيت على نفسك وعلى صاحبك ، فقال أبو بكر : يا عمر أما إذا بايع وأمنّا شره وفتكه وغائلته فدعه يقول ما شاء .

فقال علي (ع) : لست بقائل غير شيء واحد ، أذكركم بالله أيها الأربعة - يعنيني والزبير وأبا ذر والمقداد - أسمعتم رسول الله يقول : إن تابوتا من نار فيه اثنا عشر رجلاً ستة من الأولين وستة من الآخرين في جب في قعر جهنم في تابوت مقفل على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعّر نار جهنم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجب فاستعادت جهنم من وهج ذلك الجب فسألتها عنهم وأنتم شهود ، فقال (ص) : أما الأولون فابن آدم الذي قتل أخاه ، وفرعون الفراعنة ثمروء ، والذي حاج إبراهيم في ربه ، ورجلان من بني إسرائيل بدلًا كتابهم وغيرا سنتهم ، أما أحدهما فهو اليهود والآخرون نصر النصارى^(١) ، وإبليس سادسهم ، والدجال في الآخرين ، وهؤلاء الخمسة أصحاب الصحيفة الذين تعاهدوا وتعاهدوا على عداوتك يا أخي والتظاهر عليك بعدي هذا وهذا وهذا حتى عدّهم وسماهم ؟

قال سلمان : فقلنا صدقت نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله (ص) فقال عثمان : يا أبا الحسن أما عندك وعند أصحابك هؤلاء في حديث ؟ فقال : بلى قد سمعت رسول الله (ص) يلعنك ثم لم يستغفر الله لك منذ لعنك فغضب عثمان فقال : ما لي ولك أما تدعني على حالي على عهد رسول الله ولا بعده فقال الزبير : نعم فارغم الله أنفك . فقال عثمان : فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : إن الزبير يقتل مرتداً عن الإسلام . قال سلمان : فقال لي علي (ع) فيما بيني وبينه : صدق عثمان ، وذلك أنه يبايعني بعد قتل عثمان ثم ينكث بيعتي فيقتل مرتداً عن الإسلام .

قال سليم : ثم أقبل علي سلمان فقال : إن القوم ارتدوا بعد رسول الله (ص) إلا من عصمه الله بآل محمد ، إن الناس بعد رسول الله (ص) بمنزلة هارون من موسى ومن تبعه بمنزلة العجل ومن تبعه ، فعلي في سنة هارون وعتيق في سنة السامري ، وسمعت رسول الله (ص) يقول : « لتركبن امتي سنة بني إسرائيل حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع » .

وروي عن الصادق (ع) أنه قال : لما استخرج أمير المؤمنين (ع) من منزله خرجت فاطمة صلوات الله عليها خلفه فما بقيت امرأة هاشمية إلا خرجت معها حتى انتهت قريباً من القبر فقالت لهم : خلوا عن ابن عمي فوالذي بعث محمداً أبي (ص) بالحق إن لم تخلوا عنه لأنشرون شعري ولاضعن قميص رسول الله (ص) على رأسي ولاصرخن إلى الله تبارك وتعالى ، فما صالح يأكرم على الله من أبي ولا الناقة بأكرم مني ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي . قال سلمان رضي الله

(١) يعني أحدهما غير دين موسى وحرف كتابه بعده ، والآخر غير دين عيسى وحرف كتابه بعده .

عنه : كنت قريباً منها ، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله (ص) تقلعت من أسفلها حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ ، فدنوت منها فقلت : يا سيدي ومولاي إن الله تبارك وتعال بعث أباك رحمة فلا تكوي نعمة ، فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا .

وروي عن الباقر (ع) أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : اكتب إلى اسامة بن زيد يقدم عليك ، فإن في قدومه قطع الشيعة عنا . فكتب أبو بكر إليه : « من أبي بكر خليفة رسول الله (ص) إلى اسامة بن زيد . - أما بعد : فانظر إذا أتاك كتابي فاقبل إلي أنت ومن معك . فإن المسلمين قد اجتمعوا عليّ وولّوني أمرهم فلا تتخلفن فتعصي ويأتيك مني ما تكره والسلام » .

قال : فكتب اسامة إليه جواب كتابه : « من اسامة بن زيد عامل رسول الله (ص) على غزوة الشام . أما بعد : فقد أتاني منك كتاب ينقض أوله آخره ، ذكرت في أوله أنك خليفة رسول الله ، وذكرت في آخره أن المسلمين قد اجتمعوا عليك فولّوك أمرهم ورضوك ، فاعلم أي ومن معي من جماعة المسلمين والمهاجرين فلا والله ما رضيناك ولا وليناك أمرنا ، وانظر أن تدفع الحق إلى أهلهم وتحلّهم وإياه فإنهم أحق به منك ، فقد علمت ما كان من قول رسول الله (ص) في عليّ يوم الغدير ، فما طال العهد فتتسى ، انظر مركزك ولا تخالف فتعصي الله ورسوله وتعصي من استخلفه رسول الله (ص) عليك وعلى صاحبك ، ولم يعزلي حتى قبض رسول الله (ص) وإنك وصاحبك رجعتما وعصيتما فأقمتهما في المدينة بغير إذن » .

فأراد أبو بكر أن يخلعها من عنقه قال : فقال له عمر : لا تفعل قميص قمصك الله لا تخلعه فتندم ولكن ألح عليه بالكتب والرسائل ومر فلاناً وفلاناً أن يكتبوا إلى اسامة أن لا يفرق جماعة المسلمين وأن يدخل معهم فيها صنعوا .

قال : فكتب إليه أبو بكر وكتب إليه الناس من المنافقين : « أن ارض بما اجتمعنا عليه وإياك أن تشتمل المسلمين فتنة من قهلك فإنهم حديثوا عهد بالكفر » .

قال : فلما وردت الكتب على اسامة انصرف بمن معه حتى دخل المدينة فلما رأى اجتماع الخلق على أبي بكر انطلق إلى عليّ بن أبي طالب (ع) فقال له : ما هذا ؟ قال له عليّ : هذا ما ترى . قال له اسامة : فهل بايعته ؟ فقال : نعم يا اسامة . فقال طائعاً أو كارهاً ؟ فقال : لا بل كارهاً قال : فانطلق اسامة فدخل على أبي بكر وقال له : السلام عليك يا خليفة المسلمين . قال : فرد عليه أبو بكر وقال : السلام عليك أيها الأمير .

وروي أن أبا قحافة كان بالطائف لما قبض رسول الله (ص) ويبيع لأبي بكر فكتب ابنه إليه كتاباً عنوانه : « من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة . أما بعد : فإن الناس قد تراضوا بي ، فلأي اليوم خليفة الله ، فلو قدمت علينا كان أقر لعينك » .

قال : فلما قرأ أبو قحافة الكتاب قال للرسول : ما منعكم من علي ؟ قال : هو حدث السن وقد أكثر القتل في قريش وغيرها وأبو بكر أسن منه . قال أبو قحافة ، إن كان الأمر في ذلك بالسن فأنا أحق من أبي بكر ، لقد ظلموا علياً حقه وقد بايع له النبي (ص) وأمرنا ببيعته .

ثم كتب إليه : « من أبي قحافة إلى ابنه أبي بكر . أما بعد : فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحق ينقض بعضه بعضاً ، مرة تقول خليفة رسول الله (ص) ومرة تقول خليفة الله ومرة تقول تراضى بي الناس ، وهو أمر ملتبس فلا تدخلن في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً ويكون عقابك منه إلى النار والندامة وملامة النفس اللوامة لدى الحساب بيوم القيامة ، فإن للامور مداخل ومخارج وأنت تعرف من هو أولى بها منك ، فراقب الله كأنك تراه ولا تدعن صاحبها ، فإن تركها اليوم أخف عليك وأسلم لك » .

وعن عامر الشعبي عن عروة بن الزبير بن العوام قال : لما قال المنافقون إن أبا بكر تقدم علياً وهو يقول أنا أولى بالمكان منه ، قام أبو بكر خطيباً فقال : صبراً على من ليس يؤول إلى دين ولا يحتجب برعاية ولا يرعوي لولاية ، أظهر الإيمان ذلة وأسر النفاق غلة ، هؤلاء عصبة الشيطان وجمع الطغيان يزعمون أني أقول إنني أفضل من علي ، وكيف أقول ذلك ومالي سابقته ولا قرابته ولا خصوصيته ، وحّد الله وأنا ملحده ، وعبدته علي قبل أن أعبدته ، ووالى الرسول وأنا عدوه ، وسبقني بساعات لو انقطعت لم ألحق شأوه ولم أقطع غباره ، وإن علي بن أبي طالب فاز والله من الله بحجة ومن الرسول بقرابة ومن الإيمان برتبة ، لو جهد الأولون والآخرون إلا النبيين لم يبلغوا درجته ولم يسلوكوا منهجه ، بذل في الله مهجته ولابن عمه مودته كاشف الكرب ودامغ الربوب وقاطع السبب إلا سبب الرشاد ، وقامع الشرك ومظهر ما تحت سويداء حبة النفاق .

حنة لهذا العالم ، الحق قبل أن يلاحق ويرز قبل أن يسابق ، جمع العلم والحلم والفهم فكان جميع الخيرات لقلبه كنوزاً لا يدخر منها مثقال ذرة إلا أنفق في بابه ، فمن ذا يؤمل أن ينال درجته وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين ولياً وللنبي وصياً وللخلافة راعياً وبالإمامة قائماً ، أفيفتر الجاهل بمقام قمته إذ أقامني وأطعته إذ أمرني ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « الحق مع علي وعلي مع الحق ، من أطاع علياً رشد ومن عصى علياً فسد ، ومن أحبه سعد ومن أبغضه شقي » .

والله لو لم يحب ابن أبي طالب إلا لأجل أنه لم يواقع الله محرماً ولا عبد من دونه صنماً ، ولحاجة الناس إليه بعد نبيهم لكان في ذلك ما يجب ، فكيف لأسباب أقلها موجب وأهونها مرغب ، للرحم الماسة بالرسول والعلم بالدقيق والجليل والرضا بالصبر الجميل والمواساة في الكثير والقليل ، وخلال لا يبلغ عدّها ولا يدرك مجدها ودّ المتمنون أن لو كانوا تراب أقدام ابن أبي طالب ، أليس هو صاحب لواء الحمد والساقى يوم النورود وجامع كل كرم وعالم كل علم والوسيلة إلى الله وإلى رسوله .

وعن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن أبي رافع قال : إنني لعند أبي بكر إذ طلع علي

والعباس يتدافعان ويختصمان في ميراث النبي (ص) ، فقال أبو بكر : يكفيكم القصير الطويل - يعني بالقصير علياً وبالطويل العباس - فقال العباس : أنا عم النبي (ص) ووارثه ، وقد حال علي بيني وبين تركته .

فقال أبو بكر : فأين كنت يا عباس حين جمع النبي (ص) بني عبد المطلب وأنت أحدهم فقال : « أَيْكُمْ يوازرنِي ويكون وصي وخليفتي في أهلي ينجز عدي ويقضي ديني » فأحجمتم عنها إلا علي ، فقال النبي (ص) : أنت كذلك .

فقال العباس : فما أقعدك في مجلسك هذا تقدّمته وتأمرت عليه ؟ قال أبو بكر : اعذروني يا بني عبد المطلب .

وروي رافع بن أبي رافع الطائي عن أبي بكر وقد صحبه في سفر قال : قلت له : يا أبا بكر علّمني شيئاً ينفعني الله به . قال : قد كنت فاعلاً ولو لم تسألني لا تشرك بالله شيئاً ، وأقم الصلاة ، وآت الزكاة ، وصم شهر رمضان ، وحج البيت واعتمر ، ولا تأمرن على اثنين من المسلمين .

قال : قلت له : أما ما أمرتني به من الإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة فأنا أفعله ، وأما الإمارة فلأني رأيت الناس لا يصيرون هذا الشرف وهذا الغنى والعز والمترلة عند رسول الله إلا بها . قال : إنك استصحتني فأجهدت نفسي لك .

فلما توفي رسول الله (ص) واستخلف أبو بكر جثته وقلت له : يا أبا بكر ألم تنهي أن أتأمر على اثنين ؟ قال : بلى قلت : فما بالك تأمرت على أمة محمد (ص) قال : اختلف الناس وخفت عليهم الضلالة ودعوني فلم أجد من ذلك بدأ .

وروي أن أبا بكر وعمر بعثا إلى خالد بن الوليد فواعدها وفارقاه على قتل علي (ع) وضمن ذلك لهما ، فسمعت ذلك الخبر أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر في خدرها ، فأرسلت خادمة لها وقالت : ترددي في دار علي وقولي له : « الملأ يأتمرون بك ليقتلوك »^(١) ففعلت الجارية وسمعاها علي (ع) فقال : « رحمها الله قولي لمولاتك فمن يقتل الناكثين والمارقين والفاستين » ؟

ووقعت المواعدة لصلاة الفجر إذ كان أخفى ، واختيرت للسدة^(٢) والشبهة [فإنهم كانوا يغلسون^(٣) بالصلاة حتى لا تعرف المرأة من الرجل] ولكن الله بالغ أمره ، وكان أبو بكر قال لخالد ابن الوليد : إذا انصرفت من صلاة الفجر فاضرب عنق علي . فصل إلى جنبه لأجل ذلك وأبو بكر في الصلاة يفكر في العواقب فندم فجلس في صلاته حتى كادت الشمس تطلع يتعقب الآراء ويخاف الفتنة ولا يأمن على نفسه . فقال قبل أن يسلم في صلاته : يا خالد لا تفعل ما أمرتك به - ثلاثاً -

(١) القصص : ٢٠ .

(٢) السدة : ظلمة فيها صوة من أول النهار وآخره .

(٣) الغلس : ظلمة آخر الليل ، يغلسون بالصلاة : يغلسون الغلس .

وفي رواية أخرى لا يفعلن خالد ما أمر به .

فالتفت علي (ع) فإذا خالد مشتمل على السيف إلى جانبه فقال : يا خالد ما الذي أمرك به ؟ قال : بقتلك يا أمير المؤمنين قال : أوكنت فاعلاً ؟ فقال : إي والله لولا أنه نهاني لوضعت في أكثرك^(١) شعراً فقال له علي (ع) : كذبت لا أم لك من يفعله أضيق حلقة است منك ، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا ما سبق به القضاء لعلمت أي الفريقين شر مكاناً وأضعف جنداً .

وفي رواية أخرى لأبي ذر رحمه الله أن أمير المؤمنين (ع) أخذ خالدًا بإصبعيه السبابة والوسطى في ذلك الوقت ، فعصره عصراً فصاح خالد صيحة منكراً ، ففرغ الناس ومهتهم أنفسهم وأحدث خالد في ثيابه وجعل يضرب برجليه الأرض ولا يتكلم . فقال أبو بكر لعمر : هذه مشورتك المنكوسة ، كأنني كنت أنظر إلى هذا وأحمد الله على سلامتنا ، وكلما دنا أحد ليخلصه من يده لحظة تنحى عنه رعباً فبعث أبو بكر وعمر إلى العباس فجاء وتشفع إليه وأقسم عليه فقال : بحق هذا القبر ومن فيه وبحق ولديه وأمهاتنا إلا تركته ، ففعل ذلك وقبل العباس بين عينيه .

١ احتجاج أمير المؤمنين (ع) على أبي بكر وعمر لما منعوا فاطمة الزهراء (ع) فذك بالكتاب والسنة .

عن حماد بن عثمان^(٢) عن أبي عبد الله (ع) قال : لما بويع أبو بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فذك^(٣) من أخرج وكيل فاطمة (ع) بنت رسول الله منها ،

(١) يريد الرأس لأنه أكثر الأعضاء شعراً .

(٢) قال العلامة الحلي في خلاصته ص ٥٦ : حماد بن عثمان بن عمرو بن خالد الفزاربي مولاهم كوفي وكان يسكن عزم فذهب إليها واخوه عبد الله ثقتان روي عن أبي عبد الله عليه السلام وروي حماد عن أبي الحسن الرضا (ع) ومات حماد في الكوفة رحمه الله سنة تسعين ومائة ذكرهما أبو العباس في كتابه .

(٣) « فذك » : قرية في الحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقبل ثلاثة وهي أرض يهودية ، كان يسكنها طائفة من اليهود حتى السنة السابعة حيث قذف الله بالرعب في قلوب أهلها فصالحوا رسول الله (ص) على النصف من فذك ، وروي أنه صالحهم عليها كلها فصارت ملكاً لرسول الله (ص) خاصة ، لأنها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ثم قدمها لابنته الزهراء (ع) وكانت بيدها في عهد أبيها وبعد وفاته (ص) وكانت وضعت عليها وكيلاً عنها فانتزعها الخليفة الأول وطردها وكيلاها ولما تولى عمر الخلافة ردها إلى ورثة رسول الله (ص) فلما ولي عثمان بن عفان أقطعها مروان بن الحكم فلما صار الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان ثلثها ، وعمر بن عثمان ثلثاً ، ويزيد ابنه ثلثها الآخر ، فلم يزالوا ينداولونها حتى خلصت لمروان بن الحكم أيام ملكه ثم صفت لعمر بن عبد العزيز بن مروان ، فلما ولي الأمر ردها لولد فاطمة (ع) ، ثم انتزعها يزيد بن عبد الملك من أولاد فاطمة وظلت في أيدي بني مروان حتى انقرضت دولتهم .

فلما تقلد الخلافة أبو العباس السفاح ردها على عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي (ع) ثم قبضها أبو جعفر المنصور في خلافته من بني الحسن ، وردها المهدي بن المنصور على الفاطميين ، ثم انتزعها موسى بن المهدي من أيديهم ، ثم ردها المأمون عليهم سنة مائتين وعشرة ولما بويع المتوكل انتزعها منهم وأقطعها عبد الله بن عمر البازيار من أهل =

فجاءت فاطمة الزهراء (ع) إلى أبي بكر ثم قالت : لَمْ تَنْعِنِي مِيرَاثِي مِنْ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ (ص) وأُخْرِجْتَ وَكِيلِي مِنْ فِذْكَ وَقَدْ جَعَلَهَا لِي رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ؟

فقال : هَاتِي عَلَى ذَلِكَ بِشُهُود ، فجاءت بِأُمِّ أَيْمَن ، فقالت له أُمُّ أَيْمَن : لَا أَشْهَدُ يَا أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَحْتِجَ عَلَيْكَ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) ، انْشُدْكَ بِاللَّهِ أَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ : «أُمُّ أَيْمَنُ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١) فقال : بَلَى قَالَتْ : « فَأَشْهَدُ : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) : « وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ »^(٢) فجعل فذكاً لها طعمة بِأَمْرِ اللَّهِ ، فجاء علي (ع) فشهد بِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَكُتِبَ لَهَا كِتَاباً وَدَفِعَ إِلَيْهَا ، فَدَخَلَ عُمَرُ فَقَالَ : مَا هَذَا الْكِتَابُ ؟ فَقَالَ : إِنَّ فَاطِمَةَ (ع)

طَبْرِسْتَان وَرَدَّهَا الْمُتَعَصِّد ، وَحَازَهَا الْمُكَتْفَى ، وَقِيلَ أَنَّ الْمُتَعَصِّدَ رَدَّهَا عَلَيْهِمْ وَكَانَ فِيهَا بَضْعَةٌ عَشْرَ نَخْلَةٍ غَرَسَهَا رَسُولُ اللَّهِ يَدَهُ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : - فِي شَرْحِ النَّهْجِ - وَقُلْتُ لِمُتَكَلِّمِي الْإِمَامِيَّةِ يَعْرِفُ بَعْلِي بِنَ تَقِيٍّ مِنْ بَلَدَةِ النَّيْلِ . وَهَلْ كَانَتْ فِذْكَ إِلَّا نَخْلًا يَسِيرًا وَعِفَارًا لَيْسَ بِذَلِكَ الْخَطِيرُ ؟ فَقَالَ لِي لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ كَانَتْ جَلِيلَةً جَدًّا وَكَانَ فِيهَا مِنَ النَّخْلِ نَحْوُ مَا بِالْكُوفَةِ الْآنَ مِنَ النَّخْلِ وَمَا قَصْدُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ بِمَنْعِ فَاطِمَةَ عَنْهَا إِلَّا أَنْ لَا يَقْوَى عَلَيَّ بِحَاصِلِهَا وَغُلَّتْهَا عَلَى الْمَنَازَعَةِ فِي الْخِلَافَةِ الْخ .

وَقَالَ أَيْضًا : وَسَأَلْتُ عَلِيَّ بْنَ الْفَارَقِيِّ مَدْرَسَ الْمَدْرَسَةِ الْعُرْبِيَّةِ بِبَغْدَادِ فَقُلْتُ لَهُ : أَكَانَتْ فَاطِمَةُ صَادِقَةً ؟ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ : فَلِمَ لَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فِذْكَ وَهِيَ عَنْدهُ صَادِقَةٌ فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ كَلَامًا لَطِيفًا مُسْتَحْسَنًا مَعَ نَامُوسِهِ وَحَرَمَتِهِ وَقَلَّةِ دَعَابَتِهِ قَالَ : لَوْ أَعْطَاهَا الْيَوْمَ فِذْكَ بِمَجْرَدِ دَعْوَاهَا لِلْجَاهِلِ إِلَيْهِ غَدًا وَادْعَتْ لَزَوْجَهَا الْخِلَافَةَ وَزَحْزَحَتْهُ عَنْ مَقَامِهِ وَلَمْ يَكُنْ يُمْكِنُهُ الْإِعْتِذَارُ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ سَجَّلَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهَا صَادِقَةٌ فِيهَا تَدْعِي . رَاجِعْ : مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ لِيَاقُوتَ الْحَمَوِيِّ ص ٣٤٢ ج ٦ ، أَعْيَانُ الشُّعْبَةِ ص ٥٩٠ ج ٢ ، فِذْكَ فِي التَّارِيخِ لِلْسَيِّدِ الصَّنَدُورِ ، فَتَوْحُ الْبُلْدَانِ لِلْبَلَاذُرِيِّ ص ٢٦ ، شَرْحُ النَّهْجِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ج ٣ .

(١) أُمُّ أَيْمَنُ : مَوْلَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَاقِصَتُهُ . اسْمُهَا : بَرَكَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ حَصَنٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ النَّعْمَانِ ، مَهَاجِرَةٌ جَلِيلَةٌ هَاجَرَتْ مِنَ الْمَجْرَتَيْنِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَإِلَى الْمَدِينَةِ ، وَشَهِدَتْ حَتْنًا وَاحِدًا وَخَيْرًا وَكَانَتْ فِي أَحَدِ تَسْقِي الْمَاءِ وَتَدَاوِي الْجُرْحَى . وَكَانَ النَّبِيُّ (ص) يَخَاطِبُهَا يَا أُمِّي وَيَقُولُ : « هِيَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي » وَكَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا يَقُولُ : « هَذِهِ بَقِيَّةُ أَهْلِ بَيْتِي » .

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب : « روت عن النبي (ص) وعن أنس بن مالك وحش بن عبد الله الصنعاني وأبو يزيد المدني » .

وكنيت بابنها أيمَن بن عبيد هو أم اسامة بن زيد بن حارثة تزوجها زيد بعد عبيد الحبشي قيل كانت لعبد الله بن عبد المطلب (ع) صارت للنبي (ص) ميراثاً وقيل إنها كانت لأمه (ص) وروي أنها كانت لاخت خديجة فوهبتها للنبي (ص) فلما تزوج من خديجة (ع) أعطها وفي الإصابة : إن النبي (ص) قال : « من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمَن » . وتوفيت في أوائل عهد عثمان وروي البخاري أنها توفيت بعد النبي بخمسة أشهر .

راجع الإصابة ص ٤١٥ ج ٤ ، تهذيب التهذيب ص ٤٥٩ ج ١٢ ، أعلام النساء ص ١٠٧ ج ١ ، طبقات ابن سعد ، البخاري قاموس الرجال أعيان الشيعة اسد الغابة ج ٥ ص ٥٦٧ .

(٢) قال الطبرسي في مجمع البيان : « وأخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزال الحسيني قراءة قال حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن الحسكاني قال حدثنا الحاكم الموالد أبو محمد قال حدثنا عبد الله عن عمر بن عثمان ببغداد شفاهاً قال : أخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك ، قال : حدثنا جعفر بن محمد الأحاسي قال حدثنا حسن بن حسين قال : حدثنا أبو معمر سعيد بن خثيم وعلي بن القاسم الكندي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهر عن فضل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزل قوله : « وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ » أعطى رسول الله (ص) فاطمة فذكاً . قال عبد الرحمن بن صالح كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فذك فكتب إليه عبد الله بهذا الحديث رواه الفضل بن مرزوق عن عطية فرد المأمون فذكاً إلى ولد فاطمة انتهى .

ادعت في فذك ، وشهدت لها أم أيمن وعلي (ع) ، فكتبت لها ، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة ، فمأ فيه ومزقه فخرجت فاطمة (ع) تبكي ، فلما كان بعد ذلك جاء علي (ع) إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال : يا أبا بكر لم تمنع فاطمة ميراثها من رسول الله (ص) ؟ وقد ملكته في حياة رسول الله (ص) ؟

فقال أبو بكر : هذا فيء للمسلمين ، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله جعله لها وإلا فلا حق لها فيه .

فقال أمير المؤمنين (ع) : يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين . قال : لا . قال : فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه ، ثم ادعيت أنا فيه من تسأل البيعة ؟ قال : إياك أسأل البيعة ، قال : فما بال فاطمة سألتها البيعة على ما في يديها ؟ وقد ملكته في حياة رسول الله (ص) وبعده ، ولم تسأل المسلمين بيعة على ما ادعوها شهوداً ، كما سألتني على ما ادعيت عليهم ؟^(١) فسكت أبو بكر (فقال عمر : يا علي دعنا من كلامك ، فإننا لا نقوى على حجبتك ، فإن أتيت بشهود عدول ، وإلا فهو فيء للمسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه .

فقال أمير المؤمنين (ع) : يا أبا بكر تقرأ كتاب الله ؟ قال : نعم . قال : أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٢) فيمن نزلت فينا أم في غيرنا ؟ قال : بل فيكم . قال : فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله (ص) بفاحشة ما كنت صانعاً بها ؟ قال كنت أقيم عليها الحد ، كما أقيمه على نساء المسلمين ، قال : إذن كنت عند الله من الكافرين ، قال : ولم ؟ قال : لأنك رددت شهادة الله لها بالطهارة ، وقبلت شهادة الناس عليها ، كما رددت حكم الله وحكم رسوله ، أن جعل لها فداً قد قبضته في حياته ، ثم قبلت شهادة أعرابي باطل على عقبيه عليها ، وأخذت منها فداً ، وزعمت أنه فيء للمسلمين ، وقد قال رسول الله (ص) : « البيعة على المدعي ، واليمين على المدعى عليه » فرددت قول رسول الله (ص) : البيعة على من ادعى ، واليمين على من ادعى عليه ، قال : قدمتم الناس وأنكروا ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : « صدق والله علي بن أبي طالب (ع) » ورجع إلى منزله .

قال : ثم دخلت فاطمة المسجد وطافت بقبر أبيها وهي تقول :

قد كان بعدك أنباء وهنبشة لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب

(١) إذ أنها عليها السلام كانت صاحبة اليد والمسلمون يمثلون دور المدعي .

(٢) روى محب الدين الطبري في ذخائر العقبى عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله (ص) قال نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ سورة الأحزاب آية : ٣٣ في بيت أم سلمة رضي الله عنها فدعى النبي (ص) فاطمة وحناً وحياً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » . قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : « أنت على مكانك وأنت على غير » .

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب^(١)
قد كان جبريل بالآيات يونسنا فغاب عنا فكل الخير محتجب
وكنت بدرأ ونوراً يستضاء به عليك ينزل من ذي العزة الكتب
تجهمتنا رجال واستخف بنا إذ غبت عنا فتحن اليوم نغتصب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت منا العيون بتهمال لها سكب

قال : فرجع أبو بكر وعمر إلى منزلها ، وبعث أبو بكر إلى عمر فدعاه ثم قال له : أما رأيت مجلس علي منا في هذا اليوم ؟ والله لئن قعد مقعداً آخر مثله ليفسد علينا أمرنا ، فما الرأي ؟ فقال عمر : الرأي أن تأمر بقتله ، قال : فمن يقتله ؟ قال « خالد بن الوليد »^(٢) .

(١) في كشف الغمة : ثم التفت إلى قبر أبيها منمثلة بقول هند ابنة اثالة :

وقد كان بعدك أبناء وهنت لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك لما غبت وانقلبوا

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي .

قال ابن حجر - في الإصابة - : « وشهد مع كفار قریش الحروب إلى غزوة الحديبية ، كما ثبت في الصحيح : أنه كان على خيل قریش طليعة ، ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر وقيل قبلها ، وروى من زعم أنه أسلم سنة خمس » .

وقال ابن الأثير - في أسد الغابة - : « ولا يصح لخالد مشهد مع رسول الله (ص) قبل فتح مكة ولما فتح رسول الله (ص) مكة بعثه إلى بني جذيمة من بني عامر بن لؤي فقتل منهم من لم يجز قتلهم فقال النبي (ص) : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » . فأرسل مالاً مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فودى القتل وأعطاهم ثمن ما أخذ منهم حتى ثمن ميلغة الكلب ، وفضل معه فضلة من المال فقسما فيهم فلما اختير رسول الله (ص) بذلك استحسنه ... » .

و (قال) فيه أيضاً : « ثم إن أبا بكر أمره بعد رسول الله (ص) على قتال المرتدين منهم مسيلمة الخثمي في الهمامة ، وله في قتالهم الأثر العظيم ، و (منهم) : مالك ابن نويرة من بني يربوع من تميم وغيرهم إلا أن الناس اختلفوا في قتل مالك بن نويرة فقيل : (إنه قتل مسلماً) لظن ظنه خالد به ، وكلام سمعه منه ، وأنكر عليه أبو قتادة وأقسم أنه لا يقاتل تحت رايته ، وأنكر عليه ذلك عمر بن الخطاب ... » .

و (قال) في أسد الغابة أيضاً - في ترجمة مالك بن نويرة - : « فلما فرغ خالد من بني أسد وغطفان ، سار إلى مالك وقدم البطاح فلم يجد به أحداً كان مالك قد فرقه ونهاهم عن الاجتماع فلما قدم خالد البطاح بث سرايله فأتى بمالك بن نويرة ونفر من قومه فاختلف السرية فيهم ، وكان فيهم أبو قتادة وكان فيمن شهد أنهم قتلوا أو أقاموا وصلوا فحبسهم في ليلة باردة ، وأمر خالد فتنادى : ادفنوا أسراكم - وهي في لغة كنانة : القتل - فقتلوهم فسمع خالد الواقعة ، فخرج وقد قتلوا ، فتزوج خالد امرأته ، فقال عمر لأبي بكر : سيف خالد فيه رهن وأكثر عليه فقال أبو بكر : تأول فإخطأ ولا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين ، وودى مالكا ، وقدم خالد على أبي بكر ، فقال له عمر : يا عدو الله قتلت امرأة مسلماً ثم تزويت على امرأته لأرجنك » .

(قال) : « وقيل : إن المسلمين لما غشوا مالكا وأصحابه ليلاً ، أخذوا السلاح فقالوا : نحن المسلمون ، فقال أصحاب مالك : ونحن المسلمون ، فقالوا لهم ، ضعوا السلاح فوضعوه وصلوا وكان خالد يعتذر في قتله ، أن مالكا قال : ما أحوال صاحبكم إلا قال كذا فقال أو ما تعدد لك صاحباً ؟ فقتله ، فقدم متمم على أبي بكر ، يطلب بدم أخيه وأن يرد عليهم سيهم فأمر أبو بكر برد السي ، وودى مالكا من بيت المال ، فهذا جميعه ذكره الطبري وغيره من الأئمة ويدل على أنه لم يرتد ... » انتهى .

وجعله أبو بكر والياً من قبله على الشام فلما ولي عمر الخلافة عزله ومات فيها بحمص في خلافة عمر . =

فبعثا إلى خالد بن الوليد فأتاهما ، فقالا : نريد أن نحملك على أمر عظيم ، قال : احملاني على ما شئتما ، ولو على قتل علي بن أبي طالب ، قالوا : فهو ذلك ، قال خالد : متى أقتله ؟ قال أبو بكر : إحضر المسجد وقم بجنبه في الصلاة ، فإذا سلّمت فقم إليه واضرب عنقه ، قال : نعم .

فسمعت أسماء بنت عميس^(١) وكانت تحت أبي بكر . فقالت - لجاريتها - : إذهبي إلى منزل علي وفاطمة (ع) ، واقريئيهما السلام ، وقولي لعلي : « إن الملائكة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إنّي لك من الناصحين » فجاءت فقال أمير المؤمنين (ع) : « قولي لها : إنّ الله يحول بينهم وبين ما يريدون » .

ثم قام وتبّها للصلاة ، وحضر المسجد ، وصلى خلف أبي بكر ، وخالد بن الوليد يصلي بجانبه ، ومعه السيف ، فلما جلس أبو بكر في التشهد ، ندم على ما قال وخاف الفتنة ، وعرف شدة علي وبأسه ، فلم يزل متفكراً لا يجسر أن يسلم ، حتى ظنّ الناس أنه قدسها .

= راجع الإصابة لابن حجر ج ١ ص ٤١٢ ، اسد الغابة لابن الأثير ج ٢ ص ٩٣ ابن أبي الحديد ج ٤ من شرح النهج (الإستيعاب) .

(١) أسماء بنت عميس الخثعمية : هي اخت خيمونة زوج النبي (ص) واخت لبابة زوج العباس بن عبد المطلب وام الفضل وعبد الله .

هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب (ع) إلى الحبشة .

ذكر ابن الأثير في (اسد الغابة) : « أنّ عمر بن الخطاب قال لها : نعم القوم لولا أننا سبقناكم إلى الهجرة ، فذكرت ذلك للنبي (ص) فقال : « بل لكم هجرتان : إلى أرض الحبشة ، وإلى المدينة انتهى » وأعقبت أسماء من جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنان (ع) ثمانية بنين وهم : عبد الله ، وعون . ومحمد الأكبر ، ومحمد الأصغر وعبد الله الأكبر ، وعبد الله الأصغر ، وحيد . وحسين .

أما (محمد الأكبر) فقتل مع عمه أمير المؤمنين (ع) بصفين .

وأما (عون) و (محمد الأصغر) فقتلا مع ابن عمهما الحسين عليه السلام يوم الطف .

أما (عبد الله الأكبر) فهو أحد أجواد بني هاشم الأربعة وهم : الحسن والحسين (ع) وعبد الله بن العباس وهو الرابع ، ولم يبايع رسول الله (ص) طفلاً غير هؤلاء الأربعة .

ولد بأرض الحبشة ، وله في الجود أخبار كثيرة حتى لقب بقطب السخاء ، حضر مع عمه صفين ، وعقد له يوم الجمل على عشرة آلاف ، وليس لجعفر عقب إلا منه .

فلما قتل جعفر بن أبي طالب (ع) تزوجها أبو بكر فأولدت له محمداً حبيب علي (ع) وربيب حجره وواله على مصر ، قتله معاوية بن أبي سفيان ، وللإمام (ع) عند قتل محمد بن أبي بكر خطبة موجودة في النهج ولما مات أبو بكر ، تزوجها أمير المؤمنين (ع) فأولدت له « يحيى » بإجماع ، واختلف في عون بن علي بن أبي طالب فقيل إنّه منها .

وروي أنّها كانت تحت حمزة بن عبد المطلب فأولدت له بتاً اسمها أمّامة .

في كشف الغمة : « عن أسماء بنت عميس قالت : أوصتني فاطمة (ع) أن لا يغسلها إلا أنا وعلي فغسلتها أنا وعلي (ع) راجع : الإصابة ج ٤ ص ٢٢٥ ، اسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٥ ، أعلام النساء ج ١ ص ٤٦ وبحث الأدب شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٤ كشف الغمة للإربلي أعيان الشيعة .

ثم التفت إلى خالد ، فقال : « يا خالد لا تفعلن ما أمرتك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

فقال أمير المؤمنين (ع) : يا خالد ما الذي أمرك به ؟ فقال : أمرني بضرب عنقك . قال : أو كنت فاعلاً ؟ قال : إي والله ، لولا أنه قال لي لا تقتله قبل التسليم لقتلتك .

قال : فأخذه علي (ع) فجلد به الأرض فاجتمع الناس عليه ، فقال عمر : يقتله ورب الكعبة ، فقال الناس : يا أبا الحسن الله الله ، بحق صاحب القبر ، فخلّى عنه ، ثم التفت إلى عمر ، فأخذ بتلابيبه وقال : يا ابن صهاك والله لولا عهد من رسول الله ، وكتاب من الله سبق ، لعلمت أينما أضعف ناصراً وأقل عدداً ، ودخل منزله .



رسالة لأmir المؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر لما بلغه عنه كلام بعد منع الزهراء (ع) فذك .

شقوا متلاطمات أمواج الفتن بحيازيم سفن النجاة ، وحطوا تيجان أهل الفخر بجميع أهل الغدر ، واستضاءوا بنور الأنوار ، واقتسموا موارث الطاهرات الأبرار ، واحتقبوا^(١) ثقل الأوزار ، بغصبهم نحلة النبي المختار ، فكأنني بكم ترددون في العمى ، كما يتردد البعير في الطاحونة . أما والله لو اذن لي بما ليس لكم به علم لحصدت رؤوسكم عن أجسادكم كحب الحصيد ، بقواضب من حديد ، ولقلعت من هاجم شجعانكم ما أقرح به آفاقكم ، وأوحش به محالكم ، فإني - مذ عرفت - : مردي العساكر ، ومفني الجحافل ، ومبيد خضرائكم ، ومحمد ضوضائكم ، وجرار الدوارين إذ أنتم في بيوتكم معتكفون ، وإني لصاحبكم بالأمس ، لعمر أبي وأمي لن نحبوا أن يكون فينا الخلافة والنبوة ، وأنتم تذكرون أحقاد بدر ، وثارات احد .

أما والله لو قلت ما سبق من الله فيكم ، لتداخلت أضلاعكم في أجوافكم كتداخل أسنان دواة الرحى ، فإن نطقتم يقولون حسداً ، وإن سكت فيقال ابن أبي طالب جزع من الموت ، هيهات هيهات !! الساعة يقال لي هذا ؟!! وأنا المميت المائت ، وخواض المنايا في جوف ليل حالك ، حامل السيفين الثقيلين ، والرمحين الطويلين ، ومنكس الرايات في غظامط الغمرات^(٢) ، ومفرج الكربات عن وجه خير البريات ، أيهنوا فوالله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل إلى محالب أمه هبلتكم الهوابل^(٣) لو بحث بما أنزل الله سبحانه في كتابه فيكم ، لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة^(٤) ولخرجتم من بيوتكم هاريين ، وعلى وجوهكم هائمين ، ولكني أهون وجدي حتى ألقى ربي ، بيد جذاء صفراء من لذاتكم ، خلوا من طحناتكم ، فما مثل دنياكم

(١) احتقبوا : حملوا على ظهورهم .

(٢) غظامط : عظيم الأمواج والغمرات جمع غمرة وهي : الشدة وغمرة الشيء ، شدته ومزدهجة .

(٣) هبلت فلاناً أمه : نكلته فهي هابل .

(٤) الارشية جمع رشاء : هو حبل الدلو ، والطوى السقاء الذي يعملون فيها الماء .

عندي إلا كمثل غيم علا فاستعلى ثم استغلظ فاستوى ، ثم تمزق فأنجلى .

رويداً فمن قليل ينجلي لكم القسطل^(١) وتجنون ثمر فعلكم مرأ ، وتحصدون غرس أيديكم ذعافاً^(٢) محمراً^(٣) وسماً قاتلاً وكفى بالله حكيماً ، وبرسول الله خصيماً ، وبالقيامة موقفاً ، فلا أبعد الله فيها سواكم ، ولا أتعمس فيها غيركم ، والسلام على من اتبع الهدى .

فلما أن قرأ أبو بكر الكتاب رعب من ذلك رعباً شديداً ، وقال : يا سبحان الله ما أجراه عليّ وأنكله عن غيري !

معاشر المهاجرين والأنصار تعلمون أنّي شاورتكم في ضياع فذك بعد رسول الله (ص) ، فقلت : إنّ الأنبياء لا يورثون ، وإنّ هذه أموال يجب أن تضاف إلى مال الفيء ، وتصرف في ثمن الكراع والسلاح ، وأبواب الجهاد ومصالح الثغور ، فأمضينا رأيكم ولم يمض من يدعيه ، وهوذا يبرق وعيداً . ويرعد تهديداً ، إيلاء بحق محمد (ص) أن يمضحها^(٤) دماً ذعافاً ، والله لقد استقلت منها فلم اقل واستعزلتها عن نفسي فلم اعزل ، كل ذلك كراهية مني لابن أبي طالب ، وهرباً من نزاعه . ما لي ولابن أبي طالب أهل نازعه أحد ففلج^(٥) عليه ؟

فقال له عمر : أبيت أن تقول إلا هكذا ؟ فانت ابن من لم يكن مقدماً في الحروب ولا سخياً في الجدوب سبحان الله ! ما أهلك^(٥) فزادك وأصغر نفسك ! قد صفت لك سجالات^(٦) لتشرها فأبيت إلا أن تظماً كظمائك ، وأنخت لك رقاب العرب ، وثبت لك الإشارة والتدبير ولولا ذلك لكان ابن أبي طالب قد صير عظامك رمياً ، فاحمد الله على ما قد وهب لك مني ، واشكره على ذلك ، فإنه من رقي منبر رسول الله (ص) كان حقيقاً عليه أن يحدث لله شكراً ، وهذا علي بن أبي طالب الصخرة الصماء التي لا يتفجر ماؤها إلا بعد كسرها ، والحية الرقشاء التي لا تحب إلا بالرقى ، والشجرة المرة التي لو طليت بالعسل لم تنبت إلا مرأ ، قتل سادات قريش فأبادهم ، وألزم آخرهم العار ففضحهم ، فطب عن نفسك نفساً ، ولا تغرنك صواعقه ، ولا يهولنك رواعده ويوارقه ، فإنّي أسد بابه قبل أن يسد بابك .

فقال له أبو بكر : ناشدتك الله يا عمر لما أن تركتني من أغاليطك وترييدك ، فوالله لو هم ابن أبي طالب يقتلي وقتلك لقتلنا بشماله دون يمينه ، وما ينجيننا منه إلا إحدى ثلاث خصال : أحدها : أنه وحيد ولا ناصر له ، والثانية : أنه يتتهج فينا وصية رسول الله (ص) ، والثالثة : أنه

(١) القسطل : الغبار الساطع في الحرب .

(٢) الذعاف : السم الذي يقتل من ساعته . والمقر : المر .

(٣) وفي نسخة يمضحها .

(٤) فلج عليه / فاز .

(٥) أهلك : ألحق عند اللقاء .

(٦) السجلات جمع سجل وهو : دلو عظيم فيه ماء .

ما من هذه القبائل أحد إلا وهو يتخضمه^(١) كتخضم الثنية الإبل أوان الربيع ، فتعلم لولا ذلك رجع الأمر إليه وإن كنا له كارهين ، أما إن هذه الدنيا أهون إليه من لقاء أحدنا للموت ، أنسيت له يوم أحد ؟ وقد فررنا بأجمعنا وصعدنا الجبل ، وقد أحاطت به ملوك القوم وصناديدهم موقنين بقتله ، لا يجد مخلصاً للخروج من أوساطهم ، فلما أن سدد عليه القوم رماحهم نكس نفسه عن دابته حتى جاوزه طعان القوم ، ثم قام قائماً في ركابه وقد طرق عن سرجه وهو يقول : « يا الله يا الله يا جبرئيل يا جبرئيل يا محمد يا محمد النجاة النجاة » ثم عمد إلى رئيس القوم فضربه ضربة على ام رأسه فبقي على فك واحد ولسان ، ثم عمد إلى صاحب الراية العظمى فضربه ضربة على جمجمته ففلقها ، وصر السيف يهوي في جسده فبراه ودابته بنصفين ، ولما أن نظر القوم إلى ذلك انجفلوا من بين يديه ، فجعل يمسحهم بسيفه مسحاً حتى تركهم جرائيم جوداً على تلعة من الأرض ، يتمرغون في حشرات المنايا ، يتجرعون كؤوس الموت ، قد اختطف أرواحهم بسيفه ، ونحن نتوقع منه أكثر من ذلك ولم تكن نضبط من أنفسنا من مخافته حتى ابتدأت منك إليه التفاتة ، وكان منه إليك ما تعلم ، ولولا أنه نزلت آية من كتاب الله لكنا من الهالكين ، وهو قوله تعالى : ﴿ ولقد عفا عنكم ﴾^(٢) .

فاترك هذا الرجل ما تركك ، ولا يغرتك قول خالد أنه يقتله ، فإنه لا يجسر على ذلك ، ولو رام لكان أول مقتول بيده ، فإنه من ولد عبد مناف ، إذا هاجوا هبوا ، وإذا غضبوا أدموا ، ولا سيما علي بن أبي طالب (ع) نابه الأكبر ، وسنامها الأطول ، وهامتها الأعظم ، والسلام على من اتبع الهدى .

« احتجاج فاطمة الزهراء (ع) على القوم لما منعوها فلك وقولها لهم عند الوفاة بالإمامة » .

روى عبد الله بن الحسن^(٣) بإسناده عن آبائه (ع) : أنه لما أجمع^(٤) أبو بكر وعمر على منع

(١) في بعض النسخ « يتخضمه كتخضم » . (٢) آل عمران / ١٢٥ .

(٣) هو عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في عمدة الطالب وإنما سمي المحض لأن أباه الحسن بن الحسن (ع) وأمه فاطمة بنت الحسين (ع) وكان يشبه برسول الله (ص) .

وكان شيخ بني هاشم في زمانه ، وقيل له : بما صرتم أفضل الناس ؟ قال : لأن الناس كلهم يمتنون أن يكونوا منا ولا نتمنى أن نكون من أحد . وقال أبو الفرج الأصفهاني - في مقاتل الطالبين - عند ذكر من قتل أيام أبي جعفر المنصور : « وكان أبو جعفر المنصور قد طلب محمداً وإبراهيم فلم يقدروا عليهما فحبس عبد الله بن الحسن وإخوته وجماعة من أهل بيته بالمدينة ثم أحضرهم إلى الكوفة فحبسهم بها ، فلما ظهر محمد قتل عدة منهم في الحبس . . . إلى أن قال :- وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) يكنى أبا محمد . . . إلى أن قال :- وقتل عبد الله بن الحسن في محبته بالهاشمية ، وهو ابن خمس وسبعين ، سنة خمس وأربعين ومائة » .

وفي معجم البلدان : والهاشمية أيضاً مدينة بناها السفاح بالكوفة إلى أن قال والهاشمية هذه حبس المنصور عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن كان معه من أهل بيته .

(٤) أجمع : أحكم النية والعزيمة .

فاطمة (ع) فذكاً وبلغها ذلك^(١) لاثت خمارها^(٢) على رأسها ، واشتملت بجلبابها^(٣) ، وأقبلت في لمة^(٤) من حفدتها ونساء قومها ، تظاً ذبولها^(٥) ، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله (ص)^(٦) حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم^(٧) ، فنيطت دونها ملاءة^(٨) ، فجلست ثم أنت أنه أجهش^(٩) القوم لها بالبكاء ، فارتج المجلس ، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم ، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ، فعاد القوم في بكائهم ، فلما أمسكوا عادت في كلامها ، فقالت عليها السلام :

الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدم ، من عموم نعم ابتداها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وقام من أولها ، جم عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمددا ، وتفاوت عن الإدراك أبددا ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصاها واستحمد إلى الخلاق بإجزاها ، وثنى بالندب إلى أمثالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الإخلاص تأويلها ، وضمن القلوب موصولها ، وأثار في التفكير معقولها ، الممتنع من الأبصار رؤيته ، ومن اللسن صفته ، ومن الأوهام كيفيته ، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها كونها بقدرته ، وذراها بمشيته ، من غير حاجة منه إلى تكوينها ، ولا فائدة له في تصويرها ، إلا تثبيتاً لحكمته ، وتنبيهاً على طاعته ، وإظهاراً لقدرته ، تعبداً لبريته وإعزازاً لدعوته ، ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ، ذيادة لعباده من نعمته ،

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : قال أبو بكر - يعني : الجوهري فحدثني محمد بن زكريا قال : حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي قال : حدثني أبي عن الحسين بن صالح بن حي قال : حدثني رجلان من بني هاشم عن زيب بنت علي بن أبي طالب (ع) .

قال : وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه .
قال أبو بكر : وحدثني عثمان بن عمران الجعفي عن نائل بن نجيع بن عمر بن شمر بن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) .

قال أبو بكر : وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد عن عبد الله بن محمد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن قالوا جميعاً لما بلغ فاطمة ... الخ .

(٢) اللوث : الطي والجمع ، ولات العمامة شدا وربطها ، ولاتت خمارها لفته والخمار - بالكسر - : المقنعة ، سميت بذلك لأن الرأس يضم بها أي يغطى .

(٣) الإشتمال بالشيء : جملة شاملاً ومحيطاً لنفسه - والجلباب : الرداء والإزار .

(٤) في لمة : أي جماعة ، وفي بعض النسخ « في مليمة » بصيغة التصغير ، أي جماعة قليلة ، والحفنة - بالتحريك - : الأعران والخدم .

(٥) أي إن أتواها كانت طويلة تستر قدميها فكانت تظاها عند المشي ، وفي بعض النسخ « نجر أذراعها » والمعنى واحد .

(٦) المحرم - بضم الحاء وسكون الراء - : الترك ، والنقص ، والعدول .

(٧) الحشد . الجماعة .

(٨) نيطت : علفت وناط الشيء : علقه ، والملاءة الإزار .

(٩) أجهش القوم : عجبوا .

وحياشته^(١) لهم إلى جنته .

وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله ، وسمّاه قبل أن اجتبه ، واصطفاه قبل أن ابتعثه ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأماويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة علماً من الله تعالى بآييل الأمور ، واحاطة بحوادث الدهور ، ومعرفة بمواقع الأمور .

ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمة على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير رحمته ، فرأى الامم فرقاً في أديانها ، عكفاً على نيرانها ، عابدة لأوثانها ، منكرة لله مع عرفانها فأنار الله بأبي محمداً (ص) ظلمها ، وكشف عن القلوب بهما^(٢) ، وجلّ عن الأبصار غمهما^(٣) ، وقام في الناس بالهداية ، فأنقذهم من الغواية ، وبصرهم من العماية ، وهداهم إلى الدين القويم ، ودعاهم إلى الطريق المستقيم .

ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار ، ورغبة وإيثار ، فمحمداً (ص) من تعب هذه الدار في راحة ، قد حفر بالملائكة الأبرار ، ورضوان الرب الغفار ، ومجاورة الملك الجبار ، صلى الله على أبي نبيه وأمينه ، وخيرته من الخلق وصفيه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت : أنتم عباد الله نصب أمره ونبيه ، وحمله دينه ووحيه ، وامناء الله على أنفسكم ، وبلغاه إلى الامم ، زعيم حق له فيكم ، وعهد قدّمه إليكم ، وبقيّة استخلفها عليكم : كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بيّنة بصائره ، منكشفة سرائره ، منجّية ظواهره ، مختبئة به أشياعه ، قائداً إلى الرضوان اتباعه ، مؤد إلى النجاة استماعه ، به تنال حجج الله المنورة وعزائمه المفسرة ، ومحارمه المحذرة ، وبيناته الجالية ، وبراهينه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه المكتوبة .

فجعل الله الإيمان : تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة : تنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاة : تزكية للنفس ، وغناء في الرزق ، والصيام : تثبيتاً للإخلاص ، والحج : تشييداً للدين ، والعدل : تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا : نظاماً للملّة ، وإمامتنا : أماناً للفرقة والجهاد : عزاً للإسلام ، والصبر : معونة على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة ، وبر الوالدين : وقاية من السخط ، وصلة الأرحام : منسأة في العمر^(٤) ومنمأة للعدد ، والقصاص : حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر : تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكائيل والموازين : تغييراً للبخل ، والنهي عن شرب الخمر : تنزيهاً عن الرجس واجتناب القذف : حجاباً عن اللعنة ، وترك السرقة : إيجاباً للعفة ، وحرم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية فاتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء .

(١) حاش الإبل : جمعها وساقها .

(٢) بهما : أي مهماتها : وهي المشكلات من الأمور .

(٣) الغم : جمع غمة وهي : المبهمة والملتبس وفي بعض النسخ (عماما)

(٤) منسأة للعمر : مؤخره .

ثم قالت : أيها الناس اعلّموا : أني فاطمة وأبي محمد (ص) أقول عوداً وبدواً ولا أقول ما أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل شططاً^(١) ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم^(٢) حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فإن تعزوه^(٣) وتعرفوه : تجدوه أبي دون نسائكم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم^(٤) ولنعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، فبلغ الرسالة صادعاً بالندارة^(٥) مائلاً عن مدرجة المشركين^(٦) ضارباً ثبجهم^(٧) آخذاً بأكظامهم^(٨) داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، يحف الأصنام^(٩) وينكت الهام ، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر ، حتى تفرى الليل عن صبحه^(١٠) وأسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقائق الشياطين^(١١) وطاح وشيظ النفاق^(١٢) وانحلت عقد الكفر والشقاق ، وفهم بكلمة الإخلاص^(١٣) في نفر من البيض الخماص^(١٤) وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب^(١٥) ونهزة الطامع^(١٦) وقبسة العجلان ، وموطىء الأقدام^(١٧) تشربون الطرق^(١٨) وتقتاتون القد^(١٩) أذلة خاسئين ، تحافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (ص) بعد اللتيا والتي ، وبعد أن مني بيبهم^(٢٠) الرجال وفؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب ، كلهم أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ، أو نجم قرن الشيطان^(٢١) أو فغرت فاعرة من المشركين^(٢٢) قذف أخاه في لهواتها^(٢٣) فلا ينكفيء

(١) الشطط - بالتحريك - وهو البعد عن الحق ومجاوزة الحد في كل شيء .

(٢) عنتم : أنكرتم وجحدتم

(٣) تعزوه : تنسبوه

(٤) سيأتي قول النبي (ص) لعلي (ع) أنت أخي وحدثت المؤاخاة مفصلاً .

(٥) صادعاً : الصدع هو الإظهار ، والندارة - بالكسر - الإنذار وهو الإعلام على وجه التخويف .

(٦) المدرجة : هي المذهب والمسلك .

(٧) ثبجهم ، الثبج - بالتحريك - : وسط الشيء ومعظمه .

(٨) أكظامهم ، الكظم - بالتحريك - : مخرج النفس من الخلق .

(٩) يحف الأصنام وفي بعض النسخ « يكسر الأصنام » وفي بعضها « يجذ » أي يكسر .

(١٠) تفرى الليل عن صبحه : أي انشق حتى ظهر وجه الصباح .

(١١) شقائق الشياطين ، الشقائق - جمع شقيقة بالكسر - وهي : شيء كالربة يخرجها البعير من فيه إذا هاج .

(١٢) طاح : هلك ، والوشيظ : السفلة والردل من الناس .

(١٣) كلمة الإخلاص : كلمة التوحيد .

(١٤) البيض الخماص : المراد بهم أهل البيت عليهم السلام .

(١٥) مذقة الشارب : شربته .

(١٦) نهزة الطامع - بالضم - : الفرصة أي محل نهزته .

(١٧) قبسة العجلان : مثل في الاستعجال ، وموطىء الأقدار : مثل مشهور في المغلوية والمذلة .

(١٨) الطرق : بالفتح ماء السماء الذي تبول به الإبل وتبعر .

(١٩) القد - يكسر القاف وتشديد الدال - : سير يقدر من جلد غير مدبوغ .

(٢٠) بهم الرجال : شجعانهم .

(٢١) نجم : ظهر ، وقرن الشيطان : امته وتابعوه .

(٢٢) فغرها : أي فتحه ، والفاعرة من المشركين الطائفة منهم .

(٢٣) قلب رمي ، واللهوات - بالتحريك ، جمع لهات - : وهي اللحمة في أقصى شفة الفم .

حتى يطا جناحها بأخصه^(١) ويحمد لها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، مشمراً ناصحاً ، مجداً كادحاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأنتم في رفاية من العيش ، وادعون^(٢) فاكهون^(٣) آمنون ، تتربصون بنا الدوائر^(٤) وتتكفون الأخبار^(٥) وتتكصون عند النزال ، وتفرون من القتال .

فلما اختار الله لنبته دار أنبيائه ، وماوى أصفياه ، ظهر فيكم حسكة النفاق^(٦) ، وسمل جلباب الدين^(٧) ونطق كاظم الغاوين^(٨) ونبيغ خامل الأقلين^(٩) وهدر فنيق المبطلين^(١٠) فخطر في عرصاتكم^(١١) وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم^(١٢) فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللعزة فيه ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحشكم فألفاكم غضاباً^(١٣) فوسمتم غير إيلكم^(١٤) ووردتم غير مشربكم^(١٥) .

هذا والعهد قريب والكلم رحيب^(١٦) والجرح لما يندمل^(١٧) والرسول لما يقبر ، ابتدأ زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ، فبهات منكم ، وكيف بكم ، وأنى تؤفكون ! وكتاب الله بين أظهركم ، أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة ، وزواجه لا يجه ، وأوامره واضحة ، وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون^(١٨) ؟ أم بغيره تحكمون ؟ بش للظالمين بدلاً ، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها^(١٩) ويسلس قيادها^(٢٠) ثم أخذتم تورون

(١) ينكفيء : يرجع ، والأخص : ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .

(٢) وادعون : ساكنون (٣) فاكهون : ناعمون .

(٤) الدوائر : صروف الزمان ، أي كنتم تنتظرون نزول البلاء علينا .

(٥) تتوقعون أخبار المصائب والفتن النازلة بنا .

(٦) في بعض النسخ «حسكة» وحسكة النفاق عداوته .

(٧) وسمل جلباب الدين ، سمل : صار خلقاً ، والجلباب : الإزار .

(٨) الكظوم : السكوت .

(٩) الخامل : من خفي ذكره وكان ساقطاً لا نباهة له .

(١٠) إهدير : تردد البعير صوته في حنجرته ، والفنيق : الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان .

(١١) يحظر البعير بذنبه : إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذه .

(١٢) مغرزه : أي ما يختفي فيه تشبهاً له بالفنفذ فإنه يطلع رأسه بعد زوال الخوف .

(١٣) أي : هلكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه .

(١٤) الوسم : أثر الكمي .

(١٥) الورود : حضور الماء للشرب .

(١٦) الكلم - بالضم - : الجرح ، والرحب - بالضم - : السعة .

(١٧) أي : لم يصلح بعد .

(١٨) في بعض النسخ «تديرون» .

(١٩) نفرتها ، نفرت الدابة : جزعت وتباعدت .

(٢٠) يسلس : يسهل .

وقدتها^(١) وتهيجون جمرتها، وتستجيبيون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي وإهمال سنن النبي الصفي، تشربون حسواً في ارتغاء^(٢) وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء^(٣) ويصير^(٤) منكم على مثل حز المدى^(٥) ووخز السنان في الحشا، وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟! أفلا تعلمون؟ بلى قد نحمل لكم كالشمس الضاحية: أني ابتته.

أيها المسلمون أغلب على إرثي^(٦)؟ يا ابن أبي قحافة أني كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً! أفعل عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وورث سليمان داود﴾^(٧)، وقال فيها اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب﴾^(٨) وقال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾^(٩) وقال: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾^(١٠) وقال: ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾^(١١) وزعمتم: أن لا حظوة^(١٢) لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونها مخطومة مرحولة^(١٣) تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.

ثم رمت بطرفها^(١٤) نحو الأنصار فقالت: يا معشر النقيية وأعضاء الملة^(١٥) وحضنة

(١) أي: لجها.

(٢) الحسو: هو الشرب شيئاً فشيئاً، والإرتغاء: هو شرب الرغوة وهي اللبن المشوب بالماء وحسواً في ارتغاء: مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره.

(٣) الخمر - بالفتح -: ما وارك من شجر وغيره، والضراء بالفتح: الشجر الملتف بالوادي.

(٤) وفي بعض النسخ «يصير».

(٥) الحز: القطع، والمدى: السكاكين.

(٦) في بعض النسخ «ارثه».

(٧) النمل: ١٦.

(٨) مريم: ٦.

(٩) الأنفال: ٧٥.

(١٠) النساء: ١١.

(١١) البقرة: ١٨٠.

(١٢) الخطوة: المكانة.

(١٣) مخطومة: من الخطام - بالكسر -: وهو كل ما يدخل في أنف البعير ليقاد به والرحل - بالفتح -: هو للناقة كالسرج

للفرس.

(١٤) في بعض النسخ «رنت».

(١٥) النقيية: الفتية.

الإسلام ، ما هذه الغميمة في حقي^(١) والسنة عن ظلامتي^(٢) ؟ إما كان رسول الله (ص) أبي يقول : « المرء يحفظ في ولده » ؟ سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا إهالة^(٣) ولكم طاقة بما احاول ، وقوة على ما أطلب وازاول ، أتقولون مات عمّد (ص) ؟ فخطب جليل : استوسع وهنه واستنهر فتقه^(٤) وانفتق رتقه ، واطلمت الأرض لغيته ، وكسفت الشمس والقمر ، وانتشرت النجوم لمصيته ، وأكدت^(٥) الآمال ، وخشعت الجبال ، واضيع الحريم ، وازيلت الحرمة عند عماته ، فنلك والله النازلة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا باثقة^(٦) عاجلة ، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه ، في أفنيتمكم ، وفي ممسكم ، ومصبحكم ، يمتف في أفنيتمكم هتافاً ، وصراخاً ، وتلاوة ، وألحاناً ، ولقبه ما حل بأنبياء الله ورسله ، حكم فصل وقضاء حتم : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين »^(٧) إيماناً بني قيلة^(٨) ، أهضم تراث أبي ؟ وأنتم بمرءى مني ومسمع ، ومنتدى^(٩) ومجمع ، تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعدة ، والأداة والقوة وعندكم السلاح والجنة^(١٠) ، توافيكم الدعوة فلا تحييون ، وتأنيتكم الصرخة فلا تغيشون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة التي انتخبت ، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت .

قاتلتم العرب ، وتحملتم الكد والتعب ، وناطحتم الأمم ، وكافحتم^(١١) البهم ، لا نبرح أو نبرحون^(١٢) ، نأمركم فتأثمرون ، حتى إذا دارت بنا رعي الإسلام ، ودرّ حلب الأيام ، وخضعت ثغرة الشرك ، وسكنت فورة الإفك ، ولحدت نيران الكفر ، وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام الدين^(١٣) ، فأنى حزتم بعد البيان ؟ وأسررتهم بعد الإعلان ؟ ونكصتم بعد الإقدام ؟ وأشركتم بعد الإيمان ؟ بؤساً لقوم نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم ، وهموا بإخراج الرسول ، وهم بدهوكم أول مرة ، اتخشونهم فالله أحق أن تحشوه إن كنتم مؤمنين .

(١) الغميمة : - بفتح الغين المعجمة والزاي - ضعفة في العمل .

(٢) السنة - بالكسر - : النوم الخفيف .

(٣) إهالة : بكسر الهيمزة الدسم - وسرعان ذا إهالة مثل يضرب لمن يجير بكيثونة الشيء قبل وقته .

(٤) الرهن : الخرق ، واستنهر : اتسع .

(٥) أكدت : قل غيرها .

(٦) باثقة : داهية .

(٧) آل عمران : ١٤٤ .

(٨) بنو قيلة ، قبيلة الأنصار : الأوس والخزرج .

(٩) المنتدى : المجلس .

(١٠) الجنة - بالضم - : ما استوت به من السلاح .

(١١) وفي بعض النسخ « كالحتم » .

(١٢) لا نبرح : لا نزال .

(١٣) استوسق : اجتمع .

ألا وقد أرى أن قد أخذتكم إلى الخفض^(١) وأبعدتكم من هو أحق بالبسط والقبض ، وخلوتم بالدعة^(٢) ونجوتكم بالضيق من السعة ، فمجمجتكم ما وعيتكم ، ودسعتكم الذي تسوغتم^(٣) فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد .

ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجدلة التي خامرتكم^(٤) والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، ونفثة الغيظ ، وخور القناة^(٥) وبثة الصدر ، وتقدمة الحجة ، فدونكموها فاحتقبوها دبيرة^(٦) الظهر بقبة الخف^(٧) باقية العار ، موسومة بغضب الجبار ، وشنار الأبد ، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون ، وانتظروا إنا منتظرون .

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان . وقال : يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيماً ، وعلى الكافرين عذاباً أليماً ، وعقاباً عظيماً ، إن عزوانه وجدناه أباك دون النساء ، وأخا إلفك دون الأخلاء^(٨) أثره على كل حميم ، وساعده في كل أمر جسيم ، لا يحبكم إلا سعيد ، ولا يبغضكم إلا شقي^(٩) بعيد ، فأنتم عترة رسول الله الطيبون ، الخيرة المتجيبون ، على الخير أدلتنا ، وإلى الجنة مسالكنا ، وأنت يا خيرة النساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حقك ، ولا مصدودة عن صدقك والله ما عدوت رأي رسول الله ، ولا عملت إلا بإذنه ، والرائد لا يكذب أهله ، وإني أشهد الله وكفى به شهيداً ، أني سمعت رسول الله (ص) يقول : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه »^(١٠) وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجهادون

(١) أخذتكم : ملتكم . والخفض : السعة والخصب واللين .

(٢) الدعة : الراحة والسكون .

(٣) الدسغ : القبيح ، وتسوغ الشراب : شربه بسهولة .

(٤) الجدلة : ترك النصر ، خامرتكم : خالطتكم .

(٥) الخور : الضعب ، والقناة : الرمح . والمراد من ضعف القناة هنا : ضعف النفس عن الصبر على الشدة .

(٦) فاحتقبوها : أي أحملوها على ظهوركم ، ودبر البعير : أصابته الدبيرة بالتحريك وهي جراحة تحدث من الرجل .

(٧) نقب خف البعير : رق وتثقب .

(٨) الإلف : هو الأليف بمعنى المألوف ، والمراد هنا ، الزوج لأنه إلف الزوجة وفي بعض النسخ « ابن عمك » .

(٩) في ذخائر العقبي ، - لمحبه الدين الطبرسي - قال : قال رسول الله (ص) « لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضنا إلا منافق شقي » أخرجه الملا .

(١٠) نقل الإمام المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين « قدس سره » في كتابه الجليل « النص والاجتهاد » عن الاستاذ

المصري المعاصر محمود أبورية ما يلي :

« قال : بقي أمر لا بد أن نقول فيه كلمة صريحة ، ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله (ص) وما فعل معها في ميراث أبيها ، لأننا إذا سلمنا بأن خير الأحاد الظني يخصص الكتاب القطعي ، وأنه قد ثبت أن النبي =

الكفار ، وبجالدون المردة الفجار ، وذلك بإجماع من المسلمين ، لم أنفرد به وحدي ، ولم أستبد بما كان الرأي عندي^(١) وهذه حالي ومالي ، هي لك وبين يديك ، لا تزوي عنك ، ولا ندخر دونك ، وإنك وأنت سيدة أمة أبيك ، والشجرة الطيبة لبنيك ، لا ندفع ما لك من فضلك ، ولا يوضع في فرعك وأصلك ، حكمك نافذ فيها ملكت يداي فهل ترين أن اخالف في ذاك أباك صلى الله عليه وآله وسلم .

== (ص) قد قال إنه لا يورث ، وأنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر ، فإن أبا بكر كان يسمه أن يعطي فاطمة رضي الله عنها بعض تركة أبيها (ص) كان يخصها بفدك ، وهذا من حقه الذي ليس بعارضة فيه أحد ، إذ يجوز للخليفة أن يخص من يشاء بما يشاء .

قال : وقد خص هو نفسه الزبير بن العوام وعمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبي (ص) على أن فدكاً هذه التي منعها أبو بكر لم تلبث أن أعطتها الخليفة عثمان لمروان ، هذا كلامه بنصه .

ثم عقب السيد « ره » قائلاً : ونفل ابن أبي الحديد عن بعض السلف كلاماً مضمونه العتب على الخليفتين والعجب منها في موافقها مع الزهراء بعد أبيها (ص) قالوا في آخره : « وقد كان الأجل أن يمنعهما التكرم عما ارتكبا من بنت رسول الله (ص) فضلاً عن الدين » فذيله ابن أبي الحديد بقوله : « هذا الكلام لا جواب عنه » النص والاجتهاد ص ١٢٣ / ١٢٤ .

(١) خطر بيالي وأنا افكر في قول الخليفة ، « وذلك بإجماع المسلمين لم أنفرد به » وقوله في آخر الحديث الذي نفرد بنقله عن النبي (ص) « وما كان من طعمة فلو لي الأمر أن يحكم فيه بحكمه » نعم خطر بيالي وأنا افكر في هاتين الفقرتين وما اذا كانت فدك من حق المسلمين حتى يؤخذ رأيهم فيها أم من حقه الخاص حتى يحكم فيه بحكمه كما جاء في ذيل الحديث الذي استكرته الصديقة الطاهرة (ع) واعتبرته كذباً وزوراً وافترافاً على الرسول (ص) اعتلالاً منهم لما أجمعوا على القدر بذريته كما اعتبرته طعناً في عصمته (ص) لو صدر ذلك منه ، واسمع ذلك كله في جوابها لأبي بكر ، « سبحان الله ! ما كان أبي رسول الله (ص) عن كتاب الله صادقاً ، ولا لأحكامه مخالفاً ، بل كان يتبع أثره ، ويقفو سوره أفتجمعون إلى القدر اعتلالاً عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما يغني له من الغوائل في حياته » ثم إن كان من حقه الخاص فلماذا لم يعطها سيدة النساء وبنت سيد الأنبياء إكراماً لأبيها (ص) وإذا كان من حق المسلمين فكيف تداولتها الأيدي بالأهواء بعد ذلك دون أخذ رأيهم فيها .

نعم خطر بيالي وأنا اجيل الفكر في هذا وشبهه قول الشريف قتادة بن ادريس من قصيدته العصاة في رثاء سيدة النساء (ع) والتي يقول في أولها :

ما لعيني غاب عنها كرامها وعصاها من عبرة ما عصاها
الدار نعمت فيها زماناً ثم فارقتها فلا أغشاها

إلى أن يقول :

بل بكائي لمن خصها الله تعالى بلطفه واجتباها
وحباها بالسيدة الجليله بين العظمين منه حين حباها
ولفكري في الصالحين اللذين استحبا ظلمها وما راعياها
منعاً بعلمها من الحل والعقد وكان المنيب والأواها

والتي يقول فيها :

وأنت فاطمة تطالب بالإرث من المصطفى فما ورثاها

إلى أن قال - وهو محل الشاهد - :

أترى المسلمين كانوا يلوموا أترى المسلمين كانوا يلوموا
كان تحت الخضراء بنت نبي ناطق صادق أمين سواها
بنت من ؟ أم من ؟ حليقة من ؟ ... من سن ظلمها وأذاها

فقلت (ع) : سبحان الله ما كان أبي رسول الله (ص) عن كتاب الله صادقاً^(١) ولا لأحكامه مخالفاً ! بل كان يتبع أثره ، ويقفوسوره ، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل^(٢) في حياته هذا كتاب الله حكماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً يقول : « يرثني ويرث من آل يعقوب »^(٣) ويقول : « وورث سليمان داود »^(٤) وبين عز وجل فيما وزع من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والإناث ، ما أزاح به علة المبطلين ، وأزال التظني والشبهات في الغابرين ، كلا بل سئلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

فقال أبو بكر : صدق الله ورسوله ، وصدقت ابنته ، معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا أبعد صوابك ، ولا أنكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك ، قلدوني ما تقلدت ، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر ولا مستبد ، ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود^(٥) .

فالتفت فاطمة (ع) إلى الناس وقالت :

معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل^(٦) المفضية على الفعل القبيح الخاسر ، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟ كلا بل ران على قلوبكم ما أساتم من أعمالكم ، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ، ولبس ما تأولتم ، وساء ما به أشرتهم ، وشمر ما منه اغتصبتم ! لتجدن والله محمله ثقيلاً ، وغبه وبيلاً ، إذا كشف لكم الغطاء ، ويان بإورائه الضراء . وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا^(٧) - سبون ، وخسر هنالك المبطلون .

ثم عطفت على قبر النبي (ص) وقالت :

قد كان بعدك أنباء وهنشة لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

(١) صادقاً : معزاً .

(٢) الغوائل : المهالك ، فهي صلوات الله عليها رأت في هذا التعليل والاستدلال بوضع حديث مزور على لسان الرسول (ص) مؤامرة استهدفت شخصه الكريم كما استهدفت رسالته من خلال أهل بيته حيث سلبته أعظم امتياز تستند إليه الرسالة وهي العصمة بخالفت أحكام الكتاب في منع أهل بيته من الإرث ورأت (ع) في هذا التهجيم على شخصه الكريم بعد الوفاة شبهاً بما كان يحاك ضدّه من المؤامرات في حياته (ص) إذ هي الأخرى استهدفت شخصه للقضاء على رسالته .

(٣) سورة مريم ٦ .

(٤) سورة النمل ١٦ .

(٥) حقاً إنه لمن الملفت للنظر لجوء أبي بكر إلى رأي المسلمين بعد انهزامه أمام حجج الصديقة الدامغة الثابتة البقية من صريح المحكم من كتاب الله العظيم مما لم يدع مجالاً للشك والشبهة في بطلان الحديث المزعم وسقوطه عن الاعتبار ومخالفته لأصول الإسلام والنهي (ص) منزه عن التفوه بمثله .

(٦) في بعض النسخ « قبول الباطل » .

وكل أهل له قربى ومنزلة عند الإله على الأدنى مقترب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم^(١) لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا رجال واستخف بنا لما فقدت وكل الأرض مغتصب
وكنت بداراً ونوراً يستضاء به عليك ينزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يونسنا فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا لما مضيت وحالت دونك الكتب^(٢)

ثم انكفأت (ع) ، وأمير المؤمنين (ع) يتوقع رجوعها إليه ، ويتطلع طلوعها عليه ، فلما استقرت بها الدار ، قالت لأمير المؤمنين (ع) :

يا ابن أبي طالب ، اشتملت شملة الجنين ، وقعدت حجرة الظنين ، نقضت قادمة الأجدل^(٣) فخانتك ريش الأعزل^(٤) هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي ويلغة^(٥) ابني ! لقد أجهد^(٦) في خصامي ، وألفيته ألد في كلامي^(٧) حتى حبستني قبلة نصرها ، والمهاجرة وصلها ، وغضت الجماعة دوني طرفها ، فلا دافع ولا مانع ، خرجت كاظمة ، وعدت راغمة ، أضرعت خذك^(٨) يوم أضعت خذك إفرست الذئاب ، وافترشت التراب ، ما كففت قائلاً ، ولا أغنيت طائلاً^(٩) ولا خيار لي ، ليتني مت قبل هنيئتي ، ودون ذلتي عذيري الله منه عادياً^(١٠) ومنك حامياً ، ويلاي في كل شارق ! ويلاي في كل غارب ! مات العمد ، ووهن العضد^(١١) شكواي إلى أبي ! وعدواي^(١٢) إلى رب ! اللهم إنك أشد منهم قوة وحولاً ، وأشد بأساً وتنكيلاً .

فقال أمير المؤمنين (ع) : لا ويل لك بل الويل لسانك^(١٣) ثم نهني عن وجدك^(١٤) يا ابنة

(١) النجوى : السر .

(٢) الكتب - بضمين - : جمع الكتيب وهو : الرمل .

(٣) قوادم الطير : مقدم ريشه وهي عشرة - والأجدل : الصقر .

(٤) الأعزل من الطير : ما لا يقدر على الطيران .

(٥) يبتزني : يسلبني والبلغة ما يتبلغ به من العيش .

(٦) في بعض النسخ « أجهر » .

(٧) ألفيته : وجدته ، والألد : شديد الخصومة .

(٨) ضرع : خضع وذل .

(٩) أي ما فعلت شيئاً نافعاً ، وفي بعض النسخ « ولا أغنيت باطلاً » : أي كففت .

(١٠) العذير : النصير . وعادياً : متجاوزاً .

(١١) الوهن : الضعف في العمل أو الأمر أو البدن .

(١٢) العدوى : طلبك إلى وال لبتقم لك من عدوك .

(١٣) الشاء : الميخض .

(١٤) أي : كفي عن حزنك وتخفي من غضبك .

الصفوة ، وبقية النبوة ، فما ونيت^(١) عن ديني ، ولا أخطأت مقدوري^(٢) ، فإن كنت تريد البلغة ، فرزقك مضمون ، وكفيلك مأمون ، وما أعدلك أفضل مما قطع عنك ، فاحتسبي الله .

فقلت : حسبي الله وأمسكت .

وقال سويد بن غفلة :^(٣) لما مرضت فاطمة سلام الله عليها ، المرضة التي توفيت فيها^(٤) دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها ، فقلن لها : كيف أصبحت من علتك يا ابنة رسول الله ؟ فحمدت الله ، وصليت على أبيها ، ثم قالت :

أصبحت والله : عائفة لدنياكن ، قالبة لرجالكن ، لفظتهم بعد أن عجمتهم^(٥) وسمتهم بعد أن سبرتهم^(٦) فقبحاً لفلول الحد ، واللعب بعد الحد ، وقرع الصفاء وصدع القناة ، وخلت الآراء^(٧) وزلل الأهواء ، وبس ما قدمت لهم أنفسهم : أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ! لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وحلتهم أوقتها^(٨) وشنت عليهم غاراتها^(٩) ، فجدها وعقراً وبعداً للقوم الظالمين .

ويحهم أن يزعموها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين ، والطيبين بأمور الدنيا^(١٠) والدين ! ألا ذلك هو الخسران المبين ! وما الذي نقموا من أبي الحسن (ع) !؟ نقموا والله منه تكبر سيفه ، وقلة مبالاة لحفه ، وشدة وطأته ، وتكال^(١١) وقعته ، وتنمره في ذات الله^(١٢) وتالله لو مالوا عن المحجة اللامحة ، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة ، لردهم

(١) ما كللت ولا ضعفت ولا عيت .

(٢) ما تركت ما دخل تحت قدرتي ، أي لست قادراً على الانتصاف لك لما أوصاني به الرسول (ص) .

(٣) قال العلامة في الخلاصة : سويد بن غفلة الجعفي قال البرقي : إنه من أولياء أمير المؤمنين عليه السلام وفي أسد الغابة و أدرك الجاهلية كبيراً وأسلم في حياة رسول الله (ص) ولم يره وأدى صدقته إلى مصدق النبي (ص) ثم قدم المدينة فوصل يوم دفن النبي (ص) وكان مولده عام الفيل وسكن الكوفة . . . وفي تهذيب التهذيب وثقه ابن معين والمجمل مات سنة ٨٠ وقيل ٨١ وقيل ٨٨ .

(٤) قال ابن أبي الحديد في المجلد الرابع من شرحه على النهج : قال أبو بكر وحديثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلب عن عبد الله بن حماد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين (ع) قالت : لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله (ص) الوجع وثقلت وفي علتها دخلت عليها . . . الخ .

(٥) لفظتهم : رميت بهم وطرحتهم بعد أن عجمتهم : أي بعد أن اختبرتهم وامتحنتهم .

(٦) ستمتهم : مللهم ، وسبرتهم : جربتهم واختبرتهم واحداً واحداً .

(٧) خلّت الآراء : زيفها وخداعها .

(٨) أوقتها : ثقلها .

(٩) شنت الغارة عليهم : وجهتها عليهم من كل جهة .

(١٠) الطيبين : الفطن الخائضين في كل شيء .

(١١) النكال : ما نكلت به غيرك كائن ما كان .

(١٢) تنمر : عيس وغضب .

إليها ، وحملهم عليها ولسار بهم سيراً سجحاً^(١) لا يكلم حشاشه^(٢) ولا يكل سائره^(٣) ولا يمل راحبه ، ولاوردهم منها ثميراً ، صافياً ، رويأ ، تطفح صفته ولا يترنق جانباه ولاصدرهم بطاناً ، ونصح لهم سرأ وإعلاناً ، ولم يكن يتحلّى من الدنيا بطائل ، ولا يحظى منها بنائل ، غير ري الناهل ، وشبعة الكافل ، ولبان لهم : الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب ، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين !

ألا هلم فاسمع ! وما عشت أراك الدهر عجباً !! وإن تعجب فعجب قولهم !! ليت شعري إلى أي سناد استندوا ؟! وإلى أي عماد اعتمدوا ؟! وبأية عروة تمسكوا ؟! وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا^(٤) لبش المولى ولبش العشير ، وبش للظالمين بدلاً ! استبدلوا والله الذنابي بالقوادم^(٥) والعجز بالكاهل^(٦) فرغماً للمعاطس^(٧) قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ؟! أما لعمرى لقد لقحت ، فنظرة ريشا تنتج ، ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً^(٨) وذعافاً مبيداً ، هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف الباطلون غب^(٩) ما أسس الأولون ، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً ، واطمئنوا للفتنة جاشاً ، وأبشروا بسيف صارم ، وسطوة معتد غاشم ، وبهرج شامل ، واستبداد من الظالمين : يدع فيحكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فيا حسرتا لكم ! وأنى بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون !

قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها عليها السلام على رجالهن فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معذرين ، وقالوا : يا سيدة النساء ، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر قبل أن يبرم العهد ، ويحكم العقد ، لما عدلنا عنه إلى غيره ، فقالت (ع) : إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم ، ولا أمر بعد تقصيركم .

(١) سجحاً : سهلاً .

(٢) كلمه : جرحه .

(٣) يكل : يتعب .

(٤) احتنكه : استولى عليه .

(٥) الذنابي : ذنب الطائر ، وقواده : مقدم ريشه .

(٦) المعجز : مؤخر الشيء ، والكاهل : مقدم أعلى الظهر عما يلي العنق .

(٧) المعطس : لأنف .

(٨) القعب : القدح ، والدم العبيط : الخالص الطري .

(٩) الدعاف : السم الذي يقتل من ساعته ، الغب : العاقبة .

« احتجاج سلمان الفارسي رضي الله عنه »^(١) في خطبة خطبها بعد وفاة رسول الله (ص) على القوم لما تركوا أمير المؤمنين (ع) واختاروا غيره ونبذوا العهد المأخوذ عليهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (ع) قال : خطب الناس سلمان الفارسي رحمه الله

(١) أبو عبد الله سلمان الفارسي أو المحمدي ويلقب أيضاً بسلمان الخير أصله من رامهرمز وقيل من إصفهان من بلدة يقال لها :

جبي . كان من أوصياء عيسى عليه السلام ، وهذا هو السبب الذي جعل أمير المؤمنين عليه السلام يحضر عنده بالمدائن حين حضرته الوفاة ، ويتولى تغسيله بيده الشريفة ، إذ أن الوصي لا يغسله إلا وصي مثله .

هرب سلمان عليه السلام من فارس لأن أهلها كانوا يعبدون النار وصادف ذلك سفر قافلة إلى الشام فذهب معها ، ونزل بجمص وكان يجتمع بالقسس والرهبان ويهادمون في الدين برهة من الزمن .

ثم صحب جماعة من التجار وسار معهم قاصداً مكة المكرمة ليحظى بالتشرف بحضرة النبي الأُمِّي وصحبته ، وكان سلمان عليه السلام يعلم أنه سيبحث من هناك لأنه كما مر كان من أوصياء عيسى (ع) .

واعتمد على هؤلاء الذين سار بصحبته وأسماوا الصحبة فالتبها ما كان عنده وأسروه ثم باعوه من يهودي في المدينة على أنه

رق .

وبقي عند ذلك اليهودي إلى أن هاجر النبي (ص) إلى المدينة وكان سلمان (ع) كاتب ذلك اليهودي على أن يدفع له مبلغاً من المال ليحرره من الرق ، فأعانه رسول الله (ص) على ذلك فتنحرر .

ولما زحف الجيش بقيادة أبي سفيان لقتل النبي (ص) وأصحابه وهدم المدينة على أهلها ، في غزوة الأحزاب - أشار سلمان بحفر الخندق ، فقال أبو سفيان لما رآه هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها .

وكان إذا قيل له أين من أنت ؟ يقول أنا سلمان بن الإسلام ، أنا من بني آدم .

وقد روي عن رسول الله (ص) من وجوه أنه قال : لو كان الدين في الشرا لناله سلمان ، وفي رواية أخرى لناله رجل من فارس

وروي عنه (ص) أنه قال : « إن الله يحب من أصحابي أربعة - فذكره منهم »

وقال (ص) : « ثلاثة تشناق إليهم الخور العين : علي ، وسلمان ، وعمار » .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله (ص) : « أنا سابق ولد آدم ، وسلمان سابق أهل فارس » .

وعنه أيضاً ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الجنة تشناق إلى أربعة : علي وسلمان ، وعمار ، والمقداد » .

ودخل ذات يوم مجلس رسول الله (ص) فوجد وجهه قرش فتخطاهم وجلس في صدر المجلس ، فغل الدم في عروقهم ، وقال له بعضهم : - من أنت حتى تتخطانا ؟ - وقال له آخر : - ما حبك ونسبك ؟ -

قال سلمان : أنا ابن الإسلام ، كنت عبداً فأعتقني الله بمحمد (ص) ووضيعة فرغمني بمحمد (ص) وفقيراً فأغنانني بمحمد (ص)

فهذا حسبي ونسي .

فقال رسول الله (ص) : صدق سلمان ، صدق سلمان ، من أراد أن ينظر إلى رجل نور الله قلبه بالإيمان ، فلي نظر إلى سلمان .

وتنافس المهاجرون والأنصار كل يقول : (سلمان منا) فقال رسول الله (ص) : « بل سلمان منا أهل البيت » .

وروي عن أبي الأسود الدؤلي قال كنا عند علي ذات يوم فقالوا : - يا أمير المؤمنين (ع) حدثنا عن سلمان - .

قال (ع) : من لكم بمثل لقمان الحكيم ، ذلك امرئ منا أهل البيت أدرك العلم الأول والعلم الآخر ، وقرأ الكتاب للأول

والكتاب الآخر ، بحر لا ينزف .

ولي المدائن في عهد عمر بن الخطاب ، وكان يسف الخوص وهو أمير عليها ويبيعه ويأكل منه ، ويقول : لا أحب أن أكل إلا من=

عمل يدي .

عليه ، بعد أن دفن النبي (ص) بثلاثة أيام ، فقال فيها :

ألا أيها الناس ، اسمعوا عني حديثي ، ثم اعقلوه عني ، ألا وإني أوتيت علماً كثيراً ، فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضائل أمير المؤمنين (ع) ، لقاتل طائفة منكم : هو مجنون ، وقالت طائفة أخرى : اللهم اغفر لقاتل سلمان .

ألا إن لكم مناي ، تتبعها بلایا ، ألا وإن عند علي (ع) علم المنايا والبلایا ، وميراث الوصايا وفصل الخطاب ، وأصل الأنساب ، على منهاج هارون بن عمران من موسى (ع) إذ يقول له رسول الله (ص) : أنت وصي في أهل بيتي ، وخليفتي في أمتي ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ، ولكنكم أخذتكم سنة بني إسرائيل ، فأخطأتم الحق فأنتم تعلمون ولا تعلمون .

أما والله لتركبن طبقاً عن طبق ، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة أما والذي نفس سلمان بيده : لو وليتموها علياً لأكلتم من فوقكم ، ومن تحت أقدامكم ، ولو دعوتهم الطير لأجابتكم في جو السماء ، ولو دعوتهم الحيتان من البحار لأتكنكم ، ولما عال^(١) ولي الله ، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله^(٢) ولا اختلف اثنان في حكم الله ، ولكن أيتهم فولّيتهموها غيره ، فابشروا بالبلایا ، واقنطوا من الرخاء ، وقد نابذتكم على سواء ، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء .

عليكم بآل محمد (ص) ، فإنهم القادة إلى الجنة ، والدعاة إليها يوم القيامة .

عليكم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، فوالله لقد سلّمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين ، مراراً جمّة^(٣) مع نبينا ، كل ذلك يأمرنا به ، ويؤكدّه علينا فما بال القوم عرفوا فضله فحسدوه؟! وقد حسد هابيل قابيل فقتله ، وكفاراً قد ارتدت أمة موسى بن عمران ، فأمر هذه الأمة كأمر بني إسرائيل ، فأين يذهب بكم .

أيها الناس ويحكم ما لنا وأبو فلان وفلان؟! أجهلتم أم نجاهلتم؟ أم حسدتم أم تحاسدتم؟ والله لترتدن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف ، يشهد الشاهد على الناجي بالهكّة ، ويشهد الشاهد على الكافر بالنجاة ، ألا وإني أظهرت أمري ، وسلّمت لنبيي ، واتبعت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة علياً أمير المؤمنين (ع) وسيد الوصيين ، وقائد الفر المحجلين ، وإمام

= وتوفي في المدائن سنة ٣٦ ، وقيل ٣٧ ، وقيل بل ٣٣ .

ولما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك؟ قال : عهد عهدي إلينا رسول الله (ص) قال : - ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب - فلما مات نظروا في بيته فلم يجدوا إلا أكافاً ووطاء ومتاعاً ، قوم نحواً من عشرين درهماً .

راجع صفة الصفوة ج ١ ص ٢١٠ تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٣٧ اسد الغابة ج ٢ ص ٣٢٨ تنقيح المقال ج ٢ ص ٤٥ وكتاب نفس الرحمن في أخبار سلمان والمجلد الرابع من ابن أبي الحديد وكتاب مع علماء النجف الأشرف للشيخ محمد جواد مقنية .

(١) عال : افتقر .

(٢) طاش السهم : مال عن الهدف .

(٣) جمّة : كثيرة .

الصدّيقين ، والشهداء والصالحين .

احتجاج لأبيّ بن كعب^(١) على القوم مثل ما احتج به سلمان رضي الله عنه .

عن محمد ويحيى^(٢-٣) ابني عبد الله بن الحسن عن أبيهما عن جدّهما عن علي بن أبي طالب (ع)

(١) أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك النجار .

عنه الشيخ رحمه الله في رجاله بهذا العنوان من أصحاب رسول الله (ص) وقال يكنى أبا المنذر شهد العقبة مع السبعين ، وكان يكتب الوحي ، أخى رسول الله (ص) بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . شهد بدرًا والعقبة وبايع لرسول الله (ص) . ومثله بحذف اسم آبائه إلى كنيته ما في الخلاصة في قسم المعتمدين وكذا في رجال ابن داود ، وعن المجالس ما يظهر منه جلالة وإخلاصه لأهل البيت ...

وقال العلامة الطباطبائي : إنه من الإثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر تقدمه وجلسه في مجلس رسول الله (ص) قال له : يا أبا بكر لا تمجد حقاً جعله الله لغيرك ، ولا تكن أول من عصى رسول الله (ص) في وصيته ، وأول من صدف عن أمره ، ورد الحق إلى أهله تسلم ، ولا تتماذى في فيك نسندم ، وبادر بالإجابة بخف وزنك ، ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك ، فمن قليل تفارق ما أنت فيه ، ونصير إلى ربك فيسالك عما جنت وما ربك بظلام للعبيد ، وعن تقريب بن حجر متصلاً بنسبه المذكور ما لفظه : الأنصاري الخزرجي ، أبو المنذر سيد القراء ، يكنى أبا الطفيل أيضاً ، من فضلاء الصحابة ، مات في زمن عمر فقال عمر : مات اليوم سيد المسلمين ، شهد العقبة مع السبعين ج ١ ص ٤٤ من رجال المامقاني .

(٢-٣) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) ذو النفس الزكية ، ويكنى أبا عبد الله ، وقيل أبا القاسم ولد سنة (١٠٠) وقتل سنة (١٤٥) .

بايعه المنصور مع جماعة من بني هاشم ، فلما بويع لبني العباس انتفى محمد وإبراهيم مدة خلافة العباس ، فلما ملك المنصور وعلم أنها على عزم الخروج عليه جد في طلبها وقبض على أبيهما كما مر ذلك في هامش ص ٩٧ .

وأما إياهما وهو في السجن فقالا له يقتل رجلان من آل محمد خير من أن يقتل ثمانية ، فقال لهما : إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمتنعكما أن تموتا كريمين ولما عزم محمد على الخروج ، وأعد أخاه إبراهيم على الظهور في يوم واحد ، وذهب محمد إلى المدينة ، وإبراهيم إلى البصرة ، فاتفق أن إبراهيم مرض ، فخرج أخوه بالمدينة وهو مريض بالبصرة ، ولما خلص من مرضه وظهر أمّاه خبر أخيه أنه قتل وهو على المنبر فقال :

سأبكيك بالبيض الصفاح وبالقنا
فلنّ بها ما يدرك الطالب الوترا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة
يعصرها من مساء مقلته عصرا
ولكن اروي النفس مني بغارة
تلهب في قطري كتابها جمر
وانساناس لا تفيض دموعنا
عل هالك منا وإن قصم الظهرا

ولما بلغ المنصور خروج محمد بن عبد الله خلا ببعض أصحابه فقال له : ويحك ! قد ظهر محمد فماذا نرى ؟ فقال : وأين ظهر ؟ قال : بالمدينة ، فقال : غلبت عليه ورب الكعبة ، قال : وكيف ؟ قال : لأنه خرج بحيث لا مال ولا رجال ، فعاجله بالحرب فأرسل إليه عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن العباس في جيش كثيف ، فحاربهم محمد خارج المدينة وتفرق أصحابه عنه حتى بقي وحده فلما أحس بالخذلان دخل داره وأمر بالتنوير فسجّر ، ثم عمد إلى الدفتر الذي أثبت فيه أسماء الذين بايعوه فألقاه في التنوير فاحترق . ثم خرج فقاتل حتى قتل بأحجار الزيت ومن هنا لقب بلذي النفس الزكية لأنه صدق عليه ما روي عن النبي (ص) أنه قال : تقتل بأحجار الزيت من ولدي نفس زكية . راجع عمدة الطالب ص ٨٩ ومقاتل الطالبين ٢٣٢ .

ويحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) صاحب الديلم « الشهيد » ، يكنى أبا الحسن ، وأمّه قريبة بنت عبد الله .

كان مقدماً في أهل بيته ، بعيداً عما يعاب على مثله وقد روى الحديث وأكثر الرواية عن جعفر بن محمد (ع) وروى عن أبيه وعن أخيه محمد راجع ابن داود ص ١٢٩ ومقاتل الطالبين ص ٣٣٧ .

قال : لما خطب أبو بكر قام إليه أبي بن كعب وكان يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان وقال :
يا معشر المهاجرين الذين اتبعوا مرضات الله ، وأثنى الله عليهم في القرآن ويا معشر الأنصار
الذين تبؤوا الدار والإيمان ، وأثنى الله عليهم في القرآن ، تناسبتم أم نسيتم ، أم بدلتهم ، أم
غيرتم ، أم خذلتهم ، أم عجزتم ؟ أستم تعلمون أن رسول الله (ص) قام فينا مقاماً أقام فيه علياً
فقال : « من كنت مولاه فهذا مولاه يعني علياً ومن كنت نبيه فهذا أميره » ؟

أستم تعلمون أن رسول الله (ص) قال : « يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى ،
طاعتك واجبة على من بعدي كطاعتي في حياتي غير أنه لا نبي بعدي » ؟

أستم تعلمون أن رسول الله (ص) قال : « أوصيكم بأهل بيتي خيراً فقدّموهم ولا
تقدّموهم ، وأمرّوهم ولا تأمرّوا عليهم » ؟

أستم تعلمون أن رسول الله (ص) قال : « أهل بيتي منار الهدى ، والدالون على الله » ؟
أولستم تعلمون أن رسول الله (ص) قال لعلي (ع) : « أنت الهادي لمن ضل » ؟
أستم تعلمون أن رسول الله (ص) قال : « علي المحيي لستقي ، ومعلم امتي ، والقائم
بحجتي وخير من اخلف من بعدي ، وسيد أهل بيتي ، وأحب الناس إلي طاعته كطاعتي على
امتي » ؟

أستم تعلمون أنه كان منزلهما في أسفارهما واحداً وارتحالهما واحداً ؟

أستم تعلمون أنه لم يولّ على علي أحداً منكم وولاه في كل غيبته عليكم ؟

أستم تعلمون أنه قال : « إذا غبت فخلفت عليكم علياً فقد خلّفت فيكم رجلاً
كنفسي » ؟

أستم تعلمون أن رسول الله (ص) قبل موته قد جمعنا في بيت ابنته فاطمة (ع) فقال لنا :
إن الله أوحى إلى موسى بن عمران أن اتخذ أخاً من أهلك فاجعله نبياً ، واجعل أهله لك ولداً ،
أطهرهم من الآفات ، واخلّصهم من الريب فاتخذ موسى هارون أخاً ، وولده أئمة لبني إسرائيل
من بعده ، الذين يحمل لهم في مساجدهم ما يحمل لموسى ، وأن الله تعالى أوحى إلي أن اتخذ علياً
أخاً ، كما أن موسى اتخذ هارون أخاً ، واتخذ ولده ولداً ، فقد طهرتهم كما طهرت ولد هارون ، ألا
إنّي قد ختمت بك النبيين فلا نبي بعدك ، فهم الأئمة الهادية .

أفما تبصرون أفما تفهمون أفما تسمعون !! ضرب عليكم الشبهات ، فكان مثلكم كمثلي
رجل في سفر فأصابه عطش شديد حتى خشي أن يهلك ، فلقي رجلاً هادياً في الطريق ، فسأله
عن الماء ، فقال له : أمامك عينان : إحداهما مالحة ، والأخرى عذبة ، فإن أصبت المالحة
ضللت ، وإن أصبت العذبة هديت ورويت ، فهذا مثلكم أيتها الأمة المهملة كما زعمتم ، وأيم

الله ما أهملتم ، لقد نصب لكم علم ، يحل لكم الحلال ، ويحرم عليكم الحرام ، ولو أطمعتموه ما اختلفتم ، ولا تدابرتهم ، ولا تقاتلتم ولا برىء بعضكم من بعض ، قوالله إنكم بعده لناقضون عهد رسول الله (ص) ، وإنكم على عثرته لمختلفون ، وإن سئل هذا عن غير ما يعلم أفتى برأيه ، فقد أبعدتم ، وتخارستم وزعمتم أن الخلاف رحمة ، هيهات أبى الكتاب ذلك عليكم ، يقول الله تعالى جده^(١) : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾^(٢) .

ثم أخبرنا باختلافكم ، فقال سبحانه : ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾^(٣) اي : للرحمة وهم آل محمد سمعت رسول الله (ص) يقول : يا علي أنت وشيعتك على الفطرة والناس منها براء ، فهلا قبلتم من نبيكم كيف وهو خبركم بانتكاستكم^(٤) عن وصيه علي بن أبي طالب وأمينه ، ووزيره ، وأخيه ، ووليّه دونكم أجمعين ! وأظهركم قلباً ، وأقدمكم سلماً وأعظمكم وعياً من رسول الله (ص) أعطاه تراثه ، وأوصاه بعداته ، فاستخلفه على امته ، ووضع عنده سره ، فهو وليّه دونكم أجمعين ، وأحق به منكم أكتعين^(٥) سيد الوصيين ، ووصي خاتم المرسلين ، أفضل المتقين ، وأطوع الأمة لرب العالمين سلمتم عليه بإمرة المؤمنين في حياة سيد النبيين وخاتم المرسلين ، فقد أعذر من أنذر ، وأدى النصيحة من وعظ وبصر من عمى ، فقد سمعتم كما سمعتم ورأيتم كما رأيتم ، وشهدتم كما شهدنا .

فقام إليه عبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل فقالوا : يا أبا أصابك خبل ؟ أم بك جنة ؟ فقال : بل الخبل فيكم ، والله كنت عند رسول الله (ص) يوماً فالفيتنه يكلّم رجلاً أسمع كلامه ولا أرى شخصه ، فقال فيها يخاطبه : ما أنصحك لك ولا منك ! وأعلمه بستك ! فقال رسول الله (ص) : أفترى أمّي تنقاد له من بعدي ؟ قال : يا محمد يتبعه من امتك أبرارها ، ويخالف عليه من امتك فجارها ، وكذلك أوصياء النبيين من قبلك ، يا محمد إن موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون ، وكان أعلم بني إسرائيل وأخوفهم لله ، وأطوعهم له ، فأمره الله عز وجل أن يتخلّذه وصياً كما اتخذت علياً وصياً ، وكما امرت بذلك ، فحسده بنو إسرائيل ، سبط موسى خاصة ، فلعنوه وشتموه وعنفوه ووضعوا له ، فإن أخذت امتك سنن بني إسرائيل كذبوا وصيّك ، وجحدوا إمرته ، وابتزوا خلافته ، وغالطوه في علمه .

فقلت : يا رسول الله من هذا ؟ فقال رسول الله (ص) : « هذا ملك من ملائكة ربّي عز وجل ، ينبئني أن أمّي تتخلف على وصيّ علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وإني أوصيك يا أبا بصية إن حفظتها لم تزل بخير ، يا أبا علي عليك بعلي ، فإنه الهادي المهدي ، الناصح لأمّي ، المحيي لسنتي ، وهو إمامكم بعدي ، فمن رضي بذلك لقيني على ما فارقت عليه ، يا أبا ومن غير

احتجاج أمير المؤمنين (ع) ١١٥

أو بدّل لقبني ناكثاً لبيعتي ، عاصياً أمري ، جاحداً لنبوتي ، لا أشفع له عند ربّي ، ولا أسقيه من حوضي .

فقامت إليه رجال من الأنصار فقالوا : « أقعد رحمك الله يا أبي ، فقد أدّيت ما سمعت الذي معك ووفيت بعهدك » .

احتجاج أمير المؤمنين (ع) على أبي بكر لما كان يعتذر إليه من بيعة الناس له ويظهر الإنسباط له .

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه (ع) ، قال : لما كان من أمر أبي بكر وبيعة الناس له وفعلهم بعلي ، لم يزل أبو بكر يظهر له الإنسباط ويرى منه الإنقباض فكبر ذلك على أبي بكر ، وأحب لقاءه واستخراج ما عنده والمعدرة إليه مما اجتمع الناس عليه ، وتقليدهم إياه أمر الأُمّة وقلة رغبته في ذلك وزهده فيه .

أنّاه في وقت غفلة وطلب منه الخلوة ، فقال : يا أبا الحسن والله ما كان هذا الأمر عن مواطاة مني ولا رغبة فيما وقعت عليه ولا حرص عليه ، ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأُمّة ، ولا قوة لي ببال ولا كثرة لعشيرة ، ولا استئثار به دون غيري فيما لك تضرر عليّ ما لم أستحقه منك ، وتظهر لي الكراهة لما صرت فيه وتنظر إليّ بعين الشنآن ؟

قال : فقال أمير المؤمنين (ع) : فما حملك عليه إذ لم ترغب فيه ولا حرصت عليه ولا وثقت بنفسك في القيام به !!؟

قال : فقال أبو بكر : حديث سمعته من رسول الله (ص) : « إنّ الله لا يجمع أمّتي على ضلال » ولما رأيت إجماعهم اتبعت قول النبي (ص) ، وأحلت أن يكون إجماعهم على خلاف الهدى من ضلال ، فأعطيتهم قود الإجابة ، ولو علمت أن أحداً يتخلف لامتنعت .

فقال علي (ع) : أما ما ذكرت من قول النبي (ص) : « إنّ الله لا يجمع أمّتي على ضلال » فكنت من الأُمّة أم لم أكن ؟ قال : بلى .

قال : وكذلك العصاة الممتنعة عنك : من سلمان ، وعمار ، وأبي ذرّ ، والمقداد ، وابن عباد ومن معه من الأنصار ؟ قال : كل من الأُمّة .

قال علي (ع) : فكيف تمنح بحديث النبي وأمثال هؤلاء قد تخلّفوا عنك ؟! وليس للأُمّة فيهم طمن ولا في صحبة الرسول لصحبته منهم تقصير ، قال : ما علمت بتخلّفهم إلا بعد إبرام الأمر ، وخفت إن قعدت عن الأمر أن يرجع الناس مرتدين عن الدين ، وكان ممارستهم إليّ إن أحببتهم أهون مؤنة على الدين وإبقاء له من ضرب الناس بعضهم ببعض فيرجعون كفاراً ،

وعلمت أنك لست بدوني في الإبقاء عليهم وعلى أديانهم .

فقال علي (ع) : أجل ولكن أخبروني عن الذي يستحق هذا الأمر بما يستحقه ؟

فقال أبو بكر : بالنصيحة ، والوفاء ، ودفع المداينة ، وحسن السيرة ، وإظهار العدل ، والعلم بالكتاب والسنة ، وفصل الخطاب ، مع الزهد في الدنيا ، وقلة الرغبة فيها ، وانتصاف المظلوم من الظالم للقريب والبعيد ، ثم سكت .

فقال علي (ع) : والسابقة ، والقراءة .

فقال أبو بكر : والسابقة والقراءة .

فقال علي (ع) : أنشدك بالله يا أبا بكر أفي نفسك تجد هذه الخصال أو في ؟ فقال أبو بكر : بل فيك يا أبا الحسن .

قال : فأنشدك بالله أنا المحيب لرسول الله (ص) قبل ذكران المسلمين أم أنت ؟ قال : بل أنت^(١) .

قال (ع) : فأنشدك بالله ، أنا صاحب الأذان لأهل الموسم والجمع الأعظم للأمة بسورة براءة أم أنت ؟ قال : بل أنت^(٢) .

(١) في « ذخائر العقبى » عن زيد بن أرقم قال : « كان أول من أسلم علي بن أبي طالب » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « علي أول من أسلم بعد خديجة » .

وذكر الحجة الأميني في ج ٣ من كتاب الفخدير ص ٢١٩ مائة حديث من طرق مختلفة ، رواها أئمة الحديث وحفاظه ، في أن علياً أول من أسلم .

وروى عبد الدين الطبري في « ذخائر العقبى » عن عمر بن الخطاب قال : « كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجهاً ، إذ ضرب رسول الله (ص) منكب علي بن أبي طالب فقال : « يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأنت أول المسلمين إسلاماً ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى » وبعد أن نفل عدة روايات في الموضوع عقبها بقوله :

وقد وردت أحاديث في أن أبا بكر أول من أسلم وهي محمولة على أنه أول من أظهر إسلامه ، وعلي (ع) أول من بدر إلى الإسلام . ذخائر العقبى ص ٥٨ .

(٢) عن أبي سعيد وأبي هريرة قال : بعث رسول الله (ص) أبا بكر على الحج فلما بلغ ضجنان ، سمع بغام ناقة علي ، فعرفه فأتاه ، فقال : ما شأنك ؟ فقال : خيراً ، إن رسول الله (ص) بعثني ببراءة .

فلما رجعا ، انطلق أبو بكر إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله ما لي ؟ قال : خيراً أنت صاحبني في الغار ، غير أنه لا يبلغني عن غيري أو رجل مني يعني علياً أخرجه أبو حاتم .

وفي رواية عنده من حديث جابر : إن أبا بكر قال له : أمير أم رسول ؟ فقال : بل رسول ، أرسلني رسول الله (ص) ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج .

وفي رواية من حديث أحمد عن علي إن النبي (ص) لما راجعه أبو بكر قال له : « جبريل جاتني فقال : لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك » / ذخائر العقبى ص ٩٦ .

قال : فأنشدك بالله أنا وقيت رسول الله (ص) بنفسي يوم الغار أم أنت ؟ قال : بل أنت^(١) .

قال : فأنشدك بالله أنا المولى لك ولكل مسلم بحديث النبي (ص) يوم الغدير أم أنت ؟ قال : بل أنت^(٢) .

وذكر الشيخ الأميني في ج ٦ من الغدير ص ٣٣٨ (٧٣) مصدراً قدم لها بقوله :

« هذه الأثارة أخرجها كثير من أئمة الحديث وحفاظه بعده طرق صحيحة يتأتى التواتر بأقل منها عند جمع من القوم ، وإليك أئمة من أخرجها ... الخ » ويقول الشيعة : إن حصر التبليغ في النبي (ص) أو علي (ع) من قبل السماء دليل واضح على حصر الإمامة في علي بعد النبي (ص) كما أن عزل أبي بكر هو الآخر دليل صريح على عدم صلاحيته لخلافة النبي (ص) والتبليغ عنه فلما منعه الوحي عن المهمة على جزئه من الشريعة امتنع بالأولى من المهمة على الشريعة كلها بالقطع واليقين .

(١) وذلك أن رسول الله (ص) لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب (ع) بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده ، وأمره ليلة خرج إلى الغار - وقد أحاط المشركون بالدار - أن ينام على فراشه ، وقال له : (تشجع بيردي الحضرمي الأخضر ، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله تعالى) ففعل ذلك فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل (ع) : إني آخيت بينكما ، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر ، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختارا كلاهما الحياة ، فأوحى الله عز وجل إليهما : أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب ، آخيت بينه وبين نبي محمد (ص) فبات على فراشه ، يفتديه بنفسه ويؤثره بالحياة ، اهبطا إلى الأرض ، فاحفظاه من عدوه ، فنزلا فكان جبرئيل عند رأس علي وميكائيل عند رجله ، وجبرئيل ينادي : يا علي بن أبي طالب يباهي الله عز وجل به الملائكة !!! فأنزل الله عز وجل إلى رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله » « اسد الغابة ج ٤ ص ٩٥ .

(٢) مر في ص ٦٦ من هذا الكتاب حديث الغدير كما اشير في هامش إلى ما ذكره الحجة الأميني في الجزء الأول من (كتاب الغدير) من عدد زوائده من الصحابة والتابعين ومن أئمة الحديث وحفاظه والأساتذة وما استعرضه من أسماء من ألفوا فيه من الفريقين كتباً مستقلة فبلغ عددهم (٣٦) مؤلفاً .

وبالتناسبه احببنا ذكر ما نقله صاحب بنابيع المودة في ص ٢٦ منه إذ قال : حكى العلامة علي بن موسى وعلي بن محمد أبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين استاذ أبي حامد الغزالي يتعجب ويقول : رأيت مجلداً في بغداد في يد صحاف فيه روايات خبر عديرخم مكتوباً عليه المجلدة الثامنة والعشرون من طرق قوله (ص) من كنت مولاه فعلي مولاه ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون .

وفي واقعة الغدير هذه يقول حسان بن ثابت - بعد أن استأذن النبي (ص) فأذن له - :

بناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم وأسمع بالنبي مناديا
وقد جاء جبرائيل عن أمر ربه	بانك معصوم فلا تك وانيا
ويأمنهم ما أنزل الله ربهم	إليك ولا تخش هناك الأعاديا
نقام به إذ ذاك رافع كفه	بكف عي معطن الصوت عاليا
فقال : فمن مولاكم ووليكم ؟	فقالوا ولم يبدو هناك التعاميا
إلهك مولانا وانت ولىنا	ولن نجدن فينا لك اليوم عاصيا
فقال له : قم يا علي قاتني	رضيتك من بعدي املاً وهاديا
(فمن كنت مولاه فهذا وليه)	فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا : اللهم وال وليه	وكن للذي عادى علياً معاديا
فيا رب انصر ناصريه لنصرهم	إمام هدى كالبدو يحلو الديابيا

ويقول - مشيراً إليها - قيس بن سعد بن عباد :

قال : فأنشدك بالله ألي الولاية من الله مع رسوله في آية الزكاة بالخاتم^(١) أم لك ؟ قال : بل لك .

قال : فأنشدك بالله ألي الوزارة مع رسول الله (ص) والمثل من هارون من موسى أم لك ؟ قال : بل لك^(٢) .

قال : فأنشدك بالله أبي برز رسول الله (ص) وبأهلي وولدي في مباهلة المشركين أم بك

=
وعلي إمامنا وإمام لسوانا أي به التنزيل
يوم قال النبي : من كنت مو لاه فهذا خطب جميل
إنما قاله النبي على الامة حتم ما فيه قال وقيل
(١) عن أنس بن مالك : إن سائلاً أتى المسجد وهو يقول : (من يفرض المال الوفي) وعلي عليه السلام راكم ، يقول بيده خلفه
للسائل أي اخلع الخاتم من يدي قال رسول الله (ص) : يا عمر وجبت . قال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما وجبت ؟ قال : وجبت
له الجنة والله وما خلعه من يده حتى خلعه الله من كل ذنب ومن كل خطيئة قال : فما خرج أحد من المسجد حتى نزل جبرئيل بقوله عز
وجل : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون .
وذكر الأميني في ج ٣ من الغدير ص (١٥٦ - ١٦٢) طريقاً عن رواه من الحفاظ والثقة من الرواة .
ولحسن بن ثابت :

أبا حسن تفديك نفسي ومهجني
أبذهب مدحني والمحبين مابعدني
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راكم
بخاتمك الميمون يا خير سيد
فأنزل فيك الله خير ولاية
وكل بطيء في الهدى ومسارع
ومما المدح في ذات الإله بضائع
فدتك نفوس القوم يا خير راكم
ويا خير شار ثم يا خير بايع
ويشها في محكمات الشرايع

(٢) إن قول النبي (ص) لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى قد تكرر منه (ص) في مناسبات شتى ، ففي حديث تبوك عندما
قال علي (ع) : يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان ؟ قال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي
بعدي . راجع الصواعق المحرقة ص ١١٩ .

وحين أتى النبي (ص) بين أصحابه ، فقال علي (ع) : آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال : والذي بعثني بالحق
نبياً ما أخرتك إلا لنفسي فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . ينابيع المودة ص ٥٦ .

وعن عبد الله بن عباس ، سمعت عمر وعنده جماعة فتذكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر : إنما علي
فسمعت رسول الله (ص) يقول فيه ثلاث خصال لو ددت أن تكون لي واحدة منهن ، وكانت أحب إلي مما
طلعت عليه الشمس ، كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه ، إذ ضرب (ص) على منكب علي رضي الله عنه فقال له يا علي
أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأول المسلمين إسلاماً ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨ .

وعن سعد بن أبي وقاص : إن النبي (ص) قال لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، أخرجه
البخاري ومسلم . ذخائر العقبى ص ٦٣ .

وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : اللهم إني أقول كما قال أخي موسى واجعل لي
وزيراً من أهلي أعني علياً أشد به أزرى وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً ، أخرجه أحمد في
المناقب . كما في ذخائر العقبى ص ٦٣ إلى غير ذلك من المواطن المتعددة .

وبأهلك وولدك ؟ قال : بل بكم^(١)

قال فأنشدك بالله ألي ولاهلي وولدي آية التطهير من الرجس ام لك ولاهل بيتك ؟ قال : بل لك ولاهل بيتك^(٢) .

قال فأنشدك بالله أنا صاحب دعوة رسول الله (ص) وأهلي وولدي يوم الكساء اللهم هؤلاء أهلي إليك لا إلى النار أم أنت ؟ قال : بل أنت وأهلك وولدك^(٣) .

قال : فأنشدك بالله أنا صاحب آية : ﴿يُوفُونَ بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ أم أنت ؟ قال : بل أنت^(٤) .

(١) وقد رويت هذه القصة على وجوه من جماعة من التابعين وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال : قدم على النبي (ص) العاقب والسيد ، فدعاهما إلى الإسلام ، فقالا : أسلمنا يا محمد فقال : كذبتا إن شئت أخبرتكما ما يمنعكما من الإسلام قالوا : فهات ؟ قال : حب الصليب ، وشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير .

قال جابر : فدعاهما إلى الملاعة فواعداه على الغد فغدرا رسول الله (ص) وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيئا وأقرأه ، فقال : والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهما نارا . قال جابر : فيهم نزلت ﴿تعالوا ندع أبناءنا﴾ الآية قال جابر : « أنفسنا وأنفسكم » رسول الله (ص) وعلي و « أبناءنا » الحسن والحسين ، ود نساءنا فاطمة ورواه أيضاً الحاكم من وجه آخر عن جابر وصححه وأخرج مسلم ، والترمذي ، وابن منذر ، والحاكم ، والبيهقي ، عن سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية ﴿قل تعالوا﴾ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : « اللهم هؤلاء أهلي » .

عن الفتح القدير للشوكاني في تفسير قوله تعالى : ﴿تعالوا ندع﴾

(٢) أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في خمسة : النبي (ص) وعلي وفاطمة ، والحسن ، والحسين .

وأخرجه ابن جرير مرفوعاً بلفظ : انزلت هذه الآية في خمسة : في علي والحسن والحسين وفاطمة . وأخرجه الطبراني أيضاً . راجع الصواعق المحرقة لابن حجر : ص ١٤١ .

وفي يناير المودة ص ١٠٧ : حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا محمد بن سليمان الإصبهاني عن يحيى بن عبيد عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي (ص) قال : نزلت ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ في بيت أم سلمة ، فدعى النبي (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فجعلهم يكساء ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » ، قالت أم سلمة : « وأنا معهم يا نبي الله ؟ » قال : « أنت على مكانك وأنت إلى خير » .

وفي ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري ص ٢٢ : عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول : « الصلاة يا أهل بيتي - إنما يريد الله - الآية » . أخرجه أحمد .

وعن أبي الحمراء قال صحبت رسول الله (ص) تسعة أشهر فكان إذا أصبح أتى على باب علي وفاطمة وهويقول : (يرحمكم الله - إنما يريد الله - الآية) . أخرجه عبد بن حميد .

(٣) عن أم سلمة قالت : بينما رسول الله (ص) في بيته يوماً إذ قالت الخادم : (إن علياً وفاطمة بالسدة) قالت : فقال لي : (خومي فتشحي عن أهل بيتي) ، قالت : فقصت فتشحت في البيت قريباً ، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيان فوضعهما في حجره وقبلهما واعتنق بإحدى يديه علياً وفاطمة بالآخرى ، وقبل فاطمة وقبل علياً ، فأغدق خيصة سوداء ، ثم قال : (اللهم - إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي) قالت : وأنا يا رسول الله صل الله عليك ؟ قال وأنت . أخرجه أحمد وأخرج الدولابي معناه مختصراً . عن ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري ص ٢١ - ٢٢ .

(٤) يناير المودة ص ٩٣ قال :

قال : فانشدك بالله أنت الذي ردت عليه الشمس لوقت صلاته فصلها ثم توارت أم أنا ؟
قال : بل أنت (١) .

قال فانشدك بالله أنت الفتى نودي من السماء : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » أم
أنا ، قال : بل أنت (٢) .

= أيضاً الحموي أخرجه عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ يوفون بالتذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً ﴾ قال : مرض الحسن والحسين رضي الله عنهما فعادتهما جدتهما (ص) وعادتهما بعض الصحابة ، فقالوا : (يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك) فقال علي رضي الله عنه : ان برا ولداي بما بهما ، صحت لله ثلاثة أيام شكراً لله ، وقالت فاطمة رضي الله عنها مثل ذلك ، وقالت جارية يقال لها فضة مثل ذلك ، وقال الصبيان نحن نصوم ثلاثة أيام فالبسها الله العافية ، وليس عندهم قليل ولا كثير ، فانطلق علي رضي الله عنه إلى رجل من اليهود يقال له : (شمعون بن حابا) فقال له : (هل تؤتيني جزء من صوف تغزها لك بنت محمد (ص) بثلاثة أصواع من شعير) قال : نعم . فأعطاه ، ثم قامت فاطمة رضي الله عنها إلى صاع فطحنه واختبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص وصلّى علي رضي الله عنه مع النبي (ص) المغرب ، ثم أتى فوضع الطعام بين يديه ، إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد (ص) أنا مسكين أطعموني شيئاً فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليتهم لم يدوقوا شيئاً إلا الماء القراح . وفي الليلة الثانية أتاهم ينهم فقال : أطعموني فأعطوه الطعام ، وفي الليلة الثالثة أتاهم أسير فقال : أطعموني فأعطوه ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يدوقوا شيئاً إلا الماء القراح ، فلما أن كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم ، أخذ علي بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين رضي الله عنهما ، وأقبل نحو رسول الله (ص) وهما يرتعشان كالقراخ من شدة الجوع ، فلما أبصرهم (ص) انطلق إلى ابنته فاطمة رضي الله عنها فانطلقوا إليها وهي في محرابها تصلي وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع ، وغارت عيناها . فلما رآها رسول الله (ص) قال : (واغوثاه أهل بيت محمد يموتون جوعاً) فهبط جبرئيل عليه السلام فأقرأه : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » إلى آخر السورة وهذا الخبر مذكور في تفسير البيضاوي ، وروح البیان ، والمسامرة .

أقول : وذكر الحجة الأميني في ج ٣ من الغدير ص ١٠٧ - ١١١ من رواية هذا الحديث (٣٤) طريقاً فراجع .

(١) جاء في ينابيع المودة ص ١٣٧ - ١٣٨ .

وفي كتاب الإرشاد أن أم سلمة وأسماء بنت عميس وجابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدري وغيرهم من جماعة الصحابة (رض) قالوا : إن رسول الله (ص) كان في المنزل فلما تنشأه الوحي توشد فخذ علي فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس ، وصلّى علي صلاة العصر بالإمام ، فلما أفاق النبي (ص) قال : (اللهم اردد الشمس لعل) فردت عليه الشمس حتى صارت في السماء وقت العصر ، فصلّى علي العصر ، ثم غربت .

فأنشأ حسان بن ثابت :

با قوم من مثل عليّ وقد ردت عليه الشمس من غائب
أخو رسول الله وصهره والاخ لا يعدل بالصاحب

قال الحجة الأميني : في ج ٣ من الغدير ص (١٢٧) :

إن حديث رد الشمس أخرجه جمع من الحفاظ الأثبات ، بأسانيد جمة ، صحيح جمع من مهرة الفن بعضها ، وحكم آخرون بحسن آخر ، وشده جمع منهم التكثير على من غمز فيه وضعفه ، وهم الأبناء الأربعة حملة الروح الأموية الخبيثة الأوهم : ابن حزم ابن الجوزي ابن تيمية ابن كثير . وجاء آخرون من الأعلام وقد عظم عليهم الخطب بإنكار هذه المأثرة النبوية ، والمكرمة العلوية الثابتة فأفردوها بالتأليف وجمعوا فيها طرقها وأسانيدها ، وعدّ منهم (٩) ثم قال : ولا يسعنا ذكر تلك المنون وتلك الطرق والأسانيد إذ يحتاج إلى تأليف ضخم ينقص به ، غير أنا نذكر نماذج من أخرجه من الحفاظ والأعلام بين من ذكره من غير غمز فيه ، وبين من تكلم حوله وصححه ، وفيها مقتنع وكفاية وعد من ذلك (١٩) سنداً فراجع .

(٢) وذلك في غزوة «أحد» ذكر الطبري في ج ٣/١٧ عن عبيد الله بن أبي رافع قال : لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية =

قال : فأنشدك بالله أنت الذي حبأك رسول الله (ص) برايته يوم خيبر، ففتح الله له أم أنا؟ قال : بل أنت^(١)

قال : فأنشدك بالله أنت الذي نفّست عن رسول الله وعن المسلمين بقتل عمرو بن عبدود أم أنا؟ قال : بل أنت^(٢).

ثم أبصر رسول الله (ص) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي واحمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجهمي قال : ثم أبصر رسول الله (ص) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم، فحمل عليهم، ففرق جمعهم، وقتل شيبة ابن مالك أحد بني عامر بن لؤي فقال جبريل : يا رسول الله إن هذا للمواسات. فقال رسول الله (ص) إنه مني وأنا منه فقال جبريل : وأنا منكما قال : فسمعوا صوتاً

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي
واخرج ابن هشام في سيرته ج ٣ / ص ٥٢ عن ابن أبي نجيع : قال نادى مناد من السماء :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي
قال حسان بن ثابت :

جبريل نادى معلناً والنفع ليس بمجلى
والمسلمون قد احدثوا حول النبي المرسل
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

راجع سنن البيهقي ٢٧٦/٣ والمستدرک ٣٨٥/٢ ومناقب الخواري ص ١٠٣ والرياض النضرة ١٩٠/٢ وذخائر العقبى ٧٤ وكفاية الطالب ٢٧٧ وميزان الاعتدال ٣١٧/٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣٨٠/٣ ومناقب ابن المغازي ص ١٩٧ فما بعدها وغير ذلك من كتب التاريخ والفضائل .

(١) عن سهل بن سعيد إن رسول الله (ص) قال : لأعطين غداً الراية رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه قال : فبات الناس يدورون لينهم أيهم يعطى ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ص) كلهم يرجون أن يعطاها فقال (ص) أين علي ابن أبي طالب فقالوا : يشتكي عينيه يا رسول الله (ص) قال : فأرسلوا إليه ؛ فلما جاء بصق (ص) في عينيه ، ودعا له ، فبرأ حتى كان لم يكن به وجع وأعطاه الراية فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم . أخرجه البخاري ومسلم ، راجع ذخائر العقبى ص ٧٢ وطبقات ابن سعد ١١١/٢ ومسند ابن حنبل ٥٢/٤ ومستدرک الحاكم ٣٨/٣ وسنن البيهقي ١٣١/٩ ومناقب ابن المغازي ص ١٧٨ ومسند أبي داود ص ٢٦ والخافظ الذهبي في تاريخ الإسلام ١٩٣/٢ والنسائي في الخصائص ص ٧ وابن حجر في تهذيب التهذيب ٤٨٠/٧ وجمع الزوائد ١٢٤/٩ وسيرة ابن هشام ٣٣٤/٢ وكفاية الطالب ٩٨ وغير ذلك من كتب التاريخ والفضائل .

(٢) وكان عمرو بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم احد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه وقف هو وخيله قال من يبارز ، فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو إنك قد كنت عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل . قال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فإني أدعوك إلى النزال فقال له : لم يا ابن أخي ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك . قال له علي : ولكني والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك ، فأقحم عن فرسه فعفره وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي فننازلا وتجاوزا فقتله علي رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب عماد بصوابي
فصدرت حين تركته متجدلاً كالجذع بين دكاك وروابي
وعنفت عن أنوابه ولو أنني كنت المقنطر بزني أثوابي
لا نحسب الله خاذل دينه ونبيّه يا معشر الأحزاب

قال : فأنشدك بالله أنت الذي اتمنتك رسول الله (ص) على رسالته إلى الجن فأجابت أم أنا؟ قال : بل أنت^(١).

قال : فأنشدك بالله أنا الذي طهره الله من السفاح من لدن آدم إلى أبيه بقول رسول الله (ص) : «خرجت أنا وأنت من نكاح لا من سفاح»^(٢) من لدن آدم إلى عبد المطلب أم أنت؟ قال : بل أنت.

== ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج أن النبي (ص) قال : «ضربة عليّ يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين» وأخرج الحاكم في المستدرک ٣٢/٣ عنه (ص) «لبارزة عليّ بن أبي طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة» ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ١٩ والرازي في تفسير سورة القدر .

(١) في ج ٦ من بحار الأنوار ص ٣١٥ عن عيون المعجزات من كتاب الأنوار مستنداً عن سلمان قال : كان النبي (ص) ذات يوم حالساً بالأبطح وعند جماعة من أصحابه وهو مقبل علينا بالحديث، إذ نظرنا إلى زويدة قد ارتفعت فائزت الغبار، وما زالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقف، بحذاء النبي (ص) ثم برز منها شخص كان فيها، ثم قال : يا رسول الله (ص) إنني وأقد قوم وقد استجرتنا بك فأجرنا، وإبثت معي من قبلك من يشرف على قومنا فإن بعضهم قد بغى علينا، ليحكم بيننا وبينهم بحكم الله وكتابه، وخذ عليّ العهد والمواثيق المؤكدة أن أرحم إليك في غداة غد سالماً إلا أن تحدث عليّ حادثة من عند الله، فقال النبي (ص) : من أنت ومن قومك؟ قال : أنا عطرفة بن شمراخ أحد بني نجاح، وأنا وجماعة من أهلي كنا نشرق السمع فلما منعنا من ذلك آمنا ولما بعثك الله نبياً آمنا بك، وعلى ما علمت وقد صدقتك وقد خالفنا بعض القوم، وأقاموا على ما كانوا عليه فوقع بيننا الخلاف، وهم أكثر منا عدداً وقوة، وقد غلبوا على الماء والمرعى، وأضروا بنا وبدوابنا، فأبثت معي من يحكم بيننا بالحق، فقال له النبي (ص) : فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التي أنت عليها، قال : فكشف لنا عن صورته فنظرنا فإذا شخص عليه شعر كثير، وإذا رأسه طويل، طويل العينين، عيناه في طول رأسه، صغير الحديثين، وله أسنان كأنها أسنان السباع، ثم أن النبي (ص) أخذ عليه العهد والميثاق على أن يرد عليه في غد من يبعث به معه، فلما فرغ من ذلك التفت إلى أبي بكر فقال : سر مع أخينا عطرفة وانظر إلى ما هم عليه، واحكم بينهم بالحق، فقال : يا رسول الله وأين هم؟ قال : هم تحت الأرض، فقال أبو بكر وكيف أطبق النزول تحت الأرض؟ وكيف أحكم بينهم ولا أحسن كلامهم؟ ثم التفت إلى عمر بن الخطاب فقال له مثل قوله لأبي بكر، فأجاب مثل جواب أبي بكر. ثم أقبل على عثمان وقال له مثل قولها فأجابه كجوابها. ثم استدعى علياً وقال له : يا علي سر مع أخينا عطرفة، وتشرف على قومه، ونظر إلى ما هم عليه وتحكم بينهم بالحق فقام أمير المؤمنين مع عطرفة وقد تقلد سيفه، قال سلمان : فتبعتهما إلى أن صارا إلى الوادي فلما توسطاه نظر إليّ أمير المؤمنين (ع) وقال : قد شكر الله تعالى سعيك يا أبا عبد الله فارجع، فوفقت أنظر إليهما، فانشقت الأرض ودخلا فيها ورجعت، وتداخلني من الحسرة ما الله أعلم به كل ذلك إشفافاً على أمير المؤمنين وأصبح النبي (ص) وصلى بالناس الغداة وجاء وجلس على الصفا وما زال يحدث أصحابه، إلى أن وجبت صلاة العصر وأكثر القوم الكلام، وأظهروا إليّ من أمير المؤمنين (ع) فصل النبي (ص) صلاة العصر وجاء وجلس على الصفا، وأظهر الفكر في أمير المؤمنين (ع) وظهرت شماعة المنافقين بأمر المؤمنين (ع) وكادت الشمس تغرب، فتيقن القوم أنه قد هلك وإذا قد انشق الصفا، وطلع أمير المؤمنين (ع) منه وسيفه يقطر دماً، ومعه عطرفة، فقام إليه النبي وقبّل بين عينيه وجبينه، وقال له : ما الذي حبسك عني إلى هذا الوقت؟ فقال (ع) صرت إلى جن كثير قد بغوا على عطرفة وقومه من المنافقين، فدعوتهم إلى ثلاث خصال فأبوا عليّ، وذلك أنني دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى والإقرار بنبوتك ورسالتك فأبوا، فدعوتهم إلى أداء الجزية فأبوا، فسألتهم أن يصالحوا عطرفة وقومه فيكون بعض المرعى لعطرفة وقومه وكذلك الماء فأبوا ذلك كله، فوضعت سيفي فيهم وقتلت منهم ثمانين ألفاً، فلما نظروا إلى ما حل بهم طلبوا الأمان والصلح ثم آمنوا وزال الخلاف بينهم، وما زلت معهم إلى الساعة. فقال عطرفة : يا رسول الله جزاك الله وأمر المؤمنين عنا خيراً.

(٢) ينابيع المودة ص ١٦ قال دوفي الشفاء وروي عن علي كرم الله وجهه عنه (ص) في قوله تعالى : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» قال : نسباً وصهرأ وحسباً، ليس في آبائي من لدن آدم (ع) سفاح كلنا بنكاح.

وفي كثر العمال ج ٦ ص ١٠٠ الحديث ١٤٩٤ . عن النبي (ص) قال في حديث له رواه البيهقي في الدلائل عن أنس : «وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً». والحديث ١٤٩٥ منه أيضاً عن عائشة عنه (ص) : «خرجت من نكاح غير سفاح». والحديث ١٤٩٧ عن ابن عباس عنه (ص) : «وخرجت من لدن آدم من»

قال: فأنشدك بالله أنا الذي اختارني رسول الله وزوجني ابنته فاطمة (ع)، وقال: «الله زوجك إياها في السماء» أم أنت؟ قال: بل أنت^(١).

قال: فأنشدك بالله أنا والد الحسن والحسين سبطيه وريجانيته إذ يقول: «هما سيذا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما» أم أنت؟ قال: بل أنت^(٢).

قال فأنشدك بالله أخوك المزين بالجناحين يطير في الجنة مع الملائكة أم أخى؟ قال: بل أخوك^(٣).

=نكاح غير سفاح». والحديث ١٤٩٨ في ص ١٠١ منه عن علي (ع): «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصني من سفاح الجاهلية شيء».

وفي ص ١٦ من ينابيع المودة: وفي جمع الفوائد: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي - للأوسط...».

ابن عباس: «ما ولدني في سفاح الجاهلية شيء وما ولدني إلا نكاح كنيكاح الإسلام - للكبير». وهذا أمر مفروغ منه عند الشيعة الإمامية فهو شرط عندهم في النبي والإمام أيضاً بل إنهم يشترطون في المرجع الديني في زمن غيبة الإمام أن لا يكون مولوداً من الزنا.

(١) مناقب الخوارزمي ص ٢٣٤ بسنده عن البيهقي وأحمد بن محمد في فرائد السمطين ١/٩٠ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٩/٤٧٩ وينابيع المودة ص ١٧٥ عن أنس قال: كنت عند النبي (ص) فغشي الوحي فلما أفاق قال: يا أنس أتدري بما جاءني به جبريل من عند صاحب العرش عز وجل، قلت: بآبي وأمي بما جاءك جبريل؟ قال: قال جبريل: إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة بعلي، فانطلق فادع علي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ونفراً من الأنصار، قال: فانطلقت فدعوتهم فلما أن أخذوا مقاعدهم قال رسول الله (ص): الحمد لله المحمود بنعمته... وذكر الخطبة المشتملة على التزويج وفي آخرها: فجمع الله شملها، وأطاب نسلها، وجعل نسلها مفااتيح الرحمة، ومعدن الحكمة، وأمن الأمة ثم حضر علي وكان غائباً، فبسم رسول الله (ص) وقال: يا علي إن الله أمرني أن أزوجه فاطمة (ع) وإنني قد زوجتكها على أربعمائة مثقال فضة، فقال علي قد رضيته يا رسول الله (ص) ثم أن علياً خروقه ساجداً شاكراً، فلما رفع رأسه قال له رسول الله (ص): بارك الله لكها، وبارك فيكما، وأسعد جدكما، وأخرج منكها الكثير الطيب قال أنس: والله لقد أخرج الله منها الكثير الطيب. أخرجه أبو علي الحسن بن شاذان فيما نقله عنه الحافظ جمال الدين الزرندي في نظم درر السمطين وقد أورده المحب الطبري في ذخائره وأخرجه أبو الخير القزويني الحاكمي. وحديث زواج علي بفاطمة بأمر من السماء مما أجمع عليه المسلمون وأخرج أحاديثه الحافظ الثقات وذكروا أن الله سبحانه زوجه إياها من فوق سبع سماوات وكان الخاطب لها جبريل وكان ميكائيل وإسرائيل في سبعين ألفاً من الملائكة من شهودها، وأن الله سبحانه لوحى إلى شجرة طوى فنثرت ما فيها من الدر والجوهر وأمر الحور العين فلقطن فهن يتهادين بينهم إلى يوم القيامة راجع مناقب الخوارزمي ٢٣٥ وكفاية الطالب للكنجي ٣٠١ وتاريخ بغداد ٢/٢١٠ وابن الأثير في اسد الغابة ١/٢٠٦ ونزهة المجالس للصفي ٢٠/٢٢٣ وابن المغازلي في المناقب ٣٤١ - ٣٤٤ إلى غير ذلك من كتب التاريخ والمناقب.

(٢) ابن ماجه عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله (ص): «الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما».

(وفي الإصابة) مالك بن الحويرث الليثي قال: قال رسول الله (ص): «الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما». وأخرج ابن عساكر عن علي، وعن ابن عمر، وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر، والطبراني عن قره، وعن مالك بن الحويرث والحاكم عن ابن مسعود:

أن النبي (ص) قال: إني هذان: «الحسن والحسين» سيذا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما. راجع الترمذي ٢/ومسند بن حنبل ٣/٣ و٨٢/٦٢ وحلية الأولياء ٧١/٥ وتاريخ بغداد ٩/٢٣١ و٢٣٢ و٩٠/١٠ والينابيع ١٦٦ والصواعق المحرقة ص ١٨٩ وابن ماجه باب فضائل أصحاب رسول الله (ص) والمستدرک ٣/١٦٧ وكنز العمال ٦/٢١٧ إلى كثير من المصادر والحديث أشهر من أن يحتاج إلى إشارة لمصادره.

(٣) هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، كنية أبو عبد الله، ابن عم الرسول، وأخو علي بن أبي-

قال فأنشدك بالله أنا ضمنت ذين رسول الله وناديت في المواسم بإنجاز موعدة أم أنت؟ قال: بل أنت^(١).

قال: فأنشدك بالله أنا الذي دعاه رسول الله (ص) والطير عنده يريد أكله يقول: «اللهم إيتني بأحب خلقك إلي وإليك بعدي يأكل معي من هذا الطير» فلم يأنه غيري أم أنت؟ قال: بل أنت^(٢).

= طالب لأبويه، أسلم قديماً بعد إسلام أخيه علي بن أبي طالب بقليل.

هاجر المهاجرين إلى أرض الحبشة - في الهجرة الثانية - مع زوجته أسماء بنت عميس - فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه، وأقام جعفر عنده: ثم هاجر منها إلى المدينة قدم والنبي (ص) بخير. فقال النبي (ص): «وما أدري بأبيها أنا أفرح بقدم جعفر أم بفتح خيبر».

وكان أشبه الناس برسول الله خلقاً وخلُقاً وقال له النبي (ص): «أشبهت خلفي وخُلُفي».

ومر أبو طالب (ع) يوماً فرأى النبي (ص) وعلياً (ع) يصلّيان، وعلي عن يمينه فقال لجعفر: صلّ جناح ابن عمك وصلّ عن يساره.

استشهد بموته في أرض الشام مقبلاً غير مدبر مجاهداً الروم في حياة النبي (ص) سنة ثمان في جمادى الأولى. وكان أسيراً من علي عشرة سنين، فاستوفى أربعين سنة وزاد عليها.

عن ابن عمر قال: وجد فيها أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعين ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف.

- وعن أنس بن مالك: «إن النبي (ص) نعى جعفرًا وزيدًا نعاماً قبل أن يمحي خبرهما نعاماً وعيناه تدرقان».

ودخل رسول الله (ص) لما أتاه نعي جعفر (ع) على امرأته أسماء بنت عميس (ع) فعزّاهما فيه، ودخلت فاطمة (ع) تبكي وتقول: «وا عماء» فقال رسول الله (ص) (على مثل جعفر فلتبك البواكي) ودخله هم شديد حتى أتاه جبرئيل، فأخبره أن الله قد جعل لجعفر جناحين مضرّجين بالدم يطير بهما مع الملائكة.

وكان (ص): رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة.

وعن ابن عمر: أنه كان إذا سلّم على عبد الله بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين. راجع: الإصابة ج ١ ص ٢٣٩ / ٢٤٠، صفة الصفوة ج ١ ص ٢٠٥ / ٢٠٩ أسد الغابة ج ٢ ص ٢٨٦ / ٢٨٩.

(١) ينابيع المودة ص ١٠٥: وفي مسند أحمد بسنده عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي (رض) قال: لما نزلت وأنذر عشيرتكم الأقربين جمع النبي (ص) أهل بيته، فاجتمع ثلاثون نفرًا فأكلوا وشربوا ثلاثاً، ثم قال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي يكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي، فقال علي: أنا يا رسول الله (ص) أيضاً الثعلبي ذكر هذا الحديث في تفسير هذه الآية.

(٢) عن أنس بن مالك: أهدني لرسول الله (ص) طير فقال: «اللهم انني برجل يحب الله ويحبه رسوله». قال أنس: فأتى علي ففرع الباب، فقلت: إن رسول الله (ص) مشغول، وكنت أحب أن يكون رجلاً من الأنصار، ثم إن علياً فعل مثل ذلك، ثم أتى الثالثة فقال رسول الله (ص): أدخله فقد عنيته.

وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن سفينة مولى النبي (ص) قال: أهدت امرأة من الأنصار طيرين مشويين بين رضيعين فقال النبي (ص): «اللهم إيتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك» فجاء علي فأكل معه من الطيرين حتى كفيا. راجع أسد الغابة ج ٤ ص ٣٠ وفي المستدرک ج ٣ ص ١٣٠ / ١٣١.

عن أنس بن مالك أيضاً قال: كنت أخدم رسول الله (ص) فقدم لرسول الله (ص) فرخ مشوي فقال: «اللهم إيتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» قال: فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه فقلت إن رسول الله (ص) على حاجة، ثم جاء، فقلت: إن رسول الله (ص) على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله (ص) افتتح فدخل فقال رسول الله (ص) =

قال فأنشدك بالله أنا الذي بشرني رسول الله (ص) بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، على تأويل القرآن أم أنت؟ قال: بل أنت .

قال : فأنشدك بالله أنا الذي دلّ عليه رسول الله (ص) بعلم القضاء وفصل الخطاب بقوله : «علي أقضاكم» أم أنت؟ قال بل أنت^(١).

قال : فأنشدك بالله أنا الذي أمر رسول الله (ص) أصحابه بالسلام عليه بالإمرة في حياته أم أنت؟

سما حبسك يا علي؟ فقال: إنّ هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي فقال رسول الله (ص): «إنّ الرجل قد يحب قومه». ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) في ج ٢ من الرياض النضرة ص ٣٢٠:

وعن ابن مسعود أنّ رسول الله (ص) أتى أم سلمة فجاء على فقال رسول الله (ص): «يا أم سلمة هذا قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي» وفي ج ٦ من كنز العمال ص ١٥٥ الحديث ٢٥٨٥: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما فانتلت على تنزيله قيل: أبو بكر وعمر؟ قال: لا ولكنّه خاصف النعل - يعني عليّاً». وفي مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٢٢.

عن أبي سعيد قال: كنا مع رسول الله (ص) فأنقطعت نعله فتخلّف عليّ يخصفها فمشى قليلاً فقال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما فانتلت على تنزيله» فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: «لا» قال عمر: أنا هو؟ قال: «لا» ولكن خاصف النعل - يعني عليّاً فأتينا فبشرناه، فلم يرفع به رأساً، كأنه قد كان سمعه من رسول الله (ص) ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفيه النص ١٣٩ / ١٤٠ عن الأصمعي بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري (رض) قال:

سبعت النبي (ص) يقول لعلي بن أبي طالب: «تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهرانات وبالشفعات» قال أبو أيوب، قلت: يا رسول الله مع من تقاتل هؤلاء الأقوام؟ قال: مع علي بن أبي طالب.

(٢) في الإستيعاب ٢ ص ٤٦١ وروي عن النبي (ص) أنّه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابي فمن أراد العلم فليأتني من بابي». وقال (ص) في أصحابه: «أقضاكم علي بن أبي طالب». وقال عمر بن الخطاب: «علي أقضانا وإني لأقرؤنا وإنا لترك أشياء من قراءة أبي» وعن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن وقال في المجنونة التي أمر برجمها، وفي التي وضعت لسة أشهر فأراد عمر رجمها فقال له علي: «إنّ الله تعالى يقول: ﴿وهمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ الحديث» وقال له: «إنّ الله رفع العلم عن المجنون الحديث». فكان عمر يقول: «لولا علي فلنك عمر». وفي ص ١٢: «زر بن حبش قال: جلس رجلان بنفذين مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعوا الغذاء بين أيديهما مرّ بهما رجل فسلم - لا: إجلس للغداء فجلس وأكل معها واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال خذوا هذا عوضاً عما أكلت لكم ونلت من طعامكم، فتنازعا وقال صاحب الخمسة الأرغفة لي خمسة دراهم ولك ثلاث فقال صاحب الثلاثة الأرغفة لا أرضى إلّا أن تكون الدراهم بيننا نصفين، وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقضا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبره أكثر من خبزك فأرض بثلاثة فقال: لا والله لا رضىب منه إلّا بمرّ الحق. فقال علي رضي الله عنه: «ليس لك في مرّ الحق إلا درهم واحد وله سبعة» فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين هو يعرض عليّ ثلاثة فلم أرض، وأشرت عليّ بأخذها فلم أرض - ونقول لي الآن: إنّ لا يجب في مرّ الحق إلا درهم واحد؟ فقال له علي: «عرض عليك صاحبك الثلاثة صلحاً فقلت لم أرض إلا بمرّ الحق، ولا يجب لك بمرّ الحق إلا واحد» فقال الرجل: فعرفني بالوجه في مرّ الحق حتى أقبله. فقال علي رضي الله عنه: أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل فتحملون في أكلكم على السواء؟ قال: بل. قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث وأنما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثاً أكل منها ثمانية وبقي له سبعة ولك واحدة من تسعة فلك واحد بواحدك، وله سبعة بسبعته. فقال له الرجل رضيت الآن.

قال: بل أنت^(١).

قال: فأنشدك بالله أنا الذي شهدت آخر كلام رسول الله (ص) ووليت غسله ودفنه أم أنت؟ قال بل أنت^(٢).

قال فأنشدك بالله أنت الذي سبقت له القرابة من رسول الله (ص) أم أنا؟ قال: بل أنت^(٣).

قال: فأنشدك بالله أنت الذي حبأك الله بالدينار عند حاجته إليه وباعك جبرئيل وأصفت محمداً فاطمعت ولده أم أنا؟ قال: فبكى أبو بكر وقال: بل أنت^(٤).

(١) في ص ١٢٥ من كتاب (اليقين في إمرة أمير المؤمنين ع) قال:

فيما نذكره من كتاب الرسالة الموضحة تأليف المظفر بن جعفر بن الحسين... وهو ممن يروي عنه محمد بن جرير الطبري تنقل ذلك من خط مصنفه من الخزائن العتيقة بالنظامية ببغداد فقال ما هذا لفظه: وروته قال: حدثنا محمد بن همام عن علي بن عباس ومحمد ابن الحسين بن حفص قالا: حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال: حدثنا يحيى بن سالم عن صباح بن يحيى عن العلاء بن المسيب عن أبي داود عن بريدة الأسلمي قال: كنا نسلم على علي بن أبي طالب (ع) بحضرة رسول الله (ص) بإمرة المؤمنين نقول: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» ويرد علينا. وفي ج ٩ من بحار الأنوار ص ٢٤٦ عن بريدة وعن يحيى بن سالم قالا: أمرنا النبي (ص) أن نسلم على علي بإمرة المؤمنين وفيه أيضاً عن الرضا عن آياته عليهم السلام عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال لي بريدة: أمرنا رسول الله (ص) أن نسلم على أبيك بإمرة المؤمنين وفيه أيضاً عن عمرو بن حصيب أخي بريدة بن حصيب قال: بينا أخى بريدة عند النبي (ص) إذ دخل أبو بكر فسلم على رسول الله فقال له: انطلق فسلم على أمير المؤمنين، فقال: يا رسول الله ومن أمير المؤمنين؟ قال: علي بن أبي طالب (ع) قال: عن أمر الله وأمر رسوله؟ قال: نعم، ثم دخل عمر فسلم فقال: انطلق فسلم على أمير المؤمنين فقال: يا رسول الله ومن أمير المؤمنين؟ قال (ص): علي بن أبي طالب (ع) قال: عن أمر الله ورسوله؟ قال: نعم.

(٢) في ذخائر العقبى ص ٧٢ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٣٧ للطبري

عن عائشة قال: قال رسول الله (ص) - لما حضرته الوفاة - «ادعوا لي حبيبي» فدعوا له أبا بكر فنظر إليه ثم وضع رأسه فقال: «ادعوا لي حبيبي» فدعوا له عمر فلما نظر إليه وضع رأسه ثم قال: «ادعوا لي حبيبي» فدعوا له علياً (رض) فلما رآه أدخله معه التوب الذي كان عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض (ص) - أخرجه الرازي.

وفيها أيضاً وفي ج ٣ من المستدرک عن أم سلمة (رض) قالت: والذي أحلف به إن كان علي أقرب الناس عهداً برسول الله (ص) عدنا رسول الله (ص) غداة بعد غداة يقول: «جاء علي؟» - مراراً - وأظنه كان بعثه في حاجة فجاء بعد فظننت أن له حاجة فخرجنا من البيت وقعدنا عند الباب فكنث من أدناه إلى الباب فأكب عليه علي فجعل يساره ويناحيه ثم قبض (ص) يومه ذلك فكان من أقرب الناس به عهداً. أخرجه الإمام أحمد.

وفي ج ٣ من المستدرک ص ١١١ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعلي أربع خصال ليست لأحد، هو أول عربي وعجمي صلّى مع رسول الله (ص) وهو الذي كان لولؤه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم المهراس، وهو الذي غسله وأدخله قبره.

(٣) عن الشعبي: إن أبا بكر نظر إلى علي بن أبي طالب فقال: من سره أن ينظر إلى أقرب الناس قرابة من رسول الله (ص) وأعظمهم عنه غناء، وأحظهم عنده منزلة، فلينظر - وأشار إلى علي بن أبي طالب - أخرجه ابن السمان - الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٥

(٤) أخرج الخوارزمي الحنفي في ص ٢٢٤ من مناقبه، عن أبي هارون العبيدي عن أبي سعيد قال: أنقض علي وفاطمة، فقالت له فاطمة: ليس في الرجل شيء، فخرج علي يتغي، قال: فوجد ديناراً فعرفه فلم يجد له طالباً، ولم يصب شيئاً، ورجع، فقالت له فاطمة: ما صنعت؟ قال: ما أصبت شيئاً إلا أنني وجدت ديناراً فعرفت حتى سمعت فلم أجد له طالباً باغياً، فقالت: هل لك في خير هل لك في أن تقرضه فتعشى به؟ فإذا جاء صاحبه أعطيته ديناراً، فلما هو دينار مكان دينار، فقال علي (ع): أقبل فأخذ الدينار وأخذ وعاءً ثم خرج إلى السوق فإذا رجل عنده طعام يبيعه، فقال علي (ع) كيف نبيع من طعامك هذا؟ قال: كذا وكذا بدينار، فنأوله علي =

قال: فَأَنْشِدُكَ بِاللَّهِ أَنْتَ الَّذِي جَعَلَكَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) عَلَى كَتِفِهِ فِي طَرَحِ صَنْمِ الْكَعْبَةِ وَكُسْرِهِ حَتَّى لَوْ شِئْتَ أَنْ أُنَالُ أَفْقَ السَّمَاءِ لَنَلْتَهَا أَمْ أَنَا؟ قال: بَلْ أَنْتَ^(١).

قال: فَأَنْشِدُكَ بِاللَّهِ أَنْتَ الَّذِي قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) «أَنْتَ صَاحِبُ لَوَايِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» أَمْ أَنَا؟ قال: بَلْ أَنْتَ^(٢).

== (ع) الدينار ثم فتح وعاءه وذهب ليقوم رَدَّ عليه الدينار وقال: لَتَأْخُذْنَهُ وَاللَّهِ، فَأَخَذَهُ وَرَجَعَ إِلَى فَاطِمَةَ فَحَدَّثَهَا حَدِيثَهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ (ع): هَذَا رَجُلٌ عَرَفَ حَقَّنَا وَقَرَّبَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَأَكَلُوهُ حَتَّى أَنْفَذُوهُ وَلَمْ يَصْبِيُوا مِيسِرَةً، فَقَالَتْ لَهُ فَاطِمَةُ (ع): هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ تَسْتَقْرِضُهُ فَتَمْتَشِي بِهِ؟ مِثْلَ قَوْلِهَا الْأَوَّلُ قَالَ: أَفْعَلْ. فَخَرَجَ إِلَى السُّوقِ فَإِذَا صَاحِبُهُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِهِ الْأَوَّلُ، وَفَعَلَ الرَّجُلُ مِثْلَ فَعْلِهِ الْأَوَّلُ، فَرَجَعَ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ (ع) فَدَعَتْ لَهُ مِثْلَ دَعَائِهَا الْأَوَّلُ، فَأَكَلُوا حَتَّى أَنْفَذُوا فَلَمَّا كَانَ الثَّلَاثَةَ، قَالَتْ لَهُ فَاطِمَةُ: إِنْ رَدَّ عَلَيْكَ الدِّينَارَ فَلَا تَقْبَلْهُ، فَذَهَبَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَجَدَهُ فَلَمَّا كَالَ لَهُ. ذَهَبَ يَرُدُّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ عَلِي (ع): وَاللَّهِ لَا آخِذَهُ، فَسَكَتَ عَنْهُ.

قال أبو هارون: فَصَمْتُ فَأَنْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ لَهُ صَحْبَةٌ يَطْوِي بَيْتَهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَردَّ عَلَيَّ وَسَائِلَتِي، فَقَالَ: مَا حَدَّثَكُمْ الْيَوْمَ أَبُو سَعِيدٍ؟ فَقُلْتُ: حَدَّثَنَا بِكَذَا وَكَذَا. فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: مَنْ كَانَ الَّذِي اشْتَرَى مِنْهُ عَلِي (ع) فَقُلْتُ: لَا أَعْلَمُ! قال: كَتَمْتُمْ أَبُو سَعِيدٍ؟ قُلْتُ: وَمَنْ كَانَ الْبَايِعُ؟ قال: لَمَّا ذَهَبَ عَلِي (ع) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) قَالَهُ: يَا عَلِي نَحْبِرِي أَوْ أَخْبِرِك؟ قال: أَخْبِرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قال: صَاحِبُ الطُّعْمَانِ جَبْرِئِيلُ، وَاللَّهِ لَوْ لَا تَحَلَّفَ لَوُجْدَتِهِ مَا دَامَ الدِّينَارُ فِي يَدِكَ.

(١) فِي ج ٢ مِنَ الرِّيَاضِ النَّصْرَةِ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ عَنْ عَلِي قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّ (ص) حَتَّى أَتَيْنَا الْكَعْبَةَ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ص): اجْلِسْ وَصَعِدْ عَلَى مَنْكَبِي، فَذَهَبْتُ لِأَنْهَضَ بِهِ فَرَأَيْتُ مَنِي ضَعُفًا فَزَلْتُ، وَجَلَسَ لِي نَبِيُّ اللَّهِ (ص) وَقَالَ: إصْعِدْ عَلَى مَنْكَبِي فَصَعِدْتُ عَلَى مَنْكَبِهِ، قَالَ: فَهَضْبُ قَالَ: فَتَخَيَّلْتُ إِلَيَّ أَنَّ لَوْ شِئْتُ لَنَلْتُ أَفْقَ السَّمَاءِ حَتَّى صَعِدْتُ عَلَى الْبَيْتِ وَعَلَيْهِ تَمَثَّلَ صَفَرَاءُ وَنَحَلَسُ فَجَعَلْتُ أَزْأُولَهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ حَتَّى إِذَا اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ص): إِنْذِفْ بِهِ فَقَذَفَتْ بِهِ فَتَكَسَّرَ كَمَا تَنْكَسِرُ الْقَوَارِيرُ ثُمَّ نَزَلَتْ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ (ص) نَسْتَبِقُ حَتَّى تَوَارَيْنَا بِالْبَيْتِ خَشْيَةً أَنْ يَلْقَانَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. أَخْرَجَهُ أَحَدٌ وَصَاحِبُ الصَّفْوَةِ. وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمِيُّ وَقَالَ: بَعْدَ قَوْلِهِ فَصَعِدْتُ عَلَى الْكَعْبَةِ - فَقَالَ لِي: إِنَّكَ مِنْهُمْ الْأَكْبَرُ وَكَانَ مِنْ نَحْلَسِ مُوتِدًا بِأَوْتَادٍ مِنْ حَدِيدٍ إِلَى الْأَرْضِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): عَاجِلْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَعَالِجْهُ حَتَّى اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ. فَقَالَ: أَقْدَفُهُ فَقَذَفْتَهُ ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِي الْحَدِيثِ وَزَادَ فِيهَا صَعِدَ حَتَّى السَّاعَةِ.

وإلى هذه المكرمة الجليلة يشير الإمام الشافعي بقوله:

فَبَلَّ لِي: قَلَّ فِي عَلِي مَدْحًا	ذَكَرَهُ بِحَمْدٍ نَارًا مَوْصَدًا
قُلْتُ: لَا أَقْدِمُ فِي مَدْحِ أَمْرٍ	ضَلُّ ذُو اللَّبِّ إِلَى أَنْ عَبْدَهُ
وَالنَّبِيُّ الْمُصْطَفَى قَالَ لَنَا	لِبَلَّةِ الْمَعْرَاجِ لَمَّا صَعِدَهُ
وَضَعَ اللَّهُ بِمُظْهَرِي يَدَهُ	فَأَحْسَ الْقَلْبَ مِمَّا يَرِدُهُ
وَعَلِي وَاضَعَ أَقْدَامَهُ	فِي مَحَلٍّ وَضَعَ اللَّهُ يَدَهُ

(٢) فِي ذُخَائِرِ الْعُقَبِيِّ ص ٧٥ عَنْ عَلِي قَالَ: كَسَرْتُ يَدَ عَلِي (رَضِيَ) يَوْمَ أَحَدٍ فَسَقَطَ اللَّوَاءُ مِنْ يَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) ضَعُوهُ فِي يَدِهِ الْيَسْرَى فَإِنَّهُ صَاحِبُ لَوَايِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. أَخْرَجَهُ ابْنُ الْحَضَرَمِيِّ.

وعن مالك بن دينار سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: مَنْ كَانَ حَامِلَ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص)؟ قَالُوا: كَانَ حَامِلَهَا عَلِي (رَضِيَ). أَخْرَجَهُ أَحَدٌ فِي الْمَنَاقِبِ. وَفِي الرِّيَاضِ النَّصْرَةِ ج ٢ ص ٢٦٧ عَنْ جَابِرٍ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَحْمِلُ رَايَتَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: مَنْ عَسَى أَنْ يَحْمِلَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ يَحْمِلُهَا فِي الدُّنْيَا (عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ). أَخْرَجَهُ نَظَامُ الْمَلِكِ فِي أُمَالِيهِ وَفِي ص ٧٥ مِنْ ذُخَائِرِ الْعُقَبِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ذَهَلٍ:

إِنَّ النَّبِيَّ (ص) قَالَ لِعَلِي: أَمَا عَلِمْتَ يَا عَلِي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يَدْعَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ فِي ظِلِّهِ، فَكَأَنِّي حُلَّةُ خَضِرَاءَ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَدْعَى بِالنَّبِيِّينَ بَعْضُهُمْ عَلَى إِثَرِ بَعْضٍ، فَيَقُومُونَ سَمَاطِينَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، وَيَكُونُ حُلَّةً لَخَضِرَاءَ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ،

قال: فأنشدك الله أنت الذي أمرك رسول الله (ص) بفتح بابه في مسجده عندما أمر بسد أبواب جميع أهل بيته وأصحابه وأحل لك فيه ما أحل الله له أم أنا؟ قال: بل أنت^(١).

قال: فأنشدك بالله أنت الذي قدّمت بين يدي نجوى رسول الله (ص) صدقة^(٢) فنجيته إذ عاتب الله قوماً فقال: «أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات» أم أنا؟ قال: بل أنت^(٣).

قال: فأنشدك بالله أنت قال رسول الله (ص) لفاطمة: «زوّجك أول الناس إيماناً، وأرجحهم إسلاماً في كلام له» أم أنا؟ قال: بل أنت^(٤).

= ألا وإنّي أخبرك يا علي: أنّ أمي أول الأمم بحاسبون يوم القيامة ثم أبشر أنّك أول من يدعى بك لقرايتك مني، وميزتك وميزلتك عندي فيدفع إليك لوائتي وهو: (لواء الحمد) تسير به بين السماطين، آدم وجميع خلق الله تعالى مستظلون بظل لوائتي يوم القيامة، فتسير باللواء، الحسن عن يمينك، والحسين عن يسارك، حتى تقف بيني وبين إبراهيم في ظل العرش، نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك يا علي، أبشر يا علي إنّك تكسى إذا كسيت، وتدعى إذا دعيت، ولحيا إذا حييت. أخرجه أحمد في المناقب.

(١) في ج ٣ ص ١٢٥ من مستدرک الحاكم، وفي كنز العمال ج ٦ ص ١٥٢ الحديث ٢٤٦٥ عن ابن أرقم قال: كانت لغمر من أصحاب رسول الله (ص) أبواب شارع في المسجد، فقال يوماً: وسدوا هذه الأبواب إلا باب علي، قال: فتكلم في ذلك ناس فقام رسول الله (ص) فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فاتبعته» ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وفي الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٥٣/٢٥٤ عن أبي هريرة قال: قال عمر: ثلاث خصال لعليّ لأن يكون في خصلة منهن أحب إليّ من أن يكون في حر النعم: تزويجه فاطمة بنت النبي (ص) وسكنائه في المسجد مع رسول الله (ص) والراية يوم خيبر. أخرجه ابن السمان في الموافقة. وعن أبي سعيد عنه قال: قال رسول الله (ص): يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك. وأيضاً عن ابن عمر قال: لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن يكون في واحدة منهن أحب إليّ من حر النعم: زوجه رسول الله (ص) بابتها وولدت له، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر أخرجه أحمد.

وفي كنز العمال ص ١٥٩ ج ٦ الحديث ٢٦٧٠. عن أم سلمة لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلا أنا وعليّ والحديث ٢٦٧١ عن أبي سعيد: يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيرك.

(٢) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٥ عن عليّ (ع) أنه قال: آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد بعدي: آية النجوى. كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فلما أردت أن أتأجي رسول الله (ص) قدمت درهماً، فنسختها الآية الأخرى «أأشفقتم - الآية» أخرجه ابن الجوزي في أسباب النزول.

قال الحافظ محمد بن أحمد بن جزى الكلبي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ص ١٠٥ ج ٤: روي أنه كان له دينار فصرفه بعشرة دراهم ونجاه عشر مرات تصدق في كل مرة منها بدرهم وقيل: تصدق في كل مرة بدينار. الخ.

وفي تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٣٠٢ قال: وقد روي عن مجاهد: أنّ أول من تصدّق في ذلك عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وتأجى الرسول (ص). روي أنه تصدّق بخاتم. وذكر القشيري وغيره عن عليّ بن أبي طالب أنه قال: في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، وهي «يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة» كان لي دينار فبعته، فكنت إذا ناجيت الرسول تصدّقت بدرهم حتى نفذ فنسخت بالآية الأخرى «أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات». كذلك قال ابن عباس: نسخها الله بالآية التي بعدها. وقال ابن عمر: لقد كان لعليّ (رض) ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كان أحب إليّ من حر النعم، تزويجه فاطمة، وإعطائه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

(٣) المجادلة: ١٣

(٤) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣ الحديث ٢٥٤٣ عن أبي هريرة وعن ابن عباس أما ترضين أنّي زوّجك أول المسلمين إسلاماً، =

قال: فأنتدك بالله يا أبا بكر أنت الذي سلمت عليه ملائكة سبع سماوات يوم القليب أم أنا؟
قال: بل أنت^(١).

قال: فلم يزل يورد مناقبه التي جعل الله له ورسوله دونه، ودون غيره، ويقول له أبو بكر: بل أنت.

قال: فبهذا وشبهه تستحق القيام بأمر أمة محمد، فما الذي غرك عن الله وعن رسوله ودينه وأنت خلو مما يحتاج إليه أهل دينه.

قال: فبكى أبو بكر وقال: صدقت يا أبا الحسن أنظري قيام يومي فأدبر ما أنا فيه وما سمعت منك.

فقال عليّ (ع): لك ذلك يا أبا بكر.

فرجع من عنده وطابت نفسه^(٢) يومه ولم يأذن لأحد إلى الليل، وعمر يتردد في الناس لما بلغه من خلوته بعليّ، فبات في ليلته فرأى في منامه كأن رسول الله (ص) تمثل له في مجلسه فقام إليه أبو بكر يسلم عليه فوئى عنه وجهه، فصار مقابل وجهه فسلم عليه فوئى وجهه عنه، فقال أبو بكر: يا رسول الله امرت بأمر لم أفعله؟ فقال: أرد عليك السلام وقد عادت من والاه الله ورسوله؟! رد الحق إلى أهله. فقلت: من أهله؟ قال: من عاتبك عليه عليّ، قلت: فقد رددته عليه يا رسول الله ثم لم يره.

واعلمهم علياً، فإنك سيدة نساء امتي كما سادت مريم قومه، أما ترضين يا فاطمة أن الله أطلع على أهل الأرض فاختار منهم رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك. وأيضاً الحديث ٢٥٤٢ عن معقل بن يسار: «أما ترضين أني زوجتك أقدم امتي سلماً وأكثرهم علماً، وأعظمهم حليماً والحديث ٢٥٤٤ عن بريدة:

«زوجتك خير أهل أعلمهم علماً، وأفضلهم حليماً، وأولهم سلماً». والحديث ٢٥٤٥ عن أبي إسحاق: «لقد زوجتك وإنه لأول أصحابي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حليماً».

وفي نتائج المودة ص ٨٠ - ٨١. موفق بن أحمد بسند عزيّ أبي أيوب الأنصاري قال: إن فاطمة (رض) أتت في مرض أبيها (ص) ويكت فقال: يا فاطمة إن لكرامة الله إليك زوجك من هو أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً، وأعظمهم حليماً، إن الله عز وجل أطلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختارني منهم فبعثني نبياً مرسلأ، ثم أطلع اطلاعة فاختار منهم بعلك فأوحى إلي أن أزوجه إليك واتخذني وصياً.

(١) في ص ٢٨ من تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: قال أحمد في الفضائل -: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا إسحاق بن إبراهيم النهشلي، حدثنا سعيد بن الصلت، حدثنا أبو الجارود الرحبي عن أبي إسحاق الحمداني عن الحرث عن عليّ قال: لما كانت ليلة بدر قال رسول الله (ص): من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس، قال: فقامت فاحتضنت قرية، ثم أتيت قليلاً بعيد القمر مظلياً، فالتحدرت فيه فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل: تأهبوا لنصرة محمد (ص) وحزبه، فهبطوا من السماء فهم ذوي يذهل من سمنه، فلما حاذوا القليب وقفوا وسلموا عليّ من عند آخرهم، إكراماً، وتبجيلاً وتعظيماً وذكره أرباب المغازي وفي ذخائر العقبي ص ٦٨ - ٦٩ قال:

لما كان ليلة يوم بدر قال رسول الله (ص): من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس، فقام عليّ فاحتضن قرية فأتى بئرأ بعينة القمر مظلمة، فالتحدرت فيها فأوحى الله عز وجل إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل: تأهبوا لنصرة محمد (ص) وحزبه فهبطوا من السماء هم لفظ يذهل من سمنه، فلما حاذوا القليب بالبر سلموا عليه من عند آخرهم إكراماً وتبجيلاً.

(٢) طاب عن الشيء نفساً: تركه وفارقه.

فأصبح ويكر^(١) إلى علي^(ع) وقال: ابسط يدك يا أبا الحسن أبايعك وأخبره بما قد رأى، قال: بسط علي^(ع) يده فمسح عليها أبو بكر وبايعه وسلم إليه وقال له: أخرج إلى مسجد رسول الله (ص) فأخبرهم بما رأيت من ليلتي وما جرى بيني وبينك، وأخرج نفسي من هذا الأمر وأسلمه إليك، قال: فقال علي^(ع): نعم.

فخرج من عنده متغيراً لونه عاتباً نفسه، فصادفه عمر - وهو في طلبه - فقال له: ما لك يا خليفة رسول الله؟ فأخبره بما كان وما رأى وما جرى بينه وبين علي^(ع)، فقال له: أنشدك بالله يا خليفة رسول الله والإغترار بسحر بني هاشم والثقة بهم فليس هذا بأول سحر منهم، فما زال به حتى رده عن رأيه وصرفه عن عزمه ورغبه فيها هو بالثبات عليه، والقيام به.

قال: فأتى علي^(ع) المسجد على الميعاد فلم ير فيه منهم أحداً فأحس بشيء منهم، ففقد إلى قبر رسول الله (ص) قال: فمر به عمر، فقال: يا علي^(ع) دون ما تريد خرط القتاد^(٢) فعلم^(ع) بالامر ورجع إلى بيته.



احتجاج سلمان الفارسي على عمر بن الخطاب في جواب كتاب كتبه إليه حين كان عامله على المدائن بعد حذيفة بن اليمان^(٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

من سلمان مولى رسول الله (ص) إلى عمر بن الخطاب.

(١) بكر: أنه بكره وسبق إليه في أول أحواله.

(٢) القتاد شجر صلب له شوك كالإبر، وخرط القتاد: هو انتزاع قشره أو شوكه باليد يقال: ومن دون ذلك خرط القتاد أي إنه لا ينال إلا بمشقة عظيمة.

(٣) أبو عبد الله: حذيفة بن اليمان، واسم اليمان: حنبل أو حسيل، وأما سمي باليمان لأنه: أصاب دماً فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل، فسماه قومه اليمان لكونه حالف اليمانية.

كان رحمه الله من كبار صحابة النبي (ص) هاجر إليه، فخيرته النبي (ص) بين الهجرة والنصرة، فاختار النصر، وكان يقول: خيرني رسول الله (ص) بين الهجرة والنصرة فاخترت النصر. وشهد مع النبي (ص) أحداً وقتل أبوه بها.

وهو صاحب سر رسول الله (ص) في المنافقين. أعلمه بهم رسول الله (ص) وقد قيل إن عمر بن الخطاب كان إذا مات ميت يسأل عن حذيفة فإن حضر الصلاة عليه صل عليه عمر، وإن لم يحضر الصلاة، لم يحضر عمر. وفي الصحيحين: إن أبا الدرداء قال لعلمة: ليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة.

وروى مسلم عن عبد الله بن يزيد الخطمي عن حذيفة قال: لقد حدثني رسول الله (ص) ما كان وما يكون حتى تقوم الساعة.

وسئل يوماً: أي الفتن أشد؟ قال: أن يعرض عليك الخير والشر لا تدري أيها تتركب.

وقال أبو إدريس الخولاني: سمعت حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن

أما بعد : فإنه أتاني منك كتاب يا عمر، تؤنّبني^(١) وتعيّرني، وتذكر فيه : أنك بعثتني أميراً على أهل المدائن، وأمرتني أن أقص إثر حذيفة^(٢) وأستقصي أيام أعماله وسيره، ثم أعلمك قبيحها، وقد نهاني الله عن ذلك يا عمر في محكم كتابه حيث قال : ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تحسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾^(٣) وما كنت لأعصي الله في إثر حذيفة وأطيعك.

وأما ما ذكرت : أنني أقبلت على سف الخوص^(٤) وأكل الشعير، فما هما مما يعير به مؤمن ويؤنب عليه، وأيم الله يا عمر لأكل الشعير وسف الخوص، والإستغناء عن رفيع الطعام والمشرب، وعن غضب مؤمن حقه وادعاء ما ليس له بحق، أفضل وأحب إلى الله عز وجل وأقرب للتقوى، ولقد رأيت رسول الله (ص) إذا أصاب الشعير أكل وفرح به ولم يسخطه.

وأما ما ذكرت من إعطائي : فإني قدّمته ليوم فاقني وحاجتي، ورب العزة يا عمر، ما أبالي إذا جاز طعامي لهواني وانساغ^(٥) في حلقي الباب البرومع المعزة كان أو خشارة الشعير^(٦).

وأما قولك : إني ضعفت سلطان الله وهنته، وأذلت نفسي وامتهنتها^(٧) حتى جهل أهل المدائن إمارتي، واتخذوني جسراً يمشون فوقي، ويحملون عليّ ثقل حملتهم^(٨) وزعمت أن ذلك مما يوهن سلطان الله ويذله.

فاعلم : أن التذلل في طاعة الله أحب إليّ من التعزّز في معصيته، وقد علمت أن رسول الله (ص) يتألف الناس^(٩) ويتقرب منهم ويتقربون منه في نبوته وسلطانه، حتى كأنه بعضهم في الدنو منهم، وقد

= وعداده في الانتصار وهو أحد الأركان الأربعة من أصحاب أمير المؤمنين (ع) ومن صلى على سيدة النساء فاطمة، وحضر تشييعها.

روي عن زرارة عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عن عليّ عليهم السلام قال : ضاقت الأرض بسبعة، بهم ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تقطرون، ومنهم : سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة، رحمهم الله تعالى وكان عليّ (ع) يقول : وأنا إمامهم.

استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى مات بعد مقتل عثمان وبيعة أمير المؤمنين عليه السلام بأربعين يوماً سنة (٣٦).
راجع : رجال الشيخ الطوسي ص ١٦، جامع الرواة ج ١ ص ١٨٢، رجال الكشي ص ٢٧ أسد الغابة ج ١ ص ٢٩١، الاصابة ج ١ ص ٣١٦، صفة الصفوة ج ١ ص ٢٤٩ تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢١٩.

(١) أنه : عنفه ولامه.

(٢) قص إثره : تبعه شيئاً فشيئاً.

(٣) الحجرات : ١٢.

(٤) سف الخوص : نسجه.

(٥) انساغ : مر في حلقه.

(٦) الخشارة : ما لا لب له من الشعير.

(٧) أي وضعته موضع الإهانة.

(٨) كل ما له قدر، ووزن : فهو ثقل. والحمولة - بالفتح - الإبل التي تطبق أن يحمل عليها.

(٩) المؤلف : المداراة والإستيناس.

كان يأكل الجشب^(١) ويلبس الخشن، وكان الناس عنده قرشيهم، وعرييهم، وأبيضهم، وأسودهم، سواء في الدين وأشهد أني سمعته يقول: «من ولي سبعة من المسلمين بعدي ثم لم يعدل فيهم لقي الله وهو عليه غضبان» فليتني يا عمر أسلم من عمارة المدائن^(٢) مع ما ذكرت أني أذلت نفسي وامتهنتها، فكيف يا عمر حال من ولي الأمة بعد رسول الله (ص)؟ وإني سمعت الله يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾^(٣).

إعلم: أني لم أتوجه أسوسهم وأقيم حدود الله فيهم إلا بإرشاد دليل عالم فنهجت فيهم بنهجه، وسرت فيهم بسيرته^(٤).

واعلم: أن الله تبارك وتعالى لو أراد بهذه الأمة خيراً أو أراد بهم رشداً لولّى عليهم أعلمهم وأفضلهم، ولو كانت هذه الأمة من الله خائفين، ولقول نبي الله متبعين وبالحق عاملين، ما سموك أمير المؤمنين، فاقض ما أنت قاض، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، ولا تغتر بطول عفو الله عنك وتغديده بذلك من تعجيل عقوبته.

واعلم: أنك سيدركك عواقب ظلمك في دنياك وآخرتك، وسوف نسأل عما قدّمت وآخرت، والحمد لله وحده.



احتجاج أمير المؤمنين (ع) على القوم لما مات عمر بن الخطاب وقد جعل الخلافة شورى بينهم^(٥).

(١) الجشب - بفتح الجيم وسكون الشين -: الغليظ الخشن.

(٢) العمارة بالفتح: الحى العظيم. والمدائن هي: مدينة كسرى وقبل هي عدة مدن متقاربة، تقع على سبع فراسخ من بغداد، وهي دار مملكة الفرس، وأول من نزلها أنوشيروان، وبها ابوانه، ولم تزل آثاره باقية حتى يومنا هذا، وبها قبر سلمان وحذيفة وهما مشيدان ويعرف المكان باسم: «سلمان بالك».

(٣) القصص - ٣٨

(٤) يريد علياً عليه السلام

(٥) في ج ٢ من شرح النهج لابن أبي الحديد ص ٦١ قال: ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى وتعديده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم، قد روى الناس ذلك فأكثروا... إلى أن قال: - في كلام قد ذكره أهل السيرة وقد أوردنا بعضه فيما تقدم، ثم قال لهم: أنشدكم الله أفياكم أحد أنبي رسول الله (ص) بينه وبين نفسه حيث أنشأ بين بعض المسلمين وبعض غيري؟ فقالوا: لا فقال: أفياكم أحد قال له رسول الله (ص): من كنت مولاه فهذا مولاه غيري؟ فقالوا: لا. قال: أفياكم أحد قال له رسول الله (ص): أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي غيري قالوا: لا. قال: أفياكم من أؤمن على سورة براءة وقال له رسول الله (ص): إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني غيري؟ قالوا: لا. قال: ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله (ص) فروا عنه في مآقط الحرب في غير موطن وما غررت قط. قالوا: بلى، قال: ألا تعلمون أني أول الناس إسلاماً، قالوا: بلى. قال: فأينا أقرب إلى رسول الله نبياً قالوا: أنت. فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف... الخ.

وفي الصواعق المحرقة ص ٢٤ -: وأخرج الدار قطني: أن علياً قال للمستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملة: أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيري؟ قالوا: اللهم لا.

وفي ج ٢ من لسان الميزان ص ١٥٧/١٥٦ عن ابن أبي الطفيل قال: كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات، فسمعت علياً يقول: (يا أيها الناس لا يكر، وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به، فسمعت وأطعت، مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم

رقاب بعض. ثم بايع الناس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه، فسمعت وأطعت، مخافة أن يضرب الناس بعضهم رقاب بعض، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان... إلى أن قال: وأيم الله لو أشاء أن أتكلّم فثم لا يستطيع عريبيهم ولا عجميهم رده: نشدّكم بالله أفبكم من أخي رسول الله (ص) غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدّكم بالله أفبكم أحد له مثل عمي حمزة؟ قالوا: اللهم لا. قال نشدّكم بالله أفبكم أحد له أخ مثل أخي جعفر ذي الجناحين يطير بها في الجنة؟ قالوا: لا. قال: أفبكم أحد له مثل سبطي الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة؟ قالوا: لا. قال: أفبكم أحد له زوجة مثل زوجتي، قالوا: لا. قال: أفبكم أحد كان أقتل لمشركي قريش عند كل شديدة تنزل برسول الله (ص) مني قالوا: لا.

وفي مناقب الخوارزمي ص ٢١٧:- أخبرني الشيخ الإمام شهاب الدين أفضل الحفاظ أبو النجيب سعد بن عبد الله بن الحسن الحمداني المعروف بالروزي فيما كتب إلي من همدان، أخبرني الحفاظ أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسين فيما أذن لي في الرواية عنه أخبرني الشيخ الأديب أبو علي عبد الرزاق بن عمر بن إبراهيم الطهراني سنة ٤٧٣، أخبرني الإمام الحفاظ طراز المحدثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الإصبهاني وقال الشيخ الإمام شهاب الدين أبو نجيب سعد بن عبد الله الحمداني. وأخبرني بهذا الحديث عاليًا الإمام الحفاظ سليمان بن إبراهيم الإصبهاني في كتابه إلي من إصبهان سنة ٤٨٨ عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه، حدثني سليمان بن محمد بن أحمد، حدثني علي بن سعد الرازي، حدثني محمد بن حميد، حدثني زافر بن سليمان بن الحرث بن محمد عن أبي الطقيل عامر بن وإثله قال: كنت على الباب يوم الشورى مع علي وسمعت يقول: لا أحتجج بما لا يستطيع عريبيكم ولا عجميكم تغيير ذلك ثم قال: أنشدكم الله أيها النفر جيمًا أفبكم أحد وخذ الله قبلي؟ قالوا: لا. قال فأنشدكم الله هل منكم أحد له مثل جعفر الطيار في الجنة مع الملائكة؟ قالوا: اللهم لا. قال: أنشدكم الله هل فيكم أحد له عم كعمي حمزة أسد الله وأسود رسوله سيد الشهداء غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: أنشدكم الله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: أنشدكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله (ص) مرات قدم بين يدي تجوّه صدقة قبلي؟ قالوا اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وآل من والآء وعاد من عاداء وانصر من نصره ليلبغ الشاهد الغائب غيري؟ قالوا اللهم لا. قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): اللهم اتني بأحب خلقك إليك وإني وأشدّهم لك حبًا ولي حبًا يأكل معي من هذا الطير فأناله وأكل معه غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله على يده إذ رجعت غيري متبرماً غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال فيه رسول الله (ص) لوفد بني ربيعة: لنز منن أو لأبعثن إليكم رجلاً نفسه كنفسه وطاعته كطاعتي ومعصيته كمعصيتي يقتلكم بالسيف غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال رسول الله (ص): كذب من زعم أنه يحبني ويغض هذا غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد سلم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف ملك من الملائكة منهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل حيث جثت بالماء إلى رسول الله من القليب غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال له جبرئيل: هذه هي المواساة فقال له رسول الله (ص): إنه مني وأنا منه وقال جبرئيل وأنا منكم غيري؟ قالوا اللهم لا. قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد نودي من السماء لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد يقاتل التاكثين والقاسطين والمارقين على لسان النبي (ص) غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): قاتلت على تنزيل القرآن وتقاتلت على تأويل القرآن غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد ردت عليه الشمس حتى صُلّ العصر في وقتها غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أمره رسول الله أن يأخذ برأمة من أبي بكر فقال أبو بكر: يا رسول الله (ص) نزل في شيء؟ فقال: إنه لا يؤدي عني إلا علي غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): لا يجهل إلا مؤمن ولا يفتك إلا كافر غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله أنتم تعلمون أنه أمر بسد أبوابكم وفتح بابي فقلتم في ذلك فقال رسول الله (ص): ما سدّت أبوابكم ولا فتحت بابي بل الله سد أبوابكم وفتح بابي غيري؟ قالوا: اللهم نعم. قال فأنشدكم بالله أنتم تعلمون أنه ناجاني يوم الطائف دون الناس فأطال ذلك فقلتم ناجاه دوننا فقال: ما أنا انتجيت به بل الله انتجاه غيري؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم الله أنتم تعلمون أن رسول الله (ص) قال: الحق مع علي وعلي مع الحق يدور الحق مع علي كيف ما دار؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم بالله أنتم تعلمون أن رسول الله (ص) قال: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما ولن يفترقا حتى يرثا علي الخوفا قالوا: اللهم نعم. قال: =

روى عمرو بن شمر^(١) عن جابر الجعفي^(٢) عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه وعلى آبائه السلام.

قال: إن عمر بن الخطاب لما حضرته الوفاة وأجمع على الشورى، بعث إلى ستة نفر من قريش: إلى علي بن أبي طالب، وإلى عثمان بن عفان، وإلى الزبير بن العوام، وإلى طلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأمرهم أن يدخلوا إلى البيت ولا يخرجوا منه حتى يبايعوا لأحدهم، فإن اجتمع أربعة على واحد، وأبى واحد أن يبايعهم قتل، وإن امتنع اثنان وبايع ثلاثة قتل، فأجمع رأيهم على عثمان.

فلما رأى أمير المؤمنين (ع) ما هم القوم به من البيعة لعثمان، قام فيهم ليتخذ عليهم الحجة فقال (ع) لهم:

فأنشدكم الله هل فيكم أحد وفق رسول الله من المشركين بنفسه واضطجع في مضجعه غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبدود العامري حيث دعاكم إلى البراز غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد نزل الله فيه آية التطهير حيث قال: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الْخَبْثُ غَيْرِي؟﴾ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) أنت سيد العرب غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): ما سألت الله شيئاً إلا سألت لك غيري؟ قالوا: اللهم لا.

وارتفعت الأصوات بينهم فسمعت علياً (ع) يقول: بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر وأحق به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً ويضرب بعضهم رقاب بعضهم بالسيف، ثم بايع أبو بكر لعمر وأنا والله أحق بالأمر منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً ثم أنتم تريدون أن تبايعوا لعثمان الخ.

(١) عمرو بن شمر: قال العلامة الخلي في خلاصته عمرو بن شمر - بالشين المعجمة والراء أخيراً - أبو عبد الله الجعفي كوفي - روى عن أبي عبد الله (ع) وعن جابر وهو ضعيف جداً، زيد أحاديث في كتب جابر بن يزيد الجعفي، ينسب إليه بعضها، فالأمر ملتبس، فلا أعتد على شيء مما يرويه وكذا النجاشي ضعفه وعده الشيخ الطوسي في أصحاب الإمامين الباقر والصادق (ع) وقال في الفهرس: له كتاب.

(٢) في خلاصة العلامة: جابر بن يزيد، روى الكشي فيه مدحاً وبعض الذم والطريقان ضعيفان ذكرناهما في الكتاب الكبير. وقال السيد علي بن أحمد العقيلي العلوي: روى عن أبي عمار بن أبان عن الحسين بن أبي العلا: أن الصادق (ع) ترحم عليه وقال: إنه كان يصدق علينا وقال ابن عقدة روى أحمد بن محمد بن البراء الصايغ عن أحمد بن الفضل بن حنان بن سدير عن زياد بن أبي الجلال، أن الصادق (ع) ترحم على جابر وقال: إنه كان يصدق علينا، ولعن المغيرة وقال: إنه كان يكذب علينا. وقال ابن الغضائري، إن جابر بن يزيد الجعفي - الكوفي ثقة في نفسه، ولكن جل من روى عنه ضعيف، فمن أكثر عنه من الضعفاء عمرو بن شمر الجعفي ومفضل بن صالح والسكوني ومنخل بن جميل الأسدي. وأرى الترك لما روى هؤلاء عنه والوقف في الباقي إلا ما خرج شاهداً.

وقال النجاشي: جابر بن يزيد الجعفي لقي أبا جعفر وأبا عبد الله (ع) ومات في أيامه سنة ثمان وعشرين ومائة، وروى عنه جماعة غمز فيهم وضعفوا، منهم عمرو بن شمر، ومفضل بن صالح، ومنخل بن جميل، ويوسف بن يعقوب، وكان نفسه مختلطاً وكان شيخنا محمد بن محمد بن النعمان ينشدنا أشعاراً كثيرة في معناه تدل على الإختلاط ليس هذا موضعاً لذكرها والأقوى عندي التوقف فيها يرويه هؤلاء كما قاله الشيخ الغضائري (ره).

وفي أصحاب الإمام الباقر (ع) من رجال الشيخ الطوسي (ره) جابر بن يزيد بن الحرث بن عبد يغوث الجعفي - توفي سنة ثمان وعشرين ومائة على ما ذكر ابن حنبل، وقال ابن معين: مات سنة الثين وثلاثين ومائة، وقال الفتيبي هو من الأزد - وفي أصحاب الإمام الصادق (ع) جابر بن يزيد أبو عبد الله الجعفي تابعي أسند عنه روى عنها (ع).

اسمعوا مني كلامي فإن يك ما أقول حقاً فاقبلوا، وإن يك باطلاً فأنكروا،
ثم قال: أنشدكم بالله الذي يعلم صدقكم إن صدقتم، ويعلم كذبكم إن كذبتم، هل فيكم
أحد صلّ القبلتين^(١) كليهما غيري؟ قالوا: لا.
قال: نشدتكم بالله هل فيكم من بايع البيعتين كليهما: الفتح، وبيعة الرضوان غيري؟ قالوا:
لا
قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخوه المزيّن بالجناحين في الجنة غيري؟ قالوا: لا.
قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عمه سيد الشهداء غيري؟ قالوا: لا^(٢).
قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد زوجته سيدة نساء العالمين غيري؟ قالوا: لا.
قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد إبنائه إنا رسول الله (ص) وهما سيّد شباب أهل الجنة غيري؟
قالوا: لا.

(١) القبلة الأولى هي: بيت المقدس وكانت قبلة المسلمين حتى بعد الهجرة بـ (١٦) أو (١٧) شهراً فلما نزل قوله تعالى: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ
تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَتَتَوَلَّى نِكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...» الخ توجه النبي (ص) إلى القبلة الثانية وشرط المسجد الحرام، وهي قبلة إبراهيم
(ع).

(٢) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمه هالة بنت أبيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة. وهي ابنة
عم أمّة بنت وهب أم النبي (ص) رضيع رسول الله (ص) أرضعتها ثوبه امرأة أبي لهب. وكان أسراً من رسول الله (ص) يستبين.
كنيته أبو عمار، ولقب أبو يعلى. أسلم في السنة الثانية من المبعث.

قال محمد بن كعب القرظي: قال أبو جهل في رسول الله فبلغ حمزة فدخل المسجد مغضباً فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة
أوضحته وأسلم حمزة فعز به رسول الله (ص) والمسلمون.

أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله بينه وبين زيد بن حارثة وهاجر إلى المدينة وأول لواء عقده رسول الله (ص) حين قدم
المدينة لخمزة، وشهد بدرًا وأبلى فيها بلاءً عظيماً مشهوراً، وشهد أحداً وقتل بها ومثل به المشركون
وبقرت هند بطن حمزة سلام الله عليه فأخرجت كبده، فجعلت تلوكها فلما شهده
النبي (ص) اشتد وجده عليه، وروي أنه (ص) وقف عليه وقد مثل به فلم ير منظرًا كان أوجع لقلبه منه، فقال: رحل الله أي عم
فلقد كنت وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات. وروي عن جابر قال: لما رأى رسول الله (ص) حمزة قتيلاً بكى فلما رأى ما مثل به شهق.

ولما عاد (ص) إلى المدينة سمع النوح على قتل الأنصار قال، لكن حمزة لا يواكي له فسمع الأنصار فأمرؤا نساءهم أن يندبن حمزة
قبل قتلاهم. ففعلن ذلك. قال الواقدي فلم يزلن يبدأن بالندب لخمزة. وبهذا استدلل الشيعة الإمامية على جواز البكاء على الميت لا
سيّما الشهداء من أهل البيت (ع) بل على استحبابه لأن النبي (ص) ندب إليه، واستدلوا ببكاء النبي (ص) على ولده إبراهيم (ع) أيضاً
مضافاً إلى ما تواتر من طريق أهل البيت من استحباب البكاء على مصائبهم خصوصاً ما جرى على أبي عبد الله الحسين وأصحابه وعياله
في واقعة الطف.

وقال (ص): كل نادبة كاذبة إلا نادبة حمزة. وقال: سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب. وقال: والذي نفسي بيده إنه لمكتوب
عند الله سبحانه وتعالى في السماء السابعة: «حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله».

وكان مقتله للنصف من شوال من سنة ثلاث وكان عمره سبعاً وخمسين سنة. وصلّى النبي على حمزة ثم لم يؤت يقبيل إلا وصلّى
عليه معه حتى صلّى عليه ٧٢ صلاة.

- قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عرف الناسخ من المنسوخ غيري؟ قالوا: لا^(١).
- قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً غيري؟ قالوا: لا.
- قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عاين جبرئيل في مثال دحية الكلبي غيري؟ قالوا: لا^(٢).
- قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أدى الزكاة وهو راكع غيري؟ قالوا: لا.
- قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد مسح رسول الله (ص) عينيه وأعطاه الراية يوم خيبر فلم يجد حرّاً ولا برداً غيري؟ قالوا: لا.
- قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نصبه رسول الله (ص) يوم غدیر خم بأمر الله تعالى فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه غيري؟» قالوا لا^(٣).
- قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد هو أخو رسول الله في الحضر ورفيقه في السفر غيري؟ قالوا: لا.
- قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبدود يوم الخندق وقتله غيره؟ قالوا: لا.
- قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» غيري؟ قالوا: لا.

مركز تحقيق كتاب تواتر علوم اسلامی

- (١) أخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال: قال علي: سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بهار، أم في سهل أم جبل.
- وأخرج ابن سعد أيضاً عن ابن عباس عه (ع) قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت. إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً. الصواعق المحرقة ص ١٢٥/١٢٦.
- (٢) في ج ٩ من بحار الأنوار ص ٥٤٩ عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) عن آبائه عليهم السلام قال: دخل علي (ع) رسول الله (ص) في مرضه وقد أغمي عليه، ورأسه في حجر جبرئيل، وجبرئيل في صورة دحية الكلبي فلما دخل علي (ع) قال جبرئيل: دونك رأس ابن عمك أنت أحق به مني، لأن الله يقول في كتابه ﴿واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ فجلس علي (ع) وأخذ رأس رسول الله (ص) فوضعه في حجره، فلم يزل رأس رسول الله في حجره حتى غابت الشمس، وإن رسول الله (ص) أفاق فرفع رأسه فنظر إلى علي (ع) فقال: يا علي أين جبرئيل؟ فقال: يا رسول الله ما رأيت إلا دحية الكلبي، دفع إلي رأسك، قال: يا علي دونك رأس ابن عمك فأنت أحق به مني... الخ.
- (٣) في ج ٢ من الرياض النضرة ص ٢٢٤ - ٢٢٥: عن عمر بن الخطاب - وقد جاءه إهرايان يختصمان - فقال لعلي: إقض بينهما يا أبا الحسن ف قضى علي بينهما. فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر فأخذ بتليبه وقال: ويحك ما تدري من هذا! هذا مولاي ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس يؤمن. وعن زيد بن أرقم قال: استشهد علي الناس فقال: أشهد الله رجلاً سمع النبي (ص) يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا. وعن زياد بن أبي زياد قال: سمعت علي بن أبي طالب ينشد الناس فقال: أشهد الله رجلاً مسلماً سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدیر خم ما قال، فقام اثنا عشر رجلاً بديراً فشهدوا. وعن رباح بن الحارث قال، جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: (السلام عليك يا مولانا). قال: وكيف أكون مولاكم وأنتم عرب! قالوا: سمعنا رسول الله (ص) - يقول - يوم غدیر خم - : من كنت مولاه فعلي مولاه. قال رباح، فلما مضوا تبعتم فسالنا من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار - فيهم أبو أيوب الأنصاري - خرجهم أحمد.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سماء الله في عشر آيات من القرآن مؤمناً غيري؟ قالوا: لا^(١).

(١) أخرج موفق بن أحمد عن مجاهد وعكرمة وهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ص): ما أنزل الله في القرآن آية يقول فيها: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلا وعلي رئيسها وأميرها. وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن الأعمش عن أصحاب ابن عباس رضي الله عنه قال: ما أنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد (ص) في غير مكان، وما ذكر علياً إلا بخير.

ينابيع المودة ص ١٢٥ ١٢٦

والآيات العشرة هي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ألمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ السجدة: ١٨.

ذكر الطبري في ٢١ ص ٦٢ من تفسيره عن عطاء بن يسار قال: نزلت بالمدينة في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط، كان بين الوليد وعلي كلام فقال الوليد أنا أبسط منك لساناً، وأحد منك سنناً، وأرد منك للكتيبة. فقال علي: اسكت فأتتك فاسقاً فأنزل الله فيها: ﴿ألمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ قال: لا والله ما استووا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ الأنفال: ٦٤.

قال المجلسي (ره) في الجزء التاسع من البحار ص ٩٤ روى أبو نعيم بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: نزلت في علي بن أبي طالب (ع) وقال العلامة قدس الله روحه: روى الجمهور: أنها نزلت في علي.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ التوبة: ١٩.

ذكر الطبري في تفسيره ج ١٠ ص ٥٩ مسنداً عن أبي صخر قال: سمعت محمد بن أبي كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شبة من بني عبد الدار، وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، لو شاءت فيه. وقال عباس: أنا صاحب السقاية، والقائم، ولو شاءت في المسجد وقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام... الآية﴾

رابعاً: قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الجاثية: ٢١.

روى سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ١١ عن ابن عباس: نزلت في علي يوم بدر «فالذين اجترحوا السيئات» حبة، وشية، والوليد بن المغيرة: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات»: علي عليه السلام.

خامساً: قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ مريم: ٩٦.

في ص ١٠ من تذكرة الخواص: قال ابن عباس: هذا الود جعله الله لعلي في قلوب المؤمنين. وقد روى أبو إسحاق الثعلبي. هذا المعنى مسنداً في تفسيره إلى البراء بن عازب قال: قال رسول الله (ص) لعلي: قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله: هذه الآية.

سادساً: قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ البينة: ٧.

ذكر ابن حجر في الصواعق ص ١٩٥: عن ابن عباس: أن هذه الآية لما نزلت قال (ص) لعلي: هو أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، وبأي عدوك غضاباً مقمحين قال: ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك ولعنك.

سابعاً: قوله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ سورة العصر.

في ج ٦ من تفسير الدر المنثور ص ٣٩٢: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: «والعصر إن الإنسان لفي خسر» - يعني: أبا جهل بن هشام. «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ذكر علياً وسلمان.

ثامناً: قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ فقال: اللهم فغراً هذه الآية نزلت في، وفي عمي حمزة، وفي عمي عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب. فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم =

قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد ناول رسول الله (ص) قبضة من التراب فرمى بها في وجوه الكفار فانهزموا غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد وقفت الملائكة معه يوم أحد حتى ذهب الناس غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قضى دين رسول الله (ص) غيري؟ قالوا: لا.

قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد شهد وفاة رسول الله (ص) غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد غسل رسول الله وكفنه ولحده غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله (ص) ورايته وخاتمه غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد جعل رسول الله (ص) طلاق نسائه بيده غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد حمل رسول الله (ص) على ظهره حتى كسر الأصنام على باب الكعبة غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نودي باسمه من السماء يوم بدر: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فiq إلا علي» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أكل مع رسول الله (ص) من الطائر المشوي الذي أهدي إليه غيري؟ قالوا: لا.

قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت صاحب رأيي في الدنيا وصاحب لوائي في الآخرة» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قدم بين يدي نجواه صدقة غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد خصف نعل رسول الله (ص) غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنا أخوك وأنت أخي» غيري؟ قالوا: لا.

==بدر، وحزة قضى نحبه شهيداً يوم أحد، وأما أنا فانتظر أشقاها، يخضب هذه من هذه - وأشار بيده إلى لحيته ورأسه، عهد عهد أبي حبيبي أبو القاسم (ص).==

تاسعاً: قوله تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ الأنفال: ٦٢

في يناير للمدة من ٩٤: أبو نعيم الحافظ بسنده عن أبي هريرة. أيضاً عن أبي صالح عن ابن عباس: أيضاً عن جعفر الصادق (ع) في قوله تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ قالوا: نزلت في عليّ وإن رسول الله (ص) قال: رأيت مكتوباً على العرش، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبدي ورسولي أيدته ونصرته بعليّ ابن أبي طالب.

عاشراً - قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾. المائدة: ٥٥. راجع هامش ص ١٦١ من هذا الكتاب.

قال : نشدتكُم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : «أنت أحب الخلق إلي وأقولهم بالحق غيري؟» قالوا : لا .

قال : نشدتكُم بالله هل فيكم أحد وجد رسول الله (ص) جايعاً فاستقى مائة دلو بمائة قمره وجاء بالتمر فأطعمه رسول الله غيري وهو جائع؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكُم بالله هل فيكم أحد سلّم عليه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في ثلاثة آلاف من الملائكة يوم بدر غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكُم بالله هل فيكم أحد غمض عين رسول الله (ص) غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكُم بالله هل فيكم أحد وحد الله قبل غيري؟ قالوا : لا .

قال نشدتكُم بالله هل فيكم أحد كان أول داخل على رسول الله (ص) وآخر خارج من عنده غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكُم بالله هل فيكم أحد مشى مع رسول الله (ص) فمرّ على حديقة فقلت : ما أحسن هذه الحديقة ! فقال رسول الله (ص) «وحديقتك في الجنة أحسن من هذه» حتى مررت على ثلاث حدائق كل ذلك يقول رسول الله : «وحديقتك في الجنة أحسن من هذه» غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكُم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : «أنت أول من آمن بي وصدقني وأول من يرد عليّ الخوض يوم القيامة» غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكُم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله (ص) بيده ويد امرأته وابنيه حين أراد أن يباهل نصارى أهل نجران غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكُم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : «أول طالع يطلع عليكم من هذا الباب يا أنس فإنه أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وأولى الناس بالناس»^(١) فقال أنس : اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فكنتم أنا الطالع فقال رسول الله (ص) لأنس : «ما أنت بأول رجل أحبّ قومه» غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكُم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ غيري؟ قالوا : لا .

(١) في الاستيعاب ص ٤٥٧ ج ٢ قال ، وروي عن سلمان أنه قال : أول هذه الأمة وروداً على نبيها (ص) الخوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد روى هذا الحديث عن سلمان عن النبي (ص) أنه قال : أول هذه الأمة وروداً على الخوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب .

(٢) حلية الأولياء ج ١ / ٦٣ عن أنس قال : قال رسول الله (ص) يا أنس اسكب لي وضوءاً ، ثم قام فصلّ ركعتين ثم قال يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وقائد الغر المحجلين ، وخاتم الوصيين . قال أنس قلت : اللهم اجعله رجلاً من الأنصار وكنته إذ جاء علي فقال : من هذا يا أنس؟ فقلت : علي فقام مستبشراً فاعتنقه ، ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ، ويمسح عرق علي بوجهه ، قال علي : يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت به من قبل . قال : وما يمتني وأنت تؤذي عني وتسبهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي .

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه وفي ولده ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ إلى آخر السورة غيري؟ قالوا: لا^(١).

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ غيري؟ قالوا: لا^(٢).

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد علّمه رسول الله (ص) ألف كلمة كل كلمة مفتاح ألف كلمة غيري؟ قالوا: لا^(٣).

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد ناجاه رسول الله يوم الطائف فقال أبو بكر وعمر «يا رسول الله ناجيت علياً دوننا» فقال لهما النبي (ص): «ما أنا ناجيته بل الله أمرني بذلك» غيري؟ قالوا: لا^(٤).

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سقاه رسول الله (ص) من المهراس غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت أقرب الخلق مني يوم القيامة يدخل بشفاعتك الجنة أكثر من عدد ربيعة ومضر» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «يا علي أنت تكسى حين أكسى» غيري؟ قالوا: لا^(٥).

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت وشيعتك الفائزون يوم القيامة» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «كذب من زعم أنه يحبني ويغضض هذا» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «من أحب شطراتي هذه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله - فقل له: وما شطراتك؟ - قال: علي، والحسن، والحسين، وفاطمة» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت خير البشر بعد النبيين» غيري؟ قالوا: لا^(٦).

(١) الدهر: ٥.

(٢) راجع هامش ص ١٩٨.

(٣) بتأنيب المودة ص ٧٦ وفي المناقب عن الأصمغ بن نباتة قال كنت مع أمير المؤمنين (ع) فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنني أحبك في الله قال: إن رسول الله (ص) «حدثني ألف حديث وكل حديث مفتاح ألف باب... الخ».

(٤) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٥ عن جابر قال: دعا النبي (ص) علياً يوم الطائف فانتجده فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال (ص): ما انتجته ولكن الله انتجاه. أخرجه الترمذي.

(٥) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٧: وأخرج المخلص اللخمي عن أبي سعيد: أن النبي (ص) بكى نقرأ من أصحابه، ولم يكس علياً، فكانه رأى في وجه علي فقال: يا علي ما ترضى أنك تكسى إذا كسيت، وتعطي إذا أعطيت.

(٦) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٩ عن جابر عن النبي (ص): علي خير البشر من أبي فقد كفر، وأخرج الخطيب في تاريخ بغداد ٧/ =

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت الفاروق تفرق بين الحق والباطل، غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت أفضل الخلايق عملاً يوم القيامة بعد النبيين» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله (ص) كساءه عليه وعلى زوجته وعلى ابنه ثم قال: «اللهم أنا وأهل بيتي إليك لا إلى النار» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله (ص) الطعام وهو في الغار ويخبره بالأخبار غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت أخي ووزير وصاحبي من أهلي» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت أقدمهم سلماً وأفضلهم علماً وأكثرهم حليماً» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل مرحباً اليهودي فارس اليهود مبارزة غيري؟ قالوا: لا^(٢).

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عرض عليه النبي (ص) الإسلام فقال له: «أنظرنني حتى ألقى والدي» فقال له النبي (ص): «فإنها أمانة عندك» فقلت: فإن كانت أمانة عندي فقد أسلمت» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد احتمل باب خيبر حين فتحها فمشى به مائة ذراع ثم عاجله بعده أربعين رجلاً فلم يطيقوه غيري؟ قالوا: لا.

٤٢١= بسنده عن جابر أيضاً عن النبي (ص): عليّ خير البشر فمن امتري فقد كفروني ج ٣ ص ١٩٢ عن علي (ع) وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ٩/ ٤١٩ عنه عن النبي (ص): من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر.

(١) في ذخائر العقبين: عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله (ص) يقول لعز: «أنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب الدين».

(٢) مر في ص ١٦٧ قصة إعطاء الراية لعلي (ع) في غزوة خيبر. وفي هذه الواقعة نفسها خرج مرحب ملك خيبر يرتجز ويقول:

قد علمت خبيبر أنّي مرحب شاكسي السلاح بطل مجرب
إذا الخروب أفلت أفلت تلتهب

فأجابه علي (ع) مرتجزاً أيضاً:

أنا الذي سمعتني أمي حيدر ضرغام أجسام وليث قسورة

ثم ضرب مرحباً فشقه نصفين، وفتح باب خيبر وقلمها ثم مشى بها مائة ذراع ورمى بها أربعين ذراعاً وكانت لضخامتها قد وكل بها أربعون بطلاً من شجعان اليهود يقول ابن أبي الحديد في عيته:

يا قالع الباب الذي عن هزّه عجزت أكف أربعون وأربع

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ فكنت أنا الذي قدم الصدقة غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله» غيري؟ قالوا: لا. (١).

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «منزلي مواجه منزلك في الجنة» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «قاتل الله من قاتلك وعادى الله من عاداك» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد اضطجع على فراش رسول الله (ص) حين أراد أن يسير إلى المدينة ووقاه بنفسه من المشركين حين أرادوا قتله غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت أولى الناس بأمتي بعدي» غيري؟ قالوا: لا. (٢).

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت يوم القيامة عن يمين العرش والله يكسوك ثوبين: أحدهما أخضر والآخر وردي» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد صلى قبل الناس بسبع سنين وأشهر غيري؟ قالوا: لا. (٣)

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنا يوم القيامة آخذ بحجزة ربي والحجزة النور وأنت آخذ بحجرتي وأهل بيتي آخذ بحجرتك» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت كنفي وحبك حيي وبغضك بغضي»؟ قالوا: لا. (٤).

(١) سمعت أبا اسحاق التميمي يقول: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عتق واحد فأتبعهم، فدخلوا على أم سلمة زوج النبي (ص) فسمعتها تقول: «يا شبيب بن ربعي». فأجابها رجل جلف جاف: «لبك يا أمته». قالت: «يسب رسول الله (ص) في ناديتكم؟؟» قال: «وأنت ذلك؟؟» قالت: «فعلت بن أبي طالب (ع)» قال: «إننا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا» قالت: «فإنني سمعت رسول الله (ص) يقول: «من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى».

(٢) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٥ الحديث ٢٥٧٩ عن وهب بن حمزة: لا نقل هذا فهو أولى الناس بكم بعدي - يعني علياً (٣) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٩ عن رافع قال: صلى النبي (ص) يوم الإثنين، وصليت خديجة آخر يوم الإثنين، وصلى يوم الثلاثاء من الغد قبل أن يصلي مع رسول الله (ص) أحد سبع سنين وأشهر. وعنه قال: صليت قبل أن تصلي الناس بسبع سنين. وعنه، أنه كان يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله (ص)، وأنا الصديق الأكبر، ولقد صليت قبل الناس بسبع سنين خرجهن الخلمي.

(٤) الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٤ عن المطلب بن عبيد الله بن حنطب قال: قال رسول الله (ص) لو قد ثقيف حين جاءه: لتسلمن أو لأهشن رجلاً مني أو قال: مثل نفسي فليضربن أعناقكم، وليسرين ذرايعكم، ولأأخذن أموالكم. قال عمر: فوالله ما تحيت الإمارة إلا يومئذ، وجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هو هذا قال: فالتفت إلى علي رضي الله عنه، فأخذ بيده، ثم قال: هو هذا.

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «ولايتك كولايتي عهد عهده إلي ربي وأمرني أن أبلغكموه» غيري؟ قالوا : لا.

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «اللهم اجعله لي عوناً وعضداً وناصرأ» غيري؟ قالوا : لا.

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : «المال يعسوب الظلمة وأنت يعسوب المؤمنين» غيري؟ قالوا : لا^(١).

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : «لأبعثن إليكم رجلاً امتحن الله قلبه للايمان» غيري؟ قالوا : لا.

قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد أطمعه رسول الله (ص) رمانة وقال : «هذه من رمان الجنة لا ينبغي أن يأكل منه إلا نبي أو وصي نبي» غيري؟ قالوا : لا.

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : «ما سألت ربي شيئاً إلا أعطانيه ولم أسأل ربي شيئاً إلا سألت لك مثله» غيري؟ قالوا : لا^(٢).

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : «أنت أقومهم بأمر الله وأوفاهم بعهد الله وأعلمهم بالقضية وأقسمهم بالسوية وأعظمهم عند الله عزبة» غيري؟ قالوا : لا.

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : «فضلك على هذه الأمة كفضل الشمس على القمر وكفضل القمر على النجوم» غيري؟ قالوا : لا.

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «يدخل الله وليك الجنة وعدوك النار» غيري؟ قالوا : لا.

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : «الناس من أشجار شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة» غيري؟ قالوا : لا^(٣).

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : «أنا سيد ولد آدم وأنت سيد العرب والعجم ولا فخر» غيري؟ قالوا : لا^(٤).

(١) كنز العمال ج ٢ ص ١٥٣ الحديث ٢٥٣٦ : «علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المتافعين».

(٢) كنز العمال ج ٦ ص ٢٥٩ الحديث ٢٦٦٧ قم باعلي فقد برئت. ما سألت الله شيئاً إلا سألت لك مثله، إلا أنه قيل لي : لا نبوة بعدك.

(٣) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ الحديث ٢٥٦١ عن جابر : أنا وعلي من شجرة واحدة والناس من أشجار شتى والحديث ٢٥٦٢ عنه : «يا علي الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة».

(٤) الصواعق المحرقة ص ١٢٠ : روى البيهقي : أنه ظهر علي من البعد فقال (ص) : «هذا سيد العرب» . فقالت عائشة : ألسنت سيد العرب؟ فقال : «أنا سيد العالمين، وهو سيد العرب» . ورواه الخاكم في صحيحه عن ابن عباس بلفظ : أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب وقال : إنه صحيح ولم يخرجاه .

قال: نشدتكُم بالله هل فيكم أحد رضي الله عنه في الآيتين من القرآن غيري؟ قالوا: لا.
قال: نشدتكُم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «موعذك موعدي وموعد شيعتك عند الحوض إذا خافت الأمم ووضعت الموازين» غيري؟ قالوا: لا.
قال: نشدتكُم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «اللهم إني أحبه فأحبه اللهم إني أستودعك» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكُم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) «أنت تحاج الناس فتحججهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقام الحدود، والقسم بالسوية» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكُم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله (ص) بيده (يوم بدر) فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه وهو يقول: «ألا إن هذا ابن عمي ووزيري فوازروه وناصروه وصدّقوه فإنه وليكم» غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكُم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ غيري؟ قالوا: لا.
قال: نشدتكُم بالله فهل فيكم أحد كان جبرئيل أحد ضيفانه غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد أعطاه رسول الله (ص) حنوطاً من حنوط الجنة ثم أقسمه أثلاثاً ثلاثاً لي تحنطني به، وثلاثاً لابنتي. وثلاثاً لك، غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد كان إذا دخل على رسول الله (ص) حيّاه وأدناه ورحب به وتهلّل له وجهه غيري؟ فقالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنا أفتخر بك يوم القيامة إذا افتخرت الأنبياء بأوصيائهم» غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد سرحه رسول الله (ص) بسورة براءة إلى المشركين من أهل مكة غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «إني لأرحمك من صفائين في صدور أقوام عليك لا يظهرنها حتى يفقدوني فإذا فقدوني خالفوا فيها» غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أدى الله عن أمانتك أدى الله عن ذمتك» غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «أنت قسيم النار تخرج منها من زكا وتذر فيها كل كافر، غيري؟ قالوا: لا»^(١).

قال: فهل فيكم أحد فتح حصن خيبر وسبى بنت مرحب فأداها إلى رسول الله (ص) غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله (ص): «ترد عليّ الخوض أنت وشيعتك رواء مرويين مبيضة وجوههم، ويرد عليّ عدوك ظماءً مظمتين مفتحمين مسودة وجوههم» غيري؟ قالوا لا^(٢).

قال لهم أمير المؤمنين (ع): أما إذا أقررتم على أنفسكم، واستبان لكم ذلك من قول نبيكم، فعليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأنهاكم عن سخطه ولا تعصوا أمره، وردوا الحق إلى أهله، واتبعوا سنة نبيكم، فإنكم إن خالفتم خالفتم الله فادفعوها إلى من هو أهله وهي له.

قال: فتغامزوا فيما بينهم وتشاوروا وقالوا: «قد عرفنا فضله، وعلمنا أنه أحق الناس بها، ولكنه رجل لا يفضل أحداً على أحد، فإن وليتموها إياه جعلكم جميع الناس فيها شرعاً سواء، ولكن ولوها عثمان فإنه يهوى الذي تهوون» فدفعوها إليه.

احتجاجه (ع) على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار لما تذكروا فضلهم بما قال رسول الله (ص) من النص عليه وغيره من القول الجميل.

روي عن سليم بن قيس الهلالي^(٣) أنه قال: «رأيت علياً (ع) في مسجد رسول الله (ص)، في خلافة عثمان وجماعة يتحدثون ويتذكرون العلم، فذكروا قريشاً وفضلها وسوابقها وهجرتها، وما قال فيها رسول الله (ص) من الفضل، مثل قوله: «الأئمة من قريش» وقوله: «الناس تبع لقريش وقريش أئمة العرب» وقوله: «لا تسبقوا»^(٤) قريشاً» وقوله: «إنَّ للقريشي مثل قوّة رجلين من غيرهم» وقوله: «من أبغض قريشاً أبغضه الله» وقوله: «من أراد هوان قريش أهانه الله».

وذكروا الأنصار وفضلها وسوابقها ونصرتها، وما أنشئ الله عليهم في كتابه، وما قال فيهم رسول الله

(١) يتابع المودة ص ٨٤ قال: أخرج ابن المغازلي الشافعي بسنده عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله (ص): «يا عليّ إنك قسيم الجنة والنار، أنت تفرع باب الجنة وتدخلها أحباءك بغير حساب».

(٢) راجع هامش ص ١٩٩ في تفسير قوله تعالى: «إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية». وفي بعض

النسخ «ظماءً مفحمين».

(٣) قال الأميني - في ج ١ ص ١٦٣ من القدير: روى شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الدين بن حمويه بإسناده في

فراند السمطين في السمط الأول في الباب الثامن والخمسين، عن التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي قال: رأيت علياً وساق

الرواية... ثم قال: هذا لفظ الحموي وفي كتاب سليم بن قيس نفسه اختلاف بسير وزادات.

(٤) وفي نسخة «لا تسوا».

من الفضل مثل قوله: «الأنصار كرشى وعيبي» ومثل قوله: «من أحب الأنصار أحب الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله» ومثل قوله (ص): «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله وبرسوله» وقوله: «لو سلك الناس شعباً لسلك شعب الأنصار».

وذكروا ما قال في سعد بن معاذ في جنازته وأن العرش اهتز لموته، وقوله (ص) لما جيء إليه بمناديل من اليمن فأعجب الناس بها، فقال: «لمناديل سعد في الجنة أحسن منها» والذي غسلته الملائكة، والذي حمته الدبر، فلم يدعوا شيئاً من فضلهم، حتى قال كل حي منها: «منا فلان وفلان» وقالت قريش: «منا رسول الله، ومنا حمزة، ومنا جعفر، ومنا عبيدة بن الحارث، وزيد بن حارثة، ومنا أبو بكر، وعمر، وسعد، وأبو عبيدة، وسالم وابن عوف» فلم يدعوا من الحيين أحداً من أهل السابقة إلا سموه، وفي الحلقة أكثر من مائتي رجل، فيهم علي بن أبي طالب (ع) وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وعمار، والمقداد، وأبوذر، وهاشم بن عتبة، وابن عمر، والحسن، والحسين (ع)، وابن عباس، ومحمد بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر، ومن الأنصار أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري وأبو هيثم بن أبيهان، ومحمد بن سلمة، وقيس بن سعد بن عبادة، وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وعبد الله بن أبي أوفى، وأبوليل ومعه ابنه، وعبد الرحمن قاعد بجنبه غلام أمرد الوجه مديد القامة، فجاء أبو الحسن البصري ومعه ابنه الحسن غلام أمرد صبيح الوجه معتدل القامة، قال: فجعلت أنظر إليه وإلى عبد الرحمن بن أبي ليلى فلا أدري أيهما أجمل، غير أن الحسن أعظمهما وأطولهما..

وأكثر القوم في الحديث: وذلك من بكرة إلى حين الزوال، وعثمان في داره لا يعلم بشيء مما هم فيه، وعلي بن أبي طالب لا ينطق هو ولا أحد من أهل بيته فأقبل القوم عليه فقالوا: يا أبا الحسن ما يمنعك أن تتكلم؟

فقال (ع) لهم: ما من الحيين أحد إلا وقد ذكر فضلاً، وقال حقاً، فأننا أسألکم يا معشر قريش والأنصار، بمن أعطاكم الله هذا الفضل، بأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم أم بغيركم؟ قالوا: بل أعطانا الله ومن به علينا بمحمد وعشيرته، لا بأنفسنا وعشائرتنا ولا بأهل بيوتنا.

قال: صدقتم، يا معشر قريش والأنصار، أتعلمون الذي نلتهم به من خير الدنيا والآخرة منا أهل البيت خاصة دون غيرهم؟ فإن ابن عمي رسول الله قال: «إني وأهل بيتي كنا نوراً بين يدي الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف سنة، فلما خلق الله آدم وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض، ثم حمّله في السفينة في صلب نوح (ع)، ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم (ع)، ثم لم يزل الله عز وجل ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الكريمة، من الآباء والأمهات، لم يلتق واحد منهم على سفاح قط».

فقال أهل السابقة، وأهل بدر، وأهل أحد: نعم قد سمعنا ذلك من رسول الله.

ثم قال: انشدكم بالله أتعلمون أني أول الأئمة إيماناً بالله وبرسوله؟ قالوا: اللهم نعم.
قال: فأنشدكم بالله أتعلمون أن الله عز وجل فضل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية، وأنني لم يسبقني إلى الله عز وجل وإلى رسول الله (ص) أحد من هذه الأئمة؟ قالوا: اللهم نعم.
قال: فأنشدكم بالله أتعلمون حيث نزلت: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١) وسئل عنها رسول الله (ص) فقال: «أنزله الله عز وجل في الأنبياء وأوصيائهم فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعلي بن أبي طالب (ع) وصيي أفضل الأوصياء» قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم بالله أتعلمون حيث نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) وحيث نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣) وحيث نزلت: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾^(٤) قال الناس: «يا رسول الله أخاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم؟» فأمر الله عز وجل نبيه أن يعلمهم ولاية أمرهم، وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم، وزكاتهم وصومهم، وحجهم، فنصبت للناس علماً بغدير خم.

ثم خطب فقال: «أيها الناس إن الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري فظننت أن الناس مكذبون فأوعدتني لأبلغنّها أو ليعذبنّي». ثم أمر فتودي بالصلاة جامعة، ثم خطب فقال:

«أيها الناس أتعلمون أن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: قم يا علي، فقامت فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فقام سلمان فقال: «يا رسول الله والاه كماذا؟» فقال: «لا كولاثي فمن كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه» فأنزل الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٥) فكبر رسول الله (ص) فقال: «الله أكبر على تمام نبوتي، وتمام دين الله ولاية علي بعدي».

فقام أبو بكر وعمر فقالا: «يا رسول الله هؤلاء الآيات خاصة في علي؟»

قال (ص): «بلى، فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة».

قالا: «يا رسول الله بينهم لنا».

(١) التوبة: ١٠٠

(٢) النساء: ٥٩

(٣) التوبة: ١٦

(٤) الواقعة: ١٠

(٥) راجع هامش ص ١٦١

(٦) المائدة: ٣

قال: أخِي، ووزيري، ووارثي، ووصي، وخليفتي، في أمّتي، وولي كل مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن والحسين، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم، حتى يردوا عليّ الحوض.

فقالوا كلهم: «اللهم نعم، قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء» وقال بعضهم: «قد حفظنا جل ما قلت ولم نحفظ كله وهؤلاء الذين حفظوا أختيارنا وأفاضلنا».

فقال علي (ع): «صدقتم ليس كل الناس يستوي في الحفظ». أنشدكم بالله من حفظ ذلك من رسول الله لما قام وأخبر به؟

فقام زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، فقالوا: «نشهد لقد حفظنا قول رسول الله (ص) وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه وهو يقول: أيها الناس أمرني الله أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصي وخليفتي، والذي فرض على المؤمنين في كتابه طاعته، وقرنه بطاعته وطاعتي، وأمركم بولايته وإنّي راجعت ربّي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم، فأوعدني لأبلغنّها أو ليعذبنّي».

أيها الناس إنّ الله أمركم في كتابه بالصلاة فقد بيّنتها لكم والزكاة، والصوم، والحج. فقد بيّنتها لكم وفّرتها، وأمركم بالولاية وإنّي أشهدكم أنّها لهذا خاصة - ووضع يده على يد عليّ بن أبي طالب - ثم لابنيه من بعده، ثم للأوصياء من بعدهم، ومن بعدهم (ع) لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم القرآن، حتى يردوا عليّ الحوض، أيها الناس قد بيّنت لكم مفرعكم^(١) بعدي، وإمامكم، ودليلكم، وهاديكم، وهو: أخِي ﴿علي بن أبي طالب﴾ وهو فيكم بمنزلة فيكم، فقلّدوه دينكم، وأطيعوه في جميع أموركم، فإنّ عنده جميع ما علّمني الله عز وجل من علمه وحكمته، فاسألوه وتعلّموا منه ومن أوصيائه بعده، ولا تعلّموهم، ولا تتقدّموهم، ولا تخلّفوا عنهم، فإنهم مع الحق والحق معهم لا يزيّلهم^(٢)، ثم جلسوا.

قال سليم: ثم قال عليّ (ع):

أيها الناس اتعلمون أنّ الله عز وجل أنزل في كتابه: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ فجمعني وفاطمة وابنيه حسناً وحسيناً ثم ألقى علينا كساءً فذكياً وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي ولحمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويبرحني ما يبرحهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: «أنت إلى خير، إنّما نزلت فيّ، وفي أخِي عليّ، وفي ابنتي فاطمة، وفي ابني، وفي تسعة من ولد الحسين خاصة، وليس معنا أحد غيرنا؟»

فقالوا كلهم: «نشهد أنّ أم سلمة حدّثتنا بذلك، فسألنا رسول الله (ص) فحدّثنا كما حدّثتنا به أم سلمة».

قال عليّ (ع): أنشدكم بالله اتعلمون أنّ الله أنزل ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع

الصّادقين^(١) فقال سلمان: «يا رسول الله عامة هذه الآية أم خاصة؟» فقال: «أما المأمورون فعامّة المؤمنين أمروا بذلك، وأما الصّادقون خاصة لأخي عليٍّ وأوصيائي بعده إلى يوم القيامة؟ فقالوا: اللهم نعم».

قال أنشدكم بالله أتعلمون أنّي قلت لرسول الله (ص) في غزاة تبوك: لم تخلفني؟ فقال: «إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟» قالوا: اللهم نعم.

قال أنشدكم بالله أتعلمون أنّ الله عزّ وجل أنزل في سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) إلى آخر السورة، فقام سلمان فقال: «يا رسول الله من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد، وهم شهداء على الناس، الذين اجتباهم، ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم؟» قال: «عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة دون هذه الأئمة» فقال سلمان: «بيّتهم لنا يا رسول الله» فقال: «أنا، وأخي عليٍّ وأحد عشر من ولدي؟» قالوا: اللهم نعم.

قال أنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله (ص) قام خطيباً ولم يخاطب بعد ذلك فقال: «يا أيها الناس إنّني تارك فيكم الثقلين^(٣) كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فتمسّكوا بهما، لا تفصلوا، فإنّ اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض». فقام عمر بن الخطاب - وهو شبه المغضب - فقال: «يا رسول الله أكل أهل بيتك؟» قال: «لا ولكن أوصيائي منهم، أولهم أخي، ووزير، وخليفتي في أمّتي، وولي كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي، هو أولهم، ثمّ ابني الحسن، ثمّ ابني الحسين، ثمّ تسعة من ولد الحسين، واحد بعد واحد حتى يردوا عليّ الخوض، شهداء لله في أرضه، وحججه على خلقه، وخزّان علمه، ومعادن حكمته، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله». فقالوا كلّهم: «نشهد أنّ رسول الله (ص) قال ذلك».

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) الحج: ٧٧.

(٣) قال السيد شرف الدين: في المراجعة ٨٤، ص ٥١.

والصّاحح الحاكم بوجوب التمسك بالثقلين متواترة، وطرقها عن بضعة وعشرين صحابياً متضافرة وقد صدع بها رسول الله (ص) في موافق له شق: نارة يوم غدیر خم كما سمعت، ونارة يوم عرفة في حجة الوداع، ونارة بعد انصرافه من الطائف ومرة عا منبره في المدينة، وأخرى في حجرته المباركة في مرضه، والحجّة غاصّة بأصحابه إذ قال: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم ألاّ إنّني تخلف فيكم كتاب الله عزّ وجل، وعترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيد عليٍّ فرفعها فقال: هذا عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الخوض» الحديث وقد اعترف بذلك جماعة من أعلام الجمهور، حتى قال ابن حجر - إذ أورد - حديث الثقلين - : «ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً» وقال: «ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك: بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنّه قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنّه قال ذلك لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مر» وقال: «ولا تنافي إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترّة الطاهرة» إلى آخر كلامه انتهى ما أردنا نقله من كتاب المراجعات ونجد ما نقله السيد «قدس سره» من كلام ابن حجر في ص ٧٥ و ٨٩ من صواعقه.

ثم تبادى بعلي (ع) السؤال والمناشدة، فما ترك شيئاً إلا ناشد هم الله فيه وسألهم عنه، حتى أتى علياً على أكثر مناقبه، وما قال له رسول الله (ص)، كل ذلك يصدقونه ويشهدون أنه حق.

ثم قال حين فرغ: «اللهم اشهد عليهم» وقالوا: «اللهم اشهد أنا لم نقل إلا ما سمعناه من رسول الله (ص)، وما حدثنا من نثق به من هؤلاء وغيرهم أنهم سمعوه من رسول الله (ص)».

قال: «أتقرّون بأن رسول الله (ص) قال: «من زعم أنه يحبني ويبغض علياً فقد كذب وليس يحبني» ووضع يده على رأسي فقال له قائل: «كيف ذلك يا رسول الله؟» قال: «لأنه مني وأنا منه ومن أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله؟» قال نحو عشرين رجلاً من أفاضل الحيين: اللهم نعم، وسكت بقيتهم.

فقال للسكوت: ما لكم سكتتم؟ قالوا: «هؤلاء الذين شهدوا عندنا ثقة في قولهم وفضلهم وسابقتهم» فقال: اللهم اشهد عليهم.

فقال طلحة بن عبد الله - وكان يقال له: «داهية قریش» - : فكيف نصنع بما ادعى أبو بكر وأصحابه الذين صدّقوه، وشهدوا على مقالته يوم أتوه بك بعث^(١) وفي عنقك حبل، فقالوا لك: «بايع» فاحتججت بما احتججت به، فصدّقوك جميعاً ثم ادعى أنه سمع رسول الله يقول: أبي الله أن يجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة فصدّقوه بذلك عمر، وأبو عبيدة، وسالم، ومعاذ. ثم قال طلحة: كل الذي قلت وادعيت واحتججت به من السابقة والفضل حق نقر به ونعرفه، وأما الخلافة فقد شهد أولئك الأربعة بما سمعت.

فقام علي (ع) عند ذلك، وغضب من مقالته، فأخرج شيئاً قد كان يكتمه وفسّر شيئاً قال له عمر يوم مات لم يدر ما عني به، فأقبل على طلحة - والناس يسمعون - فقال: أما والله يا طلحة ما صحيفة ألقى الله بها يوم القيامة أحب إليّ من صحيفة الأربعة الذين تعاهدوا على الوفاء بها في الكعبة، إن قتل الله محمداً أو توفاه أن يتوازروا دن عليّ ويتظاهروا فلا تصل إليّ الخلافة.

والدليل والله على باطل ما شهدوا وما قلت يا طلحة: قول نبي الله يوم غدیر خم: «من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه». فكيف أكون أولى بهم من أنفسهم وهم أمراء عليّ وحكام؟ وقول رسول الله (ص): «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة» فلو كان مع النبوة غيرها لاستثناه رسول الله (ص).

وقوله: «إني تركت فيكم أمرين كتاب الله وعترتي، لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، لا تفدّموهم ولا تخلفوا عنهم، ولا تعلّموهم، فإنهم أعلم منكم أفينبغي أن لا يكون الخليفة على الأمة إلا أعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه؟ أوقد قال الله عز وجل: «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما

(١) العتل: الجلب العنيف تقول عتل الرجل إذا جلبته جلباً عنيفاً.

لكم كيف تحكمون^(١)؟! وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ^(٢)﴾ وقال: ﴿اتَّبَوْنِي بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم^(٣)﴾ وقال رسول الله (ص): «ما ولت أمة قط أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل يذهب أمرهم سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا» فما الولاية غير الإمارة؟

والدليل على كذبهم وباطلهم وفجورهم: أنهم سلموا عليّ بإمرة المؤمنين بأمر رسول الله . ومن الحجة عليهم وعليك خاصة، وعلى هذا معك - يعني: الزبير - وعلى الأمة، وعلى سعد بن أبي وقاص، وابن عوف، وخليفتك هذا القائم - يعني عثمان - فإننا معشر الشورى أحياء كلنا، ان جعلني عمر بن الخطاب في الشورى إن كان قد صدق وأصحابه على رسول الله (ص): أجعلنا في الشورى في الخلافة أم في غيرها؟ فإن زعمتم أنه جعلها شورى في غير الإمارة، فليس لعثمان إمارة وإننا أمرنا أن نتشاور في غيرها، وإن كانت الشورى فيها، فلم أدخلني فيكم، فهلاً أخرجني وقد قال: إن رسول الله (ص) أخرج أهل بيته من الخلافة وأخبر أنه ليس لهم فيها نصيب؟! ولم قال عمر حين دعانا رجلاً رجلاً - فقال عليّ (ع): لعبد الله ابنه، وما هوذا، أنشدك بالله يا عبد الله بن عمر ما قال لك حين خرجت؟

قال: أما إذ ناشدني بالله فإنه قال: إن يتبعوا أصلي فريش يحملهم على المحجة البيضاء، وأقامهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم.

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

قال: يا ابن عمر فما قلت له عند ذلك؟

قال: قلت له: فما يمنعك أن تستخلفه؟

قال: وما ردّ عليك؟

قال: ردّ عليّ شيئاً أكتمه.

قال عليّ: فإن رسول الله (ص) خبرني به في حياته، ثم أخبرني به ليلة مات أبوك في منامي، ومن رأى رسول الله (ص) مناماً فقد رآه. قال: فما أخبرك به؟

قال (ع): فأنشدك بالله يا ابن عمر لئن أخبرتك به لتصدقن؟ قال: إذن سكت. قال: فإنه قال لك حين قلت له: فما يمنعك أن تستخلفه؟ قال: الصحيفة التي كتبناها بيننا، والعهد في الكعبة، فسكت ابن عمر.

فقال أسألك بحق رسولك لم سكت عني؟

قال سليم: فرأيت ابن عمر في ذلك المجلس خنفته العبرة وعيناه تسيلان.

وأقبل أمير المؤمنين (ع) على طلحة، والزبير، وابن عوف، وسعد، فقال: لئن كان أولئك الخمسة أو الأربعة كذبوا على رسول الله (ص) ما يحل لكم ولايتهم وإن كانوا صدقوا ما حل لكم أيها الخمسة أو الأربعة أن تدخلوني معكم في الشورى لأن إدخالكم إياي فيها خلاف على رسول الله (ص) ورد عليه.

ثم أقبل على الناس فقال: أخبروني عن منزلي فيكم وما تعرفوني به أصادق أنا فيكم أم كاذب؟ قالوا: صدوق لا والله ما علمناك كذبت قط في الجاهلية ولا الإسلام قال: فوالله الذي أكرمنا أهل البيت بالنبوة، وجعل منا محمداً وأكرمنا بعده بأن جعلنا أئمة للمؤمنين، لا يبلغ عنه غيرنا، ولا تصلح الإمامة والخلافة إلا فينا، ولم يجعل لأحد من الناس فيها معنا أهل البيت بصياً ولا حقاً، أما رسول الله (ص) خاتم النبيين ليس بعده نبي ولا رسول، ختم برسول الله الأنبياء إلى يوم القيامة، وجعلنا من بعد محمد خلفاء في أرضه وشهداء على خلقه فرض طاعتنا في كتابه وقرننا بنفسه ونبيه، في غير آية من القرآن، فالله عز وجل جعل محمداً نبياً، وجعلنا خلفاء من بعده في كتابه المنزل، ثم إن الله عز وجل أمر نبيه أن يبلغ ذلك أُمَّته قبلُغهم كما أمره الله، فأيكما أحق بمجلس رسول الله (ص) ومكانه؟ وقد سمعتم رسول الله (ص) حين بعثني ببراءة فقال: «لا يبلغ عني إلا رجل مني». أنشدتكم بالله أسمعتم ذلك من رسول الله (ص)؟ قالوا: «اللهم نعم، نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله (ص) حين بعثك ببراءة».

فقال أمير المؤمنين (ع): لا يصلح لصاحبكم أن يبلغ عنه صحيفة^(١) أربع أصابع، ولن يصلح أن يكون المبلغ عنه غيري، فأَيُّهما أحق بمجلسه ومكانه الذي سمي بخاصة أنه من رسول الله (ص) أو من حضر مجلسه من الأمة؟

فقال طلحة: قد سمعنا ذلك من رسول الله (ص)، ففسر لنا كيف لا يصلح لأحد أن يبلغ عن رسول الله غيرك؟ وقد قال - لنا ولسائر الناس -: «ليبلغ الشاهد الغائب» فقال - بعرفة من حجة الوداع -: «نصر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها غيره، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يجل عليهن قلب امرء مسلم أخلف العمل لله عز وجل: السمع، والطاعة، والمناصحة لولاة الأمر ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم». وقال - في غير موطن -: «ليبلغ الشاهد الغائب».

فقال عليّ (ع): إن الذي قال رسول الله (ص) يوم غدِير خُم، ويوم عرفة في حجة الوداع في آخر خطبة خطبها حين قال: «إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، كتاب الله، وأهل بيتي، فإن اللطيف الخبير قد عهد إلي أنهما لا يفترقان حتى يردا عليّ الخوض، كهاتين ولا أقول كهاتين - فأشار إلى سبائته وإبهامه - لأن أحدهما قدام الآخر فتمسكوا بهما لن تضلوا ولا تزالوا، ولا تقدّموهم، ولا تخلّفوا عنهم، ولا تعلموهم، فإنهم أعلم منكم» إنما أمر الله العامة جميعاً أن يبلغوا من لقوا من العامة إيجاب طاعة الأئمة من آل محمد (ص) وإيجاب حقهم، ولم يقل ذلك في شيء من الأشياء غير

(١) يريد الصحيفة التي كتبت بها سورة براءة.

ذلك، وإنما أمر العامة أن يبلغوا العامة حجة من لا يبلغ عن رسول الله جميع ما بعثه الله به غيرهم، ألا ترى يا طلحة أن رسول الله (ص) قال لي - وأنتم تسمعون - : «يا أخي إنه لا يقضي عني ديني ولا يبرئ ذمتي غيرك، تبرئ ذمتي، وتؤدي ديني وغراماتي، وتقاتل على سنتي» فلما ولي أبو بكر قضى عن رسول الله (ص) عدياته ودينه، فاتبعتموه جميعاً، فقضيت دينه وعدياته، وقد أخبرهم أنه لا يقضي عنه دينه وعدياته غيري، ولم يكن ما أعطاهم أبو بكر قضاء لدينه وعدياته، وإنما كان الذي قضيت من الدين والعدة هو الذي أبرأه منه، وإنما بلغ عن رسول الله (ص) جميع ما جاء به من عند الله من بعد الأئمة الذين فرض الله في الكتاب طاعتهم وأمر بولايتهم، الذين من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله.

فقال طلحة: «فرجت عني، ما كنت أدري ما عني بذلك رسول الله (ص) حتى فسرته لي، فجزاك الله يا أبا الحسن عن جميع أئمة محمد الجنة، يا أبا الحسن شيئاً أريد أن أسألك عنه، رأيتك خرجت بثوب مختوم، فقلت: أيها الناس إنني لم أزل مشغولاً برسول الله بغسله، وكفنه، ودفنه، ثم اشتغلت بكتاب الله حتى جمعته، فهذا كتاب الله عندي مجموعاً لم يسقط حتى حرف واحد، ولم أر ذلك الذي كتبت وألفت، وقد رأيت عمر بعث إليك أن ابعث به إليّ فأبيت أن تفعل فدعا عمر الناس فإذا شهد رجلان على آية كتبها، وإن لم يشهد عليها غير رجل واحد أرجاها^(١) فلم يكتب، فقال عمر: وأنا أسمع أنه قد قتل يوم اليمامة قوم كانوا يقرؤون قرآناً لا يقرؤه غيرهم، فقد ذهب وقد جاءت شاة إلى صحيفة وكتاب يكتبون فأكلتها وذهب ما فيها والكتاب يومئذ عثمان، وسمعت عمر وأصحابه الذين ألفوا ما كتبوا على عهد عمر وعلى عهد عثمان يقولون: إن الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، وإن النور ستون ومائة آية، والحجر تسعون ومائة آية، فما هذا؟ وما يمنعك يرحمك الله أن تخرج كتاب الله إلى الناس، وقد عهد عثمان حين أخذ ما ألف عمر فجمع له الكتاب، وحمل الناس على قراءة واحدة، فمزق مصحف أبي بن كعب، وابن مسعود، وأحرقها بالنار؟

فقال له عليّ (ع): يا طلحة إن كل آية أنزلها الله جلّ وعلا على محمد عندي بإملاء رسول الله وخط يدي، وتاويل كل آية أنزلها الله على محمد وكل حرام وحلال أو حد أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله (ص) وخط يدي، حتى أرش الخدش^(٢).

قال طلحة: كل شيء من صغير وكبير أو خاص أو عام كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب؟

قال: نعم، وسوى ذلك، إن رسول الله (ص) أسر إليّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب، ولو أن الأمة منذ قبض رسول الله (ص) اتبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، يا طلحة ألسنت قد شهدت رسول الله (ص) حين دعا بالكتف ليكتب فيه ما لا تضل أمته، فقال صاحبك إن نبي الله يهجر^(٣)، فغضب رسول الله (ص) وتركها؟ فقال: بلى قد شهدته.

(٢) الأرش: الدية.

(١) أرجاها: آخرها.

(٣) في شرح النهج لابن أبي الحديد ص ٢ من ج ٢ مسنداً عن عليّ بن عبد الله بن العباس عن أبيه قال:-

قال: فإنكم لما خرجتم أخبرني رسول الله (ص) بالذي أراد أن يكتب ويشهد عليه العامة، فأخبره جبرئيل أن الله قضى على أمتك الاختلاف والفرقة ثم دعا بصحيفة فاملأ علي ما أراد أن يكتب في الكتف، وأشهد على ذلك ثلاثة رهط: سلمان، وأبا ذر، والمقداد. وسمى من يكون من أئمة المهدي الذين أمر الله بطاعتهم إلى يوم القيامة^(١) فسماني أولهم، ثم ابني هذين - وأشار بيده إلى الحسن والحسين - ثم تسعة من ولد ابني الحسين، وكذلك كان يا أبا ذر ويا مقداد؟ فقاما ثم قالوا: نشهد بذلك على رسول الله (ص).

فقال طلحة: والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي هبة أصدق ولا أبر عند الله من أبي ذر، وأنا أشهد أنهما لم يشهدا إلا بالحق، ولأنت عندي أصدق وأبر منهما».

ثم أقبل علي (ع) فقال: اتق الله يا طلحة، وأنت يا زبير، وأنت يا سعد، وأنت يا ابن عوف. إتقوا الله وآثروا رضاه، واختاروا ما عنده، ولا تخافوا في الله لومة لائم.

ثم قال طلحة: لا أراك يا أبا الحسن أجبتني عما سألتك عنه من أمر القرآن ألا تظهره للناس؟ قال: يا طلحة عمداً كففت عن جوابك، فأخبرني عما كتب عمر وعثمان أقرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟ قال طلحة: بل قرآن كله.

قال: إن أخذتم بما فيه، نجاتكم من النار ودخلتم الجنة، فإن فيه حجتنا وبيان حقنا، وفرض طاعتنا.

قال طلحة: حسبي أما إذا كان قرآناً فحسبي. ثم قال طلحة: فأخبرني عما في يدك من القرآن وثأويله، وعلم الحلال والحرام، إلى من تدفعه ومن صاحبه بعدك؟ قال: إن الذي أمرني رسول الله

لما حضرت رسول الله (ص) الوفاة - وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب - قال رسول الله (ص): إئتوني بكتاب وصحيفة، أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدي» فقال عمر: كلمة معناها أن الوجود قد غلب على رسول الله (ص) ثم قال: عندنا القرآن حسينا كتاب الله فاختلف من في البيت واختصموا فمن قائل يقول: «القول ما قال رسول الله (ص) ومن قائل يقول القوم ما قال عمر، فلما اختلفوا اللغظ واللغو والاختلاف غضب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «قوموا إنه لا ينبغي لشيء أن يختلف عنده هكذا» فقاموا فمات رسول الله (ص) في ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله (ص).

قال ابن أبي الحديد قلت: هذا الحديث قد أخرجه الشيخان: محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحيهما، واتفق المحدثون كافة على روايته.

(١) ينابيع المودة ص ٤٤٠ قال: وفي فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قدم يهودي يقال له: «الاعتل» فقال: يا محمد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك، قال: «سل يا أبا عمار» فقال: يا محمد صف لي ربك... إلى أن قال: صدقت فأخبرني عن وصيك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصي، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون فقال: «إن وصيي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوهم تسعة أئمة من صلب الحسين». قال: يا محمد فسمهم لي قال: «إذا مضى الحسين فابته علي فإذا مضى علي فابته محمد، فإذا مضى محمد فابته جعفر، فإذا مضى جعفر فابته موسى، فإذا مضى موسى فابته علي، فإذا مضى علي فابته محمد فإذا مضى محمد فابته علي، فإذا مضى علي فابته الحسن، فإذا مضى الحسن فابته الحجة محمد المهدي فهؤلاء اثنا عشر» الخ.

(ص) أن أدفعه إليه وصبي وأولى الناس بعدي بالناس ابني الحسن، ثم يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين، ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين حتى يرد آخرهم حوضه، هم مع القرآن لا يفارقونه والقرآن معهم لا يفارقهم، أما إن معاوية وابنه سيليان بعد عثمان، ثم يليها سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص، واحد بعد واحد، تكملة اثني عشر إمام ضلالة وهم الذين رأى رسول الله (ص) على منبره، يردون الأمة على أدبارهم القهقري^(١) عشرة منهم من بني أمية ورجلان أسسا ذلك لهم وعليهما مثل جميع أوزار هذه الأمة إلى يوم القيامة.

وفي رواية أبي ذر الغفاري^(٢) أنه قال: لما توفي رسول الله (ص) جمع علي (ع) القرآن وجاء به إلى

(١) تفسير الطبري ج ١٥ ص ٧٣ والفرطبي ج ١٠ ص ٢٨٣ من طريق سهل بن سعد قال: رأى رسول الله (ص) بني أمية ينزون على منبره نزل القردة فساء ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتى مات. وأنزل الله تعالى ﴿وما جعلنا الرقيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم﴾ فما يزيدهم إلا طفيلاناً كبيراً الإسراء - ٦٠

(٢) أبو ذر الغفاري - واسمه جندب - بالجيم المضمومة والنون الساكنة والذال غير المعجمة المفتوحة والباء المنقطة تحتها نقطة - ابن جنادة - بالجيم المضمومة والنون والذال بعد الألف غير المعجمة - وقيل جندب بن السكن وقيل بريدة بن جنادة عبد الله بن الصامت قال: قال لي أبو ذر: «يا ابن أخي صليت قبل الإسلام بأربع سنين» قلت له من كنت تعبد؟ قال: «إله السماء» قلت فأين كانت قبلتك؟ قال: «حيث وجهني الله عز وجل».

وهو رابع من أسلم من الرجال فأول من أسلم علي بن أبي طالب، ثم أخوه جعفر الطيار، ثم زيد بن حارثة، وكان أبو ذر رحمه الله رابعهم.

وأمره رسول الله (ص) بالرجوع إلى أهله وقال له: «انطلق إلى بلادك حتى يظهر أمرنا» فرجع إليها حتى ظهر أمر رسول الله (ص) فهاجر إلى المدينة وأخى النبي (ص) بينه وبين المنذر بن عمرو في المؤاخاة الثانية، وهي مؤاخاة الأنصار مع المهاجرين بعد الهجرة بشماتية أشهر، ثم شهد مشاهد رسول الله (ص).

وفيه قال رسول الله (ص): ما أظلت الخضراء وما أفلت الغبراء على ذي لهجة اصدق من أبي ذر، يعيش وحده ويموت وحده ويحشر وحده ويدخل الجنة وحده وقال (ص): أبو ذر، في أمي شبيه عيسى بن مريم في زهده وورعه.

وقال أمير المؤمنين (ع): وعى أبو ذر علماً عجز الناس عنه، ثم أولى عليه فلم يخرج شيئاً.

وعن أبي عبد الله (ع): دخل أبو ذر على رسول الله (ص) ومعه جبرئيل فقال جبرئيل: من هذا يا رسول الله (ص)؟ قال أبو ذر. قال: أما أنه في السماء أعرف منه في الأرض سل عن كلمات يقولن إذا أصبح قل: فقال يا أبا ذر كلمات تقولن إذا أصبحت فما هن؟ قال: يا رسول الله: «اللهم إني أسألك الإيمان بك والتصديق بنبيك، والعافية من جميع البلايا، والشكر على العافية، والغنى عن شرار الناس».

وبعد وفاة رسول الله (ص) لم يرتد أبو ذر، وامتنع عن البيعة لأبي بكر، وأنكر عليه قيامه مقام النبي (ص) وغصب للخلافة، وهو أحد الأركان الأربعة وهم: سلمان والمقداد، وحذيفة، وأبو ذر، ومن حضر تشيع فاطمة، ولزم علياً (ع) وجاهر بذكر مناقب أهل البيت، ومثالب أعدائهم، وصبر على المشقة والعناء.

وما كانت تأخذه في الله لومة لائم. وكان يقول: أوصاني خليلي بست:

حب المساكين، وأن أنظر إلى من هو فوقي، وأن أقول الحق وإن كان مرأاً، وأن لا تأخذني في الله لومة لائم.

وقال له فتى من قريش مرة: أما هناك أمير المؤمنين عن الفتيا؟ فقال: أرقب أنت علي؟ فوالذي نفسي بيده لو وضعت الصمامة هاهنا، ثم ظننت أني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله (ص) قبل أن تحترقوا لأنفستها.

وبينا هو واقف مع رسول الله (ص) يوماً إذ قال له رسول الله (ص): «يا أبا ذر أنت رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدي». قال أبو ذر: في الله؟ قال: «في الله» فقال أبو ذر: مرحباً بأمر الله.

المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله (ص)، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه (ع) وانصرف ثم أحضروا زيد بن ثابت - وكان قارياً للقرآن - فقال له عمر: إن علياً جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فضيحة وهتكاً للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتكم وأظهر علي القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم؟ قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر: ما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك، وقد مضى شرح ذلك.

فلما استخلف عمر، سأل علياً (ع) أن يدفع إليهم القرآن فيحرقوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الذي كنت قد جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه، فقال (ع): هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم، ولا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: ما جئتنا به، إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي، قال عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم. فقال (ع) نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه، فتجري السنة به صلوات الله عليه^(١).

وقال سليم بن قيس: بينا أنا وحبش بن معمر بمكة إذ قام أبو ذر وأخذ بحلقة الباب ثم نادى بأعلى

= ولما قام ثالث القوم نافجاً حصنيه - كما قال أمير المؤمنين (ع) - بين ثيليه ومعتلغه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع كان من الطبيعي أن يشتد تكبر أبي ذر على الدولة الأموية، والسلالة الحثيثة، والشجرة الملعونة.

فأرسل إليه عثمان ٢٠٠ دينار بيد موليين له وقال لهما انطلقا إلى أبي ذر وقولا له: إن عثمان يقرؤك السلام ويقول: هذه ٢٠٠ دينار، فاستمعن بها على ما نأبك. فقال أبو ذر: هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالوا: لا. فردها عليه.

ودخل يوماً على عثمان، وكانوا يقتسمون مال عبد الرحمن بن عوف وكان عنده كعب فقال عثمان لكعب: ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدق منه، ويعطي في السبل ويفعل ويفعل؟ قال كعب: إني لأرجو له خيراً، فغضب أبو ذر ورفع العصا على كعب وقال: «يا ابن اليهودية أنت تعلمنا معالم ديننا، وما يدريك ليودن صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه».

ولما اشتد إنكاره على عثمان نفاه إلى الشام، فواصل التكبر على عثمان ومعاوية، وكان يقول: والله إني لأرى حقاً يظلمني، وباطلاً يحبسني، وصادقاً مكذباً، وإثراً يغبر نفى وصالحاً مستأثراً عليه.

فكتب معاوية بذلك إلى عثمان فكتب إليه أن يحمل أبا ذر على باب صعبة، وقتب ثم ابعث من ينجش به نجشاً عنيماً حتى يدخل به علياً.

ثم نفاه عثمان إلى الرقة وشيعه عند خروجه إلى الرقة لأمير المؤمنين، والحسن والحسين (ع) ومات رحمه الله في الرقة سنة (٣٢) وصل عليه ابن مسعود.

خلاصة العلامة ص ٣٦، رجال الكشي ص ٢٧ تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٩٠ حلية الأولياء ج ١ ص ١٥٦، صفة الصفوة ج ١ ص ٢٣٨ وج ٩ من رجال المامقاني، ورجال الشيخ الطوسي ص ١٣ - ٣٦.

(١) ذكر المجلسي في بحار الأنوار ج ٨ ص ٤٦٣ بعد نقل هذه الرواية عن الإحتجاج ما يلي:

أقول: روى الصدوق (ره) مختصراً من هذا الإحتجاج عن أبيه وابن الوليد معاً عن سعد بن يزيد عن حماد بن عيسى عن اذينة عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس.

صوته في الموسم: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن جهلني فأنا جندب بن جنادة، أنا أبو زر. أيها الناس إني قد سمعت نبيكم يقول: «إن مثل أهل بيتي في أمتي كمثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا ومن تركها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل» أيها الناس إني سمعت نبيكم يقول: «إني تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما إن تمسكتن بهما: كتاب الله وأهل بيتي» إلى آخر الحديث فلما قدم إلى المدينة بعث إليه عثمان وقال له: «ما حملك على ما قمت به في الموسم؟» قال: عهد عهده إلي رسول الله (ص) وأمرني به فقال: من يشهد بذلك، فقام علي والمقداد فشهدا، ثم انصرفوا يمضون ثلاثتهم فقال عثمان: «إن هذا وصاحبيه يحبون أنهم في شيء».

وروي: أن يوماً من الأيام قال عثمان بن عفان لعلي بن أبي طالب (ع) «إن تربصت بي فقد تربصت بمن هو خير مني ومنك» قال علي (ع): «ومن هو خير مني؟» قال: أبو بكر وعمر. فقال علي (ع): كذبت أنا خير منك ومنها عبت الله قبلكم وعبدته بعدكم.

قال سليم بن قيس: حدثني سلمان والمقداد، وحدثني بعد ذلك أبو ذر، ثم سمعته من علي بن أبي طالب (ع)، قالوا: إن رجلاً فاخر علي بن أبي طالب (ع) فقال رسول الله - لما سمع به لعلي بن أبي طالب -: فاخر العرب وأنت أكرمهم ابن عم، وأكرمهم صهرًا، وأكرمهم زوجة، وأكرمهم ولدًا، وأكرمهم أخًا، وأكرمهم عمًا، وأعظمهم حلمًا، وأكثرهم علمًا، وأقدمهم سلماً، وأعظمهم غنى بنفسك ومالك، وأقرأهم بكتاب الله، وأعلمهم بمسئتي، وأشجعهم لقاء، وأجودهم كفاً، وأزهدهم في الدنيا، وأشهدهم اجتهاداً، وأحسنهم خلقاً، وأصدقهم لساناً، وأحبهم إلى الله وإلي، وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله وتصبر على ظلم قريش لك، تجاهدهم في سبيل الله إذا وجدت أعواناً، فتقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت معي على تنزيله، ثم تقتل شهيداً تحضب لحيتك من دم رأسك، قاتلك يعدل عاقر الناقة في البغض إلى الله والبعد منه.

قال سليم بن قيس: جلست إلى سلمان وأبي ذر والمقداد فجاء رجل من أهل الكوفة فجلس إليهم مسترشداً، فقال له سلمان: «عليك بكتاب الله فالزمه، وعلي بن أبي طالب فإنه مع القرآن لا يفارقه، فأنا أشهد أننا سمعنا رسول الله (ص) يقول: «إن علياً يدر مع الحق حيث دار، وإن علياً هو الصديق والفاروق يفرق بين الحق والباطل»^(١).

قال: فما بال القوم يسمون أبا بكر الصديق وعمر الفاروق قال: نحلها الناس اسم غيرهما كما نحلوهما خلافة رسول الله (ص) وإمرة المؤمنين لقد أسرنا رسول الله (ص) وأمرهما معنا فسلمنا جميعاً على علي بإمرة المؤمنين.

(١) أخرج الطبري في الرياض النضرة ١٥٥/٢ بسنده عن أبي ذر: سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي (ع): أنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل. وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٢/٩ والناوي في فيض القدير ٣٥٨/٤ عن الطبراني والبخاري والهيثم في كنز العمال ١٥٦/٦ عن الطبراني جميعاً عن سلمان وأبي ذر واليهقي وابن عدي عن حذيفة قالوا: أخذ النبي (ص) بيد علي (ع) فقال: إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصادفني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين.

وروى القاسم بن معاوية^(١) قال: قلت لأبي عبد الله (ع): هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنه لما أسري برسول الله رأى على العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق: فقال: «سبحان الله غيروا كل شيء حتى هذا» قلت: نعم.

قال: «إن الله عز وجل لما خلق العرش كتب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الماء كتب في مجراه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين ولما خلق الله عز وجل الكرسي كتب على قوائمه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله علي أمير المؤمنين ولما خلق الله عز وجل اللوح كتب فيه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولما خلق الله اسرافيل كتب على جبهته: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولما خلق الله جبرئيل كتب على جناحيه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله علي أمير المؤمنين ولما خلق الله عز وجل السماوات كتب في أكتافها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الأرض كتب في أطباقها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الجبال كتب في رؤوسها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الشمس كتب عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولما خلق الله عز وجل القمر كتب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين. وهو السواد الذي ترونه في القمر فإذا قال أحدكم: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فليقل علي أمير المؤمنين (ع).

وعن عبد الله بن الصامت^(٢) قال: رأيت أبا ذر آخذاً بحلقة باب الكعبة مقبلاً بوجهه للناس وهو يقول:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فسانبته باسمي أنا جندب بن السكن بن عبد الله أنا أبو ذر الغفاري أنا رابع أربعة ممن أسلم مع رسول الله (ص) سمعت رسول الله (ص) يقول - وذكر الحديث بطوله إلى قوله -: ألا أيها الأمة المتحيرة بعد نبينا، لو قدّمتم من قدّمه الله وأخرتم من أخره الله، وجعلتم الولاية حيث جعلها الله، لما عال ولي الله، ولما ضاع فرض من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم من أحكام الله، إلا كان علم ذلك عند أهل بيت نبيكم، فذوقوا وبال ما كسبتم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

(١) لم أذكر في كتب الرجال على صاحب هذا الاسم ولعله القاسم بن بريد بن معاوية المعجلي عنه الشيخ الطوسي في أصحاب الصادق والكاظم (ع) وفي خلاصة العلامة: القاسم بن بريد - بالياء المنقطة تحتها نقطة مضمومة - ابن معاوية المعجلي ثقة روى عن أبي عبد الله (ع).

(٢) عبد الله بن الصامت، ابن أخي أبي ذر عنونه ابن داود في الباب الأول كذلك، ونسب إلى الشيخ (ره) في رجاله عنه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام مضافاً إلى ما في العنوان قوله: عن أقام بالبصرة وكان شيعياً. ولكنني لم ألق على ذلك في رجال الشيخ (ره) وعندني نسخ عديدة مصححة، ليس من ذلك في شيء منها أثر وإنما الموجود فيها: عبادة بن صامت إلى آخر ما نسب في رجال الشيخ (ره) فهو سهو من فلمه الشريف. رجال المامقاني ج ٢ ص ١٨٩

وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: إن العلم الذي هبط به آدم من الجنة وما فصلت به النبيان (ع) في عترة نبيكم، فأين يتاه بكم؟

قال سليم بن قيس: سألت رجلاً علي بن أبي طالب (ع) فقال: وأنا أسمع - أخبرني بأفضل منقبة لك، قال: ما أنزل الله في كتابه، قال: وما أنزل الله فيك قال: «أفمن كان على بيعة من ربه ويتلوه شاهد منه»^(١) أنا الشاهد من رسول الله (ص) وقوله: «ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»^(٢) إياي عني بمن عنده علم الكتاب فلم يدع شيئاً أنزله الله فيه إلا ذكره، مثل قوله: «إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» وقوله: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»^(٣) وغير ذلك، قال: قلت: فأخبرني بأفضل منقبة لك من رسول الله (ص)، فقال: نصبه إياي يوم غدير خم فقال لي بالولاية بأمر الله عز وجل وقوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وسافرت مع رسول الله (ص) ليس له خادم غيري، وكان له لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه عائشة وكان رسول الله ينام بيني وبين عائشة ليس علينا ثلاثنا لحاف غيره، فإذا قام إلى صلاة الليل يخط بيده للحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يس اللحاف الفراش الذي تحتنا، فأخذتني الحصى ليلة فأسهرتني فسهر رسول الله (ص) لسهرتي، فبات ليلته بيني وبين مصلاه يصلي ما قدر له، ثم يأتيني يسألني وينظر إلي فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح فلما صلى بأصحابه الغداة قال: «اللهم اشف علياً وعافه، فإنه أسهرني الليلة محابه» ثم قال رسول الله (ص) - بمسمع من أصحابه -: «أبشريا علي» قلت: بشرك الله بخير يا رسول الله وجعلني فداك، قال: «إني لم أسأل الله الليلة شيئاً إلا أعطانيه ولم أسأله لنفسي شيئاً إلا سألت لك مثله وإني دعوت الله عز وجل أن يؤاخي بيني وبينك ففعل، وسألته أن يجعلك ولي كل مؤمن ومؤمنة ففعل، وسألته أن يجمع عليك أمتي بعدي فأبى علي» فقال رجلان أحدهما لصاحبه: «أرايت ما سأل؟

(١) هود ١٧.

ينابيع المودة والخموي في فرائد السمطين ص ٣٣٨ أخرج بسنده عن ابن عباس وعن زاذان وهما عن علي كرم الله وجهه قال: إن رسول الله (ص) كان على بيعة من ربه وأنا التالي الشاهد منه.

وابن المغازلي أخرج بسنده في المناقب ص ٢٧٠ عن عباد بن عبد الله قال: سمعت علياً كرم الله وجهه يقول في خطبته -: ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد علمت متى أنزلت، وفيمن أنزلت، وما من قریش رجل إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله عز وجل تسوقه إلى جنة أو نار. قال رجل: يا أمير المؤمنين فما نزلت فيك؟ قال: أما تقرأ «أفمن كان على بيعة من ربه ويتلوه شاهد منه» الآية فرسول الله على بيعة من ربه وأنا التالي الشاهد منه. وأخرجه بهذا اللفظ والسند في ينابيع المودة ص ٩٩ وأخرجه في الدر المنثور ٣/٣٢٤ عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة وأخرجه الطبري في تفسيره ١٢/١٠ إلى غير ذلك من المصادر.

(٢) الرعد: ٤٣.

عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله (ص) عن هذه الآية: «الذي عنده علم من الكتاب» قال: ذاك وزير أخي سليمان بن داود (ع). وسألته عن قول الله عز وجل: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب. ينابيع المودة ص ١٠٣.

(٣) النساء: ٥٩.

في ص ١١٤ من ينابيع المودة قال: في المناقب في تفسير مجاهد: إن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين (ع) حين خلفه رسول الله (ص) بالمدينة فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال موسى: اخلفني في قومي وأصلح.

فوالله لصاع من تمر خير مما سأل أولو كان سأل ربّه أن ينزل عليه ملكاً يعينه على عدوه، أو ينزل عليه كنزاً ينقذه وأصحابه فإنّ بهم حاجة كان خيراً مما سأل» وما دعا علياً قط إلى خير إلا استجاب له.

احتجاجه (ع) على الناكثين بيعته في خطبة خطبها حين نكثوها.

فقال: إنّ الله ذا الجلال والإكرام لما خلق الخلق، اختار خيرة من خلقه واصطفى صفوة من عباده، وأرسل رسولاً منهم، وأنزل عليه كتابه، وشرع له دينه وفرض فرائضه، فكانت الجملة قول الله عز وجل ذكره حيث أمر فقال: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ فهو لنا أهل البيت خاصة دون غيرنا، فانقلبتم على أعقابكم، وارددتم ونقضتم الأمر، ونكثتم العهد، ولم تضرخوا الله شيئاً، وقد أمركم الله أن تردوا الأمر إلى الله وإلى رسوله وإلى أولي الأمر منكم المستنبطين للعلم، فأقررتم ثم جحدتم، وقد قال الله لكم: ﴿أوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾^(١)

إنّ أهل الكتاب والحكمة والإيمان آل إبراهيم (ع) بينه الله لهم فحسدوا، فأنزل الله جل ذكره: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً^(٢) فنحن آل إبراهيم فقد حسدنا كما حسد آباؤنا، وأول من حسد آدم الذي خلقه الله عز وجل بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها واصطفاه على العالمين، فحسده الشيطان فكان من الغاوين، ثم حسد قابيل هابيل فقتله فكان من الخاسرين، ونوح حسده قومه فقالوا: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون﴾ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون^(٣) والله الخيرة يختار من يشاء ويختص برحمته من يشاء ويؤتي الحكمة والعلم من يشاء ثم حسدوا نبينا محمداً (ص)، ألا ونحن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، ونحن المحسودون كما حسد آباؤنا، قال الله عز وجل: ﴿إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي﴾^(٤) وقال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾^(٥).

فنحن أولى الناس بإبراهيم، ونحن ورثناه ونحن أولوا الأرحام الذين ورثنا الكعبة، ونحن آل إبراهيم، أفرغبون عن ملة إبراهيم؟ وقد قال الله تعالى: ﴿ومن تبعني فأنته مني﴾^(٦) يا قوم أدعوكم إلى الله وإلى رسوله، وإلى كتابه، وإلى ولي أمره، وإلى وصيه ووارثه من بعده، فاستجبوا لنا، واتبعوا آل إبراهيم، واقتدوا بنا، فإنّ ذلك لنا آل إبراهيم فرضاً واجباً والأفئدة من الناس تهوي إلينا، وذلك دعوة إبراهيم (ع) حيث قال: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾^(٧) فهل نقسم منا إلا أن آمنا بالله وما

(٢) النساء ٤ / ٥٥

(٤) آل عمران - ٦٨

(٦) إبراهيم - ٣٦

(١) البقرة : ٤٠

(٣) المؤمنون - ٣٣ - ٣٤

(٥) الأحزاب - ٦

(٧) إبراهيم - ٣٧

أنزل علينا ولا تنفروا فتصلوا، والله شهيد عليكم، قد أنذرتكم، ودعوتكم، وأرشدتكم، ثم أنتم وما تختارون.

احتجاج أمير المؤمنين (ع) على الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله لما أزمعا على الخروج عليه والحجة في أنهما خرجا من الدنيا غير تائبين من نكث البيعة.

روي عن ابن عباس رحمه الله أنه قال: كنت قاعداً عند عليّ (ع) حين دخل عليه طلحة والزبير فاستأذناه في العمرة فأبى أن يأذن لهما، وقال: قد اعتمرتما فأعاد عليهما الكلام فأذن لهما، ثم التفت إليّ فقال: والله ما يريدان العمرة، وإنما يريدان الغدرة، قلت له: فلا تأذن لهما، فردهما ثم قال لهما: والله ما تريدان العمرة وما تريدان إلا نكثاً لبيعتكما، وفرقة لامتكما، فحلفا له فأذن لهما ثم التفت إليّ فقال والله ما يريدان العمرة قلت: فلم أذنت لهما؟ قال: حلفا لي بالله، قال: فخرجا إلى مكة فدخلوا على عائشة فلم يزا بها حتى أخرجها.

وروي أنه (ع) قال - عند توجههما إلى مكة للإجماع مع عائشة للتأليب عليه بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه -:

أما بعد؛ فإن الله عز وجل بعث محمداً (ص) للناس كافة، وجعله رحمة للعالمين فصعد بما أمر به^(١)، وبلغ رسالات ربه، فلم به الصدع^(٢)، ورتق به الفتق^(٣)، وأمن به السبل^(٤)، وحقق به الدعاء^(٥)، وألف بين ذوي الإحن^(٦)، والعداوة والوغر في الصدور والضغائن الراسخة في القلوب.

ثم قبضه الله إليه حميداً لم يقصر في الغاية التي إليها أدى الرسالة، ولا بلغ شيئاً كان في التقصير عنه عند الفقد، وكان من بعده ما كان من التنازع في الإمرة، وتولى أبو بكر، وبعده عمر، ثم عثمان، فلما كان من أمره ما كان أتيتموني فقلتم: «بايعنا» فقلت: «لا أفعل» فقلتم: «بلى» فقلت: «لا» وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم فجذبتموها، وتذاككتكم عليّ نداء الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعض، فبسطت يدي فبايعتموني مختارين، وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذنا في العمرة، والله يعلم أنها أرادا الغدرة، فجددت عليهما العهد في الطاعة، وأن لا يبغيا للأمة الغوائل، فعاهداني، ثم لم يفيا لي، ونكثا بيعتي، ونقضوا عهدي، فعجباً من انقيادهما لأبي بكر وعمر، وخلافهما لي، ولست بدون أحد الرجلين، ولو شئت أن أقول لقلت: «اللهم اغضب عليهما بما صنعا وظفرتي بهما».

وقال - (ع) في أثناء كلام آخر - :

(٢) الصدع : الكسر

(٤) السبل : الطرق.

(٦) الإحن : الضغائن.

(١) صدع بالامر: أبانه وأظهره.

(٣) الرتق : ضد الفتق وهو : الإلتيام.

(٥) حقق دعه : خلاف هدرته، كأنك جمعت في صاحبه.

وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوة، ولا من ذرية الرسول، حين رأيا أن قدرد علينا حقنا، بعد أعصر فلم يصبرا حولاً كاملاً، ولا شهراً كاملاً، حتى وثبا عليّ، دأب الماضين قبلهما، ليذهبا بحقي ويفرقا جماعة المسلمين عني، ثم دعا عليهما.

وعن سليم بن قيس الهلالي قال: لما التقى أمير المؤمنين (ع) بأهل البصرة يوم الجمل. نادى الزبير يا أبا عبد الله أخرج إليّ فخرج الزبير ومعه طلحة، فقال لهما: والله إنكما لتعلمان وأولوا العلم من آل محمد وعائشة بنت أبي بكر: أن كل أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمد (ص) وقد خاب من افترى.

قالا: كيف نكون ملعونين ونحن أصحاب بدر وأهل الجنة؟! فقال (ع): لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم، فقال له الزبير: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي: أنه سمع من رسول الله (ص) يقول: «عشرة من قريش في الجنة؟» قال عليّ (ع): سمعته يحدث بذلك عثمان في خلافته، فقال الزبير أفترى كذب على رسول الله (ص)؟ فقال له عليّ (ع): «لست أخبرك بشيء حتى تسميهم» قال الزبير: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن عمرو بن نفيل.

فقال له عليّ (ع): «عديت تسعة فمن العاشر؟» قال له: أنت.

قال عليّ (ع): قد أقررت أنني من أهل الجنة وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين، قال له: أفتراه كذب على رسول الله (ص)؟ قال (ع): ما أراه كذب، ولكنه والله اليقين.

فقال عليّ (ع): والله إن بعض من سميته لفي تابوت في شعب في جب في أسفل درك من جهنم، على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنم رفع تلك الصخرة، سمعت ذلك من رسول الله (ص) وإلا أظفرك الله بي وسفك دمي على يديك، وإلا أظفرك الله عليك وعلى أصحابك وسفك دماءكم على يدي وعجل أرواحكم إلى النار، فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي.

وروى نصر بن مزاحم^(١) أن أمير المؤمنين (ع) حين وقع القتال وقتل طلحة، تقدم على بغلة رسول الله (ص) الشهباء بين الصفين، فدعا الزبير فدن إلى حنّي اختلف أعناق دابتيهما، فقال: يا زبير أنشدك بالله أسمع رسول الله (ص) يقول: إنك ستقاتل عليّاً وأنت له ظالم؟ قال: نعم، قال: فلم جئت؟ قال: جئت لأصلح بين الناس فأدبر الزبير وهو يقول:

ترك الأمور التي تحشى عواقبها لله أجمل في الدنيا وفي الدين
أني عليّ بأمر كنت أعرفه قد كان عمر أهلك الخير مذ حين

(١) نصر بن مزاحم المنقري العطار، أبو الفضل كوفي مستقيم الطريقة صالح الأمر، غير أنه يروي عن الضعفاء، كتبه حان كما في خلاصة العلامة.

فقلت حسبك من عدل أبا حسن
فاخترت عاراً على نار موجهة
نبئت طلحة وسط النقع منجداً
قد كنت أنصر أحياناً وينصري
حتى ابتلينا بأمر ضاق صدره
بعض الذي قلت هذا اليوم يكفيني
أن يقوم لها خلق من السطين
مأوى الضيوف ومأوى كل مسكين
في النائبات ويرمي من يراميني
فأصبح اليوم ما يعنيه يعني

قال : وأقبل الزبير على عائشة، فقال : يا أمة مالي في هذا بصيرة، وإني منصرف . فقالت عائشة : يا أبا عبد الله أفررت من سيف ابن أبي طالب؟ فقال : إنها والله طوال حداد، تحملها فتية أنجاد^(١)، ثم خرج راجعاً فمر بوادي السباع وفيه الأحنف بن قيس قد اعتزل من بني تميم، فأخبر الأحنف بانصرافه فقال : ما أصنع به إن كان الزبير ألقى بين غارتين من المسلمين وقتل أحدهما بالآخر ثم هو يريد اللحاق بأهله . فسمعه ابن جرموز فخرج هو ورجلان معه . وقد كان لحق بالزبير رجل من كليب ومعه غلامه . فلما أشرف ابن جرموز وصاحبه على الزبير، فحرك الرجلان رواحلها، وخلفا الزبير وحده، فقال لهما الزبير : ما لكما هم ثلاثة ونحن ثلاثة؟! فلما أقبل ابن جرموز قال له الزبير : إليك عني فقال ابن جرموز : يا أبا عبد الله إني جئت لك لأسألك عن أمور الناس . قال : تركت الناس يضرب بعضهم وجوه بعضهم بالسيف . قال ابن جرموز : أخبرني عن أشياء أسألك عنها؟ قال : هات!

قال : أخبرني عن خذلك عثمان، وعن بيعتك علياً وعن نقضك بيعته، وعن إخراجك عائشة، وعن صلاتك خلف ابنك، وعن هذا الحرب التي جنيتها، وعن حقوقك بأهلك؟

فقال : أما خذلي عثمان فأمر قدم الله فيه الخطية، وأخر فيه التوبة، وأما بيعتي علياً، فلم أجد منها بداً، إذ بايعه المهاجرون والأنصار، وأما نقضي بيعته، فإنيما بايعته بيدي دون قلبي، وأما إخراجي أم المؤمنين، فأردنا أمراً وأراد الله أمراً غيره، وأما صلاتي خلف ابني فإن خالته قدّمته . فتنحى ابن جرموز عنه وقال : قتلني الله إن لم أقتلك .

وروي أنه جئى إلى أمير المؤمنين برأس الزبير وسيفه، فتناول سيفه وقال : طالما والله جلى به الكرب عن وجه رسول الله (ص) ولكن الحين ومصارع السوء .

وروي أنه (ع) لما مر على طلحة من بين القتل قال : أقعدوه فاقعد فقال : إنه كانت لك سابقة من رسول الله، لكن الشيطان دخل في منخريك فأوردك النار .

وروي أنه (ع) مر عليه فقال : هذا ناكث بيعتي، والمنشئ للفتنة في الأمة والمجلب على الداعي إلى قتلي وقتل عترتي، أجلسوا طلحة! فأجلس . فقال أمير المؤمنين : يا طلحة بن عبيد الله قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثم قال : أضجعوا طلحة! وسار فقال له بعض من

كان معه : يا أمير المؤمنين أتكلم طلحة بعد قتله؟ فقال أما والله سمع كلامي كما سمع أهل القلب كلام رسول الله (ص) يوم بدر.

وهكذا فعل (ع) بكعب بن شور القاضي لما مر به قتيلاً، وقال: هذا الذي خرج علينا في عنقه مصحف، يزعم أنه ناصر أمه^(١) يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه، ثم استفتح وخاب كل جبار عنيد أما إنه دعا الله أن يقتلني فقتله الله.

وروي أن مروان بن الحكم هو الذي قتل طلحة بسهم رماه به. وروي أيضاً أن مروان بن الحكم يوم الجمل كان يرمي بسهامه في العسكرين معاً، ويقول: من أصبت منها فهو فتح، لقلة دينه، وتهمة للجميع.

وقيل: أن اسم الجمل الذي ركبته يوم الجمل عائشة «عسكر» من ولد إبليس اللعين ورؤي منه ذلك اليوم كل عجيب، لأنه كلما بتر منه قائمة من قوائمه ثبت على أخرى حتى نادى أمير المؤمنين (ع) اقتلوا الجمل فإنه شيطان، وتولى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر رحمة الله عليهما عقره بعد طول دمائه. وروي الواقدي^(٢) أن عمار بن ياسر رحمة الله عليه، لما دخل على عائشة فقال: كيف رأيت ضرب بنيك على الحق؟ فقالت: استبصرت من أجل أنك غلبت.

فقال عمار: أنا أشد استبصاراً من ذلك، والله لو ضربتمونا حتى تبلغونا سعيقات هجر لعلمنا أنا على الحق، وأنكم على الباطل فقالت عائشة: هكذا يخيل إليك يا عمار. أذهبت دينك لابن أبي طالب.

وروي عن الباقر (ع) أنه قال: لما كان يوم الجمل وقد رشق هودج عائشة بالنبل قال أمير المؤمنين (ع): والله ما أراي إلا مطلقها فأنشد الله رجلاً سمع من رسول الله (ص) يقول: «يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي» لما قام فشهد؟ فقال: فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدریان فشهدوا: أنهم سمعوا رسول الله (ص) يقول لعلي بن أبي طالب (ع): «يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي».

قال: فبكت عائشة عند ذلك حتى سمعوا بكاءها فقال علي (ع): لقد أنبأني رسول الله (ص) نبياً فقال: إن الله تعالى يمدك يا علي يوم الجمل بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين.

وروي عن ابن عباس^(٣) قال لأمير المؤمنين (ع) - حين أبت عائشة الرجوع -: دعها في البصرة ولا

(١) أي ناصر عائشة.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد المدني كان إماماً عالماً له التصانيف، والمغازي وفتوح الأمصار، وله كتاب الردة وغير ذلك نولى القضاء بشرقي بغداد وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي، وهي المحلة المعروفة بالرصافة بالجانب الشرقي من بغداد عثرها المنصور لولده المهدي فنسب إليه. قال ابن النديم إن الواقدي كان يتشيع، حسن المذهب، يلزم الثنية وهو الذي روى: أن علياً (ع) كان من معجزات النبي (ص) كالعصا لموسى (ع) وإحياء الموتى لعيسى بن مريم. ولد سنة (١٣٠) وتوفي سنة (٢٠٧) وصلى عليه محمد بن سماعة، ودفن بمقابر خيزران عن الكوفي والألقاب للقمي ج ٣ ص ٢٣٠ - ٢٣٣.

(٣) عبد الله بن العباس من أصحاب رسول الله (ص) كان محباً لعلي (ع) وتلميذه، حاله في الجلالة والإخلاص لأمير المؤمنين

ترجلها. فقال علي (ع): إنها لا تألوا شراً، ولكني أردتها إلى بيتها.

وروى محمد بن إسحاق^(١) أن عائشة لما وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة لم تزل تحرض الناس على أمير المؤمنين، وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن البخري، تحرضهم عليه (ع).
وروي أن عمرو بن العاص قال لعائشة: لوددت أنك قتلت يوم الجمل! فقالت: ولم لا أبا لك؟ قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة، ونجعلك أكثر للتشيع على علي (ع).

احتجاج أم سلمة (رض) زوجة رسول الله على عائشة في الإنكار عليها بخروجها على علي أمير المؤمنين (ع).

روى الشعبي^(٢) عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي^(٣) قال: كنت بمكة مع عبد الله بن الزبير

= (ع) أشهر من أن يخفى، وقد ذكر الكشي أحاديث تتضمن قدحاً فيه وهو أجل من ذلك، وقد ذكرناها في كتابنا الكبير وأجبنا عليها رضي الله تعالى عنه. خلاصة العلامة ص ١٠٢.

(١) محمد بن إسحاق أخو يزيد شعر - بالشين المعجمة والعين المهملة والراء -.

روى الكشي عن حمويه عن الحسن بن موسى قال: حدثني يزيد بن إسحاق شعر أن محمداً أخاه كان يقول بحياة الكاظم (ع) فدعا له الرضا عليه السلام حتى قال بالحق. خلاصة العلامة ص ١٥١.

(٢) أم المؤمنين أم سلمة: بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، وأمها عاتكة بنت عبد المطلب زوج النبي (ص) واسمها هند، وكان أبوها يعرف بزاد الركب، من المهاجرات إلى الحبشة، وإلى المدينة.

وكانت مستودعة لبعض الوصايا وميراث النبوة وكان عندها البساط الذي سار به أمير المؤمنين إلى أصحاب الكهف ولما سار أمير المؤمنين (ع) إلى الكوفة استودعها كتبه والوصية، فلما رجع الحسن (ع) دفعها إليه، ولما توجه الحسين عليه السلام إلى العراق استودعها كتبه والوصية وأوصاها أن تدفعها إلى علي بن الحسين ففعلت.

وفي الدر النظيم للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي قال بعد خطبة فاطمة (ع) وكلام أبي بكر فقالت أم سلمة رضي الله عنها، حيث سمعت ما جرى لفاطمة (ع) أثلل فاطمة بنت رسول الله (ص) يقال هذا القول؟

هي والله الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس، ربيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، وغت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نشأ، وربيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله (ص) حرم عليها ميراثه ولم يعلمها، وقد قال الله تعالى دأبنا عشرينك الأفرين! أفأندرها وخالفنا مطلبه وهي خير النساء، وأم سادة الشبان، وعديلة ابنة عمران، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، ويوسدها بحبته، ويلحفها بشماله، ويبدأ ورسول الله (ص) يراى منكم وعلى الله تردون! وإها لكم فسوف تعلمون، قال: فحرمتم أم سلمة عطاها تلك السنة.

نعم، وفي بيتها نزلت آية التطهير وهي آخر من مات من نساء النبي (ص) ماتت في زمن يزيد سنة (٦٣)

راجع أسد الغابة ج ٥ ص ٥٨٨ سفينة البحار ج ١ ص ٦٤٢ - ٦٤٣.

(٣) الشعبي - يفتح الأول وسكون الثاني - : أبو عمر عامر بن شراحيل الكوفي ينسب إلى شعب بطن من همدان. يعد من كبار التابعين وجلتهم، وكان فقيهاً شاعراً روى عن حسين ومائة من أصحاب رسول الله (ص) كذا عن السمعاني. مات فجأة بالكوفة سنة ١٠٤ ويظهر من ابن خلكان أن الشعبي كان قاضياً على الكوفة. الكنى والألقاب ج ٢ ص ٣٢٧/٣٢٨

(٤) صحابي مجهول.

وطلحة بن الزبير فأرسلا عبد الله بن الزبير فقالا له : إن عثمان قتل مظلوماً ، وأنا نخاف أمر أمة محمد (ص) أن يختل ، فإن رأيت عائشة أن تخرج معنا لعل الله أن يرتق بها فتقاً ويشعب بها صدعاً .

فخرجنا ثمشي حتى انتهينا إليها فدخل عبد الله بن الزبير في سترها وجلست على الباب فأبلغها ما أرسلا به إليها فقالت : سبحان الله ما أمرت بالخروج ، وما تحضرني من أمهات المؤمنين إلا أم سلمة ، فإن خرجت خرجت معها .

فرجع إليهما فبلغها ذلك فقالا : إرجع إليها فلتأتها فهي أثقل عليها منا ، فرجع إليها فبلغها ، فأقبلت حتى دخلت أم سلمة فقالت أم سلمة : مرحباً بعائشة ، والله ما كنت لي بزواة فما بدا لك؟ قالت : قدم طلحة والزبير فخبرا أن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً . فصرخت أم سلمة صرخة أسمعت من في الدار فقالت : يا عائشة بالأمس أنت تشهدين عليه بالكفر ، وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً!! فما تريدان؟! قالت : تخرجين معنا فعلاً الله أن يصلح بخروجنا أمر أمة محمد (ص) .

قالت : يا عائشة تخرجين وقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله ما سمعنا نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت أتذكرين يوماً كان نوبتك من رسول الله (ص) ، فصنعت حريرة في بيتي فأتيته بها وهو (ص) يقول : والله لا تذهب الليالي والأيام حتى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له : «الحوآب» امرأة من نسائي في فئة باغية ، فسقط الإناء من يدي ، فرفع رأسه إلي وقال : ما بالك يا أم سلمة؟ فقلت : يا رسول الله (ص) ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول ما يؤمني أن أكون هي أنا؟ فضحكت أنت فالتفت إليك فقال (ص) : مما تضحكين يا حمراء الساقين؟ إنني أحسبك هي؟

ونشدتك بالله يا عائشة أتذكرين ليلة أسري بنا مع رسول الله (ص) من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين علي بن أبي طالب (ع) يحدثنا ، فأدخلت جملك فحال بينه وبين علي فرفع مفرعة كانت معه يضرب بها وجه جملك وقال : أما والله ما يومه منك بواحدة ، أما إنه لا ييغضه إلا مناقق كذاب؟ وأنشدك بالله أتذكرين مرض رسول الله (ص) الذي قبض فيه فأتاه أبوك يعوده ومعه عمر - وقد كان علي بن أبي طالب (ع) بتعاهد ثوب رسول الله (ص) ونعله وخفه ويصلح ما وهي منها فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله وهي حضرمية فهو يخصفها خلف البيت - فاستأذنا عليه فأذن لهما ، فقالا :

يا رسول الله كيف أصبحت؟

قال : أصبحت أحمد الله .

قالا : لا بد من الموت؟ قال : أجل لا بد من الموت .

قالا : يا رسول الله فهل استخلفت أحداً؟ قال : ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل .

فخرجنا فمرّا على علي بن أبي طالب (ع) وهو يخصف نعل رسول الله (ص) ، كل ذلك تعرفينه يا

عائشة وتشهدين عليه !

ثم قالت أم سلمة : يا عائشة أنا اخرج علي بعد الذي سمعته من رسول الله (ص) !؟ فرجعت عائشة إلى منزلها فقالت يا ابن الزبير أبلغهما أني لست بخارجة من بعد الذي سمعت من أم سلمة ، فرجع فبلغهما قال : فما انتصف الليل حتى سمعت رغاء إبلهما ترنخل فارتملت معها .

وروي عن الصادق (ع) أنه قال : دخلت أم سلمة بنت أبي أمية على عائشة لما أزمعت الخروج إلى البصرة فحمدت الله وصلى على النبي (ص) ثم قالت : يا هذه إنك سدة بين رسول الله وبين أمته ، وحجابه عليك مضروب وعلى حرمة ، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه^(١) وضم ظفرك فلا تنشربه ، وشد عقيرتك فلا تصحريها^(٢) إن الله من وراء هذه الأمة وقد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد إليك فعل بل نهى عن الفرطة في البلاد^(٣) إن عمود الدين لن يثاب بالنساء إن مال^(٤) ولا يرأب بهن إن انصدع^(٥) ، جمال النساء غص الأظراف ، وضم الذبول والأعطاف وما كنت قائلة لو أن رسول الله (ص) عارضك في بعض هذه الغلوات وأنت ناصه قعوداً من منهل إلى منهل ، ومنزل إلى منزل ، ولغير الله مهواك ، وعلى رسول الله تردين ، وقد هتكت عنك سجافه ، ونكثت عهده ، وبالله أحلف أن لو سبرت مسيرك ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت من رسول الله أن ألقاه هاتكة حجاباً ضربه علي فأتقي الله ، واجعليه حصناً ، وقاعة السر منزلاً ، حتى تلقه . إن أطوع ما تكونين لربك ما قصرت عنه ، وأنصح ما تكونين لله ما لزمته ، وأنصر ما تكونين للدين ما قعدت عنه ، وبالله أحلف لو حدثتك بحديث سمعته من رسول الله (ص) لنهشتني نيش الرقشاء المطرقة^(٦) .

فقالت لها عائشة : ما أعرفني بموعظتك ، وأقبلني تصحك ، ليس مسيري على ما تظنين ، ما أنا بالمغترية ، ولنعم المطلع تطلعت فيه ، فرقت بين فتتين متشاجرتين ، فإن أقعد فني غير حرج ، وإن أخرج فني ما لا غنى بي عنه من الإزدياد في الأجرة .

قال الصادق (ع) : فلما كان من ندمها أخذت أم سلمة تقول :

لو كان معتصماً من زلة أحد	كانت لعائشة الرتبة على الناس
من زوجة لرسول الله فاضلة	وذكر أي من القرآن مدراس
وحكمة لم تكن إلا لهاجسها	في الصدر يذهب عنها كل وسواس
يستنزع الله من قوم عقولهم	حتى يمر الذي يقضي على الرأس
ويرحم الله أم المؤمنين لقد	تبدلت لي إيحاشاً بإيناس

(١) أي : لا توسعيه ونشربه .

(٢) العقيرة : الصوت . وصحر الحمار : نهق .

(٣) الفرطة - بالضم - : الخروج والتقدم يقال : (فلان ذو فرطة في البلاد) أي : أسفار كثيرة .

(٤) ثاب : رجع بعد ذهابه .

(٥) رأب الصدع : أصلحه .

(٦) الرقشاء من الحيات : المنقطة بسواد وياض . وفي المثل : نهشتني نيش الرقشاء المطرقة .

فقال لها عائشة : شتمتني يا أخت . فقالت أم سلمة : ولكنَّ الفتنة إذا أقبلت غضت عيني البصير، وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل .

احتجاج أمير المؤمنين (ع) بعد دخوله البصرة بأيام على من قال من أصحابه انه ما قسم الفيء فينا بالسوية ولا عدل في الرعية وغير ذلك من المسائل التي سئل عنها في خطبة خطبها .

روى يحيى بن عبد الله^(١) بن الحسن عن أبيه عبد الله بن الحسن قال كان أمير المؤمنين (ع) يخطب بالبصرة بعد دخوله بأيام فقام إليه رجل فقال :

يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة، ومن أهل الفرقة؟ ومن أهل البدعة، ومن أهل السنة؟ فقال : ويحك أما إذا سألتني فافهم عني ولا عليك أن تسأل عنها أحداً بعدي أما أهل الجماعة : فأنا ومن تبعني وإن قلّوا، وذلك الحق عن أمر الله تعالى وعن أمر رسوله .

وأهل الفرقة : المخالفون لي ولمن اتبعني وإن كثروا .

وأما أهل السنة فالمتمسكون بما منه الله لهم ورسوله وإن قلّوا .

وأما أهل البدعة : فالمخالفون لأمر الله وكتابه ورسوله العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا، وقد مضى منهم الفوج الأول وبقيت أفواج، وعلى الله قبضها واستيصالها عن جدد الأرض .

فقام إليه عمار فقال : يا أمير المؤمنين إن الناس يذكرون الفيء ويزعمون أن من قاتلنا فهو وماله وولده فيء لنا .

فقام إليه رجل من بكر بن وائل ، ويدعى عباد بن قيس ، وكان ذا عارضة ولسان شديد ، فقال : يا أمير المؤمنين والله ما قسمت بالسوية، ولا عدلت بالرعية .

فقال : ولم ويحك؟؟!!

قال : لأنك قسمت ما في العسكر وتركت الأموال والنساء والذرية .

فقال : أيها الناس من كانت به جراحة فليداوها بالسمن .

فقال عباد : جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترهات ! فقال له أمير المؤمنين (ع) إن كنت كاذباً فلا أمانك الله حتى يدركك غلام ثقيف، قيل : ومن غلام ثقيف؟ فقال : رجل لا يدع الله حرمة إلا انتهكها، فليل أقيموت أو يقتل؟ فقال : يقصمه قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه .

يا أبا بكر أنت امرؤ ضعيف الرأي ، أو ما علمت أننا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير، وأن الأموال كانت

هم قبل الفرقة، وتزوجوا على رشدة، وولدوا على فطرة، وإنما لكم ماحوى عسكركم، وما كان في دورهم فهو ميراث. فإن عدا أحد منهم أخذناه بذنبه، وإن كف عنا لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله (ص) في أهل مكة، فقسم ماحوى العسكر، ولم يتعرض لما سوى ذلك وإنما اتبعت أثره حذو النعل بالنعل.

يا أخا بكر أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها، وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بالحق، فمهلاً مهلاً رحمكم الله فإن لم تصدقوني وأكثرتم عليّ - وذلك أنه تكلم في هذا غير واحد - فأبيكم يأخذ عائشة بسهمه؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين أصبت وأخطأنا، وعلمت وجهلنا، فنحن نستغفر الله تعالى، ونادى الناس من كل جانب: أصبت يا أمير المؤمنين، أصاب الله بك الرشاد والسداد، فقام عباد فقال:

أيها الناس، إنكم والله لو اتبعتموه وأطعتموه لن يضلّ بكم عن منهل نبيكم حتى قيد شعرة، وكيف لا يكون ذلك وقد استودعه رسول الله (ص) علم المنايا والقضايا وفصل الخطاب على منهاج هارون وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فضلاً خصه الله به وإكراماً منه لنبيه (ص) حيث أعطاه ما لم يعط أحداً من خلقه.

ثم قال أمير المؤمنين (ع): انظروا رحمكم الله ما تؤمرون فامضوله، فإن العالم أعلم بما يأتى به من الجاهل الخسيس الأخس، فأني حاملكم بإنشاء الله إن أطعتموني على سبيل النجاة، وإن كان فيه مشقة شديدة، ومرارة عديدة، والدنيا حلوة الخلاوة لكن اغتر بها من الشقاوة والندامة عما قليل.

ثم إنني أخبركم أن جيلاً من بني إسرائيل أمرهم نبيهم أن لا يشربوا من النهر فلجوا في ترك أمره فشرّبوا منه إلا قليل منهم، فكونوا رحمكم الله من أولئك الذين أطاعوا نبيهم ولم يعصوا ربهم وأما عائشة فأدركها رأي النساء، ولها بعد ذلك حرمتها الأولى والحساب على الله يعفو عمن يشاء، ويعذب من يشاء.

عن الأصمعي بن نباتة^(١) قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين (ع) يوم الجمل فجاء رجل حتى وقف بين يديه

(١) الأصمعي بن نباتة - بضم النون - المجاشعي الحنظلي كان من خاصة أمير المؤمنين ومن ذخائره وقد بايعه على الموت. وكان من ثقائه (ع) روي أنه دعا يوماً كاتبه عبد الله بن أبي رافع فقال: أدخل عشرة من ثقاتي، فقال: سئهم يا أمير المؤمنين نسماهم في أولهم.

وكان رحمه الله من فرسان أهل العراق، وكان يوم صفين على شربة الخميس، وقال لأمر المؤمنين (ع): قدمني في البقية من الناس فإنك لا تغفل في اليوم صبراً ولا نصراً، قال عليه السلام: تقدم باسم الله والبركة، وأخذ رايته وسيفه، فمضى بالرابية مرتجراً فرجع وقد خضب سيفه ورجحه دماً، وكان إذا لقي القوم لا يغمد سيفه.

وكان شيخاً ناسكاً عابداً، قال: كنت أركع عند باب أمير المؤمنين (ع) وأنا أدعوا الله عز وجل بإخراج أمير المؤمنين (ع) فقال: يا أصمعي، قلت: لبيك، قال: أي شيء كنت تودع؟ قلت: ركعت وأنا أدعوا الله، قال: أفلا أعلمك دعاءاً سمعته من رسول الله (ص)؟ قلت بلى. قال: قل: الحمد لله على ما كان والحمد لله على كل حال، ثم ضرب بيده اليمنى على منكبي اليسر وقال: يا أصمعي لئن ثبتت قدمك، وثمت ولايتك، وانبطت يدك. فإله أرحم بك من نفسك.

روى عن أمير المؤمنين (ع) عهده للأشتر ووصيته لمحمد بن الحنفية، وعمر بعد أمير المؤمنين (ع) ومات مشكوراً.

رجال الطوسي ص ٣٤، رجال العلامة ص ٢٤، سنية البحار ج ٢ ص ٧، ٨، ١٠.

فقال: يا أمير المؤمنين كبر القوم وكبرنا وهلل القوم وهللنا، وصلى القوم وصلينا، فعل ما تقاتلهم؟ فقال أمير المؤمنين (ع): على ما أنزل الله جل ذكره في كتابه.

فقال: يا أمير المؤمنين (ع) ليس كل ما أنزل الله في كتابه أعلمه فعلمنيه.

فقال علي (ع): ما أنزل الله في سورة البقرة. فقال يا أمير المؤمنين ليس كل ما أنزل الله في سورة البقرة أعلمه فعلمنيه.

فقال علي (ع): هذه الآية: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتيناه عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾^(١) فنحن الذين آمنواهم الذين كفروا. فقال الرجل: كفر القوم ورب الكعبة. ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله.

عن المبارك بن فضالة عن رجل ذكره قال: أتى رجل أمير المؤمنين (ع) بعد الجمل، فقال: يا أمير المؤمنين رأيت في هذه الواقعة أمراً هالني: من روح قد بانت وجثة قد زالت، ونفس قد فانت، لا أعرف فيهم مشركاً بالله تعالى، فأنه الله ما يجليني من هذا! إن بك شرأ فهذا نتلقى بالتوبة، وإن بك خيراً ازدادنا منه، أخبرني عن أمرك هذا الذي أنت عليه، أفنته عرضت لك فانت تنفع الناس بسيفك^(٢) أم شيء خصك به رسول الله؟؟

فقال (ع): إذن أخبرك، إذن أنبئك، إذن أحذئك، إن ناساً من المشركين أتوا رسول الله (ص) وأسلموا، ثم قالوا لأبي بكر: استأذن لنا على رسول الله (ص) حتى نأتي قومنا فنأخذ أموالنا ثم نرجع. فدخل أبو بكر على رسول الله (ص) فاستأذن لهم، فقال عمر: يا رسول الله أنرجع من الإسلام إلى الكفر؟

فقال (ص): وما علمك يا عمر أن ينطلقوا فيأتوا بمثلهم معهم من قومهم، ثم أنهم أتوا أبا بكر في العام المقبل فسألوه أن يستأذن لهم على النبي فاستأذن لهم، وعنده عمر فقال مثل قوله فنضب رسول الله (ص) ثم قال:

والله ما أراكم تنتهون حتى يبعث الله عليكم رجلاً من قريش يدعوكم إلى الله فتختلفون عنه اختلاف الغنم الشرود.

فقال له أبو بكر: فذاك أبي وأمي يا رسول الله أنا هو؟ قال: لا. قال عمر: فمن هو يا رسول الله؟ فأومى إلي وأنا أخصف نعل رسول الله (ص) وقال: «هو خاصف النعل عندكما، ابن عمي، وأخي، وصاحبي، ومبريء ذمتي، والمؤدّي عني ديني وعداتي، والمبلغ عني رسالاتي، ومعلم الناس من بعدي، ومبينهم من تأويل القرآن ما لا يعلمون» فقال الرجل: أكتفي منك بهذا يا أمير المؤمنين ما بقيت. فكان ذلك الرجل أشد أصحاب علي (ع) فيما بعد على من خالفه.

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) أي: نأخذهم بطرف سيفك من بعيد.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما فرغ عليّ (ع) من قتال أهل البصرة وضع قتباً على قتب^(١) ثم صعد عليه فخطب، فحمد الله وأثنى عليه فقال :

يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة^(٢) يا أهل الداء العضال^(٣)، أتباع البهيمة^(٤)، يا جند المرأة^(٥) رغا فأجبتهم^(٦) وعقر فهرتهم، ماؤكم زعاق^(٧) ودينكم نفاق، وأخلاقكم دقاق. ثم نزل يمشي بعد فراغه من خطبته فمشينا معه فمر بالحسن البصري وهو يتوضأ فقال :

يا حسن إسبغ الوضوء. فقال : يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، يصلون الخمس، ويسبغون الوضوء، فقال له أمير المؤمنين (ع) : فقد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا؟!

فقال : والله لأصدقنك يا أمير المؤمنين لقد خرجت في أول يوم فاغتسلت وتحنطت وصبيت عليّ سلاحي وأنا لا أشك في أن التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر، فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة ناداني مناد : ويا حسن إلى أين إرجع فإن القاتل والمقتول في النار، فرجعت ذعراً وجلست في بيتي، فلما كان في اليوم الثاني لم أشك أن التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر، فتحنطت، وصبيت عليّ سلاحي وخرجت أريد القتال، حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فناداني مناد من خلفي : يا حسن إلى أين إرجع فإن القاتل والمقتول في النار، فرجعت ذعراً وجلست في بيتي فلما كان في اليوم الثاني لم أشك أن التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر فتحنطت وصبيت عليّ سلاحي وخرجت أريد القتال حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فناداني مناد من خلفي يا حسن إلى أين مرة بعد أخرى فإن القاتل والمقتول في النار. قال عليّ (ع) صدقك أفندري من ذلك المنادي؟ قال : لا.

قال (ع) : ذاك أخوك إبليس، وصدقك إن القاتل والمقتول منهم^(٨) في النار، فقال الحسن البصري الآن عرفت يا أمير المؤمنين أن القوم هلكى.

وعن أبي يحيى الواسطي^(٩) قال : لما افتتح أمير المؤمنين (ع) اجتمع الناس عليه وفيهم الحسن البصري

(١) القتب - بالتحريك - رجل البعير.

(٢) المؤتفكة : المنقلة قال تعالى - في قرى قوم لوط التي انقلبت بأهلها - : والمؤتفكة أهوى، وفي الحديث : البصرة إحدى المؤتفكات.

(٣) الداء العضال - بعين مضمومة - : المرض الصعب الشديد الذي يعجز عنه الطبيب.

(٤) بريد : الجمل الذي ركبه عائشة.

(٥) بريد عائشة.

(٦) رغا فأجبتهم أي الجمل رغا والرغا - كغراب - : صوت ذوات الخف وقد رغا البعير يرغو رغاءً إذا ضج ورغت الناقة صوته فهي راغية.

(٧) الزعاق - كغراب - : الماء المر الغليظ الذي لا يطاق شربه.

(٨) أي : القاتل والمقتول من أصحاب الجمل في النار.

(٩) أبو يحيى الواسطي واسمه سهيل بن زياد الواسطي له كتاب لقي أبا محمد العسكري . أمه بنت محمد بن نعمان أبي جعفر

لاحول الملقب بمؤمن الطاق المتكلم المشهور . رجال الشيخ ص ٤٧٦ رجال النجاشي ص ١

ومعه الألواح، فكان كلما لفظ أمير المؤمنين (ع) بكلمة كتبها، فقال له أمير المؤمنين (ع) - بأعلى صوته -: ما تصنع؟ فقال نكتب آثاركم لنحدث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين (ع): أما إن لكل قوم سامري وهذا سامري هذه الأمة، أما إنه لا يقول لا مساس ولكن يقول لا قتال.

احتجاجه (ع) على قومه في الحث على المسير إلى الشام لقتال معاوية وفيما أخذ عليهم من العهد والميثاق بالطاعة له حال بيعتهم إياه.

روي أنه (ع) لما عزم على المسير إلى الشام لقتال معاوية قال - بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله (ص) -: اتقوا الله عباد الله وأطيعوه، وأطيعوا إمامكم، فإن الرعية البالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر، وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقي، ناكثاً لبيعتي، طاغياً في دين الله عز وجل، وقد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس، فاجتمعوني راغبين إلي في أمركم، حتى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني، فالتويت عليكم لأبلو^(١) ما عندكم فرادتموني القول مراراً وراددتكم وتداكنتم علي تذاك الإبل الهيم على حياضها حرصاً على بيعتي، حتى خفت أن يقتل بعضكم بعضاً. فلما رأيت ذلك منكم رؤيت في أمركم وأمري، وقلت إن أنالهم أجبههم إلى القيام بأمرهم لم يصيبوا أحداً منهم يقوم فيهم مقامي ويعدل فيهم عدلي، وقلت والله لآلئهم وهم يعلمون حقي وفضلي أحب إلي من أن يلوني وهم لا يعرفون حقي وفضلي، فسقط لكم يدي فبايعتموني يا معشر المسلمين، وفيكم المهاجرون والأنصار، والتابعون بإحسان، فأخذت عليكم عهد بيعتي، وواجب صفقتي، عهد الله وميثاقه واشد ما أخذ على النبيين من عهد وميثاق لتقررن لي، ولتسمعن لأمري، ولتطيعوني، وتناصحوني، وتقاتلون معي كل باغ علي أو مارق إن مرق، فأنعمتم لي بذلك جميعاً، وأخذت عليكم عهد الله وميثاقه، وذمة الله وذمة رسوله فأجبتهموني إلى ذلك جميعاً، وأشهدت الله عليكم، وأشهدت بعضكم على بعض، فقامت فيكم بكتاب الله، وسنة نبيه (ص)، فالعجب من معاوية بن أبي سفيان ينازعني الخلافة، ويحسد لي الإمامة، ويزعم أنه أحق بها مني، جرأة منه على الله وعلى رسول الله (ص)، بغير حق له فيها ولا حجة، ولم يبايعه المهاجرون ولا سلم له الأنصار والمسلمون.

يا معشر المهاجرين والأنصار وجماعة من سمع كلامي، أما أوجبتم لي على أنفسكم الطاعة، أما بايعتموني على الرغبة، أما أخذت عليكم العهد بالقبول لقولي؟ أما بيعتي لكم يومئذ أوكد من بيعة أبي بكر وعمر، فما بال من خالفني لم ينقض عليها حتى مضيا ونقض علي ولم يف لي؟! أما يجب عليكم نصحي ويلزمكم أمري؟ أما تعلمون أن بيعتي يلزم الشاهد منكم والغائب؟ فما بال معاوية وأصحابه طاغون في بيعتي؟ ولم لم يفوا لي وأنا في قرابتي وسابقتي وصهري أولى بالأمر من تقدمني؟ أما سمعتم قول رسول الله يوم الغدير في ولايتي وموالياتي؟

فأتقوا الله أيها المسلمون وتحاثوا على جهاد معاوية الباسط الناكث، وأصحابه للقاسطين الناكثين،

(١) أي: لأختبر ما عندكم.

اسمعوا ما أتوا عليكم من كتاب الله المنزل على نبيه المرسل لتتعظوا، فإنه والله أبلغ عظة لكم، فانتفعوا بموعظة الله، وازدجروا عن معاصي الله، فقد وعظكم الله بغيركم فقال لنبيه (ص): ﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا للنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا قالوا وما لنا لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين﴾^(١) وقال لهم نبيهم: ﴿إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾^(٢).

أيها الناس إن لكم في هذه الآيات عبرة، لتعلموا أن الله جعل الخلافة والإمرة من بعد الأنبياء في أعقابهم، وأنه فضل طالوت وقدمه على الجماعة باصطفائه إياه وزيادة بسطة في العلم والجسم، فهل تجدون أن الله اصطفى بني أمية على بني هاشم وزاد معاوية علي بسطة في العلم والجسم.

واتقوا الله عباد الله واجاهدوا في سبيله قبل أن ينالكم سخطه بعصيانكم له قال الله سبحانه: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يعملون إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾^(٣) وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم﴾^(٤).

اتقوا الله عباد الله وتحاثوا على الجهاد مع إمامكم فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر إذا أمرتهم أطاعوني وإذا استهضتكم نهضوا معي لاستغنيت بهم عن كثير منكم، وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه فإنه الجهاد المفروض.

ومن كلامه (ع) يجري مجرى الإحتجاج مشتملاً على التوبيخ لأصحابه على تناقلهم عن قتال معاوية والتفنيدهم متضمناً اللوم والوعيد:

أيها الناس إنني استنفرتكم لجهاد هؤلاء فلم تنفروا^(٥) وأسمعتكم فلم تحيوا ونصحت لكم فلم تقبلوا، شهوداً بالغيب^(٦) أتوا عليكم الحكمة فتعرضون عنها وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرون عنها، كأنكم حمر مستنفرة فرت من قسورة، وأحثكم على جهاد أهل الجور فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سباء، ترجعون إلى مجالسكم تربعون حلقاً، تضربون الأمثال وتنشدون الأشعار، وتحسسون الأخبار، حتى إذا تفرقتم تسألون عن الأخبار جهلاً من غير علم، وغفلة من غير ورع، وتتبعاً من غير خوف، ونسيتم الحرب

(١) البقرة: ٢٤٦

(٢) البقرة: ٢٤٧

(٣) المائدة: ٧٨

(٤) الصف: ١٠

(٥) النفر: الخروج إلى الغزو واصله الفرع.

(٦) الشهود: الحضور.

والإستعداد لها فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها ، شغلتموها بالأعالي والأصالي ، فالعجب كل العجب ، وكيف لا أعجب من اجتماع قوم على باطلهم ، وتحاذلكم عن حقكم .

يا أهل الكوفة أنتم كأمّ خالد حملت فأملصت^(١) فمات قيمها وطال أيمها^(٢) وورثها أبعداها ، والذي فلق الحبة وبرىء النسمة ، إن من ورائكم الأغبر الأذير جهنم الدنيا لا تبقي ولا تذر ، ومن بعده الثهاش الفراس ، الجموع المتنوع ثم ليتوارثكم من بني أمية عدة ما الآخر منهم بأرق بكم من الأول ، ما خلا واحد^(٣) بلاء قضاء الله على هذه الأمة لا محالة كائن ، يقتلون أخياركم ويستعبدون أرواحكم ، ويستخرجون كنوزكم وذخايركم في جوف حجالكم ، نعمة بما صنعتكم من أموركم ، وصلاح أنفسكم ودينكم .

يا أهل الكوفة أخبركم بما يكون قبل أن يكون ، لتكونوا منه على حذر ولتنذروا به من اتعظ واعتبر ، كأنى بكم تقولون : إن علياً يكذب ، كما قالت قريش لنبيها^(٤) (ص) وسيد هانبي الرحمة ، محمد بن عبد الله فيا ويلكم فعلى من أكذب على الله فأننا أول من عبده ووحدته ؟ أم على رسوله فأننا أول من آمن به وصدقته ونصره ؟ ؟ ؟ كلا ولكنها لهجة خدعة ! كنتم عنها أغنياء .

والذي فلق الحبة وبرىء النسمة لتعلمن نباها بعد حين ، وذلك إذ صيركم إليها جهلكم ، ولا ينفعكم عندها علمكم ، فقبحاً لكم يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال^(٥) .

أما والله أيها الشاهدة أيديهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهواؤهم^(٦) ما أعز الله نصر من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم^(٧) ولا قوت عين من أواكم ، كلامكم يوهن الصم الصلاب^(٨) وفعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب ، ويحكم أي دار بعد داركم تمنعون ومع أي امام بعدي تقاتلون ، المغرور والله من غرتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ! أصبحت لا أطمع في نصرنكم ، ولا أصدقكم قولكم ، فرق الله بيني وبينكم واعقبني بكم من هو خير ألي منكم ، واعقبكم بي من هو شر ألكم مني ، امامكم يطيع الله وانتم تعصونه وامام اهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه ، والله لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم ، والله لوددت أني لم أعرفكم ، ولم تعرفوني ، فانها معرفة جرت ندماً لقد وريتم صدري غيظاً وأفسدتم عليّ أمري بالخلاف والعصيان ، حتى لقد قالت قريش إن علياً رجل شجاع لكن لا علم له بالحروب ، لله درهم ! هل كان فيهم أحد أطول لها مراساً مني واشدها مقاساة^(٩) ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، ثم ها أنا قد ذرفت على الستين ، لكن لا أمر لمن لا يطاع ، أما والله لوددت أن ربي قد أخرجني من بين

(١) أملصت المرأة : اسفطت .

(٢) الأيم : التي مات زوجها .

(٣) هو عمر بن عبد العزيز .

(٤) الحجال - جمع حجلة - وهي الغرفة وربات الحجال النساء .

(٥) الأهواء - جمع هوى - وهو ما تميل اليه النفس محموداً كان أو مذموماً ثم غلب في الاستعمال على غير المحمود .

(٦) قاساكم : قهركم .

(٧) الصم - جمع أصم - وهو من الخجالة الصلب المصمت والصلاب - جمع صليب - وهو الشديد .

(٨) أي : أطول ممارسة واشد معالجة .

أظهركم الى رضوانه، وان المنية لترصدني فما يمنع أشقاها أن يخضبها؟ - وترك يده على رأسه ولحيته - عهداً عهداً إلي النبي الأمي وقد خاب من افترى، ونجا من اتقى وصدق بالحسنى.

يا أهل الكوفة قد دعونكم الى جهاد هؤلاء ليلاً ونهاراً، وسراً واعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم فانه ما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا، فتواكلتم^(١) وتخاذلتم وثقل عليكم قولي، واستصعب عليكم امري، واتخذتموه ورائكم ظهيراً، حتى شنت عليكم الغارات، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات، تمسككم وتصبحكم، كما فعل بأهل المثلث من قبلكم، حيث أخبر الله عز وجل عن الجبابرة العتاة الطغاة، المستضعفين الفؤاة، في قوله تعالى: ﴿يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾^(٢) اما والذي فلق الحبة وبرى النسمة لقد حل بكم الذي توعدون.

عائبتكم يا أهل الكوفة بمواعظ القرآن فلم انتفع بكم، وأدبتكم بالدرة فلم تستقيموا لي، وعاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعوا، ولقد علمت ان الذي يصلحكم هو السيف، وما كنت متحريراً صلاحكم بفساد نفسي^(٣) ولكن سيطر عليكم سلطان صعب، لا يوقر كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ولا يكرم عالمكم، ولا يقسم الفيء بالسوية بينكم، وليضربنكم، وليذلنكم، وليجرنكم في المغازي، وليقطعن سبلكم، وليجمعنكم على بابهم حتى يأكل قلوبكم ضعيفكم ثم لا يبعد الله الا من ظلم، ولقل ما أدبر شيء فأقبل، واني لأظنكم على فترة، وما علي الا النصيح لكم.

يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث والثين^(٤) صم ذوي اسماع، وبكم ذوي السن، وعمي ذوي ابصار، لا اخوان صدق عند اللقاء، ولا اخوان ثقة عند البلاء.

اللهم اني قد مللتهم وملوني، وشمتهم وشمتوني^(٥) اللهم لا ترض عنهم أميراً ولا ترضهم عن أمير، وأمت قلوبهم كما يماث الملح بالماء^(٦) أما والله لو اجد بدأ^(٧) من كلامكم ومراسلتكم ما فعلت، ولقد عائبتكم في رشدكم حتى لقد سئمت الحياة، كل ذلك تراجعون بالهزء من القول، فراراً من الحق، والجاه إلى الباطل الذي لا يعز الله بأهله الدين، واني لأعلم أنكم لا تزيدوني غير تحسير، كلما أمرنكم بجهاد عدوكم أناقلتم الى الأرض وسألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول^(٨)، إن قلت لكم في القبط سيروا، قلتم الحر شديد، وإن قلت لكم في البرد سيروا، قلتم القر شديد^(٩) كل ذلك فراراً عن الحرب

(١) أي احوال كل منكم الأمر الى صاحبه ووكله اليه ولم يتوله احد منكم.

(٢) البقرة : ٤٩ .

(٣) أي : متطلباً صلاحكم بفساد ديني .

(٤) منيت به : امتحنت واختبرت به .

(٥) شتمه : مله .

(٦) يماث الملح : يذوب .

(٧) لم تجد لك بدأ من كذا أي : خلاصاً منه .

(٨) المطول : الكثير المظل، وهو : تأخير اداء الدين بلا عذر .

(٩) القر - بالضم - : البرد .

إذا كنتم عن الحر والبرد تعجزون، فأنتم عن حرارة السيف أعجز، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

يا أهل الكوفة قد أتاني الصريح يخبرني: أن ابن عمر قد نزل الأنبار^(١) على أهلها ليلاً في أربعة آلاف، فأغار عليهم كما يغار على الروم والحزر، فقتل بها عاملي ابن حسان، وقتل معه رجالاً صالحين، ذوي فضل وعبادة ونجدة، بوأ الله لهم جنات النعيم، وأنه أباحها، ولقد بلغني أن العصابة من أهل الشام^(٢) كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فيهتكون سترها ويأخذون القناع من رأسها والخرص من أذنائها والأوضاع من يديها ورجليها وعضديها، والخلخال والميزر عن سوقها، فيما تمتنع إلا بالاسترجاع والنداء: «يا للمسلمين!» فلا يغيثها مغيث، ولا ينصرها ناصر، فلو أن مؤمنات مات دون هذا ما كان عندي ملوماً، بل كان عندي باراً محسناً، وأعجباً كل العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلهم عن حقكم! قد صرتم غرضاً يرمى^(٣) ولا ترمون، وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون! فتربت أيديكم يا أشباه الأبل غاب عنها رعاتها كلما اجتمعت من جانب تفرقت من جانب.

* * *

احتجاجه (ع) على معاوية في جواب كتاب كتب إليه في غيره من المواضع وهو من أحسن الحجج وأصوبها*.

أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله تعالى محمداً (ص) لدينه، وتأيينه إياه بمن أيده من أصحابه، فلقد خبا^(٤) لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت^(٥) تخبرنا ببلاء الله عندنا، ونعمته علينا في نبينا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر^(٦)، أو داعي مسدده إلى النضال^(٧) وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان^(٨) فذكرت أمراً إن تم اهتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثلمه، وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتميز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم بتعريف طبقاتهم، هيهات لقد حن قدح ليس منها^(٩) وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها! ألا تربع أيها الإنسان على ظلمك! وتعرف قصور ذرعتك^(١٠)! وتتاخر حيث أخرجك القدر! فما عليك غلبة

(١) الأنبار: بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات ويقابلها على الجانب الغربي هيت.

(٢) العصابة - بضم العين - : جماعة من الرجال نحو العشرة، وقيل: ومن العشرة إلى الأربعين.

(٣) الغرض - بالتحريك - : الهدف الذي يرمى إليه.

(٤) تجدد هذا الكتاب في ج ٣ ص ٣٤ من نهج البلاغة.

(٥) خبا: ستره واخفاه.

(٦) طفق: جعل.

(٧) مثل يضرب لمن يحمل الشيء إلى معدنه لينتفع به فيه، وهجر معروفة بكثرة التمر.

(٨) المناضلة: المرامات، يقال: ناضله إذا رامه، ومسدده: الذي يعلمه الرمي وهو مثل يضرب لمن يتعالم على معلمه ومثله قوله:

اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

(٩) يريد أبا بكر وعمر.

(١٠) القدح: السهم وهذا المثل يضرب لمن يقتخر بشيء ليس فيه.

(١١) أربع: توقف وانتظر يقال: «أربع على نفسك أو على ظلمك» أي: توقف ولا تستعجل والطلع العيب: أي أنت ضعيف فانتبه عيالا تطيقه ويقصر عنه باعك

المغلوب ولا لك ظفر الظافر، فإنك لذهاب في التيه، رواج عن القصد^(١) ألا ترى - غير مخبر لك لكن بنعمة الله أحدث - : أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل: «سيد الشهداء» وخصه رسول الله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه^(٢)؟ أو لا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل، حتى إذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل: «الطيّار في الجنة وذو الجناحين»^(٣) ولولا ما نهى الله عن تركية المرأ نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجها آذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية^(٤) فإننا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا^(٥) لم يمنعتنا قديم عزنا، ولا عادي طولنا^(٦) على قومك ان خلطناكم بأنفسنا، فنكحنا وأنكحنا، فعل الأكفاء، ولستم هناك وأنى يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب^(٧) ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف^(٨) ومنا سيدا شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار^(٩) ومنا خير نساء العالمين، ومنكم حمالة الخطب^(١٠)! في كثير

(١) أي : حائد عن القصد.

(٢) هو حمزة بن عبد المطلب عم الرسول «ص» وقد مر ذكره في هامش ص ١٩٤ فراجع.

(٣) هو جعفر بن أبي طالب (ع) وقد مر ذكره في هامش ص ١٧٢ من هذا الكتاب فراجع.

(٤) الرمية : الصيد وهو مثل يضرب لمن أعوج غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه والمراد هنا بمن مالت به الرمية الأول والثاني.

(٥) قال العلامة المجلسي في ج ٨ ص ٥٣٦ من بحار الأنوار:

قوله (ع) : «فأنا صنائع ربنا هذا كلام مشتمل على أسرار عجيبة من غرائب شأنهم التي تعجز عنها العقول، ولتكلم على ما يمكننا اظهاره والخوض فيه لنقول.

صنيعة الملك : من يصطنعه ويرفع قدره، ومنه قوله تعالى : «واصطغتك لنفسي» أي : اخترتك واخذتك صنيعتي، لتصرف

عن إرادتي وعيبي.

فالمتى : أنه ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا فنحن الوسائط بينهم وبين الله سبحانه.

ويحتمل أن يريد بالناس بعض الناس أي المختار من الناس، نصطنعه ونرفع قدره

وفي ج ٣ من النهج لابن أبي الحديد ص ٤٥١ قال :

هذا كلام عظيم عال على الكلام، ومعناه عال على المعاني، وصنيعة الملك ويرفع قدره، يقول : ليس لأحد من

البشر علينا نعمة بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا فنحن الوسائط بينهم وبين الله تعالى، وهذا مقام جليل، ظاهره ما سمعت وباطنه أنهم عبيد الله، وإن الناس عبيدهم.

وقال محمد عبده في ص ٣٦ من ج ٣ من نهج البلاغة :

آل النبي : أسراء احسان الله عليهم والناس أسراء فضلهم بعد ذلك.

(٦) الطول : الفضل . قال العلامة المجلسي في ص ٥٣٦ من ج ٨ من بحار الأنوار «أقول : قد ظهر لك مما سبق ان بني أمية لم

يكن لهم نسب صحيح ليشاركوا في الحسب أباء» (ع) مع ان قديم عزهم لم ينحصر في النسب بل أنوارهم (ع) أول المخلوقات ومن بدو خلق أنوارهم الى خلق أجسادهم وظهور أنوارهم كانوا معروفين بالعز والشرف والكمالات، في الارضين والسموات، يخبر بفضلهم كل سلف خلفاً، ورفع الله ذكرهم في كل أمة عزاً وشرفاً.

(٧) المكذب : أبو سفيان كان المكذب لرسول الله وعدوه المجلب عليه وقيل المراد به أبو جهل.

(٨) أسد الله : حمزة وأسد الأحلاف، قيل : هو أسد بن عبد العزى، وقيل : عتبة بن ربيعة، وقيل : أبو سفيان لأنه حزب

الأحزاب، وحالفهم على قتال النبي (ص) في غزوة الخندق.

(٩) وصية النار : اشارة الى الكلمة التي قالها النبي (ص) لعقبة بن أبي معيط حين قتله يوم بدر وقال - كالمستعطف له صلى الله

عليه وآله - : «من للصبيّة يا عمدة قال : النار.

(١٠) حمالة الخطب : أم جميل بنت حرب بن أمية امرأة أبي لهب.

بما لنا عليكم فإسلامنا ما قد سمع، وجاهليتكم لا تدفع^(١) وكتاب الله يجمع لنا ما شذعنا، وهو قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فنحن مرة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة.

ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله (ص) فدلجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم^(٢).

وزعمت أي لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت، فإين يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك.

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها^(٣)

وقلت: إني كنت أقاد كما يقاذ الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تدم فمدحت، وأن تقضح فافتضحت. وما على المسلم من غضاضة^(٤) في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً في يقينه، وهذه حجتي إلى غيرك قصدها، ولكني اطلقت لك منها بقدر ما منحت من ذكرها.

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتلته، أم من بذل له نصرته فاستقده واستكفه؟ أم من استنصره فتراخى عنه وبث المنون إليه حتى أتى عليه قدره؟ كلا والله لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لأخوانهم هلم إلينا، ولا يأتون البأس إلا قليلاً، وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذنب إليه ارشادي وهدايي له، فرب ملوم لا ذنب له، وقد يستفيد الظنة المنتصح، وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وذكرت أنه ليس لي ولا لأصحابي عندك إلا السيف، ولقد أضحكت بعد استعمار، متى الفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين^(٥) وبالسيوف مخوفين فالبت قليلاً يلحق الهيجا^(٦) حمل، فسيطلبك من

(١) لا تدفع أي: لا تنكر وفي بعض النسخ «وجاهليتنا» وحيث يكون المعنى شرفنا وفضلنا في الجاهلية لا ينكره أحد.
(٢) وذلك أن المهاجرين احتجوا يوم السقيفة بأنهم شجرة الرسول فدلجوا أي: ظفروا بهم، وظفر المهاجرين بهذه الحجة ظفر لأمر المؤمنين على معاوية ولا فالأنصار على حقهم من دعوى الخلافة وفي كلا الحالين ليس لمعاوية فيها من نصيب. والفلج - بسكون اللام - : الظفر.

(٣) الشكاة - بالفتح - : النقيصة، وأصلها المرض. وصد البيت:
وعبرها السواشون أي أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
(٤) المخشوش : الموضوع في أنفه. الخشاش ككتاب: ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد. الغضاضة: النقص.
(٥) ناكلين: متأخرين.

(٦) لبث - بتشديد الباء - فعل أمر من «لبث» إذا استزاد لبثه - أي: مكثه، والهيجا: الحرب، وحمل - بالتحريك - : هو حمل بن بدر، رجل من قشير أغبر على إبله في الجاهلية فاستنقذه وقال
لبث قليلاً بلحق الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا الموت نزل
فصار مثلاً يضرب للتهديد بالحرب.

تطلب، ويقرب منك ما تستبعد وأنا مرقل^(١) نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم^(٢) متسربلين سرايل الموت^(٣) أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، وقد صحبتهم ذرية بدرية، وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها^(٤) في أخيك، وخالك، وجدك^(٥) وأهلك، وما هي من الظالمين ببيعد.

وكتب أيضاً (ع)^(٦) - إلى معاوية - :

أما بعد، فإننا كنا نحن وأنت على ما ذكرت من الإلفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم بالأمس: أنا أمنا وكفرتم، واليوم: أنا استقمنا وفنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً^(٧) وبعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله حزياً^(٨).

وذكرت أني قتلت طلحة والزبير، وشردت بعائشة، ونزلت بين المصريين^(٩) وذلك أمر غبت عنه، فلا الجناية عليك، ولا العذر فيه إليك، وذكرت أنك زائري في المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك^(١٠) فإن كان، فيك عجل فاسترقه^(١١) فإنني إن أزرك فذلك جدير أن يكون الله عز وجل إنما بعثني للنقمة منك، وإن تزري فكما قال أخو بني أسد:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوار وأنجاد
وعندي السيف الذي أعضضته بجهدك وخالك وأخيك في مقام واحد^(١٢)، وإنك والله ما علمت، الأغلف القلب المقارب للعقل^(١٣) والأولى أن يقال لك: إنك رقيت سلباً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك، لأنك نشدت في غير ضالتك^(١٤) ورعيت غير سائمتك^(١٥) وطلبت أمراً لست من أهله، ولا في

(١) مزقل: مسرع، والجحفل الجيش العظيم.

(٢) الساطع: المنتشر. والقنام - بالفتح - الغبار.

(٣) السرايل: اللباس، أي: لابسين لباس الموت كأنهم في أكفانهم.

(٤) النصال: السهام.

(٥) أخوه: حنظلة، وخاله: الوليد بن عتبة، وجده: عتبة بن ربيعة وهو جده لأمه.

(٦) تجد هذا الكتاب في ص ١٣٤ من ج ٣ من نهج البلاغة.

(٧) وذلك أن أبا سفيان لم يسلم حتى قبل فتح مكة وإنما دخل الإسلام خوف القتل.

(٨) أنف الإسلام: الشراف العرب الذين دخلوا فيه قبل الفتح.

(٩) المصران: الكوفة والبصرة.

(١٠) أخوه: عمرو بن أبي سفيان، أسر يوم بدر.

(١١) أي: إسح ولا تستعجل وفي بعض النسخ «فاسترقه» بالقاف فيكون المعنى فأخفه ولا تظهره.

(١٢) أعضضته: جعلته يعضه والمراد ضربته به. وهؤلاء قتلهم أمير المؤمنين (ع) يوم بدر.

(١٣) أي: أنت الذي أعرفه، والأغلف القلب: الذي لا يدرك كأن قلبه في غلاف لا تنفذ إليه المعاني، ومقارب العقل نائفه وضعيفه. كأنه يكاد يكون عاقلاً وليس به.

(١٤) الضالة: ما فقدته من مال وغيره، ونشدت طلبت، وهذا مثل يضرب لمن يطلب حقاً ليس له.

(١٥) السائمة: الماشية من الحيوان.

معدنه، فما أبعد قولك من فعلك!! وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال حملتهم الشقاوة وتمني الباطل، على الجحود بمحمد (ص)، فصرعوا بمصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيماً، ولم يمنعوا حريماً، بوقع سيوف ما خلا منها الرغا، فلم يماشها الهوي^(١) وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس^(٢) ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله.

وأما تلك التي تريد^(٣) فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصل، والسلام لأهله.

وكتب (ع) إلى معاوية في كتاب آخر^(٤):

فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة، والحيرة المتبعة^(٥)، مع تضيق الحقائق، واطراح الوثائق، التي هي لله طلبة، وعلى عباده حجة، فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته، فأنت إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له، والسلام.

وروى أبو عبيدة^(٦) قال: كتب معاوية إلى أمير المؤمنين (ع): إن لي فضائل كثيرة، كان أبي سيداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله (ص)، وخال المؤمنين، وكتب الوحي.

فقال أمير المؤمنين (ع): أبا الفضائل يبغي عليّ ابن آكلة الأكباد؟^(٧) اكتب إليه يا غلام.

محمد النبي أخى وصنوي	وحمة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمشي ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعربي	مسوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها	فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً	غلاماً ما بلغت أوان حلمي
وصلت الصلاة وكنت طفلاً	مقراً بالنبي في بطن أمي
وأوجب لي ولايته عليكم	رسول الله يوم غدير خم

(١) الوغى: الحرب. أي إن تلك السيوف باقية لم تخل منها الحروب ولم ترافقها المساهلة.

(٢) أي: البيعة له (ع).

(٣) أي: الذي تريده من إيقاظك والياً في الشام.

(٤) تجد هذا الكتاب في ج ٣ من نهج البلاغة ص ٦٩.

(٥) وفي نسخة: والحيرة المتبعة.

(٦) أبو عبيدة معمر - كجعفر - البصري النحوي اللغوي كان متبحراً في علم اللغة وأيام العرب وأخبارها ويحكى أنه كان يقول

ما التقى فرسان في جاهلية وإسلام إلا عرفتها وعرفت فارسها، وهو أول من صنف غريب الحديث.

وفي مروج الذهب وفي سنة ٢١١ مات أبو عبيدة العمري معمر بن النخعي كان يرى رأي الخوارج، وبلغ نحواً من مئة سنة ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصل حتى اكثري لها من يحملها، وله مصنفات حسان في أيام العرب وغيرها منها كتاب المثالب الخ عن الكنى والألقاب ج ١ ص ١٤.

(٧) آكلة الأكباد هند أم معاوية وهي التي أخرجت كبد حمزة وجعلت تلوكها كما مر ص ١٩٤.

فويل ثم ويل ثم ويل لمن يلقى الإله غداً بظلمي^(١)
انا الرجل الذي لا تنكروه اليوم كربه أو يوم سلم

فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب لا يقرؤه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب (ع).
وروي عن الصادق (ع) أنه قال: لما قتل عمار بن ياسر^(٢) ارتعدت فرائص خلق كثير، وقالوا:

(١) وفي بعض النسخ: «لمن يريد القيامة وهو خصمي».

(٢) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة المذحجي ثم العنسي، أبو اليقظان حليف بني مخزوم، وأمه سمية وهي أول من استشهد في سبيل الله طعنوا أبو جهل في قلبها فاستشهدت وهو وأبوه وأمه من السابقين الأولين إلى الإسلام. كان من المستضعفين، وعذب في الله عذاباً شديداً. أحرقه المشركون بالنار فكان رسول الله (ص) يمر به ويمر يده على رأسه ويقول: «يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار، كما كنت على إبراهيم (ع)».

عن عثمان بن عفان قال: أقبلت أنا ورسول الله (ص) أخذ بيدي نماشى في البطحاء حتى أتينا على أبي عمار وعمار وأمه وهم يعذبون، فقال ياسر: الدهر هكذا!!! فقال له النبي (ص): «اصبر اللهم اغفر لآل ياسر، وقال وقد فعلت» وروي أن رسول الله (ص) مر بعمار وأهله وهم يعذبون في الله فقال: «إيسرو آل عمار فان مواعدكم الجنة».

قال الطبرسي في قوله تعالى: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» إنها نزل في جماعة أكرهوا وهم عمار وياسر وأبوه وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب عذبوا وقتل أبو عمار وأمه فأعطاهم بلسانه ما أرادوا منه، ثم أخبر بذلك رسول الله (ص) فقال قوم: «كفر عمار» فقال (ص): «كلا إن عملاً ملياً إيماناً من قرته إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه».

وجاء عمار إلى رسول الله (ص) وهو يبكي فقال (ص): «ما وراءك؟ قال يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آهنتهم بخير، فجعل رسول الله (ص) يمسح عينيه ويقول: «إن عادوا لك فعد لهم» فنزلت الآية.

وشهد بدمراً ولم يشهد بها ابن مؤمنين غيره وشهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول الله (ص).

وقال له رسول الله (ص): «إيسرياً أبا اليقظان فإنك أحر علي في ديانته ومن أفاضل أهل ولايته ومن المقولون في محبة تقتلك الفئة الباغية وآخر زادك من الدنيا ضياح من لبن».

وعن علي (ع) قال: جاء عمار يستأذن على النبي (ص) فقال: «أئذنوا له مرحباً بالطيب المطيب» وقال علي (ع) فيه: ذلك امرؤ حرم الله لحمه ودمه على النار وإن تمس شيئاً منها.

وكان رحمه الله من كبار الفقهاء، وكان طويل الصمت، طويل الحزن والكآبة، وكان عامة كلامه عائداً بالله من فتنه. وقال له رسول الله (ص): يا عمار ستكون بعدي فتنه فإذا كان كذلك فاتبع علياً (ع) وحزبه فإنه مع الحق والحق معه، يا عمار إنك ستقاتل مع علي صنفين الناكثين والقاسطين ثم تقتلك الفئة الباغية قلت: يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله ورضاك قال: نعم على رضا الله ورضائي، ويكون آخر زادك شربة من لبن تشربه، فلما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين (ع) فقال له يا أخا رسول الله (ص) أئاذن لي في القتال؟ قال: مهلاً رحك الله، فلما كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام، فأجابه بمثله، فأعاده ثانياً فبكى أمير المؤمنين (ع) فنظر إليه عمار فقال: يا أمير المؤمنين إنه اليوم الذي وصف لي رسول الله (ص)؟ فنزل أمير المؤمنين عن بقلته وعانق عماراً وودعه، ثم قال: يا أبا اليقظان جزاك الله عن الله وعن نبيك خيراً فنعم الأخ كنت ونعم الصاحب كنت، ثم بكى وبكى عمار ثم برز إلى القتال فقاتل حتى قتل رحمه الله فأناء أمير المؤمنين (ع) وقال: أنا لله وأنا إليه راجعون إن امرءاً لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو في الإسلام من شيء ثم صلى عليه ثم قال:

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي أرحني فقد أنيت كل خليل
أراك بصيراً بالذين أحبهم كأنك تمضي نحوهم بدليل

وفي خبر أنه إن يومئذ بلين فضحك ثم قال: قال لي رسول الله (ص): آخر شراب تشربه من الدنيا مذقة من لبن حتى تموت وقال: والله لو ضربونا حتى بلغونا سفات هجر لعلمت أننا على الحق وإهم على الباطل. ثم قتل رضي الله عنه قتله أبو العادية (لج) واحتر رأسه أبو الجوى السكسكي وكان عمره «٩٤» يوم قتل (٩٤) سنة.

قال رسول الله (ص): «عمار تقتله الفئة الباغية» فدخل عمرو على معاوية وقال: يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا، قال: لماذا؟ قال: قتل عمار. فقال: قتل عمار فماذا؟

قال: أليس قال رسول الله (ص): «تقتله الفئة الباغية».

فقال معاوية: دحضت في قولك أنحن قتلناه؟ إنما قتله علي بن أبي طالب (ع) لما ألقاه بين رماحنا، فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب (ع) قال:

فإذا رسول الله (ص) هو الذي قتل حمزة لما ألقاه بين رماح المشركين.

وكتب (ع)^(١) إلى عمرو بن العاص في أثناء كتاب:

فأنك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئٍ ظاهر غيّه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، فاتبعت أثره، وطلبت فضله، اتباع الكلب للضرغام^(٢) يلوذ إلى مغالبه، وينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته، فأذهبت دنياك وأخرتك ولو أخذت بالحق أدركت ما طلبت، فإن يمكني الله منك ومن ابن أبي سفيان أخبرتكما بما قدمتما^(٣) فإن نعجز أو تبقياً فيما أمامكما شرّ لكمما والسلام.

وقال (ع) - في عمرو جواباً عما قال فيه - : عجبا لابن النابغة^(٤) يزعم لأهل الشام أن في دعابة^(٥) وأناي امرؤ تلعب^(٦) أعانس^(٧) وأمارس^(٨)، لقد قال باطلاً، ونطق آثماً، أما وشر القول الكذب، إنه يقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويسأل فيخلف، ويسأل فيبخل ويغون العهد، ويقطع الإل^(٩) فإذا كان عند الحرب فأبي زاجر وأمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها أكبر مكيدته أن يمنح القوم أسته^(١٠) أما والله إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة، وإنه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتبه على البيعة آية^(١١) ويرضخ له على ترك الدين رضىخة^(١٢).



(١) نحمد هذا الكتاب في ج ٣ من نهج البلاغة ص ٧١.

(٢) الضرغام: الأسد.

(٣) وفي بعض النسخ: اجزكما.

(٤) نيح الشيء ظهر وإنما سميت أم عمرو: (النابغة) لشهرتها بالفجور وتظاهرها به.

(٥) الدعابة - بالضم - : المزاح.

(٦) تلعب - بالكسر - : أي كثير اللعب.

(٧) العفاس - بالكسر - : اللعب، وفي بعض النسخ (أعارس) من أعرس الرجل إذا دخل بامراته.

(٨) الممارسة: المزاولة والملاعبة.

(٩) الإل - بالكسر - العهد والقرابة.

(١٠) الأسته: العجز أو حلقة الدبر، أشار (ع) إلى ما ذكر أرباب السير وصار مضرباً للأمثال من كشفه سواته شاخراً برجليه حين

لقبه أمير المؤمنين (ع) في بعض أيام صفين، وقد اختلطت السيوف، واشتد نار الحرب فانصرف عنه أمير المؤمنين (ع).

(١١) أي: العطية.

(١٢) الرضخ: العطاء القليل.

وكتب محمد بن أبي بكر^(١) إلى معاوية احتجاجاً عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن أبي بكر، إلى الغاوي معاوية بن صخر، سلام الله على أهل طاعة الله ممن هو أهل دين الله وأهل ولاية الله .

أما بعد، فإن الله بجلاله وسلطانه خلق خلقاً بلا عيب منه، ولا ضعف به في قوة، ولكنه خلقهم

(١) محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة . وأمه أسماء بنت عميس مر لها ذكر فيها مضي ولد بالبداء في حجة الوداع .
روي أن أبا بكر خرج في حياة رسول الله (ص) في غزاة فرائت أسماء بنت عميس وهي تحت كائن أبا بكر متخضب بالحناء رأسه ولحيته ، وعليه ثياب بيض ، فجاءت الى عائشة فأخبرتها ، فيكت عائشة وقالت ان صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر ان خضابه الدم وان ثيابه اكفانه ، فدخل النبي (ص) وهي كذلك فقال : ما ابكاها ؟ فذكروا الرؤيا . فقال : ليس كما عبرت عائشة ولكن يرجع أبو بكر ، فتعمل منه اسماء بسلام تسميه محمداً يجعله الله تعالى غيظاً على الكافرين والمنافقين .

قال ابن أبي الحديد : ونشؤه في حجر أمير المؤمنين (ع) وانه لم يكن يعرف أباً غير علي ، حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام محمد ابني من صلب أبي بكر ، وكان يكنى (أبا القاسم) وكان من نساك قريش ، وكان ممن اعلان في يوم الدار ، ومن ولده (القاسم بن محمد) فقيه اهل الحجاز وفاضلها ، ومن ولد القاسم عبد الرحمن من فضلاء قريش ويكنى (أبا محمد) ومن ولد القاسم أيضاً أم فروة تزوجها الإمام الباقر أبو جعفر محمد بن علي (ع) .

وكان من حوارى أمير المؤمنين (ع) ، وخواصه واحد المجامدة التي ثاب ان يعصى الله .
وروى عن حمزة بن محمد الطيار قال : ذكرنا محمد بن أبي بكر عند أبي عبد الله (ع) فقال أبو عبد الله (ع) : رحمه الله وصل عليه ، قال لا أمير المؤمنين (ع) - يوماً من الأيام - : ابسط يدك أبياعك ، فقال : أو ما فعلت ؟ قال : بل ، فبسط يده فقال : أشهد انك إمام مفترض طاعتك وان أبي في النار . فقال أبو عبد الله (ع) : كان النجاة من امه اسماء بنت عميس رحمه الله عليها لا من قبل أبيه . وعن زرارة بن اعين عن جعفر (ع) : ان محمد بن أبي بكر بايع علياً (ع) على البراءة من أبيه .

وعن شعب عن أبي عبد الله (ع) قال : سمعته يقول : ما من أهل بيت الا ومنهم نجيب من انفسهم ، وانجب النجباء من أهل بيت سوء) محمد بن أبي بكر .

وينسب اليه قوله :

يا أبانا قد وجدنا ما صلح خاب من أنت أبوه وانفصح
انما انقضى منسك الذي انقضى الدر من الماء الملح
يا بني الزهراء انتم عدو وبكم في الحشر ميزاني رجح
واذا صح ولاني فيكم لا أبالي أي كلب قد نجح

وقتل بمصر قتله معاوية بن خديج - وكان فيها والياً من قبل أمير المؤمنين (ع) - ثم وضعه في جوف حمار ميت واحرقه .
ولما بلغ أمير المؤمنين (ع) قتل محمد بن أبي بكر حزن لذلك حزناً شديداً حتى ظهر ذلك عليه وتبين في وجهه ، وقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه الى ان قال : ألا وان محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه وعند الله نحتسبه .

وقيل له (ع) قد جرعت على محمد جزءاً شديداً يا أمير المؤمنين ؟ فقال : وما بمنعني انه كان لي ربيباً وكان لبني أخاً ، وكنت له والدأ ، أعده ولدأ .

ولما سمعت امه اسماء بقتله كظمت غيظها حتى شجبت ثديها دماً .

وكان استشهاده سنة (٣٧) هجرية .

سفينة البحار ج ١ ص ٣١٢ ، رجال الكشي ص ٦٠ ، خلاصة العلامة ص ١٣٨ ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ١١٠

عبيداً فمنهم شقي وسعيد، وغوي ورشيد، ثم اختارهم على علمٍ منه، واصطفى وانتجب منهم محمداً (ص) واصطفاه لرسالته، واثمنه على وحيه فدعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأجاب، وأسلم وسلم، أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب (ع) فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه من كل مكروه، وواساه بنفسه في كل خوف، وقد رأيتك تساويه وأنت أنت وهو هو، المبرز والسابق في كل خير، وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغضان وتبغيان في دين الله الغوائل، وتجهدان على إطفاء نور الله، تجمعان الجموع على ذلك، وتبذلان فيه الأموال، وتحالفان عليه القبائل.

على ذلك مات أبوك، وعليه خلفته أنت.

فكيف لك الويل تعدل عن علي وهو وارث علم رسول الله ووصيه، وأول الناس له اتباعاً وآخرهم به عهداً؟ وأنت عدوه وابن عدوه، فتمتع بباطلك ما استطعت، وتبدد بآبن العاص في غوايتك فكان أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، ثم تستبين لك لمن تكون العاقبة العليا، والسلام على من اتبع الهدى.

فأجابه معاوية هذا: إلى الزاري^(١) على أبيه محمد بن أبي بكر، سلام على أهل طاعة الله، أما بعد:

فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه مع كلام ألفته ورصفته لرايك فيه^(٢) وذكرته حق علي وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله (ص) ونصرته ومواساته إياه في كل خوف وهول، وتفصيلك علياً وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك، فالحمد لله الذي صرف ذلك عنك وجعله لغيرك.

وقد كنا وأبوك معنا في زمن نبينا (ص) نرى حق علي (ع) لازماً لنا، وسبقه مبرزاً علينا فلما اختار الله لنبيه ما عنده وأتم له ما وعده، قبضه الله إليه، وكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه^(٣) وخالفه على ذلك، واتفقا ثم دعوا على أنفسهما، فأبطأ عليهما فهما به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلم لأمرهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعهانه على سرهما، حتى قضى الله من أمرهما ما قضى.

ثم قام بعدهما ثالثهما يهدي بهداهما، ويسير بسيرتهما، فعتبه أنت وأصحابك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي حتى بلغت ما مناكيا، وكان أبوك مهد مهاده فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن يك جوراً فأبوك سنه، ونحن شركاؤه وبهذا اقتدينا ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا علياً ولسلمنا له، ولكننا رأينا أباك فعل ذلك فأخذنا بمثاله، فعب أباك أو دعه، والسلام على من تاب وأجاب.

(١) زرى عليه عمله: عابه عليه.

(٢) رصف الحجارة: ضم بعضها إلى بعض.

(٣) ابتز منه الشيء: استلبه قهراً.

احتجاجه (ع) على الخوارج * لما حملوه على التحكم ثم أنكروا عليه ذلك ونقموا عليه أشياء فأجابهم (ع) عن ذلك بالحجة وبين لهم أن الخطأ من قبلهم بل وإليهم يعود.

روي أن رجلاً من أصحابه قام إليه فقال: إنك نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فما ندري أي الأمرين أرشد!!

فصنف (ع) إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

هذا جزاء من ترك العقدة^(١)، أما والله لو أني حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي جعل الله فيه خيراً كثيراً^(٢) فإن استقمتم هديتكم وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتم تداركتكم^(٣) لكانت الوثقى، ولكن بمن وإلى من^(٤) أريد أن أدأوي بكم وأنتم دائي؟! كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها^(٥)، اللهم قد ملئت أطباء هذا الداء الدوي^(٦)، وكلت النزعة بأشطان الركي^(٧).

فقال (ع)^(٨):- وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة بعد كلام طويل:-

لم تقولوا - عند رفعهم المصاحف حيلة، وغيلة^(٩)، ومكرأ، وخديعة:- إخواننا، وأهل دعوتنا،

(*) قال الشهرستاني - في الملل والنحل -:

الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي انفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بأحسان، والأئمة في كل زمان (قال) أعلم: أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع) جماعة ممن كان معه في حرب صفين، وأشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين «الأشعث بن قيس» و«مسعود بن فديك التميمي» و«زيد بن حصين الطائي» حين قالوا: «القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعوننا إلى السيف» حتى قال: أنا أعلم بما في كتاب الله انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله وأنتم تقولون: صدق الله ورسوله قالوا: لترجعن الأشر عن قتال المسلمين ولا لتفعلن بك كما فعلنا بعثمان فاضطر إلى رد الأشر بعد أن هزم الجمع وولوا مدبرين، وما بقي منهم إلا شريحة قليلة فيهم حشاشة قوة، فامتثل الأشر أمره، وكان من أمر الحكمين أن الخوارج حملوه على التحكيم أولاً، وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس فما رضى الخوارج بذلك وقالوا: هو منك، فحملوه على بعث أبي موسى الأشعري - على أن يحكمها بكتاب الله تعالى - فجري الأمر على خلاف ما رضى به فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا: لم حكمت الرجال؟ ولا حكم إلا الله.

(١) العقدة: الرأي والحزم أي هذا جزاؤكم حين تركتم الرأي الحازم الذي أمرتكم به فوقعتم في الحيرة والشك من جراء عنادكم واتباعكم أهواءكم.

(٢) المكروه: الحرب إشارة إلى قوله تعالى: فحسب أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.

(٣) يريد (ع) بالإعوجاج العصيان وبالتقويم الارشاد فإن أبيتم ولم تسمعوا النصيحة تداركتكم بالاستنجاد بغيركم وأخذتكم بالقوة والقهر.

(٤) هذا هو الطريق ولكن بمن استعين في هذا الأمر، وإلى من أرجع.

(٥) نقش الشوكة: إذا استخرجها من جسمه ومنه سمي «المنفاش» الذي ينقش به والصلع - بالتحريك - الميل والطبع. يريد (ع) أن طباع بعضهم تشبه طباع بعضهم الآخر وميولهم متماثلة، كما غيل الشوكة لثقلها وهذا مثل للعرب: ولا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعها معها أي إذا استخرجت الشوكة بثقلها فسوف تنكسر في رجلك كما انكسرت الأولى.

(٦) الداء الدوي: الشديد.

(٧) النزعة: جمع نازع وهو: الذي يستقي الماء، والشطن هو: الحبل، والركى جمع ركية وهي: للبئر.

(٨) تجد هذا الكلام له (ع) في نهج البلاغة ج ٢ ص ٢.

(٩) الغيلة - بالكسر - الخديعة.

استقالونا، واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم، والتنفيس عنهم، ^(١) فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان، وباطنه عدوان وأوله رحمة، وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعضوا على الجهاد بنواجذكم ^(٢) ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق ^(٣)، إن أجيب أضل وإن ترك ذل، فلقد كنا مع رسول الله وإن القتل ليدور بين الآباء والأبناء، والإخوان والقربات، فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماناً، ومضيئاً على الحق، وتسليماً للأمر، وصبراً على مضض الجراح ^(٤) ولكننا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والإعوجاج ^(٥) والشبهة والتأويل، فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعبنا، وتنادى بها إلى البقية فيما بيننا، رغبت فيها وأمسكتنا عما سواها.

وقال (ع) - في التحكيم ^(٦) - :

إننا لم نحكم الرجال ^(٧) وإنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مشطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال ولما أن دعانا القوم إلى أن يحكم بيننا القرآن، لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله عز وجل وقد قال الله سبحانه: ﴿وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ ^(٨) فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنّته، فإذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحق الناس به وإذا حكم بسنة رسوله فنحن أولاهم به ^(٩).

وأما قولكم لم جعلت بينك وبينهم أجلاً في التحكيم؟ فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ^(١٠) ويثبت العالم ^(١١) ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة ولا تؤخذ بأكظامها ^(١٢) فتعجل عن تبين الحق

(١) نفس عنه: فرج عنه.

(٢) النواجذ من الأسنان - بالذال المعجمة - : الضواحك وهي : التي تبدو عند الضحك

(٣) النعق: صوت الراعي بغمه يريد (ع) لا تتبعوا كل داع إلى ضلالة.

(٤) المضض: وجع المصيبة.

(٥) الزيغ: الميل عن الحق.

(٦) نجد هذا الكلام في ج ٢ ص ٧ من نهج البلاغة.

(٧) هذا رد على قولهم - بعد أن حملوه على التحكيم - : ولم حكمت الرجال لا حكم الله فردهم (ع) بهذا القول، لأن القوم

إنما دعوه لتحكيم القرآن، لا لتحكيم الرجلين، وحيث أن القرآن صامت يحتاج إلى ترجمان اضطر (ع) إلى تحكيم الرجال، والقرآن في الواقع هو الحكم، وقد اشترط على الحكمين أن يحكما بكتاب الله وسنة رسوله فلما خالفا الشرط بطل تحكيمهما ولم يلزمه اتباع قولهما.

(٨) الآية ٥٩ النساء -

حين دعاه القوم لتحكيم القرآن لم يكن (ع) ليتخلف حتى ينطبق عليه قوله تعالى ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم وهم معرضون﴾.

(٩) أي: أحق بكتاب الله وأولى برسوله (ص).

(١٠) أي ليظهر له وجه الحق.

(١١) أي: يعلمن قلبه بدفع الشبه.

(١٢) الإكظام جمع كظَمَ - بالتحريك - وهو : مخرج النفس من الحلق.

وتنفاد لأول الغي^(١)؟

وروي أن أمير المؤمنين (ع) أرسل عبد الله بن العباس إلى الخوارج وكان يبرأى منهم ومسمع، قالوا له في الجواب:

إنا نقمنا يا ابن عباس على صاحبك خصلاً كلها مكفرة، موبقة، تدعو إلى النار أما أولها: فانه يحى اسمه من إمرة المؤمنين^(٢) ثم كتب بينه وبين معاوية فإذا لم يكن أمير المؤمنين ونحن المؤمنون لسنا نرضى بأن يكون أميرنا.

وأما الثانية: فانه شك في نفسه حين قال للحكمين: «انظرا فإن كان معاوية أحق بها فائتياه، وإن كنت أولى بها فائتاني» فإذا هو شك في نفسه ولم يدر أهو المحق أم معاوية، فنحن فيه أشد شكاً.

والثالثة: أنه جعل الحكم إلى غيره وقد كان عندنا أحكم الناس.

والرابعة: أنه حكم الرجال في دين الله ولم يكن ذلك إليه.

والخامسة: أنه قسم بيننا الكراع والسلاح يوم البصرة ومنعنا النساء والذرية

والسادسة: أنه كان وصياً فضيع الرصية.

قال ابن عباس: قد سمعت يا أمير المؤمنين مقالة القوم، وأنت أحق بجوابهم فقال: نعم.

ثم قال: يا ابن عباس قل لهم أستم ترضون بحكم الله وحكم رسوله؟ قالوا: نعم.

قال: أبدأ على ما بدأتم به^(٣) في بدء الأمر.

ثم قال: كنت أكتب لرسول الله (ص) الوحي، والقضايا، والشروط والأمان يوم صالح أبا سفيان، وسهيل بن عمرو فكتبت:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وأبو سفيان صخر بن حرب، وسهيل بن عمرو

فقال سهيل: لا نعرف الرحمن الرحيم، ولا نقرأ أنك رسول الله، ولكننا نحسب ذلك شرفاً لك أن

(١) أي: حين عرضت لهم الشبهة من رفع المصاحف.

(٢) حين أمر أمير المؤمنين (ع) كاتبه أن يكتب: (إن هذا ما تفاضى عليه أمير المؤمنين (ع) علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان) قال عمرو بن العاص: (أكتب اسمه واسم أبيه ولا تسميه بإمرة المؤمنين فانما هو أمير هؤلاء وليس هو بأميرنا) ولما أصروا على ذلك قال أمير المؤمنين: الله أكبر سنة بسنة ومثل بمثل وذكر قول النبي (ص) له يوم الحديبية: لك مثلها ثم أمر فكتبوا. (هذا ما تفاضى عليه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب...)

(٣) أي: أبدأ في الرد على إشكالاتكم مما بدأتم به في عرضها حسب التسلسل، أو أبدأ معكم بتحكيم القرآن كما بدأتم في أول

تقدم اسمك على أسمائنا وإن كنا أسن منك وأبي أسن من أبيك.

فأمرني رسول الله (ص) فقال: اكتب - مكان بسم الله الرحمن الرحيم - : «باسمك اللهم» فمحوت ذلك وكتبت: «باسمك اللهم» ومحوت «رسول الله» وكتبت «محمد بن عبد الله» فقال لي: «إنك تدعى إلى مثلها فتجيب وأنت مكره^(١)»

وهكذا كتبت بيني ومعاوية وعمرو بن العاص: «هذا ما اصطلاح عليه أمير المؤمنين ومعاوية وعمرو بن العاص» فقالا: لقد ظلمناك بأن أقررنا بأنك أمير المؤمنين وقائلناك، ولكن اكتب: «علي بن أبي طالب» فمحوت كما عي رسول الله (ص)، فإن أبيتم ذلك فقد جحدتم، فقالوا: هذه لك خرجت منها.

قال: وأما قولكم: «إني شككت في نفسي حيث قلت للحكمين: انظرا فإن كان معاوية أحق بها مني فأثبتناه» فإن ذلك لم يكن شكاً مني، ولكن أنصفت في القول، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوْلَىٰ بِمَا كُنْتُمْ لَعَنِينَ هَدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مِّينَ﴾^(٢) ولم يكن ذلك شكاً وقد علم الله أن نبيه على الحق، قالوا: وهذه لك.

قال: وأما قولكم: «إني جعلت الحكم إلى غيري وقد كنت عندكم أحكم الناس» فهذا رسول الله (ص) قد جعل الحكم إلى سعد يوم بني قريظة وقد كان من أحكم الناس وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٣) فتأسيت برسول الله (ص)، قالوا: وهذه لك بحجتنا.

قال: وأما قولكم: «إني حكمت في دين الله الرجال» فما حكمت الرجال وإنما حكمت كلام ربي، الذي جعله الله حكماً بين أهله، وقد حكم الله الرجال في طائر فقال: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٤) فدماء المسلمين أعظم من دم طائر. قالوا: وهذه لك بحجتنا.

قال: وأما قولكم: «إني قسمت يوم البصرة لما ظفرتني الله بأصحاب الجمل الكراع والسلاح، ومنعتكم النساء والذرية»^(٥) فاني مننت على أهل البصرة كما من رسول الله على أهل مكة، فان عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم، ولم نأخذ صغيراً كبيراً، فأياكم كان يأخذ عائشة في سهمه؟ قالوا: وهذه لك بحجتنا.

قال: وأما قولكم: «إني كنت وصياً فضيحت الوصية فأنتم كفرتهم وقدمتم علي، وأزلتم الأمر عني، وليس على الأوصياء الدعاء إلى أنفسهم، إنما يبعث الله الأنبياء» (ص) فيدعون إلى أنفسهم، وأما الوصي

(١) جاء في قصة الحديبية أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

(يا علي إنك أبيت أن تحو اسمي من النبوة والذي بعثني بالحق نبياً لتجيبن أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيق مضطهد).

(٢) ٢٤ : سبأ

(٣) الأحزاب: ٢١

(٤) المائدة ٩٥.

(٥) الكراع: جمعه أكرع وأكرع، اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير.

فمدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه ، وذلك لمن آمن بالله ورسوله ، ولقد قال الله جل ذكره : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً »^(١) فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت ليكفر بتركهم إياه ، ولكن كانوا يكفرون بتركهم ، لأن الله تعالى قد نصبه لهم علماً وكذلك نصبني علماً حيث قال رسول الله (ص) : « يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت مني بمنزلة الكعبة تؤق ولا تأتي » فقالوا : وهذه لك بحجتنا فأذعنوا فرجع بعضهم وبقي منهم أربعة آلاف لم يرجعوا ممن كانوا قعدوا عنه فقاتلهم وقتلهم .

احتجاجه (ع) في الاعتذار من قعوده عن قتال من تأمر عليه من الأولين وقيامه إلى قتال من بغى عليه من الناكثين والقاسطين والمارقين .

روي أن أمير المؤمنين (ع) كان جالساً في بعض مجالسه بعد رجوعه من نهروان^(٢) فجري الكلام حتى قيل له : لم لا حاربت أبا بكر وعمر كما حاربت طلحة والزبير ومعاوية ؟

فقال علي (ع) : إني كنت لم أزل مظلوماً مستأثراً على حقّي^(٣) فقام إليه الأشعث بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين لم لم تضرب بسيفك ، ولم تطلب بحقك ؟ فقال : يا أشعث قد قلت قولاً فاسمع الجواب وعي ، واستشعر الحجة ، إن لي أسوة بسنة من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

أولهم : نوح حيث قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾^(٤) فان قال قائل : إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر ، والا فالوصي أعذر .

وثانيهم : لوط حيث قال : ﴿ وَلَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾^(٥) فان قال قائل : إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر . والا فالوصي أعذر .

وثالثهم : إبراهيم خليل الله حيث قال : ﴿ وَأَعِزِّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٦) فان قال قائل : إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر ، والا فالوصي أعذر .

ورابعهم : موسى (ع) حيث قال : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ مَا خَفْتُكُمْ ﴾^(٧) فان قال قائل : إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر ، والا فالوصي أعذر .

(١) آل عمران : ٩٧ .

(٢) النهروان : وهي ثلاث نهروانات ، أعلى وأوسط وأسفل ، وهو : كورة واسعة أسفل من بغداد من شرقي تمارا ، منحدر إلى واسط ، فيها عدة بلاد متوسطة منها اسكاف وجرجرايا ، والصابية ، وديرقي وغير ذلك . مرصداً للإطلاع ج ٣ ص ١٤٠٧ .

(٣) استأثر بالشئ ، على الغير : استبد به وخص به نفسه .

(٤) القمر : ١٠ .

(٥) هود : ٨٠ .

(٦) مريم : ٤٨ .

(٧) الشعراء : ٢١ .

وخماسهم: أخوه هارون حيث قال: ﴿يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾^(١) فان قال قائل: إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر، والا فالوصي أعذر.

وسادسهم: أخي محمد خير البشر (ص) حيث ذهب إلى الغار ونومني على فراشه فان قال قائل: إنه ذهب إلى الغار لغير خوف فقد كفر، والا فالوصي أعذر.

فقام إليه الناس بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين قد علمنا أن القول لك ونحن المذنبون التائبون، وقد عذرك الله.

وعن إسحاق بن موسى^(٢) عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن آبائه (ع) قال: خطب أمير المؤمنين (ع) خطبة بالكوفة فلما كان في آخر كلامه قال: ألا وإني لأولى الناس بالناس وما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله (ص).

فقام إليه أشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين لم نخطبنا خطبة منذ قدمت العراق الا وقلت: «والله إني لأولى الناس بالناس فما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله» ولما ولي تيم^(٣) وعدي^(٤) الا صريرت بسيفك دون ظلامتك؟

فقال أمير المؤمنين: يا ابن الحماره قد قلت قولاً فاسمع مني! والله ما منعتني من ذلك إلا عهد أخي رسول الله (ص) أخبرني وقال لي: «يا أبا الحسن إن الأمة ستغدر بك وتنقض عهدي، وإنك مني بمنزلة هارون من موسى» فقلت: يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان ذلك كذلك، فقال: «إن وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم وإن لم تجد أعواناً فكف يديك واحقن دمك حتى تلحق به مظلوماً» فلما توفي رسول الله (ص) اشتغلت بدفنه والفراغ من شأنه ثم آليت يمينا^(٥) أني لا أرتدي إلا للصلاة حتى أجمع القرآن ففعلت، ثم أخذته وجئت به فاعرضته عليهم قالوا: لا حاجة لنا به.

ثم أخذت بيد فاطمة، وابني الحسن والحسين، ثم درت على أهل بدر، وأهل السابقة، فأنشدتهم حقي، ودعوتهم إلى نصرتي، فما أجابني منهم إلا أربعة رهط: سلمان وعمار والمقداد وأبوذر، وذهب من كنت أعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي، وبقيت بين حفيرين قريبي العهد بجاهلية: عقيل والعباس.

فقال له الأشعث: كذلك كان عثمان لما لم يجد أعواناً كف يده حتى قتل.

(١) الأعراف: ١٥٠

(٢) إسحاق بن موسى عنه الشيخ في أصحاب الإمام الرضا (ع) وكان يلقب بالأمين كما في عمدة الطالب وتوفي سنة (٢٤٠) كما في منتهى الآمال للشيخ عباس الفهمي

(٣) تيم: في قريش رهط أبي بكر وهو تيم بن مرة.

(٤) عدي: قبيلة من قريش وهم رهط عمر بن الخطاب.

(٥) آليت: أقسمت.

فقال له أمير المؤمنين: يا ابن الخمارة ليس كما قست، إن عثمان جلس في غير مجلسه، وارتدى بغير رداءه، صارع الحق فصرعه الحق، والذي بعث محمداً بالحق لو وجدت يوم ببيع أخوتي أربعين رهطاً لجاهدتهم في الله إلى أن أبلي عذري ثم قال:

أيها الناس إن الأشعث لا يزن عند الله جناح بعوضة، وإنه أقل في دين الله من عفطة عنز^(١).

وروى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس قال: كنت عند أمير المؤمنين بالرحبة^(٢) فذكرت الخلافة وتقدم من تقدم عليه فتنفس الصعداء^(٣) ثم قال:

أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة^(٤) وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي^(٥) ينحدر عن السيل، ولا يرقى إلى الطير، فسدت دونها ثوباً^(٦) وطويت عنها كشحاً^(٧) وطففت أرثي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء^(٨)، يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها

(١) العفطة من الشاة: كالمطاس من الإنسان.

(٢) نجد هذه الخطبة في ج ١ من نهج البلاغة ص ٢٥ وهي الخطبة المعروفة بـ «الشقشقية» لقوله (ع) في جواب ابن عباس: «مياهات هببات تلك شقشقة هذرت ثم فرت» وتعرف أيضاً «بالمقصية» لقوله (ع): «أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة» تسمية الشيء بأشهر ألفاظه كما هو الحال في أسماء سور القرآن الكريم كسورة آل عمران، والرحمن، والواقعة، ويس وغيرها.

وهذه الخطبة الجليلة في حسن أسلوبها، وبديع نظمها، وفصاحة ألفاظها، دليل لا يقبل التردد، ولا يتطرق إليه الشك في كونها صادرة عن مركز الثقل الإلهي، ومعدن الوصاية والإمامة، فهي حقاً كما قيل: «فوق كلام المخلوق دون كلام الخالق».

وقد رواها الشيخ المفيد في الإرشاد ص ١٢٧ وقال ابن أبي الحديد في شرحه على النهج ص ٦٩ ج ١: حدثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي في سنة ٦٠٣ هـ قال: قرأت على الشيخ أبي محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن الحشاش هذه الخطبة. إلى أن قال: فقلت له: أنقول إنها منحولة؟ فقال: لا والله، وإنني لأعلم صدورها منه كما أعلم أنك «مصدق» قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون: إنها من كلام الرضي رحمه الله تعالى، فقال: أن للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأسلوب؟ قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنشور، وما يقع مع هذا الكلام في «خل ولا خمر».

ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنعت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدت مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي قلت: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام بغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر ابن قبة أحد متكلمي الإمامية، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب «الإنصاف» وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً.

(٣) تنفس الصعداء - بضم الصاد وفتح المهملة - : المدفوع من التنفس يصعده المثلث الحزين.

(٤) ابن أبي قحافة: أبو بكر واسمه عبد الله وفي الجاهلية «عتيق» واسم أبيه «عثمان» والضمير في تقمصها عائد إلى الخلافة، وإنما يذكرها للعلم بها، وتقمصها جعلها مشتملة عليه كالقميص كناية عن تلبسه بها.

(٥) قطب الرحي مسمارها الذي عليه تدور فكما أن الرحي لا تدور إلا على القطب وبغيره لا يستقيم لها دوران، فكذلك الخلافة محلة منها محل القطب من الرحي: لا تستقيم حركتها ولا تأخذ استقامتها بغيره، وهو وحده القادر على تدبير شؤونها وإدارتها حسب المصلحة العامة ووفق الحطة الإلهية الحكيمة.

(٦) سدت: أرغيت كناية عن اعراضه عنها، واحتجاجه عن طلبها.

(٧) الكشح: ما بين الحاضرة والجنب، أنزل الخلافة منزلة المأكول الذي منع نفسه عنه، فلم يشتمل عليه كشحه.

(٨) طففت: جعلت، واخذت، وشرعت، وارتأى أفكر طلباً للرأي الصائب وصال: حمل نفسه على الأمر بقوة والطخية: =

مؤمن حتى يلقى ربه^(١)، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى^(٢)، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً^(٣) أرى تراثي نهياً^(٤) حتى إذا مضى الأول لسبيله فادلى بها إلى عمر من بعده، فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته^(٥)، لشد ما تشظراً ضرعياً^(٦)! ثم تمثل بقول الأعشى^(٧):

شأن ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فصيرها في ناحية خشناء يحفو مسها، ويغلظ كلمها^(٨)، ويكثر العثار فيها، والإعتذار منها^(٩)،

تقطع من الغيم. والجذء: المقطوعة.

أي جعلت أدير الفكر واجيله في امر الخلافة، وارده في طرفي نقيض: أما ان اشهر السيف واصول على الفاصين للخلافة، والمعتدين على حق، او اترك واصبر، وفي كلا الحالتين خطر، فاما القيام والثورة فيبد مقطوعة من غير ناصر ولا معين، واما الثاني فلما يؤول اليه الحال: من اختلاط الامور، وعدم انتظام الحياة، والتمييز بين الحق والباطل، فكما ان الظلمة والعمى لا يتهدي معها للتمييز بين الاشياء، فكذلك اضطراب الهيئة الاجتماعية، وتشابك المشاكل وازدحامها لا يتهدي معه لوجه الحق.

(١) الهرم: شدة كبر السن والكدر: سعى المجهود.

وتلك الشدة، وذلك الاضطراب، وهاتيك الاحوال المظلمة وطول مدتها ادت الى أن: يهرم فيها الكبير، ويشيب الصغير، ويتمب المؤمن في تميز الحقائق وتمحيصها وما يذله من جهد في سبيل الدفاع عن الحق حتى يلقى ربه.

(٢) هاتا: هذه واحجى: اقرب للحجى وهو العقل.

فرأيت الصبر على هذه الحال وترك المقاومة اقرب للعقل، والصق بنظام الاسلام واحفظ لبيضة سيا وهو بعد غص لم ترسخ له قدم في نفوس اتباعه، والثورة في هذه الحال ربما تؤدي الى خلاف الغرض، وتعكس النتيجة، وستكون سيا للردة، والرجوع عن الدين، فترك المقاومة احجى واصح لسلامة الاسلام، وتحمل الشر الحاد من جراء ذلك امون.

(٣) القذى: الرمذ. والشجاء: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

أي صبرت ولكن على مضض كما يصبر الأرمذ وهو يحس بوجع العين، وكما يصبر من غص بشيء فهو يكابد الخنق.

(٤) يريد بترائه: الخلافة.

(٥) ادلى بها: القى بها اليه. والاقالة: فك العهد والاستقالة: طلب ذلك.

أشار بقوله (ع): «يستقبلها» الى قول أبي بكر: «أقبلوني لست بخيركم»

(٦) شد الأمر: صعب وعظم. وتشظراً: اقتسما والضرع للحيوانات - مثل الثدي للمرأة.

(٧) هو اعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من بني قيس من قصيلة أولها:

علقم ما أنت الى عامر الناقص الأوتار والواتر

(٨) الكلم: الجرح

كفى عن طباع عمر بن الخطاب وبالناحية الخشناء، لأنه كان يوصف بالجفاوة وسرعة الغضب، وغلظ الكلام، حتى روى انه امر أن يؤتى بامرأة لحال اقتضت ذلك - وكانت حاملاً - فلما دخلت عليه اجهزت جنباً لما شاهدته من غلظ طبيعة أبي حفص وظهور القوة الغضبية على قسما وجهه وشدته في الكلام، وذلك ما اراده امير المؤمنين من قوله: «في ناحية خشناء» ثم انه (ع) وصف تلك الطبيعة بوصفين:

أحدهما: غلظ المواجهة بالكلام وقد قيل: جرح اللسان أشد من وخز السنن.

وثانيهما: جفاوة المس المانعة من ميل القلب إليه.

(٩) عثر: إذا أصابت رجله حجراً ونحوه.

فيه إشارة إلى ما كان عليه عمر بن الخطاب من التسرع في إصدار الاحكام غير الصائبة كأمه برجم المرأة الحامل وطلاق الخائف، وغيرها من الأمور التي كانت تدعوه للإعتذار بعد أن يتبين له الخطأ بارشاد أمير المؤمنين (ع)، وقد تكرر قوله: «لولا علي فلك عمر» و «لا كنت لمعضلة ليس لها أبو الحسن» و «لا عشت لمعضلة لا تكون لها يا أبا الحسن».

فصاحبها كراكب الصعبة : إن أشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحم^(١) ، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس ، وتلون واعتراض^(٢) ، فصبرت على طول المدة ، وشدة المحنة ، حتى إذا مضى لسبيله ، فجعلها شوري في جماعة زعم أي أحدهم^(٣) فيا لله وللشوري ، متى اعتراض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرون إلى هذه النظائر ، لكنني أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا^(٤) ، فصبرت على طول المحنة ، وانقضاء المدة ، فمال رجل منهم لضغنه ، وصغى الآخر لصهره ، مع هن وهن^(٥) إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه^(٦) ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع^(٧) ، إلى

(١) الصعبة من الإبل : الغبر المذلة . وأشنق لها بالزمام : إذا جذبها إلى نفسه وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة والخرم الشق وأسلس لها : أرخى لها وتقحم في الأمر : ألقى نفسه فيه بقوة . فصاحبها أي : صاحب تلك الطباع الخشنة مثله . وهو يتولى شؤون الرعية وتندبر أمورهم . كمثل راكب الناقة الصعبة التي لم تذلل ، فهو بين خطرين : إن جذبها إليه شق أنفها ، وإن أرخى لها القياد ألقت به في المهالك ، والناقة الصعبة أراد الرعية لأنها لم تألفه وتفر من طباعه فلا تستقيم له بحال ، أو هي صاحب تلك الطباع ، وحينئذ يكون المقصود من قوله (ع) إن أشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحم ، أن الذي يريد إصلاح صاحب تلك الطباع واقع بين خطرين فإن أنكر عليه عمله وقع الانشقاق والاختلاف بينهما ، وإن تركه وشأنه أدى به الأمر إلى الإخلال بالواجب .
وجه ثالث : يمكن أن يكون المقصود بالناقة الخلافة ، فإذا استرجعها بالقوة شق عصا المسلمين وأوقع الخلاف في صفوفهم مما يؤدي بالنتيجة إلى الردة ، وإن تركها وسكت عنها ، سارت في غير اتجاهها فهو منها بين خطرين .
(٢) مني الناس : ابتلوا . والخبط الحركة على غير استقامة ، والشماس - بكسر - الشين - كثرة التفار والإضطراب . والتلون : اختلاف الأحوال والإعتراض ضرب من التلون وأصله المشي في عرض الطريق .

(٣) خلاصة حديث الشوري : أن عمر بن الخطاب لما طعنه أبو لؤلؤة وأيقن بالموت دعا وجوه الصحابة ، وعرض عليهم موضوع الخلافة ، وأشير فيما أشير عليه بأنه عبد الله فقال : لا ، لا يلحقها رجلان من ولد الخطاب حسب عمر ما حمل ، حسب عمر ما احتجب لا أعملها حياً وميتاً ، ثم قال : إن رسول الله مات وهواض عن هذه الستة علي ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، فأما سعد فلا يمنعي منه إلا عتفه وفضاضته ، وأما من عبد الرحمن فلأنه قارون هذه الأمة وأما من طلحة فتكبره ونخونه ، وأما من الزبير فحشه ، ولقد رأيت بالقيع يقاتل على صاع من شعير ، ولا يصلح لهذا الأمر إلا رجل واسع الصدر وأما من عثمان فحبه لقومه وعصبيته لهم ، وأما من علي فعرضه على هذا الأمر ودعابة فيه . ثم قال : يصلي صهيب بالناس ثلاثة أيام ، وتخلوا الستة نفر في البيت ثلاثة أيام ليتفقوا على رجل منهم ، فإن استقام أمر خمسة وأبى رجل فانتلوه ، وإن استقر أمر ثلاثة وأبى ثلاثة فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف .

(٤) أسف النظائر : إذا دق من الأرض في طبرانه .

(٥) صفاً : مال بسمعه إليه . والضغن : الحقد . والمهن : على وزن أخ كناية عن شيء قبيح الذي مال لحقه هو : سعد بن أبي وقاص . والذي مال لصهره عبد الرحمن بن عوف حيث مال إلى عثمان لمصاهرة بينهما .
روى الشيخ المفيد في الإرشاد عن جيش الكفائي قال : لما صفق عبد الرحمن على يد عثمان بالبيعة في يوم الدار قال له أمير المؤمنين (ع) : حركك الصهر وبعثك على ما صنعت ، والله ما آملت منه إلا ما أمل صاحبك من صاحبه ، دق الله بينكما عطر منشم - وعطر منشم هو عطر صعب الدق والمراد به هنا الموت - . وهكذا كان فقد بلغ الحال في الخلاف بينهما أن أعلن عثمان تحريم مجالسة عبد الرحمن ، ووجوب نيذه ، وأبى اللمة ممن يكلمه أو يعاطيه معاطاة أي مواطن يتمتع بحقوقه الإجتماعية .

(٦) النفج : النفج . والنثيل : الروث . والمعتلف : موضع الاعتلاف .

(٧) الخضم : الأكل بجميع الغم وقيل : المضغ بأقصى الأضراس .

قال ابن أبي الحديد - في شرحه على النهج ج ١ ص ٦٦ - :

وصحت فيه فراسة عمر بن الخطاب ، إذ قد أوطأ بني أمية رقب الناس ، وأولاهم الولايات واقطعهم القطايع ، وافتتحت أرمينيا في أيامه ، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان إلى أن قال : وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربعمائة ألف درهم وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أن سيره يصور الله (ص) ثم لم يرده أبو بكر ولا عمر ، وأعطاه مائة ألف درهم وتصدق رسول الله صلى الله عليه وآله بموضع سوق بالمدينة يعرف « بنهروز » على المسلمين ، فأقطعه عثمان الحارث بن

أن انتكث عليه قتله، وكبت به بطنته، وأجهز عليه عمله^(١)، فما راعني إلا والناس رسل إلي كعرف الضبع ينشالون علي من كل جانب^(٢)، حتى لقد وطىء الحسنان، وشق عطفائي^(٣) مجتمعين حولي كربيضة الغنم^(٤) فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون^(٥)، كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه وتعالى يقول: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»^(٦)، بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكن حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها^(٧).

أما والذي فلق الحبة ويرى النسمة، لو لا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على أولياء الأمر: أن لا يقرؤا على كفة ظالم، ولا سغب مظلوم^(٨)، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم عندي أهون من عفطة عتر.

قال: فقام إليه رجل من أهل السواد فناوله كتاباً فقطع كلامه، فأقبل ينظر إليه فلما فرغ من قراءته، قال ابن عباس: قلت له: يا أمير المؤمنين لو اطردت مقالاتك من حيث أفضيتها.

قال: يا ابن عباس هيهات هيهات! تلك شفشقة هدرت ثم قرت.

قال ابن عباس: فما أسفت على شيء ولا تفجعت كتفجعي على ما فاتني من كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمثال هذه الأخبار من كلام أمير المؤمنين (ع) كثيرة، أوردنا طرفاً منها للإيجاز والإختصار.

ومما يوضح ما أثبتناه ما روي عن أم سلمة زوجة رسول الله (ص) أنها قالت:

كنا عند رسول الله تسع نسوة، وكانت ليلتي ويومي من رسول الله (ص) فأثيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله (ص) فقال: لا.

=الحكم الخا مروان بن الحكم، واقطع مروان قدماً وقد كانت فاطمة طلبتها بعد وفاة أبيها رسول الله نارة بالميراث، وتارة بالنحلة، فدفعت عنها إلى آخر ما ذكره ابن أبي الحديد فاليراجع وعمل الحجة الأميني في ج ٩ من كتاب الغدير قائمة بمصر وفاته على قومه وذويه فالتراجع أيضاً.

(١) انتكث: انتفض. والقتل: برم الحبل. وكبا الفرس: أسقط لوجهه.

والبطنة: شدة الامتلاء من الطعام. وأجهز - على المريض - : قتله وأسرع.

والعرف: الشعر النابت في محذب رقبة الفرس.

(٢) الروع: الخلد والذهن راعني: أفزعني، والعرف: الشعر النابت في محذب رقبة الفرس. وأمثال - الشيء - : إذا وقع يتلو بعضه بعضاً

(٣) العطف: الرداء، وعطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه. أي شق قميصه من جانبيه من شدة الازدحام عليه.

(٤) ربيعة الغنم: المجتمعة برعاتها.

(٥) مروق السهم: خروجه من الرمية.

المрад بالناكثين للبيعة هم: طلحة والزبير وأصحابهم بايعوا ثم نكثوا البيعة. والمارقين هم: الخوارج، والفاسيقين هم: القاسطون وأصحاب معاوية.

(٦) الفصص: ٨٣

(٧) الزبرج - بكسر الزاء - الرأه - : الزينة.

(٨) الكفة: البطنة، ما يعتري الإنسان بعد الإمتلاء من الطعام. والسغب: الجوع.

قالت فكبت كبوة شديدة، مخافة أن يكون ردني من سخط أو نزل في شيء من السماء، ثم لم البث أن أتيت الباب ثانية فقلت: أدخل يا رسول الله (ص)؟ فقال: لا. فكبت كبوة أشد من الأولى. ثم لم البث أن أتيت الباب ثالثة فقلت: أدخل يا رسول الله (ص)؟

فقال: ادخلي يا أم سلمة، فدخلت وعلى جاث بين يديه وهو يقول: فذاك أبي وأمي يا رسول الله (ص) إذا كان كذا وكذا فما تأمري؟ فقال: أمرك بالصبر، ثم أعاد عليه القول ثانية، فأمره بالصبر، ثم أعاد عليه القول ثالثة، فأمره بالصبر، ثم أعاد عليه القول رابعة، فقال له:

يا علي يا أخي إذا كان ذلك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك، واضرب به قدماً حتى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دماهم.

ثم التفت إلي وقال: ما هذه الكآبة يا أم سلمة، قلت: للذي كان من ردك إياي يا رسول الله، فقال لي والله ما رددتك لشيء خبرت من الله ورسوله، لكن أتيتني وجبرئيل يخبرني بالأحداث التي تكون من بعدي، وأمرني أن أوصي بذلك علياً، يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب (ع) وزير في الدنيا، ووزير في الآخرة، يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب وصي، وخليفتي من بعدي، وقاضي عداوتي، والذائد عن حوضي، اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب، سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين.

قلت: يا رسول الله من الناكثون؟

قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب نهروان.

وروي أن أمير المؤمنين (ع) قال في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيام.

حاكياً عن رسول الله (ص) قوله: يا علي إنك باقي بعدي، ومبتلى بأمتي ومخاصم بين يدي الله، فأعدد للخصومة جواباً، فقلت: بأبي وأمي أنت بين لي ما هذه الفتنة التي أبتلى بها؟ وعلى ما أجاهد بعدك؟ فقال لي: إنك ستقاتل بعدي الناكثة والقاسطة والمارقة، وجلاهم وسماهم رجلاً رجلاً، وتجاهد من أمتي كل من خالف القرآن وسنتي، ممن يعمل في الدين بالرأي، ولا رأي في الدين إنما هو أمر الرب ونهيه.

فقلت: يا رسول الله فأرشدني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة.

فقال: نعم، إذا كان ذلك كذلك فائقصر على الهدى، إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى، وعطفوا القرآن على الرأي، فتألولوه برأيهم يتبع الحجج من القرآن لمشتبهات الأشياء الطارية عند الطمأنينة إلى الدنيا، فاعطف أنت الرأي على القرآن، وإذا قومك حرقوا الكلمة عن مواضعه عند

الأهوال الساهية، والأمراء الطامعة، والقادة الناكثة، والفرقة القاسطة، والأخرى المارقة أهل الإفك المردى والهوى المطغى، والشبهة الخالفة، فلا تنكّلن عن فضل العاقبة، فإن العاقبة للمتقين.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت: «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين الخ»^(١) قال النبي (ص): «لأجاهدنُ العمالقة، يعني الكفار والمنافقين فاتاه جبرئيل فقال: أنت أو علي (ع).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: ^(٢) قال: «إني كنت لأدناهم من رسول الله (ص) في حجة الوداع بمنى فقال: لأعرفكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لو فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم، ثم التفت إلى خلفه، فقال: أو علي، أو علي، أو علي، ثلاث مرات، فرأينا على أثر ذلك أن جبرئيل (ع) غمزه، فأنزل الله تعالى على أثر ذلك: ﴿فلما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نريك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون﴾^(٣).

وعن ابن عباس: «إن علياً (ع) كان يقول - في حياة رسول الله - : إن الله يقول: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾^(٤) والله لانتقلب على أعقابنا بعد إذ هذانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت، لأني أخوه وابن عمه، ووارثه، فمن أحق به مني.

وعن أحمد بن همام قال: أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر، فقلت: يا عبادة أكان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف؟ فقال: يا أبا ثعلبة إذا سكتنا عنكم فاسكتوا، ولا تبحثونا، فوالله لعلي بن أبي طالب كان أحق بالخلافة من أبي بكر، كما كان رسول الله (ص) أحق بالنبوة من أبي جهل، قال: وأزيدكم إنا كنا ذات يوم عند رسول الله (ص) فجاء علي (ع)، وأبو بكر وسمر إلى باب رسول الله (ص)، فدخل أبو بكر، ثم دخل عمر، ثم دخل علي (ع) على أثرهما، فكأنما سفي على وجه رسول الله الرماد، ثم قال: يا علي أيتقدمانك هذان، وقد أمرك الله عليهما؟! ١١٩

فقال أبو بكر: نسيت يا رسول الله، وقال عمر: سهوت يا رسول الله.

فقال رسول الله: ما نسيتها ولا سهوتما، وكأني بكما قد سلبتماه ملكه، وتحاربتما عليه، وأعانكما على

(١) التوبة / ٧٣.

(٢) جابر بن عبد الله من أصحاب رسول الله (ص) شهد بدرًا وأدرك الإمام محمد الباقر (ع) وبلغه سلام رسول الله (ص)، وكان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومن انقطع لأهل البيت (ع).

روي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: إن جابر بن عبد الله كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ص) وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت، وكان يقعد في مسجد رسول الله (ص) وهو معتمٍ بعمامة سوداء، وكان ينادي يا باقر العلم، يا باقر العلم! وكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول لا والله لا أهجر ولكني سمعت رسول الله (ص) يقول: «إنك ستدرك رجلاً من أهل بيتي، اسمه إسمي، وشمائله شمائل، يقر العلم بقرء فذاك الذي دعاني إلى ما أقول. رجال العلامة ص ٣٤ رجال الكشي ص ٤٢ - ٤٥

(٣) الزخرف - ٤١.

(٤) آل عمران - ١٤٤.

ذلك أعداء الله، وأعداء رسوله، وكأني بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف على الدنيا ولكأني بأهل بيتي وهم المقهورون المشتتون في أقطارها، وذلك لأمر قد قضي، ثم بكى رسول الله (ص) حتى سالت دموعه، ثم قال: يا علي الصبرا الصبرا حتى ينزل الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن لك من الأجر في كل يوم ما لا يحصيه كتابك، فإذا أمكنك الأمر: فالسيف السيف!! القتل القتل!! حتى يفيثوا إلى أمر الله، وأمر رسوله، فإنك على الحق ومن ناواك على الباطل وكذلك ذريتك من بعدك إلى يوم القيامة.

وعن جعفر بن محمد الصادق (ع) عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) قال: كنت أنا ورسول الله (ص) في المسجد بعد أن صلى الفجر، ثم نهض ونهضت معه، وكان رسول الله (ص) إذا أراد أن يتجه إلى موضع أعلمني بذلك، وكان إذا أبطأ في ذلك الموضع صرت إليه لأعرف خبره، لأنه لا يتصابر قلبي على فراقه ساعة واحدة فقال لي: أنا متجه إلى بيت عائشة، فمضى (ص) ومضيت إلى بيت فاطمة الزهراء (ع) فلم أزل مع الحسن والحسين فأنا وهي مسروران بهما، ثم أتت نهضت وسرت إلى باب عائشة، فطرقت الباب: فقالت: من هذا؟ فقلت لها: أنا علي. فقالت: إن النبي راقداً، فانصرفت.

ثم قلت: النبي راقداً وعائشة في الدار، فرجعت وطرقت الباب فقالت لي: من هذا؟ فقلت لها: أنا علي. فقالت: إن النبي (ص) على حاجة فالتفت مستحيماً من دق الباب، ووجدت في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً، فرجعت مسرعاً فدفقت الباب دقاً عنيفاً، فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت أنا علي فسمعت رسول الله (ص) يقول: يا عائشة افتحي له الباب، ففتحت ودخلت، فقال لي: أقعد يا أبا الحسن أحدثك بما أنا فيه، أو تحدثني بباطلك عني.

فقلت: يا رسول الله حدثني فإن حديثك أحسن.

فقال: يا أبا الحسن كنت في أمر كنته من ألم الجوع، فلما دخلت بيت عائشة، وأطلت القعود ليس عندها شيء تأتي به. فمددت يدي وسألت: الله القريب المجيب، فهبط علي حبيبي جبرئيل (ع) ومعه هذا الطير ووضع أصبعه على طائر بين يديه، فقال: إن الله عز وجل أوحى إلي: أن آخذ هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنة فأتيك به يا محمد، فحمدت الله عز وجل كثيراً، وعرج جبرئيل فرفعت يدي إلى السماء فقلت: «اللهم يسر عبداً يحبك ويحبني يأكل معي من هذا الطير» فمكثت ملياً فلم أر أحداً يطرق الباب، فرفعت يدي ثم قلت: «اللهم يسر عبداً يحبك ويحبني وأحبه يأكل معي من هذا الطير» فسمعت طرق الباب وارتفاع صوتك، فقلت لعائشة: أدخلي علياً فدخلت، فلم أزل حامداً لله حتى بلغت إلي إذ كنت تحب الله وتحبني، ويحبك الله وأحبك، فكل يا علي.

فلما أكلت أنا والنبي الطائر، قال لي: يا علي حدثني فقلت: يا رسول الله لم أزل منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين جميعاً، ثم نهضت أريدك فجئت فطرقت الباب فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت: أنا علي. فقالت: إن النبي راقداً، فانصرفت، فلما أن صرت إلى بعض الطريق الذي سلكته رجعت فقلت: النبي (ص) راقداً وعائشة في الدار، لا يكون هذا، فجئت فطرقت الباب فقالت

لي : من هذا؟ فقلت لها : أنا عليّ. فقالت : إنّ النبي (ص) على حاجة، فانصرفت مستحيياً، فلما انتهيت إلى الموضع الذي رجعت منه أول مرة، وجدت في قلبي ما لا أستطيع عليه صبراً وقلت : النبي (ص) على حاجة وعائشة في الدار، فرجعت فدفقت الباب الدق الذي سمعته، فسمعتك يا رسول الله وأنت تقول لها : أدخلي عليّ.

فقال النبي (ص) : أي الله إلا أن يكون الأمر هكذا، يا حميراء ما حملك على هذا؟!

قالت : يا رسول الله اشتهيت أن يكون أبي يأكل من هذا الطير فقال لها : ما هو بأول ضغن بينك وبين عليّ، وقد وقفت لعليّ - إن شاء الله - لتقاتلته.

فقالت : يا رسول الله وتكون النساء يقاتلن الرجال؟

فقال لها : يا عائشة إنك لتقاتلين عليّ، ويصحبك ويدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي وأصحابي،^(١) فيحملونك عليه، وليكونن في قتالك له أمر يتحدث به الأولون والآخرون، وعلامة ذلك أنك تركبين الشيطان، ثم تبئين قبل أن تبغني إلى الموضع الذي يقصد بك إليه، فتنبع عليك كلاب الحوآب، فتسألين الرجوع فتشهد عندك قسامة أربعين رجلاً : ما هي كلاب الحوآب، فتتصرفين إلى بلد أهله أنصارك،^(٢) وهو أبعد بلاد على الأرض من السماء، وأقربها إلى الماء ولترجعن وأنت صاغرة غير بالغة ما تريدن ويكون هذا الذي يردك مع من يثق به من أصحابه، وإنه لك خير منك له، ولينذرنا بما يكون الفراق بيني وبينك في الآخرة، وكل من لفرق عليّ بيني وبينه بعد وفاتي ففراقه جائز.

فقالت : يا رسول الله ليتني مت قبل أن يكون ما تعدني.

فقال لها : هيهات هيهات!! والذي نفسي بيده ليكونن ما قلت، حق كائي أراه.

ثم قال لي : قم يا عليّ فقد وجبت صلاة الظهر، حتى أمر بلالاً بالأذان، فأذن بلال وأقام وصلى وصليت معه ولم يزل في المسجد.



احتجاجه عليه السلام فيما يتعلق بتوحيد الله وتنزيهه عما لا يليق به من صفات المصنوعين من الجبر والتشبيه والرؤية والمحيي والذهاب والتغيير والزوال والانتقال من حال إلى حال في أثناء خطبه ومجاري كلامه ومخاطباته ومحاوراته.

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعمه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون^(٣)

(١) يريد بأهل بيته المعنى العام لأهل بيت الرجل أي : أقاربه والمقصود هنا هو الزبير بن العوام، وليس المقصود من أهل البيت المعنى الخاص المقصود على الخمسة من أصحاب الكساء، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

(٢) وفي نسخة «فتصرفين» بدل تتصرفين.

(٣) الحمد : هو الثناء على الجميل من نعمة وغيرها، والبلوغ : هو الوصول أو المشاركة. والمدحة : فعله من المدح وهي : =

الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يتاله غوص الفطن،^(١) الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل محدود،^(٢) فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه،^(٣) أول الدين معرفته، وكمال معرفته: التصديق به، وكمال تصديقه توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه،^(٤) لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله،^(٥) ومن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عدّه، ومن قال: «فيم؟» فقد ضمنه، ومن قال: «على م؟» فقد أخلى منه،^(٦) كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمزايلة

«الهيئة» كالجلسة للجالس، والركبة للراكب والاحصاء: إنهاء العدد والإحاطة بالمعدود والمجتهد من اجتهد في الأمر إذا بذل وسعه وطاقته في طلبه.

في الجملة الأولى: إشارة إلى المعجز عن القيام بالثناء عليه سبحانه كما يستحقه وكما هو أهله، وهي في معنى قول النبي (ص): «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

وفي الجملة الثانية: اعتراف بالقصور عن القدرة على حصر أنعم الله على تعددها وكثرتها بحيث لا يحيط بها حصر الإنسان، وهذه الجملة مقتبسة من قوله تعالى «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها».

وفي الثالثة اعتراف بالمعجز عن أداء شكر النعم، وأداء حقه اللازم على العبادتها بذلوا من جهد، فكل حركة وسكون يصدران من الإنسان مستندان إلى وجوده تعالى وهي نعمة منه تعالى على عباده ولذا جاء في الأثر: «أن موسى (ع) سأل ربه قائلاً: «يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكر إلا بنعمة ثانية من نعمك، فأوحى الله تعالى إليه: «إذا عرفت هذا فقد شكرني».

(١) الهمم - جمع الهمة - : وهي العزم والجزم الثابت الذي لا يعتريه فتور. والنيل: الاصابة والفطن جمع فطنة بالكسر - : وهي الخلق وجودة استعداد الذهن لتصور ما يريد عليه.

بعد الهمم علوها وتعلقها بالأمر العالي أي: إن الهمم وإن علت وبعدت لا يمكن أن تدركه معها حلفت في سماء المدارك العالية، كما أن الفطن الغائصة في بحار الأفكار هي الأخرى لا تصل إلى كنه حقيقته.

(٢) حد الشيء: انتهاء، والنت: الصفة، والأجل: المدة المضروبة للشيء. أي ليس لصفاته الذاتية من القدرة، والإختيار، والعلم، والحيلة، حد معين ينتهي إليه ويقف عنده كما هو الحال في الموجودات الممكنة فإنها جميعاً لها حد تنقطع إليه وتقف عنده، كما أنها لا تنعت بنعوت، وموجوده أي: زائدة متغيرة، فعلمه مثلاً لا ينعت بالزيادة والنقصان - كما هو الحال بالنسبة لنا - وقدرته لا توصف بالقوة والضعف بل هو منزّه عن كلّ هذه النعوت وصفاته عين ذاته، كما أنها أزلية فليس لها وقت معدود، وأبدية فليس لها أجل محدود. (٣) فطر: خلق والنشر: البسط. ووتد - بالتخفيف والتشديد - ثبت. والميدان - بفتح الميم والياء - الحركة.

أي: سكن الأرض بعد اضطرابها وهي من قوله تعالى: «وجعلنا الجبال أوتاداً» وقوله: «والقى في الأرض رواسي أن تعبد بك».

(٤) أول الدين معرفته أي أن معرفته سبحانه أساس الطاعة والعبادة، فما لم يعرف لا يمكن أن يطاع، ولا تتم معرفته، ما لم يدعن العبد ويحكم: بوجوب وجوده ولا يدعن ويحكم بوجوب وجوده ما لم يؤمن ويحكم له بالوحدانية، وأنه لا شريك له في ذاته، لأن الواجب لا يتعدد، ثم أن كمال هذا التوحيد يكون بالإخلاص له، وهو: «أما جعله خالياً عن النقائص وسلب الجسمية والعرضية وأمثالها عنه، أو الإخلاص له بالعمل وكما هذا الإخلاص هو: نفي الصفات الزائدة عنه تعالى فصفاته تعالى عين ذاته علمه، وقدرته، وإرادته، وحجته، وسمعه، وبصره، كلها موجودة بوجود ذاته الأحدية وذاته جامعة ومسبوغة لها وهي عينها، وليست هي على كثرتها وتعدد معانيها وتغاير مفهوماتها زائدة على الذات خارجة عنها.

(٥) أي: من وصف الله سبحانه بصفة زائدة على ذاته خارجة عنها، «فقد قرنه» بغيره في الوجود ومن «قرنه» بغيره فقد صيّره ثانياً لغيره يصدق عليها: «واجب الوجود» وحينئذ يكون قد «جزأه» لأن كل واحد من القديمين جزء لذلك الواجب، و«من جزأه» فقد «جهله» إذ جعله في عداد الممكنات، ولم يعرف الوجود الواجب فهو لا يتعدد ولا يتجزأ كما هو ثابت في علم الكلام.

(٦) ضمنه: جعله محتوياً عليه وأخلى منه: جعله خالياً منه.

فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده،^(١) أنشأ الخلق إنشاءً: وابتدأه ابتداءً بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطراب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأثم بين مختلفاتها، وعرّز غرائزها، وألزمها أشباحها، علماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها^(٢).

وقال عليه السلام في خطبة أخرى: (٣)

أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه، جل أن تحله الصفات بشهادة العقول: أن كل من حلته الصفات فهو مصنوع وشهادة العقول: أنه جلّ جلاله صانع ليس بمصنوع، يصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفكر تثبت حاجته، جعل الخلق دليلاً عليه، فكشف به ربوبيته هو الواحد الفرد في أزليته، لا شريك له في إلهيته، ولا ند له في ربوبيته، بمضادته بين الأشياء المتضادة علم أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور المقترنة علم أن لا قرين له.

«ومن أشار إليه» سواء بالإشارة العقلية كان يجعل له حداً منطقياً مركباً من جنس وفصل، أو بالإشارة الحسية «فقد حذّه» وذلك أن كل مشار إليه لا بد أن يكون في جهة ما، وكل ما هو في جهة فلا بد له من أطراف وأقطار هي حدوده وينتهي عندها ومن فعل ذلك و«حذّه» «فقد حذّه» في عداد الممكنات. ومن قال «فيم» هو فقد جعله ضمن شيء ومن قال: «عل م» هو فقد جعله مستعمل على شيء وغير مستعمل على غيره. وحينئذ يكون قد «أخل منه» ذلك الغير.

(١) حدث الشيء: تجدد وجوده. والمزيلة: المفارقة. والسكن: بفتحين - : ما يسكن إليه من أهل ومال. هذه الفقرات كل منها مركبة من قضيتين، إحداهما موجبة، والأخرى سلبية، والفرق بين الفقرتين الأولىين «كائن لا عن حدث» و«موجود لا عن عدم» اذ يبدو أن معناهما واحد في نفيها تجدد الوجود، هو: أن الفقرة الأولى تنفي تجدد الحدوث الزماني يعني أنه كائن منذ الأزل، والثانية تنفي التجدد الذاتي وتثبت وجوب وجوده «مع كل شيء» لا بمقارنة كما أنه «غير كل شيء» ولكن «لا بمزيلة» ومفارقة، فالمقارنة والمفارقة من الصفات الجسمانية وذاته المقدسة منزّهة عن الجسمانيات فهو مع كل شيء بمعنى أنه عالم بكل شيء محيط به، شاهد عليه، غير غائب عنه، ولكن هذه المعية وتلك الغيبة ليست كما هي بالنسبة لنا من المقارنة والمفارقة التي هي من خصائص الجسمية ولوازمها، وذاته المجردة لا تشبه شيئاً من ذوات الموجودات الممكنة فهو «فاعل» ولكن «لا بمعنى الحركات والآلة» ومن ضيق الألفاظ نعبّر عن صفاته القدسية بهذه الألفاظ المتعارفة بيننا، والتي نطلقها عليه كما نطلقها على سائر الممكنات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، «بصير» منذ الأزل «إذ لا منظور إليه من خلقه» «متوحد» في سلطانه وملكوته «إذ لا سكن يستأنس به» و (لا) أنيس (يستوحش لفقده) فالوحشة والأنس من لوازم الطبيعة الحيوانية، وهو منزّه عنها.

(٢) نشأ الشيء: حدث وتجدد. والابتداء: بمعنى الإنشاء، والروية: الفكر والتدبر، وأجال به: إذا أدّره، والتجربة: الاختبار. والهمامة: التردد. وأحال الأشياء: صرفها وحولها، ولأثم: أصلح. والغريزة: الطبيعة - والأشباح: الأشخاص والاحاطة: الاستدارة والشمول. والأحناء - جمع الحنوء - : الجانب والناحية. (أنشأ الخلق إنشاءً) من غير مادة (وابتدأهم) ابتداءً من دون مثال سبق (بلا روية أجالها) ولا فكر أدّره (ولا تجربة استفادها) ولا خبرة اكتسبها من قبل (ولا أحدثها) كالحركة الحادثة لنا إذا أردنا فعل شيء ما (ولا همامة نفس اضطراب فيها) كما تتردد نفوسنا وتضطرب فكل هذه الأمور من لوازم الجسمية تقدمت ذاته عنها (أحال الأشياء) ونقلها وصرفها حسب مقتضيات الحكمة والمصلحة (لأوقاتها) للقضاء والقدر وأصلح (ولأثم بين) ما كان من عالم الغيب، كالأرواح المجردة، وما كان من عالم الشهود كالأجسام المركبة، وغير ذلك من (مختلفاتها) كتوقيفه في سائر العناصر (وعرّز) للأشياء (غرائزها) ثم خص كل جنس أو نوع بغرائزه الخاصة به (والزعماء أشباحها) وأشخاصها (علماً بها قبل ابتدائها) كما هو عالم بها بعد إيجادها من غير فرق بين الحالين (محيطاً بحدودها وانتهائها) شاملاً بقدرته وعلمه جميع أطرافها.

(٣) ارشاد الشيخ المفيد (قله) أبو الحسن المثلثي عن الزهري وعيسى بن زيد عن صالح بن كيسان عن أمير المؤمنين (ع) قال - في الحث على معرفة الله - : أول عبادة الله معرفته... الخ.

وقال (ع) في خطبة أخرى:

دليله آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة، إنه رب خالق غير مربوب مخلوق، كل ما تصور فهو بخلافه.

ثم قال - بعد ذلك - :

ليس بإله من عرف بنفسه هو الدال بالدليل عليه، والمؤدي بالمعرفة إليه.

وقال (ع) في خطبة أخرى: (١).

يشمل بحد، ولا يحسب بعد، وإنما تخذ الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها، منعها منذ القدم، وحنيتها قد الأزلية، وجنبتها لولا التكملة، بها تحل صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون (٢) لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، ويعود إليه ما هو أبداه، ويحدث

(١) تخذ هذه الخطبة الجلية - التي هي حقاً من معجزات أمير المؤمنين (ع) ولو لم تكن له معجزة سواها لكفى، كما لو لم يكن لرسول الله (ص) معجزة سوا أمير المؤمنين (ع) لكفى - في ج ٢ ص ١٤٢ من نهج البلاغة قال السيد الرضي (قدس سره) (وتجمع هذه الخطبة من أصول العلوم ما لا تحمعه خطبة) وأولها كما هي مشتهرة في النسخ:

وما وحده من كیفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شبهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول فاعل لا باضطراب الله، مقدور لا بحول فكرة، غني لا باستفادة، لا تصحبه الأوقات ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزلته، بتشعير المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبمصادته بين الأمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قريب له، فساد التور بالظلمة، والوضوح بالبهمة، والجمود بالبلل والحرور بالصر، مؤلف بين متعاديها، مقارن بين متبايناتها، مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها، لا يشمل بحد... الخ.

(٢) (لا يشمل بحد) من الحدود المنطقية، المركبة من الجنس والفصل، وذاته خالية من التركيب أو من الحدود والأبعاد الهندسية التي هي من لوازم الأجسام وذاته تعالى ليست بجسم.

(ولا يحسب بعد) لعدم المماثل له وواجب الوجود لا يتعدد كما هو ثابت في محله كما أن صفاته عين ذاته غير زائدة عليها فلا تدخل تحت العدد، ولا بداية لوجوده حتى يقال: كان منذ كذا وكذا (وإنما تخذ الأدوات أنفسها) لتركيبها من جنس وفصل ولكونها من الأجسام فتشملها الحدود والأبعاد الهندسية.

(وتشير الآلات إلى نظائرها) فتدخل تحت العدد وقد (منعتها) إطلاق لفظة: - منذ - عليها - القدمة) في قولنا وجدت هذه الآلات والأدوات منذ كذا، ومعنى كان للشيء ابتداء فهو غير قديم.

(وحنيتها - إطلاق لفظة - قد - عليها - الأزلية، في قولنا قد وجدت هذه الآلات والأدوات منذ كذا لأن قد تفيد تقريب الزمان الماضي من الحال، ومعنى تعين زمن وجود الشيء انتفت أزلته.

(وجنبتها - إطلاق كلمة: لولا - عليها - التكملة) في قولنا: ما أحسن هذه الآلات والأدوات لولا أن فيها كذا لدلالاتها على امتناع كمال الشيء لوجود نقص فيه.

ويمكن أن يكون المعنى: إن قدمه وأزليته وكماله منعت من إطلاق لفظة (منذ وقد، ولولا) على ذاته المقدسة، لدلالة هذه الألفاظ على الحدوث والابتداء والنقص.

(بها) بذلك الآلات والأدوات بديع صنعها، باتقانها، بحكمة تدبيرها (تجل صانعها للعقول) التي هي طبعاً بعض تلك الآلات لدلالة الأثر على المؤثر (وامتنع) بدليل مجردة وتترزه عن المادة والجسمية واللون والجهة التي هي من لوازم المراتبات (عن نظر العيون).

فيه ما هو أحدثه، إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذا وجد له أمام، ولا لتمس التمام إذ لزمه النقصان، وإذا لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه،^(١) وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره،^(٢) الذي لا يحول، ولا يزول، ولا يجوز عليه الأفعال،^(٣) لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً^(٤) جل عن اتخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء، لا تناله الأوهام فتقدره، ولا تتوهمه الفطن فتصوره، ولا تدركه الخواص فتحسه، ولا تلمسه الأيدي فتمسه، ولا يتغير بحال، ولا يتبدل بالأحوال، ولا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيره الضياء والظلام ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا الجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض ولا بالغيرية والأبعاض، ولا يقال له حد ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أن الأشياء تحويه، فتقله أو تهويه، ولا أن شيئاً يحمله فيميله أو يعدله،^(٥) ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج، يخبر لا بلسان ولهوات،

(١) الحركة سواء كانت بمعناها الفلسفي الذي هو: (الخروج من القوة إلى الفعل) أو بمعناها الفيزيائي الذي هو: (الانتقال من مكان إلى آخر) فهي تقوم بالتدرج والانتقال من حال إلى حال ومن مكان إلى آخر وتخلع صورة وتلبس أخرى وتصل إلى جزء وتنفصل عن سابقه وهكذا، ويقابلها السكون الذي هو: (التوقف والجمود فيما يقبل الحركة): والحركة والسكون كلاهما من الحوادث المستندة في وجودها إلى علة - وحيث ثبت أن لا موجد إلا الله ولا خالق سواه فيكون هو الذي خلقهما وأجرهما على نفسه، وأحدثهما في ذاته، ولاستحالة أن يكون مخلوقه جزء ذاته، نفى أمير المؤمنين (ع) ذلك في صورة استفهام إنكاري في قوله: (وكيف يجري عليه ما هو أجراه ويعود إليه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه ١١٩) ثم أنه (ع) شرع في إقامة الأدلة على استحالة هذه النسبة فقال: ١ - وإذا لتفاوتت ذاته أي: تغيرت. لا تكون متحركة تارة وساكنة أخرى فالحركة والسكون من الحوادث المتغيرة، فيكون محلاً للحوادث، وذلك من لوازم الإمكان فيكون واجب الوجود ممكن الوجود، وهو مستحيل.

٢ - (ولتجزأ كنهه) لأن الحركة والسكون من لوازم الأجسام والأجسام مركبة فيلزم حقيقته التركيب وهو باطل.

٣ - (ولا تمتنع من الأزل معناه) لأن الحركة والسكون من لوازم الأجسام الحادثة والحوادث لا يكون أزلياً.

٤ - (ولكان له وراء إذ وجد له أمام) إذ لو جرت عليه الحركة لكان له أمام يتحرك نحوه وحيث لا يلزم أن يكون له وراء لأنها أموران إضافيان لا ينفك أحدهما عن الآخر وحيث لا يكون له وجهان وكل ذي وجهين منقسم وكل منقسم ممكن.

٥ - (ولا التمس التمام إذ لزمه النقصان) إذ هو في حركته يتوجه نحو غاية إما لجلب نفع أو لدفع ضرر، وذلك كمال مطلوب له لنقصان لازم لذاته وذلك يستلزم الإمكان فهو باطل.

وإذا لقامت آية المصنوع فيه، وثبت إمكانه وحدوثه ولتحول دليلاً يستدل بوجوده على خالقه بعد أن كان مدلولاً عليه

(١) أي خرج بسلطان امتناعه التجريدي، وعدم شموله بحد، ودخوله تحت العدد وامتناعه عن نظر العيون، وعدم جريان الحركة والسكون عليه خرج بهذا السلطان من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من الممكنات.

(١) لا يحول: لا يتغير. والأفعال: الغيبة.

(٢) الولادة تحصل بانفصال شيء عن آخر من جنسه ونوعه، فالوالد والولد يشتركان في النوع والصفة والعوارض، ولا يكون هذا الانفصال والتجزؤ إلا بواسطة المادة القابلة للتجزؤ، وإذا كان كذلك فهو متولد من مادة وصورة ويحتمل أن يكون المراد بالمولود المخلوق، فيكون المعنى لم يلد فيثبت كونه جسماً مخلوقاً. وعلى كلا التقديرين سواء كان مولوداً من مادة وصورة، أو كان جسماً مخلوقاً، فإنه يكون محدوداً بالحدود المنطقية، والأبعاد الهندسية.

(٣) لا تناله الأوهام فتقدره بمقدار وكم وشكل وكيف، والفطنة سرعة الفهم ولا تتوهمه الفطن فتصوره بصور خيالية أو عقلية، ولا تدركه الخواص بنحو المباشرة ولا تلمسه وتحسه الأيدي بنحو الملمسة، ولا يتغير أبداً ولا يوصف بالغيرية والأبعاض فصفاة لا يتغيرت

ويسمع لا بخروق وأدوات، يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضم، يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويبغض من غير مشقة، يقول - لما أراد كونه - : «كن فيكون» لا بصوت يقرع، ولا نداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً،^(١) ولا يقال له : «كان بعد أن لم يكن» فتجري عليه صفات المحدثات، ولا يكون بينه وبينها فصل، ولا له عليها فضل، فيستوي الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبتدع والبديع^(٢) خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره^(٣) ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه.

أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار^(٤) وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والأعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج^(٥) أرسى أوتادها، وضرب أسداها، واستفاض عيونها، وخذ أوديتها^(٦) فلم يهن ما بناه، ولا ضعف ما قواه، هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته، والباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالى على كل شيء منها بجلالته وعزته، لا يعجزه شيء منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منها فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه، خضعت الأشياء له، وظلت مستكنة لعظمته^(٧) لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره، فتمتنع من نفعه وضره، ولا كفؤ له فيكافئه^(٨) ولا نظير له فيساويه، هو المقي لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها، وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها، وكيف!! ولو اجتمع جميع حيوانها: من طيرها، وبهائمها، وما كان من مراحها وسائمها، وأصناف أشباحها واجناسها، ومتلبدة امها وأكياسها^(٩) على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها، ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاها، وعجزت قواها وتاها، ورجعت خاسئة حسيرة^(١٠) عارفة بأنها مقهورة مقرّة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها.

= بعضها بعضاً، وليس هو بذي مكان بحويه، فيرتفع بارتفاعه وينخفض بانخفاضه، كما أنه غير محمول على شيء فيميله إلى جانب، أو يعدله على ظهره من غير ميل.

(١) يحفظ عباده ويحرسهم، ولا يتحرز ولا يخاف ويبغض ويبغض ولا يستلزم بغضه وغضبه مشقة وانزعاجاً، كما هو الحال بالنسبة لنا مما يستلزمه فينا من فوران دم القلب واضطرابه. يقول - لما أراد كونه - : «كن فيكون»، وليس المراد بالقول هو التكلم الحقيقي حتى يكون له صوت يقرع الأذان فيسمع وإنما كلامه سبحانه هو نفس فعله، وخلق الأشياء وتصويرها ينشؤه وعنده لجبريل في اللوح وليس هو بقديم ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً.

(٢) في بعض النسخ: «الصفات المحدثات».

(٣) خلا : أي مضى.

(٤) أرساها: أثبتها على غير قرار.

(٥) الأود - بالتحريك - الإعوجاج والتهافت: التساقط قطعة قطعة.

(٦) الأسداد - جمع السد - بمعنى الجبل أو الحاجز وبالضم بمعنى السحاب الأسود. وخذ : بمعنى شق.

(٧) الاسكانة : الخضوع.

(٨) أي : يساويه في وجوب الوجود.

(٩) المتلبدة : ذو البلادة ضد الأكياس.

(١٠) الحاسية الذليل الصاغر. والحسير : الكلل المعى.

ولأنه يعود سبحانه بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه، كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها، لا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلا الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأمور، بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها، لم يتكأده صنع شيء منها إذ صنعه، ولم يؤوده منها خلق ما براه وخلقها، ولم يكونها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ند مكاثرة، ولا للإحتراز بها من ضد مساورة^(١)، ولا للزيادة بها في ملكه ولا لمكاثرة شريك في شركته، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها.

ثم هو ينفيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه من تصريفها وتدبيرها ولا لراحة واصله إليه، ولا لتقل شيء منها عليه، لا بجله طول بقائها فيدعوه إلى نزعة إفنائها، لكنه سبحانه دبرها بلطفه، وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشيء منها عليها، ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استيناس، ولا من حال جهل وعمى إلى حال علم والتماس، ولا من فقر ولا حاجة إلى غنى وكثرة، ولا من ذل وضعة إلى عز وقدرة. ومن خطبة له (ع) : (٢).

الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد^(٣) ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباهم على أن لا شبه له، الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه، مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه،

واحد لا بعدد، ودائم لا بآمد، وقائم لا بعمد، تتلقاه الأذهان لا بمشاعة^(٤) وتشهد له المراتي لا بمحاضرة^(٥) لم تحط به الأوهام بل تجل لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها^(٦) ليس بذئ كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسياً ولا بذئ عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا، بل كبر شأناً، وعظم سلطاناً.

ومنها في الاستدلال عليه تعالى بعجيب خلقه من أصناف الحيوان وغيرها:

ولو فكروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة، والأبصار مدخولة، أفلا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه، وأنقن تركيبه، وفلق له السمع والبصر، وسوى له العظم والبشر.

(١) لم يتكأده : لم يشق عليه . لم يؤوده : لم يثقله . الند : المثل المكاثرة لمغالبة بالكثرة . المساورة : الموازنة.

(٢) ج ٢ ص ١٣٧ من نهج البلاغة.

(٣) المراد بالشواهد : الحواس

(٤) أي : لا بطريق المشاعر والأحاسيس.

(٥) أي : المراتب تشهد له بالوجود من غير أن يكون محسوساً معها.

(٦) أي : لم تحط به العقول بل بها تجل وظهر وثبت وجوده لها وبالنظر والتعقل علمنا أنه محتج من أن تدركه العقول وجعل

العقول السقيمة المدعية بالاحاطة به تعالى خصمه، ثم حاكمها إلى العقول السليمة فحكمت عليها.

انظروا إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا تدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى حجرها، وتعددها في مستقرها، تجمع في حرها لبردها، وفي ورودها لصدورها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوفقها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان، ولو في الصفاء اليابس، والحجر الجامس، ولو فكرت في مجاري أكلها، وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها، لقضيت من خلقتها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبنّاها على دعائمها، ولم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على خلقها قادر، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على أنّ فاطر النملة هو فاطر النحلة لدقيق تفصيل كلّ شيء، وغامض اختلاف كلّ حي، وما الجليل واللطيف والثقل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه الا سواء، كذلك السماء والهواء، والريح والماء:

فانظر إلى الشمس والقمر، والنبات والشجر، والماء والحجر، واختلاف هذا الليل والنهار، وتفرق هذه البحار والأنهار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرق هذه اللغات والألسن المختلفة.

فالويل لمن أنكر المقدر، أو جحد المدبر وزعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، لم يلجؤوا إلى حجة فيما ادعوا، ولا تحقيق فيما ادعوا، وهل يكون بناء من غير بان، أو جناية من غير جان؟؟

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

وإن شئت قلت في الجراة: إذ خلق لها عيين حمراوين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونايين بها تقرض ومنجلين بها تقبض ترهبها الزراع في زرعه، ولا يستطيعون ذبحها ولو أجمعوا بجمعهم، حتى ترد الحرث من نزواتها، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون اصنعاً مستدقة.

فتبارك الله الذي يسجد له من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعفر له خدأً ووجهاً، ويلقي بالطاعة له سلماً وضعفاً، ويعطي له القيادة رهبة وخوفاً، والطيّر مسخرة لأمره، أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسي قوائمها على الندى واليبس قدر أقواتها وأحصى أجناسها، فهذا غراب، وهذا عقاب وهذا حمام، وهذا نعام، دعا كل طائر باسمه، وكفل برزقه، وأنشأ السحاب الثقال فاهل ديمها، وعدد قسمها، قبل الأرض بعد جفوفها، وأخرج نبتها بعد جدوبها.

وروي أنه وفد وفد من بلاد الروم إلى المدينة على عهد أبي بكر وفيهم راهب من رهبان النصارى فأتى مسجد رسول الله (ص) ومعه بختي موقر ذهباً وفضة وكان أبو بكر حاضراً وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار.

فدخل عليهم وحياتهم ورحب بهم وتصفح وجوههم، ثم قال:

أيكم خليفة رسول الله وأمين دينكم؟

قال الراهب: أنت صاحبي ورب عيسى، أخبرني عن شيء ليس لله، ولا من عند الله، ولا يعلمه الله.

قال (ع): على الخير سقطت!

أما قولك «ما ليس لله»: فإن الله تعالى أحد ليس له صاحبة ولا ولد.

وأما قولك «ولا من عند الله»: فليس من عند الله ظلم لأحد.

وأما قولك «لا يعلمه الله»: فإن الله لا يعلم له شريكاً في الملك.

فقام الراهب، وقطع زناره، وأخذ رأسه وقبل ما بين عينيه، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأشهد أنك أنت الخليفة وأمين هذه الأمة ومعدن الدين والحكمة، ومنبع عين الحجة، لقد قرأت اسمك في التوراة اليا، وفي الانجيل ايليا، وفي القرآن علياً، وفي الكتب السابقة حيدرة، ووجدتك بعد النبي وصياً، وللإمامة ولياً، وأنت أحق بهذا المجلس من غيرك، فأخبرني ما شأنك وشأن القوم؟

فأجابه بشيء، فقام الراهب وسلم المال إليه بأجمعه، فمأبرح علي (ع) مكانه حتى فرقه في مساكن أهل المدينة، ومأوبجهم، وأنصرف الراهب إلى قومه مسلماً.

وروي أنه اتصل بأمر المؤمنين (ع) أن قوماً من أصحابه خاضوا في التعديل والتجريح فخرج حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إن الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه، أراد أن يكونوا على آداب رفيعة، وأخلاق شريفة، فعلم أنهم لم يكونوا كذلك الا بأن يعرفهم ما لهم وما عليهم، والتعريف لا يكون إلا بالأمر والنهي، والأمر والنهي لا يجتمعان الا بالوعد والوعيد، والوعد لا يكون الا بالترغيب، والوعيد لا يكون الا بالترهيب والترغيب لا يكون الا بما تشتهيهم أنفسهم، وتلذ أعينهم، والترهيب لا يكون الا بضد ذلك ثم خلقهم في داره وأراهم طرفاً من اللذات، ليستدلوا به على ما وراءهم من اللذات الخالصة التي لا يشوبها ألم، ألا وهي الجنة، وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلوا به على ما وراءهم من الآلام الخالصة التي لا يشوبها لذة، ألا وهي النار فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها، وسرورها ممزوجاً بكدرها وهمومها

قيل: فحدث الجاحظ^(١) بهذا الحديث، فقال: هو جماع الكلام الذي دونه الناس في كتبهم، وتناووه بينهم.

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب اللبني البصري اللغوي النحوي كان من غلمان النظام، وكان مائلاً إلى النصب والعثمانية، وله كتب منها: «العثمانية» التي نقض عليها أبو جعفر الاسكافي، والشيخ المفيد، والسيد أحمد بن طاووس، وطال عمره وأصابه الفالج في آخر عمره ومات في البصرة سنة ٢٥٥. الكنى والألقاب ج ٢ ص ١٢١.

قيل : ثم سمع أبو علي الجبائي^(١) بذلك ، فقال صدق الجاحظ هذا ما لا يحتمله الزيادة والتقصان .
وروي عن علي بن محمد العسكري (ع) - في رسالته إلى أهل الأهواز في نفى الجبر والتفويض^(٢) -
أنه قال :

روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه سأل رجل بعد انصرافه من الشام فقال :

يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام أبقياء وقدّر؟

فقال له أمير المؤمنين (ع) : نعم يا شيخ ما علوتم تلعة^(٣) ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من عند الله وقدر .

فقال الرجل : عند الله أحسب عنائي ، والله ما أرا لي من الأجر شيئاً .

فقال علي (ع) : بل فقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون وعلى منصرفكم وأنتم منقلبون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا إليه مضطرين .

فقال الرجل : وكيف لا نكون مضطرين والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا؟!

فقال أمير المؤمنين (ع) : لعلك أردت قضاءً لازماً ، وقدراً حتماً ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، والأمر من الله والنهي ، وما كانت تأتي من الله لائمة للذنب ، ولا محمداً لمحسن ، ولا كان المحسن أولى بثواب الأحسان من المذنب ، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن ، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان ، وجنود الشيطان ، وخصماء الرحمن ، وشهداء الزور والبهتان ، وأهل العمى والطفين^(٤) هم قدرية هذه الأمة ومجوسها ، إن الله تعالى أمر بخيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الرسل هزلاً ، ولم ينزل القرآن عبثاً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار .

ثم تل عليهم : ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾^(٥) قال : فنهض الرجل مسروراً وهو يقول :

(١) الجبائي : أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان «ويطلق» على ابنه أبي هاشم عبد السلام بن محمد ويقال لها : الجبائيان وكلاهما من رؤساء المعتزلة ، ولهما مقالات على مذهب الاعتزال ، والكتب الكلامية مشحونة بمذاهبها واعتقادهما ، توفي أبو علي الجبائي سنة ٣٠٣ . الكافي والألقاب ج ٢ ص ١٢٦

(٢) تتلخص عقيدتنا نحن الشيعة الإمامية الاثني عشرية في «القضاء والقدر» بما يلي : لما كان الله سبحانه وتعالى مفيض الوجود ومعطيه ، فالأفعال الصادرة منا تكون «داخلية تحت سلطانه» ومن جملة مقدوراته ، ومن ناحية كونها صادرة منا ونحن أسبابها الطبيعية فهي داخلية تحت قدرتنا واختيارنا ، وهو لم يجبرنا عليها ، بل اعطانا القدرة والاختيار في أفعالنا ولذا فهو حين يعاقبنا على المعاصي لا يكون ظالماً لنا . ولا فوض خلقها إلينا حتى تخرج عن سلطانه وخلاصة الكلام اننا نقول بالطريق الوسط في القول بين القولين كما علمنا أئمتنا عليهم السلام وكما قال إمامنا الصادق عليه السلام : «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين» .

(٣) التلعة : ما علا من الأرض .

(٤) في بعض النسخ «أهل العمى والطفين» .

(٥) الإسراء - ٢٣ .

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنا فيه إحسانا
وليس معذرة في فعل فاحشة قد كنت راكبها فسقاً وعصيانا
كلاً ولا قاتلاً ناهيه أوقعه فيه عبت إذا يا قوم شيطانا
ولا أحب ولا شاء الفسوق ولا قتل الولي له ظلماً وعدوانا
أنى يحب وقد صحت عزيمته على الذي قال أعلن ذاك إعلانا

وروي أن رجلاً قال: فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟

قال: الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية، والمعونة على القربة إليه والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب كل ذلك قضاء الله في أفعالنا، وقدره لأعمالنا، وأما غير ذلك فلا تظنه فان الظن له محبط للأعمال.

فقال الرجل: فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك.

وروي أنه سئل عن القضاء والقدر فقال:

لا تقولوا: وكلهم الله على أنفسهم فتوهنوه، ولا تقولوا أجبرهم على المعاصي فتظلموه، ولكن قولوا: الخير بتوفيق الله، والشر بخذلان الله، وكل سابق في علم الله.

وروي أهل السير: أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين (ع) فقال:

يا أمير المؤمنين خبرني عن الله أرايته حين عبده؟

فقال له أمير المؤمنين (ع): لم ألك بالذي أعبد من لم أره.

فقال له: كيف رأيت يا أمير المؤمنين؟

فقال له: يا ويلك لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رآته العقول بحقائق الإيمان، معروف

بالدلالات، منعوت بالعلامات، لا يقاس بالناس، ولا يدرك بالحواس.

فانصرف الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وروي أن بعض الأحرار جاء إلى أبي بكر فقال له: أنت خليفة نبي هذه الأمة؟ فقال: نعم.

قال: فإننا نجد في التوراة أن خلفاء الأنبياء أعلم أمهم، فخبرني عن الله أين هو في السماء أم في الأرض؟

فقال له أبو بكر: في السماء على العرش.

قال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول في مكان دون مكان.

فقال أبو بكر: هذا كلام الزنادقة اعزب عني^(١) والا قتلتك.

فولى الرجل متعجباً يستهزئ بالإسلام، فاستقبله أمير المؤمنين (ع) فقال له: يا يهودي قد

عرفت ما سألت عنه، وما أجبت به، وأنا نقول:

إن الله عز وجل أين أين فلا أين له، وجل عن أن يحويه مكان، وهو في كل مكان، بغير محاسة

(١) عزب: غاب وخفي فهو «عازب».

ولا مجاورة ، يحيط علماً بها ، ^(١) ولا يخلق شيء من تدبيره تعالى ، وإنّ مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يصدق ما ذكرته لك فإن عرفته أتؤمن به ؟ قال اليهودي : نعم . قال :

الستم تجدون في بعض كتبكم : أنّ موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق ، فقال له : من أين جئت؟ قال : من عند الله وجاءه ملك آخر من المغرب فقال له : من أين جئت؟ فقال : من عند الله . ثم جاءه ملك فقال : من أين جئت؟ فقال : قد جئتكم من السماء السابعة من عند الله عز وجل وجاء ملك آخر قال : قد جئتكم من الأرض السابعة السفلى من عند الله عز وجل .

فقال موسى (ع) : سبحان من لا يخلو منه مكان ، ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان .

فقال اليهودي : أشهد أنّ هذا هو الحق المين ، وأنت أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه .

وروى الشعبي : أنه سمع أمير المؤمنين (ع) رجلاً يقول : «والذي احتجب بسبع طباق» فعلاه بالدرة ثم قال له :

يا ويلك ! إنّ الله أجل من أن يحتجب عن شيء ، أو يحتجب عنه شيء ، سبحان الذي لا يحويه مكان ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء !

فقال الرجل : فأكفر عن يميني يا أمير المؤمنين؟

قال : لم تحلف بالله فيلزمك كفارة ، فأنما حلفت بغيره .

وعن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : جاء خبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين (ع) فقال : يا أمير المؤمنين متى كان ربك؟

فقال له : ثكلتك أمك ومتى لم يكن حتى يقال : متى كان؟! كان ربي قبل القبل بلا قبل ، وبعد البعد بلا بعد ، ولا غاية ولا منتهى لغايته ، انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غاية .

فقال : يا أمير المؤمنين أفنبي أنت؟

فقال : ويلك إنما أنا عبد من عبيد محمد .

احتجاجه (ع) على اليهود من أحبارهم ممن قرأ الصحف والكتب في معجزات النبي (ص) وكثير من فضائله .

روي عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه (ع) عن الحسين بن علي (ع) قال : إنّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم كان قد قرأ التوراة والانجيل والزبور وصحف الأنبياء (ع) وعرف دلائلهم ، جاء إلى مجلس فيه أصحاب رسول الله (ص) وفيهم علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وأبو سعيد الجهني .

فقال : يا أمة محمد ما تركتم لنبي درجة ، ولا لمُرسل فضيلة ، الا أنحلتموها نبيكم ، فهل تحبونني عما أسألكم عنه ؟ فكأع القوم عنه^(١) .

فقال علي بن أبي طالب (ع) : نعم ما أعطى الله نبياً درجة ، ولا مرسلأ فضيلة ، إلا وقد جمعها لمحمد (ص) وزاد محمداً على الأنبياء أضعافاً مضاعفة .

فقال له اليهودي : فهل أنت محبي ؟

قال له : نعم ، سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله (ص) ما يقر الله به عين المؤمنين ، ويكون فيه إزالة لشك الشاكين في فضائله (ص) إنه كان اذا ذكر لنفسه فضيلة قال : « ولا فخره »^(٢) وأنا أذكر لك فضائله غير مزرر بالأنبياء ، ولا منتقص لهم ، ولكن شكراً لله على ما أعطى محمداً (ص) مثل ما أعطاهم ، وما زاده الله وما فضله عليهم .

قال له اليهودي : إني أسألك قاعد له جواباً .

قال له علي (ع) : هات !

قال اليهودي : هذا آدم (ع) أسجد الله له ملائكته ، فهل فعل لمحمد شيئاً من هذا ؟

فقال له علي (ع) : لقد كان كذلك ، أسجد الله لآدم ملائكته فان سجدوهم له لم يكن سجود طاعة ، وإنهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل ، ولكن اعترفوا بالفضيلة ، ورحمة من الله له ، ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من هذا ، إن الله عز وجل صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها ، وتعبد المؤمنون بالصلاة عليه فهذه زيادة يا يهودي .

قال له اليهودي : فان آدم (ع) تاب الله عليه بعد خطيئته ؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك ، ومحمد نزل فيه ما هو أكبر من هذا من غير ذنب أتى ، قال الله عز وجل : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾^(٣) إن محمداً غير مواف يوم القيامة بوزر ، ولا مطلوب فيها بذنب .

قال اليهودي : فإن هذا إدريس رفعه الله عز وجل مكاناً علياً ، وأطعمه من تحف الجنة بعد وفاته ؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك ، ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من هذا إن الله جل ثناؤه قال فيه : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾^(٤) فكفى بهذا من الله رفعة ، ولئن أطعم إدريس من تحف الجنة بعد وفاته ، فإن محمداً أطعم في الدنيا في حياته : بينما يتضور جوعاً فاتاه جبرئيل (ع) بجام من الجنة فيه تحفة ، فهلل الجاه وهللت التحفة في يده ، وسبّحوا ، وكبروا ، وحمداً ، فناولها أهل بيته ، ففعلت الجاه مثل ذلك ، فهم أن يناولها بعض أصحابه فتناولها جبرئيل (ع) وقال له : كلها فانها تحفة من الجنة أتخفك الله بها ، وإنها

(١) كأع القوم عنه : هابوه وجنبوا .

(٢) الفتح - ٢ .

(٣) الشرح - ٤ .

لا تصلح الا لنبي أو وصي نبي، فأكل منها (ص) وأكلنا معه، وإني لأجد حلاوتها ساعتي هذه.

قال اليهودي: فهذا نوح (ع) صبر في ذات الله تعالى، وأعذر قومه إذ كذب؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) صبر في ذات الله عز وجل فأعذر قومه إذ كذب، وشرد، وحصب بالحصا، وعلاه أبو لهب بسلا ناقة وشاة، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جابيل ملك الجبال: أن شق الجبال وانته إلى أمر محمد! فأتاه فقال: إني أمرت لك بالطاعة فان أمرت أن اطبق عليهم الجبال فأهلكتهم بها، قال (ص): «إنما بعثت رحمة، رب اهد أمتي فانهم لا يعلمون» ويحك يا يهودي إن نوحاً لما شاهد غرق قومه رق عليهم رقة القربة، وأظهر عليهم شفقة فقال: ﴿رب إن ابني من أهلي﴾^(١) فقال الله تعالى: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾^(٢) أراد جل ذكره أن يسليه بذلك، ومحمد (ص) لما غلبت عليه من قومه المعاندة شهر عليهم سيف النعمة، ولم تدركه فيهم رقة القربة، ولم ينظر إليهم بعين رحمة.

فقال اليهودي: فان نوحاً دعا ربه، فغطت السماء بماء منهمر؟

قال له (ع): لقد كان كذلك، وكانت دعوته دعوة غضب، ومحمد (ص) هطلت له السماء بماء منهمر رحمة، وذلك أنه (ص) لما هاجر إلى المدينة أتاه أهلها في يوم جمعة فقالوا له: يا رسول الله (ص) احتبس القطر، واصفر العود، وتهاقت الورق، فرفع يده المباركة حتى رئي بياض إبطه، وما ترى في السماء سحابة، فما برح حتى سقاهم الله حتى أن الشاب المعجب بشبابه لمعته نفسه في الرجوع إلى منزله فما يقدر على ذلك من شدة السيل، فدام اسبوعاً، فأتوه في الجمعة الثانية فقالوا: يا رسول الله تهدمت الجدر، واحتبس الركب والسفر، فضحك (ص) وقال: هذه سرعة ملالة ابن آدم، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم في اصول الشيع ومراتع البقع»^(٣) فرثي حوالى المدينة المطريق قطر قطراً، وما يقع بالمدينة قطرة لكرامته (ص) على الله عز وجل.

قال له اليهودي: فإن هذا هود قد انتصر الله له من أعدائه بالريح، فهل فعل لمحمد (ص) شيئاً من هذا؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) اعطى ما هو أفضل من هذا إن الله عز وجل قد انتصر له من أعدائه بالريح يوم الخندق، إذ أرسل عليهم ريحاً تذرو الحصى، وجنوداً لم يروها، فزاد الله تعالى محمداً (ص) بشمانية ألف ملك، وفضله على هود: بأن ريح عاد ريح مسخط، وريح محمد ريح رحمة، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً

(١) هود - ٤٥.

(٢) هود - ٤٦.

(٣) الشيخ نبات أنواعه كثيرة، كل طيب الرائحة. والمراتب جمع مرتع وهو موضع الرنع أي: الحصب. والبقع جمع بقعة: القطعة من الأرض.

وجنوداً لم تروها^(١) ﴿

قال له اليهودي : فهذا صالح أخرج الله له ناقة جعلها لقومه عبرة؟

قال علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من ذلك، إن ناقة صالح لم تكلم صالحاً، ولم تناطقه، ولم تشهد له بالنبوة، ومحمد (ص) بينما نحن معه في بعض غزواته إذ هو بيعير قد دنا، ثم رغا فأنطقه الله عز وجل فقال : «يا رسول الله فلان استعملني حتى كبرت، ويريد نحري، فأنا أستعيز بك منه» فأرسل رسول الله (ص) إلى صاحبه فاستوهبه منه، فوهبه له وخلاه. ولقد كنا معه فإذا نحن بأعرابي معه ناقة له يسوقها، وقد استسلم للقطع لما زور عليه من الشهود فنطقت الناقة فقالت : «يا رسول الله إن فلاناً مني بريء، وإن الشهود يشهدون عليه بالزور، وإن سارقي فلان اليهودي».

قال له اليهودي : فان هذا إبراهيم قد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله تعالى وأحاطت دلالة بعلم

الإيمان؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، وأعطي محمد أفضل منه، وتيقظ إبراهيم وهو ابن خمسة عشر سنة ومحمد ابن سبع سنين، قدم تجار من النصارى فنزلوا بتجارهم بين الصفا والمروة، فنظر إليه بعضهم فعرفه بصفته ورفعته، وخبر مبعثه وآياته، فقالوا:

يا غلام ما اسمك؟ قال : محمد. قالوا: ما اسم أبيك؟ قال : عبد الله.

قالوا: ما اسم هذه؟ وأشاروا بأيديهم إلى الأرض - قال : الأرض. قالوا: وما اسم هذه؟ - وأشاروا بأيديهم إلى السماء - قال : السماء. قالوا: فمن ربها؟ قال : الله. ثم انتهرهم وقال : أتشككوني في الله عز وجل؟!

ويحك يا يهودي لقد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله عز وجل مع كفر قومه إذ هو بينهم : يستقسمون بالأزلام، ويعبدون الأوثان، وهو يقول : لا إله إلا الله.

قال له اليهودي : فان إبراهيم (ع) حجب عن ثمرود بحجب ثلاث؟

قال علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمد (ص) حجب عمن أراد قتله بحجب خمس، فثلاثة بثلاثة واثان بفضل، قال الله عز وجل - وهو يصف أمر محمد (ص) - : ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا﴾ فهذا الحجاب الأول ﴿ومن خلفهم سدا﴾ فهذا الحجاب الثاني ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾^(٢) فهذا الحجاب الثالث ثم قال : ﴿إذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾^(٣) فهذا الحجاب الرابع ثم قال : ﴿فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ فهذا حجب خمس.

قال له اليهودي : فان هذا إبراهيم قد بهت الذي كفر ببرهان نبوته؟

قال علي (ع) : لقد كان كذلك ، ومحمد (ص) أتاه مكذب بالبعث بعد الموت وهو : أبي بن خلف الجمحي معه عظم نخر ففركه ثم قال : يا محمد ﴿من يحيى العظام وهي رميم﴾^(١) ؟ فأنطق محمداً بحكم آياته ، وبهتة ببرهان نبوته ، فقال : ﴿يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾^(٢) فأنصرف مبهوراً .

قال له اليهودي : فهذا إبراهيم جذ أصنام^(٣) قومه غضباً لله عز وجل ؟
قال علي (ع) : لقد كان كذلك ، ومحمد (ص) قد نكس عن الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً ، ونفاها عن جزيرة العرب ، وأذل من عبدها بالسيف .

قال له اليهودي : فإن إبراهيم قد أضجع ولده وتله للجبين^(٤) ؟
فقال علي (ع) : لقد كان كذلك ، ولقد أعطي إبراهيم بعد الاضطجاع الفداء ، ومحمد أصيب بأفجع منه فجيعة إنه وقف على عمه حمزة أسد الله ، وأسد رسوله وناصر دينه ، وقد فرق بين روحه وجسده ، فلم يبق عليه حرقة ، ولم يفض عليه عبرة ، ولم ينظر إلى موضعه من قلبه وقلوب أهل بيته ليرضي الله عز وجل بصبره ويستسلم لأمره في جميع الفعال ، وقال (ص) : لولا أن تحزن صفية لتركته حتى يحشر من بطون السباع ، وحواصل الطير ، ولولا أن يكون سنة بعدي لفعلت ذلك .

قال له اليهودي : فإن إبراهيم (ع) قد أسلمه قومه إلى الحريق فصبر فجعل الله عز وجل عليه برداً وسلاماً^(٥) فهل فعل بمحمد شيئاً من ذلك ؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك ، ومحمد (ص) لما نزل بخير سمته الخيرية فصير الله السم في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله ، فالسم يحرق إذا استقر في الجوف كما أن النار تحرق ، فهذا من قدرته لا تنكره .

قال له اليهودي : فإن هذا يعقوب (ع) أعظم في الخير نصيباً إذ جعل الأسباط من سلالة صلبه ، ومريم بنت عمران من بناته ؟

قال علي (ع) : لقد كان كذلك ، ومحمد (ص) أعظم في الخير نصيباً إذ جعل فاطمة سيدة نساء العالمين من بناته ، والحسن والحسين من حفدته .

قال له اليهودي : فإن يعقوب (ع) قد صبر على فراق ولده حتى كاد يمرض^(٦) من الحزن .

(١) يس - ٧٨ .

(٢) يس - ٧٩ .

(٣) جذ أصنامهم استأصلها إشارة إلى قوله تعالى : ﴿فجعلهم جذاً﴾ أي ثنائاً مستأصلين .

(٤) تله : قال تعالى : ﴿وتله للجبين﴾ أي صرعه ، وهو كقولهم كبه لوجهه .

(٥) قال تعالى : ﴿وقلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وآل إبراهيم﴾

(٦) يمرض : يهلك .

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، حزن يعقوب حزناً بعده تلاق، ومحمد (ص) قبض ولده إبراهيم (ع) قرة عينه في حياته منه، فخصه بالاختيار، ليعلم له الإدخار فقال (ص) : يحزن النفس، ويجزع القلب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول ما يسخط الرب، في كل ذلك يؤثر الرضا عن الله عز وجل والاستسلام له في جميع الفعال.

قال له اليهودي : فان هذا يوسف قاسى مرارة الفقرة، وحبس في السجن توقياً للمعصية، وألقي في الحب وحيداً؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمد (ص) قاسى مرارة الغربة، وفراق الأهل والأولاد والمال، مهاجراً من حرم الله تعالى وأمنه، فلما رأى الله عز وجل كآبته واستشعاره والحزن، أراه تبارك اسمه رؤياً توازي رؤيا يوسف في تأويلها وأبان للعالمين صدق تحديقها، فقال ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون﴾^(١) ولئن كان يوسف (ع) حبس في السجن، فلقد حبس رسول الله نفسه في الشعب ثلاث سنين، وقطع منه أقاربه وذوو الرحم وأجأوه إلى أضيق المضيق، ولقد كادهم الله عز ذكره له كيداً مستبيناً إذ بعث أضعف خلقه فأكل عهدهم الذي كتبوه بينهم في قطيعة رحمهم، ولئن كان يوسف ألقى في الحب، فلقد حبس محمد نفسه مخافة عدوه في الغار حتى قال لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا، ومدحه إليه بذلك في كتابه.

فقال له اليهودي : فهذا موسى بن عمران أتاه الله عز وجل التوراة التي فيها حكمه؟

قال له علي (ع) : فلقد كان كذلك، ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل منه أعطي محمد البقرة وسورة المائدة، بالانجيل، وطواسين وطه ونصف المفصل والحواميم بالتوراة، وأعطي نصف المفصل والتسايح، بالزبور، وأعطي سورة بني إسرائيل وبراءة، بصحف إبراهيم وموسى (ع)، وزاد الله عز وجل محمداً السبع الطوال^(٢) وفاتحة الكتاب^(٣) وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وأعطي الكتاب والحكمة.

قال له اليهودي : فان موسى ناجاه الله على طور سيناء؟

فقال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ولقد أوحى الله إلى محمد (ص) عند سدره المنتهى، فمقامه في السماء محمود، وعند منتهى العرش مذكور.

قال اليهودي : فلقد ألقى الله على موسى بن عمران محبة منه؟

قال علي (ع) : لقد كان كذلك، وقد أعطي محمد (ص) ما هو أفضل من هذا، لقد ألقى الله محبة

(١) الفتح - ٢٧.

(٢) السبع الطوار من البقرة إلى الأعراف، والسابعة سورة يونس، أو الانفال وبراءة لأنها سورة واحدة عند بعض.

(٣) هي سورة الحمد.

منه فمن هذا الذي يشركه في هذا الاسم إذ تم من الله به الشهادة فلا تتم الشهادة الا أن يقال : «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» ينادى به على المنابر فلا يرفع صوت بذكر الله الا رفع بذكر محمد (ص) معه .

قال له اليهودي : فلقد أوحى الله إلى أم موسى لفضل منزلة موسى (ع) عند الله .

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك ، ولقد لطف الله جل ثناؤه لأم محمد (ص) بأن أوصل إليها اسمه ، حتى قالت : أشهد والعالمون أن محمداً رسول الله منتظر ، وشهد الملائكة على الأنبياء أنهم أثبتوه في الأسفار ، وبلطف من الله ساقه إليها ، وأوصل إليها اسمه لفضل منزلته عنده ، حتى رأت في المنام أنه قيل لها : إن ما في بطنك سيد فاذا ولدته فسميه محمداً ، فاشتق الله له اسماً من أسمائه ، فאלله المحمود وهذا محمد .

قال له اليهودي : فإن هذا موسى بن عمران قد أرسله الله إلى فرعون وأراه الآية الكبرى؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك ، ومحمد أرسل إلى فراعنة شتى ، مثل أبي جهل بن هشام ، وعتبة ابن ربيعة ، وشيبة ، وأبي البختري ، والنضر بن الحرث ، وأبي بن خلف ، ومنبه ونبیه ابني الحجاج ، وإلى الخمسة المستهزئين : الوليد بن المغيرة المخزومي ، والعاص بن وائل السهمي ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، والأسود بن المطلب ، والحرث بن أبي الطلالة ، فأراهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .

قال له اليهودي : لقد انتقم الله عز وجل لموسى من فرعون؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك ، ولقد انتقم الله جل اسمه لمحمد (ص) من الفراعنة ، فأما المستهزئون فقال الله : ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾^(١) فقتل الله خمسهم كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه في يوم واحد .

فأما الوليد بن المغيرة : فمر بنبل لرجل من خزاعة قد رآه^(٢) ووضع في الطريق فأصابه شظية^(٣) منه فانقطع أكحل^(٤) حتى أدماه ، فمات وهو يقول : «قتلني رب محمد» .

وأما العاص ابن وائل السهمي : فانه خرج في حاجة له إلى موضع فتدهده^(٥) تحته حجر ، فسقط فنقطع قطعة قطعة ، فمات وهو يقول : «قتلني رب محمد» .

وأما الأسود بن عبد يغوث : فانه خرج يستقبل ابنه زمعة ، فاستظل بشجرة ، فأتاه جبرئيل فأخذ رأسه فتنطح به الشجرة ، فقال لغلامه : امنع هذا عني ! فقال : ما أرى أحداً يصنع شيئاً الا نفسك ، فقتله وهو يقول : «قتلني رب محمد» .

(٢) رآه السهم : الزق عليه الریش .

(٤) الأكحل : عرق في اليد يفصد .

(١) الحجر - ٩٥ .

(٣) الشظية : الفلقة من المعص ونحوها .

(٥) تدهده : تدهرج .

وأما الأسود بن الحرث : فإنَّ النبي (ص) دعا عليه أن يعمي الله بصره ، وأن يشكله ولده ، فلما كان في ذلك اليوم خرج حتى صار إلى موضع أتاه جبرئيل بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي فبقي حتى أكله الله ولده .

وأما الحرث بن أبي الطلالة : فانه خرج من بيته في السموم فتحول حبشياً ، فرجع إلى أهله فقال : أنا الحرث ، فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول : « قتلني رب محمد » .

وروي أنَّ الأسود بن الحرث أكل حوتاً ملحاً فأصابه غلبة العطش ، فلم يزل يشرب الماء حتى انشقق بطنه ، فمات وهو يقول : « قتلني رب محمد »^(١) .

كل ذلك في ساعة واحدة ، وذلك أنهم كانوا بين يدي رسول الله (ص) فقالوا له : يا محمد ننتظر بك إلى الظهر فان رجعت عن قولك والا قتلناك ، فدخل النبي (ص) منزله فأغلق عليه بابه مغتماً لقولهم ، فأتاه جبرئيل عن الله من ساعته فقال :

يا محمد السلام يقرأ عليك السلام وهو يقول لك : ﴿ اصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾^(٢) يعني أظهر أمرك لأهل مكة ، وادعهم إلى الإيمان ، قال : يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدوني ؟ قال له : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ قال : يا جبرئيل كانوا الساعة بين يدي قال : كفيتهم ، وأظهر أمره عند ذلك .

وأما بقية الفراعنة : قتلوا يوم بدر بالسيف ،^(٣) فهزم الله الجميع وولوا الدبر .

قال له اليهودي : فإنَّ هذا موسى بن عمران قد أُعطي العصا فكان تحول ثعبانا ؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك ، ومحمد (ص) أُعطي ما هو أفضل من هذا ، إن رجلاً كان يطالب أبا جهل بدين ثمن جزور قد اشتراه ، فاشتغل عنه وجلس يشرب ، فطلبه الرجل فلم يقدر عليه ، فقال له بعض المستهزئين : من تطلب ؟ فقال : عمرو بن هشام - يعني أبا جهل - لي عليه دين ، قال : فأذلك عل من يستخرج منه الحقوق ؟ قال : نعم .

فدله على النبي (ص) وكان أبو جهل يقول : ليت لمحمد إلى حاجة فأسخر به وأرده ، فأق الرجل النبي (ص) فقال : يا محمد بلغني أنَّ بينك وبين عمرو بن هشام حسن صداقة ، وأنا استشفع بك إليه ، فقام معه رسول الله (ص) فأق بابه ، فقال له : قم يا أبا جهل فأد إلى الرجل حقه ، وإنما كناه بأبي جهل ذلك اليوم ، فقام مسرعاً حتى أدى إليه حقه ، فلما رجع إلى مجلسه قال له بعض أصحابه : فعلت ذلك فرقاً

(١) الظاهر أن هذا الكلام للمؤلف رحمه الله ادخله في الخبر .

(٢) الحجر - ٩٤ .

(٣) روي عن ابن مسعود قال : كنا مع النبي (ص) فصل في ظل الكعبة ، وناس من قريش وأبوجهل نحروا جزوراً في ناحية مكة ، فبعثوا وجاءوا بسلا فطرحوه بين كتفيه ، فجاءت فاطمة (ع) فطرحته عنه ، فلما انصرف قال : اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بأبي جهل ، وبعثة ، وشيبة ، ووليد بن عتبة ، ولابية بن خلف ، وبعثة بن أبي معيط ، قال عبد الله ولقد رأيتهم قتل في قلب بدر .

من محمد^(١) قال: ويحكم اعذروني، إنه لما أقبل رأيت عن يمينه رجالاً معهم^(٢) حراب تتلأأ. وعن يساره ثعابين تصطك أسنانها، وتلمع النيران من أبصارهما، لو امتنعت لم آمن أن يبعجوا بالحراب بطني^(٣) وتقضمني الثعبانان.

هذا أكبر مما أعطي موسى، وزاد الله محمداً ثعباناً وثمانية أملاك معهم الحراب، ولقد كان النبي (ص) يؤذي قريشاً بالدعاء، فقام يوماً فسفه أحلامهم، وعاب دينهم، وشتم أصنامهم، وضلل آباءهم فاغتنموا من ذلك غماً شديداً، فقال أبو جهل: والله للموت خير لنا من الحياة، فليس فيكم معاشر قريش أحد يقتل محمداً فيقتل به، قالوا: لا. قال: فأنأ أقتله فإن شاءت بنو عبد المطلب قتلوني به، والا تركوني، قال: إنك إن فعلت ذلك اصطنعت إلى أهل الوادي معروفاً لا تزال تذكر به، قال: إنه كثير السجود حول الكعبة، فإذا جاء وسجد أخذت حجراً فشدخته^(٤) به.

فجاء رسول الله (ص) فطاف بالبيت أسبوعاً، ثم صلى وأطال السجود، فأخذ أبو جهل حجراً فأنه من قبل رأسه، فلما أن قرب منه أقبل فحبل من قبل رسول الله (ص) فاغراً فان نحوه، فلما أن رآه أبو جهل فزع منه وارتعدت يده، وطرح الحجر فشده زجله، فرجع مدمى، متغير اللون، يفيض عرقاً. فقال له أصحابه: ما رأيك كاليم؟ قال: ويحكم اعذروني! فإنه أقبل من عنده فحبل فاغراً فاه فكاد يتلعني، فرميت بالحجر فشدهت رجلي.

قال اليهودي: فإن موسى قد أعطي اليد البيضاء، فهل فعل بمحمد شيئاً من ذلك؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من هذا، إن نوراً كان يضيء عن يمينه حيثما جلس، وعن يساره حيثما جلس، وكان يراه الناس كلهم.

قال له اليهودي: فإن موسى (ع) قد ضرب له طريق في البحر، فهل فعل بمحمد شيء من هذا؟

فقال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد أعطي ما هو أفضل من هذا، خرجنا معه إلى حنين فاذا نحن بواد يشخب، فقدرناه فاذا هو أربعة عشر قامة، فقالوا: يا رسول الله العدو وراءنا والوادي أمامنا، كما قال أصحاب موسى، «إنا لمدركون» فنزل رسول الله ثم قال: «اللهم إنك جعلت لكل مرسل دلالة، فأرني قدرتك» وركب صلوات الله عليه فعبرت الخيل لا تندي حوافرها، والابل لا تندي أخفافها، فرجعنا فكان فتحنا.

قال له اليهودي: فإن موسى (ع) قد أعطي الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً.

قال علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) لما نزل الحديبية وحاصره أهل مكة، قد أعطي ما هو أفضل من ذلك، وذلك: أن أصحابه شكوا إليه الظماً وأصابهم ذلك حتى التفت خواصر الخيل،

(١) فرقا: فرعا.

(٢) في بعض النسخ: «بأيديهم».

(٣) يبعجوا - يفتح العين - يشقوا.

(٤) الشدخ: كسر الشيء الأجوف.

فذكروا له (ص)، فدعا بركة يمانية ثم نصب يده المباركة فيها، فتفجرت من بين أصابعه عيون الماء، فصدرنا وصدرت الخيل رواء، وملأنا كل مزادة وسقاء.

ولقد كنا معه بالحديبية فإذا ثم قليب جافة، فأخرج (ع) سهماً من كنانته، فناوله البراء بن عازب وقال له: اذهب بهذا السهم إلى تلك القليب الجافة فاغرسه فيها، ففعل ذلك فتفجرت اثنتا عشرة عيناً من تحت السهم.

ولقد كان يوم الميضة عبرة وعلامة للمنكرين لنبونه، كحجر موسى حيث دعا بالمیضة فنصب يده فيها فغاضت الماء وارتفع، حتى توضع منه ثمانية آلاف رجل فشرّبوا حاجتهم، وسقوا دوابهم، وحملوا ما أرادوا.

قال اليهودي: فإن موسى (ع) أعطي المن والسلوى فهل أعطي لمحمد نظير هذا.

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من هذا، إن الله عز وجل أحل له الغنائم ولأمته، ولم يحل للغنائم لأحد غيره قبله، فهذا أفضل من المن والسلوى، ثم زاده أن جعل النية له ولأمته بلا عمل عملاً صالحاً ولم يجعل لأحد من الأمم ذلك قبله، فإذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرة.

قال له اليهودي: إن موسى (ع) قد ظلل عليه الغمام؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، وقد فعل ذلك بموسى في التيه، وأعطي محمد (ص) أفضل من هذا، إن الغمامة كانت نظله من يوم ولد إلى يوم قبض في حضره وأسفاره. فهذا أفضل مما أعطي موسى.

قال له اليهودي: فهذا داوود (ع) قد لىن الله له الحديد، فعمل منه الدروع؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) قد أعطي ما هو أفضل من هذا، إنه لىن الله له الصم الصبور الصلب وجعلها غاراً،^(١) ولقد غارت الصخرة تحت يده ببيت المقدس لينة حتى صارت كهيئة العجين،^(٢) وقد رأينا ذلك والتمسناه تحت رايته.

قال له اليهودي: هذا داوود بكى على خطيئته حتى سارت الجبل معه لخوفه.

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) أعطي ما أفضل من هذا إنه كان إذا قام إلى الصلاة سمع لصدره وجوفه أريز كأريز الرجل على الأثافي من شدة البكاء،^(٣) وقد آمنه الله عز وجل من عقابه، فأراد أن يتخشع لربه ببكائه فيكون إماماً لمن اقتدى به، ولقد قام (ص) عشر سنين على أطراف

(١) يظهر من هذا الكلام أن الغار أحدث لرسول الله (ص) ولم يكن من قبل.

(٢) وذلك ليلة المعراج.

(٣) الأريز: وهو أن يحش جوفه ويغلي بالبكاء. والمرجل - كمبر - : القدر والأثافي: الأحجار التي يوضع عليها القدر.

أصابه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه، يقوم الليل أجمع، حتى عوتب في ذلك فقال الله عز وجل: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾^(١) بل لتسعد به، ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه، فقيل له: يا رسول الله أليس الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: بلى، أفلا أكون عبداً شكوراً.

ولئن سارت الجبال وسبحت معه لقد عمل بمحمد (ص) ما هو أفضل من هذا: إذ كنا معه على جبل حراء إذ تحرك الجبل فقال له: ﴿قر فانه ليس عليك الا نبي أو صديق شهيد﴾ فقر الجبل مطيعاً لأمره ومنتهياً إلى طاعته، ولقد مررنا معه بجبل وإذا الدموع تخرج من بعضه، فقال له النبي (ص): «ما يبكيك يا جبل؟» فقال: يا رسول الله كان المسيح مربي وهو يخوف الناس من نار وقودها الناس والحجارة، وأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة، قال له: «لا تخف تلك الحجارة الكبرى» فقر الجبل وسكن وهذا وأجاب لقوله (ص).

قال له اليهودي: فان هذا سليمان أعطي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده؟

فقال علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من هذا إنه هبط إليه ملك لم يهبط إلى الأرض قبله، وهو: ميكائيل فقال له: يا محمد عش ملكاً منعماً وهذه مفاتيح خزائن الأرض معك، ويسير معك جبالها ذهباً وفضة، ولا ينقص لك مما ادخلتك في الآخرة شيء، فأومى إلى جبرئيل - وكان خليله من الملائكة - فأشار عليه: أن تواضع فقال له: بل أعيش نبياً عبداً آكل يوماً ولا آكل يومين، وألحق باخواني من الأنبياء، فزاده الله تبارك وتعالى الكوثر وأعطاء الشفاعة، وذلك أعظم من ملك الدنيا من أولها إلى آخرها سبعين مرة، ووعدته المقام المحمود، فإذا كان يوم القيامة أقعده الله عز وجل على العرش، فهذا أفضل مما أعطي سليمان.

قال له اليهودي: فإن هذا سليمان قد سخرت له الرياح، فسارت به في بلاده غدوها شهر ورواحها شهر؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من هذا: إنه سري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وخرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام، في أقل من ثلث ليلة، حتى انتهى إلى ساق العرش، فدنى بالعلم فتدلى من الجنة وفرف أخضر، وغشى النور بصره فرأى عظمة ربه عز وجل بفؤاده، ولم يرها بعينه، فكان كقاب قوسين بينه وبينها أو أدنى، فأوحى الله إلى عبده ما أوحى، وكان قتيلاً أوحى إليه: الآية التي في سورة البقرة قوله: ﴿الله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾^(٢).

ركانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم (ع) إلى أن بعث الله تبارك وتعالى محمداً، وعرضت على الأمم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها، وقبلها رسول الله وعرضها على أمته فقبلوها، فلما رأى

الله تبارك وتعالى منهم القبول علم أنهم لا يطيقونها فلما أن سار إلى ساق العرش كرّر عابه الكلام ليفهمه، فقال: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه - فأجاب (ص) مجيباً عنه وعن أمته - والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحدٍ من رسله﴾^(١) فقال جلّ ذكره: لهم الجنة والمغفرة على أن فعلوا ذلك، فقال النبي (ص): أما إذا فعلت ذلك بنا، فغفرانك ربنا واليك المصير، يعني المرجع في الآخرة.

قال: فأجابه الله عز وجل قد فعلت ذلك بك وبأمتك، ثم قال عز وجل: أما إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الأمم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها أمتك حق عليّ أن أرفعها عن أمتك وقال: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت - من خير - وعليها ما اكتسبت﴾^(٢) من شر فقال النبي (ص): لما سمع - ذلك: أما إذا فعلت ذلك بي وبأمتي فزدني قال: سل، قال: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾^(٣) قال الله عز وجل: لست أوأخذ أمتك بالنسيان والخطأ لكرامتك عليّ، وكانت الأمم السالفة إذا نسوا ما ذكروا به فتحت عليهم أبواب العذاب، وقد دفعت ذلك عن أمتك وكانت الأمم السالفة إذا أخطأوا أخذوا بالخطأ وعوقبوا عليه. وقد رفعت ذلك عن أمتك لكرامتك عليّ.

فقال (ص): «اللهم إذا أعطيتني ذلك فزدني» قال الله تبارك وتعالى له: سل، قال: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾^(٤) يعني بالإصر: الشدائد التي كانت على من كان من قبلنا، فأجابه الله عز وجل إلى ذلك، وقال تبارك اسمه: قد رفعت عن أمتك الأصار التي كانت على الأمم السالفة كنت لا أقبل صلاتهم إلا في بقاع معلومة من الأرض اخترتها لهم وإن بعدت، وقد جعلت الأرض كلها لأمتك مسجداً وطهوراً، فهذه من الأصار التي كانت على الأمم قبلك فرفعتها عن أمتك، وكانت الأمم السالفة إذا أصابهم أذى من نجاسة قرضوه من أجسادهم، وقد جعلت الماء لأمتك طهوراً، فهذا من الأصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمتك، وكانت الأمم السالفة تحمل قرايينها على أعناقها إلى بيت المقدس، فمن قبلت ذلك منه أرسلت عليه ناراً فأكلته فرجع مسروراً، ومن لم أقبل منه ذلك رجع مشبوراً^(٥) وقد جعلت قربان أمتك في بطون فقرائها ومساكينها فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له أضعافاً مضاعفة، ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن أمتك، وهي من الأصار التي كانت على الأمم من كان من قبلك، وكانت الأمم السالفة صلواتها مفروضة عليها في ظلم الليل وأنصاف النهار، وهي من الشدائد التي كانت عليهم، فرفعتها عن أمتك وفرضت صلاتهم في أطراف الليل والنهار، وفي أوقات نشاطهم.

وكانت الأمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً وهي من الأصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن أمتك وجعلتها خمساً في خمسة أوقات، وهي إحدى وخمسون ركعة، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة، وكانت الأمم السالفة حستهم بحسنة وسيئتهم بسيئة وهي من الأصار التي كانت

(١) البقرة - ٨٥.

* (٢، ٣، ٤) البقرة - ٢٨٦.

(٥) المشور: الخائب.

عليهم، فرفعتها عن امتك وجعلت الحسنة بعشرة والسيئة بواحدة وكانت الأمم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة فلم يعملها لم تكتب له، وإن عملها كتبت له حسنة، وإن أمتك إذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشرة، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمتك، وكانت الأمم السالفة إذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت عليه سيئة، وإن أمتك إذا هم أحدهم بسيئة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، وهذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن امتك.

وكانت الأمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم، وجعلت توبتهم من الذنوب: أن حرمت عليهم بعد التوبة أحب الطعام إليهم، وقد رفعت ذلك عن أمتك وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم وجعلت عليهم ستوراً كثيفة، وقبلت توبتهم بلا عقوبة، ولا أعاقبهم بأن أحرم عليهم أحب الطعام إليهم، وكانت الأمم السالفة يتوب أحدهم إلى الله من الذنب الواحد مائة سنة، أو ثمانين سنة، أو خمسين سنة، ثم لا أقبل توبته دون أن أعاقبه في الدنيا بعقوبة، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمتك، وإن الرجل من أمتك ليدنس عشرين سنة، أو ثلاثين سنة، أو أربعين سنة، أو مائة سنة ثم يتوب ويندم طرفة عين فأغفر ذلك كله.

فقال النبي (ص): إذا أعطيتني ذلك كله فردني قال: سل، قال: ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾^(١) قال تبارك اسمه: قد فعلت ذلك بأمتك، وقد رفعت عنهم عظم بلايا الأمم، وذلك حكمي في جميع الأمم: أن لا أكلف خلقاً فوق طاقتهم، فقال النبي (ص): ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا﴾^(٢) قال الله عز وجل: قد فعلت ذلك بتائب أمتك ثم قال (ص): ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾^(٣) قال الله جل اسمه: إن أمتك في الأرض كالشامة البيضاء في الثور الأسود، هم القادرون، وهم القاهرون، يستخدمون ولا يُستخدمون، لكرامتك عليّ، وحق عليّ أن أظهر دينك على الأديان، حتى لا يبقى في شرق الأرض وغربها دين إلا دينك، ويؤدون إلى أهل دينك الجزية.

قال اليهودي: فإن هذا سليمان سخرت له الشياطين، يعملون له ما يشاء: من محاريب، ومناويل؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ولقد أعطي محمد (ص) أفضل من هذا إن الشياطين سخرت لسليمان وهي مقيمة على كفرها، ولقد سخرت لنبوة محمد (ص) الشياطين بالآيمان، فأقبل إليه من الجنة التسعة من أشرفهم، واحد من جن نصيبين، والثمان من بني عمرو بن عامر من الأحبة^(٤) منهم شضاء، ومضاء^(٥) والمملكان، والمرزبان، والمازمان، ونضاه، وهاضب، وهضب وعمرو، وهم الذين يقول الله تبارك اسمه فيهم: ﴿واذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾^(٦) وهم التسعة،

(١) البقرة - ٢٨٦.

(٢) الأحبة - جمع حبيج - أي الذين يقيمون الحج وفي بعض النسخ: «الأحبة» أي: الرؤساء.

(٣) وفي بعض النسخ: «شضاء ومضاء».

(٤) الأحقاب - ٢٩.

فأقبل إليه الجن والنبي (ص) ببطن النخل فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظنتم أن لن يبعث الله أحداً، ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على: الصوم، والصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد، ونصح المسلمين، واعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً، وهذا أفضل مما أعطي سليمان، فسبحان من سخرها لنبوة محمد (ص) بعد أن كانت تتمرد، وتزعم أن لله ولداً، ولقد شمل مبعثه من الجن والإنس ما لا يحصى.

قال له اليهودي: هذا يحيى بن زكريا (ع) يقال: إنه أوتي الحكم صبياً والحلم، والفهم، وأنه كان يبكي من غير ذنب، وكان يواصل الصوم؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من هذا. إن يحيى بن زكريا كان في عصر لا أوثان فيه ولا جاهلية، ومحمد (ص) أوتي الحكم والفهم صبياً بين عبدة الأوثان، وحزب الشيطان، فلم يرغب لهم في صنم قط ولم ينشط لأعيادهم، ولم ير منه كذب قط، وكان أميناً، صدوقاً، حليماً، وكان يواصل الصوم الأسبوع والأقل والأكثر فيقال له في ذلك فيقول: إني لست كأحدكم إني

أظل عند ربي، فيطعمني، ويسقيني، وكان يبكي (ص) حتى تبطل بمصلاه خشية من الله عز وجل من غير جرم. ١- الأسبوع وسابعه منصوص والثالث فاعلموا دروس من شرح التمهيد ١٠٩٠ وما قبله
الصوم رعباً والنفس الطامع ظام لا يرضى الأسبوع
قال له اليهودي: فإن هذا عيسى بن مريم يزعمون: أنه تكلم في المهد صبياً؟

قال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) سقط من بطن أمه واضعاً يده اليسرى على الأرض، ورافعاً يده اليمنى إلى السماء، بحرك شفتيه بالتوحيد وبدا من فيه نور رأى أهل مكة منه قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من إسطخر وما يليها، ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي (ص) حتى فزعت الجن والإنس والشياطين، وقالوا حدث في الأرض حدث، ولقد رأى الملائكة ليلة ولد تصعد وتنزل، وتسبح وتقديس، وتضطرب النجوم وتنساقط، علامة لميلاده.

ولقد هم إبليس بالظعن في السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة والشياطين يسترقون السمع، فلما رأوا العجائب أرادوا أن يسترقوا السمع، فإذا هم قد حجبوا من السماوات كلها، ورموا بالشهب، دلالة^(١) لنبوته (ص).

قال له اليهودي: فإن عيسى (ع) يزعمون أنه قد أبرأ الأكمة والأبرص باذن الله؟

فقال له علي (ع): لقد كان كذلك، ومحمد (ص) أعطي ما هو أفضل من ذلك: أبرأ ذا العاهة من عاهته، وبينما هو جالس عن (ص) إذ سأل رجل من أصحابه فقالوا: يا رسول الله إنه قد صار من البلاء كهية الفرخ الذي لا ريش عليه فاتاه (ص) فإذا هو كهية الفرخ من شدة البلاء، فقال له: قد كنت تدعوني صحتك دعاء؟ قال: نعم كنت أقول: «يا رب أيما عقوبة أنت معاقبي بها في الآخرة فاجعلها لي

(١) في بعض النسخ: «جلالة».

في الدنيا فقال له النبي (ص) ألا قلت : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
فقال الرجل فكأنما نشط من عقل، وقام صحيحاً وخرج معنا.

ولقد أتاه رجل من جهينة أجذم يتقطع من الجذام فشكا إليه (ص)، فأخذ قدحاً من ماء فتفل
عليه، ثم قال : امسح جسديك ففعل فبريء حتى لم يوجد عليه شيء ولقد أتى النبي بأعرابي أبرص فتفل
(ص) من فيه عليه فما قام من عنده الا صحيحاً.

ولئن زعمت أن عيسى أبرأ إذا العاهات من عاهاتهم، فإنَّ محمداً (ص) بينما هو في أصحابه إذ هو
بامرأة فقالت : يا رسول الله إن ابني قد أشرف على خياض الموت كلما أتته بطعام وقع عليه الثأوب،
فقام النبي (ص) وقمنا معه فلما أتينا قال له : جانب يا عدو الله ولي الله، فأنا رسول الله، فجانبه
الشیطان فقام صحيحاً وهو معنا في عسكرنا.

ولئن زعمت أن عيسى أبرأ العميان فإنَّ محمداً قد فعل ما هو أكبر من ذلك : إن قتادة بن ربيع كان
رجلاً صحيحاً فلما أن كان يوم أحد أصابته طعنة في عينه فبدرت حدفته، ^(١) فأخذها بيده ثم أتى بها إلى
النبي (ص) فقال : يا رسول الله إن امرأتی الآن تبغضني، فأخذها رسول الله من يده ثم وضعها مكانها
فلم تكن تعرف إلا بفضل حسنها وبفضل ضوئها على العين الأخرى، ولقد جرح عبد الله بن عبيد ^(٢)
وبانت يده يوم حنين، فجاء إلى النبي (ص) فمسح عليه يده فلم تكن تعرف من اليد الأخرى، ولقد
أصاب محمد بن مسلم يوم كعب بن أشرف مثل ذلك في عينه ويده، فمسحه رسول الله (ص) فلم
تستبين، ولقد أصاب عبد الله بن أنيس مثل ذلك في عينه، فمسحها فما عرفت من الأخرى، فهذه كلها
دلالة لنبوته (ص).

قال له اليهودي : فان عيسى يزعمون : أنه أحى الموتى باذن الله؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمد سبحت في يده تسع حصيات تسمع نعماتها في جمودها،
ولا روح فيها لتمام حجة نبوته، ولقد كلمه الموتى من بعد موتهم، واستغاثوه مما خافوا تبعته، ولقد صلى
بأصحابه ذات يوم فقال : ما هاهنا من بني النجار أحد وصاحبهم محتبس على باب الجنة بثلاثة دراهم
لفلان اليهودي - وكان شهيداً - ؟ ولئن زعمت : أن عيسى كلم الموتى، فلقد كان لمحمد ما هو أعجب من
هذا : إن النبي لما نزل بالطائف وحاصر أهلها، بعثوا إليه بشاة مسلوخة مطلية بسم، فنطق الذراع منها
فقالت : يا رسول الله لا تأكلني فإنني مسمومة فلو كلمته البهيمة وهي حية لكانت من أعظم حجج الله على
المنكرين لنبوته، فكيف وقد كلمته من بعد ذبح وسلخ وشي ^(٣)!

ولقد كان رسول الله (ص) يدعو بالشجرة فتجيبه، وتكلمه البهيمة، وتكلمه السباع، وتشهد له
بالنبوة، وتحذرهم عصيانه فهذا أكثر مما أعطي عيسى (ع).

(٢) في بعض النسخ «بن عتيك».

(١) الحدة : سواد العين الأعظم.

(٣) أي : من بعد ما صار مشوياً مطبوخاً.

قال له اليهودي : إن عيسى يزعمون أنه أنبا قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمد كان له أكثر من هذا : إن عيسى أنبا قومه بما كان من وراء الحايط ومحمد أنبا عن مؤتة^(١) وهو عنها غائب ووصف حريمهم ومن استشهد منهم وبينه وبينهم مسيرة شهر، وكان يأتيه الرجل يريد أن يسأله عن شيء فيقول (ص) : تقول أو أقول؟ فيقول : بل قل يا رسول الله فيقول : جئتني في كذا وكذا حتى يفرغ من حاجته، ولقد كان (ص) يخبر أهل مكة بأسرارهم بمكة حتى لا يترك من أسرارهم شيئاً.

منها : ما كان بين صفوان بن أمية وبين عمير بن وهب، إذ أتاه عمير فقال : جئت في فكاك ابني فقال له : كذبت بل قلت لصفوان بن أمية وقد اجتمعتم في الحطيم وذكرتم قتلى بدر وقتلتم : والله للموت أهون علينا من البقاء مع ما صنع محمد بنا، وهل حياة بعد أهل القليب، فقلت أنت : لولا عيالي، ودين علي لأرحتك من محمد، فقال صفوان : علي أن أقضي دينك، وأن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما يصيبهن من خير أو شر، فقلت أنت : فاكتمها علي وجهزي حتى أذهب فأقتله، فجئت لقتلي، فقال : صدقت يا رسول الله فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وأشباه هذا مما لا يحصى.

قال له اليهودي : فإن عيسى يزعمون : أنه خلق من الطين كهية الطير فنفخ فيه فكان طيراً بأذن الله؟

فقال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمد (ص) قد فعل ما هو شبيه لهذا إذ أخذ يوم حنين حجراً فسمعنا للحجر تسبيحاً وتقديساً، ثم قال للحجر : انطلق فانطلق ثلاث فلق، يسمع لكل فلق منها تسبيحاً لا يسمع للأخرى، ولقد بعث إلى شجرة يوم البطحاء فأجابته، ولكل غصن منها تسبيح وتهليل وتقديس، ثم قال لها : انشقي، فانشقت نصفين، ثم قال لها : التزقي فالتزقت، ثم قال لها : اشهدي بالنبوة، فشهدت ثم قال لها : ارجعي إلى مكانك بالتسبيح والتهليل والتقديس ففعلت، وكان موضعها حيث الجزارين بمكة.

قال له اليهودي : فإن عيسى يزعمون أنه كان سياحاً؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمد كانت سياحته في الجهاد، واستنفر في عشر سنين ما لا يحصى من حاضر وباء، وأفنى فتناً من العرب^(٢) من منعوت بالسيف لا يداري بالكلام^(٣) ولا ينام الا عن دم، ولا يسافر الا وهو متجهز لقتال عدوه.

قال له اليهودي : فإن عيسى يزعمون : أنه كان زاهداً؟

قال له علي (ع) : لقد كان كذلك، ومحمد (ص) أرهد الأنبياء (ع) : كان له ثلاثة عشر زوجة

(١) مؤتة - بضم الميم وسكون الهمة وفتح التاء - : اسم موضع قتل فيه جعفر ابن أبي طالب (ع) والنبي (ص) في المدينة فأخبر أصحابه بقتله وهو من على المنبر وقد مر ذكره في هامش ص ١٧٢.

(٢) الفتان - بالكسر مهموزاً - : الجماعة الكثيرة وقد فسر في بعض الأخبار بمائة ألف.

(٣) في بعض النسخ : لا يباري.

سوى من يطيف به من الإماء، ما رفعت له مائدة قط وعليها طعام، ولا أكل خبز بر قط، ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط توفي رسول الله (ص) ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم، ما ترك صفراء ولا بيضاء مع ما وطىء له من البلاد،^(١) ومكن له من غنائم العباد، ولقد كان يقسم في اليوم الواحد الثلاثمائة ألف وأربعمائة ألف ويأتيه السائل بالعشي فيقول: والذي بعث محمداً بالحق ما أمسي في آل محمد صاع من شعير، ولا صاع من بر، ولا درهم، ولا دينار.

قال له اليهودي، فاني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأشهد أنه ما أعطى الله نبياً درجة ولا مرسلأ فضيلة الا وقد جمعها لمحمد (ص)، وزاد محمداً على الأنبياء أضعاف ذلك درجات. فقال ابن عباس لعلي بن أبي طالب (ع): أشهد يا أبا الحسن أنك من الراسخين في العلم. فقال ويحك وما لي لا أقول ما قلت في نفس من استعظمه الله عز وجل في عظمته فقال: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾^(٢).

احتجاجه (ع) على بعض اليهود وغيره في أنواع شتى من العلوم^(٣)

عن صالح بن عقبة^(٤) عن الصادق (ع) قال: لما هلك أبو بكر واستخلف عمر، خرج عمر إلى المسجد فقعده، فدخل عليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إني رجل من اليهود، وأنا علامتهم، وقد أردت أن أسألك عن مسائل إن أخبرتني بها أسلمت قال: وما هي؟ قال: ثلاث، وثلاث، وواحدة، فان شئت سألتك، وإن كان في القوم أحد أعلم منك فأرشدني، قال: عليك بذاك الشاب - يعني علي بن أبي طالب (ع) -.

فأتى علياً (ع)، فسأل فقال له: قلت: ثلاثاً وثلاثاً وواحدة ألا قلت سبعاً؟ قال إني إذا لجاهل، إن لم تحبني في الثلاث اكتفيت، قال: فان أجبتك تسلم؟ قال: نعم. قال: سل. قال: أسألك عن أول حجر وضع على وجه الأرض، وأول عين نبعت وأول شجرة نبتت؟

قال: يا يهودي أنتم تقولون: أول حجر وضع على وجه الأرض الحجر الذي في بيت المقدس، وكذبتم، هو: «الحجر الأسود» الذي نزل مع آدم (ع) من الجنة

(١) وطىء له: مهد وذلل ويسر.

(٢) القلم - ٤.

(٣) في ج ٤ من بحار الأنوار ص ٩٤ عن عيون أخبار الرضا والخصال للصدوق: أبي عن سعد عن ابن أبي الخطاب عن الحكم ابن مسكين الثقفي عن صالح بن عقبة عن جعفر بن محمد (ص) قال لما هلك أبو بكر... الخ ثم قال: قال الصدوق في الخصال وقد أخرج هذا الحديث من طرق في كتاب: «الأوائل»، أيضاً عن كمال الدين وقام النعمة: أبي وابن الوليد معاً عن سعد مثله.

(٤) صالح بن عقبة بن فيس بن سمعان مولى رسول الله (ص) عنه الشيخ في أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام وذكره العلامة في القسم الثاني من الخلاصة.

قال : صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى (ع) .

قال امير المؤمنين (ع) : وأما العين فأنتم تقولون : إن أول عين نبتت على وجه الأرض : العين التي ببيت المقدس ، وكذبتم وهي : «عين الحياة» التي غسل فيها النون موسى ، وهي العين التي شرب منها الخضر ، وليس يشرب منها أحد الا حي . قال : صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى .

قال علي (ع) : وأما الشجرة فأنتم تقولون : إن أول شجرة نبتت على وجه الأرض الزيتون وكذبتم ، وهي : «العجوة» نزل بها آدم (ع) من الجنة . قال : صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى (ع)

قال : والثلاث الأخرى ، كم لهذه الامة من إمام هدى لا يضرهم من خذلهم؟

قال : إثنا عشر إماماً . قال : صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى .

قال : وأين يسكن نبيكم من الجنة؟ قال : أعلاها درجة ، وأشرفها مكاناً : في جنات عدن . قال : صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى .

قال : فمن ينزل معه في منزله؟

قال : إثنا عشر إماماً . قال : صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى .

قال : قد بقيت السابعة .

قال : كم يعيش وصيه بعده؟ قال ثلاثين سنة .

قال : ثم هو يموت أو يقتل؟ قال : يضرب على قرنه فتخضب لحيته . قال : صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى ثم أسلم وحسن إسلامه .

وعن أصبغ بن نباتة قال : كنت جالساً عند أمير المؤمنين (ع) فجاء ابن الكوا^(١) فقال :

يا أمير المؤمنين من البيوت في قول الله عز وجل : ﴿وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرّ من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾^(٢)؟

قال علي (ع) : نحن البيوت التي أمر الله بها أن تؤتى من أبوابها ، نحن باب الله وبيوته التي يؤتى منه ، فمن تابعتنا وأقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا وفصل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها .

(١) ابن الكوا اسمه عبد الله ، وهو خارجي ملعون ، قرأ خلف امير المؤمنين عليه السلام جهراً : ﴿ولقد أُوخِيَ إليك وإلى الدين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ وكان علي (ع) يؤم الناس وهو يجهر بالقراءة فسكت (ع) حتى سكنت ابن الكوا ، ثم عاد في قراءته فعاد حتى فعل ذلك ثلاثاً فلما كان في الثالثة قرأ امير المؤمنين (ع) ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون﴾ .

فقال أمير المؤمنين وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم؟

فقال علي (ع) : نحن أصحاب الأعراف : نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار ، ولا يدخل الجنة الا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار الا من أنكرنا وأنكرناه ، وذلك بأن الله عز وجل لو شاء عرّف للناس نفسه حتى يعرفوه وحده ويأتوه من بابيه ، ولكنه جعلنا أبوابه وصراطه وبابه الذي يؤق منه ، فقال - فيمن عدل عن ولايتنا وفضل علينا غيرنا - : ﴿فانهم عن الصراط لناكبون﴾^(١).

وعن الأصمغ بن نباتة أيضاً قال أتى ابن الكوا أمير المؤمنين فقال :
والله إن في كتاب الله آية اشتدت على قلبي ، ولقد شككت في ديني .
فقال أمير المؤمنين (ع) : ثكلتك أمك وعدمتك ! ما هي ؟

قال : قول الله تبارك وتعالى : ﴿والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾^(٢) فما هذا الصف ؟
وما هذه الطيور وما هذه الصلاة ؟ وما هذا التسبيح ؟

فقال علي (ع) : ويحك يا ابن الكوا ! إن الله خلق الملائكة على صور شتى ألا وإن الله ملكاً في صورة ديك أبيض أشهب ، برائه في الأرضين السفلى ، وعرفه مثنى تحت عرش الرحمن ، له جناح بالشرق من نار ، وجناح بالمغرب من ثلج فاذا حضر وقت كل صلاة قام على برائه ، ثم رفع عنقه من تحت العرش ، ثم صفق بجناحيه كما تصفق الديكة في منازلكم ، فلا الذي من نار يذيب الثلج ، ولا الذي من الثلج يطفىء النار ، ثم ينادي : «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد النبيين ، وأن وصيه خير الوصيين ، سبوح ، قدوس ، رب الملائكة والروح» قال : فتصفق الديكة بأجنحتها في منازلكم بنحو من قوله ، وهو قول الله تعالى : ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ من الديكة في الأرض .

وعن الأصمغ بن نباتة أيضاً قال : سأل ابن الكوا أمير المؤمنين (ع) فقال : أخبرني عن بصير بالليل وبصير بالنهار ؟ وعن أعمى بالليل وأعمى بالنهار ؟ وعن أعمى بالليل بصير بالنهار ؟ وعن أعمى بالنهار بصير بالليل ؟

فقال له أمير المؤمنين (ع) : ويلك سل عما يعنك ، ولا تسأل عما لا يعنك . ويلك أما بصير بالليل وبصير بالنهار : فهو رجل آمن بالرسول والأوصياء الذين مضوا ، وبالكتب والنبيين ، وآمن بالله ونبيه محمداً (ص) ، وأقر لي بالولاية فأبصر في ليله ونهاره .

وأما أعمى بالليل أعمى بالنهار : فرجل جحد الأنبياء والأوصياء ، والكتب التي مضت ، وأدرك النبي فلم يؤمن به ، ولم يقر بولايتي ، فجحد الله عز وجل ونبيه (ص) فعمي بالليل وعمي بالنهار .

وأما بصير بالليل أعمى بالنهار: فرجل آمن بالأنبياء والكتب، وجحد النبي (ص) وأنكر حقي، فأبصر بالليل وعمي بالنهار.

وأما أعمى بالليل وبصير بالنهار: فرجل جحد الأنبياء الذين مضوا. والأوصياء والكتب، وأدرك محمداً (ص)، فأمن بالله وبرسوله محمد (ص)، وآمن بامامي وقيل ولايتي، فعمي بالليل وأبصر بالنهار. ويلك يا ابن الكوا، فتحن بنو أبي طالب بنا فتح الله الاسلام وبنا يختمه.

قال الأصمغ فلما نزل أمير المؤمنين (ع) من المنبر تبعته فقلت: يا سيدي يا أمير المؤمنين قويت قلبي بما بينت.

فقال لي: يا أصمغ من شك في ولايتي فقد شك في إيمانه، ومن أقر بولايتي فقد أقر بولاية الله عز وجل، ولايتي متصلة بولاية الله كهاتين - وجمع بين أصبعيه - يا أصمغ من أقر بولايتي فقد فاز، ومن أنكر ولايتي فقد خاب وخسر وهوى في النار، ومن دخل في النار لبث فيها أحقاباً.

وعن الأصمغ أيضاً قال: قام ابن الكوا إلى علي بن أبي طالب (ع) وهو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين أنبيأ كان أم ملكاً؟ وأخبرني عن قرنيه أمن ذهب كان أم من فضة؟

فقال: لم يكن نبياً، ولا ملكاً، ولم يكن قرناه من ذهب ولا فضة، ولكنه كان عبداً أحب الله فأحبّه الله، ونصح لله فنصح الله له، وإنما سمي «ذا القرنين» لأنه دعا قومه إلى الله عز وجل فضربوه على قرنيه، فغاب عنهم حياً ثم عاد إليهم فضرب على قرنيه الآخر وفيكم مثله^(١).

عن الصادق عن آبائه (ع)^(٢) إن أمير المؤمنين كان ذات يوم جالساً في الرحبة، والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال:

(١) يعني بذلك نفسه سلام الله عليه، فقد ضربه عمرو بن عبدود الضربة الأولى والضربة الثانية هي ضربة ابن ملجم لعنه الله، التي كانت شهادته (ع) فيها.

(٢) ذكر هذا الحديث العلامة المجلسي في ج ٩ من بحار الأنوال ص ١٥ وذكر له مصدرين هما: الاحتجاج وهو الكتاب الذي بين يديك، والثاني أمالي ابن الشيخ بهذا السند: عن الحسين بن عبيد الله عن هارون بن موسى عن محمد بن همام عن علي بن الحسين الحمداي عن محمد ابن البرقي عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر عن الصادق (ع) عن آبائه (ع) ... الخ.

وذكره الامام شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي في كتابه الجليل: «الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب» فقال:

وبالاسناد عن الشيخ أبي الفتح الكراجكي - رحمه الله - قال: حدثنا الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن احمد بن علي بن الحسين بن شاذان القمي - رضي الله عنه - قال حدثني القاضي أبو الحسين محمد بن عثمان بن عبد الله النحسي في داره، قال: حدثنا جعفر بن محمد العلوي، قال: حدثنا عبيد الله احمد، قال: حدثنا محمد بن زياد، قال حدثنا مفضل بن عمر عن جعفر بن محمد الصادق (ع) عن أبيه عن آبائه (ع) ... الخ.

وذكره الحجة الأميني في ج ٧ / ٣٨٧ من كتاب الغدير وذكر له عدة مصادر فراجع.

يا امير المؤمنين انت بالمكان الذي أنزلك الله به وأبوك معذب في النار؟

فقال له علي بن أبي طالب: مه فض الله فاك! (١) والذي بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، أبي معذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار!! والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن نور أبي يوم القيامة ليطلق أنوار الخلايق كلهم الا خمسة أنوار: نور محمد (ص)، ونوري، ونور الحسن، ونور الحسين، ونور تسعة من ولد الحسين، فإن نوره من نورنا خلقه الله تعالى قبل ان يخلق آدم (ع) بالف عام (٢).

(١) «مه» اسم مبني على السكون بمعنى: اسكت. ويقال: فض الله فاه: نثر أسنانه، وهو دعاء عليه، ويقال في الدعاء لمن أجاد في الكلام: «لا فض فوك» أي لا نثرت أسنانك ولا فرقت.

(٢) شيخ البطحاء، ورئيس مكة، وشيخ قريش، أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم الرسول وكافله، وأبو الأئمة سلام الله عليهم أجمعين.

اسمه الشريف عبد مناف، وقيل: «عمران» وقيل اسمه: «كنيته» والأول أصح لقول عبد المطلب وهو يوصيه برسول الله (ص) بعده:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بإحد بعد أبيه فرد
وقوله أيضاً:

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو نجارب
بأبن الحبيب الأكرم بأبن الذي قد غاب غير أيب

وأمة فاطمة بنت عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم، وهي أم عبد الله والد النبي وأم الزبير بن عبد المطلب وقد انقرض.
وأولد أبو طالب أربعة بنين: طالباً، وعقيلاً، وجعفر، وعلياً أمير المؤمنين (ع)، وكان كل واحد منهم أكبر من الآخر بعشر سنين، وأهمهم جميعاً فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي.

كان أبو طالب (ع): شيخاً، وسياً، جسيماً، عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء، وكانت قريش تسميه: «الشيخ» وكانوا يهابونه، ويخافون سطوته، وكانوا يتجنبون أذية رسول الله (ص) في أيامه، فلما تولى سلام الله عليه، اجتروا عليه واضطروا إلى الهجرة من وطنه مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

فيل لأشعث بن صيفي حكيم العرب ممن تعلمت الحكمة والرياسة، والحلم والسيادة؟ قال: من حليف الحلم والأدب، سيد المعجم والعرب، أبو طالب بن عبد المطلب.

وجرى ذات يوم كلام خشن بين معاوية بن أبي سفيان وصعصعة وابن الكواء، فقال معاوية: لولا أنني أرجع إلى قول أبي طالب لقتلتكم وهو:

قابلت جهلهم حلياً ومغفرة . والمعفو عن فجرة ضرب من الكرم

وكان سلام الله عليه مستودعاً للوصايا فدفعها إلى رسول الله (ص)، وهو الذي كفله وحماه من قريش ودافع عنه.

روي عن فاطمة بنت أسد: أنه لما ظهر إمارة وفاة عبد المطلب قال لأولاده من يكفل محمداً؟ قالوا: هو أكيس منا، فقل له يختار لنفسه، فقال عبد المطلب: يا محمد جدك هل جناح السفر إلى القيامة، أي عمومتك وعماتك تريد أن يكفلك؟ فنظر في وجوههم ثم =

زحف إلى عند أبي طالب، فقال له عبد المطلب: يا أبا طالب إني قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له.
وروي: أنه قال له: يا بني قد علمت شدة حبي لمحمد ووجدني به، انظر كيف تحفظني فيه، قال أبو طالب: يا أبا لا توصني بمحمد فإنه ابني وابن أخي، فلما توفي عبد المطلب، كان أبو طالب يؤثره بالنفقة والكسوة على نفسه، وعلى جميع أهله.
فلما بعث النبي (ص) وصدع بالأمر امتثالاً لقوله تعالى «فاصدع بما تؤمر» ونزل قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ أجمعت قريش على خلافه فحذب عليه أبو طالب (ع) ومنعه وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد بالستراب دفينا
فأصدع بأمرك ما عليك غضاصة وأبشر بذلك وقر منك عبونا
ودعموتني وزعمت أنك ناصح فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه من خير أديان البرية ديناً

وروي عن زين العابدين (ع): أنه اجتمعت قريش إلى أبي طالب ورسول الله (ص) عنده فقالوا: نسألك من ابن أخيك النصف. قال: وما النصف منه؟ قالوا: يكف عنا ونكف عنه، فلا يكلمنا ولا نكلمه، ولا يقاتلنا ولا نقاتله، ألا إن هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب، وزرعت الشحناء، وأبنت البغضاء. فقال: يا ابن أخي أسمع؟ قال: يا عم لو أنصفتي بنو عمي لأجابوا دعوتي، وقبلوا نصيحتي، إن الله تعالى أمرني أن أدعو إلى دينه الخفيف ملة إبراهيم، فمن أجابني فله عند الله: الرضوان والخلود في الجنان، ومن عصاني قاتلته حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، فقالوا: قل له: يكف عن شتم الهتنا فلا يذكرها بسوء، فنزل: ﴿قل أغير الله تأمروني أعبد﴾ قالوا: إن كان صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا، ومن يكفر، فإن وجدناه صادقاً آمنا به فنزل: ﴿وما كان الله ليعز المؤمنين﴾ قالوا: والله لنشتمك ولهلك فنزل: ﴿وانطلق الملائكة منهم﴾ قالوا: قل له: فليعبد ما نعبد، ونعبد ما يعبد، فنزلت سورة الكافرين. فقالوا: قل له أرسله الله إلينا خاصة، أم إلى الناس كافة؟ قال: بلى إلى الناس كافة: إلى الأبيض والأسود، ومن عل رؤوس الجبال، ومن في لجج البحار، ولادعون ألسنة فارس والروم، ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ فتجبرت قريش واستكبرت وقالت: والله لو سمعت بهذا فارس والروم لاختطفتنا من أرضنا، ولقلعت الكعبة حجراً حجراً، فنزلت: ﴿وقالوا إن نبيع الهدى معك تتخطف من أرضنا﴾ وقوله تعالى: ﴿لم تركب لعل ريك﴾ فقال المطعم بن عدي: والله يا أبا طالب لقد أنصفتك قومك وجهدوا على أن يتخلصوا مما نكرهه، فما أراك تريد أن تنبل منهم شيئاً.

فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت على خذلاني، ومظاهرة القوم علي، فاصنع ما بدا لك، فوئيت كل قبيلة على ما فيها من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ويستنهضون بالنبي (ص) ومنع الله رسوله بمعه أبي طالب منهم، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله (ص) والقيام دونه إلا أبا لهب.

وله في الدفاع عن رسول الله (ص) مواقف شهيرة وشعر رواه الفريغان، نذكر فيها يلي نموذجاً منها:

منها: ما روي من أبا جهل بن هشام جاء إلى رسول الله (ص) وهو ساجد ويبدع حجر يريد أن يرميه به، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد، فقال أبو طالب:

أفيقوا بني غالب وانتهوا
والا فاني إذن خائف
تكون لغيركم عبرة
كما نال من لان من قبلكم
غداة أتاهم بها صرصر
فحل عليهم بها سخطه
غداة يحضر بعرقوبها
وأهيب من ذاك في أمركم

عن النبي من بعض
بوائق في داركم
ورب المغارب والمشرق
نمود وعباد وماذا بقي
ونافة ذي العرش قد تستفي
من الله في ضربة الأزرق
حسماً من الهند ذا رونق
عجائب في الحجر اللصق

= يكف الذي قام من عبثه الى الصابير الصادق المتقي
فأثبته الله في كفه على رغبته الجائر الأحق
أحيمم غزومكم إذ غوى لغى الغواة ولم يصدق

ومنها: ما روي عن ابن عباس، أن النبي (ص) دخل الكعبة، وافتتح الصلاة فقال أبو جهل: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبير، وتناول قرناً ودماً وألقى ذلك عليه (ص) فجاء أبو طالب - وقد سل سيفه - فلما رآوه جعلوا يهضون فقال: والله لئن قام أحد جللته بسيفي، ثم قال: يا ابن أخي من الفاعل بك؟ قال: هذا عبد الله، فأخذ أبو طالب قرناً ودماً وألقى ذلك عليه.

ومنها: قوله عليه السلام يخاطب الرسول (ص) مسكناً جاشه طالباً منه إظهار دعوته

لا يمنحك من حق تقوم به
فان كفك كفي إن عليت بهم
أبد تصور ولا سلق بأصوات
ودون نفسك نفسي في الملمات

ومنها: قوله يؤنب قريشاً ويحذرهم الحرب:

ألا من لم آخر الليل فعمم
طواني وقد نامت عيون كثيرة
لأحلام قوم قد أرادوا محمداً
سعوا سفهاً واتسدهم سوء أمرهم
رجاء أمور لم يخالوا انتظامها
يرجون منه غطة دون ثيلها
يرجون أن نسخى بقتل محمد
كذبهم وبيت الله حتى تغلبوا
وتقطع أرحام وتنسى حليلة
هم الأسد أسد الزارتين إذا غدت
فيما لبني فهر أفيقوا ولم تقم
عل ما مضى من بغيكم وعقوقكم
وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى
فلا تحسبونا مسلميه ومثله
فهدي معاذير وتقدمة لكم

طواني وأخرى النجم لما تقم
وسامر أخرى ما مر لم ينوم
بظلم ومن لا يتقي السفي يظلم
عل غائل من أمرهم غير محكم
ولو حشدوا في كل بدو وموسم
ظراب وطعن بالوشيع القوم
ولم تختضب سمر العوالي من الدم
جاجم تلقى بالخطيم وزمزم
حليلاً وبغشى محرم بمعد محرم
عل حنق لم تحش إعلام معلم
نوائح قتل تدعى بالاندم
واتباتكم في أمركم كل مائم
وأمر أي من عند ذي العرش قيم
إذا كان في قوم فليس بمسلم
لئلا تكون الحرب قبل التقدم

ومنها: لما رأى المشركون موقف أبي طالب (ع) من نصرة الرسول وسمعوا أقواله، اجتمعوا بينهم وقالوا لنا في بني هاشم، ونكتب صحيفة ونودعها الكعبة: أن لا نبايعهم، ولا نشاريعهم، ولا نحدثهم، ولا نستحدثهم، ولا نجتمع معهم في مجمع ولا نقضي لهم حاجة، ولا نقضيها منهم، ولا نقبس منهم نأراً حتى يسلعوا إلينا محمداً ويخلوا بيننا وبينه، أو يتهي عن تسفيه آبائنا، وتضليل آهتنا، وأجمع كفار مكة على ذلك.

فلما بلغ ذلك أبا طالب (ع) قال: يخبرهم باستمراره على مناصرة الرسول (ص) ومؤازرته له، ويحذرهم الحرب، وينهاهم عن متابعة السفهاء:

ألا أبلغا عني عل ذات بيئها
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
وإن عليه في العباد حجة
ولا حيف فبين خصه الله بالحب =

لؤياً وخصاً من لؤي بني كعب
نسباً كموسى خطاً في أول الكتب
ولا حيف فبين خصه الله بالحب =

وَأَنْ الَّذِي لَفَقْتُمْ فِي كِتَابِكُمْ
أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ تَخْفَرَ الزُّبَى
وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْغَوَاةِ وَتَقْطَعُوا
وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْباً عَوَاناً وَرِيّاً
قُلْنَا وَبِيتِ اللَّهُ نَسْلُكُمْ أَحْمَدُ
وَلَمَّا نَبَنَّا مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَائِفُ
بِمَعْنَرِكَ ضُنْكَ تَرَى كَسْرَ الْقَنَا
كَأَنَّ عِمَالِ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ

ومنها: أنه كان إذا نامت العيون وأخذ النبي (ص) مضجعه، جاءه فأنهضه وأصجج علياً مكانه، فقال له علي (ع) - ذات ليلة -: يا أباؤه إني مقتول، فقال أبو طالب

إصبرن يا بني فالصبر أحجى
قد بلوناك والبلاء شديد
لبفداء الأعز ذي الحسب الشاقب
إن نصيبك المنون بالنبل تشرى
كل حي وإن تطاول عمراً
فقال علي (ع) :

إنما نري بالصبر في نصر أحمد
ولكنني أحببت أن تر نصري
وسمعي لوجه الله في نصر أحمد
نبي الهدى المحمود طفلاً رافعاً

هذا نزر يسر من مواقف أبي طالب (ع) ومؤازرته الرسول (ص) ومقاومته للمشركين، وله كثير من أمثاله في دفاعه عن محمد، وعن دين محمد، وعن قرآن محمد، وعن أتباع محمد، فهلا يأخذك العجب بعد اطلاعك على هذا وشبهه من أقوال أبي طالب وأفعاله، ألا تستغرب بعد هذا لو سمعت بعصاة ائمت فيها الروح الاموية الحبيثة، فدفعها خبث عنصرها، ورداءة نشتها، وجرها الحق إلى القول بأن أبا طالب (ع) مات كافراً؟! وإن تعجب فعجب قولهم: أبو طالب يموت كافراً؟!!

أبو طالب الذي يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية ديناً
يموت كافراً؟

أبو طالب الذي يقول:

للمعلم خبار الناس أن محمداً
أنا يهدي مثل ما أتيا به
يا لله وبالله للعجب فائل هذا يموت كافراً؟

أبو طالب الذي يقول:

الا تعلموا أننا وجدنا محمداً
ويقول مخاطباً رسول الله (ص):

ويقول: =

قل لمن كان من كنانة في
قد أتاكم من المليك رسول

ويقول:

فخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة

وهو الذي يقول:

لقد أكرم الله النبي عمداً
وشق له من اسمه لهجلاً

ويقول:

صدق ابن آمنه النبي محمد
أن ابن آمنه النبي محمد
أبو طالب الذي يقول:

يا شاهد الله علي فاشهد
من ظل في الدين فاني مهتدي

كل هذا وأبو طالب مات كافراً.

إذا كان الإيمان بالتوحيد والأقرار بنبوته محمد لا تكفي في إيمان الرجل، ويكون معتقداً والمقر بها كافراً، فما هو الإسلام؟؟

إذا كان الذب عن الرسول والاعتراف بنبوته كافراً فما هو الإسلام؟ طبعاً يقول لسان حال تلك العصاة في الجواب:

الإيمان أن تتمكن في نفسك مبادئ أبي سفيان، وتؤمن بالذي يحلف به أبو سفيان، وتقول كما قال: «ما من جنة ولا نار»

أبو طالب مات كافراً، وأبو سفيان مات مسلماً.

هكذا يقولون كبرت كلمة لمخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذباً.

ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً.

وإنهم ليقولون منكراً من القور وزوراً.

أبو سفيان الذي حزب الأحزاب ضد النبي (ص) والذي ما قامت راية كفر لحرب رسول الله (ص) إلا وهو قائدها وناعقها، والذي لم يزل يعلن الحرب والعداء لمحمد، ودين محمد، وإله محمد، وكتاب محمد، حتى فتح مكة فدخل الإسلام عليه رغم أنه، ولم يدخل في قلبه، وأظهر الإسلام وأبطن الكفر، على العكس مما كان عليه أبو طالب تماماً.

أبو سفيان الذي أصر على محو اسم محمد رسول الله يوم صلح الحديبية يموت مسلماً وأبو طالب الذي يعترف برسالة محمد ويقول: هو رسول كموسى وعيسى يموت كافراً.

أبو سفيان الذي يقول - حين انتهت إليهم الخلافة بمحضر من عثمان - :

يا بني أمة تلقفوها تلقف الكرة، والذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار يموت مسلماً، والذي يعترف بالبعث والنشور يموت كافراً.

روي عن ابن عباس قال: والله ما كان أبو سفيان إلا منافقاً، ولقد كنا في محفل فيه أبو سفيان وقد كف بصره، وفينا علي (ع)، فأذن المؤذن فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله (ص)، قال: ها هنا من يحتشم؟ قال واحد من القوم: لا. قال: الله در أخي هاشم انظروا أين وضع اسمه، فقال علي (ع): أسخن الله عينيك يا أبا سفيان الله فعل ذلك بقوله عز من قائل: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ فقال =

احتجاجه (ع) على من قال بزوال الادواء بمداوات الاطباء دون الله سبحانه وعلى من قال بأحكام النجوم من المنجمين وغيرهم من الكهنة والسحرة.

وبالاسناد المقدم ذكره عن أبي محمد العسكري عن علي بن الحسين زين العابدين (ع) أنه قال: كان امير المؤمنين (ع) قاعداً ذات يوم، فأقبل إليه رجل من اليونانيين المدعين للفلسفة والطب، فقال له: يا أبا الحسن بلغني خبر صاحبك وأن به جنوناً، وجئت لا عاجله فلاحقته قد مضى لسبيله، وفاتني ما أردت من ذلك، وقد قيل لي أنك ابن عمه وصهره وأرى بك صفاراً قد علاك، وساقين دقيقين، ولما أراهما تقلانك، فأما الصفار فعندي دواؤه وأما الساقان الدقيقان فلا حيلة لي لتخليطهما، والوجه أن ترفق بنفسك في المشي تقلله ولا تكثره، وفيما تحمله على ظهرك وتحتضنه بصدرك، أن تقللها ولا تكثرهما فإن ساقيك دقيقان لا يؤمن عند حمل ثقل انقصاصهما، وأما الصفار فدواؤه عندي وهو هذا، وأخرج دواءه وقال:

أبو سفيان: أسخن الله عين من قال: ليس هاهنا من يحشم.

والعجيب أنهم يقولون عنه أنه مات مسلماً، وأبو طالب مات كافراً
لعنوا بما قالوا، نحن أعلم بما يقولون، يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم، فاصبر على ما يقولون.

وأكثر من هذا عجباً، وأبعد منه غرابة، ما لفته تلك العصابة، واقرته على الرسول من أنه (ص) - وحاشاه - قال عنه أنه في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، وأنه متعل بنعلين من نار يغلي مهبها دماغه، ولا أدري ولينتهي أبداً لا أدري لماذا يستحق أبو طالب هذا العذاب؟
لأنه دافع عن رسول الله (ص) أم هو الحقده - والبغض لابن أبي طالب الذي

لعنته بالشام سبعين عاماً لعن الله كهلها ونساءها

ثم هل تريد أن أزيذك وأزودك من أمثال هذه الأضاليل والأباطيل، فأذكر لك ما رواه الزهري عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: كنت عند رسول الله (ص) إذ أقبل العباس وعلي فقال: يا عائشة إن هذين بمونان على غير ملي، أر قال: ديني

وفي أخرى بنفس السند عنها أيضاً قالت كنت عند النبي فقال: يا عائشة إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طامعا، فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب.

أسمت هذا وبعد فهلا ترفع يدك إلى الدعاء ونقول معي:

واللهم أدخلني النار التي يقطن فيها علي بن أبي طالب، واجعلي في الضحضاح الذي فيه أبو طالب، ولا تدخلني الجنة التي يدخل فيها أبو سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان، يزيد بن معاوية فسلام على تلك النار، ولعنة الله على هذه الجنة.

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وذلك بيثرب خاض الحماما
قله ذا فاتحاً للهدى لله ذا للمعالي ختاماً

توفي سلام لله عليه في (٢٦) رجب في آخر السنة العاشرة من مبعث النبي (ص) ورثاه امير المؤمنين (ع) بقوله:

أبا طالب عصمة المسنجر وغيث المحول ونور الظلم
لقد هذ ففدك أهل الحفاظ فصل عليك ولي النعم
ولفك ربك رضوانه فقد كنت للطهر من خير عم

هذا لا يؤذيك ولا ينجسك^(١) ولكنه تلزمك حمية من اللحم أربعين صباحاً ثم يزيل صفارك .
فقال له علي بن أبي طالب (ع) : قد ذكرت نفع هذا الدواء لصفاري فهل تعرف شيئاً يزيد فيه ويضره؟ فقال الرجل : بلى حبة من هذا - وأشار إلى دواء معه - وقال : إن تناوله إنسان وبه صفار أماته من ساعته، وإن كان لا صفار به صار به صفار حتى يموت في يومه .
فقال علي (ع) فأرني هذا الضار، فأعطاه إياه .

فقال له : كم قدر هذا؟ قال : قدره مثقالين سم نافع، قدر كل حبة منه يقتل رجلاً .
فتناوله علي (ع) فقمحه^(٢) وعرق عرقاً خفيفاً، وجعل الرجل يرتعد ويقول في نفسه : الآن أؤخذ بابن أبي طالب، ويقال : قتلته ولا يقبل مني قولي إنه هو الجاني على نفسه .
فتبسم علي بن أبي طالب (ع) وقال : يا عبد الله أصح ما كنت بدناً الآن لم يضرني ما زعمت أنه سم .
ثم قال : فغمض عينيك، فغمض، ثم قال : افتح عينيك ففتح، ونظر إلى وجه علي بن أبي طالب (ع) فإذا هو أبيض أحمر مشرب حمرة فارتعد الرجل لما رآه وتبسم علي (ع) وقال : أين الصفار الذي زعمت أنه بي .

فقال : والله لكانك لست من رأيت، قبل كنت مضاراً، فانك الآن مورد .
فقال علي (ع) : فزال عني الصفار الذي تزعم أنه قاتلي .

وأما ساقاي هاتان ومد رجليه وكشف عن ساقيه، فانك زعمت أني أحتاج إلى أن أرفق بيدني في حمل ما أحمل عليه، لئلا ينقصف الساقان،^(٣) وأنا أريك أن طب الله عز وجل علي خلاف طبك، وضرب بيده إلى اسطوانة خشب عظيمة، على رأسها سطح مجلسه الذي هو فيه، وفوقه حجرتان، إحداهما فوق الأخرى وحركها فاحتملها، فارتفع السطح والحيطان وفوقهما الغرفتان، فغشي على اليوناني .

فقال علي (ع) : صبوا عليه ماءً فصبوا عليه ماءً فأفاق وهو يقول : والله ما رأيت كالיום عجباً .
فقال له علي (ع) : هذه قوة الساقين الدقيقين واحتمالهما أني طبك هذا يا يوناني؟

فقال اليوناني : أمثلك كان محمد؟

فقال علي (ع) : وهل علمي إلا من علمه، وعقلي إلا من عقله، وقوتي إلا من قوته، ولقد أتاه ثقفي وكان أظلم العرب، فقال له :

إن كان بك جنون داويتك؟

(٢) قمحت السويق - بالكسر إذا سفته .

(١) أي لا ينقصك كناية عن عدم النفع .

(٣) أي : تنكسر .

فقال له محمد (ص): أتحب أن أريك آية تعلم بها غناي من طبك وحاجتك إلى طبي؟ لا: نعم.

قال أي آية تريد؟

قال: تدعو ذلك العذق - وأشار إلى نخلة سحق - فدعاه، فانقلع أصلها من الأرض وهي تحد الأرض حداً حتى وقفت بين يديه.

فقال له: أكفاك؟ قال: لا.

قال: فتريد ماذا؟ قال: تأمرها أن ترجع إلى حيث جاءت منه، وتستقر في مقرها الذي انقلعت

منه.

فأمرها، فرجعت، واستقرت في مقرها.

فقال اليوناني - لأمبر المؤمنين (ع) - : هذا الذي تذكره عن محمد (ص) غائب عني، وأنا أريد أن اقتصر منك على أقل من ذلك، أتباعك فادعني وأنا لا أختار الاجابة، فان جئت بي إليك فهي آية.

قال امير المؤمنين (ع) : إنما يكون آية لك وحدك، لأنك تعلم من نفسك أنك لم ترده، وأنا أزلت اختيارك من غير أن باشرت مني شيئاً، أو بمن أمرته بأن يباشرك، أو بمن قصد إلى اختيارك وإن لم أمره، إلا ما يكون من قدرة الله القاهرة، وأنت يا يوناني يمكنك أن تدعي ويمكن غيرك أن يقول: أنا وإطانتك على ذلك، فاقترح إن كنت مقترحاً ما هو آية لجميع العالمين.

قال له اليوناني: إن جعلت الاقتراح ألي فأنا أقترح : أن تفصل أجزاء تلك النخلة، وتفرقها وتباعدها ما بينها، ثم تجمعها وتعيدها كما كانت.

فقال علي (ع) : هذه آية وأنت رسولي إليها - يعني إلى النخلة - فقل لها: إن وصي محمد رسول الله يأمر أجزاءك: أن تتفرق وتتباعده.

فذهب فقال لها ذلك، فتفاصلت، ونهفت، وتشتت، وتضاغرت أجزاءها حتى لم ير لها عين ولا أثر، حتى كأن لم تكن هناك نخلة قط.

فارتعدت فرائص اليوناني وقال: يا وصي محمد رسول الله، قد أعطيتني اقتراحي الأول، فأعطني الآخر، فأمرها أن تجتمع وتعود كما كانت، فقال: أنت رسولي إليها فعد فقل لها: يا أجزاء النخلة إن وصي محمد رسول الله يأمرك أن تجتمعي كما كنت وأن تعودي.

فنادى اليوناني فقال ذلك، فارتفعت في الهواء كهيئة الهباء المنثور، ثم جعلت تجتمع جزو جزو منها، حتى تصور لها القضبان، والأوراق، وأصول السعف وشماريخ الأعداق، ثم تألفت، وتجمعت، وتركبت، واستطالت، وعرضت، واستقر أصلها في مقرها، وتمكن عليها ساقها، وتركب على الساق قضبانها، وعلى القضبان أوراقها، وفي أمكنتها أعداقها، وكانت في الابتداء شماريخها متجردة لبعدها من أوان الرطب، والبسر، والحلال.

فقال اليوناني: وأخرى أحب أن تخرج شماريخها أخلاها، وتقلبها من خضرة إلى صفرة وحمرة، وترطيب وبلوغ، لتأكل وتطعمني ومن حضرني منها.

فقال علي (ع): أنت رسولي إليها بذلك، فمرها به.

فقال لها اليوناني: ما أمره أمير المؤمنين (ع) فأخلفت، وأبسزت، واصفرت واحمرت، وترطبت، وثقلت أعضائها برطبها.

فقال اليوناني: وأخرى أحبها أن تقرب من بين يدي أعضائها، أو تطول يدي لتألفها، وأحب شيء إلي: أن تنزل إلي إحداهما، وتطول يدي إلى الأخرى التي هي أختها.

فقال أمير المؤمنين (ع): مد اليد التي تريد أن تألفها وقل: يا مقرب البعيد قرب يدي منها، واقبض الأخرى التي تريد أن ينزل العنق إليها وقل: يا مسهل العسير سهل لي تناول ما يبعد عني منها.

ف فعل ذلك فقال، فطالت يمينه فوصلت إلى العنق، وانحطت الأعناق الآخر فسقطت على الأرض وقد طالت عراجينها.

ثم قال أمير المؤمنين (ع) إنك إن أكلت منها ولم تؤمن بمن أظهر لك من عجائبها، عجل الله عز وجل إليك من العقوبة التي يبتليك بها ما يعتبر به عقلاء خلقه وجهاله.

فقال اليوناني: إني إن كفرت بعد ما رأيت فقد بالغت في العناد، وتناهيت في التعرض للهلاك، أشهد أنك من خاصة الله، صادق في جميع أقاويلك عن الله فائمني بما تشاء أطعك.

قال علي (ع): أمرك: أن تقر لله بالوحدانية، وتشهد له بالحد والحكمة وتنزهه عن العبث والفساد، وعن ظلم الإمام والعباد، وتشهد أن محمداً الذي أنا وصيه سيد الأنام، وأفضل رتبة في دار السلام، وتشهد أن علياً الذي أراك ما أراك، وأولاك من النعم ما أولاك، خير خلق الله بعد محمد رسول الله، وأحق خلق الله بمقام محمد (ص) بعده، وبإلقيام بشرايعه وأحكامه، وتشهد أن أوليائه أولياء الله، وأعداءه أعداء الله، وأن المؤمنين المشاركين لك فيما كلفتك، المساعدين لك على ما أمرتك به، خير أمة محمد (ص)، وصفوة شيعة علي.

وأمرك: أن تؤاسي إخوانك المطابقين لك على تصديق محمد (ص) وتصديقي والانقياد له ولي، مما رزقك الله وفضلك على من فضلك به منهم، تسد فافتهم، وتحبر كسرهم واخلتهم، ومن كان منهم في درجتك في الإيمان ساوئته من مالك بنفسك، ومن كان منهم فاضلاً عليك في دينك آثرته بمالك على نفسك، حتى يعلم الله منك أن دينه أثر عندك من مالك، وأن أوليائه أكرم عليك من أهلك وعيالك.

وأمرك: أن تصون دينك، وعلمنا الذي أودعناك، وأسرارنا التي حملناك ولا تبد علومنا لمن يقابلها بالعناد، ويقابلك من أهلها بالشتم، واللعن، والتناول من العرض والبدن، ولا تفش سرنا إلى من يشنع علينا، وعن الجاهلين بأحوالنا ولا تعرض أوليائنا لبوادر الجهال.

وأمرك : أن تستعمل التقية في دينك، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾^(١) وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا إن لجأك الخوف إليه وفي إظهار البراءة منا إن حملك الوجمل عليه، وفي ترك الصلاة المكتونات إن خشيت على حشاشتك^(٢) الآفات والعاهات، فإن تفضيلك أعداءنا علينا عند خوفك لا ينفعهم ولا يضرنا، وإن إظهارك براءتك منا عند تقيتك لا يقدح فينا ولا ينقصنا، ولأن تبرأت منا ساعة بلسانك وأنت موال لنا بجنانك لتبقي على نفسك روحها التي بها قوامها، ومالها الذي به قيامها، وجاهاها الذي به تماسكها، وتصون من عرف بذلك وعرفت به من أوليائنا وإخواننا من بعد ذلك بشهور وسنين إلى أن يفرج الله تلك الكربة، وتزول به تلك الغمة، فإن ذلك أفضل من أن تتعرض للهلاك، وتنقطع به عن عمل الدين وصلاح إخوانك المؤمنين، وإياك ثم إياك أن تترك التقية التي أمرتك بها، فانك شائط بدمك ودم إخوانك، معرض لنعمتك ونعمهم على الزوال مذل لك ولهم في أيدي أعداء دين الله، وقد أمرك الله باعزازهم، فانك إن خالفت وصيتي كان ضررك على نفسك وإخوانك أشد من ضرر المناصب لنا، الكافر بنا.

وعن سعيد بن جبير^(٣) قال : استقبل أمير المؤمنين (ع) دهقان من دهاقين الفرس فقال له - بعد التهنية - :

يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات، وتناحست السمود بالنحوس، وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء، ويومك هذا صعب، قد اتصلت فيه كوكبان، وانقدح من برجك النيران، وليس لك الحرب بمكان، فقال أمير المؤمنين (ع) : ويحك يا دهقان المنىء بآثار، والمحذر من الاقدار، ما قصة صاحب الميزان، وقصة صاحب السرطان، وكم المطالع من الأسد والساعات في

(١) آل عمران - ٢٨ .

(٢) الحاشية : بقية الروح في المريض.

(٣) سعيد بن جبير - بالجميم المسمومة - بن هشام الأسدي الوالي مولى بني والبة أصله الكوفة نزل مكة تابعي .

عنه الشيخ الطوسي في أصحاب الإمام زين العابدين (ع) والعلامة في التسم الأول من خلاصته، روي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال : إن سعيد بن جبير كان ياتم بعلي بن الحسين (ع) وكان علي (ع) يني عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر وكان مستقيماً، وذكر أنه لما دخل على الحجاج بن يوسف قال له : أنت شقي بن كسير قال : أمي كانت أعرف باسمي سمعتني سعيد بن جبير . قال : ما تقول في أبي بكر وعمر هما في الجنة أو النار؟ قال : لو دخلت الجنة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها، ولو دخلت النار ورأيت أهلها لعلمت من فيها، قال : فما قولك في الخلفاء؟ قال : لست عليهم بوكيل، قال : أيهم أحب إليك؟ قال : أرضاهم لخائفي، قال : فأيه أرضى للخائف؟ قال : علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم، قال : أبيت أن تصدقني قال : بل لم أحب أن أكذبك .

وكان ثقة مشهوراً بالفقه، والزهد والعبادة وعلم التفسير وكان أخذ العلم عن ابن عباس، وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول : أليس فيكم ابن أم الدماء؟ يعني : سعيد بن جبير، وكان يسمى جهبذ العلماء (بالكسر - أي النقاد الحبيب) وكان يقرأ القرآن في ركعتين، قيل : وما من أحد على الأرض إلا وهو محتاج إلى علمه . قتله الحجاج سنة ٩٥هـ وهو ابن ٤٩ سنة ولم يبق بعده الحجاج إلا ١٥ ليلة، ولم يقتل أحداً بعده لدعائه عليه حين قتله : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي .

المحركات، وكم بين السراري والذراري؟

قال: سأنظر - وأومى بيده الى كفه واخرج منه اصطرلاباً ينظر فيه - .

فتبسم علي (ع) وقال: أتدري ما حدث البارحة؟ وقع بيت بالصين، وانفجر برج ماجين، وسقط سور سرنديب، وانهمز بطريق الروم بأرمينية، وفقد ديان اليهود بابل، وهاج النمل بوادي النمل، وهلك ملك افريقية، أكنت عالماً بهذا؟

قال: لا، يا امير المؤمنين.

فقال البارحة سعد سبعون ألف عالم، وولد في كل عالم سبعون ألفاً، والليلة يموت مثلهم، وهذا منهم - وأومى بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي «أعنه الله» وكان جاسوساً للخوارج في عسكر امير المؤمنين (ع) - فظنّ الملعون: أنه يقول: خذوه، فأخذ بنفسه فمات، فمخر الدهقان ساجداً.

فقال له امير المؤمنين (ع): ألم أدوك من عين التوفيق؟

قال: بلى، يا امير المؤمنين.

فقال امير المؤمنين (ع): أنا وأصحابي لا شرقيون ولا غربيون، نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك، وأما قولك انقذ من برجك التيران، فكان الواجب عليك أن تحكم لي به لا علي، أما نوره وضيؤه فعندي، وأما حريقه ولهبه فذهبت عني، وهذه مسألة عميقة إحسبها إن كنت حاسباً.

وروي أنه (ع) لما أراد المسير إلى الخوارج، قال له بعض أصحابه: إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمراك من طريق علم النجوم.

فقال (ع): أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه سوء وتخوف الساعة التي من سار فيها حاق به الضر، فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه، وينبغي في قولك للمعامل بأمرك أن يوليكم الحمد دون ربه، لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن الضر.

أيها الناس إياكم وتعلم النجوم، إلا ما يبتدئ به في بر أو بحر، فانه يدعو إلى الكهانة، المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكاfer، والكاfer في النار، سيروا على اسم الله وعونه، ومضى فظفر بمراكه صلوات الله عليه.

احتجاجه (ع) على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة، تحتاج إلى التأويل، على أنها تقتضي التناقض والاختلاف فيه، وعلى أمثاله في أشياء أخرى.

جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين علي (ع) وقال له: لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض

لدخلت في دينكم .

فقال له (ع) : وما هو ؟

قال : قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾^(١) وقوله : ﴿ فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾^(٢) وقوله : ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾^(٣) وقوله : ﴿ يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴾^(٤) وقوله : ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾^(٥) وقوله تعالى : ﴿ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ﴾^(٦) وقوله : ﴿ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾^(٧) وقوله : ﴿ لا تختصموا لدي ﴾^(٨) وقوله : ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾^(٩) وقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾^(١٠) وقوله : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾^(١١) وقوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ﴾^(١٢) وقوله : ﴿ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴾^(١٣) وقوله : ﴿ ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً ﴾^(١٤) وقوله : ﴿ كلا إنهم يومئذ لمحجوبون ﴾^(١٥) وقوله : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك ﴾^(١٦) وقوله : ﴿ بل هم بلبقاء ربهم كافرون ﴾^(١٧) وقوله : ﴿ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه ﴾^(١٨) وقوله : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾^(١٩) وقوله : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ﴾^(٢٠) وقوله : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾^(٢١) وقوله : ﴿ فمن ثقلت موازينه ، ومن خفت موازينه ﴾^(٢٢) .

فقال له امير المؤمنين (ع) فأما قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ إنما يعني نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته ، فنسيهم في الآخرة أي : لم يجعل لهم من ثوابه شيئاً ، فصاروا منسيين من الخير ، وكذلك تفسير قوله عز وجل : ﴿ فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ يعني بالنسيان : أنه لم يشبههم كما يشب أولياءه ، والذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسوله وخافوه بالغيب .

وأما قوله : ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾ فإن ربك تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذي ينسى ، ولا يغفل ، بل هو الحفيظ العليم ، وقد تقول العرب : نسينا فلان فلا يذكرنا : أي أنه لا يأمرهم بخير ، ولا يذكرهم به .

- | | |
|----------------------|-----------------------|
| (١) التوبة - ١٩٧ . | (٢) الأعراف - ٥١ . |
| (٣) مريم - ٦٤ . | (٤) النبا - ٣٨ . |
| (٥) الأنعام - ٢٣ . | (٦) العنكبوت - ٢٥ . |
| (٧) ص - ٦٤ . | (٨) ق - ٢٨ . |
| (٩) يس - ٦٥ . | (١٠) القيامة - ٢٢ . |
| (١١) الأنعام - ١٠٣ . | (١٢) النجم - ١٤ . |
| (١٣) النبا - ٣٨ . | (١٤) الشورى - ٥١ . |
| (١٥) المطففين - ١٥ . | (١٦) الأنعام - ١٥٨ . |
| (١٧) السجدة - ١٠ . | (١٨) التوبة - ٧٧ . |
| (١٩) الكهف - ١١٠ . | (٢٠) الكهف - ٥٣ . |
| (٢١) الأنبياء - . | (٢٢) المؤمنون - ١٠٣ . |

قال علي (ع) : وأما قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ وقوله : ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقوله عز وجل : ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ وقوله عز وجل يوم القيامة : ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وقوله : ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيَ وَقد قَدِمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ وقوله : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فإن ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة، المراد، يكفر أهل المعاصي بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً، والكفر في هذه الآية : «البراءة» يقول : فيبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم قول الشيطان : ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ وقول إبراهيم خليل الرحمن : ﴿كُفِّرْنَا بَكُم﴾ يعني تبرأنا منكم.

ثم يجتمعون في مواطن آخر فيكون فيها، فلو أن تلك الأصوات فيها بدت لأهل الدنيا لازالت جميع الخلق عن معاشيتهم، وانصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله ولا يزالون يكون حتى يستنفذوا الدموع، ويفضوا إلى الدماء.

ثم يجتمعون في مواطن آخر فيستنطقون فيه، فيقولون : ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وهؤلاء خاصة هم : المقررون في دار الدنيا بالتوحيد، فلا يقعهم إيمانهم بالله لمخالفتهم رسله، وشكهم فيما اتوا به عن ربهم ونقضهم عهودهم في أوصيائهم واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، فكذبهم الله فيما انتحلوه من الإيمان بقوله : ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ فيختم الله على أفواههم، ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود، فتشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم : لم شهدتم علينا؟ قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء.

ثم يجتمعون في موطن آخر فيفر بعضهم من بعض لول ما يشاهدونه من صعوبة الأمر، وعظم البلاء فذلك قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ...﴾ الآية.

ثم يجتمعون في موطن آخر يستنطق فيه أولياء الله وأصفيؤه، فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فيقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالة التي حملوها إلى أممهم، وتسئل الأمم فتجحد كما قال الله تعالى : ﴿فَلَنَسْتَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلُنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ فيقولون : ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ فتشهد الرسل رسول الله (ص) فيشهد بصدق الرسل، وتكذيب من جحدوا من الأمم، فيقول : لكل أمة منهم - : ﴿بَلَى قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي : مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم، كذلك قال الله - لنبيه - : ﴿كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَاكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فلا يستطيعون رد شهادته، خوفاً من أن يختم الله على أفواههم، وأن تشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون، ويشهد على منافقي قومه، وأمنته، وكفارهم بالحادهم، وعنادهم، ونقضهم عهده، وتغييرهم سنة، واعتدائهم على أهل بيته، وانقلابهم على أعقابهم، وارتدادهم على أديبارهم، واحتذائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الأمم الظالمة، الخائنة لأنبيائها، فيقولون بأجمعهم : ﴿رَبُّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ظَالِمِينَ﴾.

ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمد (ص) وهو : (المقام المحمود) فيثني على الله بما لم يش عليه أحد قبله ، ثم يثني على الملائكة كلهم ، فلا يبقى ملك إلا أثني عليه محمد ، ثم يثني على الأنبياء بما لم يش عليهم أحد قبله ، ثم يثني على كل مؤمن ومؤمنة ، يبدأ بالصدّيقين والشهداء ، ثم الصالحين ، فيحمده أهل السماوات وأهل الأرضين ، فذلك قوله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ فطوبى لمن كان له في ذلك المكان حظ ونصيب ، وويل لمن لم يكن له في ذلك المقام حظ ولا نصيب .

ثم يجتمعون في موطن آخر ويزال بعضهم عن بعض ، وهذا كله قبل الحساب فإذا اخذ في الحساب شغل كل إنسان بما لديه ، نسأل الله بركة ذلك اليوم .

قال علي (ع) : وأما قوله : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عز وجل ، بعدها يفرغ من الحساب ، إلى نهر يسمى : «نهر الحيوان» فيغتسلون منه ، ويشربون من آخر فتبيض وجوههم ، فيذهب عنهم كل أذى وقذى ووعث ، ثم يؤمرون بدخول الجنة ، فمن هذا المقام ينظرون إلى ربهم كيف يشيهم ، ومنه يدخلون الجنة فذلك قول الله عز وجل - في تسليم الملائكة عليهم - : ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ فعند ذلك قوله تعالى : أثيبوا بدخول الجنة والنظر إلى ما وعدهم الله عز وجل ، فذلك قوله تعالى : ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ والناظرة في بعض اللغة هي : المنتظرة ، ألم تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ أي : منتظرة بم يرجع المرسلون ؟ وأما قوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ﴾ يعني : محمداً كان عند سدرة المنتهى حيث لا يجاوزها خلق من خلق الله عز وجل ، وقوله - في آخر الآية - : ﴿ ما رآه البصر وما طمى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ رأى جبرئيل في صورته مرتين : هذه مرة ومرة أخرى ، وذلك أن خلق جبرئيل خلق عظيم ، فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم ، ولا صفتهم الا الله رب العالمين .

قال علي (ع) : وأما قوله : ﴿ ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ كذلك قال الله تعالى : قد كان الرسول يوحى إليه رسل من السماء فتبلغ رسل السماء إلى الأرض ، وقد كان الكلام بين رسل أهل الأرض وبينه من غير أن يرسل بالكلام مع رسل أهل السماء ، وقد قال رسول الله (ص) : « يا جبرئيل هل رأيت ربك ؟ » فقال جبرئيل « إن ربي لا يرى » .

فقال رسول الله (ص) : « من أين تأخذ الوحي ؟ » قال : « آخذه من إسرافيل » قال : « ومن أين يأخذه إسرافيل ؟ » قال : « يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين » قال : « ومن أين يأخذ ذلك الملك ؟ » قال : « يقذف في قلبه قذفاً » .

فهذا وحي ، وهو كلام الله عز وجل ، وكلام الله ليس بنحو واحد ، منه : ما كلم الله به الرسل ، ومنه : ما قذف في قلوبهم ، ومنه : رؤيا يراها الرسل ، ومنه : وحي وتنزيل يتلى ويقرأ فهو كلام الله عز وجل .

قال علي (ع) : وأما وقوله : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ فانما يعني به يوم القيامة عن

ثواب ربهم لمحجوبون . وقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ يخبر محمداً عن المشركين والمنافقين ، الذين لم يستجيبوا لله ولرسوله . فقال : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة ﴾ وحيث لم يستجيبوا لله ولرسوله ، ﴿ أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ يعني بذلك : العذاب ، يأتيهم في دار الدنيا كما عذب القرون الأولى ، فهذا خبر يخبر به النبي (ص) عنهم ، ثم قال : ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾ الآية يعني : لم تكن آمنت من قبل أن تأتي هذه الآية ، وهذه الآية هي : طلوع الشمس من مغربها ، وقال - في آية أخرى - : ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ يعني : أرسل عليهم عذاباً ، وكذلك إتيانهم بنيانهم حيث قال : ﴿ فأتى بنيانهم من القواعد ﴾ يعني : أرسل عليهم العذاب .

قال علي (ع) : وأما قوله عز وجل : ﴿ بل هم بلبقاء ربهم كافرون ﴾ وقوله : ﴿ الذين يظنون أنهم ملأوا زخماً ﴾ وقوله : ﴿ إلى يوم يلقونه ﴾ وقوله : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ﴾ يعني : البعث ، فسماء الرلقاء ، كذلك قوله : ﴿ من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت ﴾ يعني : من كان يؤمن أنه مبعوث فإن وعد الله لآت : من الثواب ، والعقاب ، فاللقاء هاهنا ليس بالرؤية ، واللقاء هو البعث ، وكذلك : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ يعني : أنه لا يزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون .

قال علي (ع) : وأما قوله عز وجل : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ﴾ يعني : تيقنوا أنهم يدخلونها ، وكذلك قوله : ﴿ إني ظننت أني ملاقي حسابه ﴾ وأما قوله عز وجل - للمنافقين - : ﴿ ويظنون بالله الظنون ﴾ فهو ظن شك وليس ظن يقين ، والظن ظنان : ظن شك ، وظن يقين ، فما كان من أمر المعاد من الظن فهو ظن يقين ، وما كان من أمر الدنيا فهو ظن شك .

قال علي (ع) : وأما قوله عز وجل : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ فهو : ميزان العدل ، يؤخذ به الخلايق يوم القيامة بدين الله تبارك وتعالى ، الخلايق بعضهم من بعض ، ويجزيهم بأعمالهم ويقتص للمظلوم من الظالم ، ومعنى قوله : ﴿ فمن ثقلت موازينه ، ومن خفت موازينه ﴾ فهو : قلة الحساب وكثرته ، والناس يومئذ على طبقات ومنازل ، فمنهم : من يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ، ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، لأنهم لم يتلبسوا من أمر الدنيا ، وإنما الحساب هناك على من تلبس بها هاهنا ، ومنهم من يحاسب على النقيير والقطمير ويصير إلى عذاب السعير ، ومنهم أئمة الكفر وقادة الضلالة فأولئك لا يقيم لهم وزناً ، ولا يعجز بهم بأمره ونهيه يوم القيامة ، وهم في جهنم خالدون ، وتلفح وجوههم النار ، وهم فيها كالحون .

ومن سؤال هذا الزنديق أن قال : أجد الله يقول : ﴿ قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾^(١) .

ومن موضع آخر يقول : ﴿ والله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾^(٢) والذين تتوفاهم الملائكة

طيبين ﴿١﴾ وما أشبه ذلك: فمرة يجعل الفعل لنفسه، ومرة لملك الموت، ومرة للملائكة.

وأجده يقول: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾^(٢) ويقول: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾^(٣) أعلم في الآية الأولى: أن الأعمال الصالحة لا تكفر، وأعلم في الثانية: أن الإيمان والأعمال الصالحات لا تنفع الا بعد الاهتداء.

وأجده يقول: ﴿واسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا﴾^(٤) فكيف يسأل الحي من الأموات قبل البعث والنشور.

وأجده يقول: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾^(٥) فما هذه الأمانة ومن هذا الإنسان؟ وليس من صفته العزيز العليم التلبيس على عباده.

وأجده قد شهر هفوات أنبيائه بقوله: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾^(٦) وبتكذيبه نوحاً لما قال: ﴿إن ابني من أهلي﴾^(٧) بقوله: ﴿إنه ليس من أهلك﴾^(٨) وبوصفه إبراهيم: بأنه عبد كوكباً مرة، ومرة قمراً، ومرة شمساً، ويقول في يوسف: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾^(٩) وبتنهجينه موسى حيث قال: ﴿رب أرنى أنظر إليك قال لن تراني﴾^(١٠) الآية^(١١) وبيعه على داوود جبرئيل وميكائيل حيث تسور المحراب، وبحبه يونس في بطن الحوت حيث ذهب مغضباً وأظهر خطأ الأنبياء وزللهم، ووارى اسم من اغتر وقتن خلقاً وضل وأضل، وكفى عن أسمائهم في قوله: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جائني﴾^(١٢) فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ما ذكر من أسماء الأنبياء؟

وأجده يقول: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾^(١٣) وهل ينظرون إلا أن يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾^(١٤) ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾^(١٥) فمرة يجيئهم، ومرة يجيئونهم.

وأجده يخبر: أنه يتلو نبيه شاهد منه، وكان الذي تلاه عبد الأصنام برهة من دهره.

وأجده يقول: ﴿ولتسئلن يومئذ عن النعيم﴾^(١٦) فما هذا النعيم الذي يسأل العباد عنه؟

وأجده يقول: ﴿بقية الله خير لكم﴾^(١٧) ما هذه البقية؟

(٢) الأنبياء - ٩٤ .
(٤) الزخرف - ٤٥ .
(٦) طه - ١٢١ .
(٨) هود - ٤٦ .
(١٠) الأعراف - ١٤٣ .
(١٢) الفجر - ٣٢ .
(١٤) الأنعام - ٩٤ .
(١٦) هود - ٨٦ .

(١) النحل - ٣٢ .
(٣) طه - ٨٢ .
(٥) الأحزاب - ٧٢ .
(٧) هود - ٤٥ .
(٩) يوسف - ٢٤ .
(١١) الفرقان - ٢٧ .
(١٣) الأنعام - ١٥٨ .
(١٥) التكاثر - ٨ .

وأجده يقول: ﴿يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله﴾ ﴿وأينما تولوا فثم وجه الله﴾^(١) ﴿وكل شيء عاكس إلا وجهه﴾^(٢) ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾^(٣) ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾^(٤) ما معنى: الجنب، والوجه واليمين، والشمال؟ فإن الأمر في ذلك ملتبس جداً؟
وأجده يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(٥) ويقول: ﴿أأنتم من في السماء﴾^(٦) ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾^(٧) ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾^(٨) ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾^(٩) ﴿وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾^(١٠) الآية.
وأجده يقول: ﴿وإن خفتهم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾^(١١) وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء أيتام فما معنى ذلك؟
وأجده يقول: ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾^(١٢) فكيف يظلم الله ومن هؤلاء الظلمة؟

وأجده يقول: ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾^(١٣) فما هذه الواحدة؟

وأجده يقول: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(١٤) وقد أرى مخالفين الإسلام معتكفين على باطلهم، غير مقلعين عنه، وأرى غيرهم من أهل الفساد مختلفين في مذاهبهم، يلعن بعضهم بعضاً، فأبي موضع للرحمة العامة لهم المشتبهة عليهم؟
وأجده قد بين فضل نبيه على سائر الأنبياء، ثم خاطبه في أضعاف ما أثنى عليه في الكتاب من الأزرار عليه، وانتقاص محله، وغير ذلك من تهجينه وتأنيبه ما لم يخاطب أحداً من الأنبياء، مثل قوله ﴿ولسو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾^(١٥) وقوله: ﴿لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾^(١٦) ﴿إذن لأذقنك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تحمد لك علينا نصيراً﴾^(١٧) وقوله: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾^(١٨) وقوله: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾^(١٩) وقال: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾^(٢٠) فإذا كانت الأشياء تخص في الإمام وهو وصي النبي فالنبي أولى أن يكون بعيداً من الصفة التي قال فيها: ﴿ما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ وهذه كلها صفات مختلفة، وأحوال

- (٢) القصص - ٢٨ .
(٤) الواقعة - ٤١ .
(٦) الملك - ١٦ .
(٨) الحديد - ٤ .
(١٠) المجادلة - ٧ .
(١٢) الأعراف - ١٦٠ .
(١٤) الأنبياء - ١٠٧ .
(١٦) الاسراء - ٧٤ .
(١٨) الأحزاب - ٢٧ .
(٢٠) يس - ١٢ .

- (١) البقرة - ١١٥ .
(٣) الواقعة - ٢٧ .
(٥) طه - ٥ .
(٧) لقزخرف - ٨٤ .
(٩) ق - ١٦ .
(١١) النساء - ٣ .
(١٣) سبأ - ٤٦ .
(١٥) الأنعام - ٣٥ .
(١٧) الاسراء - ٧٥ .
(١٩) الأحقاف - ٩ .

متناقضة، وأمور مشككة، فإن يكن الرسول والكتاب حقاً فقد هلك لشكي في ذلك، وإن كانا باطلين فما عليّ من بأس.

فقال أمير المؤمنين (ع) : سبح قدوس، رب الملائكة والروح، تبارك وتعالى، هو الحي الدائم، القائم على كل نفس بما كبت، هات أيضاً ما شككت فيه
قال : حسبي ما ذكرت يا أمير المؤمنين.

قال : سأنبئك بتأويل ما سألت، وما توفيتي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وعليه فليتوكل المتوكلون.

فأما قوله : ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وقوله : ﴿يتوفىكم ملك الموت﴾ ﴿وتوفته رسلنا﴾ ﴿والذين تتوفىهم الملائكة طيبين﴾ ﴿والذين تتوفىهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ فهو تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنهم بأمره يعملون، فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكل ما يأتون منسوب إليه وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله، لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء ويعطي ويمنع، ويشيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أمثاله فعله، فما يشاؤون إلا أن يشاء الله.

وأما قوله : ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾ وقوله : ﴿وإني لفجار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ فإن ذلك كله لا يعني إلا مع الاهتداء، وليس كل من وقع عليه اسم الإيمان كان حقيقاً بالنجاة مما هلك به الغواة، ولو كان ذلك كذلك لنجت اليهود مع اعترافها بالتوحيد، وإقرارها بالله ونجى ساير المقرين بالوحدانية، من إبليس فمن دونه في الكفر، وقد بين الله ذلك بقوله : ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك هم الأمن وهم مهتدون﴾ ويقول : ﴿الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾.

وللإيمان حالات ومنازل يطول شرحها، ومن ذلك : أن الإيمان قد يكون على وجهين : إيمان بالقلب، وإيمان باللسان، كما كان إيمان المنافقين على عهد رسول الله، لما قهرهم بالسيف وشملهم الخوف فانهم آمنوا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم، فالإيمان بالقلب هو التسليم للرب، ومن سلم الأمور لما لكها لم يستكبر عن أمره، كما استكبر إبليس عن السجود لآدم، واستكبر أكثر الأمم عن طاعة أنبيائهم، فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل، فانه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، ولم يرد بها غير زخرف الدنيا، والتمكين من النظرة، فلذلك لا تنفع الصلاة والصدقة الا مع الاهتداء إلى سبيل النجاة، وطرق الحق.

وقطع الله عذر عباده بتبيين آياته، وإرسال رسله، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولم يخل أرضه من عالم بما يحتاج إليه الخليفة، ومتعلم على سبيل النجاة، أولئك هم الأقلون عدداً، وقد بين الله ذلك في أمم الأنبياء وجعلهم مثلاً لمن تأخر، مثل قوله - في قوم نوح - : ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ وقوله - فيمن آمن من أمة موسى - : ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ وقوله - في حوارى عيسى حيث قال لسائر بني إسرائيل - : ﴿من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ يعني : بأنهم مسلمون لأهل الفضل فضلهم ولا يستكبرون عن أمر ربهم، فما أجابه منهم الا الحواريون، وقد جعل الله للعلم أهلاً، وفرض على العباد طاعتهم بقوله : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ ويقول : ﴿ولو ردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ ويقول : ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ ويقول : ﴿وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم﴾ ﴿واتوا البيوت من أبوابها﴾ والبيوت هي : بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم، فكل من عمل من أعمال الخير فجرى على غير أيدي أهل الاصطفاء وعهودهم، وشرائعهم، وسنتهم، ومعالم دينهم، مردود وغير مقبول، وأهله بمحل كفر، وإن شملتهم صفة الإيمان، ألم نسمع إلى قوله تعالى : ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾؟

فمن لم يهتد من أهل الإيمان إلى سبيل النجاة لم يغن عنه إيمانه بالله مع دفع حق أوليائه، وحبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين، وكذلك قال الله سبحانه : ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ وهذا كثير في كتاب الله عز وجل، والهداية هي : الولاية، كما قال الله عز وجل : ﴿ومن يتولى الله ورسوله والذي آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ والذين آمنوا في هذا الموضع : هم المؤمنون على الخلائق من الحجج، والأوصياء في عصر بعد عصر.

وليس كل من أقر أيضاً من أهل القبلة بالشهادتين كان مؤمناً إن المنافقين كانوا يشهدون : أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدفعون عهد رسول الله بما عهد به من دين الله، وعزائمه، وبراهين نبوته، إلى وصيه ويضمرون من الكراهة لذلك، والنقض لما أبرمه منه، عند إمكان الأمر لهم، فيما قد بينه الله لنبية بقوله : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً﴾ ويقول : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ ومثل قوله : ﴿لتركين طبقاً عن طبق﴾ أي : لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم : في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء، وهذا كثير في كتاب الله عز وجل، وقد شق على النبي ما يؤول إليه عاقبة أمرهم، وإطلاع الله إياه على بوارهم، فأوحى الله عز وجل إليه : ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولا تأس على القوم الكافرين﴾

وأما قوله : ﴿وامسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ فهذا من براهين نبينا التي آتاه إياها، وأوجب به الحجة على سائر خلقه، لأنه لما ختم به الأنبياء، وجعله الله رسولاً إلى جميع الأمم، وسائر الملل، خصه

الله بالارتقاء إلى السماء عند المعراج وجمع له يومئذ الأنبياء، فعلم منهم ما أرسلوا به وحملوه من : عزائم الله وآياته وبراهينه، وأقروا أجمعون بفضلته، وفضل الأوصياء والحجج في الأرض من بعده، وفضل شيعة وصيه من المؤمنين والمؤمنات، الذين سلموا لأهل الفضل فضلهم، ولم يستكبروا عن أمرهم، وعرف من أطاعهم وعصاهم من أمهم، وسائر من مضى ومن غير، أو تقدم أو تأخر.

وأما هفوات الأنبياء (ع) وما بينه الله في كتابه، ووقوع الكناية من أسماء من اجترم أعظم مما اجترمته الأنبياء، ممن شهد الكتاب بظلمهم، فإن ذلك من أدل الدلائل على : حكمة الله عز وجل الباهرة، وقدرته القاهرة، وعزته الظاهرة، لأنه علم : أن براهين الأنبياء تكبر في صدور أمهم، وأن منهم من يتخذ بعضهم إلهاً، كالذي كان من النصاري في ابن مريم، فذكرها دلالة على تخلفهم عن الكمال الذي تفرد به عز وجل، ألم تسمع إلى قوله في صفة عيسى حيث قال - فيه وفي أمه - : ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ يعني : أن من أكل الطعام كان له ثقل، ومن كان له ثقل فهو بعيد مما ادعته النصاري لابن مريم، ولم يكن عن أسماء الأنبياء تبجراً وتعوراً^(١) بل تعريفاً لأهل الاستبصار.

إن الكناية عن أسماء أصحاب الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن ليست من فعله تعالى، وإنما من فعل المغيرين والمبدلين، الذين جعلوا القرآن عظيم واعتاضوا الدنيا من الدين، وقد بين الله تعالى قصص المغيرين بقوله : ﴿الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ ويقولون : ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ ويقولون : ﴿إذ يبيتون ما لا يرضى من القول﴾ بعد فقد الرسول مما يقيمون به أود باطلهم^(٢) حسب ما فعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى وعيسى من : تغيير التوراة والإنجيل، وتحريف الكلم عن مواضعه، ويقولون : ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون﴾ يعني : أنهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليفة فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما دل على ما أحدثوه فيه، وبين إفكهم، وتلبيسهم وكتمان ما عملوه منه، ولذلك قال لهم : ﴿لم تلبسون الحق بالباطل﴾

وضرب مثلهم بقوله : ﴿فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ فالزبد في هذا الموضع كلام الملحددين الذين أثبتوه في القرآن، فهل يضمحل، ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه : فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع فهي : محل العلم وقراره.

وليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين، ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب، لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر، والملل المنحرفة عن قبلتنا، وإبطال هذا العلم الظاهر الذي قد استكان له الموافق والمخالف بوقوع الاصطلاح على الإيتمار لهم، والرضا بهم، ولأن أهل الباطل في القديم والحديث أكثر عدداً من أهل الحق، فلأن الصبر على ولاة الأمر

(١) البحر : العيب . والتعزير : اللوم والتأديب .

(٢) الأول : الاحتجاج .

مفروض لقول الله عز وجل لنبيه (ص): ﴿قاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ وإيجابه مثلاً ذلك على أوليائه، وأهل طاعته، بقوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ فحسبك من الجواب عن هذا الموضع ما سمعت، فإن شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه.

وأما قوله: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ وقوله: ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ وقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾ فذلك كله حق، وليست جيئته جل ذكره كجيئته خلقه، فإنه رب كل شيء.

ومن كتاب الله عز وجل يكون تأويله على غير تنزيله، ولا يشبه تأويله بكلام البشر، ولا فعل البشر، وسأنبئك بمثال لذلك نكتفي به انشاء الله تعالى وهو حكاية الله عز وجل عن إبراهيم (ع) حيث قال: ﴿إني ذاهب إلى ربي﴾ فذهابه إلى ربه توجهه إليه في عبادته واجتهاده، ألا ترى أن تأويله غير تنزيله، وقال: ﴿وانزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ وقال: ﴿وانزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ فانزاله ذلك: خلقه إياه.

وكذلك قوله: ﴿إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ أي: الجاحدين والتأويل في هذا القول باطنه مضاد لظاهره.

ومعنى قوله: ﴿فهل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾ قائماً مخاطب نبينا محمداً (ص) هل ينتظر المنافقون والمشركون إلا أن تأتيهم الملائكة فيعابنونهم، أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يعني بذلك: أمر ربك، والآيات هي: العذاب في دار الدنيا، كما عذب الأمم السالفة والقرون الخالية، وقال: ﴿أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ يعني بذلك: ما يهلك من القرون فسماء آتينا، وقال: ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ أي لعنهم الله أنى يؤفكون، فسمى اللعنة قتلاً، وكذلك قال: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ أي: لعن الإنسان، وقال: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فسمى فعل النبي (ص) فعلاً له، ألا ترى تأويله على غير تنزيله ومثل قوله: ﴿هل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ فسمى البعث: لقاء، وكذلك قوله ﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾ أي: يوقنون أنهم مبعوثون، ومثله قوله: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾ أي: ليس يوقنون أنهم مبعوثون، واللقاء عند المؤمن: البعث، وعند الكافر: المعينة والنظر. وقد يكون بعض ظن الكافر يقيناً، وذلك قوله: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾ أي: تيقنوا أنهم مواقعوها.

وأما قوله في المنافقين: ﴿ويظنون بالله الظنون﴾ فليس ذلك بيقين ولكنه شك، فاللفظ واحد في الظاهر، ومخالف في الباطن، وكذلك قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ يعني: استوى تدبيره وعلا أمره، وقوله: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ وقوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ وقوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ قائماً أراد بذلك استيلاء أمانته بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه، وأن فعله فعلهم.

فافهم عني ما أقول لك، فإني إنما أزيدك في الشرح لائلاج في صدرك وصدر من لعله بعد اليوم يشك في مثل ما شككت فيه، فلا يجد مجيباً عما يسأل عنه، لعموم الطغيان، والافتتان، واضطرار أهل العلم بتأويل الكتاب، إلى الاكتتام والاحتجاب، خيفة أهل الظلم والبغي.

أما إنه سيأتي على الناس زمان يكون الحق فيه مستوراً، والباطل ظاهراً مشهوراً، وذلك: إذا كان أولى الناس بهم أعداهم له، واقترب الوعد الحق، وعظم الإلحاد، وظهر الفساد، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً. ونحلهم الكفار أسماء الأشرار، فيكون جهد المؤمن أن يحفظ مهجته من أقرب الناس إليه ثم يتيح الله الفرج لأولياته، ويظهر صاحب الأمر على أعدائه.

وأما قوله: ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ فذلك حجة الله أقامها على خلقه، وعرفهم أنه لا يستحق مجلس النبي إلا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلا من يكون في الطهارة مثله، لكلا يتسع لمن ماسه حس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق بمقام رسول الله (ص)، وليضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه، إذ كان الله قد حظر على من ماسه الكفر نقول ما فوضه إلى أنبيائه وأوليائه، بقوله لإبراهيم: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ أي: المشركين، لأنه سمي الظلم شركاً بقوله: ﴿إنَّ الشُّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فلما علم إبراهيم (ع) أن عهد الله تبارك وتعالى اسمه بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام، قال: ﴿فاجنبي وبنّي أن نعبد الأصنام﴾.

واعلم أن من أثر المنافقين على الصادقين، والكفار على الأبرار، فقد افتري إثماً عظيماً، إذا كان قد بين في كتابه الفرق بين المحق والمبطل، والطاهر والنجس والمؤمن والكافر، وأنه لا يتلو النبي عند فقده إلا من حل محله صدقاً وعدلاً وطهارة وفضلاً.

وأما الأمانة التي ذكرتها فهي: الأمانة التي لا تحب ولا تجوز أن تكون إلا في الأنبياء وأوصيائهم، لأن الله تبارك وتعالى ائتمنهم على خلقه، وجعلهم حججاً في أرضه والسماري ومن أجمع معه واعانه من الكفار على عبادة العجل عند غيبة موسى ما تم انتحال محل موسى من الطعام، والاحتمال لتلك الأمانة التي لا ينبغي إلا لظاهر من الرجس، فاحتمل وزرها ووزر من سلك سبيله من الظالمين وأعوانهم ولذلك قال النبي (ص): ومن استن سنة حق كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ولهذا القول من النبي (ص) شاهد من كتاب الله، وهو: قول الله عز وجل في قصة قابيل قاتل أخيه: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ والاحياء في هذا الموضع تأويل في الباطن ليس كظاهره، وهو من هداها، لأن الهداية هي: حياة الأبد، ومن سماه الله حياً لم يمّت أبداً، إنما ينقله من دار محنة إلى دار راحة ومنحة.

وأما ما كان من الخطاب بالانفراد مرة وبالجمع مرة، من صفة البارئ جل ذكره، فإن الله تبارك وتعالى اسمه، على ما وصف به نفسه بالانفراد والوحدانية، هو: النور الأزلي القديم الذي ليس كمثله شيء، لا يتغير، ويحكم ما يشاء ويختار، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، ولا ما خلق زاد في ملكه وعزه ولا نقص منه ما لم يخلقه، وإنما أراد بالخلق إظهار قدرته وإبداء سلطانه وتبيين براهين حكمته،

فخلق ما شاء كما شاء، وأجرى فعل بعض الأشياء على أيدي من اصطفى من أمثاله، وكان فعلهم فعله وأمرهم أمره، كما قال: ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ وجعل السماء والأرض وعاء لمن يشاء من خلقه، ليميز الخبيث من الطيب، مع سابق علمه بالفريقين من أهلها، وليجعل ذلك مثلاً لأولياته وأمنائه، وعرف الخليقة فضل منزلة أولياته، فرض عليهم من طاعتهم مثل الذي فرضه منه لنفسه، وألزمهم الحجة بأن خاطبهم خطاباً يدل على انفراده وتوحيده ويأن له أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله، فهم: ﴿العباد المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ ﴿هو الذي﴾^(١) أيدهم بروح منه وعرف الخلق اقتدارهم على علم الغيب بقوله: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ وهم: النعيم الذي يسأل العباد عنه، لأن الله تبارك وتعالى أنعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم.

قال السائل: من هؤلاء الحجج؟

قال: هم رسول الله، ومن حل محله من أصفياء الله الذين قرنهم الله بنفسه ورسوله، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه، وهم ولادة الأمر الذين قال الله فيهم: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ وقال فيهم: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾.

قال السائل: ما ذاك الأمر؟

قال علي (ع): الذي به تنزل الملائكة في الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، من: خلق ورزق وأجل وعمل وعمر وحياة وموت وعلم غيب السماوات والأرض، والمعجزات التي لا تنبغي إلا الله وأصفياه والسفرة بينه وبين خلقه، وهم وجه الله الذي قال: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ هم بقية الله يعني المهدي يأتي عند انقضاء هذه النظرة، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ومن آياته: الغيبة والاكتمام عند عموم الطغيان، وحلول الانتقام، ولو كان هذا الأمر الذي عرفتكم بأنه للنبي دون غيره، لكان الخطاب يدل على فعل ماض غير دائم ولا مستقبل، ولقال: «نزلت الملائكة» و«فرق كل أمر حكيم» ولم يقل: «تنزل الملائكة» و«يفرق كل أمر حكيم» وقد زاد جل ذكره في التبيان وإثبات الحجة بقوله - في أصفياه وأوليائه (ع) - : ﴿أن تقول نفس يا حسرت على ما فرطت في جنب الله﴾ تعريفاً للخليقة قريتهم، ألا ترى أنك تقول: «فلان إلى جنب فلان» إذا أردت أن تصف قربه منه.

وإنما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه، لعلمه بما يحدث في كتابه المبدلون، من إسقاط أسماء حججه منه، وتلبسهم ذلك على الأمة ليعينهم على باطلهم، فأثبت به الرموز، وأعمى قلوبهم وأبصارهم، لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه، وجعل أهل الكتاب المقيمين به، والعالمين بظواهره وباطنه من شجرة

أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أي : يظهر مثل هذا العلم لمحمد عليه في الوقت بعد الوقت، وجعل أعداءها : أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ، فأبى الله إلا أن يتم نوره .

ولو علم المنافقون لعنهم الله : ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بينت لك تأويلها، لأسقطوها مع ما أسقطوا منه، ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجة على خلقه، كما قال الله تعالى : ﴿فلله الحجة البالغة﴾ أغشى أبصارهم، وجعل على قلوبهم أكنة عن تأمل ذلك، فتركوه بحاله، وحجبوا عن تأكيد الملتهب بابطاله، فالسعداء ينهون عليه، والأشقياء يعمون عنه، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

ثم إن الله جل ذكره لسعة رحمته، ورأفته بخلق، وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه، قسم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه : يعرفه العالم والجاهل وقسماً : لا يعرفه إلا من صفى ذهنه، ولطف حسه، وصح تمييزه، فمن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً : لا يعرفه إلا الله، وأماؤه، والراسخون في العلم، وإنما فعل الله ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله (ص) من علم الكتاب ما لم يجعل الله لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الإتيان لمن ولاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته، تعزراً^(١) وافتراء على الله عز وجل، واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم، وعائد الله عز وجل ورسوله .

فأما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله في كتاب الله : فهو قول الله عز وجل : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ وقوله : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ وهذه الآية ظاهر وباطن فالظاهر قوله : «صلوا عليه» والباطن قوله : «وسلموا تسليماً» أي سلموا لمن وصاه واستخلفه، وفضله عليكم . وما عهد به إليه تسليماً، وهذا مما أخبرتك : أنه لا يعلم تأويله إلا من لطف حسه، وصفى ذهنه، وصح تمييزه، وكذلك قوله : ﴿سلام على آل يس﴾ لأن الله سمى به النبي (ص) حيث قال : ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ إنك لمن المرسلين لعلمه بأنهم يسقطون قول الله : سلام على آل محمد كما أسقطوا غيره، وما زال رسول الله (ص) يتألفهم، ويقرّبهم، ويجلسهم عن يمينه وشماله، حتى أذن الله عز وجل في إبعادهم بقوله : ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ ويقول : ﴿فما للذين كفروا قبلك مهطعين﴾ عن اليمين وعن الشمال عزين * أبطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا إنا خلقناهم مما يعلمون وكذلك قول الله عز وجل : ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ ولم يسم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم .

وأما قوله : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ فأنما أنزلت كل شيء هالك إلا دينه، لأن من المحال أن يهلك منه كل شيء ويبقى الوجه هو أجل وأكرم وأعظم من ذلك، إنما يهلك من ليس منه، ألا ترى أنه قال : ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ففصل بين خلقه ووجهه .

وأما ظهورك على تناكر قوله: ﴿فإن خفتن أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء أيتام، فهو: مما قدمت ذكره من إسقاط المتأففين من القرآن، وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن، وهذا وما أشبه مما ظهرت حوادث المتأففين فيه لأهل النظر والتأمل. ووجد المعطلون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساعاً إلى القدح في القرآن، ولو شرحت لك كلها أسقط وحرف وبدل مما يجري هذا المجرى لطال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء، ومثالب الأعداء^(١):

وأما قوله: ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ فهو تبارك اسمه أجل وأعظم من أن يظلم، ولكن قرن أمناه على خلقه بنفسه، وعرف الخليفة جلالة قدرهم عنده، وأن ظلمهم ظلمه، بقوله: ﴿وما ظلمونا﴾ ببغضهم أولياءنا ومعونة أعدائهم عليهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ إذ حرموها الجنة، وأوجبوا عليها خلود النار.

وأما قوله: ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ فإن الله جل ذكره نزل عزائم الشرائع وآيات الفرائض، في أوقات مختلفة، كما خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ولو شاء لخلقها في أقل من لمح البصر، ولكنه جعل الأناة والمداورة أمثالاً لأمنائه وإيجاباً للحجة على خلقه، فكان أول ما قيدهم به: الاقرار بالوحدانية والربوبية والشهادة بأن لا إله إلا الله، فلما أقروا بذلك تلاه بالاقرار لنبيه (ص) بالنبوة والشهادة له بالرسالة، فلما انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد ثم الزكاة ثم الصدقات

(١) في ج ١ ص ١٥ من تفسير مجمع البيان للطبرسي قال:

ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصاته، فإنه لا يليق بالتفسير، فلما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقصان منه، فقد روى جماعة من أصحابنا، وقوم من حشوية العامة: أن في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى «قدس الله روحه» واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء، في جواب المسائل الطرابلسيات، وذكر في مواضع: أن العلم بصحة نفل القرآن: كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحرامته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيها ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية... إلى أن قال: وذكر أيضاً رضي الله عنه: أن القرآن كان على عهد رسول الله (ص) مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك: بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه: كان يعرض على النبي (ص) ويتل عليه، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي (ص) عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأذن تأمل على أنه كان مجموعاً، مرتباً، غير مبتور، ولا مبثوث، وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع لثبوتها عن المعلوم المقطوع على صحتها.

وقال آية الله الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتاب «أصل الشيعة وأصولها»

وإن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحصي، ولتعليم الأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه، ولا تحريف، ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه، أو تحريف، فهو مخطئ، يرده نص الكتاب العظيم ﴿إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون﴾ والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم، الظاهرة في نقصه أو تحريفه، ضعيفة شاذة، وأخبار آحاد، لا تفيد علماً ولا عملاً، فاما أن تأول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها عرض الجدار.

وما يجري مجراها من مال الفيء، فقال المنافقون: هل بقي لربك علينا بعد الذي فرضه شيء آخر يفترضه فتذكره لتسكن أنفسنا إلى أنه لم يبق غيره، فأنزل الله في ذلك: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ يعني: الولاية.

وأنزل: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ وليس بين الأمة خلاف أنه لم يؤت الزكاة يومئذ أحد وهو راكع غير رجل، ولو ذكر اسمه في الكتاب لاسقط مع ما أسقط من ذكره، وهذا وما أشبهه من الرموز التي ذكرت لك ثبوتها في الكتاب، ليجهل معناها المحرفون فيبلغ إليك وإلى أمثالك، وعند ذلك قال الله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

وأما قوله للنبي: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وانك ترى أهل الملل المخالفة للإيمان ومن يجري مجراهم من الكفار مقيمين على كفرهم إلى هذه الغاية وأنه لو كان رحمة عليهم لاهتدوا جميعاً ونجوا من عذاب السعير، فإن الله تبارك وتعالى إنما عني بذلك: أنه جعله سبباً لانظار أهل هذه الدار لأن الأنبياء قبله بعثوا بالتصريح لا بالتعريض، وكان النبي منهم، إذا صدع بأمر الله وأجاب قومه سلموا وسلم أهل دارهم من سائر الخليقة، وإن خالفوه هلكوا وهلك أهل دارهم بالآفة التي كان نبيهم يتوعدهم بها، ويخوفهم حلولها ونزولها بساحتهم، من: خسف أو قذف أو رجف أو ريح أو زلزلة أو غير ذلك من أصناف العذاب التي هلكت بها الأمم الخالية.

وإن الله علم من نبينا (ص) ومن الحجج في الأرض: الصبر على ما لم يطق من تقدمهم من الأنبياء الصبر على مثله، فبعثه الله بالتعريض لا بالتصريح. وأثبت حجة الله تعريضاً لا تصريحاً بقوله - في وصيه - : «من كنت مولاه فهذا مولاه» و«هو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وليس من خليفة النبي ولا من النبوة أن يقول قولاً لا معنى له، فلزم الأمة أن تعلم: أنه لما كانت النبوة والاخوة موجودتين في خلقة هارون، ومعدومتين فيمن جعله النبي (ص) بمنزلة أنه قد استخلفه على أمته كما استخلف موسى هارون، حيث قال له: ﴿اخلفني في قومي﴾ ولو قال لهم: لا تقلدوا الامامة إلا فلاناً بعينه وإلا نزل بكم العذاب، لأتاهم العذاب وزال باب الانظار والامهال.

وبما أمر بسد باب الجميع وترك بابيه، ثم قال: ما سددت ولا تركت ولكني أمرت فاطعت، فقالوا سددت بابنا وتركك لاحدثنا سناً.

فأما ما ذكره من حادثة سنة: فإن الله لم يستصغر يوشع بن نون حيث أمر موسى أن يعهد بالوصية إليه، وهو في سن ابن سبع سنين، ولا استصغر يحيى وعيسى لما استودعهما عزائمه وبراهين حكمته، وإنما جعل ذلك جل ذكره لعلمه بعاقبة الامور، وأن وصيه لا يرجع بعده ضالاً ولا كافراً.

وبأن عمد النبي (ص) إلى سورة برآة، فدفعها إلى من علم أن الأمة تؤثره على وصيه، وأمره بقراءتها على أهل مكة، فلما ولي من بين يديه أتبعه بوصيه وأمره بارتجاعها منه، والنفوذ إلى مكة ليقراها

على أهلها، وقال: «إن الله جل جلاله أوحى إليّ أن لا يؤدي عني إلا رجل مني» دلالة منه على خيانة من علم أن الامة اختارته على وصيه.

ثم شفع ذلك بضم الرجل الذي ارتجع سورة براءة منه، ومن يوازره في تقدم المحل عند الامة إلى علم النفاق «عمرو بن العاص» في غزاة ذات السلاسل، ولأهما عمرو: حرس عسكره.

وختم أمرهما: بأن ضمهما عند وفاته إلى مولاة أسامة بن زيد، وأمرهما بطاعته، والتصريف بين أمره ونهيه، وكان آخر ما عهد به في أمر امته قوله: «أنفذوا جيش أسامة» يكرر ذلك على أسماعهم، إيجاباً للحجة عليهم في إثبات المنافقين على الصادقين.

ولو عددت كلما كان من أمر رسول الله (ص) في إظهار معائب المستولين على تراثه لطلال، وإن السابق منهم إلى تقلد ما ليس له بأهل قام هاتفاً على المنبر لعجزه عن القيام بأمر الامة، ومستقيلاً^(١) بما قلده لقصور معرفته على تأويل ما كان يسأل عنه، وجهله بما يأتي ويذر.

ثم أقام على ظلمه، ولم يرض باحتقار عظيم الوزر في ذلك حتى عقد الأمر من بعده لغيره، فأق التالى بتسفيه رأيه، والقذح والطمع على أحكامه، ورفع السيف عمن كان صاحبه وضعه عليه، ورد النساء اللاتي كان سباهن إلى أزواجهن وبعضهن حوامل،^(٢) وقوله: «قد نبهت عن قتال أهل القبلة فقال لي: إنك لحدب على أهل الكفر، وكان هو في ظلمه لهم أولى باسم الكفر منهم.

ولم يزل يخطئه، ويظهر الإرزاء عليه، ويقول على المنبر: «كانت بيعة أبي بكر فلتة، وفى الله شرها، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه» وكان يقول قبل ذلك قولاً ظاهراً: ليتة حسنة من حسناته، ويود أنه كان شعرة في صدره، وغير ذلك من القول المتناقض المؤكد لحجج الدافعين لدين الاسلام.

وأق من أمر الشورى وتأكيد به: عقد الظلم والاحاد، والغني والفساد، حتى تقرر على إرادته ما لم يخف على ذي لب موضع ضرره.

ولم تنطق الامة الصبر على ما أظهره الثالث من سوء الفعل، فعاجلته بالقتل فاتسع بما جنوه من ذلك لمن وافقهم على ظلمهم وكفرهم ونفاقهم: محاولة مثل ما أتوه من الاستيلاء على أمر الامة.

كل ذلك لتتم النظرة التي أوحاها الله تعالى لعدوه إبليس، إلى أن يبلغ الكتاب أجله وبحق القول على الكافرين، ويقترب الوعد الحق، الذي بينه في كتابه بقوله: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لنستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾^(٣) وذلك: إذا لم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، وغاب صاحب الأمر بإيضاح الغدر له في ذلك، لاشتغال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له.

(١) إشارة إلى قول أبي بكر «أقبلوني فلست بخيركم وعلي فيكم».

(٢) راجع قصة مالك بن نويرة في ترجمة خالد بن الوليد فيما مضى من هذا الكتاب.

(٣) النور - ٥٥ .

وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها، ويظهر دين نبيه (ص) - على يديه - على الدين كله ولو كره المشركون.

وأما ما ذكرته من الخطاب الدال على تهجين النبي (ص)، والارزاء به، والتأنيب له، مع ما أظهره الله تعالى في كتابه من تفضيله إياه على سائر أنبيائه فإن الله عز وجل جعل لكل نبي عدواً من المشركين، كما قال في كتابه وبحسب جلاله منزلة نبينا (ص) عند ربه، كذلك عظم محنته لعدوه الذي عاد منه في شقاقه ونفاقه كل أذى ومشقة لدفع نبوته وتكذيبه إياه وسعيه في مكارهه وقصده لتفرض كل ما أبرمه، واجتهاده ومن ماله على كفره وعناده ونفاقه والحادة في إبطال دعواه وتغيير ملته ومخالفته سنته، ولم ير شيئاً أبلغ في تمام كيدته من تنفيرهم عن موالاته وصيه، وإيحاشهم منه وصددهم عنه وإغرائهم بعداوتهم، والقصد لتغيير الكتاب الذي جاء به، وإسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل وكفر ذوي الكفر منه ومن وافقه على ظلمه، وبغية وشركه.

ولقد علم الله ذلك منهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا﴾ وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ ولقد أحضروا الكتاب كاملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ لم يسقط منه: حرف الف ولا لام، فلما وقفوا على ما بينه الله من: أسماء أهل الحق والباطل، وأن ذلك إن ظهر نقص ما عهدوه قالوا: لا حاجة لنا فيه، نحن مستغنون عنه بما عندنا وكذلك قال: ﴿فَبَدَّلُوا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

دفعهم الاضطراب بورود المسائل عليهم عما لا يعلمون تأويله إلى جمعه وتأليفه وتضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم، فصرخ مناديتهم: من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به، ووكّلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم على معاداة أولياء الله، فألفه على اختيارهم، وما يدل للمتأمل له على اختلال تمييزهم وافتراءهم وتركوا منه ما قدروا أنه لهم وهو عليهم وزادوا فيه ما ظهر تناكره وتنافره، وعلم الله أن ذلك يظهر ويبين، فقال: ﴿ذَلِكَ مِبلَغُهُمُ مِنَ الْعِلْمِ﴾ وانكشف لأهل الاستبصار عوارهم وافتراؤهم.

والذي بدا في الكتاب من الارزاء على النبي (ص) من فرقة الملحدين ولذلك قال: ﴿وَيَقُولُونَ مُتَكَرَّراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً﴾ ويذكر جل ذكره لنبيه (ص) ما يحدثه عدوه في كتابه من بعده بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ يعني: أنه ما من نبي تمنى مفارقة ما يعانیه من نفاق قومه وعقوقهم والانتقال عنهم إلى دار الأقامة، إلا ألقى الشيطان المعرض لعداوتهم عند فقدته في الكتاب الذي أنزل عليه: ذمه والقدر فيه والطعن عليه، فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله، ولا تصغي إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين، ويحكم الله آياته: بأن يحمي أوليائه من الضلال والعدوان، ومشايعة أهل "كفر والطغيان"، الذين لم يرض الله أن يجعلهم كالأنعام حتى قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

فافهم هذا واعلمه، واعمل به، واعلم أنك ما قد تركت مما يجب عليك السؤال عنه أكثر مما

سألت عنه، وأني قد اقتصرت على تفسير يسير من كثير لعدم حملة العلم، وقلة الراغبين في التماسه، وفي دون ما بينت لك بلاغ لذوي الألباب.

قال السائل: حسبي ما سمعت يا أمير المؤمنين! شكراً لله لك على استنفاذ من عماية الشرك وطخية الافك، وأجزل على ذلك مثوبتك إنه على كل شيء قدير، وصلى الله أولاً وآخرأ على أنوار الهدايات، وأعلام البريات محمد وآله أصحاب الدلالات الواضحات وسلم تسليماً كثيراً.

عن الأصمغ بن نباتة قال: لما يوبع أمير المؤمنين (ع)، خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله (ص)، لابساً بردته، متعللاً بنعل رسول الله، ومتقلداً بسيف رسول الله (ص)، فصعد المنبر، فجلس متمكناً، ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال:

يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني. وهذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله (ص)، هذا ما زفني رسول الله زقاً زقاً، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين.

أما والله لو ثبت لي الوحادة فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم وأهل الانجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل القرآن بقرآنهم، حتى ينطق كل كتاب من كتب الله فيقول: «صدق علي لقد أفتاكم بما أنزل الله في»، وأنتم تطلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم. ما أنزل الله فيه، ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١).

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرى النسمة، لو سألتموني عن آية آية، في ليل نزلت أم في نهار نزلت، مكيتها ومدنيها، سفريها وحضرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأنبأتكم

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فأجابه بما تقدم ذكرنا إياه^(٢).

قال: فسلوني قبل أن تفقدوني.

فقام إليه رجل من أقصى المجلس فقال: يا أمير المؤمنين دلني على عمل ينجيني الله به من النار، ويدخلني الجنة!

قال: اسمع، ثم افهم، ثم استيقن، قامت الدنيا بثلاث: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، وبغني لا يبخل بماله على دين الله، وبفقير صابر. فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني بماله، ولم يصبر الفقير على فقره، فعندها الويل والثبور، وكادت الأرض أن ترجع إلى الكفر بعد الإيمان.

أيها السائل لا تغترن بكثرة المساجد، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم متفرقة، فانما الناس

(١) الرعد - ٣٩ .

(٢) مرّ جوابه عليه السلام لسائل سأله السؤال نفسه فقال: لم أك بالذي أعبد من لم أره . . . الخ، فراجعه.

ثلاث: زاهد، وراغب، وصابر.

أما الزاهد: فلا يفرح بالدنيا إذا أتته، ولا يحزن عليها إذا فاتته. وأما الصابر: فيتمناها بقلبه، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لعلمه بسوء العاقبة. وأما الراغب: فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام.

ثم قال: يا أمير المؤمنين فما علامة المؤمن في ذلك الزمان؟
قال: ينظر إلى ولي الله فيتولاه، وإلى عدو الله فيتبرأ منه وإن كان حمياً قريباً.

قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين ثم غاب فلم ير. فقال: هذا أخي الخضر (ع) . . . تمام الخبر.
وعن الأصبع بن نباتة قال: خطبنا أمير المؤمنين (ع) على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس سلوني فإن بين جوانحي علماً جماً فقام إليه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين ما الذاريات ذرواً؟

قال: الرياح.

قال: فما الحاملات وقرأ؟ قال: السحاب.

قال: فما الجاريات يسراً؟ قال: السفن.

قال: فما المقسمات أمراً؟ قال: الملائكة.

قال: يا أمير المؤمنين وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً.

قال: ثكلتك أمك يا ابن الكوا! كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً، فسل عما بدا لك.

قال يا أمير المؤمنين سمعته يقول: ﴿رَبِّ المَشَارِقِ والمَغَارِبِ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿رَبِّ المَشْرِقِينَ ورَبِّ المَغْرِبِينَ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿رَبِّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ﴾.

قال: ثكلتك أمك يا ابن الكوا! هذا المشرق وهذا المغرب، وأما قوله: رَبِّ المَشْرِقِينَ ورَبِّ المَغْرِبِينَ، فإنَّ مَشْرِقَ الشَّيْءِ على حدة ومَشْرِقُ الصَّيْفِ على حدة أما تعرف بذلك من قَرَبِ الشَّمْسِ وبعدها؟ وأما قوله: رَبِّ المَشَارِقِ والمَغَارِبِ، فإنَّ لها ثلثمائة وستين برجاً، تطلع كل يوم من برج، وتغيب في آخر، فلا تعود إليه إلا من قابل في ذلك اليوم.

قال: يا أمير المؤمنين كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك؟

قال: ثكلتك أمك يا ابن الكوا! سل متعلماً، ولا تسأل متعنتاً، من موضع قدمي إلى عرش ربي أن يقول قائل - مخلصاً - : «لا إله إلا الله».

قال : يا امير المؤمنين فما ثواب من قال : « لا إله إلا الله » ؟

قال : من قال لا إله إلا الله مخلصاً طمست ذنوبه ، كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض ، فان قال ثانية : لا إله إلا الله - مخلصاً - خرقت أبواب السماوات وصفوف الملائكة ، حتى يقول الملائكة بعضها لبعض : اخشعوا لعظمة الله فاذا قال الثالثة : لا إله إلا الله - مخلصاً تنته دون العرش ، فيقول الجليل : « اسكني فوعزتي وجلالي لأغفرن لقائلتك بما كان فيه » ثم تلا هذه الآية : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ يعني إذا كان عمله صالحاً ارتفع قوله وكلامه .

قال : يا امير المؤمنين أخبرني عن قوس قزح .

قال : ثكلتك أمك ! لا تقل : (قوس قزح) فان قزحاً اسم شيطان ، ولكن قل : (قوس الله) إذا بدت يبدو الحصب والريف .

قال : أخبرني يا امير المؤمنين عن المجرة التي تكون في السماء ؟

قال : هي شرج في السماء ، وأمان لأهل الأرض من الغرق ، ومنه غرق قوم نوح بماء منهمر .

قال : يا امير المؤمنين أخبرني عن المجر الذي يكون في القمر ؟

قال (ع) : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، رجل أعمى يسأل عن مسألة عمياء ! أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾^(١) .

قال : يا امير المؤمنين أخبرني عن أصحاب رسول الله (ص) ؟ قال : عن أي أصحاب رسول الله تسألني ؟

قال : يا امير المؤمنين أخبرني عن أبي ذر الغفاري . قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر» .

قال : يا امير المؤمنين فأخبرني عن سلمان الفارسي . قال : بلغ بغ سلمان منا أهل البيت ، ومن لكم بمثل لقمان الحكيم ، علم علم الأول والآخر .

قال : يا امير المؤمنين أخبرني عن حذيفة بن اليمان . قال : ذاك امرؤ علم أسماء المنافقين ، إن تسألوه عن حدود الله تجدوه بها علماً .

قال : يا امير المؤمنين فأخبرني عن عمار بن ياسر . قال : ذاك امرؤ حرّم الله لحمه ودمه على النار أن تمس شيئاً منها .

قال : يا امير المؤمنين فأخبرني عن نفسك . قال : كنت إذا سألت أعطيت ، وإذا سكنت ابتدئت .

قال : يا امير المؤمنين أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿قل : هل تنبئكم بالآخسرين أعمالاً﴾ الآية .

قال: كفرة أهل الكتاب، اليهود والنصارى، وقد كانوا على الحق فابتدعوا في أديانهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. ثم نزل عن المنبر وضرب بيده على منكب ابن الكوا. ثم قال: يا ابن الكوا وما أهل النهروان منهم ببعيد.

فقال: يا أمير المؤمنين ما أريد غيرك، ولا أسأل سواك.

قال: فرأينا ابن الكوا يوم النهروان فقيل له: ثكلتك امك! بالأمس تسأل أمير المؤمنين عما سألت، وأنت اليوم تقاتله، فرأينا رجلاً حل عليه فطعته فقتله.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (ع) عن علي (ع) قال: سلوني عن كتاب الله عز وجل، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله في ليل ولا نهار، ولا مسير ولا مقام، إلا وقد أقرأنيها رسول الله (ص)، وعلمي تأويلها.

فقام إليه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه؟ قال: كان رسول الله (ص) ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا غائب عنه حتى أقدم عليه، فيقرأني ويقول لي: يا علي أنزل الله عليّ بعدك كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا، فيعلمني تنزيله وتأويله.

وجاء في الآثار: أن أمير المؤمنين (ع) كان يخطب فقال في خطبته: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فتنة تضل مائة وتهدي مائة إلا أبيتكم بناعتها، وسائقها إلى يوم القيامة.

فقام إليه رجل^(١) فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر.

فقال أمير المؤمنين (ع): والله لقد حدثني خليلي رسول الله (ص) بما سألت عنه، وإن على كل طاقة شعر في رأسك ملكاً يلعنك، وعلى كل طاقة شعر في لحيتك شيطاناً يستفزك، وإن في بيتك لسخلاً يقتل ابن رسول الله، ذلك مصداق ما أخبرتك به، ولو لا أن الذي سألت يعسر برهانه لأخبرتكم به، ولكن آية ذلك ما نبأتكم من لعنك وسخلك الملعون، وكان ابنه في ذلك الوقت صبياً صغيراً يحبو فلما كان من أمر الحسين (ع) ما كان تولى قتله، وكان الأمر كما قال أمير المؤمنين (ع).

احتجاجه (ع) على من قال بالرأي في الشرع والاختلاف في الفتوى وأن يتعرض للحكم بين الناس من ليس لذلك بأهل وذكر الوجه لاختلاف من اختلف في الدين والرواية عن رسول الله (ص).

روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً وإلهم واحداً، ونبههم واحداً، وكتابه واحداً، فأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأتاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه، أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم

(١) هو الأشعث بن قيس لعنه الله.

كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى ، أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول (ص) عن تبليغه وأدائه؟ والله سبحانه يقول : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ ^(١) ﴿ وفيه تبيان كل شيء ﴾ وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً ، وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ وأن القرآن ظاهره أتيق ، وباطنه عميق ، لا تنفى عجائبه ، ولا تنقضي غرائب ، ولا تكشف الظلمات إلا به .

وروي أنه (ع) قال : إن أبغض الخلايق إلى الله تعالى رجلان :

رجل وكله الله إلى نفسه ، فهو جائر عن قصد السبيل ، سائر بغير علم ولا دليل ، مشغوف بكلام بدعة ، ودعاء ضلالة ، ^(٢) فهو : فتنة لمن افتتن به ، ضال هدي من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته ، حمال خطايا غيره ، رهن بخطيئته .

ورجل قمش جهلاً ، فوضع في جهال الأمة ، غار في أغباش الفتنة ، قد لهج منها بالصوم والصلاة ، عمي في عقد الهدنة ، سماه الله عارياً منسلخاً وسماه أشباه الناس عالماً وليس به ، ولما يغن في العلم يوماً ، سالماً بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خيراً مما كثر ، حتى إذا ارتوى من آجن ، وأكثر من غير طائل جلس بين الناس مفتياً قاضياً ، ضامناً لتخليص ما التبس على غيره ، إن خالف من سبقه : لم يؤمن من نقض حكمه من يأتي من بعده ، كفعله بمن كان قبله فان نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشواً رثاً من رأيه ثم قطع به فهو من ليس بالشبهات في مثل نسج العنكبوت ، خباط جهالات وركاب عشوات ومفتاح شبهات ، فهو لا يدري أصاب الحق أم أخطأ ، إن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب ، فهو من رأيه في مثل نسج غزل العنكبوت الذي إذا مرت به النار لم يعلم بها .

لم يعرض على العلم بضرر قاطع ، فيغتم بذري الروايات إفراء الريح الهشيم ، لامي والله باصدار ما ورد عليه ، لا بحسب العلم في شيء مما أنكره ، ولا يرى أن من وراء ما ذهب فيه مذهب ناطق ما بلغ منه مذهباً لغيره ، وإن قاس شيئاً بشيء لم تكذب رأيه ، كيلا يقال له : لا يعلم شيئاً ، وإن خالف قاضياً سبقه لم يؤمن فصيحته حين خالفه وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه ، تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج من المواريث ، إلى الله أشكو معشراً يعيشون جهلاً ، ويموتون ضلالاً ، لا يتعذر عما لا يعلم فيسلم ، وتولول منه الفتيا ، وتبكي منه المواريث ، ويحلل بقضائه الفرج الحرام ، ويحرم بقضائه الفرج الحلال ، ويأخذ المال من أهله فيدفعه إلى غير أهله .

وروي أنه صلوات الله عليه قال بعد ذلك - :

أيها الناس ، عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعتذرون بجهالته ، فإن العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فصلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة نبيكم محمد (ص) فأتى يتاه بكم؟! بل أين تذهبون؟! يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة! هذه مثلها فيكم فاركبوها ، فكما نجى في هاتيك من نجى ، فكذلك

ينجو في هذه من دخلها، أنا رهين بذلك قسماً حقاً وما أنا من المتكلفين، والويل لمن تخلف ثم الويل لمن تخلف.

أما بلغكم ما قال فيكم نبيكم حيث يقول - في حجة الوداع - : «إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» ألا هذا عذب فرات فاشربوا منه، وهذا ملح اجاج فاجتنبوا.

وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال - لرأس اليهود - : على كم افترقتم؟ فقال: على كذا وكذا فرقة.

فقال علي (ع): كذبت ثم أقبل على الناس فقال: والله لو ثبت لي الوسادة: لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم. إفتقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون منها في النار وواحدة ناجية في الجنة، وهي التي اتبعت يوشع بن نون وصي موسى (ع).

وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة بالجنة وهي التي اتبعت شمعون الصفا وصي عيسى (ع).

وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة، وهي التي اتبعت وصي محمد (ص)، وضرب يده على صدره ثم قال:

ثلاثة عشر فرقة من الثلاث وسبعين فرقة كلها تتحل مودتي، وحيي، واحدة منها في الجنة، وهي النمط الأوسط واثناعشرة في النار.

عن مسعدة بن صدقة،^(١) عن جعفر بن محمد (ع) قال: خطب أمير المؤمنين (ع) فقال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «كيف أنتم إذا لبستم الفتنة، ينشأ فيها الوليد، ويهرم فيها الكبير، ويجري الناس عليها حتى يتخذونها سنة، فإذا غير منها شيء قيل أن الناس بمنكر، غيرت السنة، ثم تشتد البلية، وتنشأ فيها الذرية وتدقهم الفتن كما تدق النار الحطب، وكما تدق الرجا بثقالها، يتفقه الناس لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة».

ثم أقبل أمير المؤمنين (ع) ومعه ناس من أهل بيته، وخاص من شيعته فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي (ص) ثم قال:

لقد عمل الولاة قبلي بأمور عظيمة خالفوا فيها رسول الله متعمدين لذلك ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها التي كانت عليها على عهد رسول الله لتفرق عني جندي، حتى أبقى وحدي

(١) مسعدة بن صدقة: عنه الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، وذكره العلامة في القسم الثاني من خلاصته ص ٢٦٠ فقال: مسعدة بن صدقة: قال الشيخ رحمه الله: إنه عامي، وقال الكشي إنه بزي.

الا قليلاً من شيعتي، الذين عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب الله وسنة نبيه (ص)، رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم (ع) فرددته إلى المكان الذي وضعه فيه رسول الله، ورددت فذلك إلى ورثة فاطمة سلام الله عليها، ورددت صاع رسول الله ومده إلى ما كان، وأمضيت إلى فطايح كان رسول الله (ص) أقطعها للناس سنين، ورددت دار ابن جعفر بن أبي طالب إلى ورثته وهدمتها وأخرجتها من المسجد، ورددت الخمس إلى أهله، ورددت قضاء كل من قضى بجور، ورددت سبي ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت ديوان العطاء، وأعطيت كما كان يعطي رسول الله (ص)، لوم أجعلها دولة بين الأغنياء.

والله لقد أمرت الناس: أن لا يجمعوا في شهر رمضان الا في فريضة، فنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل وسيفه معي: «أنعى الاسلام وأهله، غيرت سنة عمرا!» ونهى أن يصلى في شهر رمضان في جماعة، حتى خفت أن يثور في ناحية عسكري على ما لقيت ولقيت هذه الأمة من أئمة الضلالة والدعاة إلى النار:

وأعظم من ذلك سهم ذوي القربى الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ خَمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(١) وذلك لنا خاصة ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ نحن والله عنى بذوي القربى، الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه، ولم يجعل لنا في الصدقة نصيباً، أكرم الله سبحانه وتعالى نبيه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي الناس.

فقال له رجل: إني سمعت من سلمان وأبي ذر والمقداد، أشياء في تفسير القرآن والرواية عن النبي (ص)، وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة في تفسير القرآن والأحاديث عن النبي (ص) وأنتم تخالفونهم وتزعمون أن ذلك باطل، فترى الناس يكذبون متعمدين على النبي (ص) ويفسرون القرآن بآرائهم.

قال: فأقبل عليّ (ع) عليه فقال له: سألت فافهم الجواب: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وخاصاً وعاماً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله وهو حي، حتى قام خطيباً فقال:

«أيها الناس، قد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

ولما أتاك بالحديث: أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق: مظهر للإيمان متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله (ص) متعمداً، فلو علم الناس: أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا: «صاحب رسول الله، رآه وسمع منه، ولقف عنه» فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله تعالى عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده (ص) فتقربوا إلى أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان،

فولوهم الأعمال وجعلوهم حكماً على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله تعالى، فهذا أحد الأربعة.

ورجل : سمع من رسول الله (ص) شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يديه، يرويه ويعمل به ويقول : إنما سمعت من رسول الله (ص)، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث : سمع من رسول الله (ص) شيئاً يأمر به ثم نهى عنه، وهو لا يعلم، أو سمعه نهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً لله تعالى، وتعظيماً لرسول الله (ص)، ولم يهم به بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه، لم يزد فيه ولم ينقص منه، وحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ وجنب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه، وعرف المتشابه والمحكم.

وقد كان يكون من رسول الله (ص) الكلام له وجهان : فكلام خاص، وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عني الله تعالى به ولا ما عني به رسول الله (ص) فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه ولا ما قصد به وما خرج من أجله، وليس كل أصحاب رسول الله (ص) يسأله ويستفهمه، حتى أن كانوا يحبون أن يجيء الأعرابي أو الطاري فيسأله (ص) حتى يسمعوا كلامه، وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته، فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم.

وعن يحيى الحضرمي^(١) قال سمعت علياً (ع) يقول : كنا جلوساً عند النبي (ص) وهو نائم ورأسه في حجره. قيل لي : ما الدجال؟

فاستيقظ النبي (ص) محمر وجهه، فقال : فيما أنتم؟ فقلت له : يا رسول الله سألتني عن الدجال.

فقال : لغير الدجال أنا أخوف عليكم من الدجال، الأئمة الضالون المضلون يسفكون دماء عترتي، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم.

(١) يحيى الحضرمي من أصحاب أمير المؤمنين (ع) كان هو وابنه عبد الله من شرطة الخميس نقل أن أمير المؤمنين (ع) قال لعبد الله بن يحيى الحضرمي - يوم الجمل - إشر يا ابن يحيى : فإنك وأباك من شرطة الخميس حقاً، لقد أخبرني رسول الله (ص) باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس، والله سماكم في السماء : «شرطة الخميس» على لسان نبيه (ص).

جواب مسائل الخضر (ع) للحسن بن علي بن أبي طالب (ع) بحضرة أبيه (ع).

عن أبي هاشم داوود بن القاسم الجعفري^(١) عن أبي جعفر محمد بن علي الثاني (ع) قال:

أقبل أمير المؤمنين ذات يوم ومعه الحسن بن علي (ع) وسلمان الفارسي (ره) وأمير المؤمنين (ع) متكئ على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، فأقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على أمير المؤمنين (ع)، فرد عليه السلام، فجلس ثم قال:

يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرتني بهن علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما أفضى اليهم انهم ليسوا بأمويين في دنياهم ولا في آخرتهم، وإن يكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء.

فقال أمير المؤمنين (ع): سلني عما بدا لك.

فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟

فالتفت أمير المؤمنين (ع) إلى أبي محمد الحسن بن علي (ع) فقال: يا أبا محمد أجبه فقال (ع):

أما ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه: فإن روحه متعلقة بالريح، والريح متعلقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها للقطعة، فإن أذن الله برد تلك الروح على صاحبها، جذبت تلك الروح الريح وجذبت تلك الريح الهواء، فرجعت فسكنت في بدن صاحبها وإن لم يأذن الله عز وجل برد تلك الروح على صاحبها، جذبت الهواء الريح فجذبت الريح الروح، فلم ترد على صاحبها إلى وقت ما يبعث.

وأما ما ذكرت من أمر الذكر والنسيان: فإن قلب الرجل في حق، وعلى الحق طبق، فإن صلى

(١) أبو هاشم الجعفري: داوود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم البغدادي: وكان ثقة، جليل القدر، عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، وقد شاهد منهم: الرضا والجواد والمهدي والعسكري وصاحب الأمر صلوات الله عليهم أجمعين، وكان منقطعاً إليهم. وقد روى عنهم كلهم، وله أخبار ومسانل، وله شعر جيد فيهم (ع) منه قوله في أبي الحسن المهدي (ع) وقد اعتل:

مادت الأرض به وأدت فزادي واعتزرتني موارد العمراء
حين قيل للإمام نضرو عليل قلت نفسي فدته كل الفداء
مرض الدين لاعتلاك واعتل وهازت له نجوم السماء
عجباً أن منيت بالداء والسقم وأنت الإمام حمم الداء
أنت آسي الأدواء في الدين والدنيا وعيي الأموات والأحياء

وكان مقدماً عند السلطان، وكان ورعاً زاهداً ناسكاً عالماً عاملاً، ولم يكن أحد في آل أبي طالب (ع) مثله في زمانه في علو النسب، وذكر السيد ابن طاووس رحمه الله: أنه من وكلاء الناحية الذين لا تختلف الشيعة فيهم، توفي في ج ١ سنة (٢٦١) عن الكنى والألقاب للقمي ج ١

الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد صلاة تامة، انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق، فأضاء القلب، وذكر الرجل ما كان نسي، وإن لم يصل على محمد وآل محمد، أو نقص من الصلاة عليهم، انطبق ذلك الطبق على ذلك الحق فأظلم القلب، ونسي الرجل ما كان ذكره.

وأما ما ذكرت من أمر المولود الذي يشبه أعمامه وأخواله: فإن الرجل إذا أتى أهله فجامعها بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب، فاسكنت تلك النطفة جوف الرحم، خرج الولد يشبه أباه وأمه، وإن أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادية وبدن مضطرب، اضطربت النطفة فوَقعت في حال اضطرابها على بعض العروق: فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام، أشبه الولد أعمامه، وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال، أشبه الولد أخواله.

فقال الرجل أشهد أن لا إله إلا الله ولم أزل أشهد بها، وأشهد أن محمداً رسول الله ولم أزل أشهد بذلك، وأشهد أنك وصي رسول الله القائم بحجته - وأشار إلى أمير المؤمنين (ع) - ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته - وأشار إلى الحسن (ع) - وأشهد أن الحسين بن علي وصي أبيك والقائم بحجته بعدك، وأشهد على علي بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمد بن علي (ع) أنه القائم بأمر علي بن الحسين بعده، وأشهد على جعفر بن محمد أنه القائم بأمر محمد بن علي بعده، وأشهد على موسى بن جعفر أنه القائم بأمر جعفر بن محمد بعده، وأشهد على علي بن موسى الرضا بأنه القائم بأمر موسى بن جعفر بعده وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن موسى، وأشهد على علي بن محمد أنه القائم بأمر محمد بن علي، وأشهد على الحسن بن علي أنه القائم بأمر علي بن محمد وأشهد على رجل من ولد الحسن بن علي لا يكتفى ولا يسمى حتى يظهر أمره فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم قام فمضى.

فقال أمير المؤمنين للحسن (ع): يا أبا محمد اتبعه فانظر أين يقصد.
فخرج في أثره فقال: فما كان إلا أن وضع رجله خارج المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلى أمير المؤمنين (ع) فاعلمته.

فقال (ع): يا أبا محمد أتعرفه؟ قلت: الله ورسوله وAmير المؤمنين أعلم. قال: هو الخضر (ع).

جوابه عن مسائل جاءت من الروم ثم من الشام الجثري مجرى الاحتجاج بحضرة أبيه (ع).

روى محمد بن قيس^(١) عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ع) قال:

بينما أمير المؤمنين في الرحبة والناس عليه متراكمون، فممن بين مستفت ومن بين مستعد، إذ قام إليه رجل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

(١) قال العلامة في القسم الأول من خلاصته: محمد بن قيس أبو نصير - بالنون - الأسدي من أصحاب الصادق عليه السلام ثقة

فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت؟ قال : أنا رجل من رعيتك وأهل بلادك .
فقال له : ما أنت برعيتي وأهل بلادتي ، ولو سلمت علي يوماً واحداً ما خفيت علي . فقال : الأمان يا
أمير المؤمنين .

فقال : هل أحدثت منذ دخلت مصري هذا ؟ قال : لا .

قال : فلعلك من رجال الحرب؟ قال : نعم .

قال : إذا وضعت الحرب أوزارها فلا بأس .

قال : أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفلاً لك ، أسألك عن شيء بعث به ابن الأصفر إليه ، وقال
له : إن كنت أحق بهذا الأمر والخليفة بعد محمد فأجبنني عما أسألك ، فإنك إن فعلت ذلك اتبعتك ،
وبعثت إليك بالجائزة ، فلم يكن عنده جواب وقد أقلقه فبعثني إليك لأسألك عنها .

فقال أمير المؤمنين (ع) : قاتل الله ابن آكلة الأكباد ، وما أضله وأعماه ومن معه ، حكم الله بيني
وبين هذه الأمة ، قطعوا رحمي ، وأضاعوا أيامي ، ودفعوا حقي ، وصغروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على
منازعتي ، يا قنبر علي بالحسن والحسين ومحمد فأحضروا .

فقال : يا شامي هذان ابنا رسول الله ، وهذا ابني ، فاسأل أيهم أحببت . فقال : أسأل ذا الوفرة
يعني : الحسن (ع) .

فقال له الحسن (ع) : سلني عما بدا لك .

فقال الشامي : كم بين الحق والباطل؟ وكم بين السماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟ وما
قوس قزح؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين وما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين؟ وما
المؤنث؟ وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟

فقال الحسن (ع) : بين الحق والباطل أربع أصابع ، فما رأيته بعينك فهو الحق ، وقد تسمع بأذنك
باطلاً كثيراً . فقال الشامي : صدقت .

قال : وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ، ومد البصر ، فمن قال لك غير هذا فكذبه . قال :
صدقت يا ابن رسول الله .

قال : وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس ، تنظر إليها حين تطلع من مشرقها ، وتنظر إليها
حين تغيب في مغربها . قال : صدقت . فما قوس قزح؟

قال : ويحك لا تقل قوس قزح فإن قزح اسم الشيطان ، وهو قوس الله وهذه علامة الخصب ،
وأمان لأهل الأرض من الغرق .

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين : فهي عين يقال لها : «برهوت»

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين: فهي عين يقال لها: «سلمى»

وأما المؤنث: فهو الذي لا يدرى أذكر أم أنثى، فانه ينتظر به فان كان ذكراً احتلم، وإن كان أنثى حاضت وبدا ثديها، وإلا قيل له: «بل على الحايض» فان أصاب بوله الحايض فهو ذكر، وإن انتكص بوله كما ينتكص بول البعير فهي امرأة.

وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض: فأشد شيء خلقه الله الحجر، وأشد من الحجر الحديد يقطع به الحجر، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد، وأشد من النار الماء يطفىء النار، وأشد من الماء السحاب يحمل الماء، وأشد من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشد من الريح الملك الذي يرسلها، وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشد من ملك الموت الذي يميت ملك الموت، وأشد من الموت أمر الله الذي يميت الموت.

فقال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله حقاً، وأنّ علياً أولى بالأمر من معاوية. ثم كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية فبعثها إلى ابن الأصفر.

فكتب إليه ابن الأصفر: يا معاوية تكلمني بغير كلامك؟ وتجيبي بغير جوابك؟ أقسم بالمسيح ما هذا جوابك! وما هو إلا من معدن النبوة، وموضع الرسالة، وأما أنت فلو سألتني درهماً ما أعطيتك.

مركز تحقيق تكملة أسدي

احتجاج الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام على جماعة من المنكرين لفضله وفضل أبيه من قبل بحضرة معاوية.

روي عن الشعبي وأبي مخنف^(١) ويزيد بن أبي حبيب المصري^(٢) أنهم قالوا: لم يكن في الاسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل، أكثر ضجيجاً ولا أعلى كلاماً ولا أشد مبالغة في قول، من يوم

(١) أبو مخنف: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم، كما عن النجاشي، وتوفي سنة (١٥٧) يروي عن الصادق (ع)، ويروي عنه هشام الكلبي، وجده مخنف بن سليم صحابي، شهد الجمل في أصحاب علي «عليه السلام» حاملاً راية الازد، فاستشهد في تلك الواقعة سنة (٢٦) وكان أبو مخنف من أعظم مؤرخي الشيعة، ومع اشتها تشيعه اعتمد عليه علماء السنة في النقل عنه كالطبري وابن الأثير وغيرهما، ولعلم أن لأبي مخنف كتباً كثيرة في التاريخ والسيرة منها: كتاب «مقتل الحسين» الذي نقل عنه أعظم العلماء المتقدمين واعتمدوا عليه، ولكن المؤسف أنه فقد ولا يوجد منه نسخة. وأما المقتل الذي بأيدينا وينسب إليه فليس له، بل ولا لأحد من المؤرخين المعتمدين ومن أراد تصديق ذلك فليقابل ما في هذا المقتل وما نقله الطبري وغيره عنه حتى يعلم ذلك، وقد بينت ذلك في: «نفس المهموم» في طرمح بن عدي والله العالم. الكنى والألقاب ج ١ ص ٤٨ للشيخ عباس القمي

(٢) يزيد بن أبي حبيب: واسمه سويد الأزدي مولاهم أبو رجاء المصري وقبل غير ذلك في ولائه. قال ابن سعد: كان مفتي أهل مصر في زمانه وكان أول من أظهر العلم في مصر والكلام في الحلال والحرام، وقال الليث: يزيد بن أبي حبيب سيدنا وعلمنا وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث مات سنة (١٢٨) وقال غيره بلغ زيادة على (٧٥) سنة. عن تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣١٨ باختصار

اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عتبة بن أبي معيط، والمغيرة بن أبي شعبة، وقد تواطؤوا على أمر واحد.

فقال عمرو بن العاص: لمعاوية ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتحضره، فقد أحيا سنة أبيه، وخفقت النعال خلفه، أمر فأطيع، وقال فصديق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منها، فلو بعثت إليه فقصرنا به وبأبيه، وسببناه وسببنا أباه، وصغرنا بقدره وقدر أبيه، وقعدنا لذلك حتى صدق لك فيه، فقال لهم معاوية: إني أخاف أن يقلدكم قلايد يبقى عليكم عارها حتى يدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قط الا كرهت جنابه، وهبت عتابه، وإني إن بعثت إليه لأنصفه منكم.

قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقنا، ومرضه على صحتنا قال: لا، قال: فابعث إذاً عليه.

فقال عتبة: هذا رأي لا أعرفه، والله ما نستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم مما في أنفسكم عليه، ولا يلقاكم بأعظم مما في نفسه عليكم، وإنه لأهل بيت خصم جدل، فبعثوا إلى الحسن فلما أتاه الرسول قال له: يدعوك معاوية. قال: ومن عنده؟

قال الرسول: عنده فلان وفلان، وسمى كلأ منهم باسمه.

فقال الحسن (ع): ما لهم خرو عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. ثم قال: يا جارية أبلغيني ثيابي ثم قال:

واللهم إني أدرأ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت، وأني شئت، من حولك وقوتك، يا أرحم الراحمين وقال للرسول: هذا كلام الفرج، فلما أتى معاوية رحب به، وحياء وصافحه.

فقال الحسن (ع): إن الذي حييت به سلامة، والمصافحة أمن.

فقال معاوية: أجل إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقروك: أن عثمان قتل مظلوماً، وأن أباك قتله فاسمع منهم ثم أجبههم بمثل ما يكلمونك، فلا يمنحك مكاني من جوابهم.

فقال الحسن: ف سبحان الله البيت بيتك والإذن فيه إليك! والله لشرأجبتهم إلى ما أرادوا إني لأستحيي لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على ما تريد، إني لأستحيي لك من الضعف، فبأيها نقر ومن أيها تعتذر، وأما إني لو علمت بمكانهم واجتماعهم لجئت بعدتهم من بني هاشم، مع أي مع وحدتي هم أوحش مني من جمعهم، فإن الله عز وجل لولي اليوم وفيما بعد اليوم، فمرهم فليقولوا فاسمع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فتكلم عمرو بن عثمان بن عفان فقال: ما سمعت كاليوم أن بقي من بني عبد المطلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل الخليفة عثمان بن عفان، وكان ابن أختهم والفاضل في الاسلام منزلة،

والخاص برسول الله إثرة، فبئس كرامة الله حتى سفكوا دمه اعتداء وطلباً للفتنة، وحسداً ونفاة وطلب ما ليسوا بأهلين لذلك، مع سوابقه ومنزله من الله ومن رسوله ومن الإسلام، فيا ذلاه أن يكون حسن وسائر بني عبد المطلب قتلة عثمان، أحياء يمشون على مناكب الأرض وعثمان بدمه مخرج، مع أن لنا فيكم تسعة عشر دماً بقتل بني أمية يبدر.

ثم تكلم عمرو بن العاص: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أي ابن أبي تراب بعثنا إليك لنقرر أن أباك سم أبا بكر الصديق، واشترك في قتل عمر الفاروق وقتل عثمان ذي النورين مظلوماً، وادعى ما ليس له حق ووقع فيه، وذكر الفتنة وغيره بشأنها؟

ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك فتركبون فيه ما لا يحل لكم، ثم أنت يا حسن تحدث نفسك بأنك كائن أمير المؤمنين وليس عندك عقل ذلك ولا رأيه، وكيف وقد سلبت، وتركت أحق في قريش، وذلك لسوء عمل أبيك، وإنما دعوناك لنسبك وأباك.

ثم إنك لا تستطيع أن تعيب علينا ولا أن تكذبنا به، فإن كنت ترى أنا كذبناك في شيء وتقولنا عليك بالباطل، وادعينا عليك خلاف الحق فتكلم، والا فاعلم أنك وأباك من شر خلق الله، فأما أبوك فقد كفانا الله قتله وتفرد به، وأما أنت فانك في أبدنا نتخبر فيك، والله أن لو قتلناك ما كان في قتلك إثم عند الله ولا عيب عند الناس.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان، فكان أول ما ابتدأ به أن قال:

يا حسن إن أباك كان شر قريش لقريش، أقطعه لأرحامها، وأسفكه لدمائها وإنك لمن قتلة عثمان، وإن في الحق أن نقتلك به، وإن عليك القود في كتاب الله عز وجل وأنا قاتلوك به، وأما أبوك فقد تفرد الله بقتله فكفانا أمره، وأما رجائك الخلافة فلست فيها، لا في قدحة زندق، ولا في رجحة ميزانك.

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط بنحو من كلام أصحابه فقال:

يا معشر بني هاشم، كنتم أول من دب بعيب عثمان وجمع الناس عليه، حتى قتلتموه حرصاً على الملك، وقطيعة للرحم، واستهلاك الأمة، وسفك دماها حرصاً على الملك، وطلباً للدنيا الخبيثة وحباً لها، وكان عثمان خالكم، فنعم الخال كان لكم، وكان صهركم فكان نعم الصهر لكم، قد كنتم أول من حسده وطعن عليه ثم وليتم قتله، فكيف رأيتم صنع الله بكم.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة: فكان كلامه وقوله كله وقوعاً في علي (ع) ثم قال:

يا حسن إن عثمان قتل مظلوماً فلم يكن لأبيك في ذلك عذر بريء ولا اعتذار مذنب، غير أنا يا حسن قد ظننا لأبيك في ضمه قتلة عثمان، وإبوائه لهم وذبه عنهم. أنه بقتله راض، وكان والله طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، وبنو أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية، وقد كان أبوك ناصب رسول الله (ص) في حياته، وأجلب عليه قبل موته، وأراد قتله، فعلم ذلك من أمره رسول الله (ص)، ثم كره أن يبيع أبا بكر حتى أتى به قوداً، ثم

دس عليه فسقاه سماً فقتله، ثم نازع عمر حتى هم أن يضرب رقبتة، فعمد في قتله، ثم طعن على عثمان حتى قتله، كل هؤلاء قد شرك في دمهم فأني منزلة له من الله يا حسن: وقد جعل الله السلطان لولي المقتول في كتابه المنزل فمعاوية ولي المقتول بغير حق، فكان من الحق لو قتلناك وأخاك، والله ما دم علي بأخطر من دم عثمان، وما كان الله ليجمع فيكم يا بني عبد المطلب الملك والنبوة.

ثم سكنت فتكلم أبو محمد الحسن بن علي (ع) فقال:

الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا، وآخركم بآخرنا، وصلى الله على جدي محمد النبي وآله وسلم. اسمعوا مني مقالتي وأعيروني فهمكم، وبك أبدأ يا معاوية: إنه لعمر الله يا أزرقي ما شتمني غيرك وما هؤلاء شتموني، ولا سبني غيرك وما هؤلاء سبوني، ولكن شتعتني وسببتني، فحشاً منك وسوء رأي، وبغياً وعدواناً، وحسداً علينا وعداوة لمحمد (ص) قديماً وحديثاً، وإنه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرقي مشاورين في مسجد رسول الله (ص) وحولنا المهاجرون والأنصار ما قدروا أن يتكلموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به.

فاسمعوا مني أيها الملأ المجتمعون المتعاونون علي، ولا تكتموا حقاً علمتوه، ولا تصدقوا بباطل إن نطقت به، وسأبدأ بك يا معاوية ولا أقول فيك إلا دون ما فيك.

أنشدكم بالله هل تعلمون أن الرجل الذي شتمتموه صلى القبلتين كليهما وأنت تراهما جميعاً وأنت في ضلالة تعبد اللات والعزى؟ وبإيع البيعتين كليهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافراً، وبالأخرى ناكثاً؟

ثم قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أن ما أقول حقاً، إنه لفيكم مع رسول الله (ص) يوم بدر ومعه راية النبي (ص) والمؤمنين، ومعك يا معاوية راية المشركين وأنت تعبد اللات والعزى، وترى حرب رسول الله (ص) فرضاً واجباً؟ ولفيكم يوم أحد ومعه راية النبي، ومعك يا معاوية راية المشركين؟ ولفيكم يوم الأحزاب ومعه راية رسول الله (ص)، ومعك يا معاوية راية المشركين؟ كل ذلك يفلج الله حجته ويحق دعوته، ويصدق أحداثته وينصر رأيه، وكل ذلك رسول الله عنه راضياً في المواطن كلها ساخطاً عليك.

ثم أنشدكم بالله هل تعلمون: أن رسول الله (ص) حاصر بني قريضة وبني النضير، ثم بعث عمر ابن الخطاب ومعه راية المهاجرين، وسعد بن معاذ ومعه راية الأنصار.

فأما سعد بن معاذ فخرج وحمل جريحاً، وأما عمر فرجع هارباً وهو يجين أصحابه ويحبنه أصحابه، فقال رسول الله (ص): «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، ثم لا يرجع حتى يفتح الله على يديه».

فتعرض لها أبو بكر وعمر، وغيرهما من المهاجرين والأنصار وعلي يومئذ أرمد شديد الرمء، فدعاه رسول الله (ص) فتفل في عينه فبرأ من رمده، وأعطاه الراية فمضى ولم يشن حتى فتح الله عليه بمه

وطوله، وأنت يومئذ بمكة عدو لله ولرسوله؟ فهل يستوي بين رجل نصح الله ولرسوله، ورجل عادى الله ورسوله؟

ثم أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد، ولكن اللسان خائف فهو يتكلم بما ليس في القلب!!

أنشدكم بالله أن تعلمون: أن رسول الله (ص) استخلفه على المدينة في غزاة تبوك ولا سخط ذلك ولا كراهة، وتكلم فيه المنافقون فقال: لا تخلفني يا رسول الله فاني لم أتخلف عنك في غزوة قط، فقال رسول الله (ص): أنت وصي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى ثم أخذ بيد علي (ع) فقال: أيها الناس من تولاني فقد تولي الله، ومن تولي علياً فقد تولاني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب علياً فقد أحبني.

ثم قال: أنشدكم بالله أن تعلمون أن رسول الله (ص) قال - في حجة الوداع - : أيها الناس إنني قد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واعملوا بحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا بما أنزل الله من الكتاب، وأحبوا أهل بيتي وعترتي، ووالوا من والاهم وانصروهم على من عاداهم، وإنهما لن يزيالا فيكم حتى يردا علي الحوض يوم القيامة.

ثم دعا وهو على المنبر علياً فاجتذبه بيده فقال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، اللهم من عادى علياً فلا تجعل له في الأرض مقعداً، ولا في السماء مصعداً، واجعله في أسفل درك من النار؟ وأنشدكم بالله أن تعلمون: أن رسول الله (ص) قال له: أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط لبلة؟

أنشدكم بالله أن تعلمون: أنه دخل على رسول الله (ص) في مرضه الذي توفي فيه فبكى رسول الله (ص) فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله؟

فقال: «يبكي أني أعلم: أن لك في قلوب رجال من أمتي ضغائن، لا يدونها لك حتى أتولى عنك؟»

أنشدكم بالله أن تعلمون: أن رسول الله (ص) حين حضرته الوفاة واجتمع عليه أهل بيته قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي، اللهم وال من والاهم وعاد من عاداهم» وقال: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح: من دخل فيها نجا ومن تخلف عنها غرق؟»

وأنشدكم بالله أن تعلمون: أن أصحاب رسول الله (ص) قد سلموا عليه بالولاية في عهد رسول الله (ص) وحياته؟

وأنشدكم بالله أن تعلمون: أن علياً أول من حرم الشهوات كلها على نفسه من أصحاب رسول الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون^(١) وكان عنده علم المنايا، وعلم القضايا، وفصل الكتاب، ورسوخ العلم، ومنزل القرآن، وكان رهط لا نعلمهم يتممون عشرة

نبأهم الله أنهم مؤمنون، وأنتم في رهط قريب من عدة أولئك لعنوا على لسان رسول الله (ص)، فأشهد لكم وأشهد عليكم: أنكم لعناء الله على لسان نبيه كلكم.

وأشددكم بالله هل تعلمون: أن رسول الله (ص) بعث إليك لتكتب له لبني خزيمه حين أصابهم خالد بن الوليد فأنصرف إليه الرسول فقال: «هو يأكل» فأعاد الرسول إليك ثلاث مرات كل ذلك ينصرف الرسول إليه ويقول: «هو يأكل» فقال رسول الله: «اللهم لا تشبع بطنه» فهي والله في نهمتك، وأكلت إلى يوم القيامة.

ثم قال: أشددكم بالله هل تعلمون: أن ما أقول حقاً إنك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أهر يقوده أخوك هذا القاعد، وهذا: يوم الأحزاب فلعن رسول الله القائد والراكب والسائق، فكان: أبوك الراكب، وأنت يا أزرق السائق، وأخوك هذا القاعد القائد؟

أشددكم بالله هل تعلمون: أن رسول الله (ص) لعن أبا سفيان في سبعة مواطن:

أولهن: حين خرج من مكة إلى المدينة وأبو سفيان جاء من الشام، فوقع فيه أبو سفيان فسهبه وأوعده وهم أن يبطش به ثم صرفه الله عز وجل عنه.

والثانية: يوم العير حيث طردها أبو سفيان ليحرزها من رسول الله.

والثالثة: يوم أحد قال رسول الله: الله مولانا ولا مولى لكم وقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم، فلعنه الله وملائكته ورسله والمؤمنون أجمعون.

والرابعة: يوم حنين يوم جاء أبو سفيان يجمع قريش وهوازن وجاء عيينة بغطفان واليهود، فردهم الله بغيطهم لم ينالوا خيراً، هذا: قول الله عز وجل أنزل في سورتين في كليهما يسمي أبا سفيان وأصحابه كفاراً وأنت يا معاوية يومئذ مشرك على رأي أبيك بمكة، وعلى يومئذ مع رسول الله (ص) وعلى رايه ودينه.

والخامسة: قول الله عز وجل: ﴿واللهدي معكوفاً أن يبلغ محله﴾^(١) وصددت أنت وأبوك ومشركو قريش رسول الله، فلعنه الله لعنة شملته وذريته إلى يوم القيامة.

والسادسة: يوم الأحزاب يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش، وجاء عيينة بن حصين بن بدر بغطفان، فلعن رسول الله القادة والأتباع، والساقة إلى يوم القيامة.

فقيل: يا رسول الله أما في الاتباع مؤمن؟

قال: لا تصيب اللعنة مؤمناً من الأتباع، أما القادة فليس فيهم مؤمن، ولا مجيب، ولا ناج.

والسابعة: يوم الثنية، يوم شد على رسول الله (ص) اثنا عشر رجلاً، سبعة منهم من بني أمية، وخمسة من سائر قريش، فلعن الله تبارك وتعالى ورسول الله من حل الثنية غير النبي (ص) وسائقه وقائده.

ثم انشدكم بالله هل تعلمون: ان أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله (ص) فقال:

يا ابن أخي هل علينا من عين؟

فقال: لا.

فقال أبو سفيان: تداولوا الخلافة يا فتيان بني أمية فوالذي نفس أبي سفيان بيده، ما من جنة ولا نار؟!

وأنشدكم بالله اتعلمون: ان أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان وقال: يا ابن أخي اخرج معي إلى بقيع الغرقد، فخرج حتى اذا توسط القبور اجتريه فصاح بأعلى صوته:

يا أهل القبور الذي كنتم تقاتلوننا عليه صار بأيدينا وأنتم رميم.

فقال الحسين بن علي (ع): قبح الله شيتك، وقبح وجهك، ثم نثر يده وتركه، فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده ورده إلى المدينة لهلك.

فهذا لك يا معاوية: فهل تستطيع ان ترد علينا شيئاً ومن لعنتك يا معاوية وان اباك أبا سفيان كان بهم ان يسلم، فبعثت إليه بشعر معروف مروي في قريش وغيرهم، تنهاه عن الإسلام وتصدده.

ومنها: أن عمر بن الخطاب ولاك الشام فحنت به، وولاك عثمان فتربصت به ريب المنون، ثم أعظم من ذلك جرأتك على الله ورسوله. أنك قاتلت علياً (ع) وقد عرفته وعرفت سوابقه، وفضله وعلمه على أمر هو أولى به منك، ومن غيرك عند الله وعند الناس، ولاذيت به أوطأت الناس عشوة، وأرقت دماء خلق من خلق الله بخدعك وكيدك وتغويبك، فعل من لا يؤمن بالمعاد، ولا يخشى العقاب، فلما بلغ الكتاب أجله صرت إلى شر مشوى، وعلي إلى خير منقلب، والله لك بالمرصاد.

فهذا لك يا معاوية خاصة، وما امسكت عنه من مساويك وعيوبك فقد كرهت به التطويل.

وأما أنت يا عمرو بن عثمان فلم تكن للجواب حقيقاً بحمقك، ان تتبع هذه الأمور فانما مثلك مثل البغوضة اذ قالت للنخلة: استمسكي فاني اريد أن أنزل عنك، فقالت لها النخلة: ما شعرت بوقوعك، فكيف يشق عليّ نزولك. وإني والله ما شعرت أنك تجسر أن تعادي لي فيشق عليّ ذلك، وإني لجيبك في الذي قلت: إن سبك علياً (ع): أنقص في حربه، أو يباعده من رسول الله؟ أو يسوء بلاءه في الإسلام، أو يجور في حكمه؟ أو رغبة في الدنيا؟ فإن قلت واحدة منها فقد كذبت.

وأما قولك: إن لكم فينا تسعة عشر دماً بقتل مشركي بني أمية ببدر، فإن الله ورسوله قتلهم، ولعمري لتقتلن من بني هاشم تسعة عشر وثلاثة بعد تسعة عشر ثم يقتل من بني أمية تسعة عشر وتسعة عشر في موطن واحد سوى ما قتل من بني أمية لا يحصي عددهم إلا الله، وإن رسول الله (ص) قال: إذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلاً: أخذوا مال الله بينهم دولا، وعباده خولا، وكتابه دغلاً، فإذا بلغوا ثلثمائة وعشر حققت اللعنة عليهم ولهم، فإذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لو ك تمرة،

فأقبل الحكم بن أبي العاص وهم في ذلك الذكر والكلام فقال رسول الله : إخفضوا أصواتكم فإن الوزغ يسمع ، وذلك حين رآهم رسول الله (ص) ومن يملك بعده منهم أمر هذه الأمة - يعني في المنام - فساء ذلك وشق عليه ، فأنزل الله عز وجل في كتابه : ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾^(١) يعني : بني أمية ، وأنزل أيضاً ﴿ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر﴾ فأشهد لكم ، وأشهد عليكم ، ما سلطانكم بعد قتل علي إلا ألف شهر التي أجلها الله عز وجل في كتابه .

وأما أنت يا عمرو بن العاص الشافي اللعين الأبر ، فإنما أنت كلب أول أمرك إن أمك بغية . وإنك ولدت على فراش مشترك ، فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن الحرب ، والوليد بن المغيرة ، وعثمان بن الحرث ، والنضر بن الحرث بن كلفة ، والعاص بن وائل ، كلهم يزعم أنك ابنه ، فغلبهم عليك من بين قريش الأمهم حسياً ، وأحبهم منصباً ، وأعظمهم بغية ، ثم قمت خطيباً وقلت : أنا شافي محمد ، وقال العاص بن وائل : إن محمداً رجل أبر لا ولد له ، فلو قد مات انقطع ذكره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿إن شانئك هو الأبر﴾ وكانت أمك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغية ، تأتيهم في دورهم ورحالهم ويطون أوديتهم ثم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله من عدوه أشدهم له عداوة ، وأشدهم له تكديماً ثم كنت في أصحاب السفينة : الذين أتوا النجاشي والمهجر الخارج إلى الحبشة في الإسطاة بدم جعفر بن أبي طالب وسائر المهاجرين إلى النجاشي ، فحاق المكر السيء بك ، وجعل جدك الأسفل ، وأبطل أمنيته ، وخيب سعيك ، وأكذب حدوثك ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا .

وأما قولك في عثمان ، فأنت يا قليل الحياء والدين ، ألحبت عليه ناراً ، ثم هربت إلى فلسطين تربص به الدوائر ، فلما أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية ، فبعته دينك يا خبيث بدنيا غيرك ، ولسنا نلومك على بغضنا ، ولم نعاتبك على حبنا ، وأنت عدو لبني هاشم في الجاهلية والإسلام . وقد هجوت رسول الله (ص) بسبعين بيتاً من شعر ، فقال رسول الله : «اللهم إني لا أحسن الشعر ، ولا ينبغي لي أن أقوله قاله عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة» ثم أنت يا عمرو المؤثر دينك على دينك أهديت إلى النجاشي الهدايا ، ورحلت إليه رحلتك الثانية ، ولم تنهك الأولى عن الثانية ، كل ذلك ترجع مغلوباً ، حسيراً ، تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه ، فلما أخطأك ما رجوت وأملت أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد .

وأما أنت يا وليد بن عقبة فوالله ما ألومك أن تبغض علياً وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة ، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر ، أم كيف تسبه وقد سماه الله مؤمناً في عشرة آيات من القرآن ، وسماك فاسقاً ، وهو قول الله عز وجل : ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾^(٢) وقوله : ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾^(٣) وما أنت وذكر قريش وإنما أنت ابن

علاج من أهل صفورية اسمه: «ذكوان» وأما زعمك أنا قتلنا عثمان فوالله ما استطاع طلحة، والزبير، وعائشة، أن يقولوا ذلك لعلي بن أبي طالب فكيف تقوله أنت، ولو سألت أمك من أبوك إذ تركت ذكوان فالصقتك بعقبة بن أبي معيط، إكتسبت بذلك عند نفسها سناء ورفعة، ومع ما أعد الله لك ولأبيك ولأمك من العار والخزي في الدنيا والآخرة، وما الله بظلام للعبيد.

ثم أنت يا وليد والله أكبر في الميلاد ممن تدعى له، فكيف تسب علياً ولو اشتغلت بنفسك لتثبت نسبك إلى أبيك لا إلى من تدعى له، ولقد قالت لك أمك «يا بني أبوك والله ألأم وأخبث من عقبة».

وأما أنت يا عتبة بن أبي سفيان: فوالله ما أنت بحصيف فاجاويك، ولا عاقل فأعاقبك، وما عندك خير يرجى، وما كنت ولو سببت علياً لا غير به عليك، لأنك عندي لست بكفو لعبد علي بن أبي طالب فارد عليك، وأعاتبك، ولكن الله عز وجل لك ولأبيك وأمك وأخيك لبالمرصاد، فانت ذرية آبائك الذين ذكرهم الله في القرآن فقال: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلِي نَارًا حَامِيَةً تَسْقَى مِنْ عَيْنِ آنِيَةٍ﴾ - إلى قوله - من جوع^(١).

وأما وعيدك إياي أن تقتلني، فهلا قتلت الذي وجدته على فراشك مع حبيبته، وقد غلبك على فرجها وشركك في ولدها حتى ألصق بك ولداً ليس لك ولا لك! لو شغلت نفسك بطلب ثأرك منه كنت جديراً، ولذلك حرباً، إذ تسومني القتل وتوعدي به، ولا ألومك أن تسب علياً وقد قتل أخاك مبارزة، واشترك هو وحمة بن عبد المطلب في قتل جدك حتى إصلاهما الله على أيديهما نار جهنم وأذاقهما العذاب الأليم، ونفى عمك بأمر رسول الله.

وأما رجائي الخلافة، فلعمر الله إن رجوتها فإن لي فيها للتمسأ، وما أنت بنظير أخيك، ولا بخليفة أهلك، لأن أخاك أكثر تمرداً على الله، وأشد طلباً لأهراقه دماء المسلمين، وطلب ما ليس له بأهل، بخادع الناس ويمكرهم، ويمكر الله والله خير الماكرين.

وأما قولك: «إن علياً كان شر قريش لقريش» فوالله ما حفر مرحوماً ولا قتل مظلوماً.

وأما أنت يا مغيرة بن شعبة! فإنك لله عدو، ولكتابه نابذ، ولنيه مكذب وأنت الزاني وقد وجب عليك الرجم، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء، فأخر رجلك، ودفع الحق بالأباطيل، والصدق بالأغاليط^(٢) وذلك لما أعد الله لك من العذاب الأليم، والخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة

(١) الغاشية - ٣ - ٦ .

(٢) أشار الإمام (ع) في كلامه هذا إلى ما نشر وفاضت به السير والتواريخ صراحة أو تلميحاً من أن المغيرة بن شعبة زنا بام جميل حين كان والياً على البصرة من قبل عمر بن الخطاب، وكتبوا بذلك إلى الخليفة، فكتب إليه وإلى الشهود جميعاً أن يحضروا عنده، فلما قدموا صفهم، ودعا أبا بكر، فأنبت الشهادة وقال: انه رأى يدخل كما يدخل الليل في المكحلة و(قال): لكأنني انظر إلى اثرا الجديري بغخذ المرأة، ثم دعا نافعاً وشبل بن معبد فشهدا بمثل ما شهد به أبو بكر ثم دعا زياداً وهو الشاهد الرابع وقال له: «إني لأرى وجه رجل ما كان الله يجزي رجلاً من المهاجرين بشهادته» أو قال: «أما إني أرى رجلاً أرجوان لا يرجم رجل من أصحاب رسول الله على يده ولا يجزى بشهادته» يوحى بذلك إلى زياد بالعدول عن الشهادة ليدراً الحد عن المغيرة، فقال شبل بن معبد ثالث الشهود: أنتجسد شهود=

اخزى، وأنت الذي ضربت فاطمة بنت رسول الله (ص) حتى أدميتها وألقت ما في بطنها، استدلالاً منك لرسول الله (ص) ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته وقد قال لها رسول الله (ص) : «يا فاطمة أنت سيدة نساء أهل الجنة» والله مصيرك إلى النار، وجاعل وبال ما نطقت به عليك، فبأي الثلاثة سيبت عليك، أنقصاً في نسبه، أم بعداً من رسول الله، أم سوء بلاء في الإسلام، أم جوراً في حكم، أم رغبة في الدنيا؟! ان قلت بها فقد كذبت وكذبتك الناس، أنزعم أن علياً (ع) قتل عثمان مظلوماً؟! فعلي والله أنقى وأنقى من لائمه في ذلك، ولعمري لئن كان علي قتل عثمان مظلوماً فوالله ما أنت من ذلك في شيء، فما نصرته حياً ولا تعصبت له ميتاً، وما زالت الطائف دارك تتبع البغايا، وتحبي أمر الجاهلية، وتميت الإسلام، حتى كان ما كان في أمس.

وأما اعتراضك في بني هاشم وبني أمية فهو لدعاؤك إلى معاوية.

وأما قولك في شأن الإمارة وقول أصحابك في الملك الذي ملكتموه، فقد ملك فرعون مصر أربعمائة سنة، وموسى وهارون نبيان مرسلان (ع) يلقيان ما يلقيان من الأذى، وهو ملك الله يعطيه البر والفاجر، وقال الله : ﴿وان ادري لعنه فتنة لكم ومناخ إلى حين﴾ وقال : ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾.

ثم قام الحسن فنفض ثيابه وهو يقول : «الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات» هم والله يا معاوية : أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك، «والطيون للطيبات» أولئك مبرؤون عما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم، هم : علي بن أبي طالب (ع) وأصحابه وشيعته.

ثم خرج وهو يقول لمعاوية : ذق وبال ما كسبت يداك وما جنت، وما قد أعد الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الآليم في الآخرة.
فقال معاوية لأصحابه : وأنتم فذوقوا وبال ما جنيتم.

فقال الوليد بن عقبة : والله ما ذقنا إلا كما ذقت، ولا اجترأ إلا عليك.

فقال معاوية : ألم أقل لكم أنكم لن تنتقصوا من الرجل فهلا أطعتموني أول مرة فانتصرتهم من الرجل إذ فضحكهم، فوالله ما قام حتى أظلم علي البيت، وهممت أن أسطوبه فليس فيكم خير اليوم ولا بعد اليوم.

قال : وسمع مروان بن الحكم بما لقي معاوية وأصحابه المذكورون من الحسن بن علي (ع)،

الحق، وتبطل الحد أحب إليك يا عمر؟ فقال عمر - لزياد - : ما تقول؟ فقال : قد رأيت منظرأ قبيحاً، ونفساً عالياً ولقد رأيت بين فخذي المرأة ولا ادري هل كان خالطها أم لا؟ فقال عمر : الله أكبر فقال : المغيرة : الله أكبر، الحمد لرب الغلق، والله لقد كنت علمت أني سأخرج عنها مسلماً - فقال له عمر : اسكت فوالله لقد رأوك بمكان سوء، فبصع الله مكاناً رأوك فيه، وأمر بجلد الشهود الثلاثة فقال نافع انت والله يا عمر جلدتكم ظلياً، انت رددت صاحبنا أن يشهد بمثل شهادتنا، اعلمته هواك، فاتبه، ولو كان تقياً لكان رضى الله والحق عنده أثر من رضاك فلما جلد أبا بكره قلم وقال : اشهد لقد زنى المغيرة، فأراد عمر أن يجلده ثانياً فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : ان جلدته رجعت صاحبك.

فأتاهم فوجدهم عند معاوية في البيت فسأهم:

ما الذي بلغني عن الحسن وزعله؟

قال: قد كان كذلك.

فقال لهم مروان: أفلا احضرتوني ذلك، فوالله لأسبته ولأسبن أباه وأهل البيت سباً تتغنى به الأماء والعبيد.

فقال معاوية والقوم: لم يفتك شيء وهم يعلمون من مروان بذو لسان وفحش.

فقال مروان: فأرسل إليه يا معاوية فأرسل معاوية إلى الحسن بن علي.

فلما جاء الرسول قال له الحسن (ع): ما يريد هذا الطاغية مني؟ والله إن أعاد الكلام لأوقرن مسامعه ما يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة، فأقبل الحسن فلما جاءهم وجدهم بالمجلس على حالتهم التي تركهم فيها، غير أن مروان قد حضر معهم في هذا الوقت، فمشى الحسن (ع) حتى جلس على السرير مع معاوية وعمرو بن العاص.

ثم قال الحسن لمعاوية: لم أرسلت إلي؟

قال: لست أنا أرسلت إليك ولكن مروان الذي أرسل إليك.

فقال له مروان: أنت يا حسن السباب لرجال قريش؟

فقال له الحسن: وما الذي أردت؟

فقال مروان: والله لأسبنتك وأباك وأهل بيتك سباً تتغنى به الأماء والعبيد.

فقال الحسن (ع): أما أنت يا مروان فلست سببتك ولا سببت أباك، ولكن الله عز وجل لعنك ولعن أباك، وأهل بيتك، وذريتك، وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة، على لسان نبيه محمد، والله يا مروان ما تنكر أنت ولا أحد من حضر، هذه اللعنة من رسول الله (ص) لك ولأبيك من قبلك، وما زادك الله يا مروان بما خوفك إلا طغياناً كبيراً، وصدق الله وصدق رسوله يقول الله تبارك وتعالى: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾ وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في القرآن، وذلك عن رسول الله (ص) عن جبرئيل عن الله عز وجل.

فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن وقال: يا أبا محمد ما كنت فحاشاً ولا طياشاً، فنفض الحسن (ع) ثوبه، وقام فخرج، فنفرك القوم عن المجلس بغيظ وحزن، وسواد الوجوه في الدنيا والآخرة.

مفاخرة الحسن بن علي صلوات الله عليهما على معاوية ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة والوليد بن عتبة وعتبة بن أبي سفيان.

فيل: وفد الحسن بن علي (ع) على معاوية فحضر مجلسه، وإذا عنده هؤلاء القوم، ففخر كل

رجل منهم علي بن هاشم، ووضعوا منهم، وذكروا أشياء ساءت الحسن بن علي وبلغت منه.

فقال الحسن بن علي (ع) : أنا شعبة من خير الشعب، وآبائي أكرم العرب، لنا الفخر والنسب، والسماحة عند الحسب، ونحن من خير شجرة، أنبتت فروعاً نامية، وأثماراً زاكية، وأبداناً قائمة، فيها أصل الإسلام، وعلم النبوة، فعلونا حين شمع بنا الفخر، واستطلنا حين امتنع بنا العز، ونحن بحور زاخرة لا تنزف وجبال شاذغة لا تقهر.

فقال مروان بن الحكم : مدحت نفسك، وشمخت بأنفك، هيهات هيهات يا حسن، نحن والله الملوك السادة، والأعزة القادة، لا تبجحن فليس لك عز مثل عزنا، ولا فخر كفخرنا، ثم أنشأ يقول :

شفينا أنفساً طابت وقوراً فنالت عزها فيمن يلينا
فابنا بالغنيمة حيث ابنا وابنا بالملوك مقريننا

ثم تكلم مغيرة بن شعبة فقال : نصحت لأبيك فلم يقبل النصح، ولولا كراهية قطع القرابة لكنت في جملة أهل الشام، فكان يعلم أبوك أي أصدر الورد عن مناهلها، بزغارة قيس، وحلم ثقيف، ونجاربها للامور على القبائل.

فتكلم الحسن (ع) فقال : يا مروان أجبناً، وخوراً، وضعفاً، وعجزاً، زعمت أي مدحت نفسي، وأنا ابن رسول الله، وشمخت بأنفي وأنا سيد شباب أهل الجنة وإنما يذخ ويتكبر - وملك - من يريد رفع نفسه، ويتبجح من يريد الاستطالة فأما نحن فأهل بيت الرحمة، ومعدن الكرامة، وموضع الخيرة، وكنز الإيمان ورمح الإسلام، وسيف الدين، ألا تصمت ثكلتك أمك قبل أن أرميك بالهوائل، وأسمك بميسم تستغني به عن اسمك، فأما إيابك بالنهاب والملوك : أي اليوم الذي وليت فيه مهزوماً، وانخجرت مدعوراً، فكانت غنيمتك هزيمتك، وغدرك بطلحة حين غدرت به فقتلته، قبحاً لك ما أغلظ جلدة وجهك!!

فنكس مروان رأسه، وبقي مغيرة مبهوتاً، فالتفت إليه الحسن (ع) فقال :

أعور ثقيف ما أنت من قريش فأفاخرك، أجهلتي يا ويحك!! أنا ابن خيرة الاماء، وسيدة النساء، غداً رسول الله (ص) يعلم الله تبارك وتعالى، فعلمنا تأويل القرآن، ومشكلات الأحكام، لنا العزة العليا، والفخر والثناء، وأنت من قوم لم يثبت لهم في الجاهلية نسب، ولا لهم في الإسلام نصيب، عبد آبق، ماله والافتخار عن مصادمة الليوث، ومجاحشة الأقران، نحن السادة، ونحن المذاويد القادة، نحمي الذمار، وننفي عن ساحتنا العار، وأنا ابن نجيبات الأبيكار، ثم اشرت زعمت إلى وصي خير الأنبياء، وكان هو بعجزك أبصر، وبجورك أعلم وكنت للرد عليك منه أهلاً لو عزك في صدرك، وبدو الغدر في عينك، هيهات لم يكن ليتخذ المضلين عضداً، وزعمك : إنك لو كنت بصفين بزغارة قيس، وحلم ثقيف، فبماذا ثكلتك أمك!! أبعجزك عند المقامات، وفرارك عند المجاحشات؟

أما والله لو التفت عليك من أمير المؤمنين الأجاشع، لعلمت أنه لا يمنعه منك الموانع، ولقامت

عليك المرنات الهوالع .

وأما زعارة قيس : فما أنت وقيساً؟ انما أنت عبد أبى فثقف فسمي ثقيفاً فاحتل لنفسك من غيرها، فلست من رجالها، أنت بمعالجة الشرك وموالج الزرائب أعرف منك بالحروب .

فأما الحلم فأى الحلم عند العبيد القيون؟ ثم تمنيت لقاء أمير المؤمنين (ع) فذاك من قد عرفت : أسد باسل، وسم قاتل، لا تقاومه الأبالسة عند الطعن والمخالسة، فكيف ترومه الضبعان، وتنااله الجعلان، بمشيتها القهقرى .

وأما وصلتك : فمذكورة، وقربتك : فمجهولة، وما رحمك منه الاكينات الماء من خشقان الأطباء، بل أنت أبعد منه نسباً .

فوثب المغيرة والحسن يقول - معاوية - : اعذرنا من بني أمية إن تجاوزنا بعد منطقة القيون، ومفاخرة العبيد .

فقال معاوية : ارجع يا مغيرة، هؤلاء بنو عبد مناف، لا تقاومهم الصناديد ولا تفاخرهم المذاويذ .

ثم أقسم على الحسن (ع) بالسكوت فسكت .

وروي أن عمرو بن العاص قال - لمعاوية - : أبعث إلى الحسن بن علي فمره أن يصعد المنبر ويخطب الناس، فلعله أن يحصر فيكون ذلك مما نعيه به في كل محفل، فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر، وقد جمع له الناس، ورؤساء أهل الشام فحمد الله الحسن صلوات الله عليه وأثنى عليه، ثم قال : أيها الناس، من عرفني فأنا الذي يعرف، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، ابن عم نبي الله، أول المسلمين إسلاماً، وأمي فاطمة بنت رسول الله (ص)، وجددي محمد بن عبد الله نبي الرحمة، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين، أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس أجمعين، فقطع عليه معاوية فقال : يا أبا محمد خلنا من هذا وحدثنا في نعت الرطب، أراد بذلك تحجيله .

فقال الحسن (ع) : نعم، التمر : الريح تنفخه، والحر ينضجه، والليل يبرده ويطيبه .

ثم أقبل الحسن (ع) فرجع في كلامه الأول فقال : أنا ابن مستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أول من ينفض عن رأسه التراب، أنا ابن من يقرع باب الجنة فيفتح له فيدخلها، أنا ابن من قاتل معه الملائكة، وأحل له المغنم ونصر بالرعب من مسيرة شهر فأكثر، في هذا النوع من الكلام، ولم يزل به حتى أظلمت الدنيا على معاوية، وعرف الحسن من لم يكن عرفه من أهل الشام وغيرهم ثم نزل فقال له معاوية : أما أنك يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة، ولست هناك، فقال الحسن (ع) : . أما الخليفة : فمن سار بسيرة رسول الله (ص)، وعمل بطاعة الله عز وجل، وليس الخليفة من سار بالجور،

وعطل السنن، واتخذ الدنيا أمّاً وأباً، وعباد الله خولاً، وماله دولاً، ولكن ذلك أمر ملك أصاب ملكاً فتمنع منه قليلاً، وكان قد انقطع عنه، فأغتم لذنه وبقيت عليه تبعته، وكان كما قال الله تبارك وتعالى ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾ ﴿متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ ﴿وما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ وأومى بيده إلى معاوية، ثم قام فانصرف. فقال معاوية لعمره: والله ما أردت إلا شئني حين أمرتني بما أمرتني، والله ما كان يرى أهل الشام أن أحداً مثلي في حسب ولا غيره، حتى قال الحسن (ع) ما قال، قال عمرو: وهذا شيء لا يستطيع دفعه، ولا تغييره، لشهرته في الناس، وانصاحه، فسكت معاوية.

وروى الشعبي أن معاوية قدم المدينة فقام خطيباً فقال: أين علي بن أبي طالب؟
فقام الحسن بن علي فخطب وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

انه لم يبعث نبي إلا جعل له وصي من أهل بيته، ولم يكن نبي إلا وله عدو من المجرمين، وإن علياً (ع) كان وصي رسول الله من بعده، وأنا ابن علي، وانت ابن صخر، وجدك حرب، وجدتي رسول الله، وأمك هند وأمي فاطمة، وجدتي خديجة وجدتك ثبيلة، فلعن الله الأما حسباً، واقدما كفراً، وأحملنا ذكراً واشدنا نفاقاً، فقال عامة أهل المجلس: آمين. فنزل معاوية فقطع خطبته.

وروي أنه لما قدم معاوية بالكوفة قيل له: إن الحسن بن علي مرتفع في أنفس الناس، فلو أمرته أن يقوم دون مقامك على المنبر فتدركه الحداثة والعي فيسقط من أنفس الناس وأعينهم، فأبى عليهم وأبوا عليه إلا إن يأمره، بذلك فأمره، فقام دون مقامه في المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، أيها الناس فإنكم لو طلبتم ما بين كذا وكذا لتجدوا رجلاً جده نبي لم تجدوا غيري وغير أخي، وإنا أعطينا صفتنا هذه الطاغية - وأشار بيده إلى أعلى المنبر إلى معاوية، وهو في مقام رسول الله (ص) من المنبر - ورأينا حقن دماء المسلمين أفضل من إهراقها، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين - وأشار بيده إلى معاوية - .

فقال له معاوية: ما أردت بقولك هذا؟

فقال: ما أردت به إلا ما أراد الله عز وجل، فقام معاوية فخطب خطبة عيبية فاحشة، فسب فيها أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام. فقام إليه الحسن بن علي (ع) فقال له - وهو على المنبر - : ويلك يا ابن آكلة الأكباد! أوأنت تسب أمير المؤمنين (ع) وقد قال رسول الله (ص): «من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أدخله الله نار جهنم خالداً فيها مخلداً وله عذاب مقيم»؟ ثم انحدر الحسن (ع) عن المنبر ودخل داره، ولم يصل هناك بعد ذلك أبداً.

تم الجزء الأول من كتاب الاحتجاج بحمد الله ومنه ويتلوه بمن الله وعونه الجزء الثاني.

الاحتجاج

تأليف
أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي
من علماء القرن السادس

تعليقات وملاحظات
السيد محمد باقر الموسوي الخراساني

الجزء الثاني



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

احتجاج الحسن بن علي عليهما السلام على معاوية في الإمامة ، من يستحقها ومن لا يستحقها بعد مضي النبي .

وقد جرى قبل ذلك إيراد كثير من الحجج لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وغيرهما ، على معاوية في الامامة وغيرها ، بحضور من الحسن (ع) والفضل بن عباس وغيرهما .

روى سليم بن قيس قال : سمعت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال : قال لي معاوية :

ما أشد تعظيمك للحسن والحسين ، ما هما بخير منك ولا أبوهما بخير من أبيك ، ولولا أن فاطمة بنت رسول الله لقلت : ما أمك أسوء بنت عميس بدونها .

قال : فغضبت من مقالته ، وأخذني ما لا أملك ، فقلت : أنت لقليل المعرفة بهما وبأبيهما وأمهما ، بل والله إنهما خير مني وأبوهما خير من أبي وأمهما خير من أمي ، ولقد سمعت رسول الله « ص » يقول فيهما وفي أبيهما وأنا غلام فحفظته منه ورعيتيه .

فقال معاوية - وليس في المجلس غير الحسن والحسين (ع) وابن جعفر رحمه الله وابن عباس وأخيه الفضل - : هات ما سمعت ! فوالله ما أنت بكذاب فقال : إنه أعظم مما في نفسك .

قال : وإن كان أعظم من أحد وجرى ، فأنه ما لم يكن أحد من أهل الشام !! أما إذا قتل الله طاغيتكم وفرق جمعكم وصار الأمر في أهله ومعدنه ، فما نبالي ما قلتم ولا يضرنا ما ادعيتم .

قال : سمعت رسول الله « ص » يقول : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن كنت أولى به من نفسه فأنت يا أخي أولى به من نفسه » وعلي بين يديه في البيت والحسن والحسين وعمرو بن أم سلمة وأسامة بن زيد ، وفي البيت فاطمة (ع) وأم أيمن وابوذر والمقداد والزبير بن العوام ، وضرب رسول الله « ص » على عضده وأعاد ما قال فيه ثلاثاً ، ثم نص بالإمامة على الأئمة تمام الاثني عشر (ع) ثم قال صلوات الله عليه :

« لأمتي اثنا عشر إمام ضلالة ، كلهم ضال مضل عشرة من بني أمية ، ورجلان من قریش ، وزر جميع الاثني عشر وما أضلوا في عيقهما ، ثم سماهما رسول الله « ص » وسمى العشرة منها » .

قال : قسمهم لنا : قال : فلان وفلان ، وصاحب السلسلة وابنه من آل أبي سفيان ، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص ، أولها مروان .

قال معاوية : لكن كان ما قلت حقاً هلكت ، وهلكت الثلاثة قبلي وجميع من تولاهم من هذه الأمة ، ولقد هلك أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار والتابعين ، من غيركم وأهل

البيت وشيعتكم .

قال ابن جعفر : فَإِنَّ الَّذِي قُلْتَ وَاللَّهِ حَقَّ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ «ص» ؟

قال معاوية - للحسن والحسين وابن عباس - : ما يقول ابن جعفر ؟

قال ابن عباس - ومعاوية بالمدينة أول سنة اجتمع عليه الناس بعد قتل علي (ع) - : أرسل إلى الذي سمى ، فأرسل إلى عمرو بن أم سلمة وأسامة ، فشهدوا جميعاً أَنَّ الَّذِي قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ حَقٌّ ، قَدْ سَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ «ص» كَمَا سَمِعَهُ .

ثم أقبل معاوية إلى الحسن والحسين وابن عباس والفضل وابن أم سلمة وأسامة .

قال : كلِّكم على ما قال ابن جعفر ؟

قالوا : نعم .

قال معاوية : فانكم يا بني عبد المطلب لتدعون أمراً ، وتحتجون بحجة قوية إن كانت حقاً ، وإنكم لتبصرون على أمر ونسترونه والناس في غفلة وعمى ، ولئن كان ما تقولونه حقاً لقد هلكت الأمة ، ورجعت عن دينها . وكفرت بربها ، ووجدت نبيها ، الا أنتم أهل البيت ومن قال بقولكم ، واولئك قليل في الناس .

فأقبل ابن عباس على معاوية فقال : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ وقال : ﴿ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ .

وما تعجب مني يا معاوية اعجب من بني إسرائيل : إِنَّ السَّحَرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ ﴿ اقْضُ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ فَأَمَّنَا بِمُوسَى وَصَدَّقُوهُ ، ثُمَّ سَارِبِهِمْ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَقْطَعَهُمُ الْبَحْرُ ، وَأَرَاهُمُ الْعَجَائِبَ ، وَهُمْ مُصَدِّقُونَ بِمُوسَى وَبِالتَّوْرَةِ يَقْرُونَ لَهُ بِدِينِهِ ، ثُمَّ مَرُّوا بِأَصْنَامٍ تَعْبُدُ فَقَالُوا : ﴿ يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿ وَعَكَفُوا عَلَى الْعَجَلِ جَمِيعاً غَيْرَ هَارُونَ فَقَالُوا : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ﴾ وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى - بَعْدَ ذَلِكَ - : ﴿ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِمْ مَا قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ : ﴿ فَقَالَ مُوسَى رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

فما اتباع هذه الأمة رجالاً سودوهم وأطاعوهم ، لهم سوابق مع رسول الله «ص» ومنازل قريبة منها ، واصهاره مقرين بدين محمد «ص» وبالقرآن ، حملهم الكبر والحسد أن خالفوا إمامهم ووليتهم ، بأعجب من قوم صاغوا من حليهم عجلاً ثم عكفوا عليه يعبدونه ، ويسجدون له ، ويزعمون أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، واجتمعوا على ذلك كلهم غير هارون وحده ، وقد بقي مع صاحبنا الذي هو من نبينا بمنزلة هارون من موسى من أهل بيته ناس : سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير ، ثم رجع الزبير وثبت هؤلاء الثلاثة مع إمامهم حتى لقوا الله .

وتعجب يا معاوية أن سمى الله من الأئمة واحداً بعد واحد ، وقد نص عليهم رسول الله ﴿بفدير خم﴾ وفي غير موطن ، واحتج بهم عليهم ، وأمرهم بطاعتهم ، وأخبر أن أولهم علي بن أبي طالب ولي كل مؤمن ومؤمنة من بعده ، وأنه خليفته فيهم . ووصيه وقد بعث رسول الله «ص» جيشاً يوم مؤتة فقال : عليكم بجعفر ، فإن هلك فزيد ، فإن هلك فعبد الله بن رواحة ، فقتلوا جميعاً ، أفترى يترك الأمة ولم يبين لهم من الخليفة بعده ، ليختاروا هم لأنفسهم الخليفة ، كأن رأيهم لأنفسهم أهدي لهم وأرشد من رأيه واختياره ، وما ركب القوم ما ركبوا الا بعدما بينه ، وما تركهم رسول الله «ص» في عمى ولا شبهة .

فأما ما قال الرهط الأربعة الذين تظاهروا على علي (ع) وكذبوا على رسول الله ، وزعموا أنه قال : إن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة فقد شبهوا على الناس بشهادتهم وكذبهم ومكرهم .

قال معاوية : ما تقول يا حسن؟

قال : يا معاوية قد سمعت ما قلت وما قال ابن عباس ، العجب منك يا معاوية ومن قلة حيائك ، ومن جرأتك على الله حين قلت : «قد قتل الله طاعتكم ، ورد الأمر إلى معدنه» فأنت يا معاوية معدن الخلافة دوننا ١٩ ويل لك يا معاوية وللثلاثة قبلك الذين أجلسوك هذا المجلس ، وسنوا لك هذه السنة ، لأقولن كلاماً ما أنت أهله ، ولكني أقول ليسمعه بنوا أبي هؤلاء حولي .

إن الناس قد اجتمعوا على أمور كثيرة ليس بينهم اختلاف فيها ، ولا تنازع ولا فرقة ، على : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وعبد ، والصلوات الخمس ، والزكاة المفروضة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، ثم أشياء كثيرة من طاعة الله لا تحصى ولا يعدها الا الله ، واجتمعوا على تحريم الزنا ، والسرقة والكذب ، والقطيعة ، والخيانة ، وأشياء كثيرة من معاصي الله لا تحصى ولا يعدها الا الله ، واختلفوا في سنن اقبلوا فيها وصاروا فرقا يلعن بعضهم بعضاً ، وهي : «الولاية» ويتبرأ بعضهم عن بعض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، أيهم أحق وأولى بها ، الا فرقة تتبع كتاب الله وسنة نبيه «ص» ، فمن أخذ بما عليه أهل القبلة الذي ليس فيه اختلاف ، ورد علم ما اختلفوا فيه إلى الله : سلم ونجا به من النار ودخل الجنة ، ومن وفقه الله ومن عليه واحتج عليه بأن نور قلبه بمعرفة ولاية الأمر من أئمتهم ومعدن العلم أين هو ، فهو عند الله سعيد والله ولي وقد قال رسول الله «ص» : «رحم الله امرأ علم حقاً فقال أوسكت فسلم» .

نحن نقول أهل البيت : إن الأئمة منا ، وإن الخلافة لا تصلح الا فينا ، وإن الله جعلنا أهلها في كتابه وسنة نبيه ، وإن العلم فينا ونحن أهله ، وهو عندنا مجموع كله بحذاقيره ، وإنه لا يحدث شيء إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش الا وهو عندنا مكتوب باملاء رسول الله «ص» وبخط علي (ع) بيده .

وزعم قوم : أنهم أولى بذلك منا حتى أنت يا ابن هند تدعي ذلك وتزعم : إن عمر أرسل إلى أبي إني أريد أن أكتب القرآن في مصحف فأبعث إلي بما كتبت من القرآن ، فأتاه فقال : تضرب والله عنقي قبل أن يصل إليك . قال : ولم ؟

قال : لأن الله تعالى قال : ﴿والراسخون في العلم﴾ إياي عنى ولم يعنك ولا أصحابك فغضب عمر ثم قال :

يا ابن أبي طالب نحسب أن أحداً ليس عنده علمٌ غيرك ، من كان يقرأ من القرآن شيئاً فليأتني به ، إذا جاء رجل فقرأ شيئاً معه يوافقه فيه آخر كتبه والا لم يكتبه .

ثم قالوا : قد ضاع منه قرآن كثير ، بل كذبوا والله بل هو مجموع محفوظ عند أهله ، ثم أمر عمر قضاته وولاته : اجتهدوا آراءكم واقضوا بما ترون أنه الحق فلا يزال هو وبعض وولاته قد وقعوا في عظمة ، فيخرجهم منها أبي ليحتج عليهم بها ، فتجمع القضاة عند خليفتهم وقد حكموا في شيء واحد بقضائياً مختلفة فأجازها لهم ، لأن الله تعالى لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب ، وزعم كل صنف من مخالفيها من أهل هذه القبلة : أنهم معدن الخلالة والعلم دوننا ، فنستعين بالله على من ظلمنا وجحدنا حقنا وركب رقابنا وسن للناس علينا ما يحتج به مثلك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

إنما الناس ثلاثة : مؤمن يعرف حقنا ويسلم لنا ويأتم بنا ، فذلك ناج محب لله ولي . وناصب لنا العداوة يتبرأ منا ويلعننا ، ويستحل دماءنا ويحجد حقنا ، ويدين الله بالبراءة منا ، فهذا كافر مشرك ، وإنما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما يسبوا الله عدواً بغير علم ، كذلك يشرك بالله بغير علم .

ورجل أخذ بما لا يختلف فيه ، ورد علم ما أشكل عليه إلى الله ، مع ولايتنا ولا ياتم بنا ولا يعاديننا ولا يعرف حقنا ، فنحن نرجو أن يغفر الله له ، ويدخله الجنة ، فهذا مسلم ضعيف . فلما سمع معاوية أمر لكل منهم بمائة ألف درهم ، غير الحسن والحسين وابن جعفر ، فإنه أمر لكل واحد منهم بألف ألف درهم .

احتجاجه (ع) على من أنكر عليه مصالحة معاوية ونسبه إلى التقصير في طلب حقه .

عن سليم بن قيس قال : قام الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) على المنبر حين اجتمع مع معاوية ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس إن معاوية زعم : أني رأيت للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً وكذب معاوية ،

أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبي الله ، فاقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني ، لأعطيهم السماء قطرها والأرض بركتها ، ولما طمعتم فيها يا معاوية ، ولقد قال رسول الله « ص » : « ما ولت أمة أمرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلاً حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل » .

وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أن هارون خليفة موسى ، وقد تركت الأمة علياً « ع » وقد سمعوا رسول الله « ص » يقول لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي » وقد هرب رسول الله « ص » من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى فر إلى الغار ، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم ، ولو وجدت أنا أعواناً ما بايعتك يا معاوية .

وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ، ولم يجد عليهم أعواناً ، وقد جعل الله النبي في سعة حين فر من قومه لما لم يجد أعواناً عليهم كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا ولم نجد أعواناً ، وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً .

أيها الناس إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلاً من ولد النبي غيري وغير أخي .

وعن حنان بن سدير ^(١) عن أبيه سدير ^(٢) عن أبيه ^(٣) عن أبي سعيد عقيصي ^(٤) قال : لما صالح الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته فقال « ع » :

ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله للذي عملت لشيعتي خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ألا تعلمون أنني إمامكم ، ومفترض الطاعة عليكم ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص

(١) ذكره النجاشي في رجاله ص ١١٢ فقال : « حنان بن سدير بن حكيم بن صهيب أبو الفضل الصيرفي الكوفي - روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام له كتاب في صفة الجنة والنار » وعنه الشيخ في أصحاب الكاظم عليه السلام في رجاله ص ٣٤٦ وقال : « حنان بن سدير الصيرفي واقفي » وفي الفهرست قال : « له كتاب . وهو ثقة رحمه الله ، وفي رجال الكشي ص ٤٦٥ : « حنان بن سدير واقفي ، أدرك أبا عبد الله ولم يدرك أبا جعفر ، وكان يرتضي به سديداً » .

(٢) ذكره العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ٨٥ والشيخ في رجاله ص ٩١ وعنه من أصحاب علي بن الحسين عليهما السلام وص ١٢٥ من أصحاب الباقر « ع » وص ٢٠٩ من أصحاب الصادق عليه السلام وقال : « سدير بن حكيم كوفي يكنى أبا الفضل والد حنان » وذكر الكشي ص ١٨٣ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ذكر عنه سدير فقال : « سدير عصيدة بكل لون » .

(٣) عنه الشيخ في رجاله ص ٨٨ من أصحاب علي بن الحسين عليهما السلام .

(٤) ذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٩٣ في أولياء علي « ع » فقال : « وأبو سعيد عقيصان - بفتح العين المهملة ، والقاف قبل الياء المنقطة تحتها نقطتين ، والصاد المهملة والنون بعد الألف - من بني تميم الله بن ثعلبة . وذكره الشيخ في رجاله ص ٤٠ فعنه من أصحاب علي « ع » وقال : « دينار يكنى أبا سعيد ، ولقبه عقيصا ، وإنما لقب بذلك لشعره قاله » وذكره أيضاً ص ٩٦ أصحاب الحسين « ع »

من رسول الله عليّ؟

قالوا : بلى .

قال : أما علمتم أنّ الخضر لما خرق السفينة ، وأقام الجدار ، وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران « ع » إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك ، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً ؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا يقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه الا القائم « عج » ؟ الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم « ع » ، فإن الله عز وجل يخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة اذا خرج ، ذاك التاسع من ولد أخي الحسين ، ابن سيدة الاماء ، يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة ، ذلك ليعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير .

عن زيد بن وهب الجهني^(١) قال : لما طعن الحسن بن علي « ع » بالمدائن أتته وهو متوجع ، فقلت : ما ترى يا ابن رسول الله فإنّ الناس متحIRON ؟

فقال : أرى والله أنّ معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقتي وأخذوا مالي ، والله لئن أخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأومن به في أهلي ، خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي ، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً ، والله لئن أسأله وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير ، أو يمن عليّ فيكون سنة على بني هاشم آخر الدهر ولمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحي من والميت .

قال : قلت : تترك يا ابن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لها راع ؟

قال : وما أصنع يا أخا جهينة إنّي والله أعلم بأمر قد أدى به إليّ ثقاته : إنّ أمير المؤمنين « ع » قال لي - ذات يوم وقد رأي فرحاً - : يا حسن أتفرح كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً ؟ كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنوا أمية ، وأميرها الرحب البلعوم ، الواسع الاعفجاج^(٢) ، يأكل ولا يشبع ، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر ، ثم يستولي على غربها وشرقها ، يدين له العباد ويطول ملكه ، يستن بسنن أهل البدع والضلال ، ويميت الحق وسنة رسول الله « ص » يقسم المال في أهل ولايته ، ويمنعه من هو أحق به ، ويذل في ملكه المؤمن ، ويقوى في سلطانه الفاسق ، ويجعل المال بين أنصاره دولا ، ويتخذ عباد الله خولا .

(١) ذكره العلامة « ره » في أولياء علي عليه السلام في القسم الأول من خلاصته ص ١٩٤ والشيخ في رجاله ص ٤٢ في أصحاب علي « ع » وفي الفهرست ص ٩٧ فقال : « زيد بن وهب له كتاب : خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها » وفي أسد الغابة ص ٢٤٣/٢٤٢ أنه كان في جيش علي « ع » حين مسيره إلى النهروان وقال ابن عبد البر في هملش الإصابة ص ٢٤ ج ١ : إنه ثقة ، توفي سنة (٩٦) .

(٢) أي : واسع الكرش والأمعاء .

يدرس في سلطانه الحق ، ويظهر الباطل ، ويقتل من ناواه على الحق ، ويدين من والاه على الباطل ، فكذاك حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكلب من الدهر^(١) وجهل من الناس ، يؤيده الله بملائكته ويغصم أنصاره وينصره بآياته ، ويظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً وبرهاناً ، يدين له عرض البلاد وطوها ، لا يبقى كافر الا آمن به ولا طالع الا صلح ، وتصطلح في ملكه السباع ، وتخرج الأرض نباتها ، وتنزل السماء بركاتها ، وتظهر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً ، فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه .

وعن الأعمش^(٢) عن سالم بن أبي الجعد^(٣) قال : حدثني رجل منا قال : أثبت الحسن بن علي «ع» فقلت : يا ابن رسول الله أذلت رقابنا ، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ، ما بقي معك رجل .

قال : ومم ذاك ؟ قال : قلت : بتسليمك الأمر لهذا الطاغية .

قال : والله ما سلمت الأمر إليه الا أنني لم أجده أنصاراً ، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه ، ولكني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً ، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل ، إنهم لمختلفون ، ويقولون لنا : إن قلوبهم معنا وإن سيوفهم مشهورة علينا ، قال : وهو يكلمني إذ تنفع الدم ، فدعا بطست فحمل من بين يديه مليء مما خرج من جوفه من الدم .

فقلت له : ما هذا يا ابن رسول الله «ص» ، إنني لأراك وجعاً ؟

قال : أجل دس إلي هذا الطاغية من سقاني سماً فقد وقع على كبدي وهو يخرج قطعاً كما ترى .

قلت : أفلا تتداوى ؟

قال : قد سقاني مرتين وهذه الثالثة لا أجدها دواء ، ولقد رقي إلي : أنه كتب إلى ملك

(١) الكلب : شبيه بالجنون .

(٢) الأعمش : أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي ، مولى الكوفي ، معروف بالفضل والثقة والجلالة والتشيع والاستقامة ، والعامية أيضاً يشون عليه ، مطبقون على فضله وثقته ، مقرون بحلالته ، مع اعترافهم بشيعة ، وقرنوه بالزهري ، ونقلوا عنه نواذر كثيرة ، بل صنف ابن طولون الشامي كتاباً في نواذره سماه : « الزهر الأعمش في نواذر الأعش » مات سنة (١٤٨) .

راجع الكافي والألقاب ج ٢ ص ٣٩ رجال الشيخ ص ٢٠٦ .

(٣) عنه الشيخ ص ٤٣ من رجاله في أصحاب علي عليه السلام وص ٩١ في أصحاب علي بن الحسين عليهما السلام فقال : « سالم بن أبي الجعد الأشجعي مولى الكوفي يكنى أبا أسامة » وذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٩٣ في أولياء علي عليه السلام .

الروم يسأله أن يوجه إليه من السم القتال شربة ، فكتب إليه ملك الروم : إنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا .

فكتب إليه إن هذا ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة ، وقد خرج يطلب ملك أبيه ، وأنا أريد أن أدس اليه من يسقيه ذلك فأريح العباد والبلاد منه ، ووجه إليه بهدايا وألطف فوجه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دس فيها فسقيتها واشترط عليه في ذلك شروطاً .

وروي أن معاوية دفع السم إلى امرأة الحسن بن علي «ع» جعدة بنت الأشعث فقال لها : «اسقيه فإذا مات هو زوجتك ابني يزيد» فلما سقته السم ومات «ع» جاءت الملعونة إلى معاوية الملعون فقالت : «زوجني يزيد» فقال : «إذهبي فإن امرأة لم تصلح للحسن بن علي لا تصلح لابني يزيد» .

احتجاج الحسين بن علي عليهما السلام على عمر بن الخطاب في الإمامة والخلافة

روي أن عمر بن الخطاب كان يخاطب الناس على منبر رسول الله «ص» ، فذكر في خطبته أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فقال له الحسين عليه السلام - من ناحية المسجد :

إنزل أيها الكذاب عن منبر أبي رسول الله لا منبر أبيك !

فقال له عمر : فممنبر أبيك لعمرى يا حسين لا منبر أبي ، من علمك هذا أبوك علي بن أبي طالب ؟ فقال له الحسين «ع» : إن اطع أبي فيما أمرني فلعمري إنه لهاد وأنا مهتد به ، وله في رقاب الناس البيعة على عهد رسول الله ، نزل بها جبرئيل من عند الله تعالى لا ينكرها الا جاحد بالكتاب ، قد عرفها الناس بقلوبهم وأنكروها بالسنتهم وويل للمنكرين حقنا أهل البيت ، ماذا يلقاهاهم به محمد رسول الله «ص» من إدامة الغضب وشدة العذاب !!

فقال عمر : يا حسين من أنكر حق أبيك فعليه لعنة الله ، أمرنا الناس فتأمرنا ولو أمروا أباك لأطعنا .

فقال له الحسين : يا ابن الخطاب فأني الناس أمرك على نفسه قبل أن تؤمر أبا بكر على نفسك ليؤمرك على الناس بلا حجة من نبي ولا رضى من آل محمد ، فرضا كم كان لمحمد «ص» رضى ؟ أورضا أهله كان له سخطاً ؟ أما والله لو أن للسان مقالاً يطول تصديقه وفعلاً يعينه المؤمنون ، لما تخطأت رقاب آل محمد ، ترقى منبرهم ، وصرت الحاكم عليهم بكتاب نزل فيهم لا تعرف معجمه ، ولا تدري تأويله الاسماع الآذان ، المخطىء والمصيب عندك سواء ، فجزاك الله جزاك ، وسألك عما أحدثت سؤالا حقيقاً .

قال : فنزل عمر مغضباً ، فمشى معه اناس من أصحابه حتى أتى باب أمير المؤمنين «ع» فاستأذن عليه فأذن له ، فدخل فقال :

يا أبا الحسن ما لقيت اليوم من ابنك الحسين، يجهرنا بصوت في مسجد رسول الله ويحرض عليّ الطغام وأهل المدينة.

فقال له الحسن «ع»: على مثل الحسين ابن النبي «ص» يشخب بمن لا حكم له، أو يقول بالطغام على أهل دينه؟ أما والله ما نلت إلا بالطغام، فلعن الله من حرض الطغام.

فقال له أمير المؤمنين «ع»: مهلاً يا أبا محمد فإنك لن تكون قريب الغضب ولا لثيم الحسب، ولا فيك عروق من السودان، اسمع كلامي ولا تعجل بالكلام.

فقال له عمر: يا أبا الحسن إنها ليهما في أنفسهما بما لا يرى بغير الخلافة.

فقال أمير المؤمنين: هما أقرب نسباً برسول الله من أن يهما، أما فارضهما يا ابن الخطاب بحقهما يرض عنك من بعدهما. قال: وما رضاها يا أبا الحسن؟

قال: رضاها الرجعة عن الخطيئة والتقية عن المعصية بالتوبة.

فقال له عمر: أدب يا أبا الحسن ابنك أن لا يتعاطى السلاطين الذين هم الحكماء في الأرض.

فقال له أمير المؤمنين «ع»: أنا أؤدب أهل المعاصي على معاصيهم، ومن أخاف عليه الزلة والهلكة، فأما من والده رسول الله ويخله أديبه فإنه لا ينتقل إلى أدب خير له منه، أما فارضهما يا ابن الخطاب!

قال: فخرج عمر فاستقبله عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف. فقال له عبد الرحمن: يا أبا حفص ما صنعت فقد طالت بكما الحجة؟

فقال له عمر: وهل حجة مع ابن أبي طالب وشبليه؟

فقال له عثمان: يا ابن الخطاب، هم بنو عبد مناف، الأسمون والناس عجاف.

فقال له عمر: ما اعد ما صرت إليه فخراً فخرت به بحمقك، فقبض عثمان على مجامع ثيابه ثم نبذ به ورده، ثم قال له: يا ابن الخطاب، كأنك تنكر ما أقول، فدخل بينهما عبد الرحمن وفرق بينهما وافترق القوم.

إحتجاج الحسين «ع» بذكر مناقب أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام حين أمر معاوية بلعن أمير المؤمنين «ع» وقتل شيعته، وقتل من يروي شيئاً من فضائله

عن سلبم بن قيس قال: قدم معاوية بن أبي سفيان حاجاً في خلافته فاستقبله أهل المدينة، فنظر

فاذا الذين استقبلوه ما فيهم أحد من قريش، فلما نزل قال: ما فعلت الأنصار وما بالها لم تستقبلني؟
ف قيل له: إنهم محتاجون ليس لهم دواب.

فقال معاوية: فأين نواضعهم؟

فقال قيس بن سعد بن عبادته وكان سيد الأنصار وابن سيدها: أفنوها يوم بدر واحد وما بعدهما
من مشاهد رسول الله «ص»، حين ضربوك وأباك على الاسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون، فسكت
معاوية، فقال قيس: أما إن رسول الله «ص» عهد إلينا أنا سنلقى بعده إثرة.

فقال معاوية: فما أمركم به؟ فقال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه.

قال: فاصبروا حتى تلقوه! ثم إن معاوية مر بحلقة من قريش فلما رأوه قاموا غير عبد الله بن عباس
فقال له:

يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك، الالموجودة أني قاتلتكم بصفين، فلا تجد من
ذلك يا ابن عباس! فان ابن عمي عثمان قد قتل مظلوماً!

قال ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوماً. قال: إن عمر قتله كافر.

قال ابن عباس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون.

قال: فذلك أدحض لحجتك.

قال: فإننا قد كتبنا في الآفاق نهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكف لسانك. فقال: يا معاوية
أتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا.

قال: أتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم.

قال: فنقرؤه ولا نسأل عما عني الله به؟ ثم قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال:
العمل به.

قال: فكيف نعمل به ولا نعلم ما عني الله؟ قال: سل عن ذلك من يتأوله غير ما تتأوله أنت وأهل
بيتك.

قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي فاسأل عنه آل أبي سفيان؟؟ يا معاوية أتنهانا أن نعبد الله
بالقرآن بما فيه من حلال وحرام؟ فان لم تسأل الأمة عن ذلك حتى تعلم تهلك وتختلف.

قال: اقرؤا القرآن وتأولوه ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم، وارووا ما سوى ذلك.

قال: فإن الله يقول في القرآن: ﴿يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو
كره الكافرون﴾.

قال: يا ابن عباس أربع على نفسك وكف لسانك، وإن كنت لا بد فاعلا فليكن ذلك سرّاً لا يسمعه أحد علانية.

ثم رجع إلى بيته فبعث إليه بمائة ألف درهم، ونادى منادي معاوية أن قد برئت الذمة عن يروي حديثاً من مناقب علي وفضل أهل بيته، وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة، لكثرة من بها من الشيعة، فاستعمل زياد ابن أبيه وضم إليه العراقيين: الكوفة والبصرة، فجعل يتبع الشيعة وهو بهم عارف، يقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وصلبهم في جذوع النخل، وسمل أعينهم وطردهم وشردهم، حتى نفوا عن العراق فلم يبق بها أحد معروف مشهور فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس أو طريد أو شريد.

وكتب معاوية إلى جميع عماله في جميع الأمصار: أن لا تميزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة، وانظروا قبلكم من شيعة عثمان وعبيد وعبي أهل بيته وأهل ولايته، والذين يروون فضله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم، واكتبوا بمن يروي من مناقبه واسم أبيه وقبيلته، ففعلوا، حتى كثرت الرواية في عثمان، وافتعلوها لما كان يبعث إليهم من الصلوات والخلع والقطايع من العرب والموالي، وكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في الأموال والدنيا، فليس أحد يجيء من مصر من الأمصار فيروي في عثمان منقبة أو فضيلة إلا كتب اسمه واجيز، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وقشاً في كل مصر، فادعوا الناس إلى الرواية في معاوية وفضله وسوابقه، فإن ذلك أحب إلينا، وأقر لأعيننا، وأدحض لحجة أهل البيت وأشد عليهم، فقرأ كل أمير وقاض كتابه على الناس، فأخذ الرواة في فضائل معاوية على المنبر في كل كورة وكل مسجد زوراً، والقوا ذلك إلى معلمي الكتاتيب فعلموا ذلك صبيانهم، كما يعلمونهم القرآن حتى علموه بناتهم ونساءهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

وكتب زياد بن أبيه إليه في حق الحضرميين: إنهم على دين عليّ وعلى رأيه فكتب إليه معاوية: اقتل كل من كان على دين عليّ ورأيه فقتلهم ومثل بهم.

وكتب كتاباً آخر: انظروا من قبلكم من شيعة عليّ واتهمتموه بحبه فاقتلوه وإن لم تقم عليه البيعة فاقتلوه على التهمة والظنة والشبهة، تحت كل حجر، حتى لو كان الرجل تسقط منه كلمة ضربت عنقه، حتى لو كان الرجل يرمى بالزندقة والكفر كان يكرّم ويعظم ولا يتعرض له بمكره، والرجل من الشيعة لا يأمن على نفسه في بلد من البلدان لا سيما الكوفة والبصرة، حتى لو أن أحداً منهم أراد أن يلقي سرّاً إلى من يثق به لآتاه في بيته فيخاف خادمه ومملوكه، فلا يحدثه إلا بعد أن يأخذ عليه الأيمان المغلظة: ليكتنم عليه، ثم لا يزداد الأمر إلا شدة، حتى كثر وظهر أحاديثهم الكاذبة، ونشأ عليه الصبيان يتعلمون ذلك.

وكان أشد الناس في ذلك القراء المراءون المتصنعون الذين يظهرون الخشوع والورع، فكذبوا وانتحلوا الأحاديث وولدوها فيحفظون بذلك عند الولاة والقضاة ويدنون مجالسهم، ويصيون بذلك

الأموال والقطائع والمنازل، حتى ضارت أحاديثهم ورواياتهم عندهم حقاً وصدقاً، فرووها وقبلوها وتعلموها وعلموها، وأحبوا عليها وأبغضوا من ردها أو شك فيها، فاجتمعت على ذلك جماعتهم، وصارت في يد المتسكين والمتدينين منهم الذين لا يحبون الإفتعال إلى مثلها، فقبلوها وهم يرون أنها حق، ولو علموا بطلانها وتيقنوا أنها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها، ولم يبغضوا من خالفها، فصار الحق في ذلك الزمان عندهم باطلاً والباطل عندهم حقاً، والكذب صدقاً والصدق كذباً.

فلما مات الحسن بن علي ازداد البلاء والفتنة، فلم يبق لله ولي الا خائف على نفسه، أو مقتول أو طريد أو شريد، فلما كان قبل موت معاوية بستين حج الحسين بن علي «ع» وعبد الله بن جعفر وعبد الله ابن عباس معه. وقد جمع الحسين بن علي «ع» بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم، من حج منهم ومن لم يحج، ومن الأنصار ممن يعرفونه وأهل بيته، ثم لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله «ص» ومن أبنائهم والتابعين، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم فاجتمع عليه بمضى أكثر من ألف رجل، والحسين «ع» في سرادقه عامتهم التابعون وأبناء الصحابة، فقام الحسين «ع» فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإن الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإنني أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمتموه ووثقتم به فادعوه إلى ما تعلمون، فإنني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

فما ترك الحسين شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله وفسره، ولا شيئاً قاله الرسول في أبيه وأمه وأهل بيته الا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: «اللهم نعم، قد سمعناه وشهدناه» ويقول التابعون: «اللهم قد حدثنا من نصدقته ونأمنه» حتى لم يترك شيئاً إلا قاله ثم قال:

انشدكم بالله الا رجعتم وحدثتم به من تثقون به، ثم نزل وتفرق الناس على ذلك.

إحتجاجه عليه السلام على معاوية توبيخاً له على قتل من قتله من شيعة امير المؤمنين وترحمه عليهم.

عن صالح بن كيسان^(١) قال: لما قتل معاوية حजर بن عدي وأصحابه حج ذلك العام فلقي الحسين بن علي «ع» فقال:

يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشباعه وشيعة أبيك؟

(١) صالح بن كيسان المدني: عنه الشيخ من أصحاب علي بن الحسين عليه السلام ص ٩٣ من رجاله.

فقال «ع»: وما صنعت بهم؟

قال: قتلناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم.

فضحك الحسين «ع» ثم قال: خصمك القوم يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم، ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببيغضنا، واعتراضك بني هاشم بالعيوب، فاذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك، ثم سلها الحق عليها ولها، فإن لم تجدها أعظم عيباً فما أصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترن غير قوسك، ولا ترمين غير غرضك، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب، فانك والله لقد أطعت فينا رجلاً ما قدم إسلامه، ولا حدث نفاقه، ولا نظر لك فانظر لنفسك أو دع- يعني: «عمرو بن العاص».

وقال «ع»: في جواب كتاب كتب إليه معاوية على طريق الإحتجاج:-

أما بعد: فقد بلغني كتابك أنه بلغك عني أمور أن بي عنها غنى، وزعمت أنني راغب فيها، وأنا بغيرها عنك جدير، أما ما رقي إليك عني، فانه رقاءه إليك الملاقون المشاءون بالنمائم، المفرقون بين الجمع، كذب الساعون الواشون ما أردت حربك ولا خلافاً عليك وأيم الله إنني لأخاف الله عز ذكره في ترك ذلك، وما أظن الله تبارك وتعالى براض عني بتركه ولا عاذري بدون الاعتذار إليه فيك وفي أولئك القاسطين الملبين حزب الظالمين، بل أولياء الشيطان الرجيم.

أست قاتل حجر بن عدي أخي كنده وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين، كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون المنكر والبدع، ويؤثرون حكم الكتاب، ولا يخافون في الله لومة لائم، فقتلتهم ظلماً وعدواناً بعدما كنت أعطيهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة. لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا باحنة تجدها في صدرك عليهم.

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فصفرت لونه، ونحلت جسمه، بعد أن أمنت وأعطيته من عهود الله عز وجل وميثاقه ما لو أعطيته العصم ففهمته لنزلت إليك من شعف الجبال^(١)، ثم قتله جرأة على الله عز وجل واستخفافاً بذلك العهد؟

أولست المدعي زياد بن سمية، المولود على فراش عبيد عبد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فتركت سنة رسول الله واتبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على أهل العراق فقطع أيدي المسلمين وأرجلهم وسمل أعينهم. وصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك؟ أولست صاحب الحضرميين الذين كتب إليك فيهم ابن سمية أنهم: على دين علي ورايه، فكتبت إليه اقتل كل من كان على دين علي «ع» ورايه فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي والله وابن علي الذي كان يضرب عليه أباك، وهو أجلسك بمجلسك الذي أنت فيه ولولا ذلك لكان أفضل شرفك وشرف أبيك تحشم الرحلتين اللتين بنا من الله عليكم فوضعها عنكم؟ وقلت فيما تقول: انظر نفسك ولدينك ولأمة محمد «ص»، واتق شق عصا هذه الأمة وأن تردهم في

فتنة . فلا أعرف فتنة أعظم من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسي وولدي وأمة جدي أفضل من جهادك، فإن فعلته فهو قربة إلى الله عز وجل، وإن تركته فاستغفر الله لذنبي وأسأله توفيقي لارشاد أموري .

وقلت فيما تقول: إن انكرك تنكرني، وإن أكدك تكديني، وهل رأيك إلا كيد الصالحين منذ خلقت؟ فكدي ما بدا لك إن شئت فاني أرجو أن لا يضرنك كيدك، وأن لا يكون على أحد أضرار مني على نفسك، على أنك تكيد فتوقظ عدوك، وتوقظ نفسك، كفعلك هؤلاء الذين قتلتهم ومثلت بهم بعد الصلح والإيمان والعهد والميثاق فقتلتهم من غير أن يكونوا قتلوا إلا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا بما به شرفت وعرفت، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا .

ابشر يا معاوية بقصاص، واستعد للحساب، واعلم أن الله عز وجل كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله تبارك وتعالى يناس أخذك بالظنة، وقتلك أولياءه بالتهمة، ونفيك إياهم من دار الهجرة إلى الغربية والوحشة، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام من الغلمان، يشرب الشراب، ويلعب بالكعب، لا أعلمك إلا قد خسرت نفسك وشريت دينك وغششت رعيته، وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل وأخفت التقى الورع الحليم .

قال: فلما قرأ معاوية كتاب الحسين^(ع) قال: لقد كان في نفسه غضب علي ما كنت أشعر به . فقال ابنه يزيد، وعبد بن أبي عمير بن جعفر: أجبه جواباً شديداً تصغر إليه نفسه، وتذكر أباه بأسوا فعله وآثاره .

فقال: كلا أرايتما لو أنني أردت أن أعيب علياً حقاً ما عسيت أن أقول، إن مثلي لا يحسن به أن يعيب بالباطل وما لا يعرف الناس، ومتى عبت رجلاً بما لا يعرف لم يحفل به صاحبه ولم يره شيئاً، وما عسيت أن أعيب حسيناً وما أرى للعيب فيه موضعاً، إلا إنني قد أردت أن أكتب إليه وأتوعده وأهدده وأجهله ثم رأيت أن لا أفعل .

قال: فما كتب إليه بشيء يسوؤه، ولا قطع عنه شيئاً كان يصله به، كان يبعث إليه في كل سنة ألف ألف درهم سوى عروض وهدايا من كل ضرب .

احتجاجه صلوات الله عليه بإمامته على معاوية وغيره وذكر طرف من مفاخراته ومشاجراته التي جرت له مع معاوية وأصحابه .

عن موسى بن عقبة^(١) أنه قال: لقد قيل لمعاوية: إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين^(ع)،

(١) موسى بن عقبة بن أبي عياش المدني تابعي عنه الشيخ «ره» في أصحاب الصادق عليه السلام ص ٣٠٧ .

فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب فإن فيه حصراً أو في لسانه كلاله .

فقال لهم معاوية : قد ظننا ذلك بالحسن ، فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا ، فلم يزالوا به حتى قال للحسين : يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت .

فصعد الحسين (ع) المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي (ص) فسمع رجلاً يقول : من هذا الذي يخطب ؟

فقال الحسين (ع) : نحن حزب الله الغالبون ، وعتره رسول الله (ص) الأقربون ، وأهل بيته الطيبون ، وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله (ص) ثاني كتاب الله تبارك وتعالى ، الذي فيه تفصيل كل شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعول علينا في تفسيره ، لا يبطئنا تأويله ، بل نتبع حقيقته ، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة ، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة . قال الله عز وجل : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول﴾ وقال : ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ .

وأحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم فإنه لكم عدوميين ، فتكونوا كأولياؤه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارك لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم ، فتلقون للسيوف ضرباً وللرماح ورداً وللعمد خطاً وللسهام غرضاً ، ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

قال معاوية : حسبك يا أبا عبد الله قد بلغت .

وعن محمد بن السائب^(١) أنه قال : قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن علي (ع) : لولا فخركم بفاطمة بـم كنتم تفتخرون علينا ؟

فوثب الحسين (ع) وكان (ع) شديد القبضة فقبض على حلقه فعصره ، ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه ، ثم تركه وأقبل الحسين (ع) على جماعة من قريش فقال :

أنشدكم بالله الا صدقتموني إن صدقت ، أتعلمون : أن في الأرض حبيبين كانا أحب إلى رسول الله (ص) مني ومن أخي ؟ أو على ظهر الأرض ابن بنت نبي غيري وغير أخي ؟ قالوا : اللهم لا .

قال : وإني لا أعلم أن في الأرض ملعون ابن ملعون غير هذا وأبيه . طريدي رسول الله ، والله ما بين (جابر بن جابر) أحدهما بباب المشرق والآخر بباب المغرب رجلان ممن ينتحل الاسلام أعدى لله ولرسوله ولأهل بيته منك ومن أبيك إذا كان علامة قولي فيك أنك : إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبك .

قال: فوالله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب فانتفض وسقط رداؤه عن عاتقه.

إحتجاجه عليه السلام على أهل الكوفة بكر بلاء.

عن مصعب بن عبد الله^(١).

لما استكف الناس بالحسين^ع ركب فرسه واستنصت الناس، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: تبا لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم! حين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحشتم علينا ناراً أضرمناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلماً على أوليائكم، وبدأ على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منا إليكم، فهلا لكم الولايات إذ كرهتمونا والسيوف مشيم، والجاش طامن، والرأي لما يستحصف ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الذبا، ونهاقتم إليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفهاً وضلة، فبعداً وسحقاً لطواغيت هذه الأمة! وبقية الأحزاب رنبذة الكتاب، ومطقتي السنن، ومؤاخي المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضيض، وعصاة الامام، وملحقوا العهرة بالنسب، ولبش ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.

أنهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون!! أجل والله، خذل فيكم معروف، نبتت عليه أصولكم، واتزرت عليه عروقكم، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً.

ألا وإن الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلة والذلة وهيئات له ذلك مني! هيئات منا الذلة!! أهي الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طهرت وجدود طابت، أن يؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسيرة على قلعة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر، ثم تمثّل فقال:

فإن نهزم فهزامون قدماً	وإن نهزم فغير مهزميننا
وما إن طبننا جبين ولكن	مناياننا ودولة آخرينا
فلو خلد الملوك إذا خلدنا	ولو بقي الكرام إذا بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا	سيلقى الشامتون كما لقينا

وقيل: إنه لما قتل أصحاب الحسين^ع وأقاربه وبقي فريداً ليس معه إلا ابنه علي زين العابدين^ع، وابن آخر في الرضاع اسمه عبد الله، فتقدم الحسين^ع إلى باب الخيمة فقال:

(١) مصعب بن عبد الله: من آل الزبير بن العوام مجهول الحال ذكره الملقاني في الجزء الثالث من رجاله ص ٢١٩.

ناولوني ذلك الطفل حتى اودعه! فناولوه الصبي، جعل يقبله وهو يقول: يا بني ويل لهؤلاء القوم اذا كان خصمهم محمد (ص).

قيل: فاذا بسهم قد أقبل حتى وقع في لبة الصبي فقتله، فنزل الحسين (ع) عن فرسه وحفر للصبي بجفن سيفه ورمله بدمه ودفنه، ثم وثب قائماً وهو يقول:

كفر القوم وقدماً رغبوا	عن ثواب الله رب الثقلين
قتلوا قدماً علياً وابنه	حسن الخير كريم الطرفين
حنقاً منهم وقالوا أجمعوا	نفتك الآن جميعاً بالحسين
يا لقوم من أناس ردل	جمعوا الجمع لأهل الحرمين
ثم صاروا وتواصوا كلهم	باختيار لرضاء الملحددين
لم يخافوا الله في سفك دمي	لعبيد الله نسل الكافرين
وابن سعد قد رماني عنوة	بجنود كوكسوف الهاطلين
لا شيء كان مني قبل ذا	غير فخري بضياء الفرقدين
بعلي الخير من بعد النبي	والنبي القرشي الوالدين
خيرة الله من الخلق أبي	ثم أمي فأنا ابن الخيرتين
فضة قد خلقت من ذهب	فأنا الفضة وابن الذهبين
من له جد كجدي في الوري	أو كشيخي فأنا ابن القميرين
فاطم الزهراء أمي وأبي	قاسم الكفر ببدر وحنين
عروة الدين علي المرتضى	هادم الجيش مصلي القبلتين
وله في يوم أحد وقعة	شقت الغل بقبض العسكرين
ثم بالأحزاب والفتح معاً	كان فيها حتف أهل القبلتين
في سبيل الله ماذا صنعت	أمة السوء معاً بالعسرتين
عترة البرّ التقي المصطفى	وعلي القوم يوم الجحفلين
عبد الله غلاماً يافعاً	وقريش يعبدون الوثنيين
وقل الأوثان لم يسجد لها	مع قريش لا ولا طرفة عين
طعن الأبطال لما برزوا	يوم بدر وتبوك وحنين

ثم تقدّم الحسين (ع) حتى وقفت قبالة القوم وسيفه مصلت في يده آيساً من نفسه، عازماً على الموت، وهو يقول:

أنا ابن علي السطهر من آل هاشم	كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدي رسول الله أكرم من مشى	ونحن سراج الله في الخلق نزهـر
وناطم أمي من سلالة أحمد	وعمي يدعى ذو الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقاً وفينا الهدى والوحي بالخير تذكر
ونسحن أمان الله للناس كلهم نطول بهذا في الأنام ونجهر
ونسحن حماة الخوض نسقي ولاتنا بكأس رسول الله ما ليس ينكر
وشيعتنا في الحشر أكرم شيعه ومبغضنا يوم القيامة بخسر

إحتجاج فاطمة الصغرى على أهل الكوفة.

عن زيد بن موسى بن جعفر^(١) عن أبيه عن آبائه ع قال:

خطبت فاطمة الصغرى ع بعد أن ردت من كربلاء فقالت:

الحمد لله عدد الرّمل والخصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمد وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد:
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن أولاده ذبحوا بشط الفرات من غير
ذحل ولا ترات.

اللهم إني أعوذ بك أن افتري عليك الكذب، وأن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود
لوصيه علي بن أبي طالب ع، المسلوب حقه المقتول من غير ذنب، كما قتل ولده بالأمس في بيت من
بيوت الله، وبها معشر مسلمة بالسنتهم، تعساً لرؤوسهم أما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتى
قبضته إليك محمود النقية، طيب الضريبة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فيك لومة
لائم، ولا عذل عاذل، هديته يا رب للإسلام صغيراً، وحدث مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك
ولرسولك صلواتك عليه وآله حتى قبضته إليك، زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة
مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته، وهديته إلى طريق مستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفة! يا أهل المكر والغدر والخيلة، إنا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاككم بنا،
فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجته
في الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضلنا بنبيه ص، على كثير من خلقه تفضيلاً،
فكذبتمونا، وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهياً، كأننا أولاد الترك أو كابل، كما قتلتم جدنا
بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم، قرت بذلك عيونكم، وفرحت به قلوبكم
اجترأاً منكم على الله، ومكرراً مكرتم والله خير الماكرين، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من
دمائنا^(٢) ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزايا العظيمة في كتاب من

(١) زيد بن موسى بن جعفر ع وهو لام ولد عقد له محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع أيام
أبي السرايا على الأهواز، ولما دخل البصرة وغلب عليها أحرق دور بني العباس وأحرم النار في نخلهم وجمع أسبايقهم فقبل له: زيد
النار.

قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور.

تباً لكم! فانظروا اللعنة والعذاب، فكان قد حلّ بكم، وتواترت من السماء نقمات فيسحقكم بما كسبتم^(١) وبذيق بعضكم بأس بعض، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين، ويلكم أندرون أية يد طاعتنا منكم، أو أية نفس نزعنا إلى قتالنا، أم بأية رجل مشيتم إلينا، تبغون محاربتنا؟! قست قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم وختم على سمعكم وبصركم، وسؤل لكم الشيطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تباً لكم يا أهل الكوفة! كم ترات لرسول الله ص، قبلكم، وذحوله لديكم ثم غدرتم بأخيه عليّ ابن أبي طالب ع، جدي، وبنيه عترة النبي الطيبين الأخيار واقتخر بذلك مفتخر فقال:

نحن قتلنا علياً وبني عليّ بسيف هندية ورماح
وسينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأبي نطاح

فقلت: بفيك أيها القاتل الكثكث^(٢) ولك الأثلب^(٣) إفتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم، وأذهب عنهم الرجس، فأكظم واقع كما أفعى أبوك، وإنا لكل امرئ ما قدمت يداه، حسدتمونا ويلاً لكم على ما فضلنا الله.

فما ذنبنا إن جاش دهر بحورنا وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا^(٤)

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا: حسبك يا بنت الطيبين! فقد أحرقت قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت أجوافنا، فسكتت عليها وعلى أبيها وجدها السلام.

خطبة زينب بنت علي بن أبي طالب بحضرة أهل الكوفة في ذلك اليوم تقريباً لهم وتأنياً.

عن حذيم بن شريك الأسدي^(٥) قال: لما أتى علي بن الحسين زين العابدين بالنسوة من كربلاء، وكان مريضاً، وإذا نساء أهل الكوفة ينتدبن مشققات الجيوب والرجال معهنّ يكون.

(١) يسحقكم: يستأصلكم.

(٢) الكثكث: دقاق التراب.

(٣) الأثلب: دقاق الحجر.

(٤) الدعامص- جمع دعوصل- وهو دوية صغيرة تكون في مستنقع الماء، والبيت للأعشى.

(٥) حذيم بن شريك الأسدي: عده الشيخ في رجاله ص ٨٨ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

فقال زين العابدين «ع»- بصوت خليل وقد نهكته العلة:- إن هؤلاء سيكون علينا فمن قتلنا غيرهم. فأومت زينب بنت علي بن أبي طالب «ع» إلى الناس بالسكوت.

قال حذيم الأسدي: لم أر والله خفرة قط أنطق منها، كأنها تنطق وتفرغ على لسان علي «ع»، وقد أشارت إلى الناس بأن أنصتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت- بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله «ص»:-

أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل^(١) والغدر والخذل، ألا فلا رفات العبرة^(٢) ولا هدأت الزفرة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزها من بعد قوة أنكاثاً^(٣) تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم^(٤) هل فيكم إلا الصلف^(٥) والعجب، والشف^(٦)، والكذب، وملق الاماء وغمز الأعداء^(٧)، أو كمرعى على دمنة^(٨) أو كفضة على ملحودة^(٩)، ألا بش ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون أخي؟! أجل والله فابكوا فانكم أحرى بالبكاء فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فقد ابليت بعارها، ومنيتم بشنارها^(١٠) ولن ترحضوها أبداً^(١١) وأن ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حريكم، ومعاذ حزبك، ومقر سلمكم، وآسي كلمكم^(١٢)، ومنزع نازلتمكم، والمرجع إليه عند مقاتلتكم، ومدره حججكم^(١٣) ومنار محجتكم، الأساء ما قدمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرعون ليوم يعثكم، فتعساً تعساً ونكساً نكساً! لقد خاب الشعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

أتدرون ويلكم أي كبد لمحمد «ص» فرشم؟! وأي عهد نكثتم؟! وأي كريمة له أبرزتم؟! وأي حرمة له هتكتم؟! وأي دم له سفكتم؟! لقد جثتم شيئاً إذا نكاد السماوت يتفطرن منه وتنشق الأرض

(١) الختل: الخداع.

(٢) رفات: جفت.

(٣) أي: حلت وفسدته بعد ابرام.

(٤) أي: حياة وخديعة.

(٥) الصلف: الذي يمدح بما ليس عنده.

(٦) الشف: البغض بغير حق.

(٧) الغمز: الطعن والعيب.

(٨) الدمنة: المذبة.

(٩) الفضة: الجص والملاحدة القبر.

(١٠) الشنار العار.

(١١) أي: لن تغسلوها.

(١٢) أي: دواء جرحكم.

(١٣) المدرة: زعيم القوم ولسانهم المتكلم عنهم.

وتحر الجبال هذا!

لقد جثتم، بها شوهاء، صلعاء، عنقاء، سوداء، فقماء، خرقاء^(١) كطلاع الأرض، أو ملء السماء،^(٢) أفعجبت أن تخطر السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفنكم المهل، فانه عز وجل لا يحفره البدار^(٣) ولا يخشى عليه فوت النار كلا إن ربك لنا ولهم بالمرصاد، ثم أنشأت تقول عليها السلام:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم
بأهل بيتي وأولادي ونكرمني
ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم
إني لأخشى عليكم أن يحل بكم
ثم ولت عنهم.

قال حذيم: فرأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم في أفواههم، فالتفت إليّ شيخ في جانبي يبكي وقد اخضلت لحية بالبكاء، ويده مرفوعة إلى السماء، وهو يقول: بأبي وأمي كهولهم خير كهول، ونساؤهم خير نساء، وشبابهم خير شباب، ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم، ثم أنشد:

كهولكم خير الكهول ونسلكم
إذا عدّ نسل لا يبور ولا يخزى

فقال عليّ بن الحسين «ع»: يا أمة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة، فهمة غير مفهمة، إن البكاء والحزن لا يردان من قد أباده الدهر، فسكنت. ثم نزل عليه السلام وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه ودخل الفسطاط.

إحتجاج عليّ بن الحسين عليهما السلام على أهل الكوفة حين خرج من الفسطاط وتوبيخه إياهم على غدرهم ونكثهم.

قال حذيم بن شريك الأسدي: خرج زين العابدين «ع» إلى الناس وأومى إليهم أن اسكتوا فسكتوا، وهو قائم، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال:

أيها الناس، من عرفني فقد عرفني! ومن لم يعرفني فأنا عليّ بن الحسين المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ثرات، أنا ابن من انتهك حرمة، وسلب نعيمه وانتهب ماله، وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً، فكفى بذلك فخراً.

(١) الشوهاء: القبيحة والفقهاء إذا كانت ثيابها العليا إلى الخارج فلا تنع على السفلى. والخرقاء: الخمقاء.

(٢) طلاع الأرض: ملؤها.

(٣) يحفره: يدقّه.

أيها الناس، ناشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخذعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة؟ ثم قاتلتموه وخذلتموه فتباً لكم ما قدمتم لأنفسكم وسوءاً لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله «ص»، يقول لكم قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمي.

قال: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء، ويدعو بعضهم بعضاً: هلكتم وما تعلمون.

فقال علي بن الحسين: رحم الله امرءاً قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله، وفي أهل بيته، فإن لنا في رسوله الله أسوة حسنة.

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا ابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لزامك، غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك رحمك الله فإنا حرب لحريك، وسلم لسلمك، لناخذن ترك وترتنا، ممن ظلمك وظلمنا.

فقال علي بن الحسين «ع»: هيهات! أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، تريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم إلى آبائي من قبل كلاً ورب الراقصات إلى منى، فإن الجرح لما يندمل!! قتل أبي بالأمس وأهل بيته معه، فلم ينسني ثكل رسول الله «ص»، وثكل أبي وبني أبي وجدي شق لها زمي ومرارته بين حناجري وحلفي، وغصصه نجري في فراش صدري. ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا.

ثم قال «ع»:  مركز تحقيق كتابي علوم إسلامي

لا غرو أن قتل الحسين وشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفة بالذي أصيب حسين كان ذلك أعظما
قتيل بشط النهر نفسي فداؤه جزاء الذي أرداه نار جهنما

إحتجاجة عليه السلام بالشام على بعض أهلها حين قدم به وبين معه على يزيد لعنه الله.
وعن ديلم بن عمر قال: كنت بالشام حتى أتى بسبايا آل محمد «ص»، فاقيموا على باب المسجد حيث تقام السبايا، وفيهم علي بن الحسين، فأتاهم شيخ من أشياخ أهل الشام فقال:
الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرون الفتنة. فلم يأل عن سبهم وشتهم، فلما انقضى كلامه.

قال له علي بن الحسين «ع»: إني قد أنصت لك حتى فرغت من منطقتك، وأظهرت ما في نفسك من العداوة والبغضاء، فأنصت لي كما أنصت لك. فقال له: هات.

قال علي «ع»: أما قرأت كتاب الله عز وجل؟ قال: نعم.

فقال له «ع»: أما قرأت في الآية: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾. قال: بلى.

فقال «ع»: نحن اولئك فهل تجدد لنا في سورة بني إسرائيل حقاً خاصة دون المسلمين؟ فقال: لا.

فقال: أما قرأت هذه الآية؟ ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾؟ قال: نعم.

قال علي «ع»: فنحن اولئك الذين أمر الله نبيه أن يؤتيهم حقهم.

فقال الشامي: إنكم لأنتم هم؟

فقال علي «ع»: نعم. فهل قرأت هذه الآية: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾؟ فقال له الشامي: بلى.

فقال علي «ع»: فنحن ذو القربى، فهل تجدد لنا في سورة الأحزاب حقاً خاصة دون المسلمين؟

فقال: لا.

قال علي بن الحسين «ع»: أما قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟ قال: فرفع الشامي يده إلى السماء ثم قال:

اللهم إني أتوب إليك! ثلاث مرات، اللهم إني أتوب إليك من عداوة آل محمد، وأبرؤ إليك ممن

قتل أهل بيت محمد، ولقد قرأت القرآن منذ دهر فما شعرت بها قبل اليوم.

مركز تحقيقات مكيه علوم اسلامي

احتجاج زينب بنت علي بن أبي طالب حين رأت يزيد (لع) يضرب ثنابا الحسين عليه السلام

بالمخصرة.

روى شيخ صدوق من مشايخ بني هاشم وغيره من الناس: أنه لما دخل علي بن الحسين «ع»

وحرمه على يزيد، وجيء برأس الحسين «ع» ووضع بين يديه في طست، فجعل يضرب ثناباه بمخصرة

كانت في يده، وهو يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل
ليت أشيائي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ولقالوا يا يزيد لا تشل
فجزيناه ببدر مثلاً	واقمنا مثل بدر فاعتدل
لست من خندف إن لم أتقم	من بني أحمد ما كان فعل

قالوا: فلما رأت زينب ذلك فاهوت الى جيبها فشقتة، ثم نادى بصوت حزين تفرع القلوب، يا

حسيناه! يا حبيب رسول الله! يا ابن مكة ومنى! يا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء! يا ابن محمد

المصطفى.

قال: فأبكت والله كل من كان، ويزيد ساكت، ثم قامت على قدميها، وأشرفت على المجلس، وشرعت في الخطبة، إظهاراً لكمالات محمد ص، وإعلاناً بأننا نصبر لرضاء الله، لا ل خوف ولا دهشة، فقامت إليه زينب بنت علي وأُمها فاطمة بنت رسول الله وقالت:

الحمد لله رب العالمين، وانصلاة على جدي سيد المرسلين، صدق الله سبحانه كذلك يقول: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾^(١).

أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيق علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في أسار، نساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار أن بنا من الله هواناً وعليك منه كرامة وامتناناً، وأن ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك^(٢) تضرب أصدريك فرحاً^(٣) وتنفض مذرويك مرحاً^(٤) حين رأيت الدنيا لك مستوسقة^(٥) والأمور لديك متسقة^(٦) وحين صفا لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا، فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً! أنسيت قول الله عز وجل: ﴿ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾^(٧).

أمن العدل يا ابن الطلقاء! ١٩ تخديرك حرائك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سباياً، قد هتكت ستورهن، وابديت وجوههن، تحداً بهن الأعداء من بلد إلى بلد، وتستشرفهن المناقل^(٨) ويتبرزن لأهل المناهل^(٩) ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشریف والوضيع، والذني والرفيع ليس معهن من رجاهن ولي، ولا من حماهن حمي، عتواً منك على الله^(١٠) وجحوداً لرسول الله، ودفعاً لما جاء به من عند الله، ولا غرو منك ولا عجب من فعلك، وأن ترنجي مراقبة من لفظ قوة أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء، ونصب الحرب لسيد الأنبياء، وجمع الأحزاب، وشهر الحراب، وهز السيوف في وجه رسول الله ص، أشد العرب جحوداً، وأنكرهم له رسولا، وأظهرهم له عدواناً، وأعتاهم على الرب كفرة وطغياناً، ألا إنها نتيجة خلال الكفر، وصب يخرج في الصدر لقتل يوم بدر^(١١)، فلا يستبطن في بغضنا أهل البيت من كان نظره إلينا شنفاً وإحنا وأضعافاً، يظهر كفره برسول الله، ويفصح ذلك بلسانه، وهو يقول: - فرحاً بقتل ولده وسبي ذريته، غير متحوب^(١٢) ولا مستعظم يهتف بأشيائهم.

(١) الروم ١٠

(٢) نظر في عطفه. اخذه العجب.

(٣) الأصدان: عرقان تحت الصدغين

(٤) المذروان: طرفا الإيتين.

(٥) مستوسقة: مجتمعة.

(٦) متسقة: مستوية.

(٧) آل عمران / ١٧٨.

(٨) تستشرف: تنظر.

(٩) المناهل: مواضع شرب الماء في الطريق.

(١٠) عتواً: عناداً.

(١١) تخرج من الماء: صبه في حلقه فصيروه بصوت.

(١٢) متحوب: متأنم.

لأهلوا واستهلوا فرحاً ولفالوا يا يزيد لا تشل

منحنيًا على ثنانيا أبي عبد الله - وكان مقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ينكتها بمخصرته ، قد التمع السرور بوجهه ، لعمرى لقد نكأت القرحة^(١) واستأصلت الشأفة ، بإراقتك دم سيد شباب أهل الجنة ، وابن يعسوب دين العرب ، وشمس آل عبد المطلب ، وهتفت بأشياخك ، وتقربت بدمه الى الكفرة من اسلافك ، ثم صرخت بندائك ، ولعمرى لقد ناديتهم لو شهدوك ! ووشيكاً تشهدهم ولن يشهدوك ، ولتود يميناك كما زعمت شلت بك عن مرفقها وجذت ، وأحييت امك لم تحملك واياك لم تلد ، أو حين تصير الى سخط الله ومخاصمك رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم خذ بحقنا ، وانتقم من ظالمنا ، واحلل غضبك على من سفك دماءنا ونفض ذمارنا ، وقتل حماتنا ، وهتك عنا سدولنا .

وفعلت فعلتك التي فعلت ، وما فريت إلا جلدك ، وما جزرت إلا لحمك ، وستردي على رسول الله بما تحملت من دم ذريته ، وانتهكت من حرمة ، وسفكت من دماء عترته ولحمته ، حيث يجمع به شملهم ، ويلم به شعثهم ، ويتقم من ظالمهم ، ويأخذ لهم بحقهم من أعدائهم ، فلا يستفزك الفرح بقتلهم ، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، وحسبك بالله ولياً وحاكماً ورسول الله خصماً ، وبجبرائيل ظهيراً .

وسيعلم من بؤاك ومكنك من رقاب المسلمين أن تشل للظالمين بدلاً . وأيكم شر مكاناً وأضل سبيلاً ، وما استصغاري قدرك ، ولا استعظامي تقريعك^(٢) لوهاً لا تنتجاع الخطاب فيك^(٣) بعد أن تركت عيون المسلمين به عبرى ، وصدرهم عند ذكره حرى ، فتلك قلوب قاسية ، ونفوس طاغية وأجسام محشوة بسخط الله ولعنة الرسول ، قد عشت فيها الشيطان وفرخ ، ومن هناك مثلك ما درج .

فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء ، وأسباط الأنبياء ، وسليل الأوصياء ، بأيدي الطلقاء الخبيثة . ونسل العهرة الفجرة ، تنطف أكفهم من دماننا^(٤) وتحلب أفواههم من لحومنا ،^(٥) تلك الجثث الزاكية على الجيوب الضاحية ، تتناها العواسل ،^(٦) وتعفرها أمهات الفواعل ،^(٧) فلئن اتخذتنا مغنياً لتجد بنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلا ما قدمت يدك ، وما الله بظلام للعبيد .

فالى الله المشتكى والمعول ، وإليه الملجأ والمؤمل ، ثم كد كيدك ، واجهد جهدك فوالله الذي شرفنا بالوحي والكتاب ، والنبوة والانتخاب ، لا تدرك أمدنا ، ولا تبلغ غايتنا ، ولا تمحو ذكرنا ، ولا يرحض عنك

(١) نكأت : قسرت قبل أن تبرأ .

(٢) التقريع : التعنيف .

(٣) الانتجاع : الانتفاع .

(٤) تنطف : أي تقطر .

(٥) تحلب : تسيل .

(٦) تتناها العواسل : تأتي مرة بعد أخرى . والعواسل : الرياح المضطربة .

(٧) تعفرها : تخرعها في التراب والفواعل : أولاد الضباع .

عارنا، وهل رأيك الا فند، وأيامك الا عدد وجعلك الا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعن الله الظالم العادي.

والحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة، وختم لأصفيائه بالشهادة، ببلوغ الإرادة، نقلهم إلى الرحمة والرفقة، والرضوان والمغفرة، ولم يشق بهم غيرك، ولا ابتلى بهم سواك، ونسأله أن يكمل لهم الأجر، ويجزل لهم الثواب والذخر ونسأله حسن الخلافة، وجهيل الإنابة، إنه رحيم ودود.
فقال يزيد مجيباً لها:

يا صيحة محمد من صوايح ما أهون الموت على النوائح

ثم أمر بزدهم. وقيل: إن فاطمة بنت الحسين كانت وضيئة الوجه، وكانت جالسة بين النساء، فقام إلى يزيد رجل من أهل الشام أحمر فقال:

يا امير المؤمنين هب لي هذه الجارية! يعني: فاطمة بنت الحسين، فأخذت بثياب عمته زينب بنت علي بن أبي طالب «ع» فقالت: أوتم وأستخدم!؟

فقالت زينب للشامي: كذبت ولؤمت، والله ما ذاك لك ولا له، فغضب يزيد ثم قال: إن ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت. مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

قالت زينب: كلا، والله ما جعل الله ذلك لك، إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا.

فقال: يزيد: إنما خرج من الدين أبوك، وأخوك.

قالت زينب: بدين الله، ودين أبي، ودين أخي، اهتديت أنت إن كنت مسلماً.

قال يزيد: كذبت يا عدوة الله.

فقالت زينب: أنت أمير تشتم ظلماً، وتقهّر بسلطانك.

فكانه استحي فسكت فعاد الشامي فقال: يا امير المؤمنين هب لي هذه الجارية. فقال يزيد: اعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً.

احتجاج علي بن الحسين زين العابدين على يزيد بن معاوية لما أدخل عليه

روت ثقة الرواة وعدوهم، أنه لما أدخل علي بن الحسين زين العابدين «ع» في جملة من حمل إلى الشام سبائاً من أولاد الحسين بن علي «ع» وأهاليه على يزيد قال له:

يا علي، الحمد لله الذي قتل أباك!

قال علي (ع): قتل أبي الناس.

قال يزيد: الحمد لله الذي قتله فكفانيه!

قال علي (ع): على من قتل أبي لعنة الله، افتراني لعنت الله عز وجل؟

قال يزيد: يا علي إصعد المنبر فأعلم الناس حال الفتنة، وما رزق الله أمير المؤمنين من الظفر!

فقال علي بن الحسين: ما أعرفني بما تريد. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على

رسول الله (ص) ثم قال:

أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفاء، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن من لا يخفى، أنا ابن من علا فاستعلى فجاز سدره المنتهى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى.

فضج أهل الشام بالبكاء حتى خشي يزيد أن يرحل من مقعده، فقال للمؤذن: أذن، فلما قال المؤذن: «الله أكبر، الله أكبر» جلس علي بن الحسين على المنبر. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. بكى علي بن الحسين (ع) ثم التفت إلى يزيد فقال: يا يزيد هذا أبي أم أبوك؟

قال: بل أبوك، فانزل، فنزل (ع) فأخذ بناحية باب المسجد، فلقيه مكحول صاحب رسول الله (ص) فقال: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟

قال: أمسينا بينكم مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم.

فلما انصرف يزيد إلى منزله، دعا بعلي بن الحسين (ع) فقال: يا علي أتصارع ابني خالداً؟

قال (ع): وما تصنع بمصارعتي إياه، اعطني سكيناً واعطه سكيناً فليقتل أقوانا أضعفنا، فضمه يزيد إلى صدره، ثم قال:

لا تلد الحية إلا الحية، أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب (ع).

ثم قال له علي بن الحسين (ع): يا يزيد بلغني أنك تريد قتلي، فإن كنت لا بد قاتلي، فوجه مع هؤلاء النسوة من يؤدين إلى حرم رسول الله (ص).

فقال له يزيد لعنه الله: لا يؤدين غيرك، لعن الله ابن مرجانة، فوالله ما أمرته بقتل أبيك، ولو كنت متولياً لقتاله ما قتلته، ثم أحسن جائزته وحمله والنساء إلى المدينة.

إحتجاجه «ع» في أشياء شتى من علوم الدين وذكر طرف من مواعظه البليغة .

جاء رجل من أهل البصرة إلى علي بن الحسين «ع» فقال :

يا علي بن الحسين إن جدك علي بن أبي طالب قتل المؤمنين، فهملت عيننا علي بن الحسين دموعاً حتى امتلأت كفه منها، ثم ضرب بها على الخصى، ثم قال :

يا أبا أهل البصرة لا والله ما قتل علي مؤمناً، ولا قتل مسلماً، وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكنتموا الكفر وأظهروا الإسلام، فلما وجدوا على الكفر أعواناً أظهروه، وقد علمت صاحبة الجذب والمستحفظون من آل محمد «ص» أن أصحاب الجمل وأصحاب صفين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النبي الأمي وقد خاب من افترى .

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا علي بن الحسين إن جدك كان يقول: «إخواننا بغوا علينا» .

فقال علي بن الحسين «ع»: أما تقرأ كتاب الله ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ فهم مثلهم، أنجى الله عز وجل هوداً والذين معه، وأهلك عاداً بالريح العقيم .

وبالاسناد المقدم ذكره: أن علي بن الحسين «ع» كان يذكر حال من مسخهم الله قرودة من بني إسرائيل ويحكى قصتهم، فلما بلغ آخرها قال: إن الله تعالى مسخ أولئك القوم لاصطيادهم السمك، فكيف ترى عند الله عز وجل يكون حال من قتل أولاد رسول الله «ص» وهتك حريمه؟! إن الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدنيا فإن المعد لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ .

ف قيل له: يا ابن رسول الله فإننا قد سمعنا منك هذا الحديث، فقال لنا بعض النصاب: فإن كان قتل الحسين باطلاً فهو أعظم عند الله من صيد السمك في السبت أفما كان الله غضب على قاتليه كما غضب على صيادي السمك؟

قال علي بن الحسين «ع»: قل هؤلاء النصاب فإن كان إبليس معاصيه أعظم من معاصي من كفر باغوائه فأهلك الله من شاء منهم . كقوم: نوح وفرعون، ولم يهلك إبليس، وهو أولى بالهلاك، فما باله أهلك هؤلاء الذين قصروا عن إبليس في عمل الموبقات، وأمهل إبليس مع إيثاره لكشف المحرمات، أما كان ربنا عز وجل حكماً تدبيره حكمة فيمن أهلك وفيمن استبقى؟ فكذلك هؤلاء الصائدون في السبت، وهؤلاء القاتلون للحسين، يفعل في الفريقين ما يعلم أنه أولى بالصواب والحكمة، لا يسأل عما يفعل وعباده يسألون .

وقال الباقر «ع»: فلما حدث علي بن الحسين «ع» بهذا الحديث قال له بعض من في مجلسه: يا ابن رسول الله كيف يعاقب الله ويوبخ هؤلاء الأخلاف على قبائح أتاها أسلافهم- وهو يقول: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾؟

فقال زين العابدين «ع»: إن القرآن نزل بلغة العرب فهو يخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم، يقول

الرجل التميمي - قد أغار قومه على بلد وقتلوا من فيه - : أغرتم على بلد كذا وفعلتم كذا، ويقول العربي : نحن فعلنا ببني فلان، ونحن سبينا آل فلان، ونحن خربنا بلد كذا. لا يريد أنهم باثروا ذلك، ولكن يريد هؤلاء بالعدل وأولئك بالإفتخار : أن قومهم فعلوا كذا، وقول الله عز وجل في هذه الآيات إنما هو توبيخ لأسلافهم، وتوبيخ العدل على هؤلاء الموجودين، لأن ذلك هو اللّغة التي نزل بها القرآن، والآن هؤلاء الأخلاف أيضاً راضون بما فعل أسلافهم، مصوبون لهم، فجاز أن يقال : أنتم فعلتم أي : إذ رضيتم قبيح فعلهم.

وعن أبي حمزة الثمالي^(١) قال : دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على علي بن الحسين (ع) فقال له : جعلني الله فداك ! أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمين﴾ . قال له : ما يقول الناس فيها قبلكم؟ قال : يقولون : إنها مكة.

فقال : وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه عكة . قال : فما هو؟

قال : إنما عني الرجال . قال : وأين ذلك في كتاب الله؟

فقال : أو ما تسمع إلى قوله عز وجل : ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله﴾ وقال : ﴿وتلك القرى أهلكناهم﴾ وقال : ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾ أفسأل القرية أو الرجال أو العير؟

قال : وتلا عليه آيات في هذا المعنى . قال : جعلت فداك ! فمن هم؟

قال : نحن هم . فقال : أو ما تسمع إلى قوله : ﴿سيروا فيها ليالي وأياماً آمين﴾؟

قال : آمين من الزيف .

وروي : أن زين العابدين (ع) مر بالحسن البصري، وهو يعظ الناس بمبنى فوقف (ع) عليه ثم قال : أمسك أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم، أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله إذا نزل بك غدا؟ قال : لا .

(١) قال الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب ج ٢ ص ١١٨ :

«الثمالي أبو حمزة ثابت بن دينار، الثقة الجليل، صاحب الدعاء المعروف في أسفار شهر رمضان، كان من زهاد أهل الكوفة ومشايخها وكان عربياً أزدياً، روي عن الفضل بن شاذان قال : سمعت الثقة يقول : سمعت الرضا عليه السلام يقول : أبو حمزة الثمالي في زمانه، كسلمان الفارسي في زمانه، وذلك أنه خدم أربعة منا : علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وبرهه من عصر موسى بن جعفر» .

وعنه الشيخ في أصحاب علي بن الحسين ص ٨٤ من رجاله فقال : «ثابت بن أبي صفية دينار الثمالي الأزدي، يكنى أبا حمزة الكوفي، مات سنة خمسين ومائة، وذكره في أصحاب الباقر عليه السلام ص ١١٠ وص ١٦٠ في أصحاب الصادق (ع) وقال النجاشي ص ٨٩ لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله وأبا الحسن عليهم السلام وروى عنهم وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمدتهم في الرواية والحديث» (قال) : وروى عنه العامة ومات سنة خمسين ومائة له كتاب تفسير القرآن .

قال: أفتحدث نفسك بالنحول والانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها؟

قال: فأطرق ملياً ثم قال: إني أقول ذلك بلا حقيقة.

قال: أفترجو نبياً بعد محمد ص؟ يكون لك معه سابقة؟ قال: لا.

قال: أفترجو داراً غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها؟ قال: لا.

قال: أفرأيت أحداً به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا؟ إنك على حال لا ترضاها ولا تحدث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة، ولا ترجو نبياً بعد محمد، ولا داراً غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، وأنت تعظ الناس.

قال: فلما ولي وع قال الحسن البصري: من هذا؟ قالوا: علي بن الحسين.

قال: أهل بيت علم فما رثي الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس.

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين ع يحدث رجلاً من قريش قال:

لما تاب الله على آدم واقع حواء ولم يكن غشياً منذ خلق وخلقت الا في الأرض، وذلك بعدما تاب الله عليه، قال: وكان آدم يعظم البيت وما حوله من حرمة البيت، فكان إذا أراد أن يغشى حواء خرج من الحرم وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشياً في الحل، ثم يغتسلان إعظاماً منه للحرم. ثم يرجع إلى فناء البيت.

قال فولد لآدم من حواء عشرون ذكراً وعشرون أنثى، فولد له في كل بطن ذكراً وأنثى، فأول بطن ولدت حواء: «هابيل» ومه جارية يقال لها: «إقليا» قال: وولدت في البطن الثاني: «قابيل» ومعه جارية يقال لها «لوزا» وكانت لوزا أجمل بنات آدم.

وقال: فلما أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال: أريد أن انكحك يا هابيل لوزا، وانكحك يا قابيل إقليا.

قال قابيل: ما أرضى بهذا أنتكحني اخت هابيل القبيحة، وتكح هابيل اختي الجميلة.

قال: فأنا أقرع بينكما، فان خرج سهمك يا قابيل على لوزا، وخرج سهمك يا هابيل على إقليا، زوجت كل واحد منكما التي خرج سهمه عليه.

قال: فرضيا بذلك، فاقترعا.

قال: فخرج سهم هابيل على لوزا اخت قابيل، وخرج سهم قابيل على إقليا اخت هابيل، قال: فزوجهما على ما خرج لهما من عند الله.

قال: ثم حرم الله نكاح الأخوات بعد ذلك.

قال: فقال له القرشي: فأولدهما؟ قال: نعم فقال القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم!

قال: فقال علي بن الحسين: إن المجوس إنما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله.

ثم قال له علي بن الحسين: لا تنكر هذا، إنما هي الشرايع جرت ليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها له، فكان ذلك شريعة من شرايعهم، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك.

لقي عباد البصري علي بن الحسين (ع) في طريق مكة فقال له:

يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولينه، وإن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ إلى قوله: وبشر المؤمنين.

فقال علي بن الحسين: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج.

وسئل (ع) عن النبيذ فقال: شربه قوم وحرمة قوم صالحون، فكان شهادة الذين دفعوا بشهادتهم شهواتهم أولى أن تقبل من الذين جروا بشهادتهم شهواتهم.

وعن عبد الله بن سنان (١) عن أبي عبد الله (ع) قال: قال رجل لعلي بن الحسين (ع): إن فلاناً ينسبك إلى أنك ضال مبتدع!

فقال له علي بن الحسين (ع): ما رعبت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أدبت حق حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه، إن الموت يعمنا، والبعث محشرنا، والقيامة موعدا، والله يحكم بيننا، إياك والغية! فانها أدام كلاب النار، وأعلم أن من أكثر عيوب الناس شهد عليه الاكثار أنه إنما يطلبها بقدر ما فيه.

وسئل (ع) عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال (ع): لكل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات، فالكلام أفضل من السكوت.

قيل: وكيف ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما يعيهم بالكلام، ولا استحققت الجنة بالسكوت، ولا استوجب ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام وما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك تصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت.

(١) قال العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٠٤: «عبد الله بن سنان - بالسين المهملة والتون قبل الألف وبعدها ابن طريف مولى بني هاشم، ويقال مولى بني أبي طالب، ويقال: مولى بني العباس. كان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشد، وكان كوفياً ثقة من أصحابنا، جليلاً لا يطعن عليه في شيء». روى عن الصادق (ع) وقيل روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام ولم يثبت قال فيه الصادق (ع): أما إنه يزيد على السن خيراً، رواه الكشي في حديث مرسل».

روي عن أبي جعفر الباقر ع قال: لما قتل الحسين بن علي ع أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين ع فخلاً به ثم قال:

يا ابن أخي قد علمت أن رسول الله كان جعل الوصية والامامة من بعده لعلي بن أبي طالب ع ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين، وقد قتل أبوك رضي الله عنه وصلى عليه ولم يوص، وأنا عمك وصنو أبيك، وأنا في سني وقدمتي أحق بها منك في حدائقك، فلا تنازعني الوصية والامامة ولا تخالفني.

قال له علي بن الحسين ع: إني أعظمك ما ليس لك بحق، إني أعظمك أن تكون من الجاهلين، يا عم إن أبي صلوات الله عليه أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله ص عندي، فلا تعرض لهذا فاني أخاف عليك بنقص العمر، وتشتت الحال وإن الله تبارك وتعالى أبي إلا أن يجعل الوصية والامامة في عقب الحسين، فان أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نحتكم إليه ونسأله عن ذلك.

قال الباقر ع: وكان الكلام بينهما وهما يمشدان بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود فقال علي بن الحسين ع لمحمد:

ابتدي فابتهل إلى الله واسأله أن ينطق لك الحجر ثم سله.

فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبه. فقال علي بن الحسين ع: أما إنك يا عم لو كنت وصياً وإماماً لأجابك!

فقال له محمد: فادع أنت يا ابن أخي! فدعا الله علي بن الحسين ع بما أراد ثم قال: وأسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين، لما أخبرتنا بلسان عربي مبين: من الوصي والامام بعد الحسين بن علي! فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه ثم أنطقه الله بلسان عربي مبين فقال:

اللهم إن الوصية والامامة بعد الحسين بن علي بن أبي طالب إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وابن فاطمة بنت رسول الله ص.

فانصرف محمد وهو يتولى علي بن الحسين ع.

وعن ثابت البناني^(١) قال: كنت حاجباً وجماعة عباد البصرة مثل: أيوب السجستاني وصالح المروني وعتبة الغلام وحبيب الفارسي ومالك بن دينار، فلما أن دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً، وقد اشتد بالناس العطش لقلة الغيث ففرع إلينا أهل مكة والحجاج يسألوننا أن نستسقي لهم، فأتينا الكعبة وطفنا

(١) ثابت البناني: قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ٢٩ وثابت البناني يكنى أبا فضالة، من أهل بدر من أصحاب أمير المؤمنين ع قتل بصفين. وفي أصحاب علي من رجال الشيخ ص ٣٦: ثابت الأنصاري البناني يكنى أبا فضالة من أهل بدر قتل معه عليه السلام بصفين. وعليه فالراوي غيره ولعل البناني هنا تصحيف الثمالي، وهو ثابت بن دينار المكنى بأبي حمزة.

بها ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها فمئنا الاجابة . فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل وقد أكرهته أحزانه ، وأقلقتة أشجانه ، فطاف بالكعبة أشراطاً ثم أقبل علينا فقال :

يا مالك بن دينار! ويا ثابت البناني! ويا أيوب السجستاني ويا صالح المروي ويا عتبة الغلام! ويا حبيب الفارسي! ويا سعد! ويا عمر! ويا صالح الأعمى! ويا زابعة ويا سعدانة! ويا جعفر بن سليمان! فقلنا: لبيك وسعديك يا فتى!

فقال: أما فيكم أحد يحبه الرحمن؟ فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الاجابة .

فقال: ابعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه ، ثم أتى الكعبة فخر ساجداً فسمعتة يقول في سجوده: «سيدي بحبك لي الا سقيتهم الغيث» .

قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب .

فقلت: يا فتى من أين علمت أنه يحبك؟ قال: لو لم يحبني لم يسترني فلما استراني علمت أنه يحبني ، فسألته بحبه لي فأجابني ، ثم ولى عنا وأشأ يقول:

من عرف الرب فلم تغنه معرفة الرب فذاك الشقي
ما ضر في الطاعة ما ناله في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقى والعزى كل العز للمتقى

فقلت يا أهل مكة من هذا الفتى؟

قالوا: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين (ع) قال:

نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وينشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض ولولا ما في الأرض منا لساخت الأرض بأهلها.

ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله، ولولا ذلك لم يعبد الله .

وهن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي^(١) قال:

(١) في الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ج ١ ص ٦٠ قال: «قال الفضل بن شاذان ولم يكن في زمن علي بن الحسين (ع) في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير، مطعم، يحيى بن أم الطويل، أبو خالد الكابلي واسمه وردان ولقبه كنكره ثم قال: وفي خبر الحواريين أنه حوارى علي بن الحسين عليه السلام وقد شاهد كثيراً من دلائل الأئمة عليهم السلام وباتي في الطائفي رواية تتعلق به، ويظهر من رسالة أبي غالب الزراري أن آل أمين وهم أكبر بيت في الكوفة من الشيعة أن أول من عرف منهم عبد الملك عرفة من صالح بن ميثم ثم عرفة حمران من أبي خالد الكابلي .

دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين ع فقلت له :

يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم ومودتهم ، وأوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول الله ص ؟

فقال لي : يا أبا كنكر ! إن أولي الأمر الذين جعلهم الله أئمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ثم انتهى الأمر إلينا ، ثم سكت .

فقلت له : يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين ع أنه قال : « لا تخلو الأرض من حجة الله على عباده » فمن الحجة والإمام بعدك ؟

قال : إني (محمد) واسمه في التوراة (باقر) يقر العلم بقرأ ، هو الحجة والامام بعدي ، ومن بعد محمد ابنه (جعفر) اسمه عند أهل السماء (الصادق) .

فقلت له : يا سيدي فكيف صار اسمه : الصادق ، وكلكم صادقون ؟

فقال حدثني أبي عن أبيه : أن رسول الله قال : « إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فسموه الصادق ، فإن الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدعي الامامة اجترأ على الله ، وكذباً عليه ، فهو عند الله (جعفر الكذاب) المفترى على الله ، المدعي لما ليس له بأهل ، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه ، ذلك الذي يكشف سر الله عنه غيبة ولي الله » .

ثم بكى علي بن الحسين بكاءً شديداً ، ثم قال :

كأنني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله ، والمغيب في حفظ الله ، والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته ، وحرصاً على قتله إن ظفر به ، طمعاً في ميراث أبيه حتى يأخذ بغير حقه .

قال أبو خالد : فقلت له : يا ابن رسول الله وإن ذلك لكائن ؟

فقال : إي وربي إنه المكتوب عندنا في الصحيفة : التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله ص .

قال أبو خالد : فقلت : يا ابن رسول الله ثم يكون ماذا ؟

قال : ثم تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده يا أبا خالد ! إن أهل زمان غيبته القائلين بامامته والمنتظرين لظهوره ، أفضل أهل كل زمان ، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف ، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً ، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهرّاً . وقال ع : « إنتظار الفرج من أعظم الفرج » .

وبالإسناد المتقدم ذكره عن علي بن الحسين (ع) في تفسير قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ الآية ولكم يا أمة محمد في القصاص حياة لأن من هم بالقتل فعرف أنه يقتص منه فكف لذلك عن القتل، كان حياة للذي هم بقتله، وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس، إذا علموا أن القصاص واجب لا يجسرون على القتل مخافة القصاص، يا أولي الألباب: أولي العقول لعلمكم تتقون.

ثم قال (ع): عباد الله هذا قصاص قتلکم لمن تقتلونه في الدنيا، وتفتنون روحه، أفلا أنبئکم بأعظم من هذا القتل، وما يوحيه الله على قاتله مما هو أعظم من هذا القصاص؟ قالوا: بلى يا ابن رسول الله.

قال: أعظم من هذا القتل أن يقتله قتلا لا يجبر ولا يحيا بعده أبداً. قالوا: ما هو؟

قال: أن يضله عن نبوة محمد، وعن ولاية علي بن أبي طالب، ويسلك به غير سبيل الله، ويغير به باتباع طريق أعداء علي والقول بامامتهم، ودفع علي عن حقه وجحد فضله، وأن لا يبالي باعطائه واجب تعظيمه، فهذا هو القتل الذي هو تخليد المقتول في نار جهنم خالداً مخلداً أبداً، فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنم.

وقال أبو محمد الحسن العسكري صلوات الله عليه: إن رجلاً جاء إلى علي بن الحسين برجل يزعم أنه قاتل أبيه، فاعترف فأوجب عليه القصاص، وسأله أن يعفو عنه ليعظم الله ثوابه، فكان نفسه لم تطب بذلك فقال علي بن الحسين للمدعي الدم الذي هو الولي المستحق للقصاص: إن كنت تذكر لهذا الرجل عليك فضلاً فهب له هذه الجنابة، واغفر له هذا الذنب.

قال: يا ابن رسول الله له علي حق، ولكن لم يبلغ به أن أعفو له عن قتل والدي. قال: فتريد ماذا؟

قال: أريد القود، فإن أراد لحقه، علي أن اصالحه على الدية صالحته وعفوت عنه.

قال: علي بن الحسين (ع) فما حقه عليك؟

قال: يا ابن رسول الله لقني توحيد الله، ونبوة رسول الله (ص)، وإمامة علي والأئمة عليهم السلام.

فقال علي بن الحسين: فهذا لا يفي بدم أبيك؟ بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض كلهم من الأولين والآخرين سوى الأنبياء والأئمة، إن قتلوا فانه لا يفي بدمائهم شيء. تمام الخبر.

وبالإسناد المتقدم ذكره أن محمد بن علي الباقر (ع) قال: دخل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري^(١)

(١) قال الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب ج ٢ ص ٢٧٠ «الزهري بضم الزاي وسكون الهاء أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحرث بن شهاب بن زهرة بن كلاب الفقيه المدني التابعي المعروف وقد ذكره علماء الجمهور وأثنوا عليه ثناءً»

على علي بن الحسين «ع»، وهو كتيب حزين فقال له زين العابدين «ع»: ما بالك مغموماً؟

قال: يا ابن رسول الله غموم وهموم تتوالى عليّ لما امتحنت به من جهة حساد نعلي، والطامعين فيّ، ومن أرجو ومن احسنت إليه فيخلف ظني.

فقال له علي بن الحسين «ع»: إحفظ عليك لسانك تملك به إخوانك.

قال الزهري: يا ابن رسول الله إني احسن إليهم بما يبدر من كلامي.

قال علي بن الحسين «ع»: هيهات هيهات إياك أن تعجب من نفسك بذلك وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره. وإن كان عندك اعتذاره، فليس كل من تسمعه شراً يمكنك أن توسعه عذراً.

ثم قال: يا زهري من لم يكن عقله من أكمل ما فيه، كان هلاكه من أيسر ما فيه.

ثم قال: يا زهري أما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك: فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك، وتجعل تربك منهم بمنزلة أخيك. فأني هؤلاء تحب أن تظلم، وأني هؤلاء تحب أن تدعو عليه، وأني هؤلاء تحب أن تهتك ستره، وإن عرض لك إبليس لعنه الله بأن لك فضلاً على أحد من أهل القبلة، فانظر إن كان أكبر منك فقل: قد سبقني بالآمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإن كان أصغر منك فقل: قد سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير مني وإن كان تربك فقل: أنا على يقين من ذنبي وفي شك من أمره فعالي أدع يقيني لشكي، وإن رأيت المسلمين يعظمونك ويوقرونك ويبجلونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإن رأيت منهم جفاء وانقباضاً فقل: هذا لذنوب أحدثه، فإني إذا فعلت ذلك سهل الله عليك عيشك، وكثر أصدقاؤك، وفرحت بما يكون من برهم ولم تأسف على ما يكون من جفائهم.

واعلم أن أكرم الناس على الناس من كان خيره عليهم فايضاً، وكان عنهم مستغنياً متعافياً، وأكرم الناس بعده عليهم من كان مستغنياً، وإن كان إليهم محتاجاً فالأهل الدنيا يتعقبون الأموال، فمن لم يزارهم فيها يتبقونه كرم عليهم، ومن لم يزارهم فيها ومكنهم من بعضها كان أعز وأكرم.

وبالاسناد المقدم ذكره عن الرضا «ع» أنه قال: قال علي بن الحسين: إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقته، وتخاصع في حركاته فرويداً لا يغرّنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانتة، وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره فان تمكن من حرام اقتحمه، وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام، فرويداً لا يغرّنكم! فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبوع المال الحرام وإن كثّر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة، فيأتي منها محرماً، فاذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغرّنكم، حتى تنظروا ما عقدة عقله، فما أكثر من ترك

==بليغاً، قيل: إنه قد حفظ علم العلماء المبيعة، ولقي عشرة من الصحابة، روى عنه جماعة من أئمة علم الحديث، ولما علموا نافذ اختلاف كلماتهم في مدحه وقدره وقد ذكرنا ما يتعلق به في سفينه البحار.

ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسد بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فاذا وجدتم عقله متيناً، فرويداً لا يغركم! تنظروا أمع هواه يكون على عقله، أم يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبته للرياسات الباطلة وزهده فيها؟ فان في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرياسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة. فيترك ذلك أجمع طلباً للرياسة، حتى إذا قيل له: اتق الله، أخذته العزة بالإثم، فحسبه جهنم ولبس المهادر، فهو يخبط خبط عشواء، يوقده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له الرياسة التي قد شقي من أجلها، فاولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً مهيناً.

ولكن الرجل كل الرجل، نعم الرجل، هو: الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضى الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفذ، وأن كثير ما يلحقه من سرائها إن اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل! فيه فتمسكوا وبسته فاقصدوا، وإلى ربكم فتوسلوا! فانه لا ترد له دعوة ولا يخبى له طلبه.

مركز تحقيق تراثنا في علوم الإسلام

احتجاج أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام في شيء مما يتعلق بالأصول والفروع.

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر (ع) في قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾ قال: من لم يدله خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، ودوران الفلك بالشمس والقمر، والآيات العجيبات! على أن وراء ذلك أمر هو أعظم منه، فهو في الآخرة أعمى، قال: فهو عالم يعاين أعمى وأضل سبيلاً.

سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر (ع) قال: أخبرني عن الله عز وجل متى كان؟

قال: متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟؟! سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

عن عبد الله بن سنان عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر (ع) وقد دخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟

قال: الله.

قال: رأيت؟

قال: بلى. لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف

٣٢٢..... إحتجاج الطبرسي ج ٢

بالقياس، ولا يدرك بالخراس، موصوف بالآيات، معروف بالدلالات، لا يجوز في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو.

قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر ع قال: في صفة القديم: إنه واحد صمد، أحدي المعنى، ليس بمعان كثيرة مختلفة.

قال: قلت: جعلت فداك إنه يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر، ويبصر بغير الذي يسمع.

قال: فقال: كذبوا وأحدوا، وشبهوا الله تعالى إنه سميع بصير، يسمع بما به يبصر، ويبصر بما به يسمع.

قال: فقلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقله.

قال: فقال: تعالى الله أنما يعقل من كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك.

وروى بعض أصحابنا أن عمرو بن عبيد دخل على الباقر ع فقال له: جعلت فداك! قول الله: ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ ما ذلك الغضب؟

قال: العذاب يا عمرو! وإنما يغضب المخلوق الذي يأتيه الشيء فيستغزه، وبغيره عن الحال التي هو بها إلى غيرها، فمن زعم أن الله يغيره الغضب والرضا، ويحول عن هذا، فقد وصفه بصفة المخلوق.

وعن أبي الجارود^(١) قال: قال أبو جعفر ع: إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله ثم قال: في بعض حديثه: إن النبي ص نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال.

فقيل له: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله عز وجل؟

قال: قوله: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾ وقال: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكن تسؤكن﴾.

(١) أبو الجارود: في ج ١ ص ٣١ من الكافي والألقاب للشيخ القمي «زياد بن المنذر قال شيخنا صاحب المستدرک في ترجمته في الخاتمة: وأما أبو الجارود فالكلام فيه طويل، والذي يقتضيه النظر بعد التأمل فيها ورد فيها قالوا فيه: أنه كان ثقة في النقل مقبول الرواية، معتمداً في الحديث، إمامياً في أوله وزيدياً في آخره، ثم أطال الكلام في حاله إلى أن قال: وفي تقريب ابن حجر: «زياد بن المنذر أبو الجارود الأعمى الكوفي رافضي كذبه يحيى بن معين من السابعة، مات بعد الخمسين أي: بعد المائة» (قال:) وعن دعوات الراوندي عن أبي الجارود قال: قلت لأبي جعفر ع: إني امرؤ ضريب البصر كبير السن، والشقة فيما بيني وبينكم بعيدة، وأنا أريد أمراً أدِين الله به، وأحتج به وأتمسك به، وأبلغه من خلقت، قال: فأعجب بقولي فاستوى جالساً فقال: كيف قلت يا أبا الجارود؟ رد علي، قال: فرددت عليه، فقال: نعم يا أبا الجارود، شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، وولاية ولينا، وعداوة عدونا والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمتنا، والورع، والاجتهاد.

وروى حمران بن أعين^(١) قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل «وروح منه». قال: هي مخلوقة خلقها الله بحكمته في آدم وفي عيسى (ع).

محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل: «ونفخت فيه من روحي» كيف هذا النفخ؟

فقال: إن الروح متحرك كالريح، وإنما سمي روحاً لأنه اشتق اسمه من الريح وإنما أخرجه عن لفظة الريح لأن الروح متجانس للريح، وإنما أضافه إلى نفسه لأنه اصطفاه على سائر الأرواح، كما اصطفى بيتاً من البيوت. وقال: «بيتي» وقال: لرسول من الرسل: «خليلي» وأشباه ذلك مخلوق مصنوع مربوب مدبر.

وعن محمد بن مسلم أيضاً قال: سألت أبا جعفر (ع) عما روي: «إن الله خلق آدم على صورته؟» فقال: هي صورة محدثة مخلوقة، اصطفاها الله واختارها، على أساس الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح، فقال «بيتي» وقال: «ونفخت فيه من روحي».

وعن عبد الرحمن بن عبد الزهري قال: حج هشام بن عبد الملك، فدخل المسجد الحرام متكبياً على يد سالم مولاه، ومحمد بن علي بن الحسين جالس فقال له سالم:

يا امير المؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين (ع).

فقال له هشام: المفتون به أهل العراق؟ قال: نعم.

قال: إذهب إليه فقل له: يقول لك امير المؤمنين ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟

فقال أبو جعفر (ع): يحشر الناس على مثل قرصة البر النقي فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب.

(١) قال السيد بحر العلوم في رجاله ج ١ ص ٢٢٢: «آل أمين أكبر بيت في الكوفة من شيعة أهل البيت عليهم السلام، وأعظمهم شأنًا، وأكثرهم رجالاً وأعياناً وأطولهم مدة وزماناً، أدرك أوائلهم السجاد والباقر والصافي عليهم السلام، وبقي أوائلهم إلى أوائل الغيبة الكبرى، وكان فيهم العلماء والفقهاء، والقراء والادباء، ورواة الحديث، ثم ذكر أن من مشاهيرهم حمران إلى أن قال: قال أبو غالب رحمه الله: «إننا أهل البيت أكرمنا الله جل وعز بدينه، واختصنا بصحبة أوليائه وحججه، من أول ما نشأنا إلى وقت الفتنة التي امتحن بها الشيعة، فلقي عمنا (حمران) سيدنا وسيد العابدين علي بن الحسين (ع)».

و(قال): وكان حمران من أكابر مشايخ الشيعة المفضلين الذين لا يشك فيهم.

وكان أحد حملة القرآن، ومن يعد ويذكر اسمه في كتب القراء.

وروي أنه قرأ على أبي جعفر محمد بن علي (ع) وكان مع ذلك عالماً بالنحو واللغة، ولقي (حمران) وجدانا: زرارة، وبكين أبا جعفر محمد بن علي وأبا عبد الله جعفر بن محمد عليهم السلام الخ... وقال السيد أيضاً ص ٢٥٥ وقد جاء في مدح حمران بن أعين وجلالته وعظم محله، أخبار كادت تبلغ التواتر.

قال: فرأى هشام أنه قد ظفر به فقال: الله أكبر إذهب إليه فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ!

فقال له أبو جعفر: هم في النار أشغل، ولم يشغلوا عن أن قالوا: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾. فسكت هشام لا يرجع كلاماً.

وروي أن نافع بن الأزرق جاء إلى محمد بن علي بن الحسين، فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام. فقال له أبو جعفر - في عرض كلامه - قل لهذه المارقة، بما استحللتم فراق أمير المؤمنين «ع»، وقد سفكتكم دمائكم بين يديه، وفي طاعته، والقربة إلى الله تعالى بنصرته، فيقولون لك: إنه حكم في دين الله، فقل لهم:

قد حكم الله تعالى في شريعة نبيه رجلين من خلقه، قال جل اسمه: ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ وحكم رسول الله «ص» سعد بن معاذ في بني قريظة، فحكم بما أمضاه الله أو ما علمتم أن أمير المؤمنين إنما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدياه واشترط رد ما خالف القرآن من أحكام الرجال؟ وقال حين قالوا له: حكمت على نفسك من حكم عليك.

فقال: ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت كتاب الله فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن؟ واشترط رد ما خالفه، ولولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان.

فقال نافع بن الأزرق: هذا والله ما طرق بسمعي قط، ولا خطر مني ببال هو الحق إنشاء الله تعالى.

وعن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر «ع»: يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين «ع»؟ قلت: ينكرون عليهما أنها إنا رسول الله.

قال: فبأي شيء احتجاجتم عليهم؟

قال: قلت: بقول الله في عيسى «ع»: ﴿ومن ذريته داوود إلى قوله- وكل من الصالحين﴾ فجعل عيسى من ذرية إبراهيم، واحتججنا عليهم بقوله تعالى: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم﴾.

ثم قال: فأي شيء قالوا؟

قال: قلت: قالوا: قد يكون ولد البنت من الولد ولا يكون من الصلب.

قال: فقال أبو جعفر: والله يا أبا الجارود لا عطيتكم من كتاب الله آية يسمى لصلب رسول الله «ص» لا يردها إلا كافر:

قال: قلت: جعلت فداك وأين؟

قال: قال: حيث قال: ﴿حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وأخواتكم -إلى قوله- وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ فسلهم يا أبا الجارود وهل يحل لرسول الله نكاح حليتيهما؟ فإن قالوا: نعم. فكذبوا والله، وإن قالوا: لا. فهما والله إنا رسول الله لصلبه، وما حرمنا عليه إلا للصلب.

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي الربيع قال: حججت مع أبي جعفر (ع) في السنة التي حج فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عمر بن الخطاب فنظر نافع إلى أبي جعفر (ع) في ركن البيت وقد اجتمع عليه الخلق فقال: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تكافأ عليه الناس؟

فقال: هذا محمد بن علي بن الحسين (ع).

قال: لآتيته ولأسأله عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي.

قال: فاذهب إليه لعلك تحجله، فجاء نافع حتى اتكا على الناس وأشرف على أبي جعفر فقال:

يا محمد بن علي إني قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد عرفت حلالها وحرامها، وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن نبي، فرفع أبو جعفر (ع) رأسه فقال: سل عما بدالك!

قال: أخبرني كم بين عيسى ومحمد من سنة؟ قال: أجيبك بقولك أم بقولي؟

قال: أجبني بالقولين! قال: أما بقولي فخمس مائة سنة، وأما بقولك فستمائة سنة.

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أحملنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ من الذي سأل محمد وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟ قال: فتلا أبو جعفر (ع) هذه الآية: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾ كان من الآيات التي أراها محمداً حيث أسرى به إلى بيت المقدس، أنه حشر الله الأولين والآخرين، من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل (ع) فأذن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه: ﴿حي على خير العمل﴾ ثم تقدم محمد (ص) فصلى بالقوم، فلما انصرف قال الله عز وجل: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أحملنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾.

فقال رسول الله: على من تشهدون؟ وما كنتم تعبدون؟

قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت رسول الله، أخذت على ذلك عهدنا ومواثيقنا. فقال: صدقت يا أبا جعفر!

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ أي أرض تبدل؟

فقال أبو جعفر (ع): خبزة بيضاء يأكلونها حتى يفرغ الله من حساب الخلايق. فقال: إنهم عن الأكل لمشغولون.

فقال أبو جعفر ع: أهم حينئذ أشغل أم هم في النار؟ قال نافع: بل هم في النار.

قال: فقد قال الله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ما أشغلهم إذا دعوا بالطعام فاطعموا الزقوم، ودعوا بالشراب فسقوا من الجحيم.

فقال: صدقت يا ابن رسول الله! وبقيت مسألة واحدة. قال: وما هي؟

قال: فأخبرني متى كان الله؟ قال: ويلك أخبرني متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟ سبحان من لم يزل ولا يزال، فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ثم أتى هشام بن عبد الملك فقال: ما صنعت؟ قال دعني من كلامك والله هو أعلم الناس حقاً وهو ابن رسول الله حقاً.

وعن أبان بن تغلب^(١) قال: دخل طاووس اليماني إلى الطواف ومعه صاحب له، فإذا هو بأبي جعفر يطوف أمامه وهو شاب حدث، فقال طاووس لصاحبه: «إن هذا الفتى لعالم» فلما فرغ من طوافه صلى ركعتين، ثم جلس وأتاه الناس فقال طاووس لصاحبه: نذهب إلى أبي جعفر ع ونسأله عن مسألة لا أدري عنده فيها شيء أم لا، فأتياه فسلما عليه ثم قال له طاووس:

يا أبا جعفر هل تدري أي يوم مات ثلث الناس؟

فقال: يا أبا عبد الرحمن لم يمّت ثلث الناس قط، إنما أردت ربع الناس. قال: وكيف ذلك؟

قال: كان آدم وحواء، وقابيل وهابيل، فقتل قابيل هابيل، فذلك ربع الناس. قال: صدقت!

قال أبو جعفر ع: هل تدري ما صنع بقابيل؟ قال: لا.

قال: علق بالشمس ينضح بالماء الحار إلى أن تقوم الساعة.

وروي أن عمرو بن عبيد، وقد على محمد بن علي الباقر ع لامتحانه بالسؤال عنه فقال له:

جعلت فداك ما معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ ما هذا الرتق والفتق؟

فقال أبو جعفر ع: كانت السماء رتقاً لا تنزل القطر، وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات، ففتق الله السماء بالقطر، وفتق الأرض بالنبات، فانقطع عمرو ولم يجد اعتراضاً، ومضى وعاد إليه فقال:

خبرني جعلت فداك عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ ما غضب الله؟

(١) في رجال النجاشي ص ٧: «أبان بن تغلب بن رباح أبو سعيد البكري الجريزي مولى بني جرير بن عباد بن صبيحة بن قيس بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلام وروى عنهم، وكانت له عندهم منزلة وقدم، وذكره البلاذري قال: روى أبان عن عطية العوفي قال له أبو جعفر: اجلس في مسجد المدينة واقت الناس فاني أحب أن يرى في شعبي مثلك وقال أبو عبد الله عليه السلام لما أتته نعيه: «أم والله لقد أوجع قلبي موت أبان» وكان قارئاً من وجوه القراء، فقيهاً لغوياً، سمع من العرب وحكى عنهم.

فقال له أبو جعفر (ع) : غضب الله تعالى عقابه يا عمرو، ومن ظن أن الله يغيره شيء فقد هلك.

وعن أبي حمزة الثمالي قال : أتى الحسن البصري أبا جعفر (ع) فقال :

جئتك لأسألك عن أشياء من كتاب الله.

فقال أبو جعفر : ألسنت فقيه أهل البصرة؟ قال : قد يقال ذلك.

فقال له أبو جعفر (ع) : هل بالبصرة أحد تأخذ عنه؟ قال : لا.

قال : فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟ قال : نعم.

فقال أبو جعفر : سبحان الله لقد تقلدت عظمياً من الأمر، بلغني عنك أمر فما أدري أكذاك أنت،

أم يكذب عليك؟ قال : ما هو؟

قال : زعموا أنك تقول : إن الله خلق العباد ففوض إليهم أمورهم. قال : فسكت الحسن.

فقال : أرايت من قال الله له في كتابه : إنك آمن، هل عليه خوف بعد هذا القول منه؟ فقال

الحسن : لا.

فقال أبو جعفر (ع) : إني أعرض عليك آية وانهي إليك خطاباً، ولا أحسبك إلا وقد فسرته على غير

وجهه، فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكك وأهلكك.

فقال له : ما هو؟

قال : أرايت حيث يقول : ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها

السير سيرا فيها ليالي وأياماً آمين﴾ يا حسن بلغني أنك أفيتت الناس فقلت : هي مكة. فقال أبو

جعفر (ع) فهل يقطع على من حج مكة وهل يخاف أهل مكة، وهل تذهب أموالهم؟ قال : بلى.

قال : فمتى يكونون آمين؟ بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن. فنحن القرى التي بارك الله

فيها، وذلك قول الله عز وجل، فمن أقر بفضلنا حيث بينهم وبين شيعتهم القرى التي باركنا فيها، قرى

ظاهرة، والقرى الظاهرة : الرسل، والنقلة عنا إلى شيعتنا، وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا، وقوله تعالى :

﴿وقدرنا فيها السير﴾ فالسير مثل للعلم، سير به ليالي وأياماً، مثل لما يسير من العلم في الليالي والأيام

عنا إليهم، في الحلال والحرام، والفرائض والأحكام، آمين فيها إذا أخذوا منه، آمين من الشك

والضلال، والنقلة من الحرام إلى الحلال، لأنهم أخذوا العلم ممن وجب لهم أخذهم إياه عنهم،

بالمعرفة، لأنهم أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا، ذرية مصطفاة بعضها من بعض، فلم ينته

الاصطفاء إليكم، بل إلينا انتهى، ونحن تلك الذرية المصطفاة، لا أنت ولا أشباهك يا حسن، فلو

قلت لك حين ادعيت ما ليس لك، وليس إليك : يا جاهل أهل البصرة ! لم أقل فيك إلا ما علمته

منك، وظهر لي عنك، وإياك أن تقول بالتفويض، فإن الله عز وجل لم يفوض الأمر إلى خلقه، وهنأ منه

وضعفاً، ولا اجبرهم على معاصيه ظلماً.

والخبر طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

وروي أن سالمًا دخل على أبي جعفر «ع» فقال:

جئت اكلحك في أمر هذا الرجل.

قال: أيما رجل؟ قال: علي بن أبي طالب «ع».

قال: في أي اموره؟ قال: في إحداثه.

قال أبو جعفر: انظر ما استقر عندك مما جاءت به الرواة عن آبائهم.

قال: ثم نسبهم، ثم قال: يا سالم ابلغك أن رسول الله بعث سعد بن عبادَةَ بَرَايَةَ الأنصار إلى خيبر، فرجع منهزماً، ثم بعث عمر بن الخطاب بَرَايَةَ المهاجرين والأنصار، فأتى سعد جريحاً وجاء عمر يجنب أصحابه ويحبسونه. فقال رسول الله «ص»: «هكذا يفعل المهاجرون والأنصار» حتى قالها ثلاثاً ثم قال: «لا عطينُ الراية غداً رجلاً كرار ليس بفرار، يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله».

قال: نعم. وقال القوم جميعاً أيضاً.

فقال أبو جعفر: يا سالم إن قلت: إن الله عز وجل أحبه وهو لا يعلم ما هو صانع فقد كفرت، وإن قلت إن: الله عز وجل أحبه وهو يعلم ما هو صانع، فأني حدث ترى له.

فقال أعد علي!

فأعاده «ع» عليه، فقال سالم: عبدت الله على ضلالة سبعين سنة.

وعن أبي بصير قال: كان مولانا أبو جعفر محمد بن علي الباقر «ع» جالساً في الحرم وحوله عصاة من أوليائه، إذ أقبل طاووس اليماني في جماعة من أصحابه ثم قال لأبي جعفر «ع»:

أتأذن لي في السؤال؟ فقال: أذن لك فسل! قال: أخبرني متى هلك ثلث الناس؟

قال: وهمت يا شيخ! أردت أن تقول: «متى هلك ربع الناس؟» وذلك يوم قتل قابيل هابيل، كانوا أربعة: آدم وحواء وقابيل وهابيل فهلك ربعهم.

فقال: أصبت ووهمت أنا، فأيهما كان أباً للناس القاتل أو المقتول؟ قال: لا واحد منهما، بل أبوهم شيث بن آدم.

قال: فلم سمي آدم آدم؟ قال: لأنه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى.

قال: ولم سميت حواء حواء؟ قال: لأنها خلقت من ضلع حي، يعني ضلع آدم.

قال : فلم سمي إبليس إبليس؟ قال : لأنه أبلس من رحمة الله عز وجل فلا يرجوها .

قال : فلم سمي الجن جناً؟ قال : لأنهم استجنوا فلم يروا .

قال : فأخبرني عن كذبة كذبت ، من صاحبها؟ قال : إبليس حين قال : «أنا خير منه خلقتني من

نار وخلقته من طين» .

قال : فأخبرني عن قوم شهدوا شهادة الحق وكانوا كاذبين؟

قال : المنافقون حين قالوا لرسول الله «ص» : «نشهد أنك لرسول الله» ، فأنزل الله عز وجل : ﴿إِذَا

جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد إنَّ المنافقين لكاذبون﴾ .

قال : فأخبرني عن طائر طائر مرة ولم يطر قبلها ولا بعدها ، ذكره الله عز وجل في القرآن ما هو؟

فقال : طور سيناء ، أطاره الله عز وجل على بني إسرائيل حين أظلمهم بجناح منه ، فيه ألوان

العذاب ، حتى قبلوا التوراة ، وذلك قوله عز وجل : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ الآية .

قال : فأخبرني عن رسول بعثه الله تعالى ليس من الجن ، ولا من الانس ، ولا من الملائكة ، ذكره

الله تعالى في كتابه؟

قال : الغراب ، حين بعثه الله عز وجل ليبري قابيل كيف يوارى سواء أخيه هابيل حين قتله . قال

الله عز وجل : ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيَرِيهِ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ﴾ .

قال : فأخبرني عن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ، ذكره الله عز وجل في

كتابه؟

قال : النملة حين قالت : ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا

يَشْعُرُونَ﴾ .

قال فأخبرني عن كذب عليه ، ليس من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ، ذكره الله عز

وجل في كتابه؟ قال : الذئب الذي كذب عليه أخوة يوسف .

قال : فأخبرني عن شيء قليله حلال وكثيره حرام ، ذكره الله عز وجل في كتابه؟

قال : نهر طالوت ، قال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بَيْنَهُ﴾ .

قال : فأخبرني عن صلاة فريضة تصلى بغير وضوء ، وعن صوم لا يحجز عن أكل ولا شرب؟

قال : أما الصلاة بغير وضوء : فالصلاة على النبي وآله «ص» ، وأما الصوم : فقول الله عز

وجل : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾ .

قال: فأخبرني عن شيء يزيد وينقص، وعن شيء يزيد ولا ينقص، وعن شيء ينقص ولا يزيد؟ فقال الباقر «ع»: أما الشيء الذي يزيد وينقص فهو: القمر والشيء الذي يزيد ولا ينقص فهو: البحر، والشيء الذي ينقص ولا يزيد هو: العمر.

وقد تكرر إيراد أول هذا الخبر لما في آخره من الفوائد.

وبالاسناد المقدم ذكره عن أبي محمد الحسن العسكري «ع» أنه قال: كان علي بن الحسين زين العابدين جالساً في مجلسه فقال يوماً في مجلسه إن رسول الله «ص» لما أمر بالمسير إلى تبوك، أمر بأن يخلف علياً بالمدينة. فقال علي «ع»: يا رسول الله ما كنت أحب أن أتخلف عنك في شيء من أمورك، وأن أغيب عن مشاهدتك والنظر إلى هديك وسمتك.

فقال رسول الله: يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، تقيم يا علي وإن لك في مقامك من الأجر مثل الذي يكون لك لو خرجت مع رسول الله، ولك أجور كل من خرج مع رسول الله «ص» موقناً طائعاً، وإن لك على الله يا علي لمحبتك أن تشاهد من محمد سمته في سائر أحواله، بأن يأمر جبرئيل في جميع مسيرنا هذا أن يرفع الأرض التي يسير عليها، والأرض التي تكون أنت عليها، ويقوي بصرك حتى تشاهد محمداً وأصحابه في سائر أحوالك وأحوالهم، فلا يفوتك الانس من رؤيته ورؤية أصحابه وبغيتك ذلك عن المكاتب والمراسلة

فقام رجل من مجلس زين العابدين لما ذكر هذا وقال له: يا ابن رسول الله «ص» كيف يكون، وهذا للأنبياء لا لغيرهم؟

فقال زين العابدين «ع»: هذا هو معجزة لمحمد رسول الله لا لغيره، لأن الله إنما رفعه بدعاء محمد، وزاد في نور بصره أيضاً بدعاء محمد، حتى شاهد ما شاهد وأدرك ما أدرك، ثم قال له الباقر «ع»: يا عبدالله ما أكثر ظلم كثير من هذه الأمة لعلي بن أبي طالب «ع»، وأقل أنصارهم، أم يمنعون علياً ما يعطونه سائر الصحابة، وعلي أفضلهم، فكيف يمنع منزلة يعطونها غيره، قيل: وكيف ذاك يا ابن رسول الله؟

قال: لأنكم تتولون محبي أبي بكر بن أبي قحافة، وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان، وكذلك تتولون عمر بن الخطاب، وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان، وتتولون عثمان بن عفان وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان، حتى إذا صار إلى علي بن أبي طالب «ع»، قالوا: نتولى محبيه، ولا نتبرأ من أعدائه بل نحبه، فكيف يجوز هذا لهم، ورسول الله «ص» يقول في علي: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» أفترونه لا يعادي من عاداه؟! ولا يخذل من خذله؟! ليس هذا بانصاف.

ثم أخرى: إنهم إذا ذكر لهم ما أخص الله به علياً بدعاء رسول الله «ص»، وكراهته على ربه تعالى جحدوه، وهم يقبلون ما يذكر لهم في غيره من الصحابة، فما الذي منع علياً ما جعله لسائر أصحاب

رسول الله؟ هذا عمر بن الخطاب. إذا قيل لهم: إنه كان على المنبر بالمدينة بخطب إذ نادى في خلال خطبته: يا سارية الجبل وعجب القوم وقالوا ما هذا الكلام الذي في هذه الخطبة، فلما قضى الخطبة والصلاة قالوا:

ما قولك في خطبتك يا سارية الجبل؟

فقال: اعلّموا أني وأنا أنخطب إذ رميت ببصري نحو الناحية التي خرج فيها إخوانكم إلى غزوة الكافرين بنهاوند، وعليهم سعد بن أبي وقاص، ففتح الله لي الأستار والحجب، وقوى بصري حتى رأيتهم وقد اصطفوا بين يدي جبل هناك، وقد جاء بعض الكفار ليدور خلف سارية، وسائر من معه من المسلمين، فيحيطوا بهم فيقتلوهم، فقلت يا سارية الجبل، ليلتجىء اليه، فيمنعهم ذلك من أن يحيطوا به، ثم يقاتلوا، ومنح الله إخوانكم المؤمنين اكناف الكافرين، وفتح الله عليهم بلادهم، فاحفظوا هذا الوقت، فسيرد عليكم الخبر بذلك، وكان بين المدينة ونهاوند مسيرة أكثر من خمسين يوماً.

قال الباقر (ع): فإذا كان مثل هذا لعمر، فكيف لا يكون مثل هذا لعلي بن أبي طالب (ع)؟ ولكنهم قوم لا ينصفون بل يكابرون.

وعن عبد الله بن سليمان^(١) قال: كنت عند أبي جعفر (ع) فقال له رجل من أهل البصرة: يقال له عثمان الأعمى:-

إن الحسن البصري يزعم أن الدين يكتسب العلم يؤدي ربح بطونهم من يدخل النار.

فقال أبو جعفر (ع): فهلك إذا مؤمن آل فرعون، والله مدحه بذلك، وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله عز وجل رسوله نوحاً، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، فوالله ما يوجد العلم إلا ها هنا، وكان (ع) يقول: محنة الناس علينا عظيمة، أن دعوانهم لم يبيحونا، وأن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا.

احتجاج أبي عبد الله الصادق (ع) في أنواع شتى من العلوم الدينية على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

روي عن هشام بن الحكم^(٢) أنه قال: من سؤال الزنديق الذي أتى أبا عبد الله (ع) أن قال:

(١) عبد الله بن سليمان النخعي كوفي عده الشيخ في رجاله ص ١٦٥ من أصحاب الصادق عليه السلام.

(٢) هشام بن الحكم الكندي مولاهم البغدادي، وكان ينزل ببني شيان بالكوفة وكان مولده بالكوفة، ومنشؤه واسط، وتجارته ببغداد ثم انتقل إليها في آخر عمره سنة تسع وتسعين ومائة. وقيل: هذه السنة هي سنة وفاته. عين الطائفة ووجهها ومتكلمها وناصرها، من أرباب الأصول، وله نوادر حكايات ولطائف مناظرات، من اتفق علمنا على وثاقته، ورفعة شأنه ومنزلته عند أئمتنا المعصومين عليهم السلام.

وكان ممن فتن الكلام في الإمامة، وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب، وكان ثقة بالروايات،

حسن التحقيق بهذا الأمر.

ما الدليل على صانع العالم؟

فقال أبو عبد الله «ع»: وجود الأفاعيل التي دلت على أن صانعها صنعها ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني، علمت أن له بانياً وإن كنت لم تر الباني، ولم تشاهده.

قال: فما هو؟

قال: هو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي شيء إلى إثباته، وأنه شيء بحقيقته الشيثية، غير أنه لا جسم، ولا صورة، ولا يحس، ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا يغيره الزمان.

قال السائل: فانا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً.

قال أبو عبد الله «ع»: لو كان ذلك كما تقول، لكان التوحيد منا مرتفعاً لأننا لم نكلف أن نعتقد غير موهوم، لكننا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك بها تحده الحواس ممثلاً، فهو مخلوق، ولا بد من إثبات كون صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين: أحدهما النفي إذا كان النفي هو الإبطال والعدم. والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين، والاضطرار منهم إليه، إنهم مصنوعون، وإن صانعهم غيرهم وليس مثلهم، إن كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا، وتنقلهم من صغر إلى كبر، وسواد إلى بياض وقوة إلى ضعف، وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها ووجودها.

قال السائل: فأنت قد حددته إذ أثبت وجوده!

قال أبو عبد الله «ع»: لم أحده ولكني أثبتته، إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة.

قال السائل: فقله: «الرحمن على العرش استوى»؟

قال أبو عبد الله «ع»: بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه، من غير أن يكون العرش محلاله، لكننا نقول: هو حامل، وممسك للعرش، ونقول في ذلك ما قال: «وسع كرسيه السماوات والأرض» فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبتته، ونفينا أن يكون العرش والكرسي حاوياً له، وأن يكون عز وجل محتاجاً إلى مكان، أو إلى شيء مما خلق، بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟

قال أبو عبد الله: في علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنه عز وجل أمر أوليائه وعباده برفع أيديهم إلى

== روى عن أبي عبد الله وعن أبي الحسن عليهما السلام وعاش بعد أبي الحسن ولما توفي ترحم عليه الرضا عليه السلام. روي عن أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الثاني عليه السلام ما تقول جعلت فداك في هشام بن الحكم؟ فقال عليه السلام: «رحمه الله ما كان أذبه عن هذه الناحية».

السماء نحو العرش، لأنه جعله معدن الرزق، فثبتنا ما ثبته القرآن والأخبار عن الرسول، حين قال: «ارثروا أيديكم إلى الله عز وجل» وهذا تجمع عليه فرق الأمة كلها.

ومن سؤاله أن قال: ألا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد؟

قال أبو عبد الله: لا يخلو قولك إنها اثنان من أن يكونا: قديمين قويين أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قوياً، والآخر ضعيفاً، فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه، ويتفرد بالربوبية، وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف، ثبت أنه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني، وإن قلت: أنها اثنان، لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة، أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظمة، والفلك جارياً، واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر، دل ذلك على صحة الأمر والتدبير، واتتلاف الأمر، وأن المدبر واحد.

وعن هشام بن الحكم قال: دخل ابن أبي العوجاء على الصادق عليه السلام فقال له الصادق (ع):

يا ابن أبي العوجاء! أنت مصنوع أم غير مصنوع؟ قال: لست بمصنوع.

فقال له الصادق: فلو كنت مصنوعاً كيف كنت؟ فلم يجز ابن أبي العوجاء جواباً، وقام وخرج.

قال: دخل أبو شاكر الديصاني وهو زنديق على أبي عبد الله وقال: يا جعفر بن محمد دلني على معبودي!

فقال أبو عبد الله (ع): اجلس! فإذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها فقال أبو عبد الله: ناولني يا غلام البيضة! فناوله إياها، فقال أبو عبد الله: يا ديصاني هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهب مائعة، وفضة ذاتبة، فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذاتية، ولا الفضة الذاتية تختلط بالذهب المائعة، فهي على حالها، لا يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولا يدخل إليها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها، لا يدري للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى له مدبراً؟

قال: فاطرق ملياً ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنتك إمام وحجة من الله على خلقه، وأنا نائب مما كنت فيه.

وعن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن أسماء الله عز ذكره واشتقاقها، فقلت: الله، مما

هو مشتق؟

قال: يا هشام، الله: مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى: فقد كفر وعبد الاثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم: فذلك التوحيد أفهمت يا هشام؟

قال: فقلت: زدني! فقال: إن الله تسعة وتسعين اسماً، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يدل عليه فهذه الأسماء كلها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب،

والثوب إسم للملبوس ، والنار إسم للمحروق أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا ، والمتخذين مع الله غيره؟ قلت: نعم .

قال : فقال : نفعك الله به ، وثبتك !

قال هشام : فوالله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتى قمت مقامي هذا .

عن هشام بن الحكم قال : كان زنديق بمصري يلقه عن أبي عبد الله ع علم ، فخرج إلى المدينة لينظره فلم يصادفه بها ، وقيل : هو بمكة ، فخرج إلى مكة ونحن مع أبي عبد الله ع . فأنتهى إليه وهو في الطواف فدنا منه وسلم .

فقال له أبو عبد الله : ما اسمك؟ قال : عبد الملك .

قال : فما كنيته؟ قال : أبو عبد الله .

قال أبو عبد الله ع : فمن ذا الملك الذي أنت عبده ، أمن ملوك الأرض أم من ملوك السماء؟ وأخبرني عن ابنك أعبد إله السماء ، أم عبد إله الأرض؟ فسكت . فقال أبو عبد الله ع : قل ! فسكت .

فقال : إذا فرغت من الطواف فائتنا ، فلما فرغ أبو عبد الله ع من الطواف أتاه الزنديق ، فقعد بين يديه ونحن مجتمعون عنده .

فقال أبو عبد الله ع : أتعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً . فقال : نعم .

قال : فدخلت تحتها؟ قال : لا .

قال : فهل تدري ما تحتها؟ قال : لا أدري إلا أنني أظن أن ليس تحتها شيء .

فقال أبو عبد الله : فالظن عجز ما لم تستيقن ، ثم قال له : صعدت إلى السماء؟ قال : لا ،

قال أفتردي ما فيها؟ قال : لا .

قال : فأنيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟ قال : لا .

قال : فالعجب لك ! لم تبلغ المشرق ، ولم تبلغ المغرب ، ولم تنزل تحت الأرض ، ولم تصعد إلى السماء ، ولم تخبر ما هناك فتعرف ما خلفهن ، وأنت جاحد بما فيهن ، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟ فقال الزنديق : ما كلمني بهذا غيرك .

قال أبو عبد الله ع : فأنت من ذلك في شك ، فلعل هو ولعل ليس هو . قال : ولعل ذلك .

فقال أبو عبد الله ع : أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم ، ولا حجة للجاهل على العالم ، يا أخا أهل مصر ، تفهم عني ، أما ترى الشمس والقمر والنهار والليل ولا يستبقان ، يذهبان ويرجعان ، قد اضطرا ليس لهما مكان إلا مكانهما ، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعا . وإن كانا غير مضطرين فلم لا

يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً؟ اضطرا والله يا أخا أهل مصر.

إن الذي تذهبون إليه وتظنون من الدهر، فإن كان هو يذهبهم، فلم يردهم؟ وإن كان يردهم، فلم يذهب بهم؟ أما ترى السماء مرفوعة، والأرض موضوعة، لا تسقط السماء على الأرض، ولا تنحدر الأرض فوق ما تحتها، أمسكها والله خالقها ومدبرها.

قال: فآمن الزنديق على يدي أبي عبدالله فقال: هشام خذك إليك وعلمه.

عن عيسى بن يونس^(١) قال: كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري، فأنحرف عن التوحيد، فقبل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت فيها لا أصل له ولا حقيقة؟!

قال: إن صاحبي كان غلطاً، يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه، فقدم مكة متمرداً، وإنكاراً على من يحجه، وكان تكره العلماء مجالسته لخبث لسانه، وفساد ضميره، فأتى أبا عبد الله (ع) فجلس إليه في جماعة من نظرائه، فقال:

يا أبا عبد الله! إن المجالس بالأمانات، ولا بد لكل من به سعال أن يسعل أفتاذن لي في الكلام؟ فقال: تكلم.

فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوثون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهزلون حوله كهزولة البعير إذا نفر، إن من فكر في هذا وقدر، علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فانك رأس هذا الأمر وسنانه، وأبو أسه ونظامه!

فقال أبو عبدالله: إن من أضله الله وأعمى قلبه، استوخم الحق ولم يستعذبه وصار الشيطان وليه، يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته، جعله محل أنبيائه وقبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحق من أطيع فيها أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر، الله المنشئ للأرواح والصور.

فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت الله فأحلت على الغائب.

فقال أبو عبدالله: ويلك!! كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم، ويعلم أسرارهم؟!

فقال ابن أبي العوجاء: فهو في كل مكان، ليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟

فقال أبو عبدالله (ع): إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان، وخلا منه

(١) عيسى بن يونس ذكره الشيخ في رجاله ص ٢٥٨ في أصحاب الصادق (ع) وفي أصحاب الكاظم عليه السلام ص ٣٥٥ فقال:

عيسى بن يونس بزوج له كتاب

مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه، فأما الله العظيم الشأن، الملك الديان، فلا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان.

وروي أن الصادق ع قال لابن أبي العوجاء: إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر كما تقول - وهو كما تقول - نجونا وهلكنا.

وروي أيضاً: أن ابن أبي العوجاء سأل الصادق ع عن حدث العالم فقال: ما وجدت صغيراً ولا كبيراً إلا إذا ضم إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديماً مازال ولا حال، لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الأزل دخول في القدم، ولن يجتمع صفة الحدوث والقدم في شيء واحد.

قال ابن أبي العوجاء: هبك علمك في جري الحالين والزمانين على ما ذكرت استدلت على حدوثها، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثها؟

فقال ع: إنا نتكلم على هذا العالم الموضوع، فلو رفعناه ووضعناه عالماً آخر كان لا شيء أدل على الحدث، ومن رفعناه إياه ووضعناه غيره، لكن أجيبك من حيث قدرت أن تلزمنا، فنقول: إن الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ضم شيء منه إلى شيء منه كان أكبر، وفي جواز التغير عليه خروجه من القدم، كما أن في تغيره دخوله في الحدث، وليس لك وراءه شيء يا عبد الكريم.

وعن يونس بن ظبيان^(١) قال: دخل رجل على أبي عبد الله ع قال: أرايت الله حين عبده؟ قال: ما كنت أعبد شيئاً لم أره.

قال: فكيف رأته؟

قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رآته القلوب بحقايق الايمان لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه.

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ع في قوله تعالى: «لا تدركه الأبصار» قال: إحاطة الوهم، ألا ترى إلى قوله: «قد جاتكم بصائر من ربكم» ليس يعني بصر العيون، «فمن أبصر فلنفسه» وليس يعني من أبصر نفسه «ومن عمي فعليها» ليس يعني عمي العيون، إنما عني: إحاطة الوهم - كما يقال: فلان بصير بالشعر وفلان بصير بالفقه وفلان بصير بالدراهم وفلان بصير بالثياب - الله أعظم من أن يرى بالعين.

ومن سأل الزنديق الذي سأل أبا عبد الله ع عن مسائل كثيرة أنه قال: كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟

(١) قال العلامة في القسم الثاني من خلاصته: يونس بن ظبيان بالطاء المعجمة المفتوحة والياء المتقطعة تحتها نقطة قبل الياء والنون أخيراً قال أبو عمرو الكشي: قال الفضل بن شاذان في بعض كتبه: الكلابيون المشهورون: أبو الخطاب ويونس بن ظبيان ويزيد الصايغ ومحمد بن سنان وأبو سمينة أشهرهم وقال النجاشي: أنه مولى ضعيف جداً لا يلتفت إلى ما رواه كل كتبه تخليط قال ابن الغضائري: يونس بن ظبيان غال كذاب وضاع للحديث، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، لا يلتفت إلى حديثه فإنا لا اعتمد على روايته لقول هؤلاء المشايخ العظام فيه.

قال : رآته القلوب بنور الايمان ، وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان ، وأبصرته الأبصار بما رآته من حسن التركيب وإحكام التأليف ، ثم الرسل وآياتها والكتب ومحكماتها ، اقتصرت العلماء على ما رأت من عظمته دون رؤيته .

قال : أليس هو قادر أن يظهر لهم حتى يروه فيعرفونه فيعبد على يقين؟ قال : ليس للمحال جواب .

قال : فمن أين اثبت أنبياء ورسل؟

قال «ع» : إننا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً ، لم يجوز أن يشاهده خلقه ، ولا أن يلامسوه ولا أن يباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه ، ثبت أن له سفراء في خلقه وعباده يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم ، وما به بقاؤهم ، وفي تركه فناؤهم ، فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه ، وثبت عند ذلك أن له معبرون هم أنبياء الله وصفوته من خلقه ، حكماء مؤدين بالحكمة ، مبعوثين عنه ، مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب ، مؤيدين من عند الحكيم العليم ، بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد : من إحياء الموتى ، وإبراء الأكف والأبرص فلا تخلوا الأرض من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته .

ثم قال «ع» - بعد ذلك - : نحن نزعم أن الأرض لا تخلو من حجة ، ولا تكون الحجة الا من عقب الأنبياء ، ما بعث الله نبياً قط من غير نسل الأنبياء ، وذلك أن الله شرع لبني آدم طريقاً منيراً ، وأخرج من آدم نسل طاهراً طيباً ، أخرج منه الأنبياء والرسل ، هم صفوة الله ، وخلص الجوهر ، طهروا في الأصلاب ، وحفظوا في الأرحام ، لم يصبهم سفاح الجاهلية ، ولا شاب أنسابهم ، لأن الله عز وجل جعلهم في موضع لا يكون أعلى درجة وشرفاً منه ، فمن كان خازن علم الله ، وأمين غيبه ومستودع سره ، وحجته على خلقه ، وترجمانه ولسانه ، لا يكون الا بهذه الصفة فالحجة لا يكون الا من نسلهم ، يقوم النبي «ص» في الخلق بالعلم الذي عنده وورثه عن الرسول ، إن جحدته الناس سكت ، وكان بقاء ما عليه الناس قليلاً مما في أيديهم من علم الرسول على اختلاف منهم فيه ، قد أقاموا بينهم الرأي والقياس وإنهم إن أقروا به وأطاعوه وأخذوا عنه ، ظهر العدل . وذهب الاختلاف والتشاجر واستوى الأمر وأبان الدين ، وغلب على الشك اليقين ، ولا يكاد أن يقر الناس به ولا يطيعوا له أو يحفظوا له بعد فقد الرسول ، وما مضى رسول ولا نبي قط لم تختلف أمته من بعده ، وإنما كان علة اختلافهم على الحجة وتركهم إياها .

قال : فما يصنع بالحجة إذا كان بهذه الصفة؟ قال : قد يقتدى به ويخرج عنه الشيء بعد الشيء مكانه منفعة الخلق وصلاحهم ، فإن أحدثوا في دين الله شيئاً أعلمهم وإن زادوا فيه أخبرهم ، وإن نفلوا منه شيئاً أفادهم .

ثم قال الزنديق : من أي شيء خلق الله الأشياء؟ قال : لا من شيء .

فقال : كيف يجيء من لا شيء شيء؟

قال : «ع» : إن الأشياء لا تخلو إما أن تكون خلقت من شيء أو من غير شيء ، فإن كان خلقت من شيء

كان معه، فإن ذلك الشيء قديم، والقديم لا يكون حديثاً ولا يفنى ولا يتغير، ولا يخلو ذلك الشيء من أن يكون جوهرًا واحدًا ولونًا واحدًا، فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة، والجواهر الكثيرة الموجودة في هذا العالم من ضروب شتى؟ ومن أين جاء الموت إن كان الشيء الذي أنشئت منه الأشياء حياً؟ ومن أين جاءت الحياة إن كان ذلك الشيء ميتاً؟ ولا يجوز أن يكون من حيٍّ وميت قديمين لم يزالا، لأن الحي لا يحيى منه ميت وهو لم يزل حياً، ولا يجوز أيضاً أن يكون الميت قديماً لم يزل لما هو به من الموت، لأن الميت لا قدرة له ولا بقاء.

قال: فمن أين قالوا إن الأشياء أزلية؟ قال: هذه مقالة قوم جحدوا مدبر الأشياء فكذبوا الرسل، ومقاتلتهم، والأنبياء وما أنبأوا عنه، وسموا كتبهم أساطير، ووضعوا لأنفسهم ديناً بآرائهم واستحسانهم، إن الأشياء تدل على حدوثها، من دوران الفلك بما فيه، وهي سبعة أفلاك وتحرك الأرض ومن عليها وانقلاب الأزمنة، واختلاف الوقت، والحوادث التي تحدث في العالم: من زيادة ونقصان وموت وبلى واضطرار النفس إلى الإقرار بأن لها صانعاً ومدبراً، ألا ترى الخلو يصير حامضاً، والعذب مرّاً، والحديد بالياً، وكل إلى تغير وفناء؟

قال: فلم يزل صانع العالم عالماً بالأحداث التي أحدثها قبل أن يحدثها؟

قال: فلم يزل يعلم فخلق ما علم قال: اختلف هو أم مؤتلف؟

قال: لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنما يختلف المتجزى، ويأتلف المتبعض، فلا يقال له: مؤتلف ولا مختلف.

قال: فكيف هو الله الواحد؟ قال: واحد في ذاته، فلا واحد كواحد، لأن ما سواه من الواحد متجزى وهو تبارك وتعالى واحد لا يتجزى، ولا يقع عليه العد.

قال: فلا يعلو خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم، ولا مضطر إلى خلقهم، ولا يليق به التعبد بنا؟

قال: خلقهم لاظهار حكمته وإنفاذ علمه وإمضاء تدبيره.

قال: وكيف لا يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ومحبته عقابه؟

قال: إن هذه الدار دار ابتلاء، ومتجر الثواب ومكتسب الرحمة، ملئت آفات، وطبقت شهوات، ليختبر فيها عبده بالطاعة، فلا يكون دار عمل دار جزاء.

قال: أفمن حكمته أن جعل لنفسه عدواً، وقد كان ولا عدوله، فخلق كما زعمت إبليس فسأله على غيبه يدعوهم إلى خلاف طاعته، ويأمرهم بمعصيته وجعل له من القوة كما زعمت ما يصل بلطف الحيلة إلى قلوبهم، فيوسوس إليهم فيشككهم في ربهم، ويلبس عليهم دينهم، فيزيلهم عن معرفته، حتى أنكروا قومه لما وسوس إليهم ربوبيته وعبدوا سواه، فلم يسلط عدوه على عبده، وجعل له السبيل إلى إغوائهم؟ قال: إن هذا العدو الذي ذكرت لا تضربه عداوته، ولا تنفعه ولايته. وعداوته لا تنقص من ملكه شيئاً، ولايته لا تزيد فيه شيئاً، وإنما يتقى العدو إذا كان في قوة يضرب وينفع، إن هم يملك أخذه، أو سلطان قهره، فأما

إبليس فعبد، خلقه ليعبده ويوحده، وقد علم حين خلقه ما هو وإلى ما يصير إليه، فلم يزل يعبده مع ملائكته حتى امتحنه بسجود آدم، فامتنع من ذلك حسداً، وشقاوة غلبت عليه فلمعنه عند ذلك، وأخرجه عن صفوف الملائكة، وأنزله إلى الأرض ملعوناً مدحوراً أفصار عدو آدم وولده بذلك السبب، ماله من السلطة على ولده إلا الوسوسة، والدعاء إلى غير السبيل، وقد أقر مع معصيته لربه بربوبيته.

قال: أفصلح السجود لغير الله؟ قال: لا.

قال: فكيف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟

قال: إن من سجد بأمر الله سجد لله إذا كان عن أمر الله.

قال: فمن أين أصل الكهانة، ومن أين يخبر الناس بما يحدث؟

قال: إن الكهانة كانت في الجاهلية، في كل حين فترة من الرسل، كان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيها يشبه عليهم من الأمور بينهم، فيخبرهم عن أشياء تحدث، وذلك من وجوه شتى: فراسة العين، وذكاء القلب، ووسوسة النفس، وفتنة الروح، مع قذف في قلبه، لأن ما يحدث في الأرض من الحوادث الظاهرة: فذلك يعلم الشيطان ويؤديه إلى الكاهن، ويخبره بما يحدث في المنازل والأطراف.

وأما أخبار السماء: فإن الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك، وهي لا تحجب، ولا ترجم بالنجوم، وإنما منعت من استراق السمع لتلايقع في الأرض سبب تشاكل الوحي من خبر السماء، فيلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله، لاثبات الحجة، ونفي الشبهة. وكان الشيطان يسرق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه، فيختطفها، ثم يهبط بها إلى الأرض، فيقذفها إلى الكاهن، فإذا زاد كلمات من عنده، فيخلط الحق بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر مما كان يخبره، فهو ما أداه إليه الشيطان لما سمعه، وما أخطأ فيه، فهو من باطل ما زاد فيه، فمنذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة، واليوم إنما تؤدي الشياطين إلى كهانها أخبار للناس بما يتحدثون به، وما يحدثونه، والشياطين تؤدي إلى الشياطين: ما يحدث في البعد من الحوادث من سارق سرق، ومن قاتل قتل، ومن غائب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضاً، صدوق وكذوب.

قال: وكيف صعدت الشياطين إلى السماء، وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود (ع) من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟

قال: غلظوا لسليمان كما سخرُوا وهم خلق رقيق، غذاؤهم النسيم، والدليل على كل ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع، ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء إليها بسلم أو بسبب.

قال: فأخبرني عن السحر ما أصله؟ وكيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه، وما يفعل؟

قال: إن السحر على وجوه شتى: وجه منها: بمنزلة الطب، كما أن الأطباء وضعوا لكل داء دواء، فكذلك علم السحر، احتالوا لكل صفة آفة، ولكل عافية عاهرة، ولكل معنى حيلة.

ونوع آخر منه : خطفة وسرعة ومخاريق وخفة .

ونوع آخر : ما يأخذ أولياء الشياطين عنهم .

قال : فمن أين علم الشياطين السحر؟

قال : من حيث عرف الأطباء الطب ، بعضه تجربة وبعضه علاج .

قال : فما تقول في الملكين : هاروت وماروت؟ وما يقول الناس بأنها يعلمان الناس السحر؟

قال : إنهما موضع ابتلاء وموقع فتنة ، تسبيحهما : اليوم لو فعل الانسان كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولو يعالج بكذا وكذا لكان كذا ، أصناف السحر فيتعلمون منها ما يخرج عنها ، فيقولان لهم : إنما نحن فتنة فلا تأخذوا عنا ما يضركم ولا ينفعكم .

قال : أفيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب أو الحمار أو غير ذلك؟

قال : هو أعجز من ذلك ، وأضعف من أن يغير خلق الله ، إن من أبطل ما ركب الله وصوره وغيره فهو شريك الله في خلقه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، لو قدر الساحر على ما وصفت لدفع عن نفسه الهرم والآفة والأمراض ، ولنفى البياض عن رأسه والفقر عن ساحته ، وإن من أكبر السحر النسيمة ، يفرق بها بين المتحايين ، ويجلب العداوة على المتصافين ، ويسفك بها الدماء ، ويهدم بها الدور ويكشف بها الستور ، وأنمام أشرف من وطىء الأرض بقدم ، فأقرب أقاويل السحر من الصواب أنه بمنزلة الطب ، إن الساحر عالج الرجل فامتنع من بجامعة النساء فجاء الطبيب فعالجه بغير ذلك العلاج ، فأبرىء .

قال : فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضع؟ قال : الشريف المطيع ، والوضيع العاصي .

قال : أليس فيهم فاضل ومفضل؟ قال : إنما يتفاضلون بالتقوى .

قال : فتقول إن ولد آدم كلهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلا بالتقوى؟

قال : نعم . إني وجدت أصل الخلق التراب ، والأب آدم والأم حواء ، خلقهم إله واحد ، وهم عبيده ، إن الله عز وجل اختار من ولد آدم أناساً طهر ميلادهم ، وطيب أبدانهم ، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، أخرج منهم الأنبياء والرسل ، فهم أزكى فروع آدم ، فعل ذلك لأمر استحقوه من الله عز وجل ولكن علم الله منهم - حين ذراهم - أنهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً فهو لاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده ، وهؤلاء الذين لهم الشرف والفضل والحسب ، وسائر الناس سواء ألا من اتقى الله أكرمه ، ومن أطاعه أحبه ، ومن أحبه لم يعذبه بالنار!!

قال : فأخبرني عن الله عز وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحدين وكان على ذلك قادراً؟

قال : ع : لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب ، لأن الطاعة إذا ما كانت فعلهم لم يكن جنة ولا نار ، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته واحتج عليهم برسله وقطع عندهم بكتبه ، ليكونوا هم الذين

يطيعون ويعصون ويستوجبون بطاعتهم له الثواب وجمعتهم إياه العقاب.

قال : فالعمل الصالح من العبد هو فعله ، والعمل الشر من العبد هو فعله ؟

قال : العمل الصالح من العبد بفعله والله به أمره ، والعمل الشر من العبد بفعله والله عنه نهاه .

قال : أليس فعله بالآلة التي ركبها فيه ؟

قال : نعم . ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر على الشر الذي نهاه عنه .

قال : فإلى العبد من الأمر شيء ؟

قال : ما نهاه الله عن شيء الا وقد علم أنه يطيق تركه ، ولا أمره بشيء الا وقد علم أنه يستطيع فعله ، لأنه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون .

قال : فمن خلقه الله كافراً أيسطيع الايمان وله عليه بتركه الايمان حجة ؟

قال «ع» : إن الله خلق خلقه جميعاً مسلمين ، أمرهم ونهاهم ، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد ، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً ، إنه إنما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجة من الله ، فعرض عليه الحق فجحده فبأنكاره الحق صار كافراً .

قال : أفيجوز أن يقدر على العبد الشر ، وبأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعلمه ، ويعذبه عليه ؟

قال : إنه لا يليق بعدل الله ورافته أن يقدر على العبد الشر ويريد منه ، ثم يأمره بما يعلم أنه لا يستطيع أخذه ، والانزاع عما لا يقدر على تركه ، ثم يعذبه على أمره الذي علم أنه لا يستطيع أخذه .

قال : بماذا استحق الذين أغناهم وأوسع عليهم من رزقه الغناء والسعة ، وبماذا استحق الفقير التفتير والتضييق ؟

قال : اختبر الأغنياء بما أعطاهم لينظر كيف شكرهم ، والفقراء بما منعهم لينظر كيف صبرهم .

ووجه آخر : إنه عجل لقوم في حياتهم ، ولقوم آخر ليوم حاجتهم إليه .

ووجه آخر : فإنه علم احتمال كل قوم فأعطاهم على قدر احتمالهم ولو كان الخلق كلهم أغنياء لخربت الدنيا وفسد التدبير ، وصار أهلها إلى الفناء ولكن جعل بعضهم لبعض عوناً ، وجعل أسباب أرزاقهم في ضروب الأعمال وأنواع الصناعات ، وذلك أدوم في البقاء وأصح في التدبير ، ثم اختبر الأغنياء بالاستعطاف على الفقراء ، كل ذلك لطف ورحمة من الحكيم الذي لا يعاب تدبيره .

قال : فيما استحق الطفل الصغير ما يصيبه من الأوجاع والأمراض بلا ذنب عمله ، ولا جرم سلف منه ؟

قال : إن المرض على وجوه سنى : مرض بلوى ومرض عقوبة ، ومرض جعل علة للفناء ، وأنت تزعم أن ذلك من أغذية ودية ، وأشربة ودية ، أو من علة كانت بامه ، وتزعم : أن من أحسن السياسة لبدنه . وأجمل النظر

في أحوال نفسه وعرف الضار مما يأكل من النافع لم يمرض ، وتميل في قولك إلى من يزعم : أنه لا يكون المريض والموت إلا من المطعم والمشرب ! قدماء ارسطاطاليس معلم الأطباء وافلاطون رئيس الحكماء ، وجالينوس شاخ ودق بصره وما دفع الموت حين نزل بساحته ، ولم يألوا حفظ أنفسهم ، والنظر لما يوافقها ، كم مريضاً قدزاده المعالج سقماً ، وكم من طبيب عالم ، وبصير بالأدواء والأدوية ماهر ، مات وعاش الجاهل بالطب بعده زماناً ، فلا ذاك نفعه علمه بطبه عند انقطاع مدته وحضور أجله ، ولا هذا ضرره الجهل بالطب مع بقاء المدة وتأخر الأجل .

ثم قال «ع» : إن أكثر الأطباء قالوا : إن علم الطب لم تعرفه الأنبياء ، فما نصنع على قياس قولهم بعلم زعموا ليس تعرفه الأنبياء الذين كانوا حجج الله على خلقه ، وامناءً في أرضه ، وخزان علمه ، وورثة حكمته ، والأدلاء عليه ، والدعاة إلى طاعته ؟

ثم إنني وجدت أن أكثرهم ينتكب في مذهبه سبل الأنبياء ويكذب الكتب المنزلة عليهم من الله تبارك وتعالى ، فهذا الذي أزهدي في طلبه وحامله .

قال : فكيف تزهد في قوم وأنت مؤدبهم وكبيرهم ؟

قال «ع» : إنني رأيت الرجل الماهر في طبه إذا سأله لم يقف على حدود نفسه وتأليف بدنه وتركيب أعضائه ومجرى الأغذية في جوارحه ، ومخرج نفسه وحركة لسانه ، ومستقر كلامه ونور بصره وانتشار ذكره ، واختلاف شهواته وانسكاب عبراته ، ويجمع سمعه وموضع عقله ، ومسكن روحه ومخرج عطسته ، وهيج غمومه وأسباب سروره ، وعلة ما حدث فيه من بكم وصمم وغير ذلك ، لم يكن عندهم في ذلك أكثر من أقاويل استحسوها ، وعمل فيما بينهم جوزوها .

قال : فأخبرني عن الله أله شريك في ملكه ، أو مضاد له في تدبيره ؟ قال : لا .

قال : فما هذا الفساد الموجود في العالم : من سباع ضارية ، وهوام مخوفة وخلق كثير مشوهة ، ودود وبعوض وحيات وعقارب وزعمت : أنه لا يخلق شيئاً إلا لعله ، لأنه لا يعيثر ؟

قال : ألسنت تزعم : أن العقارب تنفع من وجع المثانة والحصى ، ولين يبول في الفراش ، وأن أفضل الترياق ما عولج من لحوم الأفاعي ، فإن لحومها إذا أكلها المجذوم يشب نفعه ، وتزعم : أن الدود الأحمر الذي يصاب تحت الأرض نافع للآكلة ؟ قال : نعم .

قال «ع» : فأما البعوض والبق : فبعض سببه أنه جعله أرزاق الطير ، وأهان بها جباراً تمرد على الله وتمجبر ، وأنكر ربوبيته ، فسلب الله عليه أضعف خلقه ليريه قدرته وعظمته ، وهي البعوض ، فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه فقتلته واعلم أنا لو وقفنا على كل شيء خلقه الله تعالى لم خلقه ؟ ولأي شيء أنشأه ؟ لكننا قد ساويناه في علمه وعلمنا كلها يعلم واستغنيانا عنه ، وكنا وهو في العلم سواء .

قال : فأخبرني هل يعاب شيء من خلق الله وتدبيره ؟ قال : لا .

قال : فإن الله خلق خلقه عزلاً ، أذلك منه حكمة أم عيب ؟ قال : بل منه حكمة .

قال : غيرتم خلق الله ، وجعلتم فعلكم في قطع الغلظة أصوب مما خلق الله لها ، وعبتم الأغلف والله خلقه ، ومدحتم الختان وهو فعلكم . أم تقولون إن ذلك من الله كان خطأ غير حكمة ؟!

قال «ع» : ذلك من الله حكمة وصواب ، غير أنه سن ذلك وأوجبه على خلقه ، كما أن المولود إذا خرج من بطن أمه وجدنا سرته متصلة بسرة أمه كذلك خلقها الحكيم فأمر العباد بقطعها ، وفي تركها فساد بين للمولود والام وكذلك أظفار الإنسان : أمر إذا طالت أن تقلم ، وكان قادراً يوم دبر خلق الإنسان أن يخلقها خلقة لا تطول ، وكذلك الشعر من الشارب والرأس يطول فيجزو كذلك الثيران خلقها الله فحولة وإخصاؤها أوفق ، وليس في ذلك عيب في تقدير الله عز وجل .

قال : ألسنت تقول : يقول الله تعالى : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ وقد نرى المضطر يدعوه فلا يجاب له ، والمظلوم يستنصره على عدوه فلا ينصره ؟

قال : ويحك ! ما يدعوه أحد إلا استجاب له ، أما الظالم : فدعاه مردود إلى أن يتوب إليه ، وأما المحق : فانه إذا دعاه استجاب له ، وصرف عنه البلاء من حيث لا يعلمه ، أو أخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته إليه ، وإن لم يكن الأمر الذي سأل العبد خيراً له إن أعطاه أمسك عنه ، والمؤمن العارف بالله ربما عز عليه أن يدعوه فيما لا يدري أصواب ذلك أم خطأ ، وقد يسأل العبد ربه هلاك من لم ينقطع مدته أو يسأل المطر وقتاً ولعله أوان لا يصلح فيه المطر ، لأنه أعرف بتدبير ما خلق من خلقه ، وأشبه ذلك كثيرة فافهم هذا .

قال : أخبرني أيها الحكيم ، ما بال السماء لا ينزل منها إلى الأرض أحد ولا يصعد من الأرض إليها بشر ، ولا طريق إليها ، ولا مسلك ، فلو نظر العباد في كل دهر مرة من يصعد إليها وينزل ، لكان ذلك أثبت في الربوبية وأنفى للشك وأقوى لليقين ، وأجدر أن يعلم العباد أن هناك مديراً إليه يصعد الصاعد ومن عنده يهبط الهابط ؟!

قال : إن كل ما ترى في الأرض من التدبير إنما هو ينزل من السماء ، ومنها يظهر ، أما ترى الشمس منها تطلع ، وهي نور النهار ، وفيها قوام الدنيا ، ولو حبست حار من عليها وهلك ، والقمر منها يطلع ، وهو نور الليل ، وبه يعلم عدد السنين والحساب ، والشهور والأيام ، ولو حبس لحر من عليها وفسد التدبير ، وفي السماء النجوم التي يمتدى بها في ظلمات البر والبحر ، ومن السماء ينزل الغيث الذي فيه حياة كل شيء : من الزرع والنبات والأنعام ، وكل الخلق لو حبس عنهم لما عاشوا ، والرياح لو حبست لفسدت الأشياء جميعاً وتغيرت ، ثم الغيم والرعد والبرق والصواعق ، كل ذلك إنما هو دليل على أن هناك مديراً يدبر كل شيء ومن عنده ينزل ، وقد كلم الله موسى وناجاه ، ورفع الله عيسى بن مريم والملائكة تنزل من عنده ، غير أنك لا تؤمن بما لم تره بعينك ، وفيما تراه بعينك كفاية إن تفهم وتعقل .

قال : فلو أن الله رد إلينا من الأموات في كل مائة عام واحداً لنسأله عن مضي منا . إلى ما صاروا وكيف حالهم ، وماذا لقوا بعد الموت . وأي شيء صنع بهم ، لعمل الناس على اليقين ، واضمحل الشك ، وذهب الغل عن القلوب .

قال : إن هذه مقالة من أنكر الرسل وكذبهم ، ولم يصدق بما جاءوا به من عند الله ، إذ أخبروا وقالوا : إن

الله أخبر في كتابه عز وجل على لسان أنبيائه، حال من مات منا، أفيكون أحد أصدق من الله قولاً ومن رسله.

وقد رجع إلى الدنيا أممات خلق كثير، منهم: «أصحاب الكهف» أمماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة، ثم بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث، ليقطع حجنتهم، وليريهم قدرته وليعلموا أن البعث حق.

وأممات الله «أرمياء» النبي «ع» الذي نظر إلى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاهم بخت نصر وقال: «أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام» ثم أحياء ونظر إلى أعضائه كيف تلثم، وكيف تلبس اللحم، وإلى مفاصله وعروقه كيف توصل، فلما استوى قاعداً قال: «أعلم أن الله على كل شيء قدير».

وأحياء الله قوماً خرجوا عن أوطانهم هارين من الطاعون لا يحصى عددهم، وأمماتهم الله دهرًا طويلاً حتى بليت عظامهم، وتقطعت أوصالهم وصاروا تراباً، بعث الله في وقت أحب أن يري خلقه قدرته نبياً يقال له: «حزقيل» فدعاهم فاجتمعت أبدانهم، ورجعت فيها أرواحهم، وقاموا كهيئة يوم ماتوا، لا يفقدون من أعدادهم رجلاً، فعاشوا بعد ذلك دهرًا طويلاً.

وإن الله أممات قوماً خرجوا مع موسى «ع» حين توجه إلى الله فقالوا: «أرنا الله جهرة» فأمماتهم الله ثم أحياءهم.

قال: فأخبرني عن قال بتناسخ الأرواح من أي شيء قالوا ذلك، وبأي حجة قاموا على مذاهبهم؟

قل: إن أصحاب التناسخ قد خلفوا وراءهم منهاج الدين، وزينوا لأنفسهم الضلالات، وأمرجوا أنفسهم في الشهوات^(١) وزعموا أن السماء خاوية ما فيها شيء مما يوصف، وأن مدبر هذا العالم في صورة المخلوقين، بحجة من روى أن الله عز وجل خلق آدم على صورته، وأنه لاجنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور، والقيامة عندهم خروج الروح من قلبه ولوجه في قلب آخر، فإن كان محسناً في القلب الأول أعيد في قلب أفضل منه حسناً في أعلى درجة من الدنيا، وإن كان مسيئاً أو غير عارف صار في بعض الدواب المتعبة في الدنيا، أو هوام مشوهة الخلقة وليس عليهم صوم ولا صلاة، ولا شيء من العبادة أكثر من معرفة من تحب عليهم معرفته وكل شيء من شهوات الدنيا مباح لهم: من فروج النساء وغير ذلك من الأخوات والبنات والمخالات وذوات البعولة.

وكذلك الميتة، والخمر، والدم، فاستقبح مقاتلتهم كل الفرق، ولعنهم كل الأمم، فلما سئلوا الحجة زاغوا وحادوا، فكذب مقاتلتهم التوراة، ولعنهم الفرقان، وزعموا مع ذلك أن إلههم ينتقل من قلب إلى قلب، وأن الأرواح الأزلية هي التي كانت في آدم، ثم هلم جرأ تجري إلى يومنا هذا في واحد بعد آخر، فإذا كان الخالق في صورة المخلوق فيما يستدل على أن أحدهما خالق صاحبه؟!!

وقالوا: إن الملائكة من ولد آدم كل من صار في أعلى درجة من دينهم خرج من منزلة الامتحان والتصفية فهو ملك، فطوراً تخالهم نصارى في أشياء، وطوراً أدهرية يقولون: إن الأشياء على غير الحقيقة، فقد كان يجب

(١) أمرج الدابة: تركها تذهب حيث شامت.

عليهم أن لا يأكلوا شيئاً من اللحمان ، لأنّ الذرات عندهم كلها من ولد آدم حولوا من صورهم ، فلا يجوز أكل لحوم القربات .

قال : ومن زعم أنّ الله لم يزل ومعه طينة موزية ، فلم يستطع التفصي منها^(١) الا بامتزاجه بها ودخوله فيها ، فمن تلك الطينة خلق الأشياء !!

قال : سبحان الله تعالى !! ما أعجز إلهاً يوصف بالقدرة ، لا يستطيع التفصي من الطينة إلا كانت الطينة حية أزلية ، فكانا إلهين قديمين فامتزجا ودبرا العالم من أنفسهم ، فان كان ذلك كذلك ، فمن أين جاء الموت والفناء ؟ وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميت مع الأزلي القديم ، والميت لا يحيى منه حي .

وهذه مقالة الديصانية ، أشد الزنادقة قولاً وأمهمهم مثلاً ، نظروا في كتب قد صنفوها أو ألهمهم ، وحبروها بالفاظ مزخرفة من غير أصل ثابت ، ولا حجة توجب إثبات ما ادعوا ، كل ذلك خلافاً على الله وعلى رسله بما جاءوا عن الله .

فأما من زعم أنّ الأبدان ظلمة . والأرواح نور ، وأنّ النور لا يعمل الشر والظلمة لا تعمل الخير ، فلا يجب عليهم أن يلوموا أحداً على معصية ولا ركوب حرمة ولا إتيان فاحشة ، وإنّ ذلك عن الظلمة غير مستنكر ، لأنّ ذلك فعلها ولا له أن يدعورياً ، ولا يتضرع إليه ، لأنّ النور الرب ، والرب لا يتضرع إلى نفسه ولا يستعبد بغيره ، ولا لأحد من أهل هذه المقالة أن يقول : أحسن ، يا محسن أو أسأت ، لأنّ الاساءة من فعل الظلمة وذلك فعلها ، والاحسان من النور ، ولا يقول النور لنفسه أحسن يا محسن ، وليس هناك ثالث ، وكانت الظلمة على قياس قولهم ، أحكم فعلاً وأتقن تدبيراً وأعز أركاناً من النور ، لأنّ الأبدان محكمة ، فمن صور هذا الخلق صورة واحدة على نعوت مختلفة ؟

وكل شيء يرى ظاهراً من الزهر والأشجار والثمار والطيور والدواب يجب أن يكون إلهاً ، ثم حبست النور في حبسها والدولة لها ، وأما ما ادعوا بأنّ العاقبة سوف تكون للنور ، فدعوى ، وينبغي على قياس قولهم أن لا يكون للنور فعل ، لأنه أسير ، وليس له سلطان ، فلا فعل له ولا تدبير ، وإن كان له مع الظلمة تدبير ، فما هو بأسير بل هو مطلق عزيز ، فان لم يكن كذلك وكان أسير الظلمة ، فانه يظهر في هذا العلم إحسان وجامع فساد وشر ، فهذا يدل على أنّ الظلمة تحسن الخير وتفعله ، وكما تحسن الشر وتفعله ، فإن قالوا محال ذلك فلا نور ثبت ولا ظلمة ، وبطلت دعواهم ، ورجع الأمر إلى أنّ الله واحد وما سواه باطل ، فهذه مقالة ماني الزنديق وأصحابه .

وأما من قال : النور والظلمة بينهما حكم ، فلا بد من أن يكون أكبر الثلاثة الحكم ، لأنه لا يحتاج إلى الحاكم الا مغلوب أو جاهل أو مظلوم ، وهذه مقالة المانوية والحكاية عنهم تطول .

قال : فما قصة ماني ؟

قال : متفحص أخذ بعض المجوسية فشابهها ببعض النصرانية ، فأخطأ الملتين ولم يصب مذهباً واحداً

(١) التفصي . التخلص وتفصي عن الشيء بان عنه .

منها، وزعم أن العالم دبر من إلهين، نور وظلمة، وأن النور في حصار من الظلمة على ما حكينا منه، فكذبه النصارى، وقبلته المجوس.

قال: فأخبرني عن المجوس أبعث الله إليهم نبياً؟ فإنني أجد لهم كتباً محكمة ومواعظ بليغة، وأمثالا شافية، يقرون بالثواب والعقاب، ولهم شرايع يعمادون بها.

قال (ع): ما من أمة الا خلا فيها نذير، وقد بعث إليهم نبي بكتاب من عند الله، فأنكروه وجحدوا كتابه.

قال: ومن هو فان الناس يزعمون أنه خالد بن سنان؟

قال (ع): إن خالداً كان عربياً بدوياً، ما كان نبياً، وإنما ذلك شيء يقوله الناس.

قال: أفزدشت؟

قال: إن زردشت أتاهم بزممة، وادعى النبوة، فأمن منهم قوم وجحدوه قوم، فأخرجوه فأكلته السباع في بركة من الأرض.

قال: فأخبرني عن المجوس كانوا أقرب إلى الصواب في دهرهم، أم العرب؟

قال: العرب في الجاهلية، كانت أقرب إلى الدين الحنيفي من المجوس وذلك أن المجوس كفرت بكل الأنبياء وجحدت كتبهم، وأنكرت براهينهم ولم تأخذ بشيء من سنتهم وآثارهم، وإن كيخسرو ملك المجوس في الدهر الأول قتل ثلاثمائة نبي، وكانت المجوس لا تغتسل من الجنابة، والعرب كانت تغتسل والإغتسال من خالص شرايع الحنيفية، وكانت المجوس لا تختن وهو من سنن الأنبياء، وأول من فعل ذلك إبراهيم خليل الله، وكانت المجوس لا تغسل موتاهم ولا تكفنها، وكانت العرب تفعل ذلك، وكانت المجوس ترمي الموتى في الصحارى والنواويس والعرب توارىها في قبورها وتلحدها، وكذلك السنة على الرسل، إن أول من حفر له قبر آدم أبو البشر، والحد له الحد، وكانت المجوس تأتي الامهات وتنكح البنات والأخوات، وحرمت ذلك العرب، وأنكرت المجوس بيت الله الحرام وسمته بيت الشيطان، والعرب كانت تحجه وتعظمه، وتقول: بيت ربنا، وتقرب بالتوراة والانجيل، وتسأل أهل الكتب وتأخذ، وكانت العرب في كل الأسباب أقرب إلى الدين الحنيفي من المجوس.

قال: فانهم احتجوا بإتيان الأخوات أنها سنة من آدم.

قال: فما حجتهم في إتيان البنات والامهات وقد حرم ذلك آدم، وكذلك نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وسائر الأنبياء، وكل ما جاء عن الله عز وجل.

قال: ولم حرم الله الخمر ولا لذة أفضل منها؟

قال: حرمها لأنها أم الخبائث، ورأس كل شر، يأتي على شاربها ساعة يسلب له، ولا يعرف ربه، ولا

احتجاج الإمام الصادق (ع) على الزنادقة ٣٤٧

يترك معصية إلا ركبها ولا حرمة إلا انتهكها ولا رحم ماسة إلا قطعها، ولا فاحشة إلا أتاها، والسكران زمامه بيد الشيطان، إن أمره أن يسجد للأوثان سجد، وينقاد حيث ما قاده.

قال: فلم حرم الدم المسفوح؟

قال: لأنه يورث القساوة، ويسلب الفؤاد رحمته، ويعفن البدن ويغير اللون وأكثر ما يصيب الإنسان الجذام يكون من أكل الدم.

قال: فأكل الغدد؟ قال: يورث الجذام.

قال: فلميته لم حرمها؟ قال: فرقا بينها وبين ما يذكي ويذكر اسم الله عليه، والميته قد جمد فيها الدم وتراجع إلى بدنها، ف لحمها ثقيل غير مريء لأنها يؤكل لحمها بدمها.

قال: فالسمك ميتة؟ قال: إن السمك ذكاته إخراج حيا من الماء، ثم يترك حتى يموت من ذات نفسه، وذلك أنه ليس له دم، وكذلك الجراد.

قال: فلم حرم الزنا؟ قال: لما فيه من الفساد وذهاب الموارث وانقطاع الأنساب، لا تعلم المرأة في الزنا من أحبلها، ولا المولود يعلم من أبوه، ولا أرحام موصولة، ولا قرابة معروفة.

قال: فلم حرم اللواط؟ قال: من أجل أنه لو كان إتيان الغلام حلالا لاستغنى الرجال عن النساء وكان فيه قطع النسل، وتعطيل الفروج، وكان في إجازة ذلك فساد كثير.

قال: فلم حرم إتيان البهيمة؟

قال: كره أن يضيع الرجل مائه ويأتي غير شكله، ولو أباح ذلك لربط كل رجل أتاناً يركب ظهرها ويغشى فرجها، وكان يكون في ذلك فساد كثير فأباح ظهورها، وحرم عليهم فروجها، وخلق للرجال النساء ليأنسوا بهن ويسكنوا إليهن، ويكنن مواضع شهواتهم، وامهات أولادهم.

قال: فما علة الغسل من الجنابة، وإن ما أتى حلالا وليس في الحلال تدنيس؟

قال (ع): إن الجنابة بمنزلة الحيض، وذلك أن النطفة دم لم يستحكم ولا يكون الجماع إلا بحركة شديدة وشهوة غالبية، فإذا فرغ تنفس البدن ووجد الرجل من نفسه رائحة كريهة، فوجب الغسل لذلك، وغسل الجنابة مع ذلك أمانة ائتمن الله عليها عبده ليختبرهم بها.

قال: أيها الحكماء! فما تقول فيمن زعم أن هذا التدبير الذي يظهر في العالم تدبير النجوم السبعة؟

قال (ع): يحتاجون إلى دليل، أن هذا العالم الأكبر والعالم الأصغر من تدبير النجوم التي تسبح في الفلك، وتدور حيث دارت متعبة لا تفتر، وسائرة لا تقف.

ثم قال: وإن لكل نجم منها موكل مدبر، فهي بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين فلو كانت قديمة أزلية لم تتغير من حال إلى حال.

قال: فمن قال بالطبايع؟

قال: القدريّة، فذلك قول من لم يملك البقاء، ولا صرف الحوادث وغيرته الأيام والليالي، لا يرد الهرم، ولا يدفع الأجل، ما يدري ما يصنع به.

قال: فأخبرني عمن يزعم: أنّ الخلق لم يزل يتناسلون ويتوالدون ويذهب قرن ويحيى قرن، وتفنيهم الأمراض والأعراض وصنوف الآفات، ويخبرك الآخر عن الأول، وينبئك الخلف عن السلف، والقرون عن القرون، أنهم وجدوا الخلق على هذا الوصف بمنزلة الشجر والنبات، في كل دهر يخرج منه حكيم عليم بمصلحة الناس، بصيربناليف الكلام، ويصنف كتاباً قد حبره بفضته، وحسنه بحكمته، قد جعله حاجزاً بين الناس، يأمرهم بالخير ويحثهم عليه، وينهاهم عن السوء والفساد ويزجرهم عنه، لئلا يتهارشوا، ولا يقتل بعضهم بعضاً؟

قال «ع»: ويحك! إنّ من خرج من بطن امه أمس، ويرحل عن الدنيا غداً لا علم له بما كان قبله ولا ما يكون بعده، ثم إنه لا يخلو الانسان من أن يكون خلق نفسه أو خلقه غيره: أولم يزل موجوداً، فما ليس بشيء ليس يقدر أن يخلق شيئاً وهو ليس بشيء، وكذلك ما لم يكن فيكون شيئاً، يسئل فلا يعلم كيف كان ابتداءه، ولو كان الانسان أزلماً لم تحدث فيه الحوادث، لأن الأزل لا تغيره الأيام، ولا يأتي عليه الفناء، مع أننا لم نجد بناءاً من غير باني، ولا اثرأ من غير مؤثر، ولا تأليفاً من غير مؤلف، فمن زعم أن أباه خلقه، قيل: فمن خلق أباه؟ ولو أن الأب هو الذي خلق ابنه لخلقته على شهوته. وصورة على محبته ولملك حياته، ولجاز فيه حكمه، ولكنه إن مرض فلم ينفعه، وإن مات فعجز عن رده، إن من استطاع أن يخلق خلقاً وينفخ فيه روحاً حتى يمشي على رجله سواً، يقدر أن يدفع عنه الفساد.

قال: فما تقول في علم النجوم؟

قال: هو علم قلّت منافعه، وكثرت مضراته، لأنه لا يدفع به المقدور ولا يتقى به المحذور، إنّ المنجم بالبلاء لم ينجّه التحرز من القضاء، إن أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم يضاد الله في علمه، يزعمه أن يرد قضاء الله عن خلقه.

قال: فالرسول أفضل أم الملك المرسل إليه؟

قال: بل الرسول أفضل.

قال: فما علة الملائكة الموكلين بعباده، يكتبون عليهم ولهم، والله عالم السر وما هو أخفى؟

قال: استعبدتهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه، ليكون العباد لملازماتهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة، وعن معصيته أشد انقباضاً، وكم من عبديهم بمعصيته فذكر مكانها فارغوى وكف، فيقول ربّي يراني، وحفظتي عليّ بذلك تشهد، وإن الله برأفته ولطفه أيضاً وكلهم بعباده، يذبون عنهم مرّة الشيطان وهوأم الأرض، وآفات كثيرة من حيث لا يرون باذن الله إلى أن يحيى أمر الله.

قال : فخلق الخلق للرحمة أم للعذاب ؟

قال : خلقهم للرحمة ، وكان في علمه قبل خلقه إياهم ، أن قوماً منهم يصيرون إلى عذابه بأعمالهم الردية وجحدهم به .

قال : يعذب من أنكر فاستوجب عذابه بانكاره فبم يعذب من وحده وعرفه ؟

قال : يعذب المنكر لأهنيته عذاب الأبد ، ويعذب المقر به عذاب عقوبة لمعصيته إياه فيها فرض عليه ، ثم يخرج ، ولا يظلم ربك أحداً .

قال : فبين الكفر والإيمان منزلة ؟ قال «ع» : لا .

قال : فما الإيمان وما الكفر ؟ قال «ع» : الإيمان : أن يصدق الله فيما غاب عنه من عظمة الله ، كتصديقه بما شاهد من ذلك وعائنه ، والكفر : الجحود .

قال : فما الشرك وما الشك ؟ قال «ع» : الشرك هو : أن يضم إلى الواحد الذي ليس كمثله شيء آخر والشك : ما لم يعتقد قلبه شيئاً .

قال : أفيكون العالم جاهلاً ؟ قال «ع» : عالم بما يعلم ، وجاهل بما يجهل .

قال : فما السعادة وما الشقاوة ؟ قال : السعادة : سبب الخير ، تمسك به السعيد فيجره إلى النجاة ، والشقاوة سبب خذلان ، تمسك به الشقي فيجره إلى الهلكة ، وكل يعلم الله .

قال : أخبرني عن السراج إذا انطفئ أين يذهب نوره ؟ قال «ع» : يذهب فلا يعود .

قال : فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه أبداً إذا انطفئ ؟

قال : لم تصب القياس ، إن النار في الأجسام كامنة . والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد ، فإذا ضرب أحدهما بالآخر سقطت من بينهما نار ، تقتبس منها سراج له ضوء ، فالنار ثابتة في أجسامها والضوء ذاهب ، والروح : جسم رقيق قد البس قالباً كثيفاً ، وليس بمنزلة السراج الذي ذكرت . إن الذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف ، وركب فيه ضروباً مختلفة : من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك ، وهو يحياه بعد موته ، ويعيده بعد فثائه .

قال : فأين الروح ؟ قال : في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث .

قال : فمن صلب فأين روحه ؟

قال : في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الأرض .

قال : فأخبرني عن الروح أغير الدم ؟

قال: نعم، الروح على ما وصفت لك: مادتها من الدم، ومن الدم رطوبة الجسم وصفاء اللون، حسن الصوت، وكثرة الضحك، فإذا جمد الدم فارق الروح البدن.

قال: فهل يوصف بخفة وثقل ووزن؟

قال: الروح بمنزلة الريح في الزق، إذا نفخت فيه امتلأ الزق منها، فلا يزيد في وزن الزق ولوجها فيه، ولا ينقصها خروجها منه، كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن.

قال: فأخبرني ما جوهر الريح؟

قال: الريح هواء إذا تحرك يسمى ريحاً، فإذا سكن يسمى هواء، وبه قوام الدنيا، ولو كفت الريح ثلاثة أيام لفسد كل شيء على وجه الأرض وتن، وذلك أن الريح بمنزلة المروحة، تذب وتدفع الفساد عن كل شيء وتطفيه، فهي بمنزلة الروح إذا خرج عن البدن تن البدن وتغير، وتبارك الله أحسن الخالقين.

قال: أفتلاشى الروح بعد خروجها عن قلبه أم هو باق؟

قال: بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء، وتنفى فلا حس ولا محسوس، ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها، وذلك أربع مائة سنة يسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين.

قال: وأنى له بالبعث والبدن قديلي، والأعضاء قد تفرقت، فعضو ببلدة يأكلها سباعها، وعضو بأخرى تمزقه هوامها، وعضو صار تراباً بقي به مع الطين حائط؟

قال «ع»: إن الذي أنشأه من غير شيء، وصوره على غير مثال كان سبق إليه، قادر أن يعيده كما بدأه. قال: أوضح لي ذلك!

قال: إن الروح مقيمة في مكانها، روح المحسن في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً كما منه خلق، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته ومزقته كل ذلك في التراب. يحفظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض، ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور، فتربو الأرض ثم تمخضوا مخض السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء، والزبد من اللبن إذا مخض، فيجتمع تراب كل قالب إلى قلبه، فينتقل باذن الله القادر إلى حيث الروح، فتعود الصور باذن المصور كهيئتها، وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً.

قال: فأخبرني عن الناس يحشرون يوم القيامة عراة؟ قال «ع»: بل يحشرون في أكفانهم.

قال: أتى لهم بالأكفان وقد بليت؟ قال «ع»: إن الذي أحيا أبدانهم جدد أكفانهم.

قال: فمن مات بلا كفن؟ قال «ع»: يستر الله عورته بما يشاء من عنده.

قال: أفيعرضون صفوفاً؟ قال «ع»: نعم، هم يومئذ عشرون ومائة ألف صف في عرض الأرض.

قال: أوليس توزن الأعمال؟

قال «ع»: لا، إن الأعمال ليست بأجسام، وإنما هي صفة ما عملوا، وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء، ولا يعرف ثقلها أو خفتها، وإن الله لا يخفى عليه شيء.

قال: فما معنى الميزان؟ قال «ع»: العدل.

قال: فما معناه في كتابه: ﴿فمن ثقلت موازينه﴾؟

قال «ع»: فمن رجح عمله.

قال: فأخبرني أو ليس في النار مقتنع أن يعذب خلقه بها دون الحيات والعقارب؟

قال «ع»: إنما يعذب بها قومًا زعموا أنها ليست من خلقه، وإنما شريكه الذي يخلقه، فيسلط الله عليهم العقارب والحيات في النار ليزيقهم بها وبال ما كذبوا عليه فجحدوا أن يكون صنعه.

قال: فمن أين قالوا: ﴿إن أهل الجنة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها فإذا أكلها عادت كهيتها﴾؟

قال «ع»: نعم، ذلك على قياس السراج: يأتي القابس فيقتبس عنه، فلا ينقص من ضوئه شيئاً، وقد امتلئت الدنيا منه سراجاً.

قال: أليسوا يأكلون ويشربون، وتزعم أنه لا يكون لهم الحاجة؟

قال «ع»: بلى، لأن غذاءهم رقيق لا ثقل له، بل يخرج من أجسادهم بالعرق.

قال: فكيف تكون الحوراء في جميع ما أتاها زوجها عذراء؟

قال «ع»: لأنها خلقت من الطيب لا يعتريها عاهة، ولا يخالط جسمها آفة ولا يجري في ثقبها شيء، ولا يدنسها حيض، فالرحم ملتزقة ملدم، إذ ليس فيها لسوى الاحليل مجرى.

قال: فهي تلبس سبعين حلة، ويرى زوجها مخ ساقها من وراء حللها وبدنها؟

قال «ع»: نعم، كما يرى أحدكم الدراهم إذا ألقيت في ماء صاف قدره قدر رمح.

قال: فكيف تنعم أهل الجنة بما فيه من النعيم، وما منهم أحد الا وقد فقد ابنه وأباه أو حميمه أو أمه، فإذا افتقدوهم في الجنة لم يشكوا في مصيرهم إلى النار، فما يصنع بالنعيم من يعلم أن حميمه في النار ويعذب؟

قال «ع»: إن أهل العلم قالوا: إنهم ينسون ذكرهم. وقال: بعضهم انتظروا قدومهم، ورجوا أن يكونوا بين الجنة والنار في أصحاب الأعراف.

قال: فأخبرني عن الشمس أين تغيب؟

قال «ع»: إن بعض العلماء قال: إذا انحدرت أسفل القبة داربها الفلك إلى بطن السماء صاعدة أبداً،

الى أن تنحط إلى موضع مطالعها يعني : أنها تغيب في عين حامية ثم تخرق الأرض راجعة إلى موضع مطالعها ، فتحير تحت العرش حتى يؤذن لها بالطلوع ، ويسلب نورها كل يوم ، وتحلل نوراً آخر .

قال : فالكرسي أكبر أم العرش ؟

قال «ع» : كل شيء خلقه الله في جوف الكرسي ، ما خلا عرشه فإنه أعظم من أن يحيط به الكرسي .

قال : فخلق النهار قبل الليل ؟

قال «ع» : خلق النهار قبل الليل والشمس قبل القمر ، والأرض قبل السماء ووضع الأرض على الحوت والحوت في الماء والماء في صخرة مجوفة ، والصخرة على عاتق ملك . والملك على الثرى ، والثرى على الريح العقيم والريح على الهواء والهواء تمسكه القدرة ، وليس تحت الريح العقيم الا الهواء والظلمات ، ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق ، ولا شيء يتوهم ، ثم خلق الكرسي فحشاه السماوات والأرض والكرسي أكبر من كل شيء خلقه الله ، ثم خلق العرش فجعله أكبر من الكرسي .

وعن أبان بن تغلب أنه قال : كنت عند أبي عبد الله «ع» ، إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن ، فسلم عليه فرد عليه أبو عبد الله ، فقال له : مرحباً يا سعد ! فقال الرجل : بهذا الاسم سميتني أمي ، وما أقل من يعرفني به ، فقال له أبو عبد الله : صدقت يا سعد المولى ! فقال الرجل : جعلت فداك بهذا اللقب كنت ألقب . فقال أبو عبد الله «ع» : لا خير في اللقب ، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِشَرِّ الْأَسْمَاءِ الْمُسَوِّغَاتِ ﴾ .

ما صناعتك يا سعد ؟ قال : جعلت فداك ! إنا أهل بيت ننظر في النجوم ، لا يقال إن باليمن أحداً أعلم بالنجوم منا .

فقال أبو عبد الله : كم يزيد ضوء الشمس على ضوء القمر درجة ؟ فقال اليماني : لا أدري .

فقال : صدقت . فقال : فكم ضوء القمر يزيد على ضوء المشتري درجة ؟ قال اليماني : لا أدري ! فقال أبو عبد الله «ع» : صدقت !

قال : فكم يزيد ضوء المشتري على ضوء العطاردة درجة ؟ قال اليماني : لا أدري ! فقال أبو عبد الله : صدقت !

قال : فكم ضوء عطاردة يزيد درجة على ضوء الزهرة ؟ قال اليماني : لا أدري ! قال أبو عبد الله : صدقت !

قال : فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الأبل ؟ فقال اليماني : لا أدري ! فقال له أبو عبد الله «ع» : صدقت !

قال : فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر ؟ فقال اليماني : لا أدري ! فقال له أبو عبد الله «ع» : صدقت !

قال: فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب؟ فقال اليماني: لا أدري!

فقال له أبو عبدالله «ع»: صدقت في قولك لا أدري! فما زحل عندكم في النجوم؟

فقال اليماني: نجم نحس.

فقال أبو عبدالله «ع»: لا تقل هذا فإنه نجم أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو نجم الأوصياء «ع»، وهو النجم الثاقب الذي قال الله تعالى في كتابه.

فقال اليماني: فما معنى الثاقب؟

فقال: إن مطلعته في السماء السابعة، فإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا، فمن ثم سماه الله النجم الثاقب.

ثم قال: يا أخا العرب أعندكم عالم؟ فقال اليماني: جعلت فداك إن باليمن قوماً ليسوا كأحد من الناس في علمهم.

فقال أبو عبدالله «ع»: وما يبلغ من علم عالمهم؟ فقال اليماني: إن علمهم ليزجر الطير. ويقفوا الأثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحث.

فقال أبو عبدالله «ع»: فإن عالم المدينة أعلم من عالم اليمن. قال اليماني: وما يبلغ علم عالم المدينة؟ قال: إن علم عالم المدينة ينتهي إلى أن لا يقفوا الأثر، ولا يزجر الطير ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس، تقطع اثني عشر رجلاً، واثني عشر برأ، واثني عشر بحرأ، واثني عشر عالماً.

فقال له اليماني: ما ظننت أن أحداً يعلم هذا، وما يدري ما كنهه!

قال: ثم قام اليماني وخرج.

وعن سعيد بن أبي الخضيب^(١) قال: دخلت أنا وابن أبي ليلى المدينة، فبينما نحن في مسجد الرسول «ص» إذ دخل جعفر بن محمد «ع»، فقمنا إليه فسألني عن نفسي وأهلي ثم قال: من هذا معك؟ فقلت: ابن أبي ليلى قاضي المسلمين! فقال: نعم. ثم قال له:

أناخذ مال هذا فتعطيه هذا، وتفرق بين المرء وزوجه، ولا تخاف في هذا أحداً؟ قال: نعم.

قال: فبأي شيء تقضي؟

قال: بما بلغني عن رسول «ص»، وعن أبي بكر، وعمر.

قال: فبلغك أن رسول الله «ص» قال: «أقضاكم علي بعدي»؟ قال: نعم.

(١) سعيد ابن أبي الخضيب البجلي: عنه الشيخ في رجاله ص ٢٠٥ من أصحاب الصادق عليه السلام.

قال : فكيف تقضي بغير قضاء عليّ ع، وقد بلغك هذا؟

قال : فاصف وجه ابن أبي ليل ثم قال : الشمس مثلاً لنفسك، فوالله لا اكلمك من رأسي كلمة أبداً.
وعن الحسين بن زيد^(١) عن جعفر الصادق ع أن رسول الله قال لفاطمة : يا فاطمة إن الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك.

قال : فقال المحدثون بها . قال : فأتاه ابن جريح فقال : يا أبا عبد الله حدثنا اليوم حديثاً استهزأه الناس .

قال : وما هو؟

قال : حديث أن رسول الله قال لفاطمة : «إن الله ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك» .

قال : فقال ع : إن الله ليغضب فيما تروون لعبده المؤمن ويرضى لرضاه؟ فقال : نعم .

قال ع : فما تنكر أن تكون ابنة رسول الله ص مؤمنة، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها . قال : صدقت! الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وعن حفص بن غياث^(٢) قال : شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء^(٣) يسأل أبا عبد الله ع عن قوله تعالى : ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ ما ذنب الغير؟

قال : ويحك هي هي وهي غيرها! ع

قال : فمثل لي ذلك شيئاً من أمر الدنيا! قال : نعم أرايت لو أن رجلاً أخذ لبنة فكسرها، ثم ردها في ملبنها، فهي هي وهي غيرها .

وروي أنه سئل الصادق ع عن قول الله عز وجل في قصة إبراهيم ع : ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ قال : ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم ع . قيل : وكيف ذلك؟

فقال : إنما قال إبراهيم : فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فإن نطقوا فكبيرهم فعل ، وإن لم ينطقوا فكبيرهم لم يفعل شيئاً، فما نطقوا، وما كذب إبراهيم ع .

(١) ذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ٥١ فقال : الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام . أبو عبد الله ، يلقب ذا الدمة كان أبو عبد الله تبناه ورباه ، وزوجه بنت الأرقط ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليها السلام ، وكتابه يختلف الرواية .

(٢) حفص بن غياث : عنه الشيخ في رجاله ص ١١٨ من أصحاب الباقر ع وذكره في أصحاب الصادق عليه السلام أيضاً ص ١٧٥ فقال : حفص بن غياث بن طلحة بن معاوية . أبو عمر النخعي القاضي الكوفي أسد عنه ، وذكره في باب من لم يرو عن الأئمة عليهم السلام ص ٤٧١ والعلامة في القسم الثاني من خلاصته ص ٢١٨ وقال : ولي القضاء هارون وروى عن الصادق ع وكان عامياً وله كتاب معتمد .

(٣) عبد الكريم بن أبي العوجاء هذا من تلامذة الحسن البصري وقد انحرف عن التوحيد وحسه محمد بن سليمان عامل الكوفة من جهة التصور وهو خال مع بن زائدة فكثير شغلهم بمدينة السلام وألحوا على المنصور حتى كتب إلى محمد بالكف عنه وقيل أن يحيى الكتاب إلى محمد بن سليمان بعث عليه وأمر بضرب عنقه فلما أيقن أنه مقتول قال أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال واحل بها الحرام ولقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتكم في يوم فطركم ثم ضربت عنقه .

فسئل عن قوله في سورة يوسف: ﴿أَيُّهَا الْعَبْرَانِ كُمْ لَسَارِقُونَ﴾؟

قال: إنهم سرقوا يوسف من أبيه. ألا ترى أنه قال لهم: ﴿قَالُوا مَاذَا تَفْقَدُونَ قَالُوا نَفْقَدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾، ولم يقل سرقتم صواع الملك. إنما سرقوا يوسف من أبيه.

فسئل عن قول إبراهيم: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قال: ما كان إبراهيم سقيماً، وما كذب إنما عني سقيماً في دينه أي مرتاداً.

وعن عبد المؤمن الأنصاري^(١) قال: قلت لأبي عبد الله (ع): إن قوماً رويوا: أن رسول الله (ص) قال: «اختلاف امتي رحمة؟» فقال: صدقوا.

قلت: إن كان اختلافهم رحمة، فاجتماعهم عذاب؟

قال: ليس حيث تذهب وذهبوا، إنما أراد قول الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ أمرهم أن ينفروا إلى رسول الله، ويختلفوا إليه، ويتعلموا، ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم، إنما أراد اختلافهم في البلدان لا اختلافاً في الدين، إنما الدين واحد.

وروي عنه صلوات الله عليه: أن رسول الله (ص) قال: ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل لكم به ولا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل وكانت في سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا، إنما مثل أصحابي فيكم كمثال النجوم، بأبيها أخذ اهتدي وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة. قيل: يا رسول الله من أصحابك؟ قال: أهل بيتي.

قال محمد بن الحسين بن بابويه القمي رضي الله عنه: إن أهل البيت لا يختلفون ولكن يفتنون الشيعة بمر الحق، وربما أفتوهم بالتقية فما يختلف من قولهم فهو للتقية، والتقية رحمة للشيعة، ويؤيد تأويله رضي الله عنه أخبار كثيرة.

منها: ما رواه محمد بن سنان، عن نصر الخثعمي^(٢) قال سمعت أبا عبد الله يقول: من عرف من أمرنا: أن لا نقول إلا حقاً، فليكتف بما يعلم منا، فإن سمع منا خلافاً ما يعلم، فليعلم أن ذلك منادفاع واختار له.

وعن عمر بن حنظلة^(٣) قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في

(١) ذكره الشيخ في أصحاب علي بن الحسين (ع) ص ٩٩ من رجاله وفي أصحاب الباقر (ع) ص ١٣١ وعده في أصحاب الصادق عليه السلام ص ٢٣٦ وذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٣١ فقال: «عبد المؤمن بن القاسم بن قيس بن قهد بفتح القاف وإسكان الهاء الأنصاري روى عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام ثقة وهو أخو أبي مريم عبد الغفار بن القاسم، وقيس بن قهد الصحابي».

(٢) نصر الخثعمي: لم أعثر فيما بين يدي من كتب الرجال على ترجمة لصاحب هذا الاسم. ولعله نصير الخثعمي فقد ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج ٢ ص ٢٩٢ فقال: نصير أبو الحكم الخثعمي. محمد بن سنان عنه عن أبي عبد الله في محاسن البرقي في باب إن المؤمن صفان.

(٣) عمر بن حنظلة العجلي البكري الكوفي: عده الشيخ في رجاله ص ٢٥١ من أصحاب الصادق عليه السلام.

دين أو ميراث ، فتحاكموا إلى السلطان أو إلى القضاة أيحل ذلك ؟

قال (ع) : من تحاكم إليهم في حق أو باطل فأنما تحاكم إلى الجبت والطاغوت المنهي عنه ، وما حكم له به فأنما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً له لأنه أخذه بحكم الطاغوت ، ومن أمر الله عز وجل أن يكفر به ، قال الله عز وجل : ﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ .

قلت : فكيف يصنعان وقد اختلفا ؟

قال : ينظران من كان منكم ممن قدروى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا ، فليرضيا به حكماً ، فإن قد جعلته عليكم حاكماً ، فإذا حكم بحكم ولم يقبله منه ، فأنما بحكم الله استخف وعلينارد ، والراد علينا كافر وراد على الله ، وهو على حد من الشرك بالله .

قلت : فإن كان كل واحد منهما اختار رجلاً من أصحابنا ، فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما فيها حكماً ، فإن الحكمين اختلفا في حديثكم ؟

قال : إن الحكم ما حكم به أعدلهما وافقهما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ، ولا يلتفت إلى ما حكم به الآخر .

قلت : فإنهما عدلان مرضيان ، عرفا بذلك لا يفضل أحدهما صاحبه ؟

قال : ينظر الآن إلى ما كان من روايتهما عننا في ذلك الذي حكما ، المجمع عليه بين أصحابك ، فيؤخذ به من حكمهما ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك ، فإن المجمع عليه لا ريب فيه ، وإنما الامور ثلاث : أمرين رشده فيتبع ، وأمرين غيه فيجتنب ، وأمر مشكل يرد حكمه إلى الله عز وجل وإلى رسوله ، حلال بين ، وحرام بين ، وشبهات تردد بين ذلك ، فمن ترك الشبهات نجاً من المحرمات ، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم .

قلت : فإن كان الخبران عنكما مشهورين قدرواهما الثغاة عنكم ؟

قال : ينظر ما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به ، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة .

قلت : جعلت فداك أرأيت إن كان الفقيهان يعرفا حكمه من الكتاب والسنة ، ثم وجدنا أحد الخبرين يوافق العامة . والآخر يخالف ، بأيها نأخذ من الخبرين ؟

قال : ينظر إلى ما هم إليه يميلون ، فإن ما خالف العامة ففيه الرشاد .

قلت : جعلت فداك ! فإن وافقهم الخبران جميعاً ؟

قال : انظروا إلى ما تميل إليه حكاهم وقضاتهم ، فاتركوا جانباً وخذوا بغيره .

قلت : فإن وافق حكاهم الخبرين جميعاً ؟

قال: إذا كان كذلك فارجعه وقف عنده، حتى تلقى إمامك، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في اهلكات، والله هو المرشد.

جاء هذا الخبر على سبيل التقدير، لأنه قلماً يتفق في الأثر أن يرد خبران مختلفان في حكم من الأحكام، موافقين للكتاب والسنة، وذلك مثل غسل الوجه واليدين في الوضوء لأن الأخبار جاءت بغسلها مرة مرة، وغسلها مرتين مرتين فظاهر القرآن لا يقتضي خلاف ذلك، بل يحتمل كلتا الروايتين، ومثل ذلك يؤخذ في أحكام الشرع.

وأما قوله «ع»: للوسائل -: أرجعه وقف عنده حتى تلقى إمامك، أمره بذلك عند تمكنه من الوصول إلى الإمام، فأما إذا كان غائباً ولا يتمكن من الوصول إليه، والأصحاب كلهم مجمعون على الخبرين، ولم يكن هناك رجحان لرواية أحدهما على الآخر بالكثرة والعدالة، كان الحكم بهما من باب التخيير.

يدل على ما قلنا: ما روي عن الحسن بن الجهم^(١) عن الرضا «ع»: قال: قلت للرضا «ع»: نجيبنا الأحاديث عنكم مختلفة؟

قال: ما جاءك عنا فقهه على كتاب الله عز وجل وأحاديثنا، فإن كان يشبههما فهو منا وإن لم يشبههما فليس منا.

قلت: يجيبنا الرجلان، وكلاهما ثقة، بحديثين مختلفين، فلا نعلم أيهما الحق.

فقال: إذا لم تعلم فموسع عليك بأيهما أخذت

مارواه الحرث بن المغيرة^(٢) عن أبي عبد الله «ع»: قال: إذا سمعت من أصحابك الحديث وكلهم ثقة، فموسع عليك حتى ترى القائم فترده عليه.

وروي سماعة بن مهران^(٣) قال: سألت أبا عبد الله «ع»: قلت: يرد علينا حديثان، واحد يأمرنا بالآخذ به، والآخر به ينهانا عنه؟

(١) الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين: أبو محمد الشيباني ثقة روى عن أبي الحسن موسى والرضا عليهما السلام ذكره العلامة في الفهرست الأول من خلاصته ص ٤٣ والنجاشي في رجاله ص ٤٠ والشيخ في أصحاب الكاظم ص ٣٤٧ من رجاله.
(٢) قال العلامة في الفهرست الأول من خلاصته ص ٥٥ الحرث بن المغيرة النصري - بالنون والصاد غير المعجمة - روى الكشي عن محمد بن قولويه قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن عبد الله بن محمد الحجال عن يونس بن يعقوب قال: كنا عند أبي عبد الله «ع» فقال: أما لكم من مفرع! أما لكم من مستراح تستريحون إليه! أما يمنعكم من الحرث بن المغيرة النصري؟ وروى حديثاً في طريقه سجادة: أنه أهل الجنة.

وقال النجاشي: حارث بن المغيرة النصري من بني نصر بن معاوية بصري عربي روى عن أبي جعفر الباقر والصادق والكاظم «ع» وعن زيد بن علي عليه السلام ثقة ثقة.

(٣) قال النجاشي ص ١٤٦ من رجاله: «سماعة بن مهران بن عبد الرحمن الحضرمي مولى عبد بن وإبل بن حجر الحضرمي يكنى: أبا ناشرة وقيل: أبا محمد كان يتجر في القز ويخرج به إلى حران، ونزل من الكوفة كنفة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن «ع» ومات بالمدينة ثقة وله بالكوفة مسجد بحضرموت وهو مسجد زرة بن محمد الحضرمي بعده، وذكره أحمد بن الحسين رحمه الله وأنه وجد في بعض الكتب أنه مات سنة خمس وأربعين ومائة في حياة أبي عبد الله، وذلك أن أبا عبد الله «ع» قال: إن رجعت لم ترجع إلينا فأقام عنده فمات في تلك السنة، وكان =

قال: لا تعمل بواحد منهما حتى تلقى صاحبك فتسأله عنه.

قال: قلت: لا بد من أن نعمل بأحدهما.

قال: خذ بما فيه خلاف العامة، فقد أمر «ع» بترك ما وافق العامة، لانه يحتمل أن يكون قد ورد مورد الثقة، وما خالفهم لا يحتمل ذلك.

وروي عنهم «ع» أيضاً أنهم قالوا: إذا اختلف احاديثنا عليكم فخذوا بما اجتمعت عليه شيعتنا، فانه لا ريب فيه، وامثال هذه الاخبار كثيرة لا يحتمل ذكرها هنا، وما اوردناه عارض ليس هنا موضعه. وعن بشير بن يحيى العامري^(١) عن ابن أبي ليلى^(٢) قال: دخلت أنا والنعمان أبو حنيفة^(٣) على جعفر بن محمد، فرحب بنا فقال:

== نحواً من ستين سنة وليس أعلم كيف هذه الحكاية لأن سماعة روى عن أبي الحسن وهذه الحكاية يتضمن أنه مات في حياة أبي عبد الله «ع» والله أعلم. له كتاب يرويه عنه جماعة كثيرة «الخ» وذكره الشيخ في أصحاب الصادق ص ٢٠٤ وفي أصحاب الكاظم ص ٣١٥.

(١) بشير بن يحيى العامري: لم أعثر له على ترجمة فيها بين يدي من كتب الرجال.

(٢) في سفينة البحار ج ٢ ص ٥٢٠ أقوله: ابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن القاضي الكوفي عنه الشيخ من أصحاب الصادق «ع». كان بينه وبين أبي حنيفة منازعات توفي سنة ١٤٨ وكان أبوه من أكابر تابعي الكوفة، وجده أبو ليلى من الصحابة قال ابن النديم: واسم أبي ليلى يسار ولد أحيحة بن الجلاح وقال: ولي ابن أبي ليلى القضاء لبني أمية وولد العباس وكان يفتي بالرأي قبل أبي حنيفة، وذكره في الخلاصة في القسم الأول ونقل عن ابن عقدة أنه روى عن ابن نمير أنه كان صدوقاً مأموناً ولكنه سيء الحفظ جداً. وقال ابن داود: إنه مدح وقال المولى محمد صالح: إنه مدح مشكور صدوق مأمون. وفي التعليقة روى ابن أبي عمير عنه عن أبيه وقد أغرب أبو علي في رجاله وقال: إن نصب الرجل أشهر من كفر إبليس، وهو من مشاهير المنحرفين وتولى القضاء لبني أمية ثم لبني العباس برهة من السنين، كما ذكره غير واحد من المؤرخين ورده شهادة جملة من أجلاء أصحاب الصادق «ع» لأنهم رافضة مشهور وفي كتب الحديث مذكور، من ذلك ما ذكره الكشي في ترجمة محمد بن مسلم فلاحظ، ومن ذلك في ترجمة عمار الدهمي ويجب ذكره في الضمراء كما فعله الفاضل... قال شيخنا في المستدرك بعد نقل هذا الكلام من أبي علي: قلت: المدعى صدقه وأمانته ووثاقته في الحديث وبجرد القضاء والعامة لا ينافي ذلك. وقال صدر المحققين العاملي في حواشيه على رجاله وفي تضاعيف الاخبار ما يدل على أن ابن أبي ليلى لم يكن على ما ذكره المؤلف من النصب بل يظهر من الروايات ميله لآل محمد عليهم السلام. وروايات رد الشهادة تشهد بذلك لأنه قبل شهادتهم بعد ردها. وفي صدر الوقوف من الكافي أن ابن أبي ليلى حكم في قضية بحكم فقال له محمد بن مسلم: إن علياً عليه السلام قضى بخلاف ذلك وروى ذلك له عن الباقر «ع» فقال ابن أبي ليلى: هذا عندك؟ قال: نعم. قال: فأرسل واتني به. قال له محمد بن مسلم: هل أن لا تنظر في الكتاب الا في ذلك الحديث ثم أراه الحديث عن الباقر «ع» فرد قضية ونقضه للقضاء بعد الحكم دليل على عدم التعصب فضلاً عن النصب... وبالجمله فمن تتبع الاخبار وجد أن ابن أبي ليلى كان يقضي بما يبلغه عن الصادقين عليها السلام وبحكم بذلك بعد التوقف بل يتقضى ما كان قد حكم به إذا بلغه عنهم «ع» خلافاً فكيف يكون من حاله ذلك من النواصب؟.

(٣) أبو حنيفة: واسمه النعمان بن ثابت بن زوطي. وكان زوطي مملوكاً لبني تميم الله بن ثعلبة. وأصله من كابل بوقيل مولى لبني قفل كما في الفهرست لابن النديم ص ٢٨٤ وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٢٤: «ولد أبو حنيفة وأبوه نصراني». إلى أن قال: «وكان زوطي مملوكاً لبني تميم الله بن ثعلبة فاعتق فولأه لبني عبد الله بن ثعلبة ثم لبني قفل».

وروى مسنداً عن الزبدي يقول: سمعت أبا جعفر يقول: كان أبو حنيفة اسمه عتيك بن زوطرة قسمي نفسه النعمان وأباه ثابتاً. وقبل كان والد أبي حنيفة من «نساء» وقيل أصله من «ترمذ» وقيل ثابت والد أبي حنيفة من أهل «الأنبار».

وأورد الخطيب البغدادي في تاريخه عدة روايات بأسانيد مختلفة تقول: إن أبا حنيفة استتب من الكفر مرتين وفي بعضها ثلاثاً وفي رواية سفيان الثوري استتب من الكفر مراراً. وفي رواية أبي عبيدة استتب من الدهر ثلاث مرات راجع تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٨٠-٣٨٣ وفيه ص ٣٧٢ مسنداً أن أبا حنيفة قال: لو أن رجلاً عبد هذه التعل يتقرب بها إلى الله لم أر بذلك بأساً وكان شريك يقول: كفر أبو حنيفة بأهتين من كتاب الله قال الله تعالى: ﴿وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ وقال تعالى: ﴿يُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ وزعم أبو حنيفة أن الإيمان لا يزاد ولا يتقص وأن الصلاة ليست من دين الله.

وفي ص ٣٨٦ منه عن الجوهري روى مسنداً قال: سمعت أبا مطيع يقول: قال أبو حنيفة: إن كانت الجنة والنار مخلوقتين فانهما يفتيان وفيه

عن ابن أسباط قال أبو حنيفة لو أدركني رسول الله وأدركته لأخذ بكثير من قولي وقال سمعت أبا إسحاق يقول كان أبو حنيفة يجيئ الشيء عن النبي فيخالفه إلى غيره وفي ص ٣٧٠ من نفس المصدر مثل أبو حنيفة عن رجل قال : أشهد أن الكعبة حق ولكن لا أدري هي هذه التي بمكة أم لا فقال مؤمن حقاً . ومثل عن رجل قال : أشهد أن محمد بن عبدالله نبي ولكن لا أدري هو الذي قبره بالمدينة أم لا . فقال مؤمن حقاً . وهو أحد المذاهب الأربعة السنية ، صاحب الرأي والقياس والفنلوى المعروفة في الفقه .

ذكر ابن خلكان في ج ٢ ص ٨٦ من الوفيات في ترجمة محمد بن سبكتكين عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني في كتابه الذي سماه : «مغيث الخلق في اختيار الأحق» قال : إن السلطان محمود المذكور كان على مذهب أبي حنيفة وكان مولعاً بعلم الحديث ، وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع وكان يستفسر الأحاديث فوجد أكثرها موافقاً للمذهب الشافعي فوقع في خلده حكمه . فجمع العلماء من الفريقين في مرو والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي وعلى مذهب أبي حنيفة . . . فصل القفال المروزي . . . إلى أن قال : ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة فلبس جلد كلب مدبوغاً ثم لطم ريعه بالنجاسة وتوضأ ببيذ التمر وكان في صميم الصيف في المغارة واجتمع عليه الذباب والبعوض وكان وضوءه منكساً منعكساً ثم استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غيرنية في الوضوء ، وكبر بالفارسية ، ثم قرأ آية بالفارسية «دورك سبز» ثم قرأ تقرأتين كتفرت الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهد ، وضرب في آخره من غيرنية السلام . وقال : أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة فقال السلطان : ولولم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك ، فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ المذهبين فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال ، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة ، وفي ج ١٣ ، من تاريخ بغداد ص ٣٧٠ قال الحارث بن عمير : وسمعت يقول : لو أن شاهدين شهدا عند قاضٍ : أن فلان بن فلان طلق امرأته ، وعليها جميعاً أنها شهدا بالزور ففرق القاضي بينهما ، ثم لقيها أحد الشاهدين فله أن يتزوج بها .

في ص ٣٦٢ منه قال : قال مساور الوراق :

كنا من الدين قبل اليوم في سعة حتى ابتلينا بأصحاب المقاييس
قاموا من السوق إذ قلت مكانهم فاستعملوا الرأي عند الفقر والبؤس
أما العريب فأمسوا لا عطاء لهم وفي الموالي علامات المساليس

فلقبه أبو حنيفة فقال : هجوتنا نحن نرضيك ، فبعث إليه بدراهم فقال :

إذا ما أهل مصر بادهمونا بداهية من الفتيا لطيفة
أثيناهم بمقياس صحيح صليب من طراز أبي حنيفة
إذا سمع الفقيه به حواء وأثبت بحبر في صحيفه

فأجابه بعضهم يقول :

إذا ذو الرأي خاصم عن قياس رجاء ببذعة هنة مخيفه
أثينا بقول الله فيها وآيات محبرة شريفة
فكم من فرج محصنة عفيف أحل حرامها بأبي حنيفة

وروي أيضاً أنه اجتمع الثوري وشريك والحسن بن صالح وابن أبي ليلى فبعثوا إلى أبي حنيفة فأتاهم فقالوا له : ما تقول في رجل قتل أباه ونكح أمه وشرب الخمر في رأس أبيه ؟ فقال : مؤمن . فقال له ابن أبي ليلى : لا قبلت لك شهادة أبداً ، وقال الثوري لا كلمتك أبداً ، وقال شريك : لو كان لي من الأمر شيء لضربت عنقك ، وقال له الحسن : وجهي من وجهك حرام أن أنظر إلى وجهك أبداً . وروي أيضاً عن الإمام مالك قال : ما ولد في الإسلام مولود أضر على أهل الإسلام من أبي حنيفة وقال : كانت فتنة أبي حنيفة أضر على هذه الأمة من فتنة إبليس . وأخرج عن الأوزاعي قال : عمد أبو حنيفة إلى عرى الإسلام فنقضه حرمة عروة ، وعن عبد الرحمن ابن مهدي قال : ما علم في الإسلام فتنة بعد فتنة الدجال أعظم من رأي أبي حنيفة وأخرج عن أبي صالح الفراء قال : سمعت يوسف بن أسباط يقول : رد أبو حنيفة على رسول الله (ص) أربعمائة حديث أو أكثر وأنه سئل عن مسألة فأجلب فيها ثم قيل له : يروى عن النبي (ص) فيها كذا وكذا قال : دعنا من هذا وفي رواية قال : حك هذا بذنب خنزيرة .

قال ابن خلكان ص ١٦٥ ج ٢ من الوفيات ولم يكن يعاب بشيء سوى قلة العربية فمن ذلك ما روي : أن أبا عمرو بن العلاء المقرئ النحوي سأله عن القتل بالمثل هل يوجب القود أم لا ؟ فقال : لا . فقال له أبو عمرو : ولو قتله بحجر المنجنيق ؟ فقال : ولو قتله «بابا فيس» . وتوفي سنة مائة وخمسين وقبره ببغداد في مقبرة خيزران .

يا ابن أبي ليلى من هذا الرجل؟

فقلت: جعلت فداك من أهل الكوفة له رأي وبصيرة ونفاذ.

قال: فلعله الذي يقيس الأشياء برأيه؟ ثم قال: يا نعمان! هل تحسن أن تقيس رأسك؟ قال: لا.

قال: ما أراك تحسن أن تقيس شيئاً فهل عرفت الملوحة في العينين، والمرارة في الاذنين، والبرودة في المنخرين، والعذوبة في الفم؟ قال: لا.

قال: فهل عرفت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان؟ قال: لا.

قال ابن أبي ليلى: قلت: جعلت فداك لا تدعنا في عمياء مما وصفت.

قال: نعم، حدثني أبي عن آبائه ع^ع أن رسول الله قال: إن الله خلق عيني ابن آدم شحمتين فجعل فيهما الملوحة، فلولا ذلك لذابنا ولم يقع فيهما شيء من القذى إلا أذابه، والملوحة تلفظ ما يقع في العين من القذى، وجعل المرارة في الاذنين حجاباً للدماغ، وليس من دابة تقع في الاذن إلا التمسست الخروج، ولولا ذلك لوصلت إلى الدماغ فأفسدته، وجعل الله البرودة في المنخرين حجاباً للدماغ ولولا ذلك لسال الدماغ وجعل العذوبة في الفم متاً من الله تعالى على ابن آدم ليجد لذة الطعام والشراب.

وأما كلمة أولها كفر وآخرها إيمان فقول لا إله إلا الله. ثم قال: يا نعمان إياك والقياس: فإن أبي حدثني عن آبائه ع^ع أن رسول الله قال: من قاس شيئاً من الدين برأيه قرنه الله تبارك وتعالى مع إبليس، فانه أول من قاس حيث قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فدعوا للرأي والقياس فان دين الله لم يوضع على القياس.

وفي رواية أخرى أن الصادق ع^ع قال لأبي حنيفة لما دخل عليه: من أنت؟ قال: أبو حنيفة.

قال ع^ع: مفتي أهل العراق؟ قال: نعم.

قال: بما تفتيهم؟ قال: بكتاب الله

قال ع^ع: وإنك لعالم بكتاب الله، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه؟ قال: نعم.

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وقدّرنا فيها السير سيرا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾ أي موضع

هو^(١).

قال أبو حنيفة: هو ما بين مكة والمدينة، فالتفت أبو عبد الله إلى جلسائه. وقال:

نشدتكم بالله هل تسировون بين مكة والمدينة ولا تأمنون على دمالككم من القتل، وعلى أموالكم من السرقة؟

فقالوا: اللهم نعم.

فقال أبو عبد الله: ويحك يا أبا حنيفة! إن الله لا يقول إلا حقاً أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ومن دخله

كان آمناً﴾ أي موضع هو^(٢)؟ قال: ذلك بيت الله الحرام، فالتفت أبو عبد الله إلى جلسائه وقال: نشدتكم بالله

هل تعلمون: أن عبد الله بن الزبير، وسعيد بن جبيرة دخلوا فلم يأمنوا القتل؟

قالوا: اللهم نعم.

فقال أبو عبدالله (ع): ويحك يا أبا حنيفة! إن الله لا يقول إلا حقا.

فقال أبو حنيفة: ليس لي علم بكتاب الله، إنما أنا صاحب قياس.

قال أبو عبدالله: فانظر في قياسك ان كنت مقبسا فيما اعظم عند الله القتل او الزنا؟

قال: بل القتل.

قال: فكيف رضى في القتل بشاهدين، ولم يرض في الزنا الا بأربعة؟ ثم قال له: الصلاة افضل ام الصيام؟ قال: بل الصلاة افضل.

قال (ع): فيجب على قياس قولك على الحايض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام، وقد اوجب الله تعالى عليها قضاء الصوم دون الصلاة.

قال له (ع): البول أقدر ام المنى؟

قال: البول اقدر.

قال (ع): يجب على قياسك ان يجب الغسل من البول دون المنى، وقد اوجب الله تعالى الغسل من المنى دون البول.

قال: إنما أنا صاحب رأي.

قال (ع): فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة فدخلوا بامرأتهما في ليلة واحدة ثم سافرا وجعلتا امرأتهما في بيت واحد وولدتا غلامين فسقط البيت عليهم، فقتل المرأتين وبقي الغلامان ايها في رأيك المالك وايها المملوك وايها الوارث وايها الموروث؟

قال: إنما أنا صاحب حدود.

قال: فما ترى في رجل اعمى فقأ عين صحيح واقطع قطع يد رجل، كيف يقام عليهما الحد.

قال: إنما أنا رجل عالم بمباعدت الأنبياء.

قال: فأخبرني عن قول الله لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: ﴿لَعَلَّه يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ولعل منك شك؟^(١) قال: نعم.

قال: وكذلك من الله شك إذ قال: ﴿لَعَلَّه﴾؟ قال أبو حنيفة: لا علم لي.

قال (ع): تزعم أنك تفني بكتاب الله ولست بمن ورثه، وتزعم أنك صاحب قياس وأول من قاس

إبليس لعنه الله ولم يُبين دين الاسلام على القياس، وتزعم أنك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله ص صواباً، ومن دونه خطأ، لأن الله تعالى قال: ﴿فاحكم بينهم بما أراك الله﴾^(١) ولم يقل ذلك لغيره، وتزعم أنك صاحب حدود، ومن انزلت عليه أولى بعلمها منك وتزعم أنك عالم بمباحث الانبياء، ولخاتم الانبياء أعلم بمباحثهم منك، ولولا أن يقال: دخل على ابن رسول الله فلم يسأله عن شيء ما سألتك عن شيء، فقس إن كنت مقيساً.

قال أبو حنيفة: لا أتكلم بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس.

قال: كلا، إن حب الرياسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك تمام الخبر.

وعن عيسى بن عبد الله القرشي^(٢) قال دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله ع فقال: يا أبا حنيفة قد بلغني أنك تقيس! فقال: نعم.

فقال: لا تقس فإن أول من قاس إبليس لعنه الله حين قال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ فقاس بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار وعرف ما بين النورين، وصفاء أحدهما على الآخر.

وعن الحسن بن محبوب^(٣) عن سماعة قال: قال أبو حنيفة لأبي عبد الله ع: كم بين المشرق والمغرب؟

قال: مسيرة يوم للشمس بل أقل من ذلك، قال: فاستعظمه.

قال: يا عاجز لم تنكر هذا إن الشمس تطلع من المشرق، وتغرب في المغرب في أقل من يوم. تمام الخبر.

عن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي^(٤): كنت عند أبي عبد الله ع بمكة إذ دخل عليه أناس من المعتزلة، فيهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص بن سالم، وأناس من رؤسائهم، وذلك أنه حين قتل الوليد، واختلف أهل الشام بينهم، فتكلموا فأكثرُوا وخطبوا فأطالوا.

فقال لهم أبو عبد الله جعفر بن محمد ع: إنكم قد أكثرتم علي فاطلتم فأسندوا أمركم إلى رجل منكم، فليتكلم بحجتكم وليوجز.

فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد فأبلغ وأطال، فكان فيما قال أن قال:

(١) المائدة ٥١.

(٢) عيسى بن عبد الله القرشي لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب الرجال.

(٣) قال العلامة في القسم الأول من خلاصته: الحسن بن محبوب السراذ ويقال الزراد، يكنى أبا علي مولى بجيلة كوفي ثقة عين، روى عن الرضا ع وكان جليل القدر يعد في الأركان الأربعة في عصره.

(٤) عبد الكريم بن عتبة قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة: يضم العين المهملة والتاء المنقطة فوقها نقطتين، والباء المنقطة تحتها نقطة الهاشمي من أصحاب أبي الحسن الكاظم ع ثقة.

قتل أهل الشام خليفتهم، وضرب الله بعضهم ببعض، وتشتت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروءة، ومعدن للخلافة، وهو محمد بن عبدالله بن الحسن فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه ثم نظهر أمرنا معه، وندعو الناس إليه، فمن بايعه كنا معه وكان منا، ومن اعتزلنا كففنا عنه، ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه ونرده إلى الحق وأهله، وقد أحسينا أن نعرض ذلك عليك، فانه لا غنى بنا عن مثلك، لفضلك ولكثرة شيعتك، فلما فرغ قال أبو عبدالله «ع»: أكلكم على مثل ما قال عمرو؟

قالوا: نعم، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال: إنما نسخط إذا عصي الله فإذا اطيع الله رضينا، أخبرني يا عمرو لو أن الأمة قلدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤونة، فقليل لك: «ولها من شئت» من كنت تولي؟

قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين. قال: بين كلهم؟ قال: نعم.

فقال: بين فقهاءهم وخيارهم؟ قال: نعم.

قال: قريش وغيرهم؟ قال: العرب والعجم.

قال: فأخبرني يا عمرو أنتولى أبا بكر وعمر أو تتبرأ منهما؟ قال: أتولاهما.

قال: يا عمرو إن كنت رجلاً تتبرأ منهما، فانه يجوز لك الخلاف عليهما وإن كنت تتولاهما فقد خالفتهما، قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور أحداً، ثم ردها أبو بكر عليه ولم يشاور أحداً، ثم جعلها عمر شورى بين ستة. فخرج منها الأنصار غير أولئك الستة من قريش، ثم أوصى الناس فيهم بشيء ما أراك ترضى أنت ولا أصحابك. قال: وما صنع؟

قال أمر صهيياً أن يصلي بالناس ثلاثة أيام وأن يتشاور أولئك الستة ليس فيهم أحد سواهم إلا ابن عمر ويشاورونه وليس له من الأمر شيء، وأوصى من كان بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيام ولم يفرغوا ويبايعوه أن يضرب أعناق الستة جميعاً، وإن اجتمع أربعة قبل أن يمضي ثلاثة أيام وخالف اثنان أن يضرب أعناق الاثنين أفترضون بهذا فيما تجعلون من الشورى في المسلمين؟ قالوا: لا.

قال: يا عمرو دع ذا رأيك لو بايعت صاحبك هذا الذي تدعو إليه، ثم اجتمعت لكم الأمة ولم يختلف عليكم منها رجلان، فأفضيتم إلى المشركين الذين لم يسلموا ولم يؤدوا الجزية، كان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون فيهم بسيرة رسول الله «ص» في المشركين في الجزية؟ قالوا: نعم.

قال: فتصنعون ماذا؟ قالوا: ندعوهم إلى الاسلام فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية.

قال: فإن كانوا مجوساً وأهل كتاب وعبدة النيران والبهائم وليسوا بأهل كتاب؟ قالوا: سواء.

قال: فأخبرني عن القرآن أتقرؤونه؟ قال: نعم.

قال: اقرأ ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ قال: فاستثنى الله عز وجل واشترط من الذين اوتوا الكتاب فهم والذين لم يؤتوا الكتاب سواء قال: نعم.

قال «ع»: عمن أخذت هذا؟ قال: سمعت الناس يقولونه.

قال: فدع ذا فانهم إن أبوا الجزية فقاتلتهم فظهرت عليهم كيف تصنع بالغنيمة؟ قال: اخرج الخمس واقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليها.

قال: تقسمه بين جميع من قاتل عليها؟ قال: نعم.

قال: فقد خالفت رسول الله في فعله وفي سيرته، وبينك فقهاء أهل المدينة ومشيختهم، فسلمهم فانهم لا يختلفون ولا يتنازعون في أن رسول الله إنما صالح الأعراب على أن يدعهم في ديارهم وأن لا يهاجروا، على أنه إن دهم من عدوه دهم فبستغزهم فيقاتل بهم، وليس لهم من الغنيمة نصيب، وأنت تقول بين جميعهم، فقد خالفت رسول الله «ص» في سيرته في المشركين. دع ذا ما تقول في الصدقة؟

قال: فقرأ عليه هذه الآية: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها...﴾ إلى آخرها

قال نعم، فكيف تقسم بينهم؟

قال: اقسما على ثمانية أجزاء، فأعطي كل جزء من الثمانية جزءاً.

فقال «ع»: إن كان صنف منهم عشرة آلاف وصنف رجلاً واحداً أو رجلين أو ثلاثة، جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف؟ قال: نعم.

قال: وما تصنع بين صدقات أهل الحضر وأهل البوادي فتجعلهم فيها سواء؟ قال: نعم.

قال: فخالفت رسول الله في كل ما أتى به، كان رسول الله يقسم صدقة البوادي في أهل البوادي، وصدقة الحضر في أهل الحضر، ولا يقسم بينهم بالسوية إنما يقسمه قدر ما يحضره منهم، وعلى قدر ما يحضره فإن كان في نفسك شيء مما قلت لك فإن فقهاء أهل المدينة ومشيختهم، كلهم لا يختلفون في أن رسول الله كذا كان يصنع، ثم أقبل على عمرو وقال:

إتق الله يا عمرو وأنتم أيضاً الرهط! فاتقوا الله، فإن أبي حدثني وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسوله أن رسول الله «ص» قال: «من ضرب الناس بسيفه، ودعاهم إلى نفسه، وفي المسلمين من هو أعلم منه، فهو ضال متكلف».

وروي عن يونس بن يعقوب^(١) قال: كنت عند أبي عبد الله «ع» فورد عليه رجل من أهل الشام

(١) قال العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٨٥.

يونس بن يعقوب بن قيس أبو علي الجلاب البجلي الدهني اختلف علماؤنا فيه.

فقال الشيخ الطبرسي رحمه الله: إنه ثقة مولى شهد له وعدله في عدة مواضع، وقال النجاشي: إنه اختص بأبي عبد الله =

فقال: إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض، وقد جئت لمناظرة أصحابك.

فقال له أبو عبدالله: كلامك هذا من كلام رسول الله «ص» أو من عندك؟ فقال: من كلام رسول الله بعضه ومن عندي بعضه.

فقال أبو عبد الله: فأنت إذا شريك رسول الله «ص»؟ قال: لا.

قال: فسمعت الوحي من الله تعالى؟ قال: لا.

قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله؟ قال: لا.

قال: فالتفت إليّ أبو عبدالله «ع» فقال: يا يونس هذا خصم نفسه قبل أن يتكلم، ثم قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته. قال يونس: فيا لها من حسرة. فقلت: جعلت فداك سمعتك تنهى عن الكلام، وتقول: ويل لأصحاب الكلام يقولون: هذا ينقاد وهذا ينساق وهذا لا ينساق وهذا نعقله وهذا لا نعقله!

فقال أبو عبدالله «ع»: إنما قلت ويل لقوم تركوا قولي بالكلام. وذهبوا إلى ما يريدون. ثم قال: اخرج إلى الباب فمن ترى من المتكلمين فأدخله!

قال: فخرجت فوجدت حمرا بن أعين وكان يحسن الكلام، ومحمد بن نعمان الأحول وكان متكلماً، وهشام بن سالم وقيس الماصر وكانا متكلمين وكان قيس عندي أحسنهم كلاماً، وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين، فأدخلتهم، فلما استقربنا المجلس وكنا في خيمة لأبي عبدالله «ع»، في طرف جبل في طريق الحرم، وذلك قبل الحج بأيام، فأخرج أبو عبدالله رأسه من الخيمة فاذا هو بغير يخب قال: هشام ورب الكعبة.

قال: وكنا ظننا أن هشاماً رجل من ولد عقيل، وكان شديد المحبة لأبي عبد الله، فاذا هشام بن الحكم، وهو أول ما اختطت لحيته، وليس فينا إلا من هو أكبر منه سناً، فوسع له أبو عبدالله «ع» وقال: «ناصرنا بقلبه ولسانه ويده» ثم قال لحرمان: كلم الرجل. يعني: الشامي.

فكلمه حرمان وظهر عليه ثم قال: يا طاقى كلمه! فكلمه فظهر عليه محمد بن نعمان. ثم قال لهشام ابن سالم: كلمه! فتعارفاه ثم قال لقيس الماصر: كلمه! وأقبل أبو عبدالله «ع» يتبسم من كلامهما وقد استخذل الشامي في يده ثم قال للشامي: كلم هذا الغلام! يعني: هشام بن الحكم فقال: نعم.

ثم قال الشامي لهشام: يا غلام سلني في إمامة. هذا يعني: أبا عبدالله «ع»؟

وأبو الحسن عليهما السلام وكان يتوكل لأبي الحسن عليه السلام ومات في المدينة قريباً من الرضا عليه السلام فتولى امره وكان حظاً عندهم موثقاً وكان قد قال بعبد الله ثم رجع. وقال أبو جعفر ابن بابويه إنه فطحي هو وأخوه يوسف. قال الكشي: حدثني حمويه عن بعض أصحابنا أن يونس بن يعقوب فطحي كوفي مات بالمدينة وكفته الرضا عليه السلام. وروى الكشي أحاديث حسنة تدل على صحة عقيدة هذا الرجل والذي اعتمد عليه قبول روايته.

فغضب هشام حتى ارتعد ثم قال له : أخبرني يا هذا أربك أنظر لخلقك ، أم خلقك لأنفسهم؟ فقال الشامي : بل ربي أنظر لخلقك !

قال : ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا؟ قال : كلفهم وأقام لهم حجة ودليلا على ما كلفهم به ، وأزاح في ذلك عليهم .

فقال له هشام : فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟ قال الشامي : هو رسول الله «ص» .

قال هشام : فبعد رسول الله «ص» من؟ قال الكتاب والسنة .

فقال هشام : فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة فيما اختلفنا فيه ، حتى رفع عنا الاختلاف ، ومكنتنا من الاتفاق؟ فقال الشامي : نعم .

قال هشام : فلم اختلفنا نحن وأنت ، جئنا من الشام نخالفنا ، وتزعم أن الرأي طريق الدين ، وأنت مقر بأن الرأي لا يجمع على القول الواحد المختلفين؟

فسكت الشامي كالمفكر . فقال أبو عبدالله «ع» : مالك لا تتكلم؟

قال : إن قلت : إنا ما اختلفنا كابر ، وإن قلت : إن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت ، لأنها يحتملان الوجه ، ولكن لي عليه مثل ذلك .

فقال له أبو عبدالله : سله تجده ملياً! فقال الشامي لهشام : من أنظر للخلق ربهم أم أنفسهم؟ فقال : بل ربهم أنظر لهم .

فقال الشامي : فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ويرفع اختلافهم ويبين لهم حقهم من باطلهم؟ فقال هشام : نعم .

قال الشامي : من هو؟ قال هشام : أما في ابتداء الشريعة فرسول الله «ص» ، وأما بعد النبي فعترة .

قال الشامي : من هو عترة النبي القائم بمقامه في حجته؟ قال هشام : في وقتنا هذا أم قبله؟

قال الشامي : بل في وقتنا هذا . قال هشام : هذا الجالس يعني : أبا عبدالله «ع» الذي تشد إليه الرحال ويحبرنا بأخبار السماء وراثته عن جده .

قال الشامي : وكيف لي بعلم ذلك؟ فقال هشام : سله عما بدا لك .

قال الشامي : قطعت عذري ، فعلي السؤال . فقال أبو عبدالله «ع» : أنا أكفيك المسألة يا شامي : أخبرك عن مسيرك وسفرك ، خرجت يوم كذا ، وكان طريقك كذا ، ومررت على كذا ، ومررت بكذا ، فأقبل الشامي كلما وصف له شيئاً من أمره يقول : «صدقت والله» فقال الشامي : أسلمت لله الساعة!

فقال له أبو عبدالله (ع) : بل آمنت بالله الساعة، إن الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون . قال : صدقت ، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، وأنت وصي الأنبياء .

قال : فأقبل أبو عبدالله (ع) على حران فقال : يا حران تجري الكلام على الأثر فتصيب فالتفت إلى هشام بن سالم فقال : تريد الأثر ولا تعرف ! ثم التفت إلى الأحول فقال : قياس رواغ، تكسر باطلاً بباطل . إلا أن باطلك أظهر ثم التفت إلى قيس الماصر فقال : تكلم وأقرب ما يكون من الخبر عن الرسول ص «أبعد ما تكون منه تمزج الحق بالباطل، وقليل الحق يكفي من كثير الباطل أنت والأحول قفازان حاذقان .

قال يونس بن يعقوب : فظننت والله أنه يقول هشام ، قريباً مما قال فيها . فقال : يا هشام لا تكاد تقع تلوي رجليك إذ هممت بالأرض طرت، مثلك فليكلم الناس اتق الزلة، والشفاعة من ورائك .

وعن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبدالله (ع) جماعة من أصحابه فيهم حران بن أعين ومؤمن الطاق وهشام بن سالم والطيبار وجماعة من أصحابه ، فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال أبو عبدالله : يا هشام ! قال : ليك يا ابن رسول الله !

قال : ألا تخبرني كيف صنعتت بعمر بن عبيد وكيف سألته؟ قال هشام : جعلت فداك يا ابن رسول الله ، إنني أجلك واستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك .

فقال أبو عبدالله (ع) : إذا أمرتكم بشيء فافعلوه !

قال هشام : بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك علي فخرجت إليه، ودخلت البصرة يوم الجمعة وأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا بعمر بن عبيد عليه شملة سوداء مؤتزر بها من صوف وشملة مرتد بها، والناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفروا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت :

أيها العالم أنا رجل غريب، أتأذن لي فأسألك عن مسألة؟ قال : أسأل ! قلت له : ألك عين؟ قال : يا بني أي شيء هذا من السؤال، إذا كيف نسأل عنه؟ فقلت : هذا مسألتي . فقال : يا بني ! سل وإن كانت مسألتك، حمقى . قلت : أجبني فيها، قال : فقال لي : سل ! فقلت : ألك عين؟ قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع بها؟ قال : أرى بها الألوان والأشخاص . قال : قلت : ألك أنف؟ قال : نعم .

قال : قلت : فما تصنع به؟ قال : أشم به الرائحة .

قال : قلت : ألك لسان؟ قال : نعم . قلت : فما تصنع به ؟ قال : أتكلم به .

قال : قلت : ألك أذن ؟ قال : نعم . قلت : فما تصنع بهما ؟ قال : أسمع بها الأصوات .
قال : قلت : ألك يدان ؟ قال : نعم . قلت : فما تصنع بهما ؟ قال : أبطش بهما ، وأعرف بهما اللين من
الحسن .

قال : قلت : ألك رجلان ؟ قال : نعم . قلت : فما تصنع بهما ؟ قال : انتقل بهما من مكان إلى
مكان .

قال : قلت : ألك فم ؟ قال : نعم . قلت : فما تصنع به ؟ قال : أعرف به المطاعم والمشارب
على اختلافها .

قال : قلت : ألك قلب ؟ قال : نعم

قال : قلت : فما تصنع به ؟ قال : أميز به كلما ورد على هذه الجوارح .

قال : قلت : أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟ قال : لا .

قلت : وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة ؟

قال : يا بني إن الجوارح إذا شكت في شيء شتمته أوراته أو ذاقته رذته إلى القلب ، فتيقن بها اليقين
وأبطل الشك .

قال : فقلت : فأنما أقام الله عز وجل القلب لشك الجوارح ؟ قال : نعم .

قلت : لا بد من القلب والالم يستيقن الجوارح . قال : نعم .

قلت : يا أبا مروان ! إن الله تبارك وتعالى لم يترك جوارحكم حتى جعل لها إماماً ، يصحح لها
الصحيح وينفي ما شكت فيه ، ويترك هذا الخلق كله في حيرتهم وشكهم واختلافهم ، لا يقيم لهم إماماً
يردون إليه شكهم ، وحيرتهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ، ترد إليه حيرتك وشكك ؟؟؟!

قال : فسكت ولم يقل لي شيئاً . قال : ثم التفت إلي . فقال لي : أنت هشام ؟ قال : قلت : لا . فقال
لي : أجالسته ؟ فقلت : لا

قال : فمن أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة .

قال : فأنت إذ أهر . ثم ضمني إليه وأقعدي في مجلسه وما نطق حتى قمت ، فضحك أبو عبد الله ،
ثم قال : يا هشام من علمك هذا ؟

قلت : يا ابن رسول الله جرى على لساني . قال : يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم
وموسى .

وبالاسناد المقدم ذكره عن الصادق (ع) أنه قال : قوله عز وجل : ﴿ إلهدنا الصراط المستقيم ﴾

يقول: أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك والمبلغ إلى جنتك من أن نتبع أهواءنا فنعطب، ونأخذ بآرائنا فنهلك، فإن من اتبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء الناس تعظمه وتصفه، فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني لأنظر مقداره ومحله، فرأيت في موضع قد أهدقوا به جماعة من غثاء العامة فوقفت متبذراً عنهم متغشياً بلثام أنظر إليه وإليهم، فما زال يراوهم حتى خالف طريقهم وفارقهم، ولم يقر. ففترقت جماعة العامة عنه لحوائجهم.

وتبعته أقتني أثره فلم يلبث أن مر بخباز فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة، فتعجبت منه ثم قلت في نفسي: لعله معامله، ثم مر بعده بصاحب رمان فما زال به حتى تغفله فأخذ من عنده رمانتين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معامله ثم أقول وما حاجته إذاً إلى المسارقة، ثم لم أزل أتبعه حتى مر بمريض، فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه، ومضى وتبعته حتى استقر في بقعة من صحراء، فقلت له:

يا أبا عبدالله لقد سمعت بك وأحببت لقاءك، فلقيتك لكني رأيت منك ما شغل قلبي، وإني سائلك عنه ليزول به شغل قلبي. قال: ما هو؟

قلت: رأيتك مررت بخباز وسرقت منه رغيفين، ثم بصاحب الرمان فسرقت منه رمانتين. فقال لي: قبل كل شيء حدثني من أنت؟ قلت: رجل من ولد آدم من أمة محمد ص. قال: حدثني عن أنت؟ قلت: رجل من أهل بيت رسول الله. قال: أين بلدك؟ قلت: المدينة.

قال: لعلك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع؟ قلت: بلى.

قال لي: فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك بما شرفت به وتركك علم جدك وأبيك، لأنه لا ينكر ما يجب أن يحمد ويمدح فاعله.

قلت: وما هو؟ قال: القرآن كتاب الله. قلت: وما الذي جهلت؟

قال: قول الله عز وجل: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها﴾ وإني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، فهذه أربع سيئات، فلما تصدقت بكل واحد منها كانت أربعين حسنة أنقص من أربعين حسنة أربع سيئات، بقيت ست وثلاثون.

قلت: ثكلتك أمك! أنت الجاهل بكتاب الله! أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ (١) إنك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، ولما دفعتهما إلى غيرها من غير رضا صاحبها كنت إنما أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات، ولم تضيف أربعين حسنة إلى أربع سيئات، فجعل يلاحيني فأنصرفت وتركته.

وبالاسناد الذي تقدم: عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري «ع» أنه قال: قال بعض المخالفين بحضرة الصادق «ع» لرجل من الشيعة: ما تقول في العشرة من الصحابة؟

قال: أقول فيهم القول الجميل الذي يحط الله به سيثاتي، ويرفع به درجاتي.

قال السائل: الحمد لله على ما أنقذني من بغضك، كنت أظنك رافضياً تبغض الصحابة. فقال الرجل: ألا من أبغض واحداً من الصحابة فعليه لعنة الله.

قال: لعلك تتأول ما تقول، فمن أبغض العشرة من الصحابة؟

فقال: من أبغض العشرة من الصحابة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فوثب فقبل رأسه فقال: اجعلني في حل بما قذفتك به من الرفض قبل اليوم.

قال: أنت في حل وأنت أخي ثم انصرف السائل فقال له الصادق «ع»: جودت الله درك! لقا عجبت الملائكة من حسن توريتك وتلفظك بما خلصك ولم تثلم دينك، زاد الله في قلوب مخالفينا غمًا إلى غم وحجب عنهم مراد منتحلي مودتنا في نفقتهم.

فقال أصحاب الصادق «ع»: يا ابن رسول الله «ص»، ما عقلنا من كلام هذا إلا موافقته لهذا المتعنت الناصب.

فقال الصادق «ع»: لكن كنتم لم تفهموا ما غنى فقد فهمنا نحن، فقد شكره الله له، إن ولينا الموالي لأوليائنا المعادي لأعدائنا إذا ابتلاه الله بمن يمتحنه من مخالفيه، وفقه لجواب يسلم معه دينه وعرضه، ويعظم الله بالتقية ثوابه إن صاحبكم هذا قال:

من عاب واحداً منهم فعليه لعنة الله أي: من عاب واحداً منهم، هو: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع».

وقال في الثانية: من عابهم وشتهم فعليه لعنة الله، وقد صدق لأن من عابهم فقد عاب علياً «ع» لأنه أحدهم، فإذا لم يعب علياً ولم يذمه فلم يعبهم جميعاً وإنما عاب بعضهم، ولقد كان حزقيل المؤمن مع قوم فرعون الذين وشوا به إلى فرعون مثل هذه التورية كان حزقيل يدعوهم إلى توحيد الله ونبوة موسى، وتفضيل محمد رسول الله «ص» على جميع رسل الله وخلقه، وتفضيل علي بن أبي طالب «ع» والخيار من الأئمة على سائر أوصياء النبيين، وإلى البراءة من فرعون، فوشى به واشون إلى فرعون وقالوا إن حزقيل يدعو إلى مخالفتك، ويعين أعداءك على مضادتك.

فقال لهم فرعون: ابن عمي وخليفتي في ملكي وولي عهدي إن كان قد فعل ما قلت فقد استحق العذاب على كفره نعمتي، وإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتهم أشد العذاب لا يشارككم الدخول في مساءته، فجاء بحزقيل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا: أنت نجده ربوبية فرعون الملك وتكفر نعماءه.

فقال حزقيل: أيها الملك هل جربت علي كذبا قط. قال: لا.

قال: فسلمهم من ربهم؟ قالوا: فرعون. قال: ومن خلقكم؟ قالوا: فرعون هذا.

قال: ومن رازقكم الكافل لمعايشكم، والدافع عنكم مكارهكم؟ قالوا: فرعون هذا.

قال حزقيل: أيها الملك فاشهدك وكل من حضرك: أن ربهم هو ربي، وخالقهم هو خالقي، ورازقهم هو رازقي، ومصلح معايشهم هو مصلح معايشي، لا رب لي ولا خالق غير ربهم وخالقهم ورازقهم، واشهدك ومن حضرك: أن كل رب وخالق سوى ربهم وخالقهم ورازقهم فأناب بريء منه ومن ربوبيته وكافر بإلهيته.

يقول حزقيل هذا وهو يعني: أن ربهم هو الله ربي ولم يقل إن الذي قالوا: هم أنه ربهم هو ربي، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره، وتوهموا أنه يقول: فرعون ربي وخالقي ورازقي.

فقال لهم: يا رجال السوء ويا طلاب الفساد في ملكي: ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمي وهو عضدي، أنتم المستحقون لعذابي، لإرادتكم فساد أمري وهلاك ابن عمي والفتن في عضدي ثم أمر بالأوتاد فجعل في ساق كل واحد منهم وتد وفي صدره وتد، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال الله تعالى: ﴿فوقه الله سيئات ما مكروا﴾^(١) لما وشوا به إلى فرعون ليهلكوه وحق بال فرعون سوء العذاب، وهم الذين وشوا بحزقيل إليه لما أوتد فيهم الأوتاد، ومشط عن أبدانهم لحومها بالأمشاط.

ومثل هذه التورية قد كانت لأبي عبد الله (ع) في مواضع كثيرة.

فمن ذلك ما رواه معاوية بن وهب^(٢) عن سعيد بن سمان^(٣) قال: كنت عند أبي عبد الله إذ دخل عليه رجلان من الزيدية، فقالا له: أفبكم إمام مفترض طاعته؟ قال: فقال: لا.

فقالا له: قد أخبرنا عنك الثقة أنك تقول به، وسموا أقواماً وقالوا: هم أصحاب ورع وتشهير، وهم ممن لا يكذب، فغضب أبو عبد الله (ع) وقال: ما أمرتهم بهذا، فلما رأيا الغضب في وجهه خرجا.

فقال لي: أتعرف هذين؟ قلت: هما من أهل سوقنا وهما من الزيدية، وهما يزعمان: أن سيف رسول الله عند عبد الله بن الحسن.

فقال: كذبا لعنهما الله، وهو ما رآه عبد الله بن الحسن بعينه، ولا بواحدة من عينيه. ولا رآه أبوه اللهم إلا أن يكون رآه عند علي بن الحسين (ع)، فإن كانا صادقين فما علامة في مقبضه؟ وما أثر في موضع مضربه؟

(١) عاقر - ٤٥.

(٢) عنه الشيخ في أصحاب الصادق (ع) ص ٣١٠ من رجاله وذكره العلامة في القسم الأول من خلاصته فقال: «معاوية بن وهب البجلي، أبو الحسن عربي صميم ثقة صحيح، محسن الطريق، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن (ع)».

(٣) سعيد بن عبد الرحمن وقيل: ابن عبد الله الأعرج السمان أبو عبد الله التيمي مولا هم كوفي ثقة، روى عن أبي عبد الله (ع)، ذكره ابن عقدة وابن نوح له كتاب يرويه عن جماعة. رجال النجاشي ص ١٣٧.

وإنَّ عندي لسيف رسول الله ، وإنَّ عندي لراية رسول الله «ص» ودرعه ولايته ومغفره فإن كانا صادقين فما علامة من درع رسول الله «ص» ؟ وإنَّ عندي لراية رسول الله «ص» المغلبة ، وإنَّ عندي ألواح موسى وعصاه ، وإنَّ عندي لحاتم سليمان بن داوود وإنَّ عندي الطست الذي كان موسى يقرب بها القربان ، وإنَّ عندي الاسم الذي كان رسول الله إذا وضعه بين المسلمين والمشركون ، لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة .

وإنَّ عندي لمثل التابوت الذي جاءت به الملائكة ، ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل ، كانت بنو إسرائيل في أي أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوة ، ومن صار إليه السلاح منا أوق الإمامة ، ولقد لبس أبي درع رسول الله «ص» فخطت على الأرض خططا ، ولبستها أنا وكانت تخط على الأرض- يعني : طويلة- مثل ما كانت على أبي ، وقائمنا من إذا لبسها ملأها إنشاء الله تعالى :

وكان الصادق «ع» يقول : علمنا غابر ومزبور ، ونكت في القلوب ونقر في الأسماع ، وإنَّ عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة «ع» ، وعندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج إليه الناس .

فستل عن تفسير هذا الكلام فقال : أما الغابر : فالعلم بما يكون ، والمزبور : فالعلم بما كان ، وأما النكت في القلوب : فهو الإلهام ، والنقر في الأسماع : فحديث الملائكة ، نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم ، وأما الجفر الأحمر : فهو آية تورا موسى ، وإنجيل عيسى وزبور داوود ، وكتب الله . وأما مصحف فاطمة : ففيه ما يكون من حادث ، وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة .

وأما الجامعة : فهو : كتاب طوله سبعون ذراعاً ، إملاء رسول الله من فلق فيه وخط علي بن أبي طالب «ع» بيده ، فيه والله جميع ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة ، حتى أن فيه أرش الخلدش ، والجلدة ونصف الجلدة .

ولقد كان زيد بن علي بن الحسين^(١) يطمع أن يوصي إليه أخوه الباقر «ع» ويقيم مقامه في الخلافة

(١) قال السيد عبد الرزاق المرقم في كتابه «زيد الشهيد» ص ٤٣ : قال المحدث التوري في رجال مستدرك الوسائل : وإنَّ زید بن علی جلیل القدر ، عظیم الشأن کبیر المنزلة . وأما ما ورد بما بهم خلاف ذلك مطروح أو عمول على التقية .

وقال الشيخ المفيد في الارشاد ص ٢٥١ : كان زيد بن علي بن الحسين «ع» حين اخوته بعد أبي جعفر «ع» ، وأفضلهم وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً ، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ بثار الحسين «ع» . وفي عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٤٨ بسنده عن محمد بن يزيد النحوي عن ابن أبي عبدون عن أبيه قال : لما حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون - وكان قد خرج بالبصرة وأحرق دور بني العباس - وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا «ع» وقال : يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل ، لقد خرج من قبله زيد بن علي فقتل ولولا مكانك لقتلته فليس ما أتاه بصغير فقال الرضا «ع» : لا تقس أخي زيدا إلى زيد بن علي فإنه كان من علماء آل محمد صلى الله عليه وآله غضب الله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله ، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر أنه سمع أبا جعفر بن محمد يقول : رحم الله عمي زيدا إنه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دها إليه ، ولقد استشارني في خروجه فقلت له : يا عمي إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك فلما ولى قال جعفر بن محمد : ويل لمن سمع داعيته فلم يجبه ، فقال المأمون يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغير حقها ما جاء ؟ =

بعده، مثل ما كان يطمع في ذلك محمد بن الحنفية بعد وفاة أخيه الحسين صلوات الله عليه، حتى رأى من ابن أخيه زين العابدين «ع» من المعجزة الدالة على إمامته ما رأى، وقد تقدم ذكره في هذا الكتاب، فكذاك زيدرجا أن يكون القائم مقام أخيه الباقر صلوات الله عليه، حتى سمع ما سمع من أخيه ورأى ما رأى من ابن أخيه أبي عبد الله الصادق «ع».

فمن ذلك: ما رواه صدقة بن أبي موسى، عن أبي بصير قال: لما حضر أبا جعفر محمد بن علي «ع» الوفاة، دعا بابنه الصادق «ع» ليعهد إليه عهداً، فقال له أخوه زيد بن علي:

لما امثلت في مثال الحسن والحسين «ع» رجوت أن لا تكون أتيت منكراً.

فقال له الباقر «ع»: يا أبا الحسين إن الأمانات ليست بالمثال، ولا العهود بالرسوم، إنما هي أمور سابقة عن حجج الله تبارك وتعالى، ثم دعا بجابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا جابر حدثنا بما عاينت من الصحيفة؟

فقال له: نعم يا أبا جعفر، دخلت على مولاني فاطمة بنت رسول الله «ص» لأهنيها بولادة الحسن «ع»، فاذا بيدها صحيفة بيضاء من درة، فقلت يا سيدة النسوان ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: فيها أسماء أئمة من ولدي.

قلت لها: ناوليني لأنظر فيها! قالت: يا جابر لولا النهي لكنيت أفعل، ولكنه قد نهي أن يمسه إلا نبي أو وصي نبي، أو أهل بيت نبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها.

قال جابر: فقرأت فاذا فيها: أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمه آمنة.

أبو الحسن علي بن أبي طالب «ع» المرتضى، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

أبو محمد الحسن بن علي البرقي، أبو عبد الله الحسين بن علي أمهما فاطمة بنت محمد.

أبو محمد علي بن الحسين العدل، أمه شهر بانويه بنت يزدجرد بن شهریار.

فقال الرضا «ع»: إن زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق وإنه كان أتقى لله من ذلك إنه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وإنما جاء فمن يدعي أن الله نص عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم. وكان زيد بن علي والله ممن خوطب بهذه الآية: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم﴾.

وروى الكليني في روضة الكافي ص ٢٢٤ مسنداً عن الصادق «ع» أن قال: لا تقولوا: خرج زيد فإن زيدا كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، إنما دعا إلى الرضا من آل محمد «ص» ولو ظفروا بما دعاكم إليه، إنما خرج إلى سلطان يجمع لينقضه.

وفي إرشاد المفيد «ره» ص ٢٥٢ قال: ولما قتل بلغ ذلك من أبي عبد الله الصادق «ع» كل مبلغ وحزن له حزناً عظيماً حتى بان عليه وفرق من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه ألف دينار وروى ذلك أبو خالد الواسطي قال: سلم إلي أبو عبد الله «ع»، الفديتين وأمرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد فأصاب عيال عبد الله بن الزبير أخي فضيل الرسان منها أربعة دنانير وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة وكانت سنة يومئذ اثنين وأربعين سنة.

أبو جعفر محمد بن علي الباقر، أمه أم عبدالله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب.
 أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق، أمه: «أم فروة» بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر.
 أبو إبراهيم موسى بن جعفر الثقة، أمه جارية اسمها «حميدة» المصفاة.
 أبو الحسن علي بن موسى الرضا، أمه جارية اسمها: «نجمة».
 أبو جعفر محمد بن علي الزكي أمه جارية اسمها: «خيزران».
 أبو الحسن علي بن محمد الأمين، أمه جارية اسمها: «سوسن».
 أبو محمد الحسن بن علي الرضي، أمه جارية اسمها: «سمانة» تكنى أم الحسن.
 أبو القاسم محمد بن الحسن وهو الحجة القائم، أمه جارية اسمها: «نرجس» صلوات الله عليهم
 أجمعين.

وعن زرارة بن أعين قال: قال لي زيد بن علي وأنا عند أبي عبدالله «ع»: يا فتى ما تقول في رجل من
 آل محمد استنصرك؟

قال: قلت: إن كان مفروض الطاعة في أن أفعل ولي أن لا أفعل.

فلما خرج قال أبو عبدالله: أخذته والله من بين يديه ومن خلفه وما تركت له مخرجاً.
 وقيل للصادق «ع»: ما يزال يخرج رجل منكم أهل البيت فيقتل ويقتل معه بشر كثير فأطرق طويلاً
 ثم قال: إن فيهم الكذابين وفي غيرهم المكذبين.

وروي عنه صلوات الله عليه أنه قال: ليس منا أحد الا وله عدو من أهل بيته فقيل له: بنو الحسن
 لا يعرفون لمن الحق؟

قال: بلى، ولكن يحملهم الحسد.

عن أبي يعقوب^(١) قال: لقيت أنا ومعل بن خنيس^(٢) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب «ع»

(١) عنه الشيخ الطوسي «ره» في رجاله ص ٣٣٩ من أصحاب الإمام جعفر بن محمد الصادق «ع» فقال: «أبو يعقوب: الأسدي
 إمام بني الصيد الكوفي».

(٢) المعل بن خنيس ذكره الشيخ الطوسي «ره» في عداد أصحاب الصادق «ع» ص ٣٢٠ من رجاله وذكره العلامة في القسم الثاني
 من خلاصته ص ٢٥٩ فقال: معل بن خنيس- بضم الخاء المعجمة وفتح النون والسين المهملة بعد الياء المنقطة تحتها نقطتين- أبو عبد الله
 مولى الصادق جعفر بن محمد «ع»، ومن قبله كان مولى بني أسد، كوفي. قال النجاشي: إنه بزاز بالزاي قبل الألف وبعدها وهو ضعيف
 جداً وقال: الغضائري إنه كان أول أمره مغيراً ثم دها إلى محمد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكية، وفي هذه الظنة أخذه داود بن علي
 فقتله، والغلاة يضيفون إليه كثيراً. قال: ولا أرى الاعتماد على شيء من حديثه. وروي فيه أحاديث تقتضي الذم وأخرى تقتضي
 المدح، وقد ذكرناها في الكتاب الكبير. وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي: - في الغيبة بغير إسناد- إنه كان من قوام أبي عبد الله «ع»، وكان
 محموداً عنده ومضى على متهاجه، وهذا يقتضي وصفه بالعدالة.

أقول: يريد بقوله كان مغيراً أي: من أصحاب المغيرة بن سعيد مولى بجيلة الذي لعنه الامام الصادق «ع» مراراً.

فقال: يا يهودي فأخبرنا بما قال فينا جعفر بن محمد (ع) فقال: هو والله أولى باليهودية منكما إن اليهودي من شرب الخمر.

وبهذا الاسناد قال: سمعت أبا عبدالله يقول: لو توفي الحسن بن الحسن على الزنا والربا وشرب الخمر، كان خيراً له مما توفي عليه.

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله (ع) عن هذه الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ (٣) قال أي شيء تقول؟ قلت: إني أقول إنها خاصة لولد فاطمة.

فقال (ع): أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم فليس بداخل في الآية.

قلت: من يدخل فيها قال: الظالم لنفسه الذي لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى، والمقتصد منا أهل البيت: هو العارف حق الامام، والسابق بالخيرات: هو الامام.

عن محمد بن أبي عمير الكوفي (١) عن عبدالله بن الوليد السمان (٢) قال: قال أبو عبدالله (ع): ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين (ع)؟ قال: قلت: ما يقدمون على أولي العزم أحداً.

قال: فقال أبو عبدالله (ع): إن الله تبارك وتعالى قال لموسى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة﴾ (٣) ولم يقل كل شيء موعظة. وقال لعيسى: ﴿وليبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ (٤) ولم يقل كل شيء وقال لصاحبكم أمير المؤمنين (ع): ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم لكتاب﴾ (٥) وقال الله عز وجل: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (٦) وعلم هذا الكتاب عنده.

(١) محمد بن أبي عمير، واسم أبي عمير: زياد بن عيسى ويكنى: أبا محمد مولى الأزدي. من موالى المهلب بن أبي صفرة. وقيل: من موالى بني أمية. والأول أصح، بغدادى الأصل والمقام، لقى أبا الحسن موسى (ع) وسمع منه أحاديث كناه في بعضها فقال: يا أبا أحمد.

وروى عن الرضا (ع). كان جليل القدر عظيم المنزلة عندنا وعند المخالفين. قال الكشي: إنه من جمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عنه وأقرروا له بالفقه والعلم. وقال الشيخ الطوسي (ره): إنه كان أوثق الناس عند الخاصة والعامة، وأنسكهم نسكاً وأزهدهم وأعبدهم. أدرك من الأئمة ثلاثة: أبا إبراهيم موسى بن جعفر (ع) ولم يرو عنه وروى عن أبي الحسن الرضا (ع) قال أبو عمرو الكشي: قال محمد بن مسعود: حدثني علي بن الحسين قال: ابن أبي عمير ألقه من بونس بن عبد الرحمن وأصلح وأفضل وله حكاية ذكرناها في كتابنا الكبير، مات رحمه الله سنة سبع عشر ومائتين.

القسم الأول من خلاصة العلامة ص ١٤١

(٢) خلاصة العلامة ص ١١٦:

عبد الله بن الوليد السمان، بالسین المهملة والنون أنشيراً النخعي مولى كوفي روى عن أبي عبد الله (ع) ثقة.

(٣) الأعراف ١٤٥.

(٤) الزخرف ٦٣.

(٥) الرعد ٤٣.

(٦) الأنعام ٥٩.

وعن عبدالله بن الفضل الهاشمي^(١) قال: سمعت الصادق «ع» يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل، قلت له: ولم جعلت فداك؟

قال: الأمر لا يؤذن لي في كشفه لكم. قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبته، وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف الا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى «ع» إلى وقت افتراقهما. يا ابن الفضل إن هذا الأمر أمر من الله وسر من سر الله وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف.

وعن علي بن الحكم^(٢) عن أبان قال: أخبرني الأحول أبو جعفر محمد بن النعمان الملقب بمؤمن الطلاق: أن زید بن علي بن الحسين بعث إليه وهو مختف قال: فأتيته فقال لي: يا أبا جعفر ما تقول إن طرقت طارق منا أخرج معه؟

قال: قلت له: إن كان أبوك أو أخوك خرجت معه.

قال: فقال لي: فانا أريد أن أخرج وأجاهد هؤلاء القوم فأخرج معي! قال: قلت: لا أفعل جعلت فداك!

قال: فقال لي: أترغب بنفسك عني؟ قال: فقلت له: إنما هي نفس واحدة، فإن كان لله تعالى في الأرض حجة فالتخلف عنك ناج والخارج معك هالك، وإن لم يكن لله في الأرض حجة فالتخلف عنك والخارج معك سواء.

قال: فقال لي: يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي على الخوان، فيلقمني اللقمة السمينة، ويرد لي اللقمة الحارة حتى تبرد شفقة علي، ولم يشفق علي من حر النار إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به.

قال: قلت له: من شفقتك عليك من حر النار لم يخبرك، خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النار وأخبرني، فإن قبلته نجوت وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار ثم قلت له:

جعلت فداك أنتم أفضل أم الأنبياء؟ قال: بل الأنبياء.

قلت: يقول يعقوب ليوسف: ﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾^(٣) لم لم ينجبرهم حتى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمه، وكذا أبوك كتمك لأنه خاف عليك.

(١) عنه الشيخ الطوسي في أصحاب الصادق عليه السلام ص ٢٢٢ من رجاله.

(٢) علي بن الحكم من أهل الأنبار. قال الكشي: عن حمويه عن محمد بن عيسى أن علي بن الحكم هو ابن اخت دأود بن النعمان بياع الأنماط وهو نسب بني الزبير الصيرفة، وعلي بن الحكم تلميذ ابن أبي عمير، ولقي من أصحاب أبي عبد الله الكثير وهو مثل ابن فضال وابن بكير.

(٣) يوسف ٥.

قال : فقال : أما والله لئن قلت ذلك فقد حدثني صاحبك بالمدينة أنني اُقتل واصلب بالكناسة ، وإنَّ عنده لصحيفة فيها قتلي وصلبي .

قال : فحججت وحدثت أبا عبد الله (ع) بمقالة زيد وما قلت له فقال لي : أخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه ، ولم تترك له مسلكاً يسلكه .

وعن هشام بن الحكم قال : اجتمع ابن أبي العوجاء وأبو شاكر الديصاني الزنديق وعبد الملك البصري وابن المقفع عند بيت الله الحرام ، يستهزءون بالحاج ويطعنون بالقرآن .

فقال ابن أبي العوجاء : تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن وميعادنا من قابل في هذا الموضع ، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله ، فإنَّ في نقض القرآن إبطال نبوة محمد ، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن فيه ، فاتفقوا على ذلك واختلفوا ، فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام فقال ابن أبي العوجاء :

أما أنا فمفكر منذ اُفترقنا في هذه الآية : ﴿ فلما استياسوا منه خلصوا نجياً ﴾ ^(١) فما أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً ، فشغلتني هذه الآية عن التفكير فيما سواها .

فقال عبد الملك : وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ ^(٢) ولم أقدر على الاتيان بمثلها .

فقال أبو شاكر : وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية : ﴿ لو كان فيها آلهة الا الله لفسدنا ﴾ ^(٣) لم أقدر على الاتيان بمثلها .

فقال ابن المقفع : يا قوم إنَّ هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر ، وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية : ﴿ وقيل يا أرض ابلعي مائلك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾ ^(٤) لم أبلغ غاية المعرفة بها ، ولم أقدر على الاتيان بمثلها .

قال هشام بن الحكم : فبينما هم في ذلك . إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق (ع) فقال : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ ^(٥) فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا : لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محمد الا إلى جعفر بن محمد ، والله ما رأينا قط الا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته ، ثم تفرقوا مقرين بالعجز .

(١) يوسف - ٨٠ .

(٢) الحج - ٧٣ .

(٣) الأنبياء - ٢٤ .

(٤) هود - ٤٤ .

(٥) الاسراء - ٨٨ .

ولهذا الأمر قال محمد بن أبي بكر في خبر عجيب شعراً^(١):

تجملت تبغلت وان عشت تفيلت لك التسع من الثمن وبالكُلْ تملك

وعن أحمد بن عبد الله البرقي^(٢) عن أبيه^(٣) عن شريك بن عبد الله^(٤) عن الأعمش قال: اجتمعت الشيعة والمحكمة عند أبي نعيم النخعي بالكوفة^(٥) وأبو جعفر محمد بن النعمان مؤمن الطاق حاضر، فقال ابن أبي حنزة:

أنا أقرر معكم أيتها الشيعة أن أبا بكر أفضل من علي ومن جميع أصحاب النبي بأربع خصال لا يقدر على دفعها أحد من الناس: هو ثان مع رسول الله في بيته مدفون، وهو ثاني اثنين معه في الغار، وهو ثاني اثنين صلى بالناس آخر صلاة قبض بعده رسول الله «ص»، وهو ثاني اثنين الصديق من هذه الأمة.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق رحمه الله عليه: يا ابن أبي حنزة وأنا أقرر معك أن علياً أفضل من أبي بكر وجميع أصحاب النبي «ص» من ثلاث جهات: من القرآن وصفاً، ومن خبر الرسول نصاً، ومن حجة العقل اعتباراً، ووقع الاتفاق على إبراهيم النخعي وعلى أبي إسحاق السبيعي، وعلى سليمان بن مهران الأعمش.

(١) تجملت في حرب البصرة، أي ركبت الحمل وخرجت للحرب علي عليه السلام وتبغلت حين جاءوا بجنازة الامام الحسن المجتبي عليه السلام لزيارة قبر جده فخرجت راكبة على بغلة يقودها مروان وهي تنادي: لا تدخلوا بيتي من لا احب، وقال مروان: أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع جده رسول الله، لا كان ذلك أبداً والبيت لابن عباس خاطبها به ذلك اليوم وليس لمحمد بن أبي بكر. بل إن عمداً لم يدرك ذلك اليوم وقتل في عهد أمير المؤمنين وقد مرت ترجمته، ولا اعرف موضع البيت هنا.

(٢) قال السيد الأمين العامل رحمه الله في أعيان الشيعة ج ٩ ص ٤: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، في طريق الصدوق إلى محمد بن مسلم، والظاهر أنه من مشايخ الاجازة، وربما احتمل أن يكون ابن بنت البرقي ونسب إلى جده والله أعلم.

(٣) لم أعر له على ترجمة فيها عندي من كتب الرجال.

(٤) شريك بن عبد الله بن سنان بن أنس النخعي الكوفي، ذكره ابن قتيبة والذهبي في رجال الشيعة، وكان ممن روى النص على أمير المؤمنين علي عليه السلام كما في الميزان للذهبي ومن تتبع سيرته علم أنه كان يوالي أهل البيت عليهم السلام وقد روى عن أوليائهم علماً جاً، قال ابنه عبد الرحمن: كان عند أبي عشرة آلاف مسألة عن جابر الجعفي، وعشرة آلاف غرائب. وقال عبد الله بن المبارك: شريك أعلم بحديث الكوفيين من سفيان، وكان عدواً لأعداء علي عليه السلام، سمى القول فيهم، ومع ذلك وصفه الذهبي بالخاطب الصادق أحد الأئمة، ونقل عن ابن معين القول بأنه صدوق ثقة، احتج به مسلم وأرواب السنن الأربعة. قال الذهبي: قد كان شريك من أوعية العلم حل عنه إسحاق الأزرق تسعة آلاف حديث.

ولد بخراسان أو ببغداد سنة ٩٥ ومات بالكوفة مسنهل «قع» سنة ١٧٧ أو ١٧٨.

عن الكنى والألقاب للقمي ج ٣ ص ٢٠٥.

(٥) قال في تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٢٥٨: أبو نعيم النخعي الصغير. اسمه عبد الرحمن بن هاني الكوفي، سبط إبراهيم النخعي تقدم.

وقال في ج ٦: عبد الرحمن بن هاني بن سعيد الكوفي أبو نعيم النخعي الصغير ابن بنت إبراهيم النخعي روى عن مسعر والثوري وشريك وابن جريح وعمر بن ذر... الخ

فقال أبو جعفر مؤمن الطلاق: أخبرني يا ابن أبي حذرة عن النبي «ص» كيف ترك بيوته التي أضافها الله إليه، ونهى الناس عن دخولها إلا بأذنه - ميراثاً لأهله وولده، أو تركها صدقة على جميع المسلمين؟ قل ما شئت.

فانقطع ابن أبي حذرة لما أورد عليه ذلك وعرف خطأ ما فيه.

فقال أبو جعفر مؤمن الطلاق: إن تركها ميراثاً لولده وأزواجه فانه قبض عن تسع نسوة، وإنما لعائشة بنت أبي بكر تسع ثمن هذا البيت الذي دفن فيه صاحبك، ولا يصيبها من البيت ذراع في ذراع، وإن كان صدقة فالبلية أطم وأعظم فانه لم يصب من البيت إلا ما لأدى رجل من المسلمين، فدخل بيت النبي «ص» بغير إذنه في حياته وبعد وفاته معصية إلا لعلي بن أبي طالب «ع» وولده، فإن الله أحل لهم ما أحل للنبي «ص»، ثم قال لهم: إنكم تعلمون أن النبي، أمر بسد أبواب جميع الناس التي كانت مشرعة إلى المسجد ما خلا باب علي «ع»، فسأله أبو بكر أن يترك له كوة لينظر منها إلى رسول الله فإبى عليه، وغضب عمه العباس من ذلك فخطب النبي «ص» خطبة وقال:

إِنَّ الله تبارك وتعالى أمر لموسى وهارون أن يتبوءا لقومكما بمصر بيوتاً، وأمرهما أن لا يبيتا في مسجدهما جنب، ولا يقربا فيه النساء إلا موسى وهارون وذريتهما، وإن علياً هو بمنزلة هارون من موسى، وذريته كذرية هارون، ولا يحل لأحد أن يقرب النساء في مسجد رسول الله «ص»، ولا يبيت فيه جنب إلا علي وذريته «ع». فقالوا بأجمعهم: كذلك كان.

قال أبو جعفر: ذهب ربع دينك يا ابن أبي حذرة، وهذه منقبة لصاحبي ليس لأحد مثلها، ومثلبة لصاحبك، وأما قولك: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ أخبرني هل أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين في غير الغار؟ قال إي ابن أبي حذرة: نعم.

قال أبو جعفر: فقد خرج صاحبك في الغار من السكينة، وخصه بالحزن ومكان علي في هذه الليلة على فراش النبي «ص»، وبذل مهجته دونه أفضل من مكان صاحبك في الغار. فقال الناس: صدقت.

فقال أبو جعفر: يا ابن أبي حذرة ذهب نصف دينك، وأما قولك ثاني اثنين الصديق من الأمة، فقد أوجب الله على صاحبك الاستغفار، لعلي بن أبي طالب «ع» في قوله عز وجل: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان﴾ إلى آخر الآية والذي ادعيت إنما هو شيء سمى الناس ومن سمى القرآن وشهد له بالصدق والتصديق أولى به ممن سمى الناس، وقد قال علي «ع» على منبر البصرة: أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن آمن أبو بكر وصدقت قبله. قال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطلاق: يا ابن أبي حذرة ذهب ثلاثة أرباع دينك.

وأما قولك في الصلاة بالناس، كنت ادعيت لصاحبك فضيلة لم تتم له. وإنما إلى التهمة أقرب منها إلى الفضيلة، فلو كان ذلك بأمر رسول الله «ص» لما عزله عن تلك الصلاة بعينها، أما علمت أنه لما تقدم أبو بكر ليصلي بالناس خرج رسول الله «ص» فتقدم وصلى بالناس وعزله عنها، ولا تخلو هذه الصلاة

من أحد وجهين: إما أن تكون حيلة وقعت منه، فلما أحس النبي «ص» بذلك خرج مبادراً مع علته فنحاه عنها لكيلا يحتاج بها بعده على امته فيكونوا في ذلك معذورين.

وإما أن تكون هو الذي أمره بذلك، وكان ذلك مفوضاً إليه كما في قصة تبليغ براءة، فنزل جبرئيل «ع» وقال: لا يؤذيها إلا أنت أو رجل منك، فبعث علياً في طلبه وأخذته منه وعزله عنها وعن تبليغها، فكذلك كانت قصة الصلاة، وفي الحالتين هو مذموم لأنه كشف عنه ما كان مستوراً عليه، وفي ذلك دليل واضح أنه لا يصلح للاستخلاف بعده، ولا هو مأمون على شيء من أمر الدين. فقال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يا ابن أبي حذرة ذهب دينك كله، وفضحت حيث مدحت.

فقال الناس لأبي جعفر: هات حجتك فيما ادعيت من طاعة علي «ع»، فقال أبو جعفر مؤمن الطاق:

أما من القرآن وصفاً فقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١) فوجدنا علياً بهذه الصفة في القرآن في قوله عز وجل ﴿وَالصَّابِرُونَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ يعني في الحرب والشغب أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون^(٢) فوقع الاجماع من الامة بأن علياً «ع» أولى بهذا الأمر من غيره، لأنه لم يفر من زحف قط كما فر غيره في غير موضع فقال الناس: صدقت.

وأما الخبر عن رسول الله «ص» نصاً، فقال: «إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فامهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» قوله «ص»: «إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومن تقدمها مرق، ومن لزمها لحق»^(٣) فالتمسك بأهل بيت رسول الله «ص» هادي مهتد بشهادة من الرسول والتمسك بغيرها ضال مضل.

قال الناس: صدقت يا أبا جعفر: وأما من حجة العقل فإن الناس كلهم يستعبدون بطاعة العالم، ووجدنا الاجماع قد وقع على علي «ع» بأنه كان أعلم أصحاب رسول الله «ص»، وكان الناس يسألونه ويحتاجون إليه، وكان علي مستغنياً عنهم، هذا من الشاهد والدليل عليه من القرآن قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٤).

(١) التوبة ١٢٠

(٢) البقرة ١٧٧

(٣) ذخائر العقبى ص ٢٠: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تعلق بها فاز، ومن تخلف عنها غرق» أخرجه الملا في سيرته. قال الحجة الأميني في ج ٢ ص ٣٠١ من الغدير: وحديث السفينة رواه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٥١ عن أبي زر وصححه بلفظ: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق. وأخرجه الخطيب في تاريخه ج ١٢ ص ٩١ عن أنس والبخاري عن ابن عباس وابن الزبير وابن جرير والطبراني عن أبي زر وأبي سعيد الخدري وأبو نعيم وابن عبد البر وعبد الدين الطبري وكثيرون آخرون.

(٤) يونس- ٣٥.

فما اتفق يوم أحسن منه، ودخل في هذا الأمر عالم كثير.

وقد كانت لأبي جعفر مؤمن الطاق مقامات مع أبي حنيفة. فمن ذلك: ما روي أنه قال يوماً من الأيام لمؤمن الطاق: إنكم تقولن بالرجعة. قال: نعم.

قال أبو حنيفة: فأعطني الآن ألف درهم حتى أعطيك ألف دينار إذا رجعتنا.

قال الطاق لأبي حنيفة: فأعطني كفيلاً بأنك ترجع إنساناً ولا ترجع خنزيراً.

وقال له يوم آخر: لم لم يطالب علي بن أبي طالب بحقه بعد وفاة رسول الله إن كان له حق؟ فأجابه مؤمن الطاق: خاف أن يقتله الجن كما قتلوا سعد بن عباد بن سهم المغيرة بن شعبة، وفي رواية بسهم خالد بن الوليد^(١).

وكان أبو حنيفة يوماً آخر يتماشى مع مؤمن الطاق في مكة من سكك الكوفة، إذا مناد ينادي من يدلني على صبي ضال؟ فقال مؤمن الطاق: أما الصبي الضال فلم نره. وإن أردت شيخاً ضالاً فخذ هذا عني به: أبا حنيفة.

ولما مات الصادق (ع) رأى أبو حنيفة مؤمن الطاق فقال له: مات امامك؟ قال: نعم. أما امامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم.

(١) سعد بن عباد: رئيس الخزرج، وكان صاحب راية الأنصار يوم بدر وأمير المؤمنين عليه السلام صاحب لواء رسول الله ص والمهاجرين. ولما قبض النبي ص اجتمعت الأنصار إليه وكان مريضاً فجاءوا به إلى سقيفة بني ساعدة وأرادوا تأميمه، ولما تم الأمر لأبي بكر امتنع عن مبايعته، فأرسل إليه أبو بكر ليبايع فقال: لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي، واخضب سنان رجلي، وأضرب بسيفي ما أطاعني، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني، ولو اجتمع معكم الجن والإنس ما بايعتكم حتى اعرض علي ربي فقال عمر: لا تدعه حتى يبايع فقال بشير بن سعد: إنه قد لجج وليس بمبايع لكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ولا يضركم تركه، إنما هو رجل واحد فتركوه، وقبلوا مشورة بشير بن سعد، واستصحبوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع معهم، ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر راجع ج ٣ ص ٢١٠ من تاريخ الطبري وقال ابن أبي الحديد في ج ١ ص ٥٤٠ من شرح النهج: وخرج إلى حوران فمات بها قبل: قتله الجن لأنه بال قائماً في الصحراء ليلاً، ورووا بيتين من شعر قبل: أنها سمعا ليلة قتله ولم ير قائلاًهما:

نحن قتلنا سيد الخز
رج سعد بن عباد
ورميناه بسهمين
فلم نخطيء فؤاده

ويقول قوم: إن أمير الشام يومئذ كمن له من رماة ليلاً وهو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الامام وقد قال بعض المتأخرين في ذلك:

يقولون: سعد شكت الجن قلبه
وما ذنب سعد أنه بال قائماً
وقد صبرت من لذة العيش أنفـس
ولا رما صحت دينك بالسفـندر
ولكن سعداً لم يبايع أبا بكر
وما صبرت عن لذة النبي والأمر

وروي : انه مرّ فضال بن الحسن بن فضال الكوفي^(١) بأبي حنيفة وهو في جمع كثير ، بملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه . فقال - لصاحب كان معه - : والله لا ابرح حتى اخجل أبا حنيفة .

فقال صاحبه الذي كان معه : ان أبا حنيفة ممن قد علمت حاله ، وظهرت حجته .

قال : صه ! هل رأيت حجة ضال علت على حجة مؤمن ؟! ثم دنا منه فسلم عليه ، فرد ، ورد القوم السلام بأجمعهم . فقال :

يا أبا حنيفة إن أخاً لي يقول : إن خير الناس بعد رسول الله عليّ بن أبي طالب (ع) ، وأنا أقول أبو بكر خير الناس وبعده عمر . فما تقول أنت رحمك الله ؟

فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال : كفى بمكانهما من رسول الله (ص) كرمأ وفخرأ ، أما علمت أنّهما ضجيعاه في قبره ، فأبي حجة تريد أوضح من هذا ؟

فقال له فضال إنّي قد قلت ذلك لأخي فقال : والله لئن كان الموضع لرسول الله (ص) دونها فقد ظلما بدفنتها في موضع ليس لهما حق فيه ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله (ص) لقد أساءا وما أحسنا، إذ رجعا في هبتهما ونسبنا عهدهما .

فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال له : لم يكن له ولا لهما خاصة ، ولكنها نظرا في حق عايشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابتيهما .

فقال له فضال : قد قلت له ذلك فقال : أنت تعلم أنّ النبي مات عن تسع نساء ، ونظرنا فاذا لكل واحد منهن تسع الثمن ، ثم نظرنا في تسع الثمن ، فاذا هو شبر في شبر ، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك ، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله (ص) وفاطمة بنته تمنع الميراث ؟!

فقال أبو حنيفة : يا قوم نحوه عني فانه رافضي خبيث .

حكى عن أبي الهذيل العلاف^(٢) قال :

(١) في رجال المامقاني ج ٢ ص ٣٧٣ حكى عن المولى الوحيد أنه قال : يظهر من معارضته مع أبي حنيفة كونه من فضلاء الشيعة واحتدل الحائري كونه أخا علي بن الحسن بن فضال .

(٢) أبو الهذيل العلاف محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصري ، شيخ البصريين في الاعتزال ومن أكبر علمائهم ، وصاحب المقالات في مذهبهم ، كان معاصراً لأبي الحسن الميثمي المتكلم الامامي حكى أنه سأل أبو الحسن الميثمي أبا الهذيل فقال : ألسنت تعلم أنّ إبليس ينهى عن الخير كله ويأمر بالشر كله ؟

قال : بلى .

قال : فيجوز أن يأمر بالشر كله وهو لا يعرفه ، وينهى عن الخير كله وهو لا يعرفه ؟

قال : لا .

دخلت الرقة فذكر لي أنَّ (بديزكن) رجلاً مجنوناً حسن الكلام ، فأتيته فإذا أنا بشيخ حسن الهيئة جالس على وسادة يسرح رأسه ولحيته ، فسلمت عليه فرد السلام وقال : ممن يكون الرجل ؟ قال : قلت من أهل العراق . قال : نعم ، أهل الظرف والأدب .

قال : من أيها أنت ؟ قلت : من أهل البصرة . قال : أهل التجارب والعلم .

قال : فمن أيهم أنت ؟ قلت : أبو الهذيل العلاف . قال : المتكلم ؟ قلت : بلى .

فوثب عن وسادته وأجلسني عليها ثم قال - بعد كلام جرى بيننا - : ما تقولون في الإمامة ؟ قلت : أي الإمامة تريد ؟

قال : من تقدمون بعد النبي (ص) ؟ قلت : من قدم رسول الله (ص) قال : ومن هو ؟ قلت : أبا بكر .

قال لي : يا أبا الهذيل ولم قدمتم أبا بكر ؟

قال : قلت : لأن النبي (ص) قال : « قدموا خيركم وولوا أفضلكم » وتراضى الناس به جميعاً . قال : يا أبا الهذيل ها هنا وقعت .

أما قولك إن النبي (ص) قال : « قدموا خيركم وولوا أفضلكم » فإني أوجدك^(١) : أن أبا بكر صعد المنبر قال : « وليتكم ولست بخيركم وعلي فيكم » فإن كانوا كذبوا عليه فقد خالفوا أمر النبي (ص) وإن كان هو الكاذب على نفسه فمثير رسول الله لا يصعده الكاذبون .

أما قولك : إن الناس تراضوا به ، فإن أكثر الأنصار قالوا من أمير ومنكم أمير ، وأما المهاجرون فإن الزبير بن العوام قال : لا أبايع إلا علياً ، فأمر به فكسر سيفه ، وجاء أبو سفيان بن حرب وقال : يا أبا الحسن لو شئت لأملأتها خيلاً ورجالاً يعني : « المدينة » وخرج سلمان فقال بالفارسي : « كرديد ونكرديد ، وندانيد كه چه كرديد »^(٢) والمقداد وأبو ذر ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار .

أخبرني يا أبا الهذيل عن قيام أبي بكر على المنبر وقوله : إن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا رأيتموني

= فقال له أبو الحسن : قد ثبت أن إبليس يعلم الشر كله والخير كله ؟

قال أبو الهذيل : أجل .

قال : فأخبرني عن إمامك الذي تأتم به بعد رسول الله (ص) هل يعلم الخير كله والشر كله ؟ قال : لا .

قال له : فأبليس أعلم من إمامك إذا فانتقطع أبو الهذيل .

توفي أبو الهذيل بسر من رأى سنة ٢٧٧ . الكنى والألقاب ج ١ ص ١٧٠ .

(١) في ج ٢ من العقد الفريد ص ٣٤٧ قال : وخطب أيضاً - يعني : أبا بكر - حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إني قد

وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حق فاعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدوني . الخ .

(٢) أي : فعلتم وما فعلتم ولا تعلمون ما الذي فعلتم .

مغضباً فاحذروني ، لا أقع في أشعاركم وأبشاركم^(١) فهو يخبركم على المنبر أني مجنون ، وكيف يحل لكم أن تولوا مجنوناً ؟

وأخبرني يا أبا الهذيل عن قيام عمر وقوله : وددت أني شعرة في صدر أبي بكر ، ثم قام بعدها بجمعة فقال : « إن بيعة أبي بكر كانت قلعة وقى الله شرها فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه »^(٢) فبينما هو يود أن يكون شعرة في صدره ، وبينما هو يأمر بقتل من بايع مثله .

فأخبرني يا أبا الهذيل عن الذي زعم أن النبي (ص) لم يستخلف ، وأن أبا بكر استخلف عمر ، وأن عمر لم يستخلف ، فأرى أمركم بينكم متناقضاً .

وأخبرني يا أبا الهذيل عن عمر حين صيرها شورى بين ستة ، وزعم : أنهم من أهل الجنة فقال : « إن خالف اثنان لأربعة فاقتلوا الاثنين ، وإن خالف ثلاثة لثلاثة ، فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف » فهذا ديانة أن يأمر بقتل أهل الجنة !!؟؟

وأخبرني يا أبا الهذيل عن عمر لما طعن دخل عليه عبد الله بن عباس قال : فرأيتك جزعاً فقلت : يا أمير المؤمنين ما هذا الجزع ؟

قال : يا ابن عباس ما جزعي لأجلي ولكن جزعي لهذا الأمر من يليه بعدي .

قال : قلت : ولما طلحة بن عبيد الله .

قال : رجل له حدة ، كان النبي (ص) يعرفه فلا أولي أمر المسلمين حديداً .

قال : قلت : ولما زبير بن العوام . قال : رجل بخيل ، رأيتك يماكس امرأته في كبة من غزل ، فلا أولي أمور المسلمين بخيلاً .

قال : قلت ولما سعد بن أبي وقاص . قال : رجل صاحب فرس وقوس ، وليس من أحلاس الخلافة^(٣) .

قال : قلت : ولما عبد الرحمن بن عوف . قال : رجل ليس يحسن أن يكفي عياله .

(١) روى الطبري في ج ٣ ص ٢١٠ من تاريخه مرفوعاً عن عاصم بن عدي قال : نادى منادي أبي بكر . . . إلى أن قال : وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « يا أيها الناس إنما أنا مثلكم ، وإنّي لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله (ص) يطيق ، وإن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات ، وإنما أنا متبع ولست مبتدع ، فإن استقممت فتابعوني ، وإن زغت فقوموني ، وإن رسول الله (ص) قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ، ضربة سوط فما دونها ، ألا وإنّي في شيطاناً يعتريني ، فإذا أنا في فاجتنبوني ، لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم . . . الخ » .

(٢) ذكر الطبري في تاريخه ج ٣ ص ٢٠٠ أن عمر قال - وهو على المنبر - : أريد أن أقول مقالة قد قدر أن أقولها ، من وعاءها وعقلها وحفظها فليحدث بها إلى أن قال : فلا يغرنّ امرء أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت قلعة ، فقد كانت كذلك غير أن الله وقى شرها . . . الخ .

(٣) الأحلاس : جمع جلس بقال : فلان جلس بيته : أي ملازم له تشبيهاً له بجلس البعير وهو : كساء رقيق يكون تحت البرذعة ، والمراد ليس من أهلها .

قال : قلت ولما عبد الله بن عمر . فاستوى جالساً ثم قال : يا ابن عباس ! ما الله أردت بهذا أولي رجلاً لم يحسن أن يطلق امرأته ؟!

قال : قلت : ولما عثمان بن عفان . قال : والله لئن وليته ليحملن بني أبي معيط على رقاب المسلمين ، ويوشك أن يقتلوه . قالها ثلاثاً .

قال : ثم سكت لما أعرف من مغائرتي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) . فقال : يا ابن عباس اذكر صاحبك . قال : قلت : فوالها علياً .

قال : فوالله ما جزعي الا لما أخذنا الحق من أربابه ، والله لئن وليته ليحملنهم على المحجة العظمى ، وإن يطيعوه يدخلهم الجنة ، فهو يقول هذا ثم صيرها شورى بين الستة فويل له من ربه !!!

قال أبو الهذيل : فوالله بينما هو يكلمني إذ اختلط ، وذهب عقله . فأخبرت المأمون بقصته ، وكان من قصته أن ذهب بماله وضياعه حيلة وغدراً ، فبعث إليه المأمون ، فجاء به وعالجه وكان قد ذهب عقله بما صنع به ، فرد عليه ماله وضياعه وصيره نديماً ، فكان المأمون يتشيع لذلك ، والحمد لله على كل حال .

وقد جاءت الآثار عن الأئمة الأبرار (ع) : بفضل من نصب نفسه من علماء شيعتهم لمنع أهل البدعة والضلال عن التسلط على ضعفاء الشيعة ومساكينهم وقمعهم بحسب تمكثهم وطاقاتهم ، فمن ذلك ما روي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري (ع) أنه قال :

قال جعفر بن محمد (ع) : علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته ، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا ، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب ، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف مرة لأنه يدفع عن أديان محبينا ، وذلك يدفع عن أبدانهم .

إحتجاج أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام في أشياء شتى على المخالفين .

الحسن بن عبد الرحمن الحماني^(١) قال : قلت لأبي إبراهيم (ع) إن هشام بن الحكم زعم : أن الله تعالى جسم ليس كمثل شيء ، عالم ، سميع ، بصير ، قادر ، متكلم ، ناطق ، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ، ليس شيء منها مخلوقاً .

فقال : قاتله الله . أما علم أن الجسم محدود ؟! والكلام غير المتكلم ؟ معاذ الله وأبرأ إلى الله من هذا القول . لا جسم ، ولا صورة ، ولا تحديد ، وكل شيء سواء مخلوق وإنما تكون الأشياء بإرادته

(١) ذكره الأربيلي في جامع الرواة ج ١ ص ٢٠٦ فقال : محمد بن إسماعيل عن علي بن العباس عن الحسن بن عبد الرحمن الحماني عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام في الكافي باب النهي عن الجسم والصورة .

ومشيئته من غير كلام ولا تردد في نفس ولا نطق بلسان .

وعن يعقوب بن جعفر^(١) عن أبي إبراهيم (ع) أنه قال : لا أقول إنه قائم فازيله عن مكان ، ولا أحده بمكان يكون فيه ، ولا أحده أن يتحرك في شيء من الأركان والجوارح ، ولا أحده بلفظ شق الفم ، ولكن كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٢) بمشيئته من غير تردد في نفس صمداً فرداً لم يحتاج إلى شريك يدبر له ملكه ، ولا يفتح له أبواب علمه .

وعن يعقوب بن جعفر الجعفري أيضاً ، عن أبي إبراهيم موسى (ع) قال : ذكر عنده قوم زعموا : أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا فقال :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِلُ وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يَنْزَلَ إِنَّمَا مَنَظَرُهُ فِي الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ سَوَاءٌ لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ بَعِيدٌ ، وَلَا يَقْرُبُ مِنْهُ قَرِيبٌ وَلَمْ يَحْتَاجْ إِلَى شَيْءٍ بَلْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ ، وَهُوَ ذُو الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ !

أما قول الواصفين إنه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، فانما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة . وكل متحرك يحتاج إلى من يحركه أو يتحرك به^(٣) فمن ظن بالله الظنون فقد هلك ، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد تحدونه بنقص أو زيادة ، أو تحريك أو تحرك ، زوال أو استئزال ، أو نهوض أو قعود ، فإن الله جل وعز عن صفة الواصفين ، ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين .

وعن الحسن بن راشد^(٤) قال : سئل أبو الحسن موسى (ع) عن معنى قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(٥) فقال : استوى على ما دق وجل .

عن يعقوب بن جعفر الجعفري قال : سأل رجل يقال له عبد الغفار السمي أبا إبراهيم موسى بن جعفر (ع) عن قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾^(٦) قال : أرى هاهنا خروجاً من حجب وتديلاً إلى الأرض ، وأرى محمداً رأى ربه بقلبه ، ونسب إلى بصره فكيف هذا ؟

فقال أبو إبراهيم : دنى فتدلى ، فانه لم يزل عن موضع ولم يتدل ببدن .

فقال عبد الغفار : أصفه بما وصف به نفسه حيث قال : ﴿ دَنَى فَتَدَلَّى ﴾ فلم يتدل عن مجلسه الا وقد زال عنه ، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه .

(١) ذكره الأردبيلي في جامع الرواة ج ٢ ص ٣٤٦ ونقل عن الكافي والتهذيب عدة روايات عنه عن الصادق والكاظم عليهما السلام وورد اسمه فيها مرة يعقوب بن جعفر ، واخرى يعقوب بن جعفر الجعفري وثالثة يعقوب بن جعفر بن إبراهيم الجعفري .

(٢) راجع موضوع نفى الحركة عنه تعالى في هامش الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) لا بد لكل حركة من أن تستلزم أربعة أمور : المحرك ، والمنحرك ، وما منه الحركة ، وما إليه الحركة وقد مر في الجزء الأول من هذا الكتاب تفصيل الحديث في نفى الحركة عنه تعالى والاستدلال على بطلان نسبتها إليه ونزعه عنها فراجع .

(٤) عنه الشيخ في رجاله ص ٢٦٧ من أصحاب الصادق عليه السلام فقال الحسن بن راشد مولى بني العباس كوفي ، وفي أصحاب الكاظم (ع) ص ٣٤٦ ذكره أيضاً باسم الحسين بن راشد وقال : بغدادى .

(٥) طه - ٥ .

(٦) النجم - ٩ .

فقال أبو إبراهيم (ع) : إن هذه لغة في قریش إذا أراد رجل منهم أن يقول : قد سمعت يقول : قد تدليت ، وإنما التدلي : الفهم .

وعن داوود بن قبيصة^(١) قال : سمعت الرضا (ع) يقول : مثل أبي (ع) هل منع الله عما أمر به ، وهل نهى عما أراد ، وهل أعان على ما لم يرد ؟

فقال (ع) : أما ما سألت : « هل منع الله عما أمر به ؟ » فلا يجوز ذلك ، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم ، ولو منع إبليس لعذره ولم يلغته .

وأما ما سألت : « هل نهى عما أراد ؟ » فلا يجوز ذلك ، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها ، ولو أراد منه أكلها لما نادى عليه صبيان الكتائب : ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره .

وأما ما سألت عنه من قولك : « هل أعان على ما لم يرد ؟ » ولا يجوز ذلك وجل الله تعالى عن أن يعين على قتل الأنبياء وتكذيبهم ، وقتل الحسين بن علي (ع) والفضلاء من ولده ، وكيف يعين على ما لم يرد وقد أعد جهنم لمخالفيه ، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته ، وارثكاهم لمخالفته ؟ ! ولو جاز أن يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره وادعائه أنه رب العالمين ، أفترى أراد الله من فرعون أن يدعي الربوبية ؟ يستتاب قاتل هذا القول ، فإن تاب من كذبه على الله والا ضربت عنقه .

وروي عن الحسن بن علي بن محمد العسكري (ع) : أن أبا الحسن موسى ابن جعفر (ع) قال :

إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صايرون فأمرهم ونهاهم ، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بأذنه ، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته ، بل اختبرهم بالبلوى وكما قال : ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾^(٢) .

قوله : ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بأذنه ، أي : بتخليته وعلمه .

وروي أنه دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له :

يا أبا حنيفة إن هاهنا جعفر بن محمد من علماء آل محمد فاذهب بنا إليه نقتبس منه علماً ، فلما أتيا إذا هما بجماعة من علماء شيعة ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث فقام الناس هيبة له ، فالتفت أبو حنيفة فقال :

(١) ذكره العلامة في القسم الثاني من خلاصته ص ٢٢١ باسم ددارم ، فقال : بالراء بعد الالف ابن « قبيصة » بفتح القاف وكسر الباء المنقطة تحتها نقطة وبمدها ياء ساكنة وصاد مهملة ابن نهشل أبو الحسن السائح يروي عن الرضا عليه السلام قال ابن الغضائري لا يؤنس بحديثه ولا يوثق به .

(٢) هود - ٧ .

يا ابن مسلم من هذا ؟

قال : موسى ابنه .

قال : والله اخجله بين يدي شيعته . قال له : لن تقدر على ذلك .

قال : والله لأفعلنه ، ثم التفت إلى موسى فقال : يا غلام أين يضع الغريب في بلدكم هذه ؟

قال يتوارى خلف الجدار ، ويتوقى أعين الجار ، وشطوط الأنهار ، ومسقط الثمار ، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، فحينئذ يضع حيث شاء .

ثم قال : يا غلام ممن المعصية ؟ قال : يا شيخ لا تخلو من ثلاث :

إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء ، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله .

وإما أن تكون من العبد ومن الله ، والله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه .

وإما أن تكون من العبد وليس من الله شيء ، فإن شاء عفى وإن شاء عاقب .

قال : فأصابت أبا حنيفة سكتة كأنما القم فوم الحجر .

قال : فقلت له : ألم أقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله ، وفي ذلك يقول الشاعر :

لم تخل أفعالنا الثلاث نذم بها إحدى ثلاث معان حين نأتيها
أما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين نشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيتها

روي عن علي بن يقطين^(١) أنه قال : أمر أبو جعفر الدوانيقي يقطين أن يحضر له بثراً بقصر

(١) قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ٩١ علي بن يقطين بن موسى البغدادي ، سكن بغداد وهو كوفي الأصل روى عن أبي عبد الله عليه السلام حديثاً واحداً ، وروى عن أبي الحسن موسى عليه السلام فأكثر ، وكان ثقة جليل القدر له منزلة عظيمة عند أبي الحسن عليه السلام عظيم المكان في هذه الطائفة روي أنه عليه السلام ضمن له الجنة وأن لا تمسه النار أبداً وكان وزيراً هارون فاستأذن الإمام عليه السلام بترك العمل معه فلم يأذن له ، وقال له : عسى أن يجبر الله بك كسراً ، ويكسر بك نائرة المخالفين من أوليائه ، يا علي كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم وروي أنه لما قدم أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليها السلام العراق ، قال علي ابن يقطين : أما ترى حالي وما أنا فيه ؟ فقال عليه السلام يا علي إن الله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي وروي أنه قال أبو الحسن (ع) لعلي بن يقطين : ضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثاً فقال علي : جعلت فداك وما الخصلة التي أضمنها لك ؟ وما الثلاث اللواتي تضمنن لي ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام . الثلاث اللواتي أضمنن لك أن لا يصيبك حر الحديد أبداً ، يقتل ، ولا فاقة ، ولا سجن حبس فقال علي : فما الخصلة التي أضمنها لك ؟ فقال يا علي وأما الخصلة التي تضمن لي أن لا يأتبك ولي أبداً إلا أكرمت ، فضمن له علي الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث وروي أنه (ع) قال : إنني استرهيت علي بن يقطين من ربي عز

العبادي ، فلم يزل يقطن في حفرها حتى مات أبو جعفر ولم يستنبط منها الماء ، واخبر المهدي بذلك فقال له : احفر ابداً حتى يستنبط الماء ولو انفقت عليها جميع ما في بيت المال .

قال : فوجه يقطن أخاه أبا موسى في حفرها ، فلم يزل يحفر حتى ثقبوا ثقباً في أسفل الأرض فخرجت منه الريح (قال) : فهاهم ذلك ، فاخبروا به أبا موسى .

فقال : أنزلوني (قال) : فأنزل وكان رأس البئر أربعين ذراعاً في أربعين ذراع ، فاجلس في شق محمل ودلي في البئر ، فلما صار في قعرها نظر إلى هول ، وسمع دوي الريح في أسفل ذلك ، فأمرهم أن يوسعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم ، ثم دلى فيه رجلاً في شق محمل فقال : ايتوني بخبر هذا ما هو ؟

قال : فنزلا في شق محمل فمكثا ملياً ثم حركا الحبل فاصعدا ، فقال لهما :
ما رأيكما ؟

قالا : أمراً عظيماً ، رجلاً ونساءً وبيوتاً وآنية ومتاعاً ، كله ممسوخ من حـ ، فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم ، فمن بين قاعد ومضطجع ومتكى ، فلما مسسناهم ، إذا ثيابهم بعشى شبه الهباء ، ومنازل قائمة ، قال : فكتب بذلك أبو موسى إلى المهدي ، فكتب المهدي إلى المدينة إلى موسى بن جعفر يسأله : أن يقدم عليه فقدم عليه ، فأخبره فبكى بكاءً شديداً وقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء بقية قوم عاد ، غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم ، هؤلاء أصحاب الأحقاف .

قال : فقال له المهدي : يا أبا الحسن وما الأحقاف ؟ قال : الرمل .

وحدث أبو أحمد هاني بن محمد العبدي^(١) ، قال : حدثني أبو محمد رفعه إلى موسى بن جعفر ع قال : لما أدخلت على الرشيد سلمت عليه فرد علي السلام ثم قال : يا موسى بن جعفر خليفتان يجيء إليهما الخراج ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين اعينك بالله أن تبوء بانمي وإثمك ، فتقبل الباطل من أعدائنا علينا ، فقد علمت بأنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله ص ، أما علم ذلك عندك ، فإن رأيت بقرابتك من رسول الله ص أن تأذن لي أحدثك بحديث أخبرني به أبي عن آبائه عن جدي رسول الله ص ؟ فقال : قد أذنت لك .

= وجل الباردة فوجه في إن علي بن يقطين بذل ماله ومودته فكان لذلك منا مستوجباً .

راجع رجال الكشي ص ٣٦٧ والجزء الثاني من سفينة البحار ص ٢٥٢ .

(١) في رجال المامقاني ج ٣ ص ٢٩٠ نقل الوحيد رواية الصدوق عنه مترصفاً عليه وهو دليل على وثاقته .

فقلت: أخبرني أبي عن أبيه عن جدي رسول الله «ص» أنه قال: «إن الرحم إذا مست الرحم تحركت واضطربت» فناولني يدك جعلني الله فداك.

قال: ادن مني! فدنوت منه، فأخذ بيدي ثم جذبني إلى نفسه وعانقني طويلاً ثم تركني وقال: «اجلس يا موسى! فليس عليك بأس، فنظرت إليه فاذا به قد دمعت عيناه، فرجعت إلي نفسي فقال: صدقت وصدق جدك «ص»، لقد تحرك دمي واضطربت عروقي حتى غلبت علي الرقة وفاضت عينايا وأنا أريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين لم أسأل عنها أحداً، فإن أنت أجبتني عنها خلعت عنك ولم أقبل قول أحد فيك، وقد بلغني أنك لم تكذب قط فأصدقني فيما أسألك ما في قلبي.

فقلت: ما كان علمه عندي فاني مخبرك به إن أنت أمنتني.

قال: لك الأمان إن صدقتني وتركت التقية التي تعرفون بها معاشر بني فاطمة، فقلت ليسأل أمير المؤمنين عما يشاء.

قال: أخبرني لم فضلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة، وبنو عبد المطلب ونحن وأنتم واحد، إنا بنو عباس وأنتم ولد أبي طالب، وهما عما رسول الله «ص» وقرابتهما منه سواء؟ فقلت: نحن أقرب. قال: وكيف ذلك؟

قلت: لأن عبد الله وأبا طالب لأب وأم، وأبوكم العباس ليس هو من أم عبد الله ولا من أم أبي طالب.

قال: فلم ادعيتكم أنكم ورثتم النبي «ص» والعم يحجب ابن العم، وقبض رسول الله «ص» وقد توفي أبو طالب قبله والعباس عمه حي؟ فقلت له: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني عن هذه المسألة، ويسألني عن كل باب سواء يريد. فقال: لا. أو تحبيب.

فقلت: فأمي. قال: أمتك قبل الكلام.

فقلت: إن في قول علي بن أبي طالب «ع»: إنه ليس مع ولد الصلب ذكراً كان أو انثى لأحد منهم إلا الأبوين والزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، ولم ينطق به الكتاب العزيز والسنة إلا أن تيماً وعدياً وبني أمية قالوا: «العم والد» رأياً منهم بلا حقيقة ولا أثر عن رسول الله «ص» ومن قال بقول علي من العلماء قضاياهم بخلاف قضاياء هؤلاء، هذا نوح بن دراج يقول في هذه المسألة بقول علي وقد حكم به، وقد ولاه أمير المؤمنين المصيرين الكوفة والبصرة وقضى به، فانهي إلى أمير المؤمنين فأمر باحضاره وإحضار من يقول بخلاف قوله، منهم: سفيان الثوري وإبراهيم المازني، والفضيل بن

عياض، فشهدوا أنه قول عليّ (ع) في هذه المسألة. فقال لهم فيما بلغني بعض العلماء من أهل الحجاز: لم لا تفتنوا وقد قضى نوح بن دراج؟

فقالوا: جسر وجبنا. وقد أمضى أمير المؤمنين قضيته بقول قدماء العامة عن النبي (ص) أنه قال: «أقضاكم عليّ» وكذلك عمر بن الخطاب قال: «عليّ أقضانا» وهو اسم جامع، لأن جميع ما مدح به النبي (ص) أصحابه من القرابة والفرائض والعلم داخل في القضاء.

قال: زدني يا موسى! قلت: المجالس بالأمانات وخاصة مجلسك. فقال: لا بأس به.

فقلت: إن النبي لم يورث من لم يهاجر، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر. فقال: ما حاجتك فيه؟

قلت: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجروا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَا يَتَّهِمُ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يهاجروا﴾^(١) وإن عمي العباس لم يهاجر.

فقال لي: إني أسألك يا موسى هل أفنيت بذلك أحداً من أعدائنا، أو أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشيء؟ فقلت: أَللّهم لا. وما سألني عنها إلا أمير المؤمنين.

ثم قال لي: جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوا إلى رسول الله (ص) ويقولوا لكم: يا بني رسول الله وأنتم بنو علي وإنما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنما هي وعاء والنبي جدكم من قبل أمكم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين لو أن النبي نشر فخطب إليك كرميتك هل كنت تحببه؟ قال: سبحان الله! ولم لا أجبه، بل أفخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

فقلت له: لكنّه لا يخطب إليّ ولا أزوجه. فقال: ولم؟ فقلت: لأنه ولدني ولم يلدك.

فقال: أحسنت يا موسى! ثم قال: كيف قلتم إنا ذرية النبي والنبي لم يعقب وإنما العقب الذكر لا الانثى، وأنتم ولد الابنة ولا يكون ولدها عقباً له. فقلت: أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه، إلا أعفيتني عن هذه المسألة.

فقال: لا أو تخبرني بحجبتكم فيه يا ولد علي! وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم، كذا انهي إليّ، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله، وأنتم تدعون معشر ولد عليّ أنه لا يسقط عنكم منه شيء الف ولا واو الا تأويله عندهم. واحتججتم بقوله عز وجل: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢) واستغفنتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟ قال: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ومن ذريته داود وسليمان

(١) الأنفال ٧٢.

(٢) الأنعام ٣٨.

وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين* وذكر يا ويحيى وعيسى وإلباس كل من الصالحين^(١) من أبو عيسى يا امير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسى أب.

فقلت: إنما ألحقناه بذراري الأنبياء ع من طريق مريم ع وكذلك ألحقنا بذراري النبي ص من قبل امنا فاطمة، ازيدك يا امير المؤمنين؟ قال: هات.

قلت: قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢) ولم يدع أحد أنه أدخله النبي ص تحت الكساء عند مباهلة النصارى الا علي بن أبي طالب ع، وفاطمة، والحسن والحسين: أبناؤنا الحسن والحسين، ونسائنا فاطمة، وأنفسنا علي بن أبي طالب ع، على أن العلماء قد أجمعوا على أن جبرئيل قال يوم احد: «يا محمد إن هذه هي المواساة من علي» قال: «لأنه مني وأنا منه».

فقال جبرئيل: «وأنا منكما يا رسول الله»^(٣) ثم قال: «لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي» فكان كما مدح الله عز وجل به خليله ع إذ يقول: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾^(٤) إنا نفتخر بقول جبرئيل أنه منا. فقال: أحسنت يا موسى! إرفع إلينا حوائجك.

فقلت له: إن أول حاجة لي أن تأذن لابن عمك أن يرجع إلى حرم جده وإلى عياله. فقال: ننظر إنشاء الله.

وروي أن المأمون قال لقومه: أتدرون من علمني التشيع؟ فقال القوم: لا والله ما نعلم ذلك.

قال: علمنيه الرشيد! قيل له: وكيف ذلك، والرشيد يقتل أهل البيت؟!

قال: كان الرشيد يقتلهم على الملك، لأن الملك عقيم، ثم قال: إنه دخل موسى بن جعفر ع على الرشيد يوماً فقام إليه، واستقبله وأجلسه في الصدر وقعد بين يديه، وجرى بينهما أشياء. ثم قال موسى بن جعفر ع لأبي: يا امير المؤمنين إن الله عز وجل قد فرض على الولاة عهده: أن ينعشوا فقراء هذه الأمة، ويقضوا عن الغارمين، ويؤدوا عن المثل، ويكسوا العاري، ويحسنوا إلى العاني، وأنت أولى من يفعل ذلك. فقال: أفعل يا أبا الحسن.

ثم قام فقام الرشيد لقيامه. وقبل بين عينيه ووجهه ثم أقبل علي وعلى الأمين والمؤمن فقال: يا عبد الله! ويا محمد! ويا إبراهيم! امشوا بين يدي ابن عمكم وسيدكم، خذوا بركابه وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله، فأقبل إلي أبو الحسن موسى بن جعفر ع سرّاً بيني وبينه فبشرني بالخلافة، وقال لي: «إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي».

(١) الأنعام- ٨٤ و ٨٥

(٢) آل عمران ٦٧

(٣) راجع هامش الجزء الاول للوقوف على تمام الخبر فيه.

(٤) الأنبياء ٦٠

ثم انصرفنا وكنت أجراً ولد أبي عليه، فلما خلا المجلس قلت:

يا امير المؤمنين ومن هذا الرجل الذي أعظمته وأجللته، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأفعدته في صدر المجلس وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟ قال: هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه، وخليفته على عباده.

فقلت: يا امير المؤمنين أو ليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني إنه لا حق بمقام رسول الله مني ومن الخلق جميعاً، والله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينك، لأن الملك عقيم.

فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بصرة سوداء فيها مائتا دينار ثم أقبل على الفضل فقال له: اذهب الى موسى بن جعفر وقل له: يقول لك امير المؤمنين: نحن في ضيقة وسيأتيك برنا بعد هذا الوقت.

فقلت في وجهه فقلت: يا امير المؤمنين! تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قریش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه: خمسة آلاف دينار إلى ما دونها وتعطي موسى بن جعفر وقد عظمته وأجللته مائتي دينار، وأخس عطية أعطيها أحداً من الناس؟

فقال: اسكت لا ام لك! فاني لو أعطيته هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة الف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وإغنائهم.

وقيل: ولما دخل هارون الرشيد المدينة توجه لزيارة النبي «ص» ومعه الناس، فقدم إلى قبر النبي «ص» فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن العم، مفتخراً بذلك على غيره. فتقدم أبو الحسن موسى بن جعفر إلى القبر فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا. فتغير وجه الرشيد وتبين الغيظ فيه.

وروي: عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم «ع» أنه قال: لما سمعت هذا البيت وهو لمروان بن أبي حفصة:-

أني يكون ولا يكون ولم يكن لبني البنات وراثه الأعمام

دار في ذلك ليلتي فتمت تلك الليلة فسمعت هاتفاً في منامي يقول:

أني يكون ولا يكون ولم يكن للمشركين دعائم الاسلام

لبني البنات نصيبهم من جدهم والعم متروك بغير سهام

ما للطلق وللتراث وإنما سجد الطليق مخافة الصمصام^(١)

(١) يريد بالطلاق: العباس بن عبد المطلب عم الرسول، حيث أسر يوم بدر أسره أبو يسر كعب بن عمرو الأنصاري، وكان رجلاً صغير الجثة، وكان العباس رجلاً عظيماً قوياً، فقال النبي «ص» لأبي اليسر كيف أسرته؟ قال: أعانني رجل ما رأيته قبل ذلك ولا =

وبقي ابن نثلة واقفاً متلداً فيه ويمنعه ذوو الأرحام
إن ابن فاطمة المنوّه باسمه حاز التراث سوى بني الأعمام

وسأل محمد بن الحسن أبا الحسن موسى «ع» بمحضر من الرشيد وهم بمكة فقال له: أيجوز
للمحرم أن يظل عليه عمله؟ فقال له موسى «ع»: لا يجوز له ذلك مع الاختيار.

فقال له محمد بن الحسن: أفيجوز أن يمشي تحت الظلال مختاراً. فقال له: نعم.

فتصاحك محمد بن الحسن من ذلك. فقال له أبو الحسن موسى «ع»: أتعجب من سنة النبي
وتستهزي بها، إن رسول الله «ص» كشف ظلاله في إحرامه، ومشى تحت الظلال وهو محرم، إن
أحكام الله تعالى يا محمد لا تقاس، فمن قاس بعضها على بعض فقد ضل عن السبيل. فسكت محمد بن
الحسن لا يرجع جواباً.

وقد جرى لأبي يوسف مع أبي الحسن موسى صلوات الله عليه بمحضر المهدي ما يقرب من ذلك،
وهو: أن موسى «ع» سأل أبا يوسف عن مسألة ليس فيها عنده شيء، فقال لأبي الحسن موسى «ع»: إنني
أريد أن أسألك عن شيء. قال: هات.

فقال: ما تقول في التظليل للمحرم؟ قال: لا يصلح.

قال: فيضرب الخباء في الأرض فيدخل فيه؟ قال: نعم.

قال: فما فرق بين هذا وذلك؟

قال أبو الحسن موسى «ع»: ما تقول في (الطامث) تقضي الصلاة؟ قال: لا. قال: تقضي
الصوم؟ قال: نعم. قال: ولم؟ قال: إن هذا كذا جاء.

قال أبو الحسن «ع»: وكذلك هذا.

قال المهدي لأبي يوسف: ما أراك صنعت شيئاً! قال: يا أمير المؤمنين رماني بحجة.

وعن أبي محمد الحسن العسكري «ع» قال: قال رجل من خواص الشيعة لموسى بن جعفر «ع» وهو
يرتعد بعدما خلا به:

يا ابن رسول الله «ص» ما أخوفني أن يكون فلان ابن فلان ينافقك في إظهاره اعتقاد وصيتك

بعده فقال النبي (ص): لقد أعانتك عليه ملك كريم.

ولما أسس القوم والاسارى محبسون في الوثاق وفيهم العباس، بات رسول الله «ص» تلك الليلة ساهراً. فقال له بعض
أصحابه: ما يسهرك يا رسول الله «ص»؟

قال: سمعت أنين العباس فقام رجل من القوم فأرخص من وثاقه شيئاً، فقال رسول الله «ص» ما بالي لا أسمع أنين العباس؟ فقال
رجل من القوم: أرخيت من وثاقه شيئاً قال: افعل ذلك بالاسارى كلهم راجع تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٨٨ والدرجات الرفيعة للسيد
علي خان المدني ص ٨٠.

وإمامتك. فقال موسى (ع): وكيف ذلك؟

قال: لأنني حضرت معه اليوم في مجلس فلان، وكان معه رجل من كبار أهل بغداد، فقال له صاحب المجلس: أنت تزعم: أن صاحبك موسى بن جعفر إمام دون هذا الخليفة القاعد على سريره؟ قال له صاحبك هذا: ما أقول هذا، بل أزعم: أن موسى بن جعفر غير إمام، وإن لم أكن أعتقد أنه غير إمام فعلي وعلى من لم يعتقد ذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

فقال له صاحب المجلس: جزاك الله خيراً، ولعن من وشى بك إليّ.

فقال له موسى بن جعفر (ع): ليس كما ظننت، ولكن صاحبك أفتقه منك. إنما قال: موسى غير إمام، أي إن الذي هو غير إمام فموسى غيره، فهو إذاً إمام، فانما أثبت بقوله هذا إمامتي ونفى إمامة غيره،^(١) يا عبد الله متى يزول عنك هذا الذي ظننته بأخيك هذا من النفاق، تب إلى الله. ففهم الرجل ما قاله واغتم، ثم قال:

يا ابن رسول الله مالي مال فارضيه به، ولكن قد وهبت له شطر عملي كله من تعبدي وصلاتي عليكم أهل البيت ومن لعنتي لأعدائكم.

قال موسى (ع): الآن خرجت من النار.

وروي أيضاً عنه (ع): أنه قال: *ما كنت أظن أني سأخرج من النار*

فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عن مشاهدتنا بتعلم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمامه، لينقذهم من يد إبليس ومردته، ولذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد، وألف ألف عابد.

وروي أنه (ع) كان حسن الصوت، وحسن القراءة، وقال يوماً من الأيام: إن علي بن الحسين (ع) كان يقرأ القرآن فربما مر به المار فصعق من حسن صوته وإن الامام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس.

قيل له:

ألم يكن رسول الله (ص) يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إن رسول الله كان يحمل من خلفه ما يطبقون.

(١) توضيح ذلك: إنه أراد: أنا أزعم: أن إمامك هذا القاعد على سريره هو مدّع للامامة بالباطل فهو إمام ضلال، وموسى بن جعفر عليه السلام هو إمام من غير هذا النوع من الأئمة، هو غير هذا المدّعي الباطل، أنا أقول إن موسى بن جعفر حقيقة إمام من أئمة الهدى فهو غير وهذا غير.

احتجاج أبي الحسن علي بن موسى الرضا «ع» في التوحيد والعدل وغيرهما على المخالف والمؤلف والأجانب والأقارب.

دخل عليه رجل فقال له: يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم.

فقال: إنك لم تكن ثم كنت، وقد علمت أنك لم تكون نفسك، ولا كونك من مثلك.

وعن محمد بن عبد الله الخراساني^(١) خادم الرضا «ع» قال: دخل رجل من الزنادقة على الرضا «ع» وعنده جماعة.

فقال له أبو الحسن: أرأيت إن كان القول قولكم- وليس هو كما تقولون- ألسنا وإياكم شرعاً سواء، ولا يضرنا ما صلبنا وصمنا وزكينا وأقررنا؟

فسكت فقال أبو الحسن: وإن لم يكن القول قولنا- وهو كما نقول- ألسنتم قد هلكتم ونجونا.

قال الزنديق: رحمك الله فأجدي كيف هو، وأين هو؟

قال: ويلك! إن الذي ذهبت إليه غلط، وهو أين الأين، وكان ولا أين، وهو كيف وكيف وكان ولا كيف، ولا يعرف بكيفية، ولا بأينية، ولا يدرك بحاسة، ولا يقاس بشيء.

قال الرجل: فأذن إنه لا شيء، إذ لم يدرك بحاسة من الحواس.

فقال أبو الحسن: ويلك! لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا أنه ربنا، وأنه شيء بخلاف الأشياء.

قال الرجل: فأخبرني متى كان؟

قال أبو الحسن «ع»: أخبرني متى لم يكن، فأخبرك متى كان؟!

قال الرجل: فما الدليل عليه؟

قال أبو الحسن: إني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكنني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكروه عنه وجبر المنفعة إليه، علمت أن هذا البنيان بانياً فأقررت به، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته. وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات، علمت أن هذا مقدرٌ ومنشأ.

قال الرجل: فلم لا تدركه حاسة البصر؟

قال: للفرق بينه وبين خلقه الذي تدركه حاسة الأبصار، منهم ومن غيرهم ثم هو أجل من أن يدركه بصر، أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل.

(١) محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام: مجهول الحال لم يذكر في كتب الرجال.

قال: فحده لي! قال: لا حد له. قال: ولم؟

قال: لأن كل محدود متناه، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود، ولا متزايد ولا متناقص، ولا متجزئ، ولا متوهم.

قال الرجل: فأخبرني عن قولكم: إنه لطيف وسميع وبصير وعليم وحكيم، أليكون السميع إلا بالآذن، والبصير إلا بالعين، واللطيف إلا بعمل اليدين، والحكيم إلا بالصنعة؟

فقال أبو الحسن (ع): إن اللطيف منا على حد اتخاذ الصنعة، أو ما رأيت أن الرجل اتخذ شيئاً فيلطف في اتخاذه؟ فيقال: ما اللفظ فلاناً: فكيف لا يقال للخالق الجليل: لطيف إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً، وركب في الحيوان منه أرواحها، وخلق كل جنس مباناً من جنسه في الصورة، ولا يشبه بعضه بعضاً فكل به لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته.

ثم نظر إلى الأشجار وحملها أطباها، المأكولة منها وغير المأكولة، فقلنا عند ذلك إن خالقنا لطيف لا كلطف خلقه في صنعته، وقلنا: إنه سميع لأنه لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى، من الذرة إلى ما أكبر منها في برها وبحرها، ولا يشبهه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك إنه سميع لا بآذن، وقلنا: إنه بصير لا ببصر، لأنه يرى أثر الذرة السحماء^(١) في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، ويرى ديب النمل في الليلة الدجية، ويرى مضارها ومنافعها، وأثر سفادها، وفراخها ونسلها، فقلنا عند ذلك: إنه بصير لا كبصر خلقه. قال: فما برح حتى أسلم. وفيه كلام غير هذا.

وروي عنه (ع) في خبر آخر، أنه قال:

إنما يسمى الله تعالى (بالعالم) لغير علم حادث، علم به الأشياء واستعان به على حفظ ما يستقبل من أمره، والرؤية فيها يخلق، وإنما سمي العالم من الخلق: (عالمًا) لعلم حادث، إذ كان قبله جاهلاً، وربما فارقهم العلم بالأشياء فصار إلى الجهل وإنما سمي الله: (عالمًا) لأنه لا يجهل شيئاً، فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم، واختلف المعنى، وهو الله تعالى (قائم).

وأما (القائم) فليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد، كما قامت الأشياء، ولكنه أخبر أنه قائم يخبر أنه (حافظ) كقولك: (فلان القائم بأمرنا) وهو عز وجل القائم على كل نفس بما كسبت، والقائم أيضاً في كلام الناس: (الباقى) والقائم أيضاً: (الكافي) كقولك للرجل: قم بأمر كذا أي: اكفه. والقائم منا قائم على ساق، فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى.

وأما (الخبير) فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته، وليس بالتجربة والاعتبار بالأشياء فتفيده التجربة والاعتبار علمًا لولاها لما علم، لأن من كان كذلك كان جاهلاً، والله تعالى لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من الناس المستجير، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

(١) السحماء: مؤنث الأسحم وهو الأسود.

وأما (الظاهر) فليس من أنه علا الأشياء بركوب فوقها وعود عليها وتسقم لذراها ، ولكن ذلك لقهره وغلبته الأشياء وقدرته عليها كقول الرجل : ظهرت على أعدائي ، وأظهرني الله على خصمي ، إذا أخبر على الفلج والظفر ، فهكذا ظهور الله على الأشياء .

ووجه آخر : أنه الظاهر لمن أراد لا يخفى عليه ، لمكان الدليل والبرهان على وجوده في كل ما دبّره وصنعه مما يرى ، فأي ظاهر أظهر وأوضح أمراً من الله تبارك وتعالى ، فانك لا تعدم صنعه حيثما توجهت ، وفيك من آثاره ما يغنيك ، والظاهر منا البارز بنفسه المعلوم بحده ، فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى .

وأما (الباطن) : فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها ، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً ، كقول القائل : بطنته بمعنى : (خبرته) وعلمت مكنون سره ، والباطن منا الغاير في الشيء المستقر فيه ، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى .

قال : وهكذا جميع الأسماء وإن كنا لم نسماها كلها .

وكان المأمون لما أراد أن يستخلف الرضا ، جمع بني هاشم فقال : إني أريد أن استعمل الرضا على هذا الأمر من بعدي .

فحسده بنو هاشم وقالوا : أتولي رجلاً جاهلاً . ليس له بصير بتدبير الخلافة ؟ فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدل به !

فبعث إليه فأتاه فقال له بنو هاشم : يا أبا الحسن إصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبده الله عليه ، فصعد المنبر فقعده ملياً لا يتكلم مطرقاً ثم انتفض انتفاضة فاستوى قائماً وحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلى على نبيه وأهل بيته ثم قال :

أول عبادة الله معرفته ، وأصل معرفة الله توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه ،^(١) بشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق ، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف ، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدث ، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث ،^(٢) فليس الله عرف من عرف ذاته ، بالتشبيه ، ولا إياه وحد من اكتنه ، ولا حقيقته أصاب

(١) «أول عبادة الله أي : أشرفها وأقدمها رتبة «معرفة» تعالى لأن الطاعة والعبادة تأتي بعد المعرفة فهي متأخرة رتبة عنها ولا تقبل عبادة بدون المعرفة فهي دونها في الشرف أيضاً» وأصل معرفة الله توحيده أي تنزيهه عن التركيب والشركة «ونظام التوحيد» أي تمامه وكماله «نفي الصفات الزائدة عنه» فلا يتم التوحيد إلا بالقول بأن صفاته تعالى عين ذاته .

(٢) ثم إنه عليه السلام شرع بإقامة الدليل على نفي الصفات الزائدة على الذات فقال : (لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق) وذلك : أن الصفة لا قوام لها إلا بالموصوف فهي محتاجة إليه لا تنفك عنه . وبها كمال الموصوف فهو محتاج إليها . والحاجة دليل الامكان (وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً) غنياً بذاته (ليس بصفة) حتى يفترق إلى الموصوف ليقوم به ذاته (ولا موصوف) حتى يحتاج إلى الصفة لكي يكمل بها ذاته (وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران) لما عرفت من حاجة بعضها إلى الآخر وشهادة الاقتران بالحدث الخ توضيح ذلك : هو أن الصفة والموصوف إما أن يكونا قديمين . أو يكون أحدهما قديماً والآخر حادثاً . أو يكونا حادثين . ولا رابع لهذا الحصر الثلاثي .

من مثله، ولا به صدق من نهاه، ولا صمد صمده من أشار إليه ولا إياه عني من شبهه، ولا له تدلل من بعضه، ولا إياه أراد من توهمه^(١) كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول،^(٢) يصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجته،^(٣) خلقة الله الخلق حجاب بينه وبينهم،^(٤) ومفارقته إياهم مباينة بينه وبينهم، وابتدأؤه إياهم دليل على أن لا ابتداء له، لعجز كل مبتدئ عن ابتداء غيره، وادّوه إياهم دليل على أن لا أداة له، لشهادة الأدوات بفاقة المؤدين.

فأسماءه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيره تحديد لما سواه، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعداه من استمثله، وقد أخطأه من اكتننه،^(٥) ومن قال: «كيف» فقد شبهه، ومن قال: «لم» فقد علّله، ومن قال: «متى» فقد وقته، ومن قال: «فيم» فقد ضمّنه، ومن قال: «إلى م» فقد نهاه، ومن قال: «حتى م» فقد غيَّاه ومن غيَّاه فقد غاياه، ومن غاياه فقد جزَّاه، ومن جزَّاه فقد وصفه، ومن وصفه فقد ألحد فيه، ولا يتغير الله بتغير المخلوق، كما لا يتحدد بتحديد المحدود.

أحد لا يتأويل عدد، ظاهر لا يتأويل مباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مباين لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسم موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بجول فكرة، مدبر لا بحركة، مرید لا بهمامة، شاء لا بهمة، مدرك لا بمجسة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة، لا تصحبه الأوقات، ولا تضمنه الأماكن، ولا تأخذه السنين، ولا تحذه الصفات ولا تقيده الأدوات. سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والإبتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له،^(٦)

والأول باطل لما يلزم منه القول بتعدد القدماء وقد ثبت بطلانه.

والثاني يبطله الاقتران والحاجة والافتقار لما ألحنا إليه آنفاً وحيثذ يشبث القول الثالث وهو المطلوب.

(١) (فليس الله) الواجب الوجود الواحد الأحد (عرف من عرف بالتشبيه ذاته) بل عرف ممكناً من مخلوقاته (ولا إياه وحد من اكتننه) أي جعل له كنهاً (ولا حقيقته أصاب من مثله) أي جعل له مثلاً وصوره سواء كانت ذهنية أو خارجية (ولا به صدق من نهاه) أي جعل له حداً ونهاية (ولا صمد صمده) أي قصد نحوه (من أشار إليه) سواء بالاشارة الحسية أو الذهنية (ولا إياه عني من شبهه) وإنما عني ممكناً من الممكنات، ومخلوقاً من جملة المخلوقات (ولا تدلل) أي تعبد (من بعضه) أي جعل له أبعاضاً وجزءاً فهو إنما عبد جسماً مخلوقاً مركباً له أجزاء وأبعاض (ولا إياه أراد من توهمه) أي: تصور له صورة ذهنية.

(٢) (كل معروف بنفسه) أي: بكنه حقيقته (مصنوع) لما يلزمه من التركيب (وكل قائم في سواه) لا يكون علة لاحتياجه إلى الغير فهو (معلول).

(٣) (يصنع الله) وحكيم تدبيره (يستدل عليه) (وبالعقول تعتقد معرفته وبالفطرة) التي هي بمعنى الابتداء أي الله شك فاطر السماوات والأرض (تثبت حجته) ولعل في قوله عليه السلام بالفطرة إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله: «كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» فالعقول لو تركت على فطرتها وأصل خلقتها لآمنت به تعالى.

(٤) (خلقة الله الخلق حجاب) حاجز (بينه) في كماله وغناه ووجوبه الذاتي (وبينهم) في حاجتهم إليه ونقصهم وإمكانهم الذاتي (ومفارقته إياهم) في الصفات دليل على (مباينة بينه وبينهم) في الذات، وفي بعض النسخ (ومباينته إياهم مفارقته أيبتهم) أي: أن مفارقته الآينية التي هي من لوازم الأجسام دلت على مباينته إياهم في الذات أو أن مباينته إياهم في الذات دلت على مفارقته لهم فيها اختصوا به من الآينية فلا يقال له: (أين هو) لأن ذاته تبين ذواتهم فلا يلازمها ما يلزم الممكنات.

(٥) مر مثل هذه الفقرات للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٢٩٤ فليراجع.

(٦) أراد عليه السلام بتشعيره للمشاعر جعلها تشعير وتنفعل، ولما كانت الانفعالات تحدث وتزول فقد دلت على تنزه خالقها.

وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له،^(١) وبمصادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له.

ضادّ النور بالظلمة، والجلالية بالبهمة، والجسو بالبلل، والصرد بالحرور،^(٢) مؤلف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلفها ذلك قوله عز وجل: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ ففرّق بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد.

شاهدة بغرائزها: أن لا غريزة لمغزها، دالة بتفاوتها: أن لا تفاوت لمقاوتها، مخبرة بتوقيتها: أن لا وقت لموقيتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيره، له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الألوية إذ لا مالوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع.

ليس منذ خَلَقَ استحق معنى اسم الخالق ولا باحدائه البرايا استفاد معنى البارئية، كيف ولا يغيبه: «مذ» ولا تدنيه: «قد» ولا يحجب: «لعل»، ولا يوقته: «متى» ولا يشتمله: «حين» ولا يقارنه: «مع» إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، وفي الأشياء توجد فعالها.

منعتها «منذ» القدم، وحتمها «قد» الأزلية، وجنبتها «لولا» التكملة.

افترقت فدلّت على مفرّقها، وتباينت فاعزّت على مباينتها، بها تجل صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها أثبت غيره، ومنها انبط الدليل، وبها عرف الاقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالاقرار يكمل الايمان به.

لا ديانة إلا بعد معرفته، ولا معرفة إلا بالاخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفة للتشبيه، وكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع في صانعه.

ولا يجري عليه الحركة ولا السكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود فيه ما هو ابتداه إذا لتفاوت ذاتة، ولتجزى كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولما كان للباري معنى غير المبروء، ولو وجد له وراء وجد له أمام، ولا التمس التمام إذ لزمه النقصان، وكيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث؟ أم كيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء؟ إذا لقامت عليه آية المصنوع، ولتحول دليلاً بعدما كان مدلولاً عليه، ليس في محال القول حجة، ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه الله تعظيم، ولا في إبانته عن الحق ضيم إلا بامتناع الأزلي أن يثنى، ولما بدى له أن يبدى لا إله إلا الله العلي العظيم كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) جوهر الشيء حقيقته وطبيعته، والمعنى: بخلقه عناصر الأشياء وموادها وطبائعها المتصفة بما يدل على حدوثها ظهر أن لا طبيعة له أو مادة فيكون حادثاً مثلها محتاجاً إلى محدث.

(٢) الجسو: اليبس، والصرد: البرد، والحرور: الريح الحارة.

وروي عن الحسن بن محمد النوفلي^(١) أنه كان يقول: قدم سليمان المروزي متكلم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله، ثم قال له: إن ابن عمي علي بن موسى الرضا قدم عليّ من الحجاز- يحب الكلام وأصحابه، فعليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته.

فقال سليمان: يا أمير المؤمنين إنّي أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم، فينتقص عند القوم إذا كلمني ولا يجوز الاستقصاء عليه.

قال المأمون: إنما وجهت إليك لعرفتي بقوتك، وليس مرادي إلا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط.

فقال سليمان: حسبك يا أمير المؤمنين! إجمع بيني وبينه، وخلني وإياه.

فوجه المأمون إلى الرضا (ع)، فقال له: إنه قدم علينا رجل من أهل مرو، وهو واحد خراسان من أصحاب الكلام، فإن خف عليك أن تتجشم المصير إلينا فعلت.

فنهض (ع) للوضوء ثم حضر مجلس المأمون، وجرى بينه وبين سليمان المروزي كلام في البداء بمعنى الظهور، لتغير المصلحة، واستشهد (ع) بأي كثيرة من القرآن على صحة ذلك، مثل قول الله: ﴿يبدىء الخلق ثم يعيده﴾^(٢) و﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾^(٣) و﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾^(٤) و﴿ما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره﴾^(٥) و﴿آخرون مرجعون لأمر الله﴾^(٦) وأمثال ذلك.

فقال سليمان: يا أمير المؤمنين لا أنكر بعد يومي هذا البداء، ولا أكذب به إن شاء الله^(٧).

(١) قال العلامة الحلبي رحمه الله في القسم الثاني من الخلاصة ص ٢١٣: «الحسن بن محمد بن سهل النوفلي ضعيف».

(٢) الروم- ١١.

(٣) فاطر- ١.

(٤) الرعد- ٤١.

(٥) فاطر- ١١.

(٦) التوبة- ١٠٧.

(٧) عقبتنا نحن الإمامية في البداء تتلخص فيها يلي:

لقد ثبت من الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت سلام الله عليهم أن الله سبحانه وتعالى خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات:

الأول: اللوح المحفوظ:

وهو اللوح المطابق لعلمه تعالى لا يحدث فيه أي تبدل أو تغيير.

الثاني: لوح المحو والإثبات:

وهو الذي يتغير ويتبدل ما فيه حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية قبل وقوعه وتحققه في الخارج.

وهذا النوح- أعني- لوح المحو والإثبات نطلع عليه الرسل والأنبياء والأوصياء والملائكة، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إن الله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء، وعلم علمه ملائكته وأنبياءه ورسله فنحن نعلمه.

ومعنى البداء ظهور الشيء بعد خفائه، وهو في عقيدة الإمامية: ظهور الشيء من الله لمن يشاء من خلقه بعد إخفائه عنهم فقولنا: «بداءه» معناه بدائه شأن أو حكم وليس معناه ظهور له ما خفي عليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إن الله لم يبدئه من جهل، وقال عليه السلام: ما بدئه في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدؤ له. إذن فالبداء: هو محو ما كان ظاهراً في لوح المحو والإثبات وتبديله بما سبق في علم الله الثابت في اللوح المحفوظ الذي لا يقبل التغيير والتبدل.

فقال المأمون: يا سليمان إسأل أبا الحسن عما بدا لك وعليك بحسن الاستماع والانصاف!
قال سليمان: يا سيدي ما تقول فيمن جعل الإرادة اسماً وصفة، مثل: حي وسميع، وبصير،
وقدير؟.

قال الرضا «ع»: إنما قلتم حدثت الأشياء واختلفت، لأنه شاء وأراد، ولم تقولوا: «حدثت
واختلفت» لأنه سميع بصير، فهذا دليل على أنها ليست مثل سميع وبصير ولا قدير. قال سليمان: فانه لم
يزل مريداً؟

قال: يا سليمان فارادته غيره؟ قال: نعم.

قال: قد أثبت معه شيئاً لم يزل! قال سليمان: ما أثبت؟

قال الرضا «ع»: أهي محدثة؟

قال سليمان: لا، ما هي محدثة! فأعاد عليه المسألة فقال: هي محدثة يا سليمان؟ فإن الشيء إذا لم
يكن أزلياً كان محدثاً، وإذا لم يكن محدثاً كان أزلياً.

قال سليمان: ارادته منه كما أن سميحه وبصره وعلمه منه.

قال الرضا «ع»: فارادته نفسه؟ قال: لا.

قال: فليس المرید مثل السميع والبصير.

قال سليمان: إنما إرادته كما سمع نفسه، وأبصر نفسه، وعلم نفسه.

قال الرضا «ع»: ما معنى أراد نفسه، أراد أن يكون شيئاً، أو أراد أن يكون حياً، أو سميعاً، أو
بصيراً أو قديراً؟ قال: نعم.

قال الرضا «ع»: أفبارادته كان ذلك؟ قال سليمان: نعم.

قال الرضا «ع»: فليس لقولك أراد أن يكون حياً سميعاً بصيراً معنى، إذ لم يكن ذلك بارادته. قال
سليمان: بلى قد كان ذلك بارادته.

فضحك المأمون ومن حوله، وضحك الرضا «ع»، ثم قال لهم: ارفقوا بمتكلم خراسان!

فقال يا سليمان: فقد حال عندكم عن حاله وتغير عنها، وهذا مما لا يوصف الله عز وجل به،
فانقطع.

ثم قال الرضا «ع»: يا سليمان أسألك عن مسألة؟ قال: سل جعلت فداك!

قال: أخبرني عنك وعن أصحابك تكلمون الناس بما تفقهون وتعرفون، أو بما لا تفقهون
وتعرفون؟ فقال: بل بما نفقهه ونعلم.

قال الرضا (ع) : فالذي يعلم الناس : أن المرید غیر الارادة ، وأن المرید قبل الارادة ، وأن الفاعل قبل المفعول ، وهذا يبطل قولكم : إن الارادة والمرید شيء واحد .

قال : جعلت فداك ليس ذلك منه على ما يعرف الناس ، ولا على ما يفقهون .

قال : فأراكم ادعيتهم على ذلك بلا معرفة ، وقتلتم : الارادة كالسمع والبصر إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل . فلم يحرجوا .

ثم قال الرضا (ع) : هل يعلم الله تعالى جميع ما في الجنة والنار؟ قال سليمان : نعم .

قال : فيكون ما علم الله عز وجل أنه يكون من ذلك؟ قال : نعم .

قال : فإذا كان حتى لا يبقى منه شيء إلا كان ، أيزيدهم أو يطويه عنهم؟ قال سليمان : بل يزيدهم .

قال : فأراه في قولك قد زادهم ما لم يكن في علمه أنه يكون .

قال : جعلت فداك ! فالزيد لا غاية له .

قال : فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيها إذا لم يعرف غاية ذلك ، وإذا لم يحيط علمه بما يكون فيها لم يعلم ما يكون فيها قبل أن يكون ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

قال سليمان : إنما قلت : لا يعلمه ، لأنه لا غاية لهذا ، لأن الله عز وجل وصفها بالخلود ، وكرهنا أن نجعل لها انقطاعاً .

قال الرضا (ع) : ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم ، لأنه قد يعلم ذلك ثم يزيدهم ثم لا يقطعه عنهم ، ولذلك قال عز وجل في كتابه : ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ ^(١) وقال لأهل الجنة : ﴿ عطاء غير مجدود ﴾ ^(٢) وقال عز وجل : ﴿ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ ^(٣) فهو عز وجل يعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة ، أرأيت ما أكل أهل الجنة وما شربوا أليس يخلف مكانه؟ قال : بلى .

قال : أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه؟ قال سليمان : لا .

قال : فكذلك كلما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم . قال سليمان : بلى ، يقطعه عنهم ولا يزيدهم .

قال الرضا (ع) : إذا بييد ما فيها ، وهذا يا سليمان إبطال الخلود وخلاف الكتاب ، لأن الله عز

(١) النساء . ٥٥ .

(٢) هود . ١٠٩ .

(٣) الواقعة . ٣٣ .

وجل يقول: ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾^(١) ويقول عز وجل: ﴿عطاء غير مجدوذ﴾^(٢) ويقول عز وجل: ﴿وما هم عنها بمخرجين﴾^(٣) ويقول عز وجل: ﴿خالدين فيها﴾^(٤) ويقول عز وجل: ﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾^(٥) فلم يخرج جواباً. ثم قال الرضا ع: ألا تخبرني عن الارادة: فعل أم هي غير فعل؟ قال: بل هي فعل.

قال: فهي محدثة لأن الفعل كله محدث! قال: ليست بفعل.

قال: فمعه غيره لم يزل؟ قال سليمان: إن الارادة هي الأشياء.

قال: يا سليمان هذا الذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم: إن كل ما خلق الله عز وجل في سماء أو أرض أو بحر أو بر، من: كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابة: إرادة الله، وإن إرادة الله نحيا وتموت، وتذهب، وتأكّل وتشرب، وتنكح وتلد، وتظلم وتفعل الفواحش، وتكفر وتشرك، فتبرأ منها وتعاديا وهذا حدها.

قال سليمان: إنها كالسمع والبصر والعلم.

قال الرضا ع: فكيف نفيتموه؟ فمرة قلتم لم يرد، ومرة قلتم أراد، وليست بمفعول له. قال سليمان: إنما ذلك كقولنا مرة علم ومرة لم يعلم.

قال الرضا ع: ليس ذلك سواء لأن نفي المعلوم ليس ينفي العلم، ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون، لأن الشيء إذا لم يرد لم تكن إرادة، وقد يكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم، بمنزلة البصر: فقد يكون الانسان بصيراً وإن لم يكن المبصر، ويكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم.

فلا يزال سليمان يردد المسألة وينقطع فيها ويستأنف، وينكر ما كان أقر به، ويقر بما أنكر ويتقل من شيء إلى شيء، والرضا صلوات الله عليه ينقض عليه ذلك حتى طال الكلام بينهما، وظهر لكل أحد انقطاعه مرّات كثيرة، تركنا إيراد ذلك مخافة التطويل، فالأمر إلى أن قال سليمان: إن الارادة هي القدرة.

قال الرضا ع: وهو عز وجل يقدر على ما لا يريد أبد الابدين من ذلك لأنه قال تبارك وتعالى: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾^(٦) فلو كانت الارادة هي القدرة، كان قد أراد أن يذهب به لقدرته.

فانقطع سليمان وترك الكلام عند هذا الانقطاع، ثم تفرق القوم.

(١) ق- ٣٥.

(٢) هود- ١٠٩.

(٣) الحجر- ٤٨.

(٤) البقرة- ١٦٢.

(٥) الواقعة- ٣٣.

(٦) الاسراء- ٨٦.

وعن صفوان بن يحيى^(١) قال: سألتني أبو قرة المحدث صاحب شبرمة أن ادخله على أبي الحسن الرضا (ع)، فاستأذنه فأذن له، فدخل فسأله عن أشياء من الحلال والحرام والفرائض والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال له: أخبرني- جعلني الله فداك- عن كلام الله لموسى؟

فقال: الله أعلم بأي لسان كلمه بالسريانية أم بالعبرانية. فأخذ أبو قرة بلسانه فقال: إنما أسألك عن هذا اللسان!

فقال أبو الحسن: سبحان الله عما تقول! ومعاذ الله أن يشبه خلقه، أو يتكلم بمثل ما هم به متكلمون، ولكنه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، ولا كمثله قائل ولا فاعل. قال: كيف ذلك؟ قال: كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق، ولا يلفظ بشق فم ولسان، ولكن يقول له: «كن» فكان بمشيئته: ما خاطب به موسى (ع) من الأمر والنهي من غير تردد في نفس.

فقال أبو قرة: فما تقول في الكتب؟

فقال أبو الحسن (ع): التوراة والانجيل والزبور والفرقان، وكل كتاب أنزل كان كلام الله أنزله للعالمين نوراً وهدى، وهي كلها محدثة، وهي غير الله حيث يقول: ﴿وَيُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾^(٢) وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ إِلَّا اسْتَمْعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٣) والله أحدث الكتب كلها التي أنزلها.

فقال أبو قرة: فهل تنفي؟

فقال أبو الحسن (ع): أجمع المسلمون على أن ما سوى الله فان، وما سوى الله فعل الله، والتوراة والانجيل والزبور والفرقان فعل الله، ألم تسمع الناس يقولون: «رب القرآن» وأن القرآن يقول يوم القيامة: «يا رب هذا فلان» وهو أعرف به منه- قد أظلمات نهاره وأسهرت ليله فشفعني فيه» وكذلك

(١) صفوان بن يحيى: أبو عمدة البجلي مولى بني بجيلة بباع السابري كوفي.

قال الشيخ الطوسي (ره): إنه أوثق أهل زمانه عند أصحاب الحديث وغيرهم وكان يصلي كل يوم خمسين ومائة ركعة، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر، ويخرج زكاة ماله في السنة ثلاث مرات وذلك أنه اشترك هو وعبد الله بن جندب وعلي بن النعمان في بيت الله الحرام وتعاقبوا جميعاً: أن من مات منهم يصلي من بقي صلاته ويصوم عنه ويذكر عنها، وكل شيء من البر والاحسان يفعله لنفسه كذلك يفعله عن صاحبه، وكان وكيل الرضا (ع).

وقال أبو عمرو الكشي أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن صفوان بن يحيى بباع السابري والإقرار له بالفقه في آخرين يأتي ذكرهم في مواضعهم إن شاء الله تعالى.

وروى عن محمد بن قولويه عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن معمر بن خلاد قال: قال أبو الحسن (ع): ما ذنبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأضر في دين المسلم من حب الرياسة، ثم قال عليه السلام ولكن صفوان لا يحب الرياسة. وكان له عند الرضا عليه السلام منزلة شريفة، وتوكل للرضا عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام، وسلم مذهبه من الوقف، وكانت له منزلة من الزهد والعبادة.

التوراة والانجيل والزبور، وهي كلها محدثة مربية، أحدثها من ليس كمثله شيء هدى لقوم يعقلون، فمن زعم أنهم لم يزلن معه فقد أظهر: أن الله ليس بأول قديم، ولا واحد وأن الكلام لم يزل معه وليس له بدؤ وليس بآله.

قال أبو قرّة: وإنا روينا: أن الكتب كلها تحيى يوم القيامة والناس في صعيد واحد صفوف قيام لرب العالمين ينظرون حتى ترجع فيه، لأنها منه وهي جزء منه، فإليه نصير.

قال أبو الحسن «ع»: فهكذا قالت النصارى في المسيح: إنه روحه: جزء منه ويرجع فيه، وكذلك قالت المجوس- في النار والشمس-: إنها جزء منه ترجع فيه، تعالى ربنا أن يكون متجزياً أو مختلفاً وإنما يختلف ويأثلف المتجزي، لأن كل متجز متوهم، والكثرة والقلّة مخلوقة دالة على خالق خلقها.

فقال أبو قرّة: فإنا روينا: أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسم لموسى «ع» الكلام ولمحمد «ص» الرؤية.

فقال أبو الحسن «ع»: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين الجن والانس: أنه لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء، أليس محمد «ص»؟ قال: بلى.

قال أبو الحسن: فكيف يحىء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم: أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: إنه لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء، ثم يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر، أما تستحيون؟! ما قدرت للزنادقة أن ترميه بهذا: أن يكون أتى عن الله بأمر ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

فقال أبو قرّة: إنه يقول: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾^(١).

فقال أبو الحسن «ع»: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾^(٢) يقول: ما كذب فؤاد محمد «ص» ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأت عيناه فقال: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾^(٣) فأيات الله غير الله، وقال: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾^(٤) فإذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة. فقال أبو قرّة: فتكذب بالرواية؟

فقال أبو الحسن «ع»: إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه: إنه لا يحاط به علماً. ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيء.

وسأله عن قول الله: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾^(٥) فقال أبو الحسن «ع»: قد أخبر الله تعالى: أنه أسرى به، ثم أخبر: أنه لم أسرى به، فقال:

(١) ٢- ٣- ٣- النجم - ١٨، ١١، ١٣.

(٢) طه - ١١٠.

(٣) الإسراء - ١.

﴿لترى من آياتنا﴾^(١) فأيات الله غير الله، فقد أعذر وبين لم فعل به ذلك، وما رآه وقال: ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون﴾^(٢) فأخبر أنه غير الله.

فقال أبو قرة: أين الله؟

فقال أبو الحسن (ع): أين مكان، وهذه مسألة شاهد من غائب، فالله تعالى ليس بغائب، ولا يقدمه قادم، وهو بكل مكان موجود مدبر صانع حافظ ممسك السماوات والأرض.

فقال أبو قرة: أليس هو فوق السماء دون ما سواها؟

فقال أبو الحسن (ع): هو الله في السماوات وفي الأرض، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء وهو معكم أينما كنتم، وهو الذي استوى إلى السماء وهي دخان، وهو الذي استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو الذي استوى على العرش، قد كان ولا خلق وهو كما كان إذ لا خلق، لم ينتقل مع المتقلين.

فقال أبو قرة: فما بالكم إذ دعوتم رفعتم أيديكم إلى السماء؟

فقال أبو الحسن (ع): إن الله استعبد خلقه بضروب من العبادة، والله مفازغ يفرعون إليه، ومستعبد فاستعبد عباده بالقول، والعلم والعمل والتوجه ونحو ذلك. استعبدهم بتوجه الصلاة إلى الكعبة، وتوجه إليها الحج والعمرة، واستعبد خلقه عند الدعاء والطلب والتضرع، يبسط الأيدي ورفعها إلى السماء لحال الاستكانة وعلامة العبودية والتذلل له.

قال أبو قرة: فمن أقرب إلى الله: الملائكة، أو أهل الأرض؟

قال أبو الحسن (ع): إن كنت تقول بالشبر والذراع، فإن الأشياء كلها باب واحد هي فعله لا يشغل ببعضها عن بعض، يدبر أعلى الخلق من حيث يدبر أسفله، ويدبر أوله من حيث يدبر آخره من غير عناء ولا كلفة ولا مؤونة ولا مشاورة ولا نصب، وإن كنت تقول من أقرب إليه في الوسيلة، فأطوعهم له وأنتم تروون أن أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد، ورويتم أن أربعة أملاك التقوا أحدهم من أعلى الخلق، وأحدهم من أسفل الخلق، وأحدهم من شرق الخلق وأحدهم من غرب الخلق، فسأل بعضهم بعضاً فكلهم قال: «من عند الله» أرسلني بكذا وكذا، ففي هذا دليل على أن ذلك في المنزلة دون التشبيه والتمثيل.

فقال أبو قرة: أنقر أن الله محمول؟

فقال أبو الحسن (ع): كل محمول مفعول، ومضاف إلى غيره محتاج، فالمحمول اسم نقص في اللفظ، والحامل فاعل وهو في اللفظ ممدوح، وكذلك قول القائل: فوق. وتحت وأعلى وأسفل، وقد قال

(١) الاسراء - ١.

(٢) الجاثية - ٥.

الله تعالى: ﴿والله الأسماء الجسنى فادعوه بها﴾^(١) ولم يقل في شيء من كتبه إنه محمول، بل هو الحامل في البر والبحر، والممسك للسموات والأرض، والمحمول ما سوى الله، ولم نسمع أحداً آمن بالله وعظمه قط قال في دعائه: «يا محمول».

قال أبو قرة: أفتكذب بالرواية: إن الله اذا غضب يعرف غضبه الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله في كواهلهم فيخرون سجداً، فاذا ذهب الغضب خف فرجعوا إلى مواقفهم؟

فقال أبو الحسن «ع»: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا وإلى يوم القيامة فهو غضبان على إبليس وأوليائه أو عنهم راض؟ فقال: نعم هو غضبان عليه:

قال: فتقضى رضي فخف وهو في صفتك لم يزل غضباناً عليه وعلى أتباعه؟ ثم قال: وبحك كيف تجتري أن تصف ربك بالتغير من حال إلى حال، وأنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟ سبحانه لم يزل مع الزائلين ولم يتغير مع المتغيرين.

قال صفوان: فتحير أبو قرة ولم يحرج جواباً حتى قام وخرج.

عن عبد السلام بن صالح الهروي^(٢) قال: قلت لعلي بن موسى الرضا «ع»: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث: «إن المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة؟»

فقال «ع»: يا أبا الصلت إن الله تبارك وتعالى فضل نبيه محمد «ص» على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومبايعته مبايعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال عز وجل: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾^(٣) وقال: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾^(٤) وقال النبي «ص»: ﴿من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله﴾ ودرجة النبي «ص» في

(١) الأعراف - ١٧٩ .

(٢) قال الشيخ الطوسي في أصحاب الرضا عليه السلام من رجاله ص ٣٨٠ : عبد السلام بن صالح الهروي أبو الصلت عامي وص ٣٩٦ منه أبو الصلت الخراساني الهروي عامي روى عنه بكر بن صالح وقال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ١١٧ : عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي روى عن الرضا عليه السلام ثقة صحيح الحديث وقال الشيخ عباس القمي في ج ١ من الكافي والألقاب ص ٩٦ : « عبد السلام بن صالح الهروي روى عن الرضا عليه السلام ثقة صحيح الحديث قاله جيش والعلامة ، له كتاب : (وفاة الرضا «ع») وكان «ره» كما يشعر به بعض الكلمات غاطباً للعامة وراوياً لأخبارهم فلذلك التبس أمره على بعض المشايخ فذكر أنه عامي . قال الاستاذ الأكبر في التعليقة بعد نقل كلام الشهيد الثاني في تشييعه لا يخفى أن الأمر كذلك فإن الأخبار الصادرة عنه في العميون والأعمالي وغيرها الناصة على تشييعه بل وكونه من خواص الشيعة أكثر من أن نحصى ، وعلماء العامة ذكروا أنه شيعي قال الذهبي في ميزان الاعتدال : عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي رجل صالح إلا أنه شيعي ونقل عن الجعفي أنه رافضي خبيث وقال الدارقطني إنه رافضي متهم وقال ابن الجوزي إنه خادم للرضا شيعي مع صلاحه وعن الأنساب للسمعاني قال أبو حاتم هو رأس مذهب - الرافضة . . الى ان قال : أقول : الروايات الدالة على تشييعه كثيرة وقد اشرت إلى نبد منها في كتاب سفينة البحار وروى الشيخ الطوسي «ره» عنه في الشكر ما ينهي أن يكتب بالتبر « توفي سنة ٢٣٦ هـ .

(٣) النساء - ٧٩ .

(٤) الفتح - ١٠ .

الجنة أرفع الدرجات، فمن زاره في درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى.

قال: قلت: يا ابن رسول الله فما معنى الخبر الذي روي: أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجهه الله؟

فقال (ع): يا أبا الصلت فمن وصف الله بوجهه كالوجه فقد كفر، ولكن وجهه الله أنبأه ورسله وحججه عليهم صلوات الله، هم الذين بهم يتوجه إلى الله عز وجل وإلى دينه ومعرفته، فقال الله عز وجل: ﴿كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام﴾^(١) وقال الله عز وجل: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾^(٢) فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه (ع) في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين، وقد قال النبي (ص): «من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة»^(٣) وقال (ص): «إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني»^(٤) يا أبا الصلت إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالأبصار والأوهام.

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن الجنة والنار: أهما اليوم مخلوقان؟

قال: نعم وإن رسول الله «ص» قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء.

قال: فقلت له: إن قوماً يقولون: إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين؟

فقال: ما أولئك منا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي «ص» وكذبنا، وليس من ولايتنا على شيء، ويجل في نار جهنم قال الله عز وجل: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن﴾^(٥) وقال النبي «ص»: «لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل «ع» فأدخلني الجنة فتناولني من رطبها فأكلته، فتحول ذلك نقطة في صليبي، فلما هبطت إلى الأرض وقعت خديجة فحملت بفاطمة «ع»، ففاطمة حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة»^(٦).

وقال الرضا «ع»: في قول الله عز وجل: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾^(٧) قال: يعني-

مشرقة- تنتظر ثواب ربها.

(١) الرحمن - ٢٧.

(٢) القصص - ٨٨.

(٣) راجع ذخائر العقبى ص ٢ ونبأ المودة ج ٢ ص ٣٠٥.

(٤) راجع نفس المصدر السابق.

(٥) الرحمن - ٤٣.

(٦) في نبأ المودة ص ١٩٧ عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله ما لك إذا جعلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلعقها

صلاً؟ قال: لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة فتناولني نفاحة فأكلتها، فصارت نقطة في ظهري، فلما نزلت من السماء وقعت خديجة ففاطمة من تلك النقطة فكلما اشتقت إلى تلك النفاحة قبلتها، ثم قال: أخرجه أبو سعد في شرف النبوة وفيه أيضاً عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر القبلة لفاطمة، فقالت له: إنك تكثر تقبيل فاطمة؟ فقال: إن جبرئيل أدخلني الجنة ليلة أسري بي إلى السماء فأطعمني من جميع ثمارها، فصارت ماء في صليبي فحملت خديجة بفاطمة، فإذا اشتقت إلى تلك الثمار، قبلت فاطمة فأصبت من تقبيلها رائحة جميع تلك الثمار التي أكلتها. ثم قال: أخرجه أبو الفضل بن خيرون.

(٧) الغيابة - ٢٣.

وقال «ع» : إن النبي «ص» قال : «قال الله جل جلاله : ما آمن بي من فسر برأيه كلامي ، وما عرفني من شبهني بخلقني ، وما على ديني من استعمل القياس في ديني» وقال : «من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم» ثم قال : إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن ، ومحكم كمحكم القرآن ، فردوا متشابهها إلى محكمها ، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا .

وقال : من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر .

وعن الحسين بن خالد^(١) قال : سمعت الرضا «ع» يقول : لم يزل الله عز وجل عليماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً .

فقلت : يا ابن رسول الله إن قوماً يقولون : لم يزل عالماً بعلم ، وفادراً بقدرة وحياً بحياة ، وقديماً بقدم ، وسميعاً بسمع ، وبصيراً ببصر .

فقال «ع» : من قال ذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آفة أخرى ، وليس من ولايتنا على شيء ثم قال «ع» : لم يزل الله عز وجل عليماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً لذاته تعالى عما يقول المشركون والمشبهون علواً كبيراً .

وعن الحسين بن خالد قال : قلت للرضا «ع» : يا ابن رسول الله إن قوماً يقولون : إن رسول الله «ص» قال : «إن الله عز وجل خلق آدم على صورته» .

فقال : قاتلهم الله ! لقد حذفوا أول الحديث ، إن رسول الله مرّ برجلين يتسابان ، فسمع أحدهما يقول لصاحبه : «قبح الله وجهك ووجه من يشبهك» فقال له «ص» : «يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك ! فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته» .

وعن إبراهيم بن أبي محمود^(٢) قال : قلت للرضا «ع» : يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله «ص» : أن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ؟

فقال «ع» : لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه ، والله ما قال «ع» كذلك إنما قال «ع» : «إن الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء كل ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أول الليل ، فيأمره فينادي : أهل من سائل فاعطيه ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ يا طالب الخير فأقبل ، يا طالب الشر أقصر ! فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء» حدثني بذلك أبي عن جدي عن آبائه عن رسول الله «ص» .

وعن محمد بن سنان قال : سألت أبا الحسن الرضا «ع» : هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق

(١) من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام ذكره الشيخ في رجاله صفحة ٣٤٧ و٣٧٣ .

(٢) إبراهيم بن أبي محمود : ذكره الشيخ في أصحاب الكاظم «ع» ص ٣٤٣ وقال : له مسائل ، وفي أصحاب الرضا «ع» ص ٣٦٧ فقال : خراساني ثقة مولى . وقال العلامة في الخلاصة ص ٣ : روي عن الرضا «ع» ثقة أعتمد على روايته .

الخلق؟ قال: نعم.

قلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها شيئاً، هو نفسه، ونفسه هو، قدرته نافذة، فليس محتاج إلى أن يسمي نفسه، ولكنه اختار أسماء لغيره يدعوه بها، لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأول ما اختار نفسه «العلي العظيم» أعلى الأشياء كلها، فمعناه: «الله» واسمه: «العلي» هو أول أسمائه لأنه علا كل شيء.

وقال (ع) في قوله: ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾^(١) فساق حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجداً، وتدمج أصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود.

وسئل عن قوله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(٢) فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عن عباد، ولكنه يعني: عن ثواب ربهم محجوبون.

وسئل عن قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٣) فقال: إن الله لا يوصف بالمجيء والذهاب والانتقال، إنما يعني بذلك: وجاء أمر ربك.

وسئل عن قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ضُلُوفِ الْعِصَابِ﴾^(٤) قال: معناه: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من العمام وهكذا نزلت.

وسئل عن قوله عز وجل: ﴿سَخَّرَ اللَّهُ لَهُمُ﴾^(٥) وعن قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٦) وعن قوله: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٧) وعن قوله: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٨).

فقال: إن الله لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر وجزاء الخديعة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وسئل عن قوله عز وجل: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٩) فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يسهو ولا ينسى، إنما يسهو وينسى المخلوق المحدث، ألا تسمعه عز وجل يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(١٠) وإنما يجازي من نسيه ونسي لقاء يومه، بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(١١) وقال: ﴿فَالْيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾^(١٢) أي تركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا، أي فنجازيهم على ذلك.

وسئل عن قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ

(٢) المطففين: ١٥.

(٤) البقرة: ٢١٠.

(٦) البقرة: ١٥.

(٨) النساء: ١٤١.

(١٠) مريم: ٦٤.

(١٢) الأعراف: ٥٠.

(١) القلم: ٤٢.

(٣) الفجر: ٢٢.

(٥) التوبة: ٨.

(٧) آل عمران: ٥٤.

(٩) التوبة: ٦٨.

(١١) الحشر: ١٩.

يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء»^(١) قال: ومن يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنته زدار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن إليه، ومن يرد أن يضلّه عن جنته ودار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدنيا يجعل صدره ضيقاً حرجاً، حتى يشك في كفره ويضطرب في اعتقاد قلبه حتى يصير كأنما يصعد في السماء وكذلك يجعل الله الرّجس على الذين لا يؤمنون.

أبو الصلت الهروي قال: سأل المأمون الرضا «ع» عن قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؟^(٢).

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم أنه على كل شيء قدير، ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السماوات السبع، ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام وهو مستول على عرشه، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين، ولكنه عز وجل خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فنستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرة بعد مرة، ولم يخلق العرش لحاجة به إليه، لأنه غني عن العرش وعن جميع ما خلق، لا يوصف بالكون على العرش، لأنه ليس بجسم تعالى الله عن صفة خلقه علواً كبيراً.

وأما قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فإنه عز وجل خلق خلقه ليهلّوهم بتكليف طاعته وعبادته، لا على سبيل الامتحان والتجربة. لأنه لم يزل عليماً بكل شيء.

فقال المأمون: فرجت عني يا أبا الحسن فرج الله عنك.

ثم قال له: يا ابن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مِنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تَكْذِبُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٣) و﴿مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤).

فقال الرضا «ع»: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب «ع» قال: إنّ المسلمين قالوا لرسول الله «ص»: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثير عددنا وقوبنا على عدونا.

فقال رسول الله «ص»: «ما كنت لألقى الله عز وجل ببدعة لم يحدث إلي فيها شيئاً وما أنا من المتكلفين» فأنزل الله تعالى عليه: يا محمد ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مِنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ على سبيل الاجاء والاضطرار في الدنيا، كما يؤمن عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً، ولكني أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين، ليستحقوا مني الزلفى والكرامة، ودوام الخلود في جنة الخلد، أفأنت تكبره الناس حتى يكونوا مؤمنين.

(٢) يونس- ٩٩.

(٣) يونس- ١٠٠.

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٣) هود- ٧.

وأما قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١) فليس ذلك على سبيل حريم الإيمان عليها، ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله، وإذنه أمره لها بالإيمان بما كانت مكلفة متعبدة بها، وإلجأؤه إياها إلى الإيمان عند زوال التكلف والتعبد عنها.

فقال المؤمنون: فرجت عني فرج الله عنك فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾^(٢).

فقال: إن غطاء العين لا يمنع من الذكر، والذكر لا يرى بالعين، ولكن الله عز وجل شبه الكافرين بولاية علي بن أبي طالب (ع) بالعميان، لأنهم كانوا يستقلون قول النبي (ص) فيه، ولا يستطيعون له سمعاً.

فقال المؤمنون: فرجت عني فرج الله عنك.

وعن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني رضي الله عنه^(٣) عن إبراهيم بن أبي عمود^(٤) قال: سألت أبا الحسن الرضا (ع) عن قول الله عز وجل ﴿وَمَرْكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾^(٥) فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه. ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منهم المعاونة واللطف، وخلّى بينهم وبين اختيارهم.

قال: وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾^(٦).

قال: الختم: هو «الطبع» على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم، كما قال عز وجل: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٧).

قال: وسألته عن الله عز وجل هل يجبر عباده على المعاصي؟

قال: لا، بل يجبرهم، ويجهلهم حتى يتوبوا.

قلت: فهل يكلف عباده ما لا يطيقون؟

فقال: كيف يفعل ذلك وهو يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٨).

(١) آل عمران: ١٤٥

(٢) الكهف: ١٠٢

(٣) أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن الحسين بن زهيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، زاهد عابد ذو ورع ودين. معروف بالأمانة وصدق اللهجة عالم بأمور الدين كثير الحديث والرواية، يروي عن الأمامين الجواد والعسكري (عليهما السلام)، ونها إليه الرسائل، ويروي عن جماعة من أصحاب موسى، بن جعفر وعلي بن موسى (ع) له كتاب يسميه كتاب: «يوم وليلة» وله كتاب: «خطب أمير المؤمنين (ع)» وقد كتب صاحبين عباد رسالة مختصرة في أحوال عبد العظيم أوردها صاحب المستدرک في خاتمة المستدرک راجع الجزء الثاني من سفينة البحار ص ١٢٠، وخلاصة العلامة ص ١٣٠.

(٤) البقرة: ١٧

(٥) ممت ترجمته.

(٦) النساء: ١٥٤

(٧) البقرة: ٧

(٨) حم السجدة: ٤٦

ثم قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب «ع»، أنه قال: من زعم أن الله يجبر عباده على المعاصي ويكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلوا وراءه، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً.

وعن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي^(١) قال: دخلت على علي بن موسى الرضا بمرو، فقلت له: يا ابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد «ع» أنه قال: «لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين» ما معناه؟

فقال: من زعم: أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها، فقد قال: «بالجبر» ومن زعم: أن الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حجبته «ع» فقد قال «بالتفويض» والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك.

فقلت: يا ابن رسول الله فما أمر بين الأمرين؟

فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به، وترك ما نهوا عنه.

قلت: وهل لله مشية وإرادة في ذلك؟

فقال: أما الطاعات، فإرادة الله ومشية فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيته في المعاصي: النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها.

قلت: فله عز وجل فيها القضاء؟

قال: نعم. ما من فعل يفعله العباد من خير أو شر إلا والله فيه قضاء. قلت: ما معنى هذا القضاء؟

قال: الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

وروي أنه ذكر عنده الجبر والتفويض فقال: إن الله لم يطع باكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صادراً ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه. ثم قال «ع»: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه.

وعن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا «ع» قال: قلت له: يا ابن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر، لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك «ع».

فقال: يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي الأئمة في الجبر والتشبيه أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي «ص» في ذلك؟

فقلت: بل ما رويت عن النبي «ص» أكثر.

قال: فليقولوا: إن رسول الله «ص» كان يقول بالتشبيه والجبر.

فقلت له: إنهم يقولون: إن رسول الله «ص» لم يقل شيئاً من ذلك وإنما روي عليه.

قال: فليقولوا في آياتي الأئمة «ع»: إنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنما روي عليهم ثم قال: من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك، ونحن براء منه في الدنيا والآخرة، يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر «الغلاة» الذين صغروا عظمة الله، فمن أحبهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا، ومن والاهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برنا، ومن برهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا، ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردنا، ومن ردهم فقد قبلنا ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدقهم فقد كذبنا، ومن كذبهم فقد صدقنا، ومن أعطاهم فقد حرمانا، ومن حرمانهم فقد أعطانا يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذن منهم ولياً ولا نصيراً.



احتجاج الرضا عليه السلام على أهل الكتاب والمجوس ورئيس الصابئين وغيرهم.

روي عن الحسن بن محمد النوفلي أنه قال: لما قدم علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه على المأمون، أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات، مثل: الجائليق، ورأس الجالوت، ورؤساء الصابئين، والهريد الأكبر، وأصحاب زردشت وقسطاس الرومي، والمتكلمين، ليسمع كلامهم وكلامهم، فجمعهم الفضل بن سهل ثم أعلم المأمون باجتماعهم فقال: أدخلهم علي ففعل، فرحب بهم المأمون ثم قال لهم:

إنما جمعتمكم لخبر، وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم علي فاذا كان بكرة فاغدوا علي ولا يتخلف منكم أحد.

فقالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين، نحن مبكرون إن شاء الله.

قال الحسن بن محمد النوفلي: فبينما نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضا «ع» إذ دخل علينا ياسر الخادم. وكان يتولى أمر أبي الحسن «ع». فقال: يا سيدي إن أمير المؤمنين يقرؤك السلام ويقول: فذاك أخوك، إنه اجتمع إلينا أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمون من جميع أهل الملل، فأريك في البكور علينا إن أحببت كلامهم، وإن كرهت ذلك فلا تتجشم وإن أحببت أن نصير إليك يخف ذلك علينا.

فقال أبو الحسن «ع»: أبلغه السلام وقل: قد علمت ما أردت، وأنا صائر إليك بكرة إن شاء الله.

قال الحسن بن محمد النوفلي: فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي: يا نوفلي أنت عراقي ورقة العراقي غير غليظة، فما عندك في جمع ابن عمي علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات؟
فقلت: جعلت فداك يريد الامتحان، ويجب أن يعرف ما عندك، ولقد بنى على أساس غير وثيق
البيان، وبش والله ما بنى.

فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟

قلت: إن أصحاب الكلام والبدع خلاف العلماء، وبذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر، وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهنة إن احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا: صحح وحدانيته، وإن قلت: إن محمدًا «ص» رسول، قالوا: ثبت رسالته، ثم يباهتون الرجل - وهو مبطل عليهم بحجته - ويغالطونه حتى يترك قوله، فاخذرهم جعلت فداك!

قال: فتبسم ثم قال لي: يا نوفلي أتخاف أن يقطعوا عليّ حجتي؟!

قلت: لا والله ما خفته عليك قط، وإنّي لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله.

فقال لي: يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون؟ قلت: نعم.

قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الإنجيل بأنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بغيرانيتهم، وعلى الأبراركة بفارسيّتهم، وعلى أهل الروم بروميتهم، وعلى أهل المقالات بلغاتهم، فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع إلى قولي، علم المأمون أن الذي هو بسبيله ليس بمستحق له، فعند ذلك تكون الندامة منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فلما أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك إن ابن عمك ينتظرك، اجتمع القوم فما رأيك في إتيانه؟

فقال له الرضا «ع»: تقدمني فاني سائر إلى ناحيتكم إن شاء الله، ثم توضأ وضوء الصلاة، وشرب شربة سويق وسقانا، ثم خرج وخرجنا معه حتى دخل على المأمون، وإذا المجلس غاص بأهله، ومحمد بن جعفر في جماعة الطالبين والهاشميين والقواد حضور.

فلما دخل الرضا «ع»، قام المأمون: وقام محمد بن جعفر وجميع بني هاشم فما زالوا وقوفًا والرضا «ع» جالس مع المأمون - حتى أمرهم بالجلوس فجلسوا فلم يزل المأمون مقبلاً عليه يحدثه ساعة، ثم التفت إلى الجاثليق فقال:

يا جاثليق! هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر وهو من ولد فاطمة بنت نبينا «ص»، وابن علي بن أبي طالب «ع»، فاحب أن تكلمه وتحاجه وتنصفه.

فقال الجاثليق: يا امير المؤمنين كيف احاج رجلا يحاج علي بكتاب أنا منكروه، وبني لا أو من به؟

فقال الرضا «ع»: يا نصراني فان احتججت عليك بالانجيلك أنقر به؟

قال الجاثليق: وهل أقدر على دفع ما نطق به الانجيل، نعم والله اقر به على رغم أنفي.

فقال له الرضا «ع»: سل عما بدا لك واسمع الجواب.

قال الجاثليق: ما تقول في نبوة عيسى وكتابه، هل تنكر منها شيئاً؟

قال الرضا «ع»: أنا مقر بنبوة عيسى وكتابه، وما بشر به امته، وأقرت به الخواريون، وكافر بنبوة

كل عيسى لم يقر بنبوة محمد وكتابه، ولم يبشر به امته!

قال الجاثليق: اليس إنما تقطع الأحكام بشاهدي عدل؟ قال: بلى.

قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوة محمد ممن لا تنكروه النصرانية وسلنا مثل ذلك من

غير أهل ملتنا.

قال الرضا «ع»: الآن جئت بالنصفة يا نصراني! ألا تقبل مني العدل والمقدم عند المسيح عيسى بن

مريم «ع»؟ قال الجاثليق: ومن هذا العدل سسه لي؟

قال: ما تقول في (يوحنا) الديلمي؟ قال: بلغ بلغ ذكرت أحب الناس إلى المسيح.

قال: أقسمت عليك هل نطق الانجيل أن يوحنا قال: إن المسيح أخبرني بدين محمد العربي

وبشرني به أنه يكون من بعدي، فبشرت به الخواريين فأمنوا به؟

قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح، وبشر بنبوة رجل وأهل بيته ووصيه وأهل بيته، ولم

يلخص متى يكون ذلك، ولم يسم لنا القوم فنعرفهم.

قال الرضا «ع»: فان جئناك بمن يقرأ الانجيل فتلا عليك ذكر محمد وأهل بيته وامته أتؤمن به؟

قال: أمر شديد.

قال الرضا لغسطاس الرومي: كيف يكون حفظك للسفر الثالث من الانجيل؟

قال: ما أحفظني له، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال «ع»: أأست تقرأ الانجيل؟ قال: بلى

لعمرى.

قال: فخذ علي السفر الثالث، فان كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وامته فاشهدوا لي، وان لم يكن فيه

ذكره فلا تشهدوا لي!

ثم قرأ السفر الثالث حتى بلغ ذكر النبي «ص»، وقف ثم قال: يا نصراني إني أسألك بحق المسيح

وامه، أتعلم أني عالم بالانجيل؟

قال: نعم، ثم تلا علينا ذكر محمد وأهل بيته وامته، ثم قال: ما تقول يا نصراني؟ هذا قول عيسى ابن مريم، فإن كذبت ما نطق به الانجيل فقد كذبت موسى وعيسى «ع»، ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل، لأنك تكون قد كفرت بربك ونبيك وكتابك.

قال الجاثليق: لا انكر ما قد بان لي من الانجيل، وإني لمقر به.

قال الرضا «ع»: على الخير سقطت، أما الحواريون فكانوا اثني عشر رجلاً، وكان أفضلهم وأعلمهم (لوقا) وأما علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال (يوحنا) الأكبر - ياحي - و(يوحنا) بقرقيسيا و(يوحنا) الديلمي بزخار وعنده كان ذكر النبي «ص»، وذكر أهل بيته وهو الذي بشر أمة عيسى وبني إسرائيل به. ثم قال: يا نصراني، والله إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد «ص». وما ننقم على عيسى شيئاً إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته.

قال الجاثليق: أفسدت والله علمك وضعفت أمرك وما كنت ظننت إلا أنك أعلم أهل الاسلام.

قال الرضا «ع»: وكيف ذلك؟! قال الجاثليق: من قولك إن عيسى كان ضعيفاً قليل الصيام والصلاة، وما أفطر عيسى يوماً قط، وما نام بليل قط، وما زال صائم الدهر قائم الليل.

قال الرضا «ع»: فلمن كان يصوم ويصلي؟ فخرس الجاثليق وانقطع.

قال الرضا «ع»: يا نصراني، إن أسألك عن مسألة. قال: سل! فإن كان عندي علمها أجبتك.

قال الرضا «ع»: ما أنكرت أن عيسى كان يحيي الموتى باذن الله.

قال الجاثليق: أنكرت ذلك من قبل، إن من أحى الموت وأبرأ الأكمه والأبرص، فهو (رب) مستحق لأن يعبد.

قال الرضا صلوات الله عليه: فإن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى «ع»: مشى على الماء وأحى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، فلم لا تتخذة امته رباً ولم يعبدوه أحد من دون الله عز وجل؟ ولقد صنع حزقيال النبي مثل ما صنع عيسى بن مريم، فأحى خمسة وثلاثين الف رجل من بعد موتهم بستين سنة، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: يا رأس الجالوت! أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة، اختارهم (بخت نصر) من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس، ثم انصرف بهم إلى بابل، فأرسله الله عز وجل إليهم فأحياهم، هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم؟

قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه. قال: صدقت.

ثم قال: يا يهودي خذ علي هذا السفر من التوراة، فتلا عليه من التوراة آيات، فأقبل اليهودي بترجح لقراءته، ويتمعجب ثم أقبل على النصراني فقال: يا نصراني افهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟

قال: بل كانوا قبله.

قال الرضا (ع): لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله فسألوه أن يحيي لهم موتاهم، فوجه معهم علي بن أبي طالب (ع) فقال له: «إذهب إلى الجبانة، فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك، يا فلان، ويا فلان، ويا فلان، يقول لكم رسول الله محمد قوموا بأذن الله»

فناداهم فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم، ثم أخبروهم أن محمداً قد بعث نبياً فقالوا: وددنا أن أدركناه فنؤمن به، ولقد أبرأ الأكمة والأبرص والمجانين، وكلمته البهائم والطير والجن والشياطين، ولم نتخذ رباً من دون الله، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم، فان اتخذتم عيسى رباً جاز لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيل ريين، لأنها قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم: من إحياء الموتى وغيره، ثم أن قوماً من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم الوف حذر الموت فأماهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل القرية فحفظوا عليهم حظيرة، فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميماً، فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثرة العظام البالية، فأوحى الله إليه أحب أن أحييهم لك فتندرهم؟ قال: نعم.

فأوحى الله إليه أن نادهم فقال: أيتها العظام البالية قومي بأذن الله! فقاموا أحياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم ثم إبراهيم خليل الله (ع) حين اتخذ الطير فقطعهن قطعاً، ثم وضع على كل جبل منهن جزءاً، ثم ناداهن فأقبلن سعيّاً إليه، ثم موسى بن عمران وأصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنك قد رأيت الله فأرنا! فقال لهم: إني لم أره.

فقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم فبقي موسى وحيداً.

فقال: يا رب اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم، فأرجع أنا وحدي، فكيف يصدقني قومي بما أخبرهم به، فلو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ فأحياهم الله عز وجل من بعد موتهم، وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه، لأن التوراة والانجيل والزبور والفرقان قد نطقن به، فان كان كل من أحيى الموتى وأبرأ الأكمة والأبرص والمجانين يتخذ رباً من دون الله فاتخذ هؤلاء كلهم أرباباً! ما تقول يا نصراني؟! فقال الجاثليق: القول قولك، ولا إله إلا الله.

ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: يا يهودي أقبل عليّ أسألك بالعشر الآيات التي انزلت على موسى بن عمران هل تعبد في التوراة مكتوباً نبأ محمد (ص) وامته إذا جاءت الأمة الأخيرة أتباع راكم

البعير، يسبحون الرب جداً جداً، تسيحاً جديداً في الكنايس الجدد، فليفرح بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئن قلوبهم فان بأيديهم سيوقاً ينتقمون بها من الامم الكافرة في أقطار الأرض، هكذا هو في التوراة مكتوب؟

قال رأس الجالوت: نعم. إنا لنجد ذلك كذلك.

ثم قال للجائليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا؟ قال: أعرفه حرفاً حرفاً.

قال لها: أتعرفان هذا من كلامه؟ يا قوم إنّي رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور، ورأيت راكب البعير ضوءه ضوء القمر؟ فقالا: قد قال ذلك شعيا.

قال الرضا «ع»: يا نصراني اهل تعرف في الانجيل قول عيسى: إني ذاهب إلى ربكم وربّي، و(البار قليظا) جائي هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت له، وهو الذي يفسر لكم كل شيء، وهو الذي يبيدي فضايح الامم، وهو الذي يكسر عمود الكفر؟

فقال الجائليق: ما ذكرت شيئاً من الانجيل إلا ونحن مقرون به.

فقال «ع»: أتجد هذا في الانجيل ثابتاً؟ قال: نعم.

قال الرضا «ع»: يا جائليق ألا تخبرني عن الانجيل الأول حين افتقدتموه عند من وجدتموه؟ ومن وضع لكم هذا الانجيل؟

قال له: ما افتقدنا الانجيل إلا يوماً واحداً حتى وجدناه غصاً طرياً فأخرجناه إلينا يوحنا ومتى.

فقال الرضا «ع»: ما أقل معرفتك بسنن الانجيل وعلمائه، فان كان كما تزعم فلم تختلفتم في الانجيل؟ وإنما الاختلاف في هذا الانجيل الذي في أيديكم اليوم، فان كان على العهد الأول لم تختلفوا فيه، ولكني مفيدك علم ذلك، أعلم: أنه لما افتقد الانجيل الأول اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم: قتل عيسى بن مريم وافتقدنا الانجيل، وأنتم العلماء فما عندكم؟

فقال لهم الوقا ومارقانوس ويوحنا ومتى: إن الانجيل في صدورنا نخرجه إليكم سفراً سفراً، في كل أحد، فلا تحزنوا عليه ولا تحلوا الكنايس، فانا سستلوه عليكم في كل أحد سفراً سفراً حتى نجعله كله.

فقال الرضا «ع»: إن الوقا ومارقانوس ويوحنا ومتى وضعوا لكم هذا الانجيل بعدما افتقدتم الانجيل الأول، وإنما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ تلاميذ الأولين، أعلمت ذلك؟

قال الجائليق: أما قبل هذا فلم أعلمه وقد علمته الآن، وقد بان لي من فضل علمك بالانجيل وقد سمعت أشياء مما علمته شهد قلبي أنها حق، واستزدت كثيراً من الفهم.

فقال الرضا «ع»: فكيف شهادة هؤلاء عندك؟

قال: جائزة هؤلاء علماء الانجيل، وكل ما شهدوا به فهو حق.

قال الرضا (ع) : للمأمون ومن حضره من أهل بيته وغيرهم : اشهدوا عليه !

قالوا : شهدنا .

ثم قال للجاثليق : بحق الابن وأمه ، هل تعلم أن (متى) قال في نسبة عيسى : إن المسيح بن داوود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب بن يهود بن خضر بن؟ وقال (مرقانوس) في نسبة عيسى (ع) : إنه كلمة الله أحلها في الجسد الآدمي فصارت إنساناً؟ وقال (الوقا) : إن عيسى بن مريم وأمه كانا إنسانين من لحم ودم فدخل فيهما روح القدس؟ ثم إنك تقول في شهادة عيسى على نفسه حقاً أقول لكم إنه لا يصعد إلى السماء إلا من نزل منها إلا راكب البعير خاتم الأنبياء ، فانه يصعد إلى السماء وينزل فما تقول في هذا القول؟

قال الجاثليق : هذا قول عيسى لا ننكره .

قال الرضا (ع) : فما تقول في شهادة الوقا ومرقانوس ومتى على عيسى وما نسبوا إليه؟ قال الجاثليق : كذبوا على عيسى .

قال الرضا (ع) : يا قوم أليس قد زكاهم وشهد أنهم علماء الانجيل وقوفهم حق . فقال الجاثليق : يا عالم المسلمين احب أن تعفي من أمر هؤلاء .

قال الرضا (ع) : قد فعلنا . سل يا نصراني عما بدا لك؟

قال الجاثليق : ليسألك غيري ، فوالله ما ظننت أن في علماء المسلمين مثلك .

فالتفت الرضا (ع) إلى رأس الجالوت فقال له تسألني أو أسألك؟ قال : بل أسألك ولست أقبل منك حجة إلا من التوراة ، أو من الانجيل أو من زبور داوود ، أو في صحف إبراهيم وموسى .

قال الرضا (ع) : لا تقبل مني حجة إلا بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران (ع) ، والانجيل على لسان عيسى بن مريم (ع) ، والزبور على لسان داوود (ع) .

قال رأس الجالوت : من أين تثبت نبوة محمد؟

قال الرضا (ع) : شهد بنوته موسى بن عمران ، وعيسى بن مريم ، وداوود خليفة الله في الأرض .

فقال له : ثبت قول موسى بن عمران !

قال الرضا (ع) : تعلم يا يهودي أن موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم : إنه سيأتيكم نبي من إخوانكم فيه فصدقوا ، ومنه فاسمعوا ، فهل تعلم أن لبني إسرائيل إخوة غير ولد إسماعيل إن كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل والنسب الذي بينها من قبل إبراهيم (ع)؟

فقال رأس الجالوت : هذا قول موسى لا تدفعه .

فقال له الرضا «ع»: هل جاءكم من إخوة بني إسرائيل غير محمد «ص»؟ قال: لا.

وفي العيون: فقال الرضا «ع»: أفليس قد صح هذا عنكم؟

قال: نعم، ولكني أحب أن تصححه لي من التوراة.

فقال له الرضا «ع»: هل تنكرون التوراة تقول لكم: جاء النور من قبل طور سيناء، وأضاء للناس من جبل ساعير، واستعلن علينا من جبل فاران؟ قال رأس الجالوت: أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها.

قال الرضا «ع»: أنا أخبرك به، أما قوله: «جاء النور من قبل طور سيناء»: فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى على جبل طور سيناء، وأما قوله: وأضاء الناس في جبل ساعير، فهو: الجبل الذي أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم «ع» وهو عليه، وأما قوله: واستعلن علينا من جبل فاران: فذاك جبل من جبال مكة، وبينه وبينها يومان أو يوم.

قال شعيا النبي- فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة رأيت راكبين أضاء لها الأرض، أحدهما على حمار، والآخر على جمل، فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل؟ قال رأس الجالوت: لا أعرفهما فخبرني بهما؟

قال: أما راكب الحمار فعيسى «ع»، وأما راكب الجمل فمحمد «ص» أنتكر هذا من التوراة؟ قال: لا ما أنكره.

قال الرضا «ع»: هل تعرف حيقوق النبي «ع»؟ قال: نعم إني به لعارف!

قال: فانه قال- وكتابكم ينطق به-: جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران، وامتلات السماوات من تسبيح أحمد وأمنه، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر، يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس، يعني بالكتاب: القرآن أتعرف هذا وتؤمن به؟

قال رأس الجالوت: قد قال ذلك من حيقوق النبي «ع» ولا ننكر قوله.

قال الرضا «ع»: فقد قال داوود «ع» في زبور «وَأَنْتَ تَقْرَأُ»: اللهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة، فهل تعرف نبياً أقام السنة بعد الفترة غير محمد «ص»؟

قال رأس الجالوت: هذا قول داوود نعرفه. ولا ننكره، ولكن عني بذلك: عيسى وأمامه هي الفترة.

قال الرضا «ع»: جهلت أن عيسى لم يخالف السنة، وكان موافقاً لسنة التوراة حتى رفعه الله إليه، وفي الانجيل مكتوب: إن ابن البرة ذاهب (الفارقليط) جائي من بعدي هو يخفف الآصار، ويفسر لكم كل شيء، ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتكم بالتأويل، أتؤمن بهذا في الانجيل؟

قال: نعم. لا انكره.

قال الرضا (ع): أسألك عن نبيك موسى بن عمران (ع). فقال: سل!

قال: ما الحجة على أن موسى ثبتت نبوته؟ قال اليهودي: إنه جاء بما لم يحيى أحد من الأنبياء قبله.

قال له (ع): مثل ماذا؟

قال: مثل فلق البحر، وقلبه العصا حية تسعى، وضربه الحجر فأنفجر منه العيون، وإخراجه يده بيضاء للناظرين، وعلامات لا يقدر الخلق على مثلها.

قال له الرضا (ع): صدقت في أنها كانت حجة على نبوته، إنه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله، أفليس كل من ادعى أنه نبي، وجاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه؟

قال: لا. لأن موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربه وقربه منه، ولا يجب علينا الاقرار بنبوة من ادعاهما، حتى يأتي عن الأعلام بمثل ما جاء.

قال الرضا (ع): فكيف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى، ولم يفلقوا البحر ولم يفجروا من الحجر اثنتي عشرة عيناً، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء، ولم يقلبوا العصا حية تسعى؟!

قال له اليهودي: قد خبرتك أنه متى جاءوا على نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله، ولو جاءوا بمثل ما لم يحيى به موسى، أو كانوا على ما جاء به موسى وجب تصديقهم.

قال الرضا (ع): يا رأس الجالوت! فما يمنعك من الاقرار بعيسى بن مريم وكان يحيى الموتى، ويرى الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائراً باذن الله؟!

قال رأس الجالوت: يقال: إنه فعل ذلك ولم نشهده.

قال الرضا (ع): أرايت ما جاء به موسى من الآيات وشاهدته، أليس إنما جاء الأخبار من ثقة أصحاب موسى أنه فعل ذلك؟ قال: بلى.

قال: كذلك أيضاً أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم، فكيف صدقتم بموسى ولم تصدقوا بعيسى؟! فلم يجر جواباً.

فقال الرضا (ع): وكذلك أمر محمد (ص) وما جاء به، وأمر كل نبي بعثه الله، ومن آياته أنه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً ولم يتعلم، ولم يختلف إلى معلم: ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء (ع) وأخبارهم حرفاً حرفاً، وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة، ثم كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم، بآيات كثيرة لا تحصى.

قال رأس الجالوت: لم يصح عندنا خبر عيسى، ولا خبر محمد، ولا يجوز لنا أن نقر لها بما لا يصح

عندنا.

قال الرضا «ع»: فالشاهد الذي يشهد لعيسى ومحمد «ص» شاهد زور؟ فلم يحرجوا.
ثم دعا بالهريذ الأكبر، فقال له الرضا «ع»: أخبرني عن زردشت الذي تزعم: أنه نبي ما حجتك على نبوته؟

قال: إنه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله، ولم نشهده، ولكن الأخبار من أسلافنا وردت علينا: بأنه أخل لنا ما لم يحله لنا غيره فاتبعناه.

قال: أفليس إنما أتكم الأخبار فاتبعتموه؟ قال: بلى.

قال: فكذلك سائر الأمم السالفة، اتهموا الأخبار بما أتى به النبيون، وأتى به موسى وعيسى ومحمد «ص»، فما عذرهم في ترك الإقرار بهم، إذ كنتم إنما أقررتهم بزردشت من قبل الأخبار السابقة: بأنه جاء بما لم يحىء به غيره؟ فانقطع الهريذ مكانه.

فقال الرضا «ع»: يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محشم! فقام إليه عمران الصابي- وكان واحداً من المتكلمين- فقال: يا عالم الناس لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل، ولقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة، ولقيت المتكلمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدانيته، أفتأذن أن أسألك؟

قال الرضا «ع»: إن كان في الجماعة عمران الصابي فانت هو! قال: أنا هو.

قال: سل يا عمران وعليك بالنصفة، إياك والخطل والجورا

قال: والله يا سيدي ما أريد إلا أن تثبت لي شيئاً أتعلق به، فلا أجوزه!

قال: سل عما بدا لك! فازدحم الناس وضم بعضهم إلى بعض. فقال: أخبرني عن الكائن الأول وعما خلق؟

قال: سألت فافهم الجواب!

أما الواحد: فلم يزل كائناً واحداً، لا شيء معه، بلا حدود، ولا أعراض ولا يزال كذلك، ثم خلق خلقاً مبتدعاً، مختلفاً، بأعراض وحدود مختلفة، لا في شيء أقامه، ولا في شيء حده، ولا على شيء حذاه ومثله، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة لله، واختلافاً وإيتلافاً، والواناً وأذوقاً وطمعاً، لا حاجة كانت منه إلى ذلك، ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به، ولا رأى لنفسه فيها خلق زيادة ولا نقصاناً، تعقل هذا يا عمران؟ قال: نعم والله يا سيدي.

قال: واعلم يا عمران! أنه لو كان خلق ما خلق الحاجة، لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته، ولكن ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق، لأن الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى.

ثم طال السؤال والجواب بين الرضا «ع» وبين عمران الصابي، وألزمه «ع» في أكثر مسائله حتى

انتهت الحال إلى أن قال: أشهد أنه يا سيدي كما وصفت ولكن بقيت مسألة!

قال: سل عما أردت!

قال: أسألك عن: (الحكيم) في أي شيء؟ وهل يحيط به شيء؟ وهل يتحول من شيء إلى شيء؟ أو هل به حاجة إلى شيء؟

قال الرضا(ع) أخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه، فانه من أغمض ما يرد على المخلوقين في مسائلهم، وليس يفهمه المتقارب عقله العازب حلمه، ولا يعجز عن فهمه أولوا العقل المنصفون.

أما أول ذلك: فلو كان خلق ما خلق حاجة منه لجاز لقائل أن يقول: يتحول إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك، ولكنه عز وجل لم يخلق شيئاً لحاجة، ولم يزل ثابتاً لا في شيء، إلا أن الخلق يمسك بعضه بعضاً ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه. والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله، وليس يدخل في شيء ولا يخرج منه ولا يؤوده حفظه، ولا يعجز عن إمساكه، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلا الله عز وجل. ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سره والمستحفظين لأمره وخزانه القائمين بشريعته، وإنما أمره كلمح البصر أو هو أقرب، إذا شاء شيئاً فأنما يقول له: كن فيكون بمشيئته وإرادته، وليس شيء من خلقه أقرب إليه من شيء، ولا شيء أبعد منه من شيء، أفهمت يا عمران؟

قال: نعم يا سيدي فهمت، وأشهد أن الله على ما وصفت ووحدت، وأن محمداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحق، ثم خر ساجداً نحو القبلة وأسلم.

قال الحسن بن محمد النوفلي: فلما نظر المتكلمون إلى كلام عمران الصابي- وكان جدلاً لم يقطعه عن حجته أحد قط- لم يدن من الرضا(ع) أحد ولم يسأله عن شيء، وأمسينا فنهض المأمون والرضا(ع) فدخلوا وانصرف الناس.

ثم قال الرضا(ع)- بعد أن عاد إلى منزله-: يا غلام صر إلى عمران الصابي فأتني به! فقلت: جعلت فداك! أنا أعرف موضعه هو عند بعض إخواننا من الشيعة. قال: فلا بأس قربوا إليه دابة. فصرت إلى عمران فأتيته به، فرحب به، ودعا بكسوة فخلعها عليه، ودعا بعشرة آلاف درهم فوصله به.

قلت: جعلت فداك! حكيت فعل جذك أمير المؤمنين(ع).

قال: هكذا يجب. ثم دعا(ع) بالعشاء فأجلسني عن يمينه، وأجلس عمران عن يساره، حتى إذا فرغنا قال لعمران: إنصرف مصاحباً وبكر علينا نطعمك طعام المدينة.

فكان عمران بعد ذلك يجتمع إليه المتكلمون من أصحاب المقالات فيبطل عليهم أمرهم حتى اجتنبوه. ووصله المأمون بعشرة آلاف درهم، وأعطاه الفضل مالا جزيلا، وولاه الرضا(ع) صدقات البلخ فأصاب الرغائب.

وروي عن علي بن الجهم أنه قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا ع فقال له المأمون:

يا ابن رسول الله أليس من قولك: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ»؟^(١) قال: بلى.

قال: فلما معنى قول الله عز وجل: «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى»؟^(٢).

فقال: إِنَّ الله تبارك وتعالى قال لآدم ع: «اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين»^(٣) ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا عما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة وإنما أكلا من غيرها إذ وسوس الشيطان إليهما وقال: «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة»^(٤) وإنما نهاكما أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها: «إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين»^(٥) «وقاسمهما إني لكما من الناصحين»^(٦) ولم يكن آدم وحوا شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، «فدلاهما بغرور»^(٧) فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق دخول النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة. قال الله تعالى: «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى» وقال عز وجل: «إِنَّ الله اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»^(٨).

قال المصنف (ره): لعل الرضا صلوات الله عليه أراد (بالصغائر الموهوبة): ترك المندوب وارتكاب المكروه من الفعل، دون الفعل القبيح الصغير بالإضافة إلى ما هو أعظم منه، لاقتضاء أدلة العقول والأثر المنقول لذلك، ورجعنا إلى سياق الحديث:

ثم قال المأمون: فلما معنى قول الله عز وجل: «فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا مَا نَهَاكَ»؟^(٩).

فقال الرضا ع: إِنَّ حواء ولدت خمسمائة بطن، في كل بطن ذكر وأنثى وَإِنَّ آدَمَ وَحَوَاءَ عَاهَدَا الله وَدَعَوَاهُ قَالَا: «لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ»^(١٠) فلما آتاهما صالحين من النسل، خلقاً سوياً بريئاً من الزمانة والعاهة، كان ما آتاهما صنفين: صنفاً ذكراً وصنفاً أنثى، فجعل الصنفان لله تعالى شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه شكر أبويهما له عز وجل. قال الله تعالى: «فَتَعَالَى الله عما يشركون»^(١١).

فقال المأمون: أشهد أنك ابن رسول الله ص حقاً، فأخبرني عن قول الله عز وجل في إبراهيم:

(١) عقيدتنا في النبي والامام عليها السلام، أن يكونا معصومين بمعنى: أننا ننزه النبي والامام عليهما السلام عن كبرائر الذنوب وصغائرها، وعن الخطأ والنسيان بل هما يتأفي المرومة وعن كل عمل يستهجن عرفاً منذ الولادة وإلى الوفاة وفي كل الأحوال والظروف. ولو انتفت عنه العصمة: لاحتملنا الخطأ والنسيان والمعصية في كل عمل أو قول يصدران عنه وحينئذ لا تكون أقواله ولا أفعاله حجة علينا، ولا تكون ملزمين باتباعها. وفي ذلك انتقاص الغرض. وقد أجمع الامامية على القول بالعصمة. وما يتوهم خلاف ذلك من بعض الاخبار والأدعية فهي مأولة.

(٢) طه ١٢١.

(٣) البقرة ٣٥.

(٤-٥) الأعراف ٢٠.

(٦-٧) الأعراف ٢١، ٢٢.

(٨) آل عمران ٣٣.

(٩-١٠) الأعراف ١٨٩، ١٨٨.

(١١) الأعراف ١٨٩.

﴿فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي﴾؟^(١).

فقال الرضا ع: إنّ إبراهيم وقع على ثلاثة أصناف: صنف يعبد (الزهرة)، وصنف يعبد (القمر)، وصنف يعبد (الشمس) ذلك حين خرج من السرب الذي اخفي فيه.

فلما جنّ عليه الليل رأى (الزهرة) قال: ﴿هذا ربي؟﴾ على الإنكار والاستخبار. ﴿فلما أفل- الكوكب. قال لا أحب الآفلين﴾^(٢) لأنّ الآفل من صفات المحدث وليس من صفات القديم.

﴿فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي؟﴾^(٣) على الإنكار والاستخبار ﴿فلما أفل قال لئن لم يهدي ربي لأكوننّ من القوم الضالين﴾^(٤) يقول: لو لم يهدي ربي لكنت من القوم الضالين.

﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر﴾^(٥) من الزهرة والقمر؟ على الإنكار والاستخبار، لا على سبيل الأخبار والاقرار:

﴿فلما أفلت قال- للأصناف الثلاثة من: عبدة الزهرة، والقمر، والشمس-: يا قوم إني بريء مما تشركون* إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾^(٦) فلما أراد إبراهيم ع بما قال: أن يبين لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم، أنّ العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها خالق السماوات والأرض، وكان مما احتج به على قومه مما ألهمه الله عز وجل وآتاه، كما قال الله عز وجل: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾^(٧).

فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله! فأخبرني عن قول إبراهيم: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾^(٨).

قال الرضا ع: إنّ الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم ع: ﴿إني متخذ من عبادي خليلاً إن سألتني إحياء الموتى أحيت له﴾ فوقع في نفس إبراهيم أنه ذلك الخليل فقال: ربي أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على الخلة: ﴿قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءاً ثم ادعهنّ يأتينك سعيّاً واعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير﴾^(٩).

فأخذ إبراهيم نسراً وبطاً وطاووساً وديكاً، فقطعهنّ وخلطهنّ ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله- وكانت عشرة- منهنّ جزءاً، وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثم دعاهنّ باسمائهنّ، ووضع عنده حباً وماءً، فتطायرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كل بدن حتى انضم إلى رقبته ورأسه فخلّى إبراهيم ع من مناقيرهنّ، فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب؟ وقلن: يا نبي الله أحيتنا أحياك الله!

(٢) الأنعام- ٨٦.

(٥- ٦) الأنعام- ٧٨- ٧٩.

(٨) البقرة- ٢٦٠.

(١) الأنعام- ...

(٣- ٤) الأنعام- ٧٧.

(٧) الأنعام- ٨٣.

(٩) البقرة- ٢٦٠.

فقال إبراهيم: ﴿بل الله يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير﴾.

فقال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله ﴿فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان﴾^(١).

قال الرضا ع: إن موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها. وذلك بين المغرب والعشاء. ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى﴾ موسى على العدو بحكم الله تعالى ذكره فمات. فقال: ﴿هذا من عمل الشيطان﴾^(٢) يعني الاقتال الذي وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى من قتله إياه ﴿إنه﴾ يعني: الشيطان عدو مضل مبين^(٣).

قال المأمون فما معنى قول موسى: ﴿رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾^(٤)؟

قال: يقول: إنني وضعت نفسي غير موضعها، بدخولي هذه المدينة، فاغفر لي أي: استرني من أعدائك. لئلا يظفروا بي فيقتلوني ﴿فغفر له﴾^(٥) أي: ستره من عدوه، ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾^(٦) قال: ﴿ربي بما أنعمت علي﴾^(٧) من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزة، ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾^(٨) بل اجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى. ﴿فأصبح موسى في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين﴾^(٩) قاتلت رجلاً بالأمس، وتقاتل هذا اليوم لأؤدبك، فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لها ظن الذي هو من شيعته أنه يريد به ﴿قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾^(١٠).

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن! فما معنى قول موسى لفرعون: ﴿فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾^(١١)؟

قال الرضا ع: إن فرعون قال لموسى لما أتاه: ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين﴾^(١٢) ﴿قال موسى فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك، ﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾^(١٣) وقد قال الله لنبيه محمد ص: ﴿ألم يجدك يتيماً فأوى﴾^(١٤) يقول: ألم يجدك وحيداً فأوى إليك الناس؟ ﴿ووجدك ضالاً﴾ يعني: عند

(١-٢-٣) القصص- ١٥.

(٧) ١٧٨.

(٩) القصص- ١٨.

(١١) الشعراء- ٢٠.

(١٣) الشعراء- ٢١.

(٤-٥-٦) القصص- ١٦.

(٨) القصص- ١٧.

(١٠) القصص- ١٩.

(١٢) الشعراء- ١٨.

(١٤) الضحى- ٦.

قومك ﴿فهدي﴾^(١) أي: هداهم إلى معرفتك ﴿ووجدك عائلاً فأغني﴾^(٢) يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً.

قال المأمون: بارك الله فيك يا ابن رسول الله! فما معنى قول الله: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾ الآية^(٣) كيف يكون كلم الله موسى بن عمران لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال!!

فقال الرضا ع: إن كلم الله موسى بن عمران علم أن الله جل عن أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلمه الله تعالى وقربه نجياً، رجع إلى قومه فأخبرهم: أن الله عز وجل كلمه وقربه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثم اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور، وسأل الله عز وجل أن يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلمه الله تعالى: وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال، ووراء وأمام، لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة، ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه. فقالوا: لن نؤمن لك بأن هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا، بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا.

فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله إياك؟

فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فتعرفه حتى معرفته.

فقال موسى: يا قوم! إن الله لا يرى بالأبصار ولا كيفية له، وإنما يعرف بآياته ويعلم بعلاماته. فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله.

فقال موسى: رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحتهم، فأوحى الله جل جلاله إليه يا موسى سلني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه - وهو يهوي - فسوف تراني فلما تجلجلى ربه للجبل - بآية من آياته - جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك ﴿يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي، ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ منهم بأنك لا ترى.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾^(٤)

(٣) الضحى - ٨.

(٤) يوسف - ٢٤.

(١) الضحى - ٨.

(٢) الأعراف - ١٤٢.

فقال الرضا ع: همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها كما همت به، لكنه كان معصوماً، والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه، ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق ع أنه قال: همت بأن تفعل وهم بأن لا يفعل.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه﴾ الآية (١)؟

فقال الرضا ع: ذلك يونس بن متى ذهب مغاضباً لقومه، فظن بمعنى: استيقن أن لن نقدر عليه، أي: فضيق عليه رزقه، ومنه قوله عز وجل: ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه﴾ (٢) أي: ضيق وقتر، ﴿فنادى في الظلمات﴾ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ بتركي العبادة التي قد قرت عيني بها في بطن الحوت. فاستجاب الله له. وقال عز وجل: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ (٣).

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن! أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾ (٤).

قال الرضا ع: يقول الله: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا، جاء الرسل نصرنا. فقلت: يا أبا الحسن! أخبرني عن قول الله: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ (٥)؟

قال الرضا ع: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله ص، لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الاخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾ فانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد* ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (٦) فلما فتح الله عز وجل على نبيه مكة قال له: يا محمد ﴿إننا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ (٧) عند مشركي أهل مكة بدعائلك إياهم إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لا يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعى الناس إليه، فصار ذنبه عندهم مغفوراً بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ (٨).

(٢) الفجر: ١٦.
(٤) يوسف: ١١٠.
(٦) ص: ٥ و ٦ و ٧.
(٨) التوبة: ٤٤.

(١) الأنبياء: ٨٧.
(٣) الصافات: ١٤٤.
(٥) الفتح: ١.
(٧) الفتح: ١.

فقال الرضا (ع) : هذا مما نزل (باباك أعني واسمعي يا جارة) خاطب الله بذلك نبيه (ص) وأراد به أمته ، وكذلك قوله تعالى : ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾^(١) وقوله عز وجل : ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾^(٢).

قال المأمون : صدقت يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾^(٣).

قال الرضا (ع) : إن رسول الله (ص) قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلابي في أمر أراده ، فرأى امرأته تغتسل فقال لها : «سبحان الذي خلقك» وإنما أراد بذلك تنزيه الله عن قول من زعم : أن الملائكة بنات الله ، فقال الله عز وجل : ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾^(٤) فقال النبي (ص) : «لما رآها تغتسل» : «سبحان الذي خلقك» أن يتخذ ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والاغتسال ، فلما صعد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيء رسول الله (ص) ، وقوله لها : سبحان الذي خلقك ، فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسنها ، فجاء إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله إن امرأتى في خلقها سوء ، وإني أريد طلاقها .

فقال له النبي : ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ وقد كان الله عرفه عدد أزواجه وأن تلك المرأة منهن ، فأخفى ذلك في نفسه ولم يبد له زيد ، وخشى الناس أن يقولوا : إن محمداً يقول لمولاه إن امرأتك ستكون لي زوجة ، فيعيوه بذلك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ يعني : بالاسلام ﴿وأنعمت عليه﴾ يعني : بالعتق ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾^(٥) ثم أن زيد بن حارثة طلقها واعتدت منه فزوجها الله عز وجل من نبيه محمداً (ص) ، وأنزل بذلك قرآناً فقال عز وجل : ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾^(٦) ثم علم عز وجل أن المنافقين سيعيونه بتزويجها فأنزل الله : ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾^(٧).

فقال المأمون : لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله ، وأوضحت لي ما كان ملتبساً فجزاك الله عن أنبيائه وعن الاسلام خيراً .

قال علي بن الجهم : فقام المأمون إلى الصلاة ، وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد - وكان حاضراً المجلس - وتبعتهما فقال له المأمون : كيف رأيت ابن أخيك ؟ فقال : عالم . ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم .

(٢) الأسراء : ٧٤ .

(٤) الأسراء : ٤٠ .

(٧) الأحزاب : ٣٨ .

(١) الزمر : ٦٥ .

(٣) الأحزاب : ٣٧ .

(٥-٦) الأحزاب : ٣٨ .

فقال المأمون: إن ابن أخيك من أهل بيت النبوة الذين قال فيهم النبي «ص»: «ألا إن أبرار عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً فلا تعلموهم فانهم أعلم منكم، لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلالة».

وانصرف الرضا «ع» إلى منزله، فلما كان من الغد غدوت إليه، وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له، فضحك الرضا «ع» ثم قال: يا ابن الجهم لا يغرنك ما سمعته منه، فإنه سيغتالي والله ينتقم لي منه

إحتجاجه صلوات الله عليه فيما يتعلق بالامامة وصفات من خصه الله تعالى بها وبيان الطريق إلى من كان عليها وذم من يجوز اختيار الامام ولؤم من غلا فيه وأمر الشيعة بالتورية والتقية عند الحاجة إليهما وحسن التأدب.

أبو يعقوب البغدادي^(١) قال: إن ابن السكيت^(٢) قال- لأبي الحسن الرضا «ع»:-

لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء، وبآية السحر، وبعث عيسى بآية الطب، وبعث محمد «ص» بالكلام والخطب؟

فقال له أبو الحسن «ع»: إن الله لما بعث موسى «ع» كان الغالب على أهل عصره «السحر» فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم.

وإن الله بعث عيسى «ع» في وقت قد ظهرت فيه «الزمانات»، واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحى لهم الموق، وأبرأ الأكمه والأبرص باذن الله، وأثبت به الحجة عليهم.

وإن الله بعث محمد «ص» في وقت كان الأغلب على أهل عصره «الخطب والكلام»- وأظنه قال: والشعر- فأتاهم من عند الله من مواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم.

(١) قال الملقاني في رجاله ج ٣ ص ٢٩: أبو يعقوب البغدادي روى في كتاب العقل والجهل من الكافي عن أحمد بن محمد السباري عنه ولم أقف على اسمه وحاله.

(٢) قال الشيخ عباس القمي في ج ١ من الكنى والألقاب ص ٣٠٣ ابن السكيت- بكسر السين وتشديد الكاف- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقي الأهوازي الإمامي النحوي اللغوي الأديب: ذكره كثير من المؤرخين وأثنوا عليه، وكان ثقة جليلاً من عظماء الشيعة. ويعد من خواص الاماميين الثقلين «ع» وكان حامل لواء علم العربية والأدب والشعر واللغة والنحو، وله تصانيف كثيرة مفيدة منها: (تهذيب الألفاظ) وكتاب: (إصلاح المنطق) قال ابن خلكان: قال بعض العلماء: ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللغة مثل إصلاح المنطق ولا شك أنه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا تعرف في حجمه مثله في باب، وقد عني به جماعة واختصره الوزير المغربي وهذبه الخطيب التبريزي... قتله المتوكل في خامس رجب سنة ٢٤٤ وسببه: أن المتوكل قال له يوماً: أيما أحب إليك ابناني هذان أي: «الحسن والحسين» فقال ابن السكيت: والله إن قهراً خادماً علي بن أبي طالب «ع» خير منك ومن ابنك، فقال المتوكل للمتوكل للأتراك: سلوا لسانه من فقاء ففعلوا فمات.

قال: فما زال ابن السكيت يقول له: والله ما رأيت مثلك قط! فما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال ع: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدق، والكاذب على الله فيكذب.

فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب، قد ضمن الرضا ع في كلامه هذا: أن العالم لا يخلو في زمان التكليف من صادق من قبل الله يلتجئ المكلف إليه فيما اشتبه عليه من أمر الشريعة، صاحب دلالة تدل على صدقه عليه تعالى، يتوصل المكلف إلى معرفته بالعقل، ولولاه لما عرف الصادق من الكاذب، فهو حجة الله تعالى على الخلق أولاً.

وعن القسم بن مسلم^(١) عن أخيه عبد العزيز بن مسلم^(٢) قال:

كنا في أيام علي بن موسى الرضا ع بمرو، فاجتمعنا في جامعها في يوم الجمعة في بدو قدومنا، فأدار الناس أمر الامامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها فدخلت على سيدي ومولاي الرضا ع فأعلمته ما خاض الناس فيه، فتبسم ثم قال:

يا عبد العزيز جهل القوم وخذعوا من أديانهم، إن الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه ص حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه كملاً فقال عز وجل: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾^(٣) وأنزل في حجة الوداع وهو آخر عمره: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٤) فأمر الامامة من تمام الدين، ولم يمض ص حتى بين لأئمة معالم دينه وأوضح لهم سبيله، وتركهم على قصد الحق، أقام لهم علياً ع علماً وإماماً وماترك شيئاً يحتاج إليه الامة إلا بينه، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله عز وجل، ومن رد كتاب الله فهو كافر.

هل تعرفون قدر الامامة ومحملها من الامة فيجوز فيها اختيارهم؟؟

إن الامامة أجل قدر وأعظم شأن وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقوبهم، أو ينالونها بآرائهم، فيقيموها باختيارهم.

إن الامامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل بعد النبوة والخلة، مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه الله بها، فأشاد بها ذكره فقال عز وجل: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾^(٥) فقال الخليل -سروراً بها-: ﴿ومن ذريتي﴾^(٦) قال الله عز وجل: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾^(٧) فابطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة، ثم أكرمهم الله عز وجل بأن جعل في ذريته أهل الصفوة والطهارة، فقال تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة

(١) القسم بن مسلم: مجهول.

(٢) عبد العزيز بن مسلم: ذكره الشيخ في أصحاب الرضا عليه السلام ص ٣٨٣ من رجاله.

(٣) الأنعام - ٣٨.

(٤) المائدة - ٤.

(٥ - ٦ - ٧) البقرة ١٢٤.

وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين»^(١)

فلم : تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً ، حتى ورثها النبي «ص» فقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) فكانت له خاصة فقلدها النبي «ص» عليه «ع» بأمر الله على رسم ما فرض الله ، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والايان بقوله عز وجل : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾^(٣) فهي في ولد علي «ع» خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد «ص» ، فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟

إِنَّ الإمامة : منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء

إِنَّ الإمامة : خلافة الله عز وجل ، وخلافة الرسول «ص» ، ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين «ع»

إِنَّ الإمامة : زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدين ، وعز المؤمنين .

إِنَّ الإمامة : رأس الاسلام النامي ، وفرعه السامي .

بالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام ، والحج والجهاد ، وتوفير الفيء والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف .

الإمام : يحل حلال الله ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذب عن دين الله ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة .

الإمام : كالشمس الطالعة للعالم وهي في الافق ، بحيث لا تناله الأيدي والأبصار .

الامام : البدر المنير ، والسراج الزاهر ، والنور الساطع ، والنجم الهادي في غياهب الدجى ، والبيداء القفار ، ولجج البحار .

الإمام : الماء العذب على الظماء ، والدال على الهدى ، والمنجي من الردى .

الإمام : النار على البقاع الحارة لمن اصطفى ، والدليل على المسالك ، من فارقه فهالك .

الإمام : السحاب الماطر ، والغيث الهاطل ، والشمس المضيئة ، والأرض البسيطة ، والعين الغزيرة ، والغدير والروضة .

الإمام : الأمين الرفيق ، والوالد الشفيق ، والأخ الشقيق ، ومفزع العباد في الداهية .

الإمام : أمين الله في أرضه ، وحجته على عباده ، وخليفته في بلاده ، الداعي إلى الله ، والذاب عن حريم

الله .

الإمام : المطهر من الذنوب ، المبرأ من العيوب ، مخصوص بالعلم ، موسوم بالعلم ، نظام الدين ، وعز المسلمين ، وغيظ المارقين ، وبوار الكافرين .

الإمام : واحد دهره لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عدل ، ولا يوجد له بديل ولا له مثيل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب ، بل اختصاص من المتفضل الوهاب فمن ذا يبلغ معرفة الامام ويمكنه اختياره؟؟

هيهات هيهات!!

ظَلَّتْ العقول ، وتأهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وحسرت العيون وتصاغرت العظماء ، وتحيرت الحكماء ، وتفاصرت الحلماء ، وحسرت الخطباء ، وجهلت الألباب ، وكلت الشعراء ، وعجزت الأدباء ، وعيت البلغاء ، عن وصف شأن من شأنه ، أو فضيلة من فضائله ، فأقرت بالعجز والتقصير .

وكيف يوصف أو ينعت بكنهه ، أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ، ويغني عنه؟ لا وكيف وأن؟! وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ، ووصف الواصفين!! فأين الاختيار من هذا؟! وأين العقول عن هذا؟! وأين يوجد مثل هذا؟!

ظنوا أن ذلك يوجد في غير آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ كذبتهم والله أنفسهم ومنتهم الباطل ، فارتقوا مرتقى صعباً دحساً تزل عنه إلى الخضيض أقدامهم ، راموا إقامة الإمام بعقول جائرة باثرة ناقصة وآراء مضلة ، فلم يزدادوا منه إلا بعداً .

قاتلهم الله أني يؤفكون! لقد راموا صعباً ، وقالوا إفكاً ، وصلوا ضللاً بعيداً ووقعوا في الحيرة ، إذ تركوا الامام من غير بصيرة ، وزين لهم الشيطان أعماهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين .

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله ، إلى اختيارهم والقرآن يناديهم : ﴿ وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١) وقال عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾^(٢) وقال عز وجل : ﴿ وَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾^(٣) أم لكم كتاب فيه تدرسون* إن لكم فيه لما تخيرون* أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون* سلهم أيهم بذلك زعيم* أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين*^(٤)

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾^(٥) ﴿ أَمْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾^(٦) ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾^(٧) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الْبَكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ* وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ*^(٨) ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ هُوَ فَضْلُ اللَّهِ

(١) القصص : ٦٨ .

(٢) القلم : ٣٦ إلى ٤١ .

(٣) التوبة : ٨٧ .

(٤) الأحزاب : ٣٦ .

(٥) محمد : ٢٤ .

(٦) الأنفال : ٢١ و ٢٢ و ٢٣ .

يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم»^(١).

فكيف لهم باختيار الإمام؟! والإمام عالم لا يجهل، راع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول وهو نسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قریش، والذروة من هاشم والعتره من آل الرسول، والرضا من الله، وشرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالامامة، عالم بالسياسة، مقروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

الأنبياء والأئمة يوفقههم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتیه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَلَكَ كَيْفَ تُحْكَمُونَ﴾^(٢) وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٣) وقوله عز وجل: ﴿فِي طَالُوتَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤) وقال عز وجل لنبيه: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٥).

وقال عز وجل: ﴿فِي الْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَعَشْرَتِهِ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا﴾^(٦) فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾^(٧).

وإنَّ العبد إذا اختاره الله لا موار عبادته شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعذ الجواب، ولا يحير فيه عن الصواب.

وهو معصوم مؤيد، موفق مسدد، قد آمن الخطايا والزلل والعتار، فخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فهل يقدرّون على مثل هذا فيختاروه؟ أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدموه؟

تعدوا-وبيت الله-الحق، وتنبؤوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وفي كتاب الله: ﴿فَتَبْذُوهَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٨) فذمهم الله ومقتهم أنفسهم فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٩) وقال عز وجل: ﴿فَتَعَسَّأْهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(١٠) وقال عز وجل: ﴿كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾^(١١).

وروي عن الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا ع: أنه قال: للامام

(٢) يونس: ٣٥.

(٤) البقرة: ٢٤٧.

(٦) النساء: ٥٤.

(٨) القصص: ٥٠.

(١٠) المؤمن: ٣٥.

(١) البقرة: ٩٣.

(٣) البقرة: ٢٦٩.

(٥) النساء: ١٠٢.

(٧) آل عمران: ١٨٧.

(٩) محمد: ٨.

علامات : يكون أعلم الناس ، وأحكم الناس ، وأتقى الناس ، وأشجع الناس ، وأسخى الناس ، وأعبد الناس ، ويولد مغتونا ، ويكون مطهراً ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، ولا يكون له ظل ، وإذا وقع إلى الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين ، ولا يحتلم ، وينام عينه ولا ينام قلبه ، ويكون محدثاً ويستوي عليه درع رسول الله «ص» ، ولا يرى له بول ولا غائط ، لأن الله قد وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه .

وتكون راحته أطيب ، من رائحة المسك ، ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم ، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم ، ويكون أشد الناس تواضعاً لله عز وجل ، ويكون أخذ الناس بما يأمر به وأكف الناس عما ينهى عنه ، ويكون دعاؤه مستجاباً ، حتى أنه لو دعى على صخرة لانشت بنصفين .

ويكون عنده سلاح رسول الله وسيفه ذو الفقار ، وتكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة ، وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة ويكون عنده الجامعة ، وهي صحيفة فيها سبعون ذراعاً ، فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ، ويكن عنده الجفر الأكبر والأصغر ، وهما هاب كبش فيها جميع العلوم حتى أرش الخدش ، حتى الجلدة ونصف الجلدة وثلاث الجلدة ، ويكون عنده مصحف فاطمة «ع» .

وروى خالد بن الهيثم الفارسي ^(١) قال : قلت لأبي الحسن الرضا «ع» : إن الناس يزعمون : أن في الأرض أبداً فمن هؤلاء الأبدال؟
قال : صدقوا ، الأبدال هم : الأوصياء ، جعلهم الله في الأرض بدل الأنبياء إذا رفع الأنبياء وختم بمحمد «ص» .

وقد روي عن أبي الحسن الرضا «ع» : من ذم الغلاة والمفوضة وتكفيرهم وتضليلهم والبراءة منهم ومنهم والاهم ، وذكر علة ما دعاهم إلى ذلك الاعتقاد الفاسد الباطل ما قد تقدم ذكر طرف منه في هذا الكتاب .

وكذلك روي عن آبائه وأبنائه «ع» في حقهم والأمر بلعنهم ، والبراءة منهم وإشاعة حالهم ، والكشف عن سوء اعتقادهم ، كي لا يغتر بمقالتهم ضعفاء الشيعة ، ولا يعتقد من خالف هذه الطائفة أن الشيعة الإمامية بأسرهم على ذلك ، نعوذ منه ومن اعتقده وذهب إليه ، فمما ذكره الرضا «ع» عن علة وجه خطأهم وضلالهم عن الدين القيم : ما روينا بالاسناد الذي تقدم ذكره عن أبي محمد الحسن العسكري : أن الرضا «ع» والصلوات والتحيات قال :

إن هؤلاء الضلال الكفرة ما اتوا إلا من قبل جهلهم بمقدار أنفسهم ، حتى اشتد إعجابهم بها ، وكثرة تعظيمهم لما يكون منها ، فاستبدوا بأرائهم الفاسدة . واقتصروا على عقولهم المسلوكة بها غير سبيل الواجب ، حتى استصغروا قدر الله واحتقروا أمره ، وتهاونوا بعظيم شأنه ، إذ لم يعلموا أنه القادر بنفسه الغني بذاته ، الذي ليست قدرته مستعارة ولا غناه مستفاداً ، والذي من شاء أفقره ومن شاء أغناه ، ومن شاء أعجزه بعد القدرة ، وأفقره بعد الغنى .

فنظروا إلى عبد قد اختصه الله بقدره ليبيّن بها فضله عنده، وآثره بكرامته ليوجب بها حاجته على خلقه، وليجعل ما آتاه من ذلك ثواباً على طاعته، وباعثاً على اتباع أمره، ومؤمناً عباده المكلفين من غلط من نصبه عليهم حجة ولهم قدوة، فكانوا كطلاب ملك من ملوك الدنيا ينتجعون فضله ويؤملون نائله، ويرجون التقيؤ بظله والانتعاش بمعروفه، والانتقال إلى أهلهم بجزيل عطائه الذي يعينهم على طلب الدنيا، وينقذهم من التعرض لدني المكاسب وخسيس المطالب، فبيناهم يسألون عن طريق الملك ليرصدوه وقد وجهوا الرغبة نحوه، وتعلقت قلوبهم برؤيته، إذ قيل لهم: سيطلع عليكم في جيوشه ومواكبه وخيله ورجله، فاذا رأيتموه فأعطوه من التعظيم حقه، ومن الاقرار بالملكة واجبه، وإياكم أن تسموا باسمه غيره، أو تعظموا سواه كتعظيمه، فتكونوا قد بخشتم الملك حقه وأزريتم عليه، واستحققتكم بذلك منه عظيم عقوبته. فقالوا: نحن كذلك فاعلمون جهدنا وطاقتنا، فما لبثوا أن طلع عليهم بعض عبيد الملك في خيل قد ضمها إليه سيده، ورجل قد جعلهم في جملة وأموال قد حباه بها فنظر هؤلاء وهم للملك طالبون فاستكثروا ما رأوه بهذا العبد من نعم سيده، ورفعوه أن يكون هو من المنعم عليه بما وجدوا معه.

فأقبلوا يحيونه تحية الملك ويسمونونه باسمه ويحشدون أن يكون فوقه ملك وله مالك، فأقبل عليهم العبد المنعم عليه وسائر جنوده بالزجر والنهي عن ذلك، والبراءة مما يسمونه به، ويخبرونهم: بأن الملك هو الذي أنعم بهذا عليه واختصه به، وأن قولكم ما تقولون يوجب عليكم سخط الملك وعذابه، ويفوتكم كلما أملتتموه من جهته، وأقبل هؤلاء القوم يكذبونهم ويردون عليهم قولهم، فما زالوا كذلك حتى غضب الملك لما وجد هؤلاء قد سوا به عبده، وأزروا عليه في مملكته وبخسوه حق تعظيمه، فحشروهم أجمعين إلى حبسه، ووكل بهم من يسومهم سوء العذاب.

فكذلك هؤلاء لما وجدوا أمير المؤمنين عبداً أكرمه الله ليبيّن فضله، وقيم حاجته، فصغروا عندهم خالفهم أن يكون جعل علياً له عبداً، وأكبروا علياً عن أن يكون الله عز وجل له رياً، فسموا بغير اسمه فنهاهم هو وأتباعه من أهل ملته وشيعته وقالوا لهم: يا هؤلاء إن علياً وولده عباد مكرمون مخلوقون ومدبرون لا يقدر أن يخلقهم إلا على ما أقدرهم عليه الله رب العالمين، ولا يملكون إلا ما ملكهم، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا قبضاً ولا بسطاً، ولا حركة ولا سكوناً إلا ما أقدرهم عليه وطوقهم، وأن ربهم وخالفهم يحل عن صفات المحدثين، ويتعالى عن نعت المحدودين، وإن من اتخذهم أو واحداً منهم أرباباً من دون الله فهو من الكافرين وقد ضل سواء السبيل.

فأبى القوم إلا جاحاً وامتدوا في طغيانهم يعمهون، فبطلت أمانيتهم، وخابت مطالبهم، وبقوا في العذاب.

وروي أيضاً بالاسناد المقدم ذكره عن أبي محمد العسكري «ع»: أن أبا الحسن الرضا «ع» قال: إن من تجاوز بأمير المؤمنين «ع» العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين.

وقال أمير المؤمنين «ع»: لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصاري فلاني بريء من الغالين.

فقام إليه رجل فقال: يا ابن رسول الله صف لنا ربك! فإن من قبلنا قد اختلفوا علينا.

فوصفه الرضا (ع) أحسن وصف، ومجده ونزاهه عما لا يليق به تعالى:

فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! فإن معي من يتحلل موالاةكم ويزعم أن هذه كلها من صفات علي (ع)، وأنه هو الله رب العالمين.

قال: فلما سمعها الرضا (ع)، ارتعدت فرائضه ونصب عرقاً وقال: سبحان الله عما يشركون! سبحانه عما يقول الكافرون علواً كبيراً!! أوليس علي كان أكلاً في الآكلين، وشارباً في الشاربين، وناكحاً في الناكحين، ومحدثاً في المحدثين؟ وكان مع ذلك مصلياً خاضعاً، بين يدي الله ذليلاً، وإليه أواهاً منياً أقمن هذه صفته يكون إلهاً؟! فإن كان هذا إلهاً فليس منكم أحد إلا وهو إله لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدث كل موصوف بها.

فقال الرجل: يا ابن رسول الله إنهم يزعمون: أن علياً لما أظهر من نفسه المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله، دل على أنه إله، ولما ظهر لهم بصفات المحدثين العاجزين لبس ذلك عليهم، وامتنعهم ليعرفوه، وليكون إيمانهم اختياراً من أنفسهم.

فقال الرضا (ع): أول ما هاهنا أنهم لا ينفصلون عن قلب هذا عليهم فقال: لما ظهر منه (الفقر والفاقة) دل على أن من هذه صفاته وشاركه فيها الضعفاء المحتاجون لا تكون المعجزات فعله، فعلم بهذا أن الذي أظهره من المعجزات إنما كانت فعل القادر الذي لا يشبه المخلوقين، لا فعل المحدث المشارك للضعفاء في صفات الضعف.

وروي: أن المأمون كان يحب في الباطن سقطات أبي الحسن الرضا (ع) وأن يغلبه المحتج، ويظهر عليه غيره، فاجتمع يوماً عنده الفقهاء والمتكلمون، فدرس إليهم: أن ناظروه في الإمامة!

فقال لهم الرضا (ع): اقصروا على واحد منكم يلزمكم ما يلزمه.

فرضوا برجل يعرف بيحيى بن الضحاك السمرقندي، ولم يكن في خراسان مثله.

فقال الرضا (ع): يا يحيى أخبرني عن صدق كاذباً على نفسه، أو كذب صادقاً على نفسه، أيكون محقاً مصيباً، أم مبطلاً مخطئاً؟ فسكت يحيى.

فقال له المأمون: أجب! فقال: يعفني أمير المؤمنين عن جوابه.

فقال المأمون: يا أبا الحسن عرفنا الغرض في هذه المسألة!

فقال: لا بد ليحيى من أن يخبرني عن أئمة: أنهم كذبوا على أنفسهم أو صدقوا؟ فإن زعم أنهم كذبوا فلا إمامة للكاذب، وإن زعم أنهم صدقوا فقد قال أولهم: «أقبلوني وليتكم ولست بخيركم» وقال ثانيهم: «بيعة أبي بكر كانت فلتة وقي الله شرها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه» فوالله ما رضي لمن فعل مثل فعله إلا بالقتل، فمن لم

يكن بخير الناس والخيرية لا تقع إلا بنعوت، منها: العلم ومنها: الجهاد. ومنها: ساير الفضائل وليست فيه.
ومن كانت بيعته فلتة يجب القتل على من فعل مثلها، كيف يقبل عهده إلى غيره وهذه صفته؟ ثم
يقول على المنبر: إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا مال بي فقوموني، وإذا أخطأت فأرشدوني، فليسوا أئمة
إن صدقوا وإن كذبوا فما عند يحيى شيء في هذا.

فعجب المأمون من كلامه «ع» وقال يا أبا الحسن ما في الأرض من يحسن هذا سواك!
وروي عنه «ع» أنه قال: أفضل ما يقدمه العالم من محبينا ومواليينا أمامه ليوم فقره وفاقه، وذله ومسكنته،
أن يغيب في الدنيا مسكيناً من محبينا من يدناصب عدو الله ورسوله، فيقوم من قبره والملائكة صفوف، من شفيع
قبره إلى موضع محله من جنات الله، فيحملوه على أجنحتهم، ويقولون: طوبى لك طوباك طوباك يا دافع
الكلاب عن الأبرار، ويا أيها المتعصب للأئمة الأخيار.

وبالاسناد الذي تكرر عن أبي محمد الحسن العسكري «ع» قال: دخل على أبي الحسن الرضا «ع» رجل
فقال: يا ابن رسول الله لقد رأيت اليوم شيئاً عجبت منه.
قال: وما هو؟

قال: رجل كان معنا يظهر لنا أنه: من الموالين لآل محمد المتبرين من أعدائهم فرأيت اليوم وعليه ثياب قد
خلعت عليه، وهو ذا يطاف به بغداد، وينادي المنادي بين يديه: معاشر المسلمين اسمعوا توبة هذا الرجل
الرافضي، ثم يقول: قل إنا قال: «خير الناس بعد رسول الله ص» «أبا بكر» فإذا قال ذلك ضجوا وقالوا: قد تاب،
وفضل أبا بكر على علي بن أبي طالب «ع».

فقال الرضا «ع»: إذا خلوت فأعد عليّ هذا الحديث! فلما خلى أعاد عليه. فقال له:
إنما لم أفسرك معنى كلام الرجل بحضرة هذا الخلق المنكوس، كراهة أن ينقل إليهم فيعرفوه ويؤذوه، لم
يقبل الرجل خير الناس بعد رسول الله ص «أبو بكر» فيكون قد فضل أبا بكر على علي «ع»، ولكن قال: خير
الناس بعد رسول الله ص «أبا بكر» فجعله نداءً لأبي بكر ليرضى من يمشي بين يديه من بعض هؤلاء
الجهلة، ليتوارى من شرورهم. إن الله تعالى جعل هذه التورية مما رحم به شيعتنا.

وبهذا الاسناد عن أبي محمد العسكري «ع» أنه قال: لما جعل المأمون إلى علي بن موسى الرضا «ع» ولاية
العهد، دخل عليه أذنه فقال:

إن قوماً بالباب يستأذنون عليك، يقولون: «نحن من شيعة علي «ع».

فقال: أنا مشغول فاصرفهم!

فصرفهم إلى أن جاءوا هكذا يقولون ويصرفهم شهرين، ثم أيسوا من الوصول فقالوا: «قل لمولانا إنا
شيعة أبيك علي بن أبي طالب «ع» قد شمت بنا أعداؤنا في حجابك لنا، ونحن ننصرف عن هذه الكرة، ونهرب

من بلادنا خجلاً وأنفة مما لحقنا، وعجزاً عن احتمال مضض ما يلحقنا من أعدائنا».

فقال علي بن موسى (ع): إئذن لهم ليدخلوا، فدخلوا عليه فسلموا عليه فلم يرد عليهم ولم يأذن لهم بالجلوس، فبقوا قياماً.

فقالوا: يا ابن رسول الله ما هذا الجفاء العظيم، والاستخفاف بعد هذا الحجاب الصعب، أي باقية تبقى منا بعد هذا؟

فقال الرضا (ع): اقرأوا ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾^(١) والله ما اقتديت إلا بري عز وجل وبرسوله وبأمر المؤمنين ومن بعده من آبائي الطاهرين (ع)، عتوا عليكم فاقتديت بهم.

قالوا: لماذا يا ابن رسول الله؟

قال: لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين! ويحكم إن شيعته: الحسن والحسين وسلمان وأبوذر والمقداد وعمار ومحمد بن أبي بكر، الذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون، وتقصرون في كثير من الفرائض وتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا تجب التقية، وتركون التقية حيث لا بد من التقية، لو قلت: إنكم موالية ومحبة، والموالون لأوليائه والمعادون لأعدائه، لم أنكره من قولكم، ولكن هذه مرتبة شريفة ادعيتموها إن لم تصدقوا قولكم بفعلكم هلككم، إلا أن تتدارككم رحمة ربكم.

قالوا: يا ابن رسول الله! فإذا نستغفر الله ونتوب إليه من قولنا بل نقول كما علمنا مولانا: نحن محبوك ومحبوا أوليائكم، ومعادوا أعدائكم:

قال الرضا (ع): فمرحبا بكم إخواني وأهل ودي ارتفعوا فما زال يرفعهم حتى ألصقهم بنفسه. ثم قال لحاجبه:

كم مرة حجبتهم؟ قال: ستين مرة.

قال: فاختلف إليهم ستين مرة متوالية، فسلم عليهم وأقرأهم سلامي فقد عمو ما كان من ذنوبهم باستغفارهم وتوبتهم، واستحقوا الكرامة لمحبتهم لنا وموالائهم، وتفقد أمورهم وأمور عيالائهم، فأوسعهم نفقات ومبرات وصلات ودفع معرات.

احتجاج أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليهما السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية

روى أبو داود بن القسم الجعفري^(٢) قال: قلت لأبي جعفر الثاني (ع): قل هو الله أحد، ما معنى الأحد؟

(١) الشورى- ٣٠.

(٢) داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله ذكره الشيخ في الفهرست ص ٩٣ فقال: له كتاب وذكره في رجاله في أصحاب الرضا عليه السلام ص ٣٧٥ وفي أصحاب الجواد عليه السلام ص ٤٠٩ وقال: ثقة جليل القدر وفي أصحاب المهدي (ع) =

قال: المجمع عليه بالوحدانية، أما سمعته يقول: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾^(١) ثم يقولون بعد ذلك له شريك وصاحبة.

فقلت: قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾^(٢)؟

قال: يا أبا هاشم! أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولم تدرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف تدركه الأبصار.

وسئل «ع»: أيجوز أن يقال لله: إنه شيء؟

فقال: نعم. تخرجه من الحدين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه.

وعن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني «ع» فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى أله أسماء وصفات في كتابه، وهل أسماؤه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر «ع»: إن لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول: «هي هو» أنه ذو عدد وكثرة، فتعالى الله عن ذلك وإن كنت تقول: هذه الأسماء والصفات لم تزل فإن مما (لم تزل) محتمل على معنيين: فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو يستحقها، فنعم. وإن كنت تقول: لم تزل صورها وهجاؤها وتقطع حروفها فمعاد الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرعون بها إليه ويعبدون، وهي: (ذكره) وكان الله سبحانه ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل والأسماء والصفات مخلوقات، والمعني بها هو الله، لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنما يختلف ويتألف المتجزي.

ولا يقال له قليل ولا كثير، ولكنه القديم في ذاته، لأن ما سوى الواحد متجزي والله واحد ولا متجزي، ولا متوهم بالقلة والكثرة وكل متجزي أو متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له، فقولك: (إن الله قدير) خبرت أنه لا يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز لسواه. وكذلك قولك: (عالم) إنما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل لسواه، فإذا أفنى الله الأشياء أفنى (الصورة والهجاء والتقطع) فلا يزال من لم يزل عالماً.

فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا سمياً؟

فقال: لأنه لا يخفي عليه ما يدرك بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس، وكذلك سميناه (بصيراً) لأنه لا يخفي عليه ما يدرك بالأبصار من: لون أو شخص أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر طرفة العين وكذلك سميناه (لطيفاً) لعلمه بالشيء اللطيف مثل: (البعوضة) وما هو أخفى من ذلك، وموضع المشي منها

== ص ٤١٤ وفي أصحاب العسكري ص ٤٣١. وذكر العلامة في الخلاصة فقال: يكنى أبا هاشم الجعفري رحمه الله من أهل بغداد ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام. شاهد أبا جعفر وأبا الحسن وأبا محمد عليهم السلام. وكان شريفاً عنهم، له موقع جليل عندهم. روى أبوه عن الصادق عليه السلام.

والشهود والسفاد. والحدب على أولادها، وإقامة بعضها على بعض، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمغاور والأودية والقفار، وعلمنا بذلك أن خالقها لطيف بلا كيف، إذ ألّكف للمخلوق المكيف، وكذلك سمينا ربنا (قوياً) بلا قوة البطش المعروف من الخلق، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من الخلق لوقع التشبيه واحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم، وما كان غير قديم كان عاجزاً، فربنا تبارك وتعالى لا شبه له، ولا ضد ولا ند، ولا كيفية، ولا نهاية، ولا تضاريف، محرم على القلوب أن تحتمله وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الضمائر أن تصوره، جل وعز عن أداة خلقه، وسمات بريته، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

عن الريان بن شبيب^(١) قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن عليّ (ع) بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم ذلك، واستنكروا منه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا (ع)، فخاصوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه، فقالوا ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا (ع) فأبنا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله، ويتزع منا عزاً قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً وما كان عليه خلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت، وكفانا الله المهمل من ذلك فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا (ع) واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتهم القوم لكان أولى بكم، وأما ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان به قاطعاً للرحم، وأعوذ بالله من ذلك، والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا ولقد سألته أن يقوم بالأمر وانزعه من نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وأما أبو جعفر محمد بن عليّ، فقد اخترته لتيريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل، مع صغر سنه والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا أن الراي ما رأيت.

فقالوا: إن هذا الفتى وإن راقك منه هديه فانه صبي لا معرفة له ولا فقه فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم إنني أعرف بهذا الفتى منكم، وإن هذا من أهل بيت علمهم من الله تعالى ومواده وإهامه، لم يزل أبأوه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فان شئتم فامتنعوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت لكم من حاله.

قالوا: لقد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحنانه، فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فان أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في حقه، وظهر للخاصة والعامّة

(١) قال العلامة الحلي رحمه الله في القسم الأول من خلاصته ص ٧٠ الريان بن شبيب - بالشين المعجمة ويعدها باء منقطعة خال

سديد رأي امير المؤمنين فيه وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم - وهو يومئذ قاضي الزمان - على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك، واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ويجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك، وخرج أبو جعفر ع، وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر، فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، فقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر ع.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: تأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟

فقال المأمون: استأذنه في ذلك.

فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟

فقال أبو جعفر ع: سل إن شئت!

فقال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيدا؟

فقال أبو جعفر ع: قتله في حل أو حرم، عالمًا كان المحرم أو جاهلاً قتله عمداً أو خطأ، حرًا كان المحرم أو عبداً، صغيراً كان أو كبيراً. مبتدئاً بالقتل أو معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها مصرأ على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار. محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟

فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس عجزه.

فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه، ثم أقبل إلى أبي جعفر فقال له: أخطب يا أبا جعفر؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال له المأمون: إخطب لنفسك جعلت فداك! فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي وإن رغم أنوف قوم لذلك.

فقال أبو جعفر ع: الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدهانيته، وصلى الله على سيد بريته، والأصفياء من عترته.

أما بعد: فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلal عن الحرام فقال سبحانه: ﴿وَأَنْكَحُوا

الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم»^(١) ثم إن محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد «ع»، وهو: (خمسائة درهم) جياداً فهل زوجته يا امير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟ فقال المأمون: نعم قد زوجتك يا أبا جعفر أم الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟ قال أبو جعفر «ع»: نعم. قد قبلت ذلك ورضيت به.

فامر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم من الخاصة والعامة.

قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه الملاحين في محاوراتهم، فاذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من فضة تشد بالحبال من الأبريسم، على عجلة مملوءة من الغالية، فأمر المأمون أن تخضب لحي الخاصة من تلك الغالية ففعلوا ذلك، ثم مدت إلى دار العامة فتطيبوا بها، ووضعت الموائد فأكل الناس، وخرجت الجوائز إلى كل قوم على قدرهم.

فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة من بقي قال المأمون لأبي جعفر «ع»: جعلت فداك! إن رأيت أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر «ع»: نعم. إن المحرم إذا قتل صيداً في الخل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، وإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الخل فعليه حمل قد قطم من اللبن، فاذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، فاذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه بعمرة نحره بمكة وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد عليه المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك. فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟

فقال أبو جعفر ليحيى: أسألك؟

قال: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفتدته منك.

فقال أبو جعفر «ع»: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلت له. فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما كانت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له، ما حال هذه المرأة؟ وبما حلت له وحرمت عليه؟

فقال له يحيى بن أكثم : لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال ، ولا أعرف الوجه فيه ، فان رأيت أن تفيدنا ؟

فقال أبو جعفر «ع» : هذه أمة لرجل من الناس ، نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له ، فلما كان عند الظهر اعتقها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له ، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها^(١) فحرمت عليه ، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلت له ، فلما كان نصف الليل طلقها تطليقة واحدة فحرمت عليه ، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له .

قال : فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته وقال لهم : هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ؟ أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال ؟

قالوا : لا والله إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى .

فقال : ويحكم إن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل ، وإن صغر السن لا يمنعهم من الكمال ، أما علمتم أن رسول الله «ص» افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع» وهو ابن عشر سنين ، وقبل منه الاسلام وحكم له به ، ولم يدع أحداً في سبيله غيره ، وباع الحسن والحسين «ع» وهما دون الست سنين ولم يبايع صبيّاً غيرهما ؟ ألا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم وأنهم ذرية بعضها من بعض ، يجري لأخبرهم ما يجري لأولهم ؟

قالوا : صدقت يا أمير المؤمنين .

ثم نهض القوم ، فلما كان من الغد حضر الناس وحضر أبو جعفر «ع» ، وصار القواد والحجاب والخاصة والعمال لتهنئة المأمون وأبي جعفر «ع» فاخرجت ثلاثة أطباق من الفضة ، فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق ، ورقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنية ، وإقطاعات . فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصته ، فكان كل من وقع في يده بندقية أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فاطلق له ، ووضعت البدر فنثر ما فيها على القواد وغيرهم ، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا ، وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين ولم يزل مكرماً لأبي جعفر «ع» معظماً لقدره مدة حياته ، يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته .

وروي : أن المأمون بعدما زوج ابنته أم الفضل أبا جعفر ، كان في مجلس وعنده أبو جعفر «ع» ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة .

فقال له يحيى بن أكثم : ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي : أنه «نزل جبرئيل «ع» على رسول الله «ص» وقال : يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك : سل أبا بكر هل هو عني راضٍ فاني عنه راضٍ»^(٢) .

(١) الظهار هو : أن يقول الرجل لزوجته : «أنت علي كظهر أمي» ، فإذا قال لها ذلك : حرمت عليه ولا يرجع بها إلا بعد أداء الكفارة .

(٢) قال شيخ الحفاظ والمحدثين الحجة الأميني في الغدير ج ٦ بعد ذكر هذا الحديث الموضوع : «أنخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢»

فقال أبو جعفر «ع»: «لست بمنكر فضل أبي بكر ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله «ص» في حجة الوداع: «قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به» وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلِمَ مَا تَوْسَّوْسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١) قاله عز وجل خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره، هذا مستحيل في العقول.

ثم قال يحيى بن أكثم: وقد روي: «أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء».

فقال: وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه، لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط. ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عز وجل وإن أسلما بعد الشرك. فكان أكثر أيامهما الشرك بالله فمحال أن يشبههما بهما.

قال يحيى: وقد روي أيضاً: «أنهما سيذا كهول أهل الجنة»^(٢) فما تقول فيه؟

فقال «ع»: وهذا الخبر محال أيضاً، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباناً ولا يكون فيهم كهول وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمصادرة الخبر الذي قاله رسول الله «ص» في الحسن والحسين «ع»: «بأنهما سيذا شباب أهل الجنة».

فقال يحيى بن أكثم: وروري: «أن عمرين الخطاب سراج أهل الجنة».

فقال «ع»: وهذا أيضاً محال، لأن في الجنة ملائكة الله المقربين، وآدم ومحمد، وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضيء الجنة بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر؟!.

ص ١٠٦ من طريق ابن بابشاذ صاحب الطائفة ساكتاً عن بطلانه جرياً على عادته، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٠٢ فقال: كذب.

(١) ق- ١٦.

(٢) ذكره الحجة الأميني في سلسلة الموضوعات ج ٥ ص ٢٧٦ من كتاب الغدير فقال:

«من موضوعات يحيى بن عتبة وهو ذلك الدجال الوضاع ذكره الذهبي في الميزان ج ٣ ص ١٢٦ وقال: قال يونس بن حبيب: ذكرت لعلي بن المدائني محمد بن كثير المصيصي وحديثه هذا فقال علي: كنت أشتبه أن أرى هذا الشيخ فالآن لا أحب أن أراه. ورواه من طريق عبد الرحمن بن مالك بن مغول الكذاب الأفك الوضاع.

وفي تلخيص الشافي ص ٢١٩ من الجزء الثاني: «أما الخبر الذي يتضمن أنهما سيذا كهول أهل الجنة فمن تأمل أصل هذا الخبر بعين إنصاف علم أنه موضوع في أيام بني أمية معارضة لما روي من قوله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين: «إنهما سيذا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما». وهذا الخبر الذي ادعوه يروونه عن عبيد الله بن عمرو حال عبيد الله في الانحراف عن أهل البيت معروفة وهو أيضاً كالجواز إلى نفسه على أنه لا يخلو من أن يريد بقوله: «سيذا كهول الجنة» أنها سيذا كهول من هو في الجنة، أو يراد أنها سيذا من يدخل الجنة من كهول الدنيا، فإن كان الأول، فذلك باطل، لأن رسول الله قد وقفت وأجمعت الأمة على أن جميع أهل الجنة جرد مرد، وأنه لا يدخلها كهول وإن كان الثاني. فذلك دافع ومناقض للحديث المجمع على روايته من قوله في الحسن والحسين: «إنهما سيذا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما». الخ».

فقال يحيى : وقد روي : «أن السكينة تنطق على لسان عمر»^(١).

فقال «ع» : لست بمنكر فضل عمر ، ولكن أبا بكر أفضل من عمر ، فقال - على رأس المنبر - : «إن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا ملت فسد دوني» .

فقال يحيى : قد روي : أن النبي «ص» قال : «لو لم ابعث لبعث عمر»^(٢).

فقال «ع» : كتاب الله أصدق من هذا الحديث ، يقول الله في كتابه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾^(٣) فقد أخذ الله ميثاق النبي فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه ، وكل الأنبياء «ع» لم يشركوا بالله طرفة عين ، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله ، وقال رسول الله «ص» : «نبئت وآدم بين الروح والجسد» .

فقال يحيى بن اكثم : وقد روي أيضاً : أن النبي «ص» قال : «ما احتبس عني الوحي قط الاظنته قد نزل على آل الخطاب»^(٤).

(١) بهذا المضمون وردت عدة روايات منها : أن الحق ينطق على لسان عمر وأن ملكاً ينطق على لسانه وغير ذلك قال في تلخيص الشافي ج

٢ ص ٢٤٧ :

«وأما ما روي من قوله : «الحق ينطق على لسان عمر» فإن كان صحيحاً فإنه يقتضي عصمة عمر ، والفعل على أن أقواله كلها حجة ، وليس هذا مذهب أحد فيه ، لأنه لا خلاف في أنه ليس بمعصوم وأن خلافه سائح .

وكيف يكون الحق ناطقاً على لسان من يرجع في الأحكام من قول إلى قول ، وشهد لنفسه بالخطأ ، ويخالف بالشيء ثم يعود إلى قول من خالفه ويوافق عليه ويقول : «لولا علي لهلك عمر» و«لولا معاوية لهلك عمر»؟؟

وكيف لا يحتج بهذا الخبر هو لنفسه في بعض المقامات التي احتج إلى الاحتجاج فيها؟

وكيف لم يقل أبو بكر لطلحة حين أنكر نصه عليه بأن الحق ينطق على لسانه؟؟

وأحصى شيخ الحفاظ والمحدثين الحجة الأمينية في ج ٦ من الغدير مائة مخالفة لعمر بن الخطاب ثم قال : هذا قليل من كثير مما وقفنا عليه من (نواذر الأثر في علم عمر) وبوسعنا الآن أن نأتي بأضعاف ما سردناه لكننا نقتصر على هذا رعاية لمقتضى الحال .

(٢) قال الأميني شيخ الحفاظ والمحدثين في الجزء الخامس من الغدير أخرجه ابن عدي بطريقين : وقال : لا يصح زكريا (الوكار) كذاب يضع ، وابن واقد عبد الله متروك ، ومشرح بن (عاهان) لا يحتج به .

(٣) الأحزاب/٧ .

(٤) قال شيخ الحفاظ والمحدثين الحجة الأمينية في ج ٦ ص ٣١٢ من الغدير : وأمثال هذه الأكاذيب فإن من يكون بتلك المثابة حتى يكاد

يبعث نبياً لا يفقد علم واضحات المسائل عند ابتلائه أو ابتلاء من يرجع أمره إليه من أمته بها ، ولا يتعلم القرآن في اثنتي عشر سنة وأين كان الحق والملك والسكينة يوم كان لا يتندي إلى امهات المسائل سبيلاً فلا تسدده ولا تفرغ الجواب على لسانه ، ولا تضع الحق في قلبه ، وكيف يسع المسدد بذلك كله أن يحسب كل الناس أفقه منه حتى ربات الحجال؟ وكيف كان يأخذ علم الكتاب والسنة من نساء الأمة وغوغاء الناس فضلاً عن رجالها وأعلامها؟ وكيف كان يرى عرفان لفظة في القرآن تكلفاً ويقول : هذا عمر الله هو التكلف ، ما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب؟ وكيف كان يأخذ عن أولئك الجرم الغفير من الصحابة ويستفتيهم في الأحكام؟ وكيف كان يعتذر عن جهله أو ضح ما يكون من السنة بقوله : ألهاني عنه الصفاق بالسواق؟ وكيف كان لم يسعه أن يعلم الكلالة وقيمتها ولم يتمكن من تعلم صور ميراث الجد ، وكان النبي «ص» يقول : ما أراه يعلمها ، وما أراه يقيمها ، ويقول : إني أظنك تموت قبل أن تعلم ذلك! وكيف كان مثل أبي بن كعب يغلط له في القول ويراه ملهى عن علم الكتاب بالصفق بالسواق وبيع الخيط والقرظة؟ وكيف كان أمير المؤمنين جاهلاً بتأويل القرآن؟ وكيف وكيف وكيف!! نعم راق للغوم أن ينحتوا له فضائل ويقولوا فيها ولم يفكروا في لوازمها وحسبوا أن المستقبل الكشاف يمضي كما مضت القرون خالياً عن باحث أو متق أو أن بواعث الأرواح يلجم لسانه عن أن ينطق ، ويضرب على يده عن أن تكتب ، ولا تنسخ حرية القلم والمذاهب والأفكار للعلماء أن ييؤخوا بما عندهم .

فقال «ع»: وهذا محال أيضاً، لأنه لا يجوز أن يشك النبي «ص» في نبوته قال الله تعالى: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس»^(١) فكيف يمكن أن تنتقل النبوة عن اصطفاة الله تعالى إلى من اشرك به.

قال يحيى: روي: أن النبي «ص» قال: «لو نزل العذاب لما نجى منه إلا عمره».

فقال «ع»: وهذا محال أيضاً، لأن الله تعالى يقول: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون»^(٢) فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله «ص» وما داموا يستغفرون.

وعن عبد العظيم الحسيني رضي الله عنه قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى «ع»: يا مولاي اني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فقال «ع»: ما منا الا قائم بأمر الله، وهادي إلى دين الله. ولكن القائم الذي يظهر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً هو: الذي يخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله وكنيته، وهو الذي تطوى له الأرض، ويذل له كل صعب، يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر: (ثلاثمائة وثلاثة عشر) رجلاً من أقاصي الأرض وذلك قول الله «أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير»^(٣) فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الاخلاص، وأظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو: (عشرة آلاف) رجل خرج باذن الله، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى عز وجل.

قال عبد العظيم: فقلت له: يا سيدي فكيف يعلم أن الله قد رضي؟

قال: يلقي في قلبه الرحمة. فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما.

احتجاج أبي الحسن علي بن محمد العسكري «ع» في شيء من التوحيد وغير ذلك من العلوم الدينية والديناوية على المخالف والمؤلف.

سئل أبو الحسن «ع» عن التوحيد فقيل له: لم يزل الله وحده لا شيء معه ثم خلق الأشياء بديعاً واختار لنفسه الأسماء، ولم تزل الأسماء والحروف له معه قديمة؟

فكتب: لم يزل الله موجوداً ثم كَوّن ما أراد، لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، تاهت أوهام المتوهمين، وتقصّر طرف الطارقين، وتلاشت أوصاف الواصفين واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنه، أو الوقوع بالبلوغ على علوم مكانه، فهو بالموضع الذي لا يتناهى، وبالمكان الذي لم يقع عليه عيون باشارة ولا عبارة، هيهات هيهات!!

وحدثنا أحمد بن إسحاق^(١) قال: كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد العسكري أسأله عن الرؤية وما فيه الخلق فكتب:

(١) النساء/٧٧.

(٢) الأنفال/٣٨.

(٣) الحج/٧٥.

(٤) ذكره الشيخ في أصحاب الجواد ص ٢٩٨ من رجاله وقال العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٥: أحمد بن إسحاق بن سعد بن =

لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه الصبر، فمضى انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصح الرؤية، وفي جواب اتصال الضيائين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه، والله تعالى منزّه عن الإشتباه، فثبت أنه لا يجوز عليه سبحانه الرؤية بالأبصار، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسيبات.

وعن العباس بن هلال^(١) قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد ع عن قول الله عز وجل: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾^(٢). فقال ع: يعني هادي من في السماوات ومن في الأرض.

ومما أجاب به أبو الحسن علي بن محمد العسكري ع في رسالته إلى أهل الأهواز حين سأله عن الجبر والتفويض أن قال: اجتمعت الأمة فاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك: أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها. فهم في حالة الاجماع عليه مصيرون، وعلى تصديق ما أنزل الله مهندون، ولقول النبي ص: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» فأنخبر ع أن ما اجتمعت عليه الأمة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحق، فهذا معنى الحديث لا ما تأوله الجاهلون^(٣). ولا ما قاله المعاندون ومن إبطال حكم الكتاب واتباع حكم الأحاديث المزورة والروايات المزخرفة، اتباع الأهواء المردية المهلكة التي تخالف نص الكتاب، وتحقيق الآيات الواضحات النيرات. ونحن نسأل الله أن يوفقنا للصواب، ويهدينا إلى الرشاد.

ثم قال ع: فإذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه فأنكرته طائفة من الأمة وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزورة، فصارت بانكارها ودفعها الكتاب كفاراً ضلالاً، وأصح خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله ص حيث قال: «إني مستخلف فيكم خليفتين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، وإني أن يفرقاً حتى يرد علي الحوض»^(٤) واللفظة الأخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله ع: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإني أن يفرقاً حتى يرد علي الحوض ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا» فلما وجدنا شواهد هذا الحديث نصاً في كتاب الله مثل قوله: ﴿إنا وآلنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾^(٥) ثم انفقت روايات العلماء في ذلك لأمير المؤمنين ع: أنه تصديق بخاتمته وهوراكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه،^(٦) ثم وجدنا رسول الله ص قد أبانه من أصحابه بهذه اللفظة: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٧) وقوله ص: «علي يقضي ديني وينجز مواعيدي وهو خليفتي عليكم بعدي» وقوله ص: «حيث استخلفه على المدينة فقال:

عبد الله بن سعد بن مالك الأحوص الأشعري، أبو علي الفمي، كان وافد القمين، روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام وكان خاصة أبي محمد عليه السلام وهو شيخ القمين رأى صاحب الزمان عليه السلام.

(١) العباس بن هلال الشامي: ذكره الشيخ في رجاله في عداد أصحاب الرضا عليه السلام ص ٣٨٢ والنجاشي ص ٢٠٧ وقال: روى عن الرضا عليه السلام.

(٢) النور- ٣٥.

(٣) أي: ما تألوه من قولهم بالاجماع في اختيار الامام الذي لم يعمل هم الله الخيرة فيه.

(٤) راجع حديث الثقلين في هامش الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٥) المائدة ٥٨.

(٦) راجع هامش الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٧) راجع هامش الجزء الأول من هذا الكتاب.

يا رسول الله أنخلفني على النساء والصبيان؟

فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(١) فعلمنا أن الكتاب شهد بتصديق هذه الأخبار، وتحقيق هذه الشواهد، فلزم الامة الاقرار بها اذا كانت هذه الأخبار وافقت القرآن، ووافق القرآن هذه الأخبار فلما وجدنا ذلك موافقاً لكتاب الله، ووجدنا كتاب الله لهذه الأخبار موافقاً، وعليها دليلاً، كان الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد والفساد.

ثم قال «ع»: ومرادنا وقصدنا الكلام في الجبر والتفويض وشرحهما وبيانها وإنما قدمنا ما قدمنا ليكون اتفاق الكتاب والخبر اذا اتفقا دليلاً لما أردناه، وقوة لما نحن مبينوه من ذلك إن شاء الله.

(فقال): الجبر والتفويض يقول الصادق جعفر بن محمد «ع»، عندما سئل عن ذلك فقال: لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين.

قيل: فماذا يا ابن رسول الله؟

فقال: صحة العقل، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد قبل الرحلة والسبب المهيج للفاعل على فعله، فهذه خمسة أشياء فاذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، وأنا أضرب لكل باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي: الجبر، والتفويض، والمنزلة بين المنزلتين، مثلاً يقرب المعنى للقطاب، ويسهل له البحث من شرحه، ويشهد به القرآن بحجكم آياته، وبحق تصديقه عند ذوي الألباب، وبالله العصمة والتوفيق.

ثم قال «ع»: فأما الجبر: فهو: قول من زعم أن الله عز وجل جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها. ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذبه، ورد عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٢) وقوله جل ذكره: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٣) مع أي كثيرة في مثل هذا، فمن زعم أنه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وظلمه في عظمته له، ومن ظلم ربه فقد كذب كتابه، ومن كذب كتابه لزمه (الكفر) باجماع الامة، فالمثل المضروب في ذلك: مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك الا نفسه، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا ويعلم مولاه ذلك منه، فأمره على علم منه بالمصير الى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملكه ثمن ما يأتيه به، وعلم المالك أن على الحاجة رقيقاً لا يطعم أحد في أخذه هامة الا بما يرضى به من الثمن، وقد وصف به مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور، فأوعد عبده إن لم يأت به بالحاجة يعاقبه، فلما صار العبد إلى السوق، وحاول أخذ الحاجة التي بعث بها، وجد عليها مانعاً يمنعه منها الا بالثمن ولا يملك العبد ثمنها، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجة، فاغتاظ مولاه لذلك وعاقبه على ذلك، فانه كان ظالماً متعدياً مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته، وإن لم يعاقبه كذب نفسه، ليس يجب أن لا يعاقبه والكذب والظلم ينفيان العدل والحكمة، تعالى الله عما يقول المجبرة علواً كبيراً.

(١) راجع هامش الجزء الاول من هذا الكتاب.

(٢) الكهف - ٥٠.

(٣) الحج - ١٠.

ثم قال العالم «ع» - بعد كلام طويل - : فأما التفويض الذي أبطله الصادق «ع» وخطأ من دان به ، فهو : قول القائل : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْضَ إِلَى الْعِبَادِ اخْتِيَارَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَأَهْمَلَهُمْ» .

وهذا الكلام دقيق لم يذهب إلى غوره ودقته الا الأئمة المهديّة «ع» من عترة آل الرسول صلوات الله عليهم فأنهم قالوا : «لو فوض الله أمره إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضا ما اختاروه واستوجبوا به الثواب ، ولم يكن عليهم فيما اجترموا العقاب إذ كان الإهمال واقعاً ، وتنصرف هذه المقالة على معنيين : إما أن تكون العباد تظاهروا عليه فالزموه اختيارهم بأرائهم - ضرورة - كره ذلك أم أحب فقد لزمه الوهن ، أو يكون جل وتقديس عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي عن إرادته ففوض أمره ونهيه إليهم ، وأجراهما على محبتهم إذ عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان ، ومثل ذلك : مثل رجل ملك عبداً ابتاعه لخدمته ويعرف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره ونهيه وادعى مالك العبد أنه قاهر قادر عزيز حكيم ، فأمر عبده ، ونهاه ، ووعدته على اتباع أمره عظيم الثواب وأوعده على معصيته أليم العقاب ، فخالف العبد إرادة مالكه ، ولم يقف عند أمره ونهيه ، فأمر أمره به أو نهاه عنه لم يأتمر على إرادة المولى ، بل كان العبد يتبع إرادة نفسه وبعثه في بعض حوائجه وفيما الحاجة له فصار العبد بغير تلك الحاجة خلافاً على مولاه وقصد إرادة نفسه واتباع هواه ، فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فإذا هو خلاف أمره فقال العبد : اتكلت على تفويضك الأمر إلي ، فاتبعت هواي وإرادتي لأن المفوض إلي غير محظور عليه لاستحالة اجتماع التفويض والتحضير .

ثم قال «ع» : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ وَمَلَكَهُمْ اسْتَطَاعَةً مَا تَعَبَّدَهُمْ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَقَبْلَ مِنْهُمْ اتِّبَاعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَرَضِيَ بِذَلِكَ لَهُمْ ، وَنَهَايَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَذَمَّ مِنْ عَصَاةٍ وَعَاقِبَهُ عَلَيْهَا ، وَلَهُ الْخِيَرَةُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ يَخْتَارُ مَا يَرِيدُهُ وَيَأْمُرُ بِهِ ، وَيَنْهَى عَمَّا يَكْرَهُ وَيُعَاقِبُ بِالْإِسْطَاعَةِ الَّتِي يَمْلِكُهَا عِبَادُهُ لَاتِّبَاعَ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابَ مَعْصِيَتِهِ لِأَنَّهُ الْعَدْلُ وَمِنَهُ النِّصْفَةُ وَالْحُكْمَةُ ، بِالْغِ الْحُجَّةُ بِالْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ ، وَإِلَيْهِ الصَّفْوَةُ يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، اصْطَفَى مُحَمَّدًا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَبَعَثَهُ بِالرِّسَالَةِ إِلَى خَلْقِهِ وَلَوْ فَوْضَ اخْتِيَارَ أُمُورِهِ إِلَى عِبَادِهِ لَأَجَازَ لِقَرِيشٍ اخْتِيَارِ امِيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وَأَبِي مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ إِذْ كَانَا عَنْدهُمْ أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ ص «لَمَّا قَالُوا : ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيتَيْنِ عَظِيمٍ﴾»^(١) يعنونها بذلك فهذا هو : (القول بين القولين) ليس بجبر ولا تفويض ، بذلك أخبر أمير المؤمنين «ع» حين سأله عتابة بن ربيعي الأسدي عن الاستطاعة .

عبادة
ص

فقال أمير المؤمنين : تملكها من دون الله أو مع الله ؟ فسكت عتابة بن ربيعي .

فقال له : قل يا عتابة ؟ قال : وما أقول ؟

قال : إن قلت تملكها مع الله قتلتك ، وإن قلت تملكها من دون الله قتلتك

قال : وما أقول يا أمير المؤمنين ؟

قال : تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن ملكها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبها كان ذلك من بلائه ، وهو المالك لما ملكك ، والمالك لما عليه أقدرك ، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حيث

يقولون: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

فقال الرجل: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا حول لنا من معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله. قال: فوثب الرجل وقبل يديه ورجليه.

ثم قال «ع» في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(١) وفي قوله: ﴿سَنَسْتَلِرْ جَهَنَّمَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) وفي قوله: ﴿أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٣) وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾^(٤) وقوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٥) وقول موسى «ع»: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾^(٦) وقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِيمَا أَلَّاكُمْ﴾^(٧) وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفْنَا عَنْهُمْ غِيظَهُمْ لِيُتْلِكَمُ﴾^(٨) وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾^(٩) وقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١٠) وقوله: ﴿وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾^(١١) وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَاتَنَصَّرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا﴾^(١٢) إِنَّ جَمِيعَهَا جاءت في القرآن بمعنى الاختبار.

ثم قال «ع»: فان قالوا ما الحجة في قول الله تعالى: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١٣) وما أشبه ذلك؟

قلنا: فعلى مجاز هذه الآية يقتضي معنيين: أحدهما عن كونه تعالى قادراً على هداية من يشاء وضلالة من يشاء، ولو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على ما شرحناه. والمعنى الآخر: أن الهداية منه (التعريف) كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(١٤) وليس كل آية مشتبهة في القرآن كانت الآية حجة على حكم الآيات اللاتي أمر بالأخذ بها وتقليدها، وهي قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ...﴾ الآية^(١٥) وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١٦) وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، ويقرب لنا ولكم الكرامة والزلفى، وهدانا لما هو لنا ولكم خير وأبقى، إنه الفعال لما يريد، الحكيم المجيد.

عن أبي عبد الله الزياتي^(١٧) قال: لما سمع المتوكل، نذر الله إن رزقه الله العافية أن يتصدق بمال كثير، فلما سلم وعوفي سأل الفقهاء عن حد (المال الكثير) كم يكون؟ فاختلفوا. فقال بعضهم: (الف درهم) وقال بعضهم: (عشرة آلاف) وقال بعضهم: (مائة الف) فاشتبه عليه هذا.

- | | |
|-------------------|----------------------|
| (١) محمد: ٣١. | (٢) الأعراف: ١٨١. |
| (٣) العنكبوت: ٢. | (٤) سورة ص: ٣٤. |
| (٥) طه: ٨٥. | (٦) الأعراف: ١٥٤. |
| (٧) المائدة: ٥١. | (٨) آل عمران: ١٥٢. |
| (٩) القلم: ١٧. | (١٠) هود: ٧. |
| (١١) البقرة: ١٤٢. | (١٢) محمد: ٤. |
| (١٣) إبراهيم: ٤. | (١٤) حم: السجدة: ١٧. |
| (١٤) آل عمران: ٧. | (١٥) الزمر: ١٨. |

فقال له الحسن حاجبه: إن أتيتك يا أمير المؤمنين من هذا اخبرك بالحق والصواب فما لي عندك؟
فقال المتوكل: إن أتيت بالحق فلك عشرة آلاف درهم، وإلا أضربك مائة مقرعة.

فقال: قد رضيت فأبى الحسن العسكري «ع» فسأله عن ذلك.

فقال أبو الحسن «ع»: قل له: يتصدق بثمانين درهماً. فرجع إلى المتوكل فأخبره فقال: سله ما العلة في ذلك؟

فسأله فقال: إن الله عز وجل قال لنبيه «ص»: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾^(١) فعددنا مواطن رسول الله «ص» فبلغت ثمانين مؤطناً

فرجع إليه فأخبره ففرح، وأعطاه عشر آلاف درهم.

وعن جعفر بن رزق الله^(٢) قال: قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحد فأسلم.

فقال يحيى بن أكنم: قد هدم إيمانه شركه وفعله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا.

فأمر المتوكل بالكتاب إلى أبي الحسن العسكري وسأله عن ذلك.

فلما قرأ الكتاب كتب «ع»: يضرب حتى يموت، فأنكر يحيى وأنكر فقهاء العسكر ذلك، فقالوا: يا أمير المؤمنين سله عن ذلك فانه شيء لم ينطق به كتاب، ولم يحيى به سنة.

فكتب إليه: إن الفقهاء قد أنكروا هذا، وقالوا: لم يحيى به سنة ولم ينطق به كتاب، فبين لنا لم أوجب علينا الضرب حتى يموت؟

فكتب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنًا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنًا﴾ الآية^(٣) فأمر به المتوكل فضرب حتى مات.

سأل يحيى بن أكنم أبا الحسن العالم «ع» عن قوله تعالى: ﴿سَبْعَةٌ أَبْعَثَ اللَّهُ كَلِمَاتِ اللَّهِ﴾^(٤) ماهي؟

فقال: هي: (عين الكبريت) و(عين اليمن) و(عين البرهوت) و(عين الطبرية) و(جعة ماسيدان) و(جعة إفريقيا) و(عين ما جروان) ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى.

وروي عن الحسن العسكري «ع»: أنه اتصل بأبي الحسن علي بن محمد العسكري «ع»: أن رجلاً من فقهاء شيعة كرم بعض النصاب فأفهمه بحجته حتى أبان عن فضيحتة، فدخل إلى علي بن محمد «ع» وفي

(١) التوبة: ٢٦.

(٢) روى عنه في التهذيب والكافي ولم اعثر له على ترجمة.

(٣) المؤمن: ٨٤ و ٨٥.

(٤) لقمان: ٢٧.

صدر مجلسه دست عظيم منصوب وهو قاعد خارج الدست، وبحضرته خلق من العلويين وبني هاشم، فما زال يرفعه حتى أجلسه في ذلك الدست، وأقبل عليه فاشتد ذلك على أولئك الأشراف، فأما العلوية فأجلوه عن العتاب، وأما الهاشميون فقال لهم شيخهم: يا ابن رسول الله هكذا تؤثر عامياً على سادات بني هاشم من الطالبيين والعباسيين؟!

فقال «ع»: إياكم وأن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾^(١) أنرضون بكتاب الله حكماً؟ قالوا: بلى.

قال: أليس الله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم إلى قوله يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾^(٢) فلم يرض للعالم المؤمن إلا أن يرفع على المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلا أن يرفع على من ليس بمؤمن، أخبروني عنه قال: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾؟ أوقال: ﴿يرفع الذين أوتوا شرف النسب درجات﴾؟ أوليس قال الله: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾^(٣) فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله؟! إن كسر هذا (لقلان) الناصب بحجج الله التي علمه إياها، لأفضل له من كل شرف في النسب.

فقال العباسي: يا ابن رسول الله قد أشرفت علينا هو ذا تفسير بنا عن ليس له نسب كنسبنا، وما زال منذ أول الاسلام يقدم الأفضل في الشرف على من دونه فيه.

فقال «ع»: سبحان الله أليس عباس بايع أبا بكر وهو (تيمي) والعباس (هاشمي)؟ أوليس عبد الله بن عباس كان يخدم عمر بن الخطاب وهو (هاشمي) أبا الخلفاء وعمر (عدوي)؟! وما بال عمر أدخل البعداء من قریش في الشورى ولم يدخل العباس؟ فان كان رفعنا لمن ليس بهاشمي على هاشمي منكرًا فأنكرنا على عباس بيعته لأبي بكر، وعلى عبد الله بن عباس خدمته لعمر بعد بيعته، فإن كان ذلك جائزاً فهذا جائز، فكأنما القم الهاشمي حجراً.

وروي عن علي بن محمد الهادي «ع» أنه قال: لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم «ع» من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسون صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل.

احتجاج أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام في انواع شتى من علوم الدين.

وبالاسناد المقدم ذكره: إن أبا محمد العسكري (ع) قال - في قوله تعالى -: ﴿يختم الله على

قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم»^(١) أي : وسمها بسمه يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنهم لما أعرضوا عن النظر فيها كلفوه ، وقصروا فيها أريد منهم ، وجهلوا ما لزمهم الايمان به ، فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه ، فإن الله عز وجل يتعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما منعمهم بالقهر منه ، فلا يأمرهم بمغالبتة ، ولا بالمصير إلى ما قد صدهم بالقسر عنه ، ثم قال : ولهم عذاب عظيم يعني : في الآخرة العذاب المعد للكافرين ، وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينبهه لطاعته ، أو من عذاب الإصلاح ليصيره إلى عدله وحكمته .

وروى أبو محمد العسكري (ع) مثل ما قال هو في تأويل هذه الآية من المراد بالختم على قلوب الكفار عن الصادق (ع) بزيادة شرح لم تذكره مخافة التطويل لهذا الكتاب .

وبالاسناد المتكرر من أبي محمد (ع) أنه قال - في تفسير قوله تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ الآية^(٢) جعلها ملائمة لطبايعكم ، موافقة لأجسادكم لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم ، ولا شديدة البرودة فتجمدكم ، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم ، ولا شديدة التنن فتعطبكم ، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ، ولا شديدة الصلابة فتتمتع عليكم في حرثكم وأبنتكم ودفن موتاكم ، ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنفعون به ، وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وتبينكم ، وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم ، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم .

ثم قال ﴿والسما بناءاً﴾ يعني : سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم . ثم قال : ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ يعني : المطر ينزله من علو ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأهادكم ، ثم فرقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلا ، لينشفه أرضوكم ، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة ، ليفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم .

ثم قال : ﴿وأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾ يعني : مما يخرج من الأرض رزقاً لكم ، ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ، ولا تقدر على شيء ، ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم . وبالاسناد الذي مضى ذكره عن أبي محمد العسكري (ع) في قوله تعالى : ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾^(٣) إن الأمي منسوب إلى (أمة) أي : هو كما خرج من بطن أمه ، لا يقرأ ولا يكتب ، ﴿لا يعلمون الكتاب﴾ المنزل من السماء ولا المتكذب به ، ولا يميزون بينها ﴿إلا أماني﴾ أي إلا أن يقرأ عليهم ويقال لهم : إن هذا كتاب الله وكلامه ، لا يعرفون إن قرئ من الكتاب خلاف ما فيه ، ﴿وإن هم إلا يظنون﴾ أي ما يقرأ عليهم رؤسائهم من تكذيب محمد (ص)

في نبوته وإمامة عليّ (ع) سيد عترته ، وهم يقلدونها مع أنه ﴿محرم عليهم﴾ تقليدهم ، ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله تعالى ...﴾ الخ^(١) .

هذا : القوم اليهود ، كتبوا صفة زعموا أنها صفة محمد (ص) وهي خلاف صفته ، وقالوا للمستضعفين منهم : هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان : إنه طويل عظيم البدن والبطن ، أهدف^(٢) ، أصهب الشعر ، ومحمد (ص) بخلافه ، وهو يحيى بعد هذا الزمان بخمسمائة سنة ، وإنما أرادوا بذلك أن تبقى لهم على ضعفائهم رياستهم ، وتدوم لهم إصابتهم ، ويكفوا أنفسهم مؤنة خدمة رسول الله (ص) وخدمة عليّ (ع) وأهل بيته وخاصته ، فقال الله عز وجل : ﴿فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ من هذه الصفات المحرفات والمخالفات لصفة محمد (ص) وعليّ (ع) : الشدة لهم من العذاب في أسوء بقاع جهنم ، وويل لهم : الشدة في العذاب ثانية مضافة إلى الأولى ، بما يكسبونه من الأموال التي يأخذونها إذا ثبتوا عوامهم على الكفر بمحمد رسول الله (ص) ، والحجة لوصيه وأخيه عليّ بن أبي طالب (ع) ولي الله .

ثم قال (ع) : قال رجل للمصادق (ع) : فإذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعون من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره ، فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم ، وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم ؟

فقال (ع) : بين عوامنا وعلمائنا وعوام اليهود وعلمائهم ، فرق من جهة وتسوية من جهة . أما من حيث استوا : فإن الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم ، وأما من حيث اختلفوا فلا .

قال : بين لي يا ابن رسول الله !

قال (ع) : إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح ، وبأكل الحرام والرشاء . ويتغير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات ، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم ، وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه ، وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم ، وظلموهم من أجلهم ، وعرفوهم يقارفون المحرمات ، واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله ، فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوه ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ، ولا العمل بما يؤديه إليهم عمن لم يشاهدوه ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله (ص) ، إذ كانت دلالة أوضح من أن تخفى ، وأشهر من أن لا تظهر لهم .

وكذلك عوام امتنا إذا عرفوا من فقهاءهم الفسق الظاهر ، والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها ، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لأصلاح أمره مستحقاً ، وبالترفرف

بالبر والاحسان على من تعصبوا له وان كان للاذلال والاهانة مستحقاً ، فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهاءهم ، فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه مخالفاً على هواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه ، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم ، فانه من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة العامة فلا تقبلوا منا عنه شيئاً ، ولا كرامة ، وإنما كثر التخليط فيها يتحمل عنا أهل البيت لذلك ، لأن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره بجهلهم ، ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم ، وآخرون يتعمدون الكذب علينا ليجروا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم .

ومنهم قوم (نصاب) لا يقدرّون على القدح فينا ، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا ، وينتقصون بنا عند نصابنا ، ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها ، فيقبله المستسلمون من شيعتنا ، على أنه من علومنا ، فضلوا وأضلوا وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي (ع) وأصحابه ، فاتهم يسلبونهم الأرواح والأموال ، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المشبهون بأنهم لنا موالون ، ولأعدائنا معادون ، ويدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب ، لا جرم أن من علم الله من قلبه من هؤلاء القوم انه لا يريد الا صيانة دينه وتعظيم وليه لم يتركه في يد هذا المتلبس الكاذب ، ولكنه يقيض له مؤمناً يقف به على الصواب ، ثم يوفقه الله للقبول منه ، فيجمع الله له بذلك خير الدنيا والآخرة ، ويجمع على من أضله لعنا في الدنيا وعذاب الآخرة .

ثم قال : قال رسول الله : « أشرار علماء امتنا : المضلون عنا ، القاطعون للطرق إلينا ، المسمون أضدادنا بأسمائنا ، الملقبون أندادنا بألقابنا ، يصلون عليهم وهم للعن مستحقون ، ويلعنونا ونحن بكرامات الله مغمورون ، يصلوات الله وصلوات ملائكت المقرين علينا عن صلواتهم مستغنون » .

ثم قال : قيل لأمير المؤمنين (ع) : من خير خلق الله بعد أئمة الهدى ، ومصابيح الدجى ؟ قال : العلماء إذا صلحوا .

قيل : فمن شرار خلق الله بعد إبليس وفرعون ونمرود ، وبعد المتسمين بأسمائكم ، والمتلقين بألقابكم ، والآخذين لامكتكم ، والمتأمرين في ممالككم ؟

قال : العلماء اذا فسدوا ، هم المظهرون للأباطيل ، الكائمون للحقايق ، وفيهم قال الله عز وجل : « أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا » الآية (١)

وبالاسناد المقدم ذكره : عن أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد ، وأبي الحسن علي بن محمد بن سيار ، أنها قال : قلنا للحسن أبي القائم (ع) : إن قوماً عندنا يزعمون : أن هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدنيا ، وأنها

افتتنا بالزهرة وأرادا الزنا بها ، وشربا الخمر ، وقتلا النفس المحرمة ، وأن الله يعذبها ببابل ، وأن السحرة منها يتعلمون السحر ، وأن الله مسخ هذا الكوكب الذي هو (الزهرة) .

فقال الامام (ع) : معاذ الله من ذلك ، إن ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبائح ، بالطف الله ، فقال عز وجل فيهم : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾^(١) وقال : والله من في السماوات والأرض ومن عنده - يعني : الملائكة - لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾^(٢) وقال في الملائكة ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون - إلى قوله - مشفقون ﴾^(٣) كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاء في الأرض ، وكانوا كالأنبياء في الدنيا ، وكالأئمة ، أفيكون من الأنبياء والأئمة قتل النفس والزنا وشرب الخمر !!؟

ثم قال : أولست تعلم أن الله لم يخل الدنيا من نبي أو إمام من البشر ؟ أوليس يقول : ﴿ وما أرسلنا قبلك من رسلنا - يعني إلى الخلق - إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى ﴾^(٤) فأخبر أنه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة وحكاماً ، وإنما أرسلوا إلى أنبياء الله .

قالا : قلنا له : فعلى هذا لم يكن إبليس ملكاً !

فقال : لا ، بل كان من الجن ! أما تسمعان الله تعالى يقول : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾^(٥) فأخبر أنه كان من الجن ، وهو الذي قال : ﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾^(٦) .

وقال الامام (ع) : يحدثني أبي عن جدي عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) عن رسول الله (ص) إن الله اختارنا معاشر آل محمد ، واختار النبيين ، واختار الملائكة المقربين ، وما اختارهم إلا على علم منه بهم : أنهم لا يواقعون ما يخرجون به عن ولايته ، وينقطعون به من عصمته ، وينضمون به إلى المستحقين لعذابه ونقمته .

قالا : فقلنا فقد روي لنا : أن علياً صلوات الله عليه لما نص عليه رسول الله بالامامة ، عرض الله ولايته على فيام وفيام^(٧) من الملائكة فأبوها ، فمسخهم الله صفادع .

فقال : معاذ الله ! هؤلاء المكذبون علينا ، الملائكة هم رسل الله كسائر أنبياء الله إلى الخلق ، أفيكون منهم الكفر بالله ؟ قلنا : لا .

قال : فكذلك الملائكة ! إن شأن الملائكة عظيم ، وإن خطبهم للجليل .

(١) التحريم / ٦ .

(٢) الأنبياء / ١٩ و ٢٠ .

(٣) الأنبياء / ٢٧ و ٢٨ .

(٤) يوسف / ١٠٩ .

(٥) الكهف / ٥١ .

(٦) الحجر / ٢٧ .

(٧) الفيام - بفتح الفاء وكسرهما - : الجماعة من الناس وغيرهم .

وبالاسناد الذي تكرر عن أبي يعقوب وأبي الحسن أيضاً أنها قالا : حضرنا عند الحسن بن عليّ أب القائم (ع) فقال له بعض أصحابه : جاءني رجل من إخواننا الشيعة قد امتحن بجهال العامة ، يمتحنونه في الامامة ويحلفونه ، فكيف يصنع حتى يتخلص منهم .

فقلت له : كيف يقولون ؟

قال : يقولون : «أتقول إن فلاناً هو الامام بعد رسول الله ص» ؟ فلا بد لي أن أقول نعم وإلا أئخذوني ضرباً ، فاذا قلت : (نعم) قالوا لي : قل : (والله) فقلت لهم : (نعم) وأريد به (نعماً) من الأنعام : (الابل والبقر والغنم) .

قلت : فاذا قالوا والله فقل وليّ أي : تريد عن أمر كذا ، فانهم لا يميزون وقد سلمت .

فقال لي : فان حققوا عليّ فقالوا قل : (والله) وبين الهاء .

فقلت : قل والله برفع الهاء ، فانه لا يكون يميناً إذا لم يخفض فذهب ثم رجع إليّ فقال : عرضوا عليّ وحلفوني ، فقلت : كما لفتني .

فقال له الحسن ع : أنت كما قال رسول الله ص : «الذال على الخير كفاعله» لقد كتب الله لصاحبك بتقيته بعدد كل من استعمل التقية من شيعتنا ومواليينا ومحبيينا حسنة ، وبعدد من ترك التقية منهم حسنة ، أدناها حسنة لو قبل بها ذنوب مائة سنة لغفر لك ، ولك بارشادك إياه مثل ماله .

وبالاسناد المتكرر ذكره عن الحسن العسكري ع أنه قال : أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاءً لها أعظمهم عند الله شأنًا ، ومن تواضع في الدنيا لآخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة عليّ بن أبي طالب ع حقًا ، ولقد ورد على أمير المؤمنين ع أخوان له مؤمنان أب وابن ، فقام إليهما ، وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه ، وجلس بين أيديهما ، ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا منه ثم جاء قبر بطست وإبريق خشب ومنديل ليبس وجاء ليصب على يد الرجل ماءً فوثب أمير المؤمنين ع فأخذ الابريق ليصب على يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال :

يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب على يدي !! !

قال : اقعد واغسل يدك فإن الله عز وجل يراك وأخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يخدمك ، يريد بذلك خدمة في الجنة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا وعلى حسب ذلك في ممالكه فيها . فقعد الرجل فقال له علي ع : أقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته وبجلته وتواضعك لله بأن ندبني لما شرفك به من خدمتي لك ، لما غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قبراً ، ففعل الرجل .

فلما فرغ ناول الابريق محمد بن الحنفية وقال : يا بني لو كان هذا الابن حضري دون أبيه لصيبت على يده ، ولكن الله يأبى أن يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعها مكان ، لكن قد صب الأب على الأب ،

فليصب الابن على الابن، فصب محمد ابن الحنفية على الابن.

ثم قال الحسن العسكري «ع»: فمن اتبع علياً «ع» على ذلك فهو الشيعي حقاً

احتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين

سعد بن عبد الله القمي الأشعري ^(١) قال: بليت بأشد النواصب منازعة فقال لي يوماً بعدما ناظرته: تبأ لك ولأصحابك! أنتم معاشر الروافض تقصدون المهاجرين والأنصار بالظعن عليهم، وبالجحود لمحبة النبي لهم، فالصديق هو فوق الصحابة بسبب سبق الاسلام، ألا تعلمون أن رسول الله «ص» إنما ذهب به ليلة الغار لأنه خاف عليه كما خاف على نفسه، ولما علم أنه يكون الخليفة في امته وأراد أن يصون نفسه كما يصون «ع» خاصة نفسه، كي لا يختل حال الدين من بعده. ويكون الاسلام منتظماً؟ وقد أقام علياً على فراشه لما كان في علمه أنه لو قتل لا يختل الاسلام بقتله، لأنه يكون من الصحابة من يقوم مقامه لاجرم لم يبال من قتله؟

قال سعد: إنني قلت على ذلك أجوبة لكنها غير مسكتة.

ثم قال: معاشر الروافض تقولون: إن (الأول والثاني) كانا ينافقان، وتستدلون على ذلك بليلة العقبة. ثم قال لي: أخبرني عن إسلامهما كان من طوع ودرغبة أو كان عن إكراه وإجبار؟ فاحتزرت عن جواب ذلك وقلت مع نفسي: إن كنت أجبت بأنه كان عن طوع فيقول: لا يكون على هذا الوجه إيمانها عن نفاق، وإن قلت كان عن إكراه وإجبار لم يكن في ذلك الوقت للاسلام قوة حتى يكون إسلامهما باكراه وقهر، فرجعت عن هذا الخصم على حال ينقطع كبدي، فأخذت طوماراً وكتبت بضعا وأربعين مسألة من المسائل الغامضة التي لم يكن عندي جوابها فقلت: ادفعها إلى صاحب مولاي أبي محمد الحسن بن علي «ع» الذي كان في قم احمد بن إسحاق ^(٢) فلما طلبته كان هو قد ذهب فمشتيت على أثره فأدركته وقلت الحال معه فقال لي: جئ معي الى سر من رأى حتى نسأل عن هذه المسائل مولانا الحسن بن علي «ع».

فذهبت معه إلى سر من رأى ثم جئنا إلى باب دار مولانا «ع» فاستأذنا عليه فأذن لنا، فدخلنا الدار وكان مع احمد بن إسحاق جراب قد ستره بكساء طبري، وكان فيه مائة وستون صرة من الذهب والورق، على كل واحدة منها خاتم صاحبها الذي دفعها إليه، ولما دخلنا وقعت أعيننا على أبي محمد

(١) سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي قال الشيخ في باب اصحاب العسكري عليه السلام ص ٤٣٦: «عاصره عليه السلام ولم اعلم انه روي عنه»

وقال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ٧٨: «يكفي ابا القاسم، جليل القدر واسع الاخبار، كثير التصانيف، ثقة شيخ هذه الطائفة وفقهها ووجهها ولقي مولانا ابا محمد العسكري عليه السلام».

قال النجاشي: «ورأيت بعض اصحابنا يضعفون لقاءه لأبي محمد ويقولون: هذه حكاية موضوعة عليه، والله اعلم». توفي سعد رحمه الله سنة إحدى وثلاثمائة وقيل: سنة تسع وتسعين ومائتين: وقيل: مات رحمه الله يوم الأربعاء لسبع وعشرين من شوال سنة ثلاثمائة، وفي ولاية رستم».

(٢) قال العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١٤: «احمد بن إسحاق الرازي من اصحاب ابي الحسن الثالث علي بن محمد المهدي عليهما السلام، أورد الكشي ما يدل على اختصاصه بالجهة المقدسة، وقد ذكرته في الكتاب الكبير».

الحسن العسكري «ع» كان وجهه كالقمر ليلة البدر وقد رأينا على فخذه غلاماً يشبه المشتري في الحسن والجمال، وكان على رأسه ذوابتان، وكان بين يديه رمان من الذهب قد حلي بالفصوص والجواهر الثمينة قد أهدها واحد من رؤساء البصرة، وكان في يده قلم يكتب به شيئاً على قرطاس، فكلما أراد أن يكتب شيئاً أخذ الغلام يده فألقى الرمان حتى يذهب الغلام إليه ويحيي به فلما ترك يده يكتب ما شاء.

ثم فتح أحمد بن إسحاق الكساء ووضع الجراب بين يدي العسكري «ع» فنظر العسكري إلى الغلام فقال: فض الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك!

فقال: يا مولاي أيجوز أن أمد يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة؟!

ثم قال: يا ابن إسحاق اخرج ما في الجراب ليميز بين الحلال والحرام اثم أخرج (صرة) فقال الغلام: هذا (لفلان ابن فلان) من محلة (كذا) بقم، مشتمل على اثنين وسبعين ديناراً، فيها من ثمن حجرة باعها وكانت ارثاً عن أبيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن اثمان سبعة أثواب أربعة عشر ديناراً، وفيه من اجرة الخوانيت ثلاثة دنانير.

فقال مولانا «ع»: صدقت يا بني! كل الرجل على الحرام منها،

فقال الغلام: في هذه العين دينار بسكة الري تاريخه في سنة (كذا) قد ذهب نصف نقصه عنه، وثلاثة اقطاع قراضة بالوزن (دائق ونصف) في هذه الصرة التحرام هذا القدر فان صاحب هذه الصرة في سنة كذا في شهر كذا كان له عند نساج - وهو من جملة جيرانه - من وربع، فأق على ذلك زمان كثير فسرقة سارق من عنده فأخبره النساج بذلك فما صدقه وأخذ الغرامة بغزل أدق منه مبلغ من ونصف، ثم أمر حتى نسج منه ثوب وهذا الدينار والقراضة من ثمنه. ثم حل عقدها فوجد الدينار والقراضة كما أخبر، ثم اخرجت (صرة) أخرى.

فقال الغلام: هذا (لفلان ابن فلان) من المحلة (الفلانية) بقم والعين فيها (خمسون ديناراً) ولا ينبغي لنا أن ندي أيدينا إليها.

قال: لم؟ فقال: من أجل أن هذه الدنانير ثمن الحنطة، وكانت هذه الحنطة بينه وبين حراث له، فأخذ نصيبه بكيل كامل وأعطى نصيبه بكيل ناقص.

فقال مولانا الحسن بن علي «ع»: صدقت يا بني! قال يا ابن إسحاق احمل هذه الصرر وبلغ أصحابها واوص بتبليغها إلى أصحابها، فانه لا حاجة بنا إليها. ثم قال: جىء إلي بثوب تلك العجوز.

فقال أحمد بن إسحاق: كان ذلك في حقبة فنيته، ثم مشى أحمد بن إسحاق ليجيء بذلك إلى مولانا أبي محمد العسكري «ع» وقال: ما جاء بك يا سعد؟

فقلت: شوقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا قال: المسائل التي أردت أن تسأل عنها؟ قلت: على حالها يا مولاي. قال: فاسأل قرة عيني - وأومى إلى الغلام - عما بدا لك!

فقلت: يا مولانا وابن مولانا روي لنا: أن رسول الله «ص» جعل طلاق نسائه إلى أمير المؤمنين، حتى أنه بعث يوم الجمل رسولا إلى عائشة وقال: إنك أدخلت الهلاك على الاسلام وأهله بالغش الذي

حصل منك، وأوردت أولادك في موضع الهلاك بالجهالة، فإن امتنعت وإلا طلقتك. فأخبرنا يا مولاي عن معنى الطلاق الذي فوض حكمه رسول الله «ص» إلى أمير المؤمنين «ع»؟

فقال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي «ص» فخصهن بشرف الامهات فقال رسول الله «ص»: يا أبا الحسن إن هذا شرف باق ما دمن الله على طاعة، فأيتها عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلقها من الأزواج وأسقطها من شرف أمية المؤمنين.

ثم قلت: أخبرني عن الفاحشة المبينة التي إذا فعلت المرأة ذلك يجوز لبعلها أن يخرجها من بيته في أيام عدتها؟

فقال «ع»: تلك الفاحشة السُّحْق^(١) وليست بالزنا لأنها إذا زنت يقام عليها الحد، وليس لمن أراد تزويجها أن يمتنع من العقد عليها لأجل الحد الذي اقيم عليها، وأما إذا ساحقت فيجب عليها الرجم، والرجم هو الحزري، ومن أمر الله تعالى برجمها فقد أخزاها ليس لأحد أن يقربها.

ثم قلت: أخبرني يا ابن رسول الله عن قول الله تعالى لنبيه موسى: ﴿فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى﴾^(٢) فإن فقهاء الفريقين يزعمون: أنها كانت من إهاب الميتة؟

فقال «ع»: من قال ذلك افتري على موسى واستهجنه في نبوته، لأنه ما خلا الأمر فيها من خطئين: أما أن كانت صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة، فإن كانت صلاة موسى جائزة فيها، فجاز لموسى أن يكون لابسها في تلك البقعة وإن كانت مقدسة مطهرة، وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب أن موسى لم يعرف الحلال والحرام، ولم يعلم ما جازت الصلاة فيه مما لم يجوز وهذا (كفر).

قلت: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيها؟

قال: إن موسى «ع» كان بالوادي المقدس فقال: يارب إني أخلصت لك المحبة مني وغسلت قلبي عن سواك، وكان شديد الحب لأهله. فقال الله تبارك وتعالى: فاخلع نعليك أي: انزع حب اهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولا.

فقلت: أخبرني عن تأويل كهيعص.

قال: هذه الحروف من أنباء الغيب، اطلع الله عليها عبده زكريا ثم قصها على محمد «ص»، وذلك: أن زكريا «ع» سأل ربه: أن يعلمه الأسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن سرى عنه همه، وانجلي كربه وإذا ذكر اسم الحسين «ع» خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة.

فقال ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعا منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت

(١) المساحقة عند النساء كاللواط عند الرجال.

(٢) طه - ١٢.

الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي . فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصته فقال : (كهيعص) فالكاف اسم (كربلاء) والهاء هلاك (العثرة) والياء (يزيد) وهو ظالم الحسين ، والعين (عطشه) والصاد (صبره) فلما سمع بذلك زكرياه ع لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيهن الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب ، وكان يرثيه :

إلهي أنفجع خبر جميع خلقك بولده؟

إلهي أنزل بلوى هذه الرزية بفنائها؟

إلهي أنلبس علياً وفاطمة ثوب هذه المصيبة؟

إلهي تحمل كربة هذه المصيبة بساحتها؟

ثم كان يقول : إلهي ارزقني ولداً تقر به عيني على الكبر ، فاذا رزقتني فافتني بحبه ، ثم افجعني به كما تفجع محمداً حبيبك بولده .

فرزقه الله يحيى وفجعه به وكان حمل يحيى ستة أشهر وحمل الحسين كذلك .

فقلت : أخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار الامام لأنفسهم؟

قال : مصلح أو مفسد؟ فقلت : مصلح .

قال : هل يجوز أن يقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد . قلت : بلى .

قال : فهي (العلة) أيدها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك . قلت : نعم .

قال : أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم الكتب ، وأيدهم بالوحي والعصمة ، إذ هم أعلام الامم ، فاهدي إلى ثبت الاختيار ومنهم موسى وعيسى هل يجوز مع وفور عقلهما ، وكمال علمهما ، إذ هما على المنافق بالاختيار أن يقع خيرتهما ، وهما يظنان أنه مؤمن؟ قلت : لا .

قال : فهذا موسى كلیم الله مع وفور عقله وكمال علمه ، ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلاً ممن لم يشك في إيمانهم وإخلاصهم ، فوقع خيرته على المنافقين قال الله عز وجل : ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا .﴾ الآية (١) فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح ، وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد ، علمنا : أن لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور وما تكن الضمائر ، وينصرف عنه السرائر . وإن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار ، بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح .

ثم قال مولانا ع : يا سعد من ادعى : أن النبي ص - وهو خصمك - ذهب بمختار هذه الامة مع

نفسه إلى الغار فانه خاف عليه كما خاف على نفسه لما علم أنه الخليفة من بعده على امته ، لأنه لم يكن من حكم الاختفاء أن يذهب بغيره معه وإنما أقام علياً على مبيته لأنه علم أنه إن قتل لا يكون من الخلل بقتله ما يكون بقتل أبي بكر ، لأنه يكون لعلي من يقوم مقامه في الأمور ، لم لاتنقض عليه بقولك : أو لستم تقولون . إن النبي «ص» قال : «إن الخلافة من بعدي ثلاثون سنة» وصيرها موقوفة على أعمار هؤلاء الأربعة : (أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي) فانهم كانوا على مذهبكم خلفاء رسول الله ؟ فان خصمك لم يجد بداً من قوله : بلى .

قلت له : فاذا كان الأمر كذلك فكما أبو بكر الخليفة من بعده كان هذه الثلاثة خلفاء امته من بعده فلم ذهب بخليفة واحد وهو (أبو بكر) إلى الغار ولم يذهب بهذه الثلاثة ؟ فعلى هذا الأساس يكون النبي «ص» مستخفاً بهم دون أبي بكر فانه يجب عليه أن يفعل بهم ما فعل بأبي بكر ، فلما لم يفعل ذلك بهم يكون متهاوناً بحقوقهم وتاركاً للشفقة عليهم بعد أن كان يجب أن يفعل بهم جميعاً على ترتيب خلافتهم ما فعل بأبي بكر .

وأما ما قال لك الخصم : بأنها أسلمها طوعاً أو كرهاً ، لم لم تقل بل إنها أسلمها طمعاً ، وذلك أنها يخالطان مع اليهود ويخبران بخروج محمد «ص» واستيلائه على العرب عن التوراة والكتب المقدسة وملاحم قصة محمد «ص» ، ويقولون لها : يكون استيلاؤه على العرب كاستيلاء (نحس نصر) على بني إسرائيل إلا أنه يدعي النبوة ولا يكون من النبوة في شيء ، فلما ظهر أمر رسول الله فساعداه معه على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله طمعاً أن يجداً من جهة ولاية رسول الله ولاية بلد إذا انتظم أمره ، وحسن باله ، واستقامت ولايته ، فلما أيسا من ذلك وافقا مع أمثالها ليلة العقبة وتلثا مثل من تلثم منهم ، فتفروا بدابة رسول الله لتسقطه ويصير هالكاً بسقوطه بعد أن صعد العقبة فيمن صعد ، فحفظ الله تعالى نبيه من كيدهم ولم يقدروا أن يفعلوا شيئاً ، وكان حالها كحال طلحة والزبير إذ جاءا علياً «ع» وبإيعاء طمعاً أن تكون لكل واحد منها ولاية ، فلما لم يكن ذلك وأيسا من الولاية ، نكثا بيعته وخرجا عليه ، حتى آل أمر كل واحد منها إلى ما يؤول أمر من ينكث العهود والمواثيق .

ثم قام مولانا الحسن بن علي «ع» لصلاته وقام القائم معه ، فرجعت من عندهما وطلبت احمد بن إسحاق ، فاستقبلني باكياً فقلت : ما أبطأك وما أبكاك ؟

قال : قد فقدت الثوب الذي سألتني مولاي إحضاره . قلت : لا بأس عليك فأخبره !

فدخل عليه وانصرف من عنده متبسماً وهو يصلي على محمد وأهل بيته . فقلت : ما الخبر ؟

فقال : وجدت الثوب مبسوطة تحت قدمي ملانا «ع» يصلي عليه .

قال سعد : فحمدنا الله جل ذكره على ذلك ، وجعلنا نختلف بعد ذلك اليوم إلى منزل مولانا «ع» أياماً نرى الغلام بين يديه ، فلما كان يوم الوداع دخلت أنا و احمد بن إسحاق وكهلان من أهل بلدنا ، فانتصب احمد بن إسحاق بين يديه قائماً وقال :

يا ابن رسول الله قد دنت الرحلة ، واشتدت المحنة ، فنحن نسأل الله أن يصلي على المصطفى جدك ، وعلى المرتضى أبيك ، وعلى سيدة النساء امك فاطمة الزهراء وعلى سيدي شباب أهل الجنة عمك وأبيك ، وعلى الأئمة من بعدهما آبائك ، وأن يصلي عليك وعلى ولدك ، ونرغب إليه أن يعلي كعبك ، ويكبت عدوك ، ولا جعل الله هذا آخر عهدنا من لقائك .

قال : فلما قال هذه الكلمة استعبر مولانا ع ، حتى استهملت دموعه وتقاطرت عبراته ، ثم قال :
يا بن اسحاق لا تكلف في دعائك شططاً ، فانك ملاق الله في صدرك هذا ، فخر احمد مغشياً عليه ،
فلما أفاق قال :

سألتك بالله وبحرمة جدك إلا ما شرفتي بخرقه أجعلها كفناً ، فأدخل مولانا يده تحت البساط فأخرج ثلاثة عشر درهماً فقال :

خذها ولا تنفق على نفسك غيرها فانك لن تعدم ما سألت ، والله لا يضيع أجر المحسنين .
قال سعد : فلما صرنا بعد منصرفنا من حضرة مولانا ع من حلوان على ثلاثة فراسخ ، حم احمد ابن إسحاق وثارت عليه علة صعبة أيس من حياته بها فلما وردنا حلوان ونزلنا في بعض الخانات ، دعا احمد ابن إسحاق رجلاً من أهل بلده كان قاطناً بها ثم قال : تفرقوا عني هذه الليلة واتركوني وحدي ! فانصرفنا عنه ورجع كل واحد إلى مرقده .

قال سعد : فلما حان أن ينكشف الليل عن الصبح أصابني فكرة ففتحت عيني ، فإذا أنا بكافور الخادم خادم مولانا أبي محمد وهو يقول : أحسن الله بالخير عزاكم ، وختم بالمحجوب رؤيتكم ، قد فرغنا من غسل صاحبكم ومن تكفينه ، فقوموا لدفنه فانه من أكرمكم محلاً عند سيدكم ، ثم غاب عن أعيننا ، فاجتمعنا على رأسه بالبكاء والتعجب والعيول حتى قضينا حقه وفرغنا من أمره رحمه الله .

وعن الشيخ الموثوق أبي عمرو العمري - رم (١) قال : تشاجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من

(١) هو عثمان بن سعيد العمري - بفتح العين وسكون الميم - أول النواب الأربعة يكفى أبا عمرو السمان ويقال له الزيات ، والمسكري ، ذكره الشيخ الطوسي في عداد أصحاب الهادي عليه السلام ص ٤٢٠ وقال : . . . خدمه عليه السلام وله إحدى عشر سنة ، وله إليه عهد معروف ، وفي أصحاب العسكري ص ٤٣٤ وقال : . . . جليل القدر ثقة وكيله عليه السلام ، وفي كتاب الغيبة ص ٢١٤ قال : «وأما السفراء المدحجون في زمان الغيبة ، فأولهم : من نصبه أبو الحسن علي بن محمد العسكري وأبو محمد الحسن بن علي بن محمد ابنه عليهم السلام وهو الشيخ الموثوق به : أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري ، وكان أسدياً وإنما سمي العمري لما رواه أبو نصر هبة الله بن محمد بن احمد الكاتب أنه ابن بنت أبي جعفر العمري - رحمه الله - قال أبو نصر كان أسدياً فنسب إلى جده فقيل العمري . وقد قال قوم من الشيعة : إن أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام قال : لا يجتمع على أمره بين عثمان وأبي عمرو فأمر بكسر كنيته فقيل العمري ، إلى أن قال : ويقال له : (السمان) لأنه كان يتجر في السمن تغطية على الأمر ، وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى أبي محمد عليه السلام تقياً وخوفاً وقال العلامة في القسم الأول من خلاصته ص ١١٦ : . . . ويقال له : الزيات الأسدي من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليهما السلام خدمه وله إحدى عشر سنة ، وله إليه عهد معروف ، وهو ثقة جليل القدر وكيل أبي محمد عليه السلام ، وفي ج ٢ من سفينة البحار ص ١٥٨ : أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري أول النواب الأربعة ، ما ورد في شأنه من الجلالة والعدالة والأمانة أكثر من أن

الشيعية في (الخلف) فذكر ابن أبي غانم : أنَّ أبا محمد «ع» مضى ولا خلف له ، ثم أنهم كتبوا في ذلك كتاباً وأنفذوه إلى الناحية ، وأعلموه بما تشاجروا فيه .

فورد جواب كتابهم بخطه صلى الله عليه وعلى آبائه :

بسم الله الرحمن الرحيم

عافانا الله وإياكم من الفتن ، ووهب لنا ولكم روح اليقين ، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب ، إنه أنهي إليَّ أرتياب جماعة منكم في الدين ، وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاية أمرهم ، فغمنا ذلك لكم لا لنا ، وساءنا فيكم لا فينا ، لأنَّ الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره ، والحق معنا قلن يوحشنا من قعدعنا ، ونحن صنابع ربنا والخلق بعد صنايعنا .

يا هؤلاء ما لكم في الريب تترددون ، وفي الحيرة تنعكسون ، أو ما سمعتم الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(١) أو ما علمتم ما جاءت به الآثار مما يكون ويحدث في أئمتكم ، على الماضين والباقيين منهم السلام ؟ أو ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها ، وأعلاماً تهتدون بها ، من لدن آدم «ع» إلى أن ظهر الماضي «ع» ، كلما غاب علم بدا علم ، وإذا أفل نجم طلع نجم ، فلما قبضه الله إليه ظننتم : أنَّ الله أبطل دينه ، وقطع السبب بينه وبين خلقه ، كلاً ما كان ذلك ولا يكون ، حتى تقوم الساعة ويظهر أمر الله وهم كارهون ، وإنَّ الماضي «ع» مضى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه «ع» ، (حذو النعل بالنعل) وفينا وصيته وعلمه ، ومنه خلفه ومن يسد مسده ، ولا ينازعنا موضعه إلا ظالم آثم ، ولا يدعيه دوننا إلا كافر جاحد ، ولولا أنَّ أمر الله لا يغلب ، وسره لا يظهر ولا يعلن لظهر لكم من حقنا ما تبتز منه عقولكم ، ويزيل شكوككم ولكنه ما شاء الله كان ، ولكل أجل كتاب ، فاتقوا الله وسلموا لنا وردوا الأمر إلينا فعلينا الاصدار كما كان منا الإيراد ، ولا تحاولوا كشف ما غطي عنكم ، ولا تميلوا عن اليمين وتعدلوا إلى اليسار ، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودة على السنة الواضحة فقد نصحت لكم ، والله شاهد عليَّ وعليكم ، ولولا ما عندنا من محبة صاحبكم ورحمتكم ، والاشفاق عليكم ، لكنا عن مخاطبتكم في شغل مما قد امتحنا به من منازعة الظالم ، العتل الضال ، المتتابع في غيه ، المضاد لربه المدعي ما ليس له الجاحد حق من افترض الله طاعته ، الظالم الغاصب ، وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله إليَّ أسوة حسنة ، وسيتردى الجاهل رداء عمله ، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار .

عصمنا الله وإياكم من المهالك والأسواء والآفات والعاهات كلها برحمته إنه ولي ذلك والقادر

يذكر وهو أجل وأشهر من أن يصفه مثلي (ش) كان باب الجواد عليه السلام . . . وحكى : - أنه يقال له : العمري لأنه ينتسب من قبل الام الى عمر الاطرف بن علي عليه السلام . . . وقبره في الجانب الغربي ببغداد .

على ما يشاء ، وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً ، والسلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم تسليماً .

وعن سعد بن عبد الله الأشعري ، عن الشيخ الصدوق أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري : أنه جاء بعض أصحابنا يعلمه أن جعفر بن علي كتب إليه كتاباً يعرفه نفسه ، ويعلمه أنه القيم بعد أخيه ، وأن عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه ، وغير ذلك من العلوم كلها .

قال أحمد بن إسحاق : فلما قرأت الكتاب كتبت إلى صاحب الزمان «ع» وصيرت كتاب جعفر في درجه ، فخرج إليّ الجواب في ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

أتاني كتابك أبقاك الله والكتاب الذي أنفذت درجه ، وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمنته على اختلاف ألفاظه ، وتكرر الخطأ فيه . ولو تدبرته لوقفت على بعض ما وقفت عليه منه ، والحمد لله رب العالمين حمداً لا شريك له على إحسانه إلينا وفضله علينا ، أبي الله عز وجل للحق إلا إتماماً ، وللباطل إلا زهوقاً ، وهو شاهد عليّ بما ذكره ، ولي عليكم بما أقول ، إذا اجتمعنا لليوم الذي لا ريب فيه ، ويسألنا عما نحن فيه مختلفون .

وإنه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه ولا عليك ولا على أحد من الخلق جميعاً إمامة مفترضة ، ولا طاعة ولا ذمة ، وسأين لكم جملة تكتفون بها إن شاء الله .

يا هذا يرحمك الله إن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا أهملهم سدى بل خلقهم بقدرته ، وجعلهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباباً ، ثم بعث النبيين «ع» مبشرين ومنذرين ، يأمرهم بطاعته وينهونهم عن معصيته ، ويعرفونهم بهاجهلوهم من أمر خالفهم ودينهم ، وأنزل عليهم كتاباً ، وبعث إليهم ملائكة ، وباين بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الذي جعله لهم عليهم ، وما آتاهم الله من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة ، والآيات الغالبة ، فمنهم : من جعل النار عليه برداً وسلاماً واتخذة خليلاً ، ومنهم : من كلمه تكليماً وجعل عصاه ثعباناً مبيناً ، ومنهم : من أحيا الموتى بأذن الله وأبرأ الأكمه والأبرص بأذن الله ، ومنهم من علمه منطق الطير وأوتي من كل شيء .

ثم بعث محمدًا «ص» رحمة للعالمين ونعم به نعمته ، وختم به أنبياءه وأرسله إلى الناس كافة ، وأظهر من صدقه ما أظهر ، وبين من آياته وعلاماته ما بين ، ثم قبضه «ص» حميداً فقيداً سعيداً ، وجعل الأمر من بعده إلى أخيه وابن عمه ووصيه ووارثه علي بن أبي طالب «ع» ، ثم إلى الأوصياء من ولده واحداً بعد واحد أحيا بهم دينه ، وأنم بهم نوره ، وجعل بينهم وبين إخوتهم وبني عمهم والأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم فرقاً بيناً ، تعرف به الحجة من المحجوج ، والإمام من المأموم : بأن عصمتهم من الذنوب ، وبرأهم من العيوب ، وطهرهم من الدنس ، ونزههم من اللبس ، وجعلهم خزان علمه ، ومستودع

حكيمته، وموضع سره، وأيدهم بالدلائل ولولا ذلك لكان الناس على سواء. ولادعى أمر الله عز وجل كل أحد، ولما عرف الحق من الباطل، ولا العلم من الجهل.

وقد ادعى هذا المبطل المدعي على الله الكذب بما ادعاه، فلا أدري بأية حالة هي له، رجا أن يتم دعواه بفقّه في دين الله؟! فوالله ما يعرف حلالاً من حرام، ولا يفرق بين خطأ وخطاب، أم يعلم؟! فما يعلم حقاً من باطل، ولا محكماً من متشابه ولا يعرف حد الصلاة ووقتها، أم بورع؟ فالله شهيد على تركه الصلاة الفرض (أربعين يوماً) يزعم ذلك لطلب الشعوذة، ولعل خبره تأدى إليكم وهاتيك ظروف مسكره منصوبة، وآثار عصيانه لله عز وجل مشهورة قائمة، أم بأية؟ فليأت بها أم بحجة؟! فليقمها. أم بدلالة؟ فليذكرها. قال الله عز وجل في كتابه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمَّ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مَعْضُونٌ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اثْنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دَعْوَاهُمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾^(١)

فالتمس- تولى الله توفيقك- من هذا الظالم ما ذكرت لك، وامتنحه واسأله عن آية من كتاب الله يفسرها، أو صلاة يبين حدودها وما يجب فيها، لتعلم حاله ومقداره، ويظهر لك عواره ونقصانه، والله حسيبه.

حفظ الله الحق على أهله، وأقره في مستقره، وأبى الله عز وجل أن تكون الإمامة في الأخوين إلا في الحسن والحسين، وإذا أذن الله لنا في القول ظهر الحق واضمحل الباطل، وانحسر عنكم. وإلى الله أرغب في الكفاية، وجميل الصنع والولاية وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وآل محمد.

محمد بن يعقوب الكليني^(٢) عن اسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري رحمه الله^(٣) أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل اشكلت علي فورد التوقيع بخط مولانا صاحب

(١) الأحقاف: ١-٦

(٢) قال المحقق الشيخ عباس القمي في ج ٣ من الكثر والألقاب ص ٩٨: «هو الشيخ الأجل قدوة الأنام، وملاذ المحدثين العظام، ومروج المذهب في غيبة الإمام عليه السلام، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي الملقب: (ثقة الاسلام) ألف الكافي الذي هو أجل الكتب الاسلامية وأعظم المصنفات الامامية والذي لم يعمل للامامية مثله، قال المولى محمد أمين الاستربادي في محكي فوائده: سمعنا من مشايخنا وعلمائنا أنه لم يصف في الاسلام كتاب يوازيه أو يدانيه، وكان خاله علان الكليني الرازي وقال النجاشي ص ٢٩٢: «شيخ أصحابنا بالري ووجههم وكان أوثق الناس في الحديث وأثبهم...» وقال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ١٤٥: «... صنف كتاب الكافي في عشرين سنة ومات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وقال الشيخ الطوسي وقال النجاشي: في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، سنة تناثر النجوم وصلى عليه محمد بن جعفر الحسيني أبو قيراط ودفن بباب الكوفة في مقبرتها...»

(٣) محمد بن عثمان العمري رحمه الله هو ثاني الوكلاء الأربعة ذكره الشيخ في رجاله ص ٥٩ وقال: «... يكنى أبا جعفر وأبوه يكنى أبا عمرو جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان عليه السلام ولهما منزلة جليلة عند الطائفة» وقال في الغيبة ص ٢١٨: «...»

الزمان عليه السلام :

أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك، ووقاك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا .
فاعلم : أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح .

وأما سبيل ابن عمي جعفر وولده، فسبيل اخوة يوسف «ع» .

وأما الفقاع فمكروه حرام ولا بأس بالشلماب .

وأما أموالكم فلا نقبلها الا لتطهروا، فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع، وما آتانا الله خير مما آتاكم .

وأما ظهور الفرج : فانه إلى الله وكذب الوقتون .

وأما قول من زعم أن الحسين لم يقتل، فكفر وتكذيب وضلال .

وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله .

وأما محمد بن عثمان العمري، فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فانه ثقتي وكتابه كتابي .

وأما محمد بن علي بن مهزيار الأهوازي ، فسبيل الله قلبه، ويزيل عنه شكه

وأما ما وصلنا به، فلا قبول عندنا إلا لما طاب وطهر، وثمن المغنية حرام .

وأما محمد بن شاذان بن نعيم، فانه رجل من شيعتنا أهل البيت .

وأما أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع، ملعون وأصحابه ملعونون فلا تجالس أهل مقاتلتهم، فإني منهم بريء، وآبائي «ع» منهم براء .

فلما مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه بنص أبي محمد عليه السلام عليه ونص أبيه عثمان عليه بأمر القائم عليه السلام . وفي ج ١ من سفينة البحار ص ٣٢٨ : . . . أبو جعفر باب الهادي وهو وكيل الناحية في خمسين سنة الذي ظهر على يديه من طرف المأمول المنتظر «ع» معاجز كثيرة وكان محمد رحمه الله شيخاً متواضعاً في بيت صغير ليس له غلمان . . . وروى عنه قال : إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم مع الناس كل سنة يرى الناس فيعرفهم ويرويه ولا يعرفونه وروى أنه قيل له : رأيت صاحب هذا الأمر ؟ قال : نعم وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول : أنجز لي ما وعدتني . وعنه أيضاً قال : رأيت صلوات الله عليه متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول : اللهم انتقم بي من أعدائك . وروى أنه حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج ونقش فيه آيات من القرآن وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيه قبل سئل عن ذلك فقال : للناس أسباب ، وكان في كل يوم يتزل في قبره ويقرأ جزءاً من القرآن ثم يصعد ، قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ١٤٩ ثم سئل بعد ذلك فقال : قد أمرت أن أجمع أمري ، فمات بعد شهرين من ذلك في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة وقيل : سنة أربع وثلاثمائة . . وقال عند موته امرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى إليه . . ، وقبره ببغداد مشيد ويعرف بالشيخ الغلاني .

وأما المتلسون بأموالنا، فمن استحل منها شيئاً فأكله، فاعنا يأكل النيران وأما الخمس، فقد ابيع
لشيعتنا وجعلوا منه في حل إلى وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم، ولا تحث.

وأما ندامة قوم شكوا في دين الله على ما وصلونا به، فقد أقلنا من استقال فلا حاجة إلى صلة
الشاكين.

وأما علّة ما وقع من الغيبة، فإنّ الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ
تَبْدِلُكُمْ تَسْوِكُمْ﴾^(١) إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنّي أخرج
حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.

وأما وجه الانتفاع بي في غيبي، فكالاتفاح بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وإنّي لأمان
لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا أبواب السؤال عما لا يعينكم، ولا تتكلفوا علم
ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب
وعلى من اتبع الهدى.

أبو الحسن عليّ بن أحمد الدلال القمي^(٢) قال: اختلف جماعة من الشيعة في أنّ الله عز وجل فوض
إلى الأئمة صلوات الله عليهم أن يخلقوا ويرزقوا، فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله تعالى، لأنّ
الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز وجل، وقال آخرون: بل الله أقدر الأئمة على ذلك وفوض إليهم
فخلقوا ورزقوا، وتنازعوا في ذلك نزاعاً شديداً، فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن
عثمان فتسألوه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه، فانه الطريق إلى صاحب الأمر، فرضيت الجماعة بأبي
جعفر وسلمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع، نسخته:
إنّ الله تعالى هو الذي خلق الأجسام، وقسم الأرزاق، لأنّه ليس بجسم ولا حال في جسم، ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأما الأئمة عليهم السلام، فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم،
وإعظماً لحقهم.

عن أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي-ره^(٣) قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن

(١) المائدة: ١٠٤.

(٢) ج ٣ من رجال المامقاني ص ١١ باب الكنى: أبو الحسن الدلال ليس له ذكر في كلمات أصحابنا الرجالين وإنما الذي عثرنا
عليه رواية الكليني رحمه الله في باب تزييع القبر من الكافي عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن إسماعيل عنه عن يحيى بن أبي عبد الله.

(٣) قال الشيخ عباس القمي في ج ١ من الكنى والألقاب ص ٢١٢: «أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه
القمي، شيخ الحفظة ووجه الطائفة المستحقة رئيس المحدثين والصدوق فيما يرويه عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام ولد بدعاء
مولانا صاحب الأمر ع»، ونال بذلك عظيم الفضل والفخر فعمت بركته الأنام وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام، له نحو من ثلاثمائة
مصنف. قال ابن إدريس في حقه ره: «إنه كان ثقة جليل القدر بصيراً بالأخبار ناقدًا للآثار، عالماً بالرجال، وهو استاذ المفيد محمد بن
محمد بن النعمان ره»، وقال العلامة في ترجمته: شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان ورد بغداد سنة ٣٥٥ وسمع منه شيوخ الطائفة،

إسحاق الطالقاني^(١) قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه^(٢) مع جماعة منهم علي بن عيسى القصري، فقام إليه رجل فقال له: أريد أن أسألك عن شيء فقال له: سل عما بدا لك.

فقال الرجل: أخبرني عن الحسين بن علي^(ع) أهو ولي الله؟ قال: نعم.

قال: أخبرني عن قاتله لعنه الله أهو عدو الله؟ قال: نعم.

قال الرجل، فهل يجوز أن يسلم الله عز وجل عدوه على وليه؟

فقال أبو القاسم قدس الله روحه: إفهم عني ما أقول لك! إعلم أن الله تعالى لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان، ولا يشافهم بالكلام، ولكنه جلت عظمته يبعث إليهم من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، ولو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم، ولم يقبلوا منهم، فلما جاء وهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، قالوا لهم: انتم بشر مثلنا لا نقبل منكم حتى تأتونا بشيء نعجز من أن نأتي بمثله، فتعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا تقدر عليه، فجعل الله عز وجل لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها.

== وهو حدث السن كان جليلاً جليلاً للأحداث بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، لا نحو من ثلاثمائة مصنف ذكرنا أكثرها في كتابنا الكبير، مات سنة ٤٠٠ هـ بالري سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة انتهى. وقال الاستاذ الأكبر في التعليقة: نقل المشايخ معتنياً عن شيخنا البهائي وقد سئل عنه فعذله ووثقه وأثنى عليه، وقال: سئلت قديماً عن زكريا بن آدم والصدوق محمد بن علي بن بابويه أيهما أفضل وأجل مرتبة فقلت: زكريا بن آدم لتوافر الأخبار بمدحه، قرأت شيخنا الصدوق قدس سره عاتياً علي وقال: من أين ظهر لك فضل زكريا بن آدم علي؟ وأعرض عني كذا في جاشية المحقق البحراني على بلغته. وقبره رحمه الله في بلدة الري قرب عبد العظيم الحسيني مزار معروف في بقعة عالية في روضة موفقة وله خبر مستفيض مشهور ذكره وضاء وعده من كراماته وأطراف قبره قبور كثير من أهل الفضل والامان... ==

(١) في ج ٢ من جامع الرواة ص ٤٣ محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني- رحمه الله- عنه أبو جعفر بن بابويه مترجماً وهو عن الحسين بن روح قدس الله روحه ما ينشئ عن حسن حاله واعتقاده (كتاب ميرزا محمد)

(٢) الحسين بن روح: أحد النواب الأربعة في الجزء الأول من سفينة البحار ص ٢٧١: «أخبرنا جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى قال أخبرني أبو علي محمد بن همام رضي الله عنه وأرضاه أن أبا جعفر محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه، جمعنا قبل موته وكنا وجوه الشيعة وشيوخها فقال لنا: إن حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح التوبختي فقد امرت أن أجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه وعولوا في أموركم عليه، وفي رواية أخرى ما حاصلها أنه لما اشتدت حال أبي جعفر رحمه الله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة فدخلوا عليه فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر التوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر، والوكيل والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم، فبذلك امرت وقد بلغت، وعن أم كلثوم بنت أبي جعفر- رضي- قالت: كان الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح- رحمه الله- وكليلاً لأبي جعفر- أي: محمد بن عثمان- ستين سنة ينظر له في أملاكه ويلقى بلساره الرؤساء من الشيعة، وكان خصيصاً به، حتى أنه كان يحدّثه ما يجري بينه وبين جواربه لقربه منه واتسه، وكان يدفع إليه في كل شهر ثلاثين ديناراً رزقاً له غير ما يصل إليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم ولوضعه وجلالة محله عندهم، فحصل في أنفس الشيعة محلاً جليلاً لمعرفتهم باختصاص أبي إياه وثوقيته عندهم، ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر فتصهنت له الحال في حياة أبي إلى أن انتهت الوصية إليه بالنص عليه فلم يختلف في أمره ولم يشك فيه أحد إلا جاهل بأمر أبي... وكان أبو سهل التوبختي يقول في حقه: أنه لو كان الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الليل... مات رحمه الله في شعبان سنة ٣٢٦ وقبره في بغداد...»

فمنهم : من جاء بالطوفان بعد الإغذار والإنذار فغرق جميع من طغى وتمادى .

ومنهم : من القى في النار فكانت عليه يرداً وسلاماً .

ومنهم : من أخرج من الحجر الصلب الناقة ، وأجرى من ضرعها لبناً .

ومنهم : من فلق له البحر وفجر له من العيون ، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون .

ومنهم : من أبرأ الأكمه والأبرص وأحى الموتى باذن الله ، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في

بيوتهم .

ومنهم : من انشق له القمر وكلمته البهائم ، مثل البعير والذئب وغير ذلك . فلما أتوا بمثل ذلك

وعجز الخلق عن أمهم من أن يأتوا بمثله ، كان من تقدير الله جل جلاله ولطفه بعباده وحكمته : أن جعل

أنبياءه مع هذه المعجزات في حال غالبين وأخرى مغلوبين ، وفي حال قاهرين وأخرى مقهورين ، ولو

جعلهم الله في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ، ولم ينلهم ولم يمتحنهم لاتخاذهم الناس آلهة من دون الله عز

وجل ، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار ، ولكنه جعل أحوالهم في ذلك كأحوال

غيرهم ، ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين ،

ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شاكخين ولا متجبرين ، وليعلم العباد أن لهم «ع» إلهاً هو خالقهم

ومدبرهم فيعبده ويطيعوا رسله ، وتكون حجة الله ثابتة على من تجاوز الحد فيهم ، وادعى هم الربوبية ،

أو عاند وخالف ، وعصى وجحد ، بما آتت به الأنبياء والرسل ، وليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى

عن بينة .

قال محمد بن إبراهيم بن إسحاق (ره) : فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (ره) في

الغد وأنا أقول في نفسي : أترأه ذكر لنا ما ذكر يوم أمس من عند نفسه ؟

فابتدأني وقال : يا محمد بن إبراهيم لئن أخرج من السماء فتختطفني الطير أو تهوي بي الريح في

مكان سحيق أحب إلي من أن أقول في دين الله برأى ، ومن عند نفسي ، بل ذلك عن الأصل ، ومسموع

من الحجة صلوات الله عليه وسلامه .

ومما خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه ، رداً على الغلاة من التوقيع جواباً لكتاب كتب

إليه على يدي محمد بن علي بن هلال الكرخي .

يا محمد بن علي تعالى الله وجل عما يصفون ، سبحانه وبحمده ، ليس نحن شركاؤه في علمه ولا في

قدرته ، بل لا يعلم الغيب غيره ، كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١)

وأنا وجميع آبائي من الأولين : آدم ونوح وإبراهيم وموسى ، وغيرهم من النبيين ، ومن الآخرين

محمد رسول الله وعلي بن أبي طالب وغيرهم ممن مضى من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري عبید الله عز وجل يقول الله عز وجل: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ قال ربِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً* قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى*^(١)

يا محمد بن علي قد آذانا جهلاء الشيعة وحقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه. فأشهد الله الذي لا إله إلا هو وكفى به شهيداً، ورسوله محمداً صلى الله عليه وآله، وملائكته وأنبياءه، وأوليائه ع.

وأشهدك، وأشهد كل من سمع كتابي هذا أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب، ونشاركه في ملكه، أو يحلنا محلاً سوى المحل الذي رضى الله لنا وخلقنا له، أو يتعدى بنا عما قد فسرته لك وبينته في صدر كتابي.

وأشهدكم: أن كل من نبرأ منه فإن الله يبرأ منه وملائكته ورسوله وأوليائه وجعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه لأحد من موالي وشيعتي، حتى يظهر على هذا التوقيع الكل من الموالي لعل الله عز وجل يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحق، وينتهون عما لا يعلمون منتهى أمره، ولا يبلغ منتهاه، فكل من فهم كتابي ولا يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته، فقد حلت عليه اللعنة من الله ومن ذكرت من عباده الصالحين.

روى أصحابنا: أن أبا محمد الحسن السريعي، كان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ع وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه من قبل صاحب الزمان ع وكذب على الله وحججه ع، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء، ثم ظهر منه القول بالكفر والالحاد، وكذلك كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن ع، فلما توفي ادعى البابية لصاحب الزمان، ففضحه الله تعالى بما ظهر منه من الالحاد والغلو والتناسخ، وكان يدعي أنه رسول نبي أرسله علي بن محمد ع، ويقول بالإباحة للمحارم، وكان أيضاً من جملة الغلاة: أحمد بن هلال الكرخي، وقد كان من قبل في عدد أصحاب أبي محمد ع، ثم تغير عما كان عليه وأنكر بابية أبي جعفر محمد بن عثمان، فخرج التوقيع يلعنه من قبل صاحب الأمر والزمان وبالبراءة منه، في جملة من لعن وتبرأ منه، وكذا كان أبو طاهر محمد بن علي بن بلال، والحسين بن منصور الحلاج، ومحمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقري، لعنهم الله، فخرج التوقيع بلعنهم والبراءة منهم جميعاً، على يد الشيخ أبي القاسم الحسين ابن روح (ره) ونسخته:

عرفد أطل الله بقالك! وعرفك الله الخير كله وختم به عملك من تثق بدينه وتسكن إلى نيته، من إخواننا أدام الله سعادتهم: بأن (محمد بن علي المعروف بالشلمغاني) عجل الله له النعمة ولا أمهله، قد

ارتدعن الاسلام وفارقه، وألحد في دين الله وادعى : ما كفر معه بالخالق جل وتعالى، وافترى كذباً وزوراً، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراً مبيناً.

وإنا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته منه، ولعنناه، عليه لعائن الله نترى، في الظاهر منا والباطن، والسر والظهر، وفي كل وقت، وعلى كل حال، وعلى كل من شايعه وبلغه هذا القول منا فأقام على تولاه بعده.

أعلمهم-تولاك الله- : إنا في التوقي والمحاذرة منه على مثل ما كنا عليه ممن تقدمه من نظرائه، من : (السريعي، والتميري، والهلالي، والبلالي) وغيرهم وعادة الله جل ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة، وبه شق وإياه نستعين وهو حسبننا في كل أمورنا ونعم الوكيل^(١).

(١) قال الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة ص ٢٤٤ : «ذكر المذمومين الذين ادعوا الباطية لعنهم الله أولهم المعروف بالسريعي «أخبرناه جماعة عن أبي محمد التلعكبري، عن أبي علي محمد بن همام «قال : كان السريعي يكنى : بـ «أبي محمد» «قال» هارون : وأظن اسمه كان «الحسن». وكان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ثم الحسن بن علي بعده عليهم السلام. وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه، ولم يكن أهلاً له، وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام، ونسب إليهم ما لا يليق بهم، وما هم منه براء، فلعنته الشيعة وتبرأت منه، وخرج توقيع الإمام «ع» بلعنه والبراءة منه. قال هارون : ثم ظهر منه القول بالكفر والالحاد.

قال : وكل هؤلاء المدعين إنما يكون كذبهم أولاً على الإمام وأنهم وكلاؤه، فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم، ثم يترقى الأمر بهم إلى قول الخلافة كما اشتهر من أبي جعفر الشليمان ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله نترى.

ومهم : محمد بن نصير التميري (قال ابن نوح) : أخبرنا أبو نصر هبة الله بن محمد (قال) : كان محمد بن نصير التميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليها السلام فلما توفي أبو محمد ادعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان، وادعى له الباطية : وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الالحاد والجهل، ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له وتبريه منه، واحتجابه عنه، وادعى ذلك الأمر بعد السريعي.

(قال أبو الخطاب الأنباري) لما ظهر محمد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر رضي الله عنه وتبرأ منه، فبلغه ذلك فقصد أبا جعفر رضي الله عنه، ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه، فلم يأذن له وحجبه ورده خائباً.

(وقال) سعد بن عبد الله : كان محمد بن نصير التميري يدعي : أنه رسول نبي وأن علي بن محمد (ع) أرسله، وكان يقول بالتناسخ، ويقول في أبي الحسن (ع) ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالاباحة للمحارم، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أديارهم ويزعم : أن ذلك من التواضع والاختيار والتدلل في المفعول به، وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لا يحرم شيئاً من ذلك، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات يقوي أسبابه ويعضده.

(أخبرني) بذلك عن محمد بن نصير أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان : أنه رآه عياناً وغلماً على ظهره.

(قال) : فلقبته فعاتبته على ذلك فقال : إن هذا من اللذات، وهو من التواضع لله وترك التجبر.

(قال) سعد : فلما اعتل محمد بن نصير العلة التي توفي فيها، قيل له - وهو مثقل اللسان - : لمن هذا الأمر من بعدك ؟ فقال - بلسان ضعيف ملجأ - : أحمد فلم يدروا من هو، فافترقوا بعده ثلاث فرق.

قالت فرقة : إنه أحمد ابنه، وفرقة قالت : هو أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات وفرقة قالت : إنه أحمد بن أبي الحسين ابن بشر بن يزيد، فنفرقوا فلا يرجعون إلى شيء.

وممنهم : أحمد بن هلال الكرخي، قال أبو علي بن همام : كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد (ع) فاجتمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان - رضي الله عنه - بنصر الحسن (ع) في حياته. ولما مضى الحسن (ع) قالت الشيعة الجماعة

= ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه ، وقد نص عليه الامام المفترض الطاعة ؟
فقال لهم : لم أسمعه بنص عليه بالوكالة وليس انكر أباه - أي : عثمان بن سعيد - فاما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه .

فقالوا : قد سمعنا غيرك ، فقال أنتم وما سمعتم ، ووقف على أبي جعفر فلعنوه وتبرعوا منه ، ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن .

وممنهم : أبو طاهر محمد بن علي بن بلال ، وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري - نصر الله وجهه - ونمسه بالأموال التي كانت عنده للامام ، وامتناعه من تسليمها ، وادعائه أنه الوكيل ، حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه وخرج فيه من صاحب الزمان ما هو معروف .

(وحكى) أبو غالب الرازي : قال : حدثني أبو الحسن محمد بن محمد بن يحيى المعاذي قال :
كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبي طاهر بن بلال بعد ما وقعت الفرقة ثم أنه رجع عن ذلك وصار في جملتنا فسأناه عن النسب قال :

كنت عند أبي طاهر بن بلال يوماً وعنده أخوه أبو الطيب وابن حرز وجماعة من أصحابه إذ دخل الغلام فقال : أبو جعفر على الباب ، ففرغت الجماعة لذلك ، وانكرته للمحال التي كانت جرت وقال : يدخل .

فدخل أبو جعفر - رضي الله عنه - فقام له أبو طاهر والجماعة . وجلس في صدر المجلس ، وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه ، إلى أن سكتوا - ثم قال : يا أبا طاهر نشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال إلي ؟
فقال : اللهم نعم .

فنهض أبو جعفر - رضي الله عنه - منصرفاً ، ووقعت على القوم سكتة ، فلما تجملت عنهم قال له أخوه أبو الطيب :
من أين رأيت صاحب الزمان ؟
فقال أبو طاهر : أدخلني أبو جعفر - رضي الله عنه - إلى بعض دوره فأشرف علي من علو داره فأمرني بحمل ما عندي من المال إليه .

فقال له أبو الطيب : ومن أين علمت أنه صاحب الزمان (ع) ؟
قال : قد وقع علي من الهبة له ، ودخلني من الرعب منه ، ما علمت أنه صاحب الزمان (ع) ، فكان هذا سبب انقطاعي عنه .

وممنهم : الحسين بن منصور الحلاج ، أخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال :

لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ، ويظهر فضيحته ويخزيه ، وقع له أن أبا سهل بن إسماعيل بن علي النوبختي - رضي الله عنه - ممن تجوز عليه غرقته ، ووجه إليه يستدعيه وطن أن أبا سهل كفيته من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله ، وقدر أن يستجره إليه فيتمخرق به ، ويشوف بانقياده على غيره ، فيستب إليه ما قصد إليه من الحيلة والبهجة على الضعفة لقدر أبي سهل في أنفس الناس وعمله من العلم والأدب أيضاً عندهم .

ويقول له في مراسلته إياه : إني وكيل صاحب الزمان (ع) - وبهذا أولاً كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره - وقد امرت بمراسلتك وإظهار ما تريد من النصرة لك لتقوى نفسك ، ولا ترتاب بهذا الأمر .

فأرسل إليه أبو سهل - رضي الله عنه - يقول له :

إني أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك ، في جنب ما ظهر على يدك ، من الدلائل والبراهين ، وهو أني رجل أحب الجوارى وأصبر إليهن ، ولي منهن عدة انحطاهن والشيب يعندي عنهن ، واحتاج أن أعضيه في كل جمعة وأحمل منه مشقة شديدة لاستر عنهن ذلك ، وألا انكشف أمرى عندهن ، فصار القرب بعداً ، والوصال هجراً وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته ، وتجعل لحفي سوداء ، فإني طوع يديك ، وصائر إليك ، وقائل بقولك ، وداع إلى مذهبك ، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة .

وأما الابواب المرضيون ، والسفراء الممدوحون في زمان الغيبة :

فأولهم : الشيخ الموثوق به أبو عمرو (عثمان) بن سعيد العمري : نصبه أولاً أبو الحسن علي بن محمد العسكري ، ثم ابنه أبو محمد الحسن ، فتولى القيام بأمورهما حال حياتهما « ع » ، ثم بعد ذلك قام

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه : علم أنه قد أخطأ في مراسلته ، وبهل في الخروج إليه بمذمبه ، وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً ، ولم يرسل إليه رسولاً ، وصيره أبو سهل - رضي الله عنه - أجدونه وضحكة ويقظن به (أي يسخر) عند كل أحد ، وشهر أمره عند الكبير والصغير ، وكان هذا الأمر سبباً لكشف أمره ، وتغير الجماعة عنه .

ومهم : ابن أبي العزاقر ، أخو الحسين بن إبراهيم عن أحمد بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري « رضي الله عنه » (قال) : كان أبو جعفر بن أبي العزاقر وجيهاً عند بني بسطام وذلك أن الشيخ أبا القاسم « رضي الله تعالى عنه وأرضاه » كان قد جعل له عند الناس منزلة وجاهاً ، فكان عند ارتداده يحكي كل كذب ويلاء ، وكفر لبني بسطام ويسنده عن الشيخ أبي القاسم ، فيقبلونه منه ويأخذونه عنه ، حتى انكشف ذلك لأبي القاسم « رضي الله عنه » فأنكروه وأعظمه ، ونهى بني بسطام عن كلامه وأمرهم بلعنه والبراءة منه فلم ينتهوا ، وأقاموا على توليه وذلك أنه كان يقول هم :

إني أذعت السر وقد أخذ علي الكتمان فعوقبت بالابعاد بعد الاختصاص ، لأن الأمر عظيم لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن محتج ، فيؤكد في نفوسهم عظم الأمر وجلالته ، فبلغ ذلك أبا القاسم « رضي الله عنه » فكتب إلى بني بسطام بلعنه والبراءة منه وعن تابعه على قوله وأقام على توليه ، فلما وصل إليهم أظهروه عليه فبكى بكاء عظيماً ثم قال : إن لهذا القول باطناً عظيماً وهو : أن اللعنة (الأبعاد) فمعنى قوله لعنه الله أي : باعده الله عن العذاب والنار ، والآن قد عرفت منزلتي ومرغ خدي على التراب وقال : عليكم بالكتمان لهذا الأمر ، قالت الكبيرة « رضي الله عنها » : وقد كنت أخبرت الشيخ أبا القاسم أن أم أبي جعفر ابن بسطام قالت لي يوماً وقد دخلنا إليها فاستقبلتني وأعظمتني وزادت في إعظامي حتى انكبت على رجلي تغلبها فأنكرت ذلك وقلت لها : مهلاً يا سني

فقلت لي : إن الشيخ أبا جعفر محمد بن علي قد كشف لنا السر . قالت : فقلت لها : وما السر ؟

قالت : قد أخذ علينا كتمان ، وأفرغ إن أنا أذعته عوقبت .

قالت : وأعطينها موثقاً أني لا أكشفه لأحد واعتقدت في نفسي الاستثناء بالشيخ « رضي الله عنه » يعني أبا القاسم

الحسين بن روح .

قالت : إن الشيخ أبا جعفر قال لنا : إن روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتقلت إلى أيبك يعني : أبا جعفر محمد بن عثمان « رضي الله عنه » وروح أمير المؤمنين علي (ع) انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح ، وروح مولانا فاطمة (ع) انتقلت إليك فكيف لا أعظمك يا ستنا ؟

فقلت لها : مهلاً لا تفعل فان هذا كذب يا ستنا .

فقلت لي : سر عظيم وقد أخذ علينا أننا لا نكشف هذا لأحد فإله الله في لا يحل لي العذاب ، وبأ سني لولا أنك حملتني على كشفه ما كشفته لك ولا لأحد غيرك .

قالت الكبيرة أم كلثوم « رضي الله عنها » فلما انصرفت من عندها دخلت على الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح « رضي الله عنه » فأخبرته بالقصة وكان يثق بي ويركن إلى قولي .

فقال لي : يا بنية إياك أن تمضي إلى هذه المرأة بعد ما جرى منها ، ولا تقبل لها رقعة إن كاتبك ، ولا رسولاً إن أنفذته إليك ، ولا تلقىها بعد قولها ، فهذا كفر بالله تعالى وإلحاد قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم : بأن الله تعالى اتحد به وحل فيه كما يقول النصارى في المسيح (ع) ويعتدوا بقول الحلاج لعنه الله .

قالت : فهجرت بني بسطام ، وتركت المضي إليهم ، ولم أقبل لهم عذراً ، ولا لقيت منهم بعدها ، وشاع في بني نوبخت الحديث لم يبق أحد إلا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكانت بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه وعن بتولاه ورضي بقوله أو كلمه فضلاً عن مولاته ، ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان (ع) بلعن أبي جعفر محمد بن علي والبراءة منه وعن تابعه وشايعه ورضي بقوله وأقام على توليه بعد المعرفة بهذا التوقيع وله حكايات قيحة نزه كتابنا عن ذكرها ، ذكرها ابن نوح وغيره .

بأمر صاحب الزمان «ع» وكان توقيعاته وجواب المسائل تخرج على يديه .

فلما مضى لسبيله ، قام ابنه أبو جعفر (محمد) بن عثمان مقامه ، وناب منابه في جميع ذلك .

فلما مضى هو ، قام بذلك أبو القاسم (حسين بن روح) من بني نويخت ، فلما مضى هو ، قام مقامه أبو الحسن (علي) بن محمد السمري ^(١) ولم يبق أحد منهم بذلك الا ينص عليه من قبل صاحب الأمر «ع» ، ونصب صاحبه الذي تقدم عليه ، ولم تقبل الشيعة قولهم الا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر «ع» ، تدل على صدق مقالتهم ، وصحة بابيتهم فلما حان سفر أبي الحسن السمري من الدنيا وقرب أجله قيل له : إلى من توصي ؟

فأخرج إليهم توقيعاً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً .

وسأتي إلى شيعتي من يدعي المشاهدة ، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناتي والصيحة فهو كذاب مفتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فنسخوا هذا التوقيع وخرجوا ، فلما كان اليوم السادس عادوا إليه وهو يجود بنفسه .

فقال له بعض الناس : من وصيك من بعدك ؟

فقال : الله أمر هو بالغه ، وقضى فهذا آخر كلام سمع منه (ر .) .

(١) قال في الجزء الثاني من سفينة البحار ص ٢٤٩ : « الشيخ الأجل علي بن محمد السمري رضي الله عنه ، أبو الحسن ، قام بأمر النيابة بعد الحسين بن روح رضي الله عنه ، ومضى في النصف من شعبان سنة (٣٢٩) تسع وعشرين وثلاثمائة ، وأخرج إلى الناس توقيعاً قبل وفاته بأيام :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا علي بن محمد السمري ، أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد الخ .

فلما كان اليوم السادس دخلوا عليه وهو يجود بنفسه فقيل له : من وصيك من بعدك ؟

فقال : الله أمره وبالفقه ، وقضى رحمه الله . . . روي انه قال يوماً لجمع من المشايخ عنده أجركم الله في علي بن الحسين - أي : ابن بابويه - فقد قبض في هذه الساعة .

قالوا : فاثبتنا تاريخ الساعة واليوم والشهر ، فلما كان بعد سبعة عشر يوماً أو ثمانية عشر ، ورد الخبر : انه قبض في تلك الساعة التي ذكرها الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه . . وقبره ببغداد بالقرب من قبر الكليني رحمه الله .

[ذكر طرف مما خرج أيضاً عن صاحب الزمان «ع» من المسائل الفقهية وغيرها ، في التوقيعات على أيدي الأبواب الأربعة وغيرهم] .

عن محمد بن يعقوب الكليني ، رفعه عن الزهري ، قال طلبت هذا الأمر طلباً شافياً حتى ذهب لي فيه مال صالح ، فوقعت إلى العمري وخدمته ولزمته ، فسألته بعد ذلك عن صاحب الزمان «ع» قال : ليس إلى ذلك وصول ، فخصمت له . فقال لي : بكر بالغداة .

فوافيت ، فاستقبلني ومعه شاب من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم ريحاً وفي كفه شيء كهية التجار ، فلما نظرت إليه دنوت من العمري ، فأومى إليهِ فعدلت إليهِ وسألته فأجابني عن كل ما أردت . ثم مر ليدخل الدار وكانت من الدور التي لا يكثر بها .

فقال العمري : إن أردت أن تسأل فاسأل فانك لا تراه بعد ذا .

فذهبت لأسأل فلم يستمع ودخل الدار وما كلمني بأكثر من أن قال : ملعون ملعون من آخر العشاء إلى أن تشتبك النجوم ، ملعون ملعون من آخر الغداة إلى أن تنفض النجوم ، ودخل الدار .

وعن أبي الحسن محمد بن جعفر الأسدي^(١) قال : كان فيما ورد علي من الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه في جواب مسائل إلى صاحب الزمان :

أما ما سألت عنه من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فلتن كان كما يقول الناس : « أن الشمس تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان » فما أرغم أنف الشيطان شيء أفضل من الصلاة ، فصلها وارغم الشيطان أنفه .

وأما ما سألت عنه من أمر الوقف على ناحيتنا ، وما يجعل لنا ثم يحتاج إليه صاحبه ، فكل ما لم يسلم فصاحبه فيه بالخيار ، وكل ما سلم فلا خيار لصاحبه فيه احتاج أو لم يحتج ، افتقر إليه أو استغنى عنه .

وأما ما سألت عنه من أمر من يستحل ما في يده من أموالنا ويتصرف فيه تصرفه في ماله من غير أمرنا ، فمن فعل ذلك فهو ملعون ، ونحن خصماؤه يوم القيامة ، وقد قال النبي « ص » : « المستحل من عترتي ما حرم الله ملعون على لساني ولسان كل نبي محاب » فمن ظلمنا كان في جملة الظالمين لنا ، وكانت لعنة الله عليه لقوله عز وجل : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾^(٢) .

(١) قال العلامة في الخلاصة ص ١٦٠ : « محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي أبو الحسين الكوفي سكن الري يقال له محمد بن أبي عبد الله كان ثقة صحيح الحديث إلا أنه روى عن الضعفاء وكان يقول بالجبر والنشيه فأنا في حديثه من المتوقفين ، وكان أبوه وجهاً ، روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى . وقال الشيخ الطوسي رحمه الله في رجاله ص ٤٩٦ : « محمد بن جعفر الأسدي كان يكفر أبو الحسين الرازي كان أحد الأبواب » .

وأما ما سألت عنه عن أمر المولود الذي نبتت غلفته بعد ما يخنن مرة أخرى فانه يجب أن يقطع غلفته فإن الأرض تضج إلى الله تعالى من بول الأغلف أربعين صباحاً .

وأما ما سألت عنه من أمر المصلي والنار والصورة والسراج بين يديه، هل يجوز صلاته؟ فإن الناس قد اختلفوا في ذلك قبلك، فانه جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الأصنام والنيران، أن يصلي والنار والسراج بين يديه، ولا يجوز ذلك لمن كان من أولاد عبدة الأوثان والنيران .

وأما ما سألت عنه عن أمر الضياع التي لناحيتنا، هل يجوز القيام بعمارها وأداء الخراج منها، وصرف ما يفضل من دخلها إلى الناحية، احتساباً للأجر، وتقرباً إليكم؟

فلا يحل لأحد أن يتصرف في مال غيره بغير إذنه، فكيف يحل ذلك في مالنا من فعل ذلك بغير أمرنا فقد استحل منا ما حرم عليه، من أكل من أموالنا شيئاً فانما يأكل في بطنه ناراً وسيصل سعيراً .

وأما ما سألت عنه من أمر الرجل الذي يجعل لناحيتنا ضيعة، ويسلمها من قيم يقوم بها ويعمرها، ويؤدي من دخلها خراجها ومؤنتها، ويجعل ما بقي من الدخل لناحيتنا فإن ذلك جائز لمن جعله الضيعة قياً عليها، إنما لا يجوز ذلك لغيره .

وأما ما سألت عنه من الثمار من أموالنا يمر به المار فيتناول منه ويأكل، هل يحل له ذلك؟ فانه يحل له أكله ويحرم عليه حمله .

وعن أبي الحسين الأسدي أيضاً قال: ورد عليّ توقيع من الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري - قدس الله روحه - ابتداء لم يتقدمه سؤال عنه، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، على من استحل من أموالنا درهماً .

قال أبو الحسين الأسدي (ره) . فوقع في قلبي أن ذلك فيمن استحل من مال الناحية درهماً دون من أكل منه غير مستحل، وقلت في نفسي: إن ذلك في جميع من استحل محرماً، فأي فضل في ذلك للحجة (ع) على غيره؟!

قال: هو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق بشيراً، لقد نظرت بعد ذلك في التوقيع فوجدته قد انقلب إلى ما كان في نفسي:

بسم الله الرحمن الرحيم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من أكل من مالنا درهماً حراماً .

وقال أبو جعفر بن بابويه - في الخبر الذي روي فيمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً أن عليه ثلاث كفارات - : فاني افقي به فيمن أفطر بجماع محرم عليه أو بطعام محرم عليه لوجود ذلك في روايات

أبي الحسن الأسدي (ر ه) قيبا ورد عليه من الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان (ر ه).

وعن عبد الله بن جعفر الحميري (١) قال : خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان قدس الله روحه في التعزية بأبيه (ر ه) في فصل من الكتاب :

إنا لله وإنا إليه راجعون ، تسلياً لأمره ، ورضاً بقضائه ، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً ، فرحه الله وألحقه بأوليائه ومواليه «ع» فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل ، نضر الله وجهه ، وأقاله عشرته .

وفي فصل آخر : أجزل الله لك الثواب ، وأحسن لك العزاء ، رزيت ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا ، فسر الله في منقلبه ، كما كان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده ، ويقوم مقامه بأمره ، ويترحم عليه ، وأقول : الحمد لله ، فإن النفس طيبة بمكانك ، وما جعله الله عز وجل فيك وعندك ، أعانك الله وقواك ، وعضدك ووفقك ، وكان لك ولياً وحافظاً ، وراعياً وكافياً .

ومما خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه من جوابات المسائل الفقهية أيضاً : ما سأله عنها محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري فيما كتب إليه وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم
مركز البحوث الإسلامية

أطال الله بقاءك ، وأدام الله عزك ، وتأيدك ، وسعادتك ، وسلامتك ، وأتم نعمته عليك ، وزاد في إحسانه إليك ، وجعل مواهبه لديك ، وفضله عندك ، وجعلني من السوء فداك ، وقد مني قبلك الناس يتنافسون في الدرجات ، فمن قبلتموه كان مقبولا ، ومن دفعتموه كان وضيعاً ، والخامل من وضعتموه ، ونعوذ بالله من ذلك وبيلدنا - أيدك الله - جماعة من الوجوه يتساوون ويتنافسون في المنزلة ، وورد - أيدك الله - كتابك إلى جماعة منهم في أمر أمرتهم به من معاونة (ص) .

وأخرج علي بن محمد بن الحسين بن الملك المعروف بملك بادوكة (٢) وهو ختن (ص) رحمه الله من بينهم فاغتم بذلك ، وسألني أيدك الله أن اعلمك ما ناله من ذلك ، فإن كان من ذنب فاستغفر الله منه ، وإن يكن غير ذلك عرفته ما تسكن نفسه إليه إن شاء الله التوقيع : لم نكتب إلا من كاتبنا .

وقد عودتني أدام الله عزك من تفضلك ما أنت أهل أن تحبرني على العادة وقبلك أعزك الله فقهاؤنا قالوا : محتاج إلى أشياء تسأل لي عنها :

(١) قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص ١٠٦ : « عبد الله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميري » بالخاء المهملة أبو العباس القمي شيخ القميين ووجههم ، قدم الكوفة سنة ثيف وتسعين ومائتين ، من أصحاب أبي محمد الحسن العسكري ع .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

روى لنا عن العالم «ع»: أنه سئل عن إمام قوم صلى بهم بعض صلاتهم، وحدثت عليا حادثة كيف يعمل من خلفه؟

فقال: يؤخر، ويتقدم بعضهم ويتم صلاتهم، ويتنسل من مسه.

التوقيع: ليس على من نحاه إلا غسل اليد، وإذا لم يحدث حادثة يقطع الصلاة ثم صلاته مع القوم.

وروى عن العالم «ع»: أن من مس ميتاً بحرارته غسل يده، ومن مسه وقد برد فعليه الغسل، وهذا الامام في هذه الحالة لا يكون إلا بحرارة، فالعمل في ذلك على ما هو، ولعله ينحيه بشيابه ولا يمسه، فكيف يجب عليه الغسل؟

التوقيع: إذا مسه على هذه الحال لم يكن عليه إلا غسل يده.

وعن صلاة جعفر: إذا سها في التسييح في قيام أو قعود، أو ركوع أو سجود وذكره في جالة أخرى قد صار فيها من هذه الصلاة، هل يعيد ما فاتته من ذلك التسييح في الحالة التي ذكرها أم يتجاوز في صلاته؟

التوقيع: إذا سها في حالة من ذلك ثم ذكر في حالة أخرى، قضى ما فاتته في الحالة التي ذكره.

وعن المرأة: يموت زوجها، يجوز أن تخرج في جنازته أم لا؟

التوقيع: تخرج في جنازته.

وهل يجوز لها في عدتها أن تزور قبر زوجها أم لا؟

التوقيع: تزور قبر زوجها ولا تبيت عن بيتها.

وهل يجوز لها أن تخرج في قضاء حق يلزمها، أم لا تبرح من بيتها وهي في عدتها.

التوقيع: إذا كان حق خرجت فيه وقضته، وإن كانت لها حاجة ولم يكن لها من ينظر فيها خرجت بها حتى تقضيها، ولا تبيت إلا في بيتها.

وروى في ثواب القرآن في الفرائض وغيرها: أن العالم «ع» قال: عجباً لمن لم يقرأ في صلاته: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) كيف تقبل صلاته؟؟

وروى: ما زكت صلاة من لم يقرأ (قل هو الله أحد).

وروى أن من قرأ في فرائضه (الهمزة) أعطي من الثواب قدر الدنيا، فهل يجوز أن يقرأ (الهمزة) ويدع هذه السور التي ذكرناها، مع ما قد روي: أنه لا تقبل صلاة ولا تركوها إلا بهما؟

التوقيع: الثواب في السور على ما قد روي، وإذا ترك سورة مما فيها الثواب وقرأ (قل هو الله أحد

وإنا أنزلناه) لفضلها اعطي ثواب ما قرأ ، وثواب السور التي ترك ، ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين وتكون صلاته تامة ، ولكن يكون قد ترك الفضل .

وعن وداع شهر رمضان : متى يكون؟ فقد اختلف فيه أصحابنا ، فبعضهم يقول : يقرأ في آخر ليلة منه ، وبعضهم يقول : هو في آخر يوم منه إذا رأى هلال شوال؟

التوقيع : العمل في شهر رمضان في لياليه والوداع يقع في آخر ليلة منه ، فاذا خاف أن ينقص الشهر جعله في ليلتين .

وعن قول الله عز وجل : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(١) أرسل الله صلى الله عليه وآله المعني به ، ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾^(٢) ما هذه القوة ؟ ! ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ﴾^(٣) ما هذه الطاعة وأين هي ؟ ما اخرج لهذه المسألة جواب .

فرايكم أدام الله عزك بالتفضل عليّ بمسألة من تنق به من الفقهاء عن هذه المسائل فأجيبني عنها منعياً مع ما تشرحه لي من أمر عليّ بن محمد بن الحسين بن الملك المقدم ذكره بما يسكن إليه ، ويعتد بنعمة الله عنده ، وتفضل عليّ بدعاء جامع لي ولإخواني في الدنيا والآخرة فعلت مثاباً إن شاء الله .

التوقيع : جمع الله لك ولإخوانك خير الدنيا والآخرة .

كتاب آخر لمحمد بن عبد الله الحميري^(٤) أيضاً إليه عليه السلام في مثل ذلك :

فرايكم أدام الله عزك في تأمل رقعتي والتفضل بما أسأل من ذلك لا ضيفه إلى ساير أياديك عندي ومنتك عليّ ، واحتجت أدام الله عزك أن يسألني بعض الفقهاء عن المصلي إذا قام من التشهد الأول إلى الركعة الثالثة هل يجب عليه أن يكبر؟ فان بعض أصحابنا قال : لا يجب التكبير ، ويجزيه أن يقول بحول الله وقوته أقوم وأقعد؟

الجواب : إن فيه حديثين :

أما أحدهما : فانه إذا انتقل من حالة إلى حالة أخرى فعليه التكبير .

وأما الآخر : فانه روي : أنه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبر ثم جلس ثم قام فليس عليه في القيام بعد القعود تكبير ، وكذلك في التشهد الأول يجري هذا المجرى ، وبأيها أخذت من جهة التسليم كان صواباً .

وعن الفص الحماهن : هل يجوز فيه الصلاة إذا كان في أصبعه؟

(١) ، ٢ ، ٣) التكويد : ٢٠ - ٢٣ .

(٤) محمد بن عبد الله بن جعفر بن الحسين بن جامع بن مالك الحميري ، قال العلامة في القسم الأول من الخلاصة ص

٥٧ : ... أبو جعفر الضمّي كان ثقة وجهاً ، كاتب صاحب الأمر عليه السلام وسأله مسائل في أبواب الشريعة .

قال النجاشي : قال لنا أحمد بن الحسين : وقعت هذه المسائل إلي في أصلها والتوقيعات بين السطور ، وكان له اخوة (جعفر ، والحسين ، واحد) كلهم كان لهم مكتبة .

الجواب: فيه كراهية أن يصلي فيه، وفيه أيضاً إطلاق والعمل على الكراهة.

وعن رجل اشترى هدياً لرجل غاب عنه، وسأله أن ينحر عنه هدياً بمضى فلما أراد نحر الهدي نسي إسم الرجل ونحر الهدي، ثم ذكره بعد ذلك، أيجزي عن الرجل أم لا؟

الجواب: لا بأس بذلك، وقد أجزأ عن صاحبه.

وعندنا حاكمة مجوس، يأكلون الميتة، ولا يغتسلون من الجنابة، وينسجون لنا ثياباً، فهل يجوز الصلاة فيها من قبل أن تغسل؟

الجواب: لا بأس بالصلاة فيها.

وعن المصلي: يكون في صلاة الليل في ظلمة، فإذا سجد يغلط بالسجادة ويضع جبهته على (مسح أو نطع) فإذا رفع رأسه وجد السجادة، هل يعتد بهذه السجدة أم لا يعتد بها؟

الجواب: ما لم يستو جالساً فلا شيء عليه في رفع رأسه لطلب الخمرة. وعن المحرم: يرفع الظلال هل يرفع خشب العمارية أو الكنيسة ويرفع الجناحين أم لا؟

الجواب: لا شيء عليه في ترك رفع الخشب.

وعن المحرم: يستظل من المطر بنطع أو غيره، حذراً على ثيابه وما في محمله أن يتل، فهل يجوز ذلك؟

الجواب: إذا فعل ذلك في المحمل في طريقه، فعليه دم.

والرجل: يحج عن أحد هل يحتاج أن يذكر الذي حج عنه عند عقد إحرامه أم لا، وهل يجب أن يذبح عمن حج عنه وعن نفسه أم يجزيه هدي واحد؟

الجواب: قد يجزيه هدي واحد، وإن لم يفصل فلا بأس.

وهل يجوز للرجل أن يحرم في كساء خز أم لا؟

الجواب: لا بأس بذلك، وقد فعله قوم صالحون.

وهل يجوز للرجل أن يصلي في بطيخ لا يغطي الكعنين أم لا يجوز؟

الجواب: جائز.

ويصلي الرجل وفي كفه أو سراويله سكين أو مفتاح حديد هل يجوز ذلك؟

الجواب: جائز.

وعن الرجل: يكون معه بعض هؤلاء ويكون متصلاً بهم، يحج ويأخذ على الجادة ولا يحرم هؤلاء

من المسلخ، فهل يجوز لهذا الرجل أن يؤخر إحرامه إلى ذات عرق فيحرم معهم لما يخاف الشهرة أم لا يجوز إلا أن يحرم من المسلخ؟

الجواب: يحرم من ميقاته ثم يلبس الثياب، ويلبى في نفسه، فإذا بلغ إلى ميقاتهم أظهر.
وعن لبس النعل المعطون، فإن بعض أصحابنا يذكر أن لبسه كربه؟
الجواب: جاز، ولا بأس به.

وعن الرجل: من وكلاء الوقف مستحلاً لما في يده، ولا يرع عن أخذ ماله وبما نزلت في قرينه وهو فيها، أو ادخل منزله. وقد حضر طعامه. فيدعوني إليه فإن لم آكل من طعامه، عاداني وقال: فلان لا يستحل أن يأكل من طعامنا فهل يجوز لي أن آكل من طعامه وأتصدق بصدقة؟ وكم مقدار الصدقة، وإن أهدى هذا الوكيل هدية إلى رجل آخر فأحضر فيدعوني إلى أن أنال منها، وأنا أعلم أن الوكيل لا يرع عن أخذ ما في يده، فهل علي فيه شيء إن أنا نلت منها؟

الجواب: إن كان لهذا الرجل مال أو معاش غير ما في يده، فكل طعامه واقتل بره، وإلا فلا.
وعن الرجل ممن يقول بالحق ويرى المتعة، ويقول بالرجعة، إلا أن له أهلاً موافقة له في جميع أموره، وقد عاهدتها: ألا يتزوج عليها، ولا يتمتع، ولا يتسرى فعل هذا منذ تسعة عشر سنة ووفي بقوله، فربما غاب عن منزله الأشهر فلا يتمتع ولا تتحرك نفسه أيضاً لذلك، ويرى أن وقوف من معه من أخ وولد و غلام ووكيل وحاشية مما يقلله في أعينهم، ويجب المقام على ما هو عليه محبة لأهله وميلاً إليها، وصيانة لها ولنفسه، لا لتحريم المتعة بل يدين الله بها، فهل عليه في ترك ذلك مأثم أم لا؟

الجواب: يستحب له أن يطيع الله تعالى بالمتعة ليزول عنه الحلف في المعصية ولو مرة.
وفي كتاب آخر لمحمد بن عبد الله الحميري إلى صاحب الزمان «ع» من جواب مسأله التي سأله عنها، في سنة سبع وثلاثمائة.

سأل عن المحرم: يجوز أن يشد الميزر من خلفه على عقبه بالطول، ويرفع طرفيه إلى خفيه ويجمعهما في خاصرته ويعقد هما، ويخرج الطرفين الآخرين من بين رجليه ويرفعهما إلى خاصرته، ويشد طرفيه إلى وركيه. فيكون مثل السراويل يستر ما هناك، فإن الميزر الأول كنا ننزله إذا ركب الرجل جملة يكشف ما هناك، وهذا ستر؟

فأجاب «ع»: جاز أن يتزر الإنسان كيف شاء إذا لم يحدث في الميزر حدثاً بمقراظ ولا ابرة يخرج به عن حد الميزر، وغزره غزراً ولم يعقده، ولم يشد بعضه ببعض، وإذا غطى سترته ووكبته كلاهما فإن السنة المجمع عليها بغير خلاف تغطية السرة والركبتين، والأحب البنا والأفضل لكل أحد شدة على السبيل المألوفة المعروفة للناس جميعاً أن شاء الله.

وسأل: هل يجوز أن يشد عليه مكان العقد نكته؟

فأجاب : لا يجوز شد الميزر بشي سواء من ثكة ولا غيرها .

وسأل عن التوجه للصلاة أن يقول على ملة ابراهيم ودين محمد صلى الله عليه وآله ، فان بعض اصحابنا ذكر : انه اذا قال على دين محمد فقد أبدع ، لأنالم نجده في شيء من كتب الصلاة خلا حديثاً في كتاب القاسم بن محمد عن جده الحسن بن راشد : ان الصادق ع قال للحسن :

كيف تتوجه ؟

فقال : أقول لبيك وسعديك

فقال له الصادق ع : ليس عن هذا أسألك . كيف تقول وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً ؟

قال الحسن : أقول .

فقال الصادق ع : اذا قلت ذلك فقل : على ملة ابراهيم ، ودين محمد ومنهاج علي بن أبي طالب ، والايتمام بآل محمد ، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين .

فأجاب ع : التوجه كله ليس بفريضة ، والسنة المؤكدة فيه التي هي كالاجماع الذي لا خلاف فيه : وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض ، حنيفاً مسلماً على ملة ابراهيم ودين محمد وهدي امير المؤمنين ، وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك امرت وأنا من المسلمين اللهم اجعلني من المسلمين ، اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ الحمد .

قال الفقيه الذي لا يشك في علمه : ان الدين لمحمد والهداية لعلي أمير المؤمنين لأنها له صلى الله عليه وآله وفي عقبه باقية الى يوم القيامة ، فمن كان كذلك فهو من المهتدين ، ومن شك فلا دين له ، ونعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى .

وسأله : عن القنوت في الفريضة اذا فرغ من دعائه ، يجوز ان يرد يديه على وجهه وصدره للحديث الذي روي «إن الله عز وجل أجل من أن يرد يدي عبده صفراً بل يملأها من رحمته» أم لا يجوز ؟ فان بعض اصحابنا ذكر انه عمل في الصلاة .

فأجاب ع : رد اليدين من القنوت على الرأس والوجه غير جازي في الفرائض والذي عليه العمل فيه ، اذا رجع يده في قنوت الفريضة وفرغ من الدعاء ان يرد بطن راحتيه مع صدره تلقاء ركبتيه على تمهل ، ويكبر ويركع ، والخبر صحيح وهو في نوافل النهار والليل دون الفرائض ، والعمل به فيها افضل .

وسأل : عن سجدة الشكر بعد الفريضة ، فان بعض اصحابنا ذكر أنها (بدعة) فهل يجوز أن

يسجد لها الرجل بعد الفريضة؟ وإن جاز ففي صلاة المغرب هي بعد الفريضة أو بعد الأربع ركعات النافلة؟

فأجاب «ع»: سجدة الشكر من الزم السنن وأوجبها، ولم يقل ان هذه السجدة بدعة إلا من أراد أن يحدث بدعة في دين الله.

فأما الخبر المروي فيها بعد صلاة المغرب والاختلاف في انها بعد الثلاث أو بعد الأربع فان فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدعاء بعقيب النوافل كفضل الفرائض على النوافل، والسجدة دعاء وتسبيح فالأفضل أن تكون بعد الفرض فان جعلت بعد النوافل أيضاً جاز.

وسأل: إن لبعض اخواننا ممن نعرفه ضيعة جديدة يجنب ضيعة خراب للسلطان فيها حصّة واكرته بما زرعوا حدودها وتوذيهم عمال السلطان ويتعرضون في الكل من غلات ضيعته، وليس لها قيمة لخرابها وانما هي باثرة منذ عشرين سنة، وهو يتخرج من شرائها لأنه يقال ان هذه الحصّة من هذه الضيعة كانت قبضت عن الوقف قديماً للسلطان، فاز جارشراؤها من السلطان، وكان ذلك صلاحاً له وعمارة لضييعته، وانه يزرع هذه الحصّة من القرية الباثرة لفضل ماء ضيعته العامرة، وينحسم عنه طمع أولياء السلطان، وان لم يجوز ذلك عيّل بما تأمره به ان شاء الله تعالى؟

فأجاب: الضيعة لا يجوز ابتياعها الا من مالكتها أو بأمره أو رضاه منه.

وسأل: عن رجل استحل امرأة خارجة من حجابها، وكان يحترز من ان يقع له ولد فجاءت بابتن، فتخرج الرجل الا يقبله فقبله وهو شاك فيه، وجعل يجري على امه وعليه حتى ماتت الام، وهو ذا يجري عليه غير انه شاك فيه ليس يخلطه بنفسه، فان كان ممن يجب ان يخلط بنفسه ويجعله كساير ولده فعل ذلك وان جاز ان يجعل له شيئاً من ماله دون حقه فعل؟

فأجاب «ع»: الاستحلال بالمرأة يقع على وجوه، الجواب يختلف فيها فليذكر الوجه الذي وقع الاستحلال به مشروحاً ليعرف الجواب فيها يسأل عنه من أمر الولد ان شاء الله.

وسأله الدعاء له فخرج الجواب:

جاء الله عليه بما هو جل وتعالى أهله، ايجابنا لحقه، ورعايتنا لأبيه رحمه الله وقربه منا، وقد رضينا بما علمناه من جميل نيته، ووقفنا عليه من مخاطبته، المقر له من الله التي يرضي الله عز وجل ورسوله وأولياءه «ع» والرحمة بما بدأنا نسأل الله بمسألته ما امله من كل خير عاجل وآجل، وان يصلح له من امر دينه ودنياه ما يجب صلاحه، انه ولي قدير.

وكتب اليه صلوات الله عليه ايضاً في سنة ثمان وثلاثمائة كتاباً سأله فيه عن مسائل اخرى كتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

اطال الله بقاءك وادام عزك وكرامتك وسعادتك وسلامتك، وأتم نعمته عليك وزاد في إحسانه اليك، وجميل مواهبه لديك، وفضله عليك، وجزيل قسمه لك وجعلني من السوء كله فداك، وقدمني قبلك.

إن قبلنا مشايخ وعجايز يصومون رجباً منذ ثلاثين سنة وأكثر، ويصلون بشعبان وشهر رمضان.

وروى لهم بعض اصحابنا: ان صومه معصية؟

فأجاب «ع»: قال الفقيه: يصوم منه أياماً إلى خمسة عشر يوماً، إلا أن يصومه عن الثلاثة الأيام الفائتة، للحديث: «إن نعم القضاء رجب».

وسأل: عن رجل يكون في محمله الثلج كثير بقامة رجل، فيتخوف أن نزل الغوص فيه، وربما يسقط الثلج وهو على تلك الحال ولا يستوي له أن يلبد شيئاً عنه لكثرتة وتهافته هل يجوز أن يصلي في المحمل الفريضة؟ فقد فعلنا ذلك أياماً فهل علينا في ذلك إعادة أم لا؟

فأجاب: لا بأس عند الضرورة والشدة.

وسأل: عن الرجل يلحق الإمام وهو راكع فيركع معه ويحتسب تلك الركعة. فإن بعض اصحابنا قال: إن لم يسمع تكبيرة الركوع فليس له أن يعتد بتلك الركعة؟

فأجاب: إذا لحق مع الإمام من تسبيح الركوع تسبيحة واحدة إعتد بتلك الركعة وإن لم يسمع تكبيرة الركوع.

وسأل: عن رجل صلى الظهر ودخل في صلاة العصر، فلما أن صلى من صلاة العصر ركعتين استيقن انه صلى الظهر ركعتين، كيف يصنع؟

فأجاب: إن كان احدث بين الصلاتين حادثة يقطع بها الصلاة اعاد الصلاتين وإن لم يكن احدث حادثة جعل الركعتين الآخريتين تنمة لصلاة الظهر، وصلى العصر بعد ذلك.

وسأل: عن أهل الجنة يتوالدون إذا دخلوها أم لا؟

فأجاب: إن الجنة لا حمل فيها للنساء ولا ولادة، ولا طمث ولا نفاس ولا شقاء بالطفولية، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، كما قال سبحانه، فإذا اشتهى المؤمن ولدأ خلقه الله بغير حمل ولا ولادة على الصورة التي يريد كما خلق آدم عبدة.

وسأل: عن رجل تزوج امرأة بشي معلوم الى وقت معلوم، وبقي له عليها وقت، فجعلها في حل مما بقي له عليها وقد كانت طمشت قبل أن يجعلها في حل من أيامها بثلاثة أيام، أيجوز ان يتزوجها رجل

معلوم الى وقت معلوم عند طهرها من هذه الحيضة أو يستقبل بها حيضة اخرى؟

فأجاب : يستقبل حيضة غير تلك الحيضة، لأن اقل تلك العدة حيضة وطهرة تامة

وسأل : عن الأبرص والمجدوم وصاحب الفالج هل يجوز شهادتهم فقد روي لنا انهم لا يأمنون الأصحاء.

فأجاب : ان كان ما بهم حادثاً جازت شهادتهم، وان كان ولادة لم يجوز.

وسأل : هل يجوز للرجل ان يتزوج ابنة امراته؟

فأجاب : ان كانت ربيت في حجره فلا يجوز، وان لم تكن ربيت في حجره وكانت امها في غير عياله

فقد روي : انه جائز.

وسأل : هل يجوز أن يتزوج بنت ابنة امرأة ثم يتزوج جدتها بعد ذلك؟ فأجاب : قد نهي عن

ذلك.

وسأل : عن رجل ادعى على رجل ألف درهم وأقام به البينة العادلة، وادعى عليه أيضاً خمسمائة

درهم في صك آخر، وله بذلك بينة عادلة، وادعى عليه أيضاً ثلاثمائة درهم في صك آخر، ومائتي درهم

في صك آخر، وله بذلك كله بينة عادلة. وبزعم المدعى عليه أن هذه الصكوك كلها قد دخلت في الصك

الذي بألف درهم، والمدعي منكر أن يكون كما زعم، فهل يجب الألف الدرهم مرة واحدة او يجب عليه

كلما يقيم البينة به؟ وليس في الصكوك استثناء إنما هي صكوك على وجهها.

فأجاب : يؤخذ من المدعي عليه ألف درهم مرة وهي التي لاشبهة فيها، ويرد اليمين في الألف

الباقى على المدعي فان نكل فلا حق له.

وسأل عن طين القبر: يوضع مع الميت في قبره هل يجوز ذلك أم لا؟

فأجاب : يوضع مع الميت في قبره، ويخلط بخيوطه ان شاء الله.

وسأل فقال : روي لنا عن الصادق «ع» : انه كتب على أزار ابنه اسماعيل يشهد : أن لا إله إلا

الله، فهل يجوز أن نكتب مثل ذلك بطين القبر أم غيره؟

فأجاب : يجوز ذلك.

وسأل : هل يجوز أن يسبح الرجل بطين القبر، وهل فيه فضل؟

فأجاب : يسبح الرجل به فيما من شيء من السبح أفضل منه، ومن فضله أن الرجل ينسى التسبيح

ويدير السبحة فيكتب له التسبيح.

وسأل : عن السجدة على لوح من طين القبر، وهل فيه فضل؟

فأجاب : يجوز ذلك وفيه الفضل.

وسأل: عن الرجل يزور قبور الأئمة «ع»، هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ وهل يجوز لمن صلى عند بعض قبورهم «ع» أن يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبلة، ويقوم عند رأسه ورجليه؟ وهل يجوز أن يتقدم القبر ويصلي ويجعل القبر خلفه أم لا؟

فأجاب: أما السجود على القبر، فلا يجوز في نافلة ولا فريضة ولا زيادة والذي عليه العمل: أن يضع خده الأيمن على القبر.

وأما الصلاة فانها خلفه، ويجعل القبر امامه، ولا يجوز أن يصلي بين يديه ولا عن يمينه ولا عن يساره، لأن الإمام صلى الله عليه وآله لا يتقدم ولا يساوى.

وسأل فقال: يجوز للرجل اذا صلى الفريضة او النافلة ويده السبحة أن يديرها وهو في الصلاة؟
فأجاب: يجوز ذلك اذا خاف السهو والغلط.

وسأل: هل يجوز أن يدير السبحة بيد اليسار اذا سبح، او لا يجوز؟

فأجاب: يجوز ذلك والحمد لله رب العالمين.

وسأل فقال: روي عن الفقيه في بيع الوقف خبر مأثور: اذا كان الوقف على قوم بأعيانهم وأعقابهم، فاجتمع أهل الوقف البيعة وكان ذلك لصالحهم أن يبيعوه، فهل يجوز إن يشتري من بعضهم إن لم يجتمعوا كلهم على البيع، أم لا يجوز إلا أن يجتمعوا كلهم على ذلك؟ وعن الوقف الذي لا يجوز بيعه؟

فأجاب: اذا كان الوقف على امام المسلمين فلا يجوز بيعه، وان كان على قوم من المسلمين فليجمع كل قوم ما يقدرون على بيعه مجتمعين ومتفرقين ان شاء الله.

وسأل: هل يجوز للمحرم أن يصبر على ابطة المرتك والتوتيا لريح العرق أم لا يجوز؟

فأجاب: يجوز ذلك وبالله التوفيق.

وسأل: عن الضرير اذا شهد في حال صحته على شهادة، ثم كف بصره ولا يرى خطه فيعرفه، هل يجوز شهادته أم لا؟ وإن ذكر هذا الضرير الشهادة، هل يجوز أن يشهد على شهادته أم لا يجوز؟

فأجاب: اذا حفظ الشهادة وحفظ الوقت، جازت شهادته.

وسأل: عن الرجل يوقف ضيعة أو دابة ويشهد على نفسه باسم بعض وكلاء الوقف، ثم يموت هذا الوكيل او يتغير امره ويتولى غيره، هل يجوز يشهد الشاهد لهذا الذي اقيم مقامه اذا كان اصل الوقف لرجل واحد أم لا يجوز ذلك؟

فأجاب: لا يجوز ذلك، لأن الشهادة لم تقم للوكيل وانما قامت للمالك وقد قال الله: «وأقيموا

الشهادة لله» (١)

وسأل: عن الركعتين الاخرتين قد كثرت فيهما الروايات فبعض يروي: ان قراءة الحمد وحدها أفضل، وبعض يروي: ان التسبيح فيهما أفضل، فالفضل لايها لنستعمله؟
فأجاب: قد نسخت قراءة أم الكتاب في هاتين الركعتين التسبيح والذي نسخ التسبيح قول العالم «ع»: كل صلاة لا قراءة فيها فهي خداج^(٢) الا العليل، أو يكثر عليه السهو فيتخوف بطلان الصلاة عليه.

وسأل فقال: يتخذ عندنا رب الجوز لوجع الحلق والحبحة، يؤخذ الجوز الرطب من قبل ان ينقعد ويدق دقاً ناعماً، ويعصر ماؤه ويصفى ويطحخ على النصف ويترك يوماً وليلة ثم ينصب على النار، ويلقى على كل ستة ارطال منه رطل عسل ويغلى رغوته، ويسحق من النوشادر والشب اليماني من كل واحدة نصف مثقال ويداف بذلك الماء، ويلقى فيه درهم زعفران المسحوق، ويغلى ويؤخذ رغوته حتى يصير مثل العسل ثخيناً، ثم ينزل عن النار ويبرد ويشرب منه، فهل يجوز شربه أم لا؟
فأجاب: اذا كان كثيره يسكر أو يغير، فقليله وكثيره حرام، وان كان لا يسكر فهو حلال.

وسأل: عن الرجل يعرض له الحاجة مما لا يدري أن يفعلها أم لا، فيأخذ خاتمين فيكتب في أحدهما: (نعم افعل) وفي الآخر: (لا تفعل) فيستخير الله مراراً، ثم يرى فيهما، فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج، فهل يجوز ذلك أم لا؟ والعامل به والتارك له أهو مثل الاستخارة أم هو سوى ذلك؟
فأجاب: الذي سنه العالم «ع» في هذه الاستخارة بالرقاع والصلاة

وسأل: عن صلاة جعفر بن أبي طالب (ره) في أي أوقاتها أفضل أن تصلى فيه، وهل فيها قنوت؟ وإن كان ففي أي ركعة منها؟

فأجاب: افضل أوقاتها صدر النهار من يوم الجمعة، ثم في أي الأيام شئت وأي وقت صليتها من ليل أو نهار فهو جائز، والقنوت فيها مرتان: في الثانية قبل الركوع، وفي الرابعة بعد الركوع.
وسأل: عن الرجل ينوي اخراج شي من ماله وأن يدفعه الى رجل من اخوانه ثم يجد في أقربائه محتاجاً، أيصرف ذلك عمن نواه له أو الى قرابته؟

فأجاب: يصرفه إلى ادناهما واقربهما من مذهبه، فان ذهب الى قول العالم «ع»: «لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج» فليقسم بين القرابة وبين الذي نوى حتى يكون قد أخذ بالفضل كله.
وسأل: فقال: اختلف اصحابنا في مهر المرأة.

فقال بعضهم: اذا دخل بها سقط المهر ولا شيء لها

وقال بعضهم: هو لازم في الدنيا والآخرة، فكيف ذلك؟ وما الذي يجب فيه؟

فأجاب: ان كان عليه بالمهر كتاب فيه ذكر دين فهو لازم له في الدنيا والآخرة، وإن كان عليه كتاب فيه ذكر الصداق سقط اذا دخل بها، وإن لم يكن عليه كتاب، فاذا دخل بها سقط باقي الصداق.

وسأل فقال: روي لنا عن صاحب العسكر ع انه سئل عن الصلاة في الخبز الذي يغش بوبر الأرنب فوقه: يجوز، وروي عنه أيضاً: انه لا يجوز، فأبي الخبرين يعمل به؟

فأجاب: انما حرم في هذه الأوبار والجلود فاما الأوبار وجدها فكل حلال.

وقد سأل بعض العلماء عن معنى قول الصادق ع: لا يصل في الثعلب ولا في الأرنب، ولا في الثوب الذي يليه، فقال: انما عني الجلود دون غيرها.

وسأل فقال: يتخذ باصفهان ثياب عتابية على عمل الوشا من قز او ابريسم هل يجوز الصلاة فيها أم لا؟

فأجاب: لا يجوز الصلاة إلا في ثوب سداه او لحمته قطن او كتان.

وسأل: عن المسح على الرجلين وبأيهما يبدأ باليمين او يمسح عليهما جميعاً معاً؟

فأجاب: ع: يمسح عليهما معاً فان بدأ بأحدهما قبل الاخرى فلا يبتدىء إلا باليمين.

وسأل: عن صلاة جعفر في السفر هل يجوز أن يصلي أم لا؟

فأجاب: ع: يجوز ذلك.

وسأل: عن تسبيح فاطمة ع: من سها فجاز التكبير اكثر من اربع وثلاثين هل يرجع إلى أربع وثلاثين أو يستأنف؟ واذا سبح تمام سبعة وستين هل يرجع الى ستة وستين أو يستأنف؟ وما الذي يجب في ذلك؟

فأجاب: اذا سها في التكبير حتى يجوز اربعة وثلاثين عاد الى ثلاثة وثلاثين وبني عليها، واذا سها في التسبيح فتجاوز سبعم وستين تسبيحة عاد الى ستة وستين وبني عليها، فاذا تجاوز التحميد مائة فلا شيء عليه.

وعن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري انه قال: خرج التوقيع من الناحية المقدسة حرسها الله - بعد المسائل - :

بسم الله الرحمن الرحيم

لا لأمره تعقلون، حكمة بالغة فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون.

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

إذا أردتم التوجه بنا الى الله والينا، فقولوا كما قال الله تعالى:

«سلام على آل يس»^(١)

السلام عليك يا داعي الله ورباني آياته.

السلام عليك يا باب الله وديان دينه.

السلام عليك يا خليفة الله وناصر خلقه.

السلام عليك يا حجة الله ودليل ارادته.

السلام عليك يا نالي كتاب الله وترجمانه.

السلام عليك يا بقية الله في ارضه.

السلام عليك يا ميثاق الله الذي أخذه ووكله.

السلام عليك يا وعد الله الذي ضمنه.

السلام عليك ايها العلم المنصوب والعلم المصوب ، والغوث والرحمة الواسعة وعداً غير

مكذوب.

مركز تحقيق تكامل علوم الإسلام

السلام عليك حين تقعد، السلام عليك حين تقوم.

السلام عليك حين تقرأ وتبين.

السلام عليك حين تصلي وتقتت.

السلام عليك حين تركع وتسجد.

السلام عليك حين تكبر وتهلل.

السلام عليك حين تحمد وتستغفر.

السلام عليك حين تمسي وتصبح.

السلام عليك في الليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى.

السلام عليك ايها الامام المأمون.

السلام عليك ايها المقدم المأمول.

السلام عليك بجوامع السلام.

اشهدك يا مولاي اني اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله لا حبيب إلا هو وأهله، وأشهد أن أمير المؤمنين حجته، والحسن حجته، والحسين حجته، وعلي بن الحسين حجته، ومحمد بن علي حجته، وجعفر بن محمد حجته، وموسى بن جعفر حجته، وعلي بن موسى حجته، ومحمد بن علي حجته، وعلي بن محمد حجته، والحسن بن علي حجته، وأشهد أنك حجة الله.

انتم الأول والآخر، وأن رجعتكم حق لا شك فيها يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، وأن الموت حق، وأن ناكراً ونكيراً حق، وأشهد أن النشْر والبعث حق، وأن الصراط والمرصاد حق، والميزان والحساب حق، والجنة والنار حق، والوعد والوعيد بهما حق.

يا مولاي شقي من خالفكم وسعد من أطاعكم.

فاشهد علي ما أشهدتك عليه، وأنا ولي لك بري من عدوك، فالحق ما رضيتموه، والباطل ما سخطتموه، والمعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتم عنه فنفسى مؤمنة بالله وحده لا شريك له، ورسوله، وبأمر المؤمنين، وبأئمة المؤمنين وبكم يا مولاي أولكم وآخركم، ونصري معدة لكم، فمودتي خالصة لكم آمين آمين.

الدعاء عقيب هذا القول:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنني أسألك أن تصلي على محمد نبي رحمتك وكلمة نورك، وأن تملأ قلبي نور اليقين، وصدري نور الايمان، وفكري نور الثبات، وعزمي نور العلم، وقوتي نور العمل، ولساني نور الصدق، وديني نور البصائر من عندك وبصري نور الضياء وسمعي نور وعي الحكمة، ومودتي نور الموالاتة لمحمد وآله، حتى الفاك وقد وفيت بعهدك وميثاقك، فلتسعي رحمتك يا ولي يا حميد.

اللهم صل على حجتك في ارضك، وخليفتك في بلادك، والداعي إلى سبيلك والقائم بقسطك، والثائر بأمرك، ولي المؤمنين، وبوار الكافرين، ومجلي الظلمة ومنير الحق، والساطع بالحكمة والصدق، وكلمتك التامة في ارضك، المرتقب الخائف والولي الناصح، سفينة النجاة، وعلم الهدى، ونور أبصار الوري، وخير من تقمص وارتندي، ومجلي العمى، الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً أنك على كل شيء قدير.

اللهم صل على وليك وابن اوليائك الذين فرضت طاعتهم، واوجبت حقهم واذهبت عنهم الرجز وطهرتهم تطهيراً.

اللهم انصر وانتصر به اوليائك واوليائه، وشيعته وانصاره واجعلنا منهم.

اللهم أعذه من كل باغ وطاق. ومن شر جميع خلقك، واحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، واحرسه، وإمنعه، من أن يوصل إليه بسوء واحفظ فيه رسولك وآل رسولك، وأظهر به العدل وأيده بالنصر، وأنصر ناصريه واخذل خاذليه، واقصم به جبايرة الكفرة، واقتل به الكفار والمنافقين وجميع الملحدين، حيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها، برها وبحرها، وأملأ به الأرض عدلاً، وأظهر به دين نبيك، واجعلني اللهم من أنصاره وأعوانه، وأتباعه وشيعته، وأرني في آل محمد ما يأملون، وفي عدوهم ما يحذرون إله الحق آمين يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين.

ذكر كتاب ورد من الناحية المقدسة - حرسها الله ورعاها - في أيام بقيت من صفر سنة عشرة وأربعمائة على الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان قدس الله روحه ونور ضريحه، ^(١) ذكر موصله أنه يحمله من ناحية متصلة بالحجاز، نسخته :-

(١) قال الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله ص ٦١٤ : محمد بن محمد بن النعمان جليل ثقة وقال في الفهرست ص ١٨٦ : محمد بن محمد بن النعمان المفيد يكنى : (أبا عبد الله) المعروف بابن المعلم من جملة متكلمي الإمامية ، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته ، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام ، وكان فقيهاً متقدماً فيه ، حسن الخاطر دقيق الفطنة ، حاضر الجواب ، وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار ، وفهرست كتبه معروفة ، ولد سنة (٣٣٨ هـ) ، وتوفي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة (٤١٣) هـ وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للمصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق . . ثم قال سمعنا منه هذه الكتب كلها ، بعضها قراءة عليه وبعضها يقرأ عليه غير مرة وهو يسمع . . .

وقال النجاشي ص ٣١١ من رجاله : « شيخنا وأستاذنا رضي الله عنه ، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة له كتب - ثم عدله (١٧٤) كتاباً ورسالة ثم قال : - مات رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة (٤١٣) وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة (٣٣٦) وصل عليه الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بميدان الاثنان وضاق على الناس مع كبره ودفن في داره سنين ، ونقل الى مقابر قريش بالقرب من السيد أبي جعفر عليه السلام ، وقيل : مولده سنة (٣٣٨) هـ .

وقال العلامة الحلي « رحمه الله في القسم الأول من الخلاصة ص (١٤٧) : محمد بن محمد بن النعمان يكنى (أبا عبد الله) يلقب (بالمفيد) وله حكاية في سبب تسميته (بالمفيد) ذكرناها في كتابنا الكبير ، أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية ، أوثق أهل زمانه وأعلمهم ، انتهت رئاسة الإمامية إليه في وقته وكان حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب له قريب من مائتي مصنف كبار وصغار ، . . . إلى أن قال : ثم نقل الى مقابر قريش بالقرب من السيد الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام عند الرجلين الى جانب قبر شيخه الصدوق أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه .

وقال الشيخ عباس القمي « رحمه الله في الجزء الثالث من الكنى والالقباب ص ١٦٤ : « أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ابن عبد السلام البغدادي شيخ المشايخ الجلة ، ورئيس الملة ، فخر الشيعة ، ومحبي الشريعة ، ملهم الحق ودليله ومنازل الدين وسبيله ، اجتمعت فيه خلال الفضل ، وانتهت إليه رئاسة الكل واتفق الجميع على علمه وفضله ، وفقهه وعدائه ، وثقته وجلالته .

كان رحمه الله كثير المحاسن ، جم المناقب ، حديد الخاطر ، حاضر الجواب ، واسع الرواية ، خبير بالأخبار والرجال والأشعار .

وكان أوثق أهل زمانه بالحديث وأعرفهم بالفقه والكلام ، وكل من تأخر عنه استفاد منه .

وقال علماء العامة في حقه : « هو شيخ مشايخ الإمامية رئيس الكلام والفقه والجدل وكان يناظر أهل كل عقيدة ، وكان كثير الصدقات ، عظيم الخشوع ، كثير الصلاة والصوم ، حشن اللباس ، وكان شيخاً ، ربعة نحيفاً ، أسمر عاش ستاً وسبعين سنة وله أكثر من مائتي مصنف ، كانت جنازته مشهورة شيعه ثمانون ألفاً من الرافضة والشيعة ، وأراح الله منه أهل السنة ، =

= وكان كثير التفتش والتخشع ، والإكباب على العلم ، وكان يقال له على كل إمامي منه ، وقال الشريف أبو يعلى الجعفري ، وكان تزوج بنت المفيد رحمه الله : ما كان المفيد ينام من الليل إلا هجعة ثم يقوم بهلي أو يطالع أو يدرس أو يتلو . وقال ابن النديم : في عهدنا انتهت رئاسة متكلمي الشيعة إليه ، مقدم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه ، دقيق الفطنة ، ماضي الحاطر ، شاهدته فرأيت به بارعاً .

توفي رحمه الله ليلة الثالث من شهر رمضان ببغداد سنة (٤١٣) وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة (٣٣٦) وصل عليه الشريف المرتضى بميدان الاثنان ثم نقل كلام الشيخ الطوسي المتقدم ثم قال : ورثاه مهيار الديلمي بقصيدة منها قوله

ما بعد يومك سلوة لمعلل مي ولا ظفرت بسمع معدل
سوى المصاب بك القلوب على الجوى قيد الجليد على حشا التملل
وتشابه الباكون فيك فلم يبن دمع المحق لنا من التمعل

وتقدم في ابن قولويه أن قبره في البقعة الكاظمية (ع) وذكر جماعة من العلماء منهم المرزا محمد مهدي الشهرستاني في إجازته للسيد ميرزا محمد مهدي ابن ميرزا محمد تقي الطباطبائي التبريزي المتوفى سنة (٢٤١) أن الشيخ المفيد «ره» رثاه صاحب الأمر (عج) حيث وجد مكتوباً على قبره :

لا صوت الناعي بفقدك انه يوم على آل الرسول عظيم
ان كنت قد غيبت في جدث الشرى فالعدل والتوحيد فيك مفيم
والقائم المهدي يفرح كلما تليت عليك من الدروس علوم

أقول : وقصيدة الديلمي هذه التي ذكرها الشيخ عباس القمي «رحمه الله» ، ثلاثة أبيات تبلغ (١٠١) بيتاً وهي موجودة في ديوانه المطبوع وفيها يقول :

يا مرسلأ ان كنت مبلغ ميت تحت الصفائح قول حي مرسل
فلج الشرى الراوي فقل لمحمد عن ذي فؤاد بالنجيمة مشمل
من المخصوص اللد بعدك غصة في الصدر لا نهوى ولا هي تعنلي
من للجدال اذا الشفاء تقلصت واذا اللسان بريقه لم يبيلل
من بعد فتدك رب كل غريبة بكر بك افتسرعت وقولة فيحصل
ولغمامض خاك رفعت قوامه وفتحت منه في الجواب المغفل
من للطروس بصوغ في صفحاتها حلياً يتعفف كلما عرس الحلي
يبقى لذكر المخلد رحمة لك في قم الراوي وعين المجتلي
أمن الفؤاد الندب غير مضعف ابن اللسان الصعب غير مفئل
نفري به وتحز كل ضريبة ما كل حزة مفصل للمفصل
كم قد ضمنت لدين آل محمد من شارد وعديت قلب مضلل
وعلفت من رد عليهم ناشط لو لم ترضه ملاطفاً لم يعقل
لا تطيبك ملالة عن قوله تسرى عن المفضول حق الأفضل
فليجزينك عنهم ما لم يزل يبلو القلوب ليحتبي وليبتلي
ولتنتظرن الى علي رافعاً ضميمك يوم البعث ينظر من عل

ورثاه الشريف المرتضى رحمه الله بقصيدة موجودة في ديوانه المطبوع يقول فيها :

إن شيخ الاسلام والدين والعدل م تولى فأزعج الاسلاما =

للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله
اعزازه، من مستودع العهد المأخوذ على العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : سلام عليك أيها الولي المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين فإنا نحمد اليك الله
الذي لا إله إلا هو، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا ونبيينا محمد وآله الطاهرين، ونعلمك أدام الله
توفيقك لنصرة الحق، وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق : أنه قد اذن لنا في تشريفك بالمكاتبة،
وتكليفك ما تؤديه عنا إلى موالينا قبلك، اعزهم الله بطاعته، وكفاهم المهمل برعايته ثم وحراسته فقف
أيذك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه على ما أذكره، وأعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه
إن شاء الله.

نحن وإن كنا نائين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي اراداه الله تعالى لنا من
الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين فإنا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب
عنا شيء من اخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي اصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه
شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا نأسيكم الذكركم، ولو لا ذلك لنزل بكم اللأواء^(١) واصطلمكم
الأعداء^(٢) فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على انتباشكم^(٣) من فتنة قد انافت عليكم^(٤) يهلك فيها من

والذي كان غرة في دجى	الأبام اودى ماوحش الاياما
كم جلوت الشكوك تعرض في نصر	وصي وكم نصرت اماما
وخصوم لد ملانهم بالحز	في حومة الخصام خصاما
عابتوا منك مصمماً لغرة النحر	وما ارسلك يداك سهاما
وشجاعاً بفري المرائر ما كل	شجاع بفري السلا وافاما
من اذا مال جانب من بناء ال	سدين كانت لهم يداه دعاما
واذا ازور جائر عن هداه	ناده نحوه فكان زماما
من لفضل اخرجت منه خبيثا	ومعان فضفت عنها عتاما
من لسوء ميزت منه جيلا	وحلال خلعت منه حراما
من ينير العقول من بعد ما كن	هموداً وينتج الافهاما
من يعير الصديق رأياً اذا ما	سله في الخطوب كان حساما
فامض صفراً من العيوب فكم بان	رجال اثروا عيونا وداما

إلى أن يقول :

لن ترائي واتت في عدد الامم

وات الا - تجملا - بساما

(١) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة

(٢) اصطلمه: استأصله

(٣) انتاشه من الهلكة: انقلبه

(٤) أناف على الشيء طالع وارتفع عليه

حم اجله^(١) ويحمي عنها من أدرك امله، وهي امارة لازوف حركتنا^(٢) ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتقية! من شب نار الجاهلية يحششها^(٣) عصب اموية، يهول بها فرقة مهديّة، انا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن، وسلك في الطعن منها السبل المرضية، اذا حل جمادى الاول من ستكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه.

ستظهر لكم من السماء آية جليلة، ومن الأرض مثلها بالسوية، ويحدث في أرض المشرق ما يحزن ويقلق، ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الاسلام مراق، تضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق، ثم تنفجر الغمة من بعد بيوار طاغوت من الأشرار، ثم يستر بهلاكه المتقون الأخيار، ويتفق لمريدي الحج من الآفاق ما يؤملونه منه على توفير عليه منهم واتفاق، ولنا في تيسير حجهم على الاختيار منهم والوفاء شأن يظهر على نظام واتساق.

فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يذنيه من كراهتنا وسخطنا فان امرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة والله يلهمكم الرشداً، ويلطف لكم في التوفيق برحمته.

نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام:

هذا كتابنا اليك أيها الأخ الولي، والمخلص في ودنا الصفي والناصر لنا الوفي حرسك الله بعينه التي لا تنام، فاحتفظ به! ولا تظهر على خططنا الذي سطرناه بما له ضمناءه أحداً! وادما فيه الى من تسكن اليه، واوص جماعتهم بالعمل عليه ان شاء الله، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

وورد عليه كتاب آخر من قبله صلوات الله عليه، يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة، سنة اثني عشرة واربعمئة. نسخته: من عبد الله المرباط في سبيله الى ملهم الحق ودليله.

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله عليك أيها الناصر للحق، الداعي اليه بكلمة الصدق، فانا نحمد الله اليك الذي لا إله إلا هو، إلهنا وإله آبائنا الأولين، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد: فقد كنا نظرننا مناجاتك عصمك الله بالسبب الذي وهبه الله لك من أوليائه، وحرسك به من كيد أعدائه، وشغفنا ذلك الآن من مستقر لنا ينصب في شمراخ، من بهماء صرنا اليه آنفاً من غمائل الجأنا اليه السباريت من الايمان ويوشك ان يكون هبوطنا الى صحصح من غير بعد من الدهر

(١) حم اجله: قرب.

(٢) الازوف: الاقتراب.

(٣) حش النار: اوقدها وهيجهها.

ولا تطاول من الزمان ويأتيك نبأ منا يتجدد لنا من حال، فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة الينا بالأعمال، والله موفقك لذلك برحمته، فلتكن حرسك الله بعينه التي لا تنام ان تقابل لذلك فتنة تسيل نفوس قوم حرثت باطلا لاسترهاب المبطلين يبتهج لدمارها المؤمنون، ويحزن لذلك المجرمون، وآية حركتنا من هذه اللوثة حادثة بالحرم المعظم من رجس منافق مذمم، مستحل للدم المحرم، يعتمد بكيده اهل الايمان ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان، لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء، فلتطمئن بذلك من أوليائنا القلوب، وليتقوا بالكفاية منه، وان راعيتهم بهم الخطوب، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب.

ونحن نعهد اليك ايها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين أيديك الله بنصره الذي أيد به السلف من أوليائنا الصالحين، انه من اتقى ربه من اخوانك في الدين واخرج مما عليه الى مستحقه، كان آمناً من الفتنة المبجلة، ومحمها المظلمة المظلة ومن بخل منهم بما اعاره الله من نعمته على من أمره بصلته، فانه يكون خاسراً بذلك لأولاه وآخرته، ولو ان اشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا. ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا بما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلاته على سيدنا البشير النذير محمد وآله الطاهرين وسلم.

وكتب في غرة شوال من سنة اثنتي عشرة واربعمئة نسخة التوقيع باليد العليا صلوات الله على صاحبها:

هذا كتابنا إليك أيها الولي الملهم للحق العلي، باملائنا وخط ثقتنا، فاخفه عن كل احد، واطوه واجعل له نسخة تطلع عليها من تسكن الى أمانته من أوليائنا شملهم الله ببركتنا ان شاء الله.

الحمد لله والصلاة على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين.

احتجاج الشيخ المفيد السديدي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه .

حدث الشيخ ابو علي الحسن بن محمد الرقي^(١) بالرملة في شوال من سنة ثلاث وعشرين واربعمئة عن الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ره) انه قال:

رأيت في المنام سنة من السنين كاني قد اجتزت في بعض الطرق فرأيت حلقة دائرة فيها ناس كثير، فقلت:

ما هذا؟

قالوا: هذه حلقة فيها رجل يقص.

فقلت: من هو؟

(١) لم اعثر له على ترجمة.

قالوا: عمر بن الخطاب.

ففرقت الناس ودخلت الحلقة، فاذا أنا برجل يتكلم على الناس بشي لم احصله فقطعت عليه الكلام، وقلت:

أيها الشيخ أخبرني ما وجه الدلالة على فضل صاحبك أبي بكر عتيق ابن أبي قحافة من قول الله تعالى: «ثاني اثنين اذهما في الغار»؟^(١)

فقال: وجه الدلالة على فضل أبي بكر من هذه الآية في ستة مواضع:

الأول: ان الله تعالى ذكر النبي «ص» وذكر أبا بكر فجعله ثانيه، فقال: «ثاني اثنين اذهما في الغار».

والثاني: انه وضعهما بالاجتماع في مكان واحد، لتأليفه بينهما فقال: «اذهما في الغار».

والثالث: انه اضاف اليه يذكر الصيغة ليجمعه بينهما بما يقتضي الرتبة، فقال: «اذ يقول لصاحبه».

والرابع: انه اخبر عن شفقة النبي صلى الله عليه وآله عليه ورفقه به لموضعه عنده فقال: «لا تحزن».

والخامس: انه اخبر ان الله معهما على حد سواء ناصرهما لها ودافعاً عنها فقال: «ان الله معنا».

والسادس: انه اخبر عن نزول السكينة على أبي بكر لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم تفارقه السكينة قط، فقال: «فانزل الله سكينته عليه».

فهذه ستة مواضع تدل على فضل أبي بكر من آية الغار، لا يمكنك ولا لغيرك الطعن فيها.

فقلت له: حبرت بكلامك في الاحتجاج لصاحبك عنه، واني بعون الله سأجعل جميع ما أتيت به كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

أما قولك: ان الله تعالى ذكر النبي «ص» وجعل أبا بكر ثانيه، فهو اخبار عن العدد، لعمري لقد كانا اثنين، فما في ذلك من الفضل؟! ونحن نعلم ضرورة ان مؤمناً ومؤمناً، أو مؤمناً وكافراً، اثنان فما أرى لك في ذكر العدد طائلاً تعتمد.

وأما قولك: انه وصفهما بالاجتماع في المكان، فانه كالأول لأن المكان يجمع المؤمن والكافر كما يجمع العدد المؤمنين والكفار، وايضاً: فان مسجد النبي «ص» أشرف من الغار، وقد جمع المؤمنين والمنافقين والكفار، وفي ذلك قوله عز وجل: «فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين»^(٢) وايضاً: فان سفينة نوح قد جمعت النبي، والشيطان، والبهيمة، والكلب، والمكان لا يدل على

ما أوجبت من الفضيلة، فبطل فضلان.

وأما قولك : انه اضاف إليه بذكر الصحبة، فانه أضعف من الفضلين الأولين : لأن اسم الصحبة يجمع بين المؤمن والكافر، والدليل على ذلك قوله تعالى : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً »^(١) وايضاً : فان اسم الصحبة تطلق بين العاقل وبين البهيمة، والدليل على ذلك من كلام العرب الذي نزل القرآن بلسانهم، فقال الله عز وجل : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومهم »^(٢) انهم سموا الحمار صاحباً فقالوا :

ان الحمار مع الحمار مطية فاذا خلوت به فبئس الصاحب

وايضاً : قد سموا الجماد مع الحي صاحباً، قالوا ذلك في السيف شعراً :

زرت هنداً وذاك غير اختيان ومعني صاحب كتوم اللسان

يعني : السيف، فاذا كان اسم الصحبة يقع بين المؤمن والكافر، وبين العاقل والبهيمة، وبين الحيوان والجماد، فأى حجة لصاحبك فيه؟!

وأما قولك : انه قال : « لا تحزن » فانه وبال عليه ومنقصه له، ودليل على خطئه، لأن قوله : « لا تحزن » فهي وصورة النهي قول القائل : (لا تفعل) لا يخلو أن يكون الحزن وقع من أبي بكر طاعة او معصية، فان كان (طاعة) فان النبي صلى الله عليه وآله لا ينهى عن الطاعات بل يأمر بها ويدعو اليها، وان كان (معصية) فقد نهى النبي صلى الله عليه وآله عنها، وقد شهدت الآية بعصيانته بدليل انه نهى .

وأما قولك : انه قال : « ان الله معنا » فان النبي صلى الله عليه وآله قد اخبر ان الله معه، وعبر عن نفسه بلفظ الجمع، كقوله : « انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون »^(٣) وقيل ايضاً في هذا : ان أبا بكر قال : « يا رسول الله حزني على أخيك علي بن أبي طالب ما كان منه » فقال له النبي صلى الله عليه وآله : « لا تحزن ان الله معنا » أي : معي ومع أخيك علي بن أبي طالب « ع » .

وأما قولك : إن السكينة نزلت على أبي بكر، فانه ترك للظاهر : لأن الذي نزلت عليه السكينة هو الذي أيده بالجنود، وكذا يشهد ظاهر القرآن في قوله :

« فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها »^(٤) فان كان ابو بكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود، وفي هذا اخراج للنبي صلى الله عليه وآله من النبوة على ان هذا الموضع لو كتّمته عن صاحبك كان خيراً، لأن الله تعالى انزل السكينة على النبي صلى الله عليه وآله في موضعين كان معه قوم مؤمنون فشاركهم فيها، فقال في احد الموضعين : « فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى »^(٥) وقال في الموضع الآخر : « انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم

(٣) الحجر : ٩

(٢) ابراهيم : ٤

(٥) الفتح : ٢٦٠ .

(١) الكهف : ٣٥

(٤) التوبة : ٤١ .

تروها»^(١) ولما كان في هذا الموضع خصه وحده بالسكينة قال: «فانزل الله سكينة عليه» فلو كان معه مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من ذكرنا قبل هذا من المؤمنين، فدل اخراجه من السكينة على خروجه من الايمان، فلم يجر جواباً وتفرق الناس واستيقظت من نومي.

احتجاج السيد الاجل علم الهدى المرتضى أبي القاسم علي رضي الله عنه وارضاه على أبي العلاء المعري الدهري في جواب ما سأل عنه مرموزاً^(٢).

(١) التوبة: ٢٧

(٢) قال الشيخ الطوسي ٥٠١ في رجاله ص ٤٨٤: «علي بن الحسين الموسوي يكنى: أبا القاسم، الملقب بالمرتضى ذو المجدين علم الهدى ادام الله تعالى أيامه أكثر أهل زمانه ادبا وفضلا متكلم فقه جامع للعلوم كلها منذ الله في عمره، يروي عن التلعكبري والحسين بن علي بن بابويه وغيرهم من شيوخنا، له تصانيف كثيرة ذكرنا بعضها في الفهرست، وسمعنا منه أكثر كتبه وقرأناها عليه». وقال في الفهرست ص ١٢٥: «علي بن الحسين بن موسى بن ابراهيم بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام كنيته: (أبو القاسم) لقبه (علم الهدى) الأجل المرتضى رضي الله عنه، متوحد في علوم كثيرة مجمع على فضله مقدم في العلوم، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك، له ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير، مشتمل على ذلك فهرسته المعروف، غير أن اذكر اعيان كتبه وكبارها، ثم عدد قسماً من مؤلفاته ثم قال: - توفي في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة وكان مولده في رجب سنة خمس وخمسين وثلثمائة وستة يومئذ وثمانون سنة وثمانية أشهر وأيام نضر الله وجهه - قرأت هذه الكتب أكثرها عليه وسمعت سائرها عليه دفعات كثيرة». وقال النجاشي ص ٢٠٦: «علي بن الحسين بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أبو القاسم المرتضى، حاز من العلوم ما لم يداينه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فكثر، وكان متكلماً شاعراً، ادباً عظيم المزية في العلم والدين والدنيا، صنف كتاباً من مؤلفاته ثم قال: مات رضي الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة وصل عليه ابنه في داره ودفن فيها، وتوليت غسله ومعي الشريف أبو يعلى محمد ابن الحسن الجعفري وسلاح بن عبد العزيز».

وقال العلامة الحلي رحمه الله في القسم الأول من الخلاصة ص ٩٤: «علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أبو القاسم المرتضى ذو المجدين علم الهدى رضي الله عنه متوحد في علوم كثيرة، مجمع على فضله مقدم في علوم مثل: علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب من النحو والشعر واللغة وغير ذلك، وله ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت، وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة وكان مولده سنة خمس وخمسين وثلثمائة في رجب، ويوم توفي كان عمره ثمانين سنة وثمانية أشهر وأيام، نضر الله وجهه، وصل عليه ابنه في داره ودفن فيها وتولى غسله أبو احمد الحسين بن العباس النجاشي ومعه الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفري وسلاح بن عبد العزيز الديلمي، وله مصنفات كثيرة ذكرناها في كتابنا الكبير، وبكتبه استفادت الامامية منذ زمنه رحمه الله الى زماننا هذا وهو سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وهو ركنهم ومعلمهم قدس الله روحه وجزاه عن اجداده خيراً».

وقال الشيخ عباس القمي في ج ٢ من الكنى والانساب ص ٤٣٩:

«هو سيد علماء الامة، ومحبي آثار الائمة، ذو المجدين أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم عليهم السلام، المشهور بالسيد المرتضى الملقب من جده (ع) في الرؤية الصادقة السيماء بـ (علم الهدى)».

جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، وحاز من الفضائل ما تفرد به وتوحد، واجمع على فضله المخالف والمؤلف، كيف لا وقد اخذ من المجد طريقه، واكتسب بثوبه وتردى ببرديه، متوحد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدم في العلوم مثل: علم الكلام، والفقه، وأصول الفقه، والأدب، والنحو والشعر، واللغة وغير ذلك له تصانيف مشهورة منها: (الشافي) في الامامة لم يصنف مثله في الامامة (والذخيرة) و(جل العلم والعمل) و(الذريعة) و(شرح القصيدة البديعة) وكتاب (الطيف والخيال) وكتاب (الشيب والشباب) وكتاب (الغرر والدرر) والمسائل الكثيرة وله ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت الى غير ذلك.

قال آية الله العلامة: (وبكتبه استفادت الامامية منذ زمنه رحمه الله الى زماننا هذا وهو سنة ٦٩٣ وهو ركنهم ومعلمهم قدس الله روحه وجزاه عن اجداده خيراً).

= وذكره الخطيب في تاريخ بغداد واثني عليه وقال: (كتب عنه وعن جامع الاصول انه عنه ابن الاثير من مجدي مذهب الإمامية في رأس المائة الرابعة).

وهنا فوائد «الأول» قال ابن خلكان في وصف علم الهدى: كان نقيب الطالبين وكان إماماً في علم الكلام والادب والشعر، وهو اخو الشريف الرضي، وله تصانيف على مذهب الشيعة، ومكاملة في اصول الدين، وله الكتاب الذي سماه (الغرر والدرر) وهي مجالس املاها تشتمل على فنون من معاني الادب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك وهو كتاب تمتع يدل على فضل كثير وتوسع في الاطلاع على العلوم وذكره ابن بسم في اواخر كتاب الذخيرة فقال: كان هذا الشريف امام أئمة العراق اليه فزع علماءها، ومنه اخذ عظماءها: صاحب مدارسها، وجامع شاردها وآنسها، ممن سارت اخباره، وعرفت به اشعاره وتصانيفه في احكام المسلمين، مما يشهد انه فرع تلك الاصول، ومن ذلك البيت الجليل، واورد له عدة مقاطع. وحكى الخطيب التبريزي ان ابا الحسن علي بن احمد الغالي الاديب كانت له كتاب نسخة الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة الى بيعها فاشتراها الشريف المرتضى ابو القاسم المذكور بستين ديناراً ونصفها فوجد بها ابياتاً بخط بايعها ابي الحسن الغالي المذكور وهي:

انست بها عشرين حسولا وبعنتها لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني اني سايمها ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وانقار وصيبة صغار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم املك سواك عبرة مقالة مكوي الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا ام مالك كرائم من رب بهن ضنين

فارجع النسخة اليه وترك الدنانير رحمه الله تعالى) (انتهى ملخصاً).

«الثاني» قال الشهيد رحمه الله في - محكي الويعين: نقلت من خط السيد العالم صفي الدين محمد بن معد الموسوي بالشهد المقدس الكاظمي في سبب تسمية السيد المرتضى بعلم الهدى: انه مرض الوزير ابو سعيد محمد بن الحسين بن عبد الصمد في سنة عشرين واربعمائه فرأى في منامه امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) يقول: قل لعلم الهدى اقرأ عليك حتى تبرا فقال: يا امير المؤمنين ومن علم الهدى؟ قال (ع): علي بن الحسين الموسوي فكتب الوزير اليه بذلك، فقال المرتضى رضي الله عنه: الله الله في امري فان قبولي لهذا اللقب شناعة علي فقال الوزير: ما كتبت اليك الا بما لقبك به جدك امير المؤمنين (ع)، فعلم القادر الخليفة بذلك فكتب الى المرتضى (تقبل يا علي بن الحسين ما لقبك به جدك) فقبل واسمع الناس..

«الثالث» قال صاحب رياض العلماء: ونقل عن خط الشهيد الثاني رحمه الله على ظهر كتاب الخلاصة: انه كان السيد المرتضى معظماً عند العام والخاص ونقل عن الشيخ عز الدين احمد بن مقبل يقول: لو حلف انسان ان السيد المرتضى كان اعلم بالعربية من العرب لم يكن عندي أثماً. وقد بلغني عن شيخ من شيوخ الادب بمصر: انه قال: والله اني استغدت من كتاب الغرر مسائل لم اجدها في كتاب سيويه ولا غيره من كتب النحو وكان نصير الدين الطوسي رحمه الله اذا جرى ذكره في درسه يقول: «صلوات الله عليه» ويلتفت الى القضاة والمدرسين الحاضرين درسه ويقول: «كيف لا يصل على المرتضى».

وذكر المعري اسم المرتضى والرضي ومدحهما في طي مرثيته لوالدهما في ديوان السقط ومن ابيات تلك المرثية:

أبقيت فينا كوكبين مناهما في الصبح والظلماء ليس بخاف
وقال أيضاً:

ساوى الرضي والمترضى وتقاسما خطط العمل بتناصف ونصاف

«الرابع» قال شيخنا البهائي في كشكوله: كان للشيخ ابي جعفر الطوسي أيام قراءته على السيد المرتضى (ره) كل شهر اثنا عشر ديناراً ولابن البراج كل شهر ثمانية دنانير وكان السيد المرتضى يجري على تلامذته... وكان السيد رحمه الله نحيف الجسم وكان يقرأ مع اخيه الرضي على ابن نبائه صاحب الخطب وهما طفلان وحضر المقيد مجلس السيد يوماً فقام من موضعه واجلسه فيه وجلس بين يديه، فاشار المقيد بأن يدرس في حضوره وكان يعجبه كلامه اذا تكلم، وكان السيد قد وقف قرية على كافة الفقهاء، وحكاية رؤية المقيد في =

دخل أبو العلاء المعري (١) على السيد المرتضى قدس الله روحه فقال:

أيها السيد، ما قولك في الكل؟

قال السيد: ما قولك في الجزء؟

فقال: ما قولك في الشعري؟

فقال: ما قولك في التدوير؟

قال: ما قولك في عدم الانتهاء؟

قال: ما قولك في التحيز والتأعور؟

فقال: ما قولك في السبع؟

فقال: ما قولك في الزايد البري من السبع؟

فقال: ما قولك في الأربع؟

فقال: ما قولك في الواحد والاثنين؟

المنام فاطمة الزهراء عليها السلام وأنها آتت بالحسن والحسين ومحيى فاطمة بنت الناصر بولديها الرضي والمرتضى في صبيحة ليلة المنام وقولها له: علم ولدي هذين مشهورة.

والخامس: توفي السيد المرتضى رضي الله عنه خمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦، وصلى عليه في داره ودفن فيها ثم نقل إلى جوار جده أبي عبد الله الحسين (ع).

والسادسة: حكى عن القاضي التنوخي صاحب السيد المرتضى أنه قال: ولد السيد سنة ٣٥٥ وخلف بعد وفاته ثلاثين ألف مجلد من مقروءاته ومصنفاته ومخطوطاته، ومن الأموال والأموال ما يتجاوز عن الوصف وصنف كتاباً يقال له الثمانين وخلف من كل شيء ثمانين، وعمر إحدى وثمانين سنة، من أجل ذلك سمي الثمانيني، وبلغ في العلم وغيره مرتبة عظيمة قلد نقابة الشرفاء شرقاً وغرباً وإمارة الحاج والحرمين، والنظر في المقام والقضاء القضاة، وبلغ على ذلك ثلاثين سنة.

(١) اختلف في عقيدة أبي العلاء المعري فقيل: أنه كان ملحداً ومات كذلك. وقيل: أنه كان مسلماً موحداً. وقيل أنه كان ملحداً ثم أسلم.

وهذا القول الأخير يعززه ما قرأته في ديوان عبد المحسن الصوري رحمه الله المتوفى سنة ٤١٩. (المخطوط في مكتبة الأديب الفاضل الشيخ محمد هادي الأميني - حفظه الله) من قوله:

نسجى المعسري من العار ومن شساعات واخيار
وافقني اسر على انه يقول بالجنة والنار
وانه لا عاد من بعدها يصبو الى مذهب بكسر

واسم أبي العلاء المعري (أحمد) بن عبد الله بن سليمان.

قال الشيخ عباس القمي في ترجمته ج ٣ من الكنى والألقاب ص ٦١: «الشاعر الأديب الشهير، كان نسج وحده بالعربية ضربت أباط الأبل إليه، وله كتب كثيرة وكان اعمى ذا فطانة، وله حكايات من ذكائه وفطانيته. حكى أنه لما سمع فضائل الشريف السيد المرتضى اشتاق إلى زيارته. فحضر مجلس السيد وكان سيد المجالس فجعل يخطو ويدنو إلى السيد فعثر على رجل فقال الرجل: من هذا الكلب؟ فقال المعري: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً. فلما سمع الشريف ذلك منه قربه وأدناه فامتحنه فوجده وحيد عصره وأعجوبة دهره. فكان أبو العلاء يحضر مجلس السيد وعد من شعراء مجلته...»

فقال : ما قولك في المؤثر؟

فقال : ما قولك في المؤثرات؟

فقال : ما قولك في النحسين؟

فقال : ما قولك في السعدين؟ فبهت أبو العلاء .

(قال) : فقال السيد المرتضى قدس الله روحه- عند ذلك- ألا كل ملحد ملهد!

فقال أبو العلاء . من اين اخذته؟

قال : من كتاب الله «يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم»^(١).

وقام وخرج فقال السيد رضي الله عنه : قد غاب عنا الرجل وبعد هذا لا يرانا.

فسل السيد (ره) عن كشف هذه الرموز والاشارات فقال :

سألني عن الكل، وعنده الكل قديم، ويشير بذلك الى عالم سماه (العالم الكبير) فقال : ما قولك فيه؟ اراد انه قديم.

فأجبت عن ذلك وقلت له : ما قولك في الجزء ؟ لأن عندهم الجزء (محدث) وهو متولد عن (العالم الكبير) وهذا الجزء عندهم هو (العالم الصغير) وكان مرادى بذلك : انه اذا صح ان هذا العالم محدث، فذلك الذي اشار اليه ان صح فهو محدث أيضاً، لأن هذا من جنسه على زعمه، والشيء الواحد لا يكون بعضه قديماً وبعضه محدثاً، فسكت لما سمع ما قلته.

وأما الشعري : اراد أنها ليست من الكواكب السيارة.

فقلت له : ما قولك في التدويرات؟ أردت (الفلك) في التدويرات والدوران والشعري لا يقدر في ذلك.

وأما عدم الانتهاء . أراد بذلك ان العالم لا ينتهي لانه قديم.

فقلت له : قد صح عندي (التحيز والتدوير) وكلاهما يدلان على الانتهاء وأما السبع : اراد بذلك (النجوم السيارة) التي عندهم ذوات الأحكام فقلت له : هذا باطل بالزائد البري الذي يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكم منوطاً بهذه الكواكب السيارة، التي هي : (الزهرة، والمشتري، والمريخ وعطارد، والشمس، والقمر، وزحل).

وأما الأربع أراد بها (الطبايع)^(٢).

(١) لقمان : ١٣.

(٢) أي : العناصر الأربعة على رأي الفلسفة القديمة وهي : (التراب، والنار والماء والهواء).

فقلت له : في الطبيعة الواحدة النارية يتولد منها دابة بجعلدها تمس الأيدي ثم يطرح ذئب الجلد على النار فتحرق الزهومات ، فيبقى الجلد صحيحاً ، لأن الدابة خلقها الله على طبيعة النار والنار لا تحرق النار ، والثلج أيضاً يتولد فيه الديدان وهو على طبيعة واحدة ، والماء في البحر على طبيعتين يتولد منه السموك والضفادع ، والحيات ، والسلاحف ، وغيرها . وعنده لا يحصل الحيوان الا بالأربع فهذا مناقض بهذا .

وأما المؤثر ، اراد به (الزحل)

فقلت له : ما قولك في المؤثرات أردت بذلك : ان المؤثرات كلهن عنده مؤثرات ، فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثراً ؟!

وأما النحسين : أراد بهما : انهما من النجوم السيارة ، اذا اجتماعا يخرج من بينهما سعد .

فقلت له : ما قولك في السعدين ؟ اذا اجتماعا خرج من بينهما نحس ، هذا حكم ابطله الله تعالى ، ليعلم الناظر ان الأحكام لا تتعلق بالمسخرات ، لأن الشاهد يشهد ان (العسل والسكر) اذا اجتماعا لا يحصل منهما (الحنظل) و(العلقم والحنظل) اذا اجتماعا لا يحصل منهما (الدبس والسكر) هذا دليل على بطلان قولهم .

واما قولي ألا كل ملحد ملهد ، أردت : ان كل مشرك ظالم ، لأن في اللغة : الحد الرجل اذ عدل من الدين ، واخذ اذا ظلم ، فعلم ابو العلاء ذلك واخبرني عن علمه بذلك ، فقرأت : «يا بني لا تشرك بالله الآية» .

وقيل : ان المعري لما خرج عن العراق سئل عن السيد المرتضى (ره) فقال :

ياسائلي عنه لما جئت اسأله ألا هو الرجل العاري من العار
لو جئت لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة الأرض في دار

إحتجاجة قدس الله روحه في التعظيم والتقديم لأئمتنا عليهم السلام على سائر الوري ما عدا نبينا عليه السلام بطريقة لم يسبقه إليها أحد ذكرها في رسالته الموسومة بالرسالة الباهرة في فضل العترة الطاهرة .

قال : وما يدل ايضاً على تقديمهم وتعظيمهم على البشر : ان الله تعالى دلنا على ان المعرفة بهم كالمعرفة به تعالى ، في انها : (إيمان واسلام) وان الجهل بهم والشك فيهم كالجهل به والشك فيه ، في انه (كفر وخروج من الايمان) وهذه منزلة ليس لأحد من البشر الا لنبينا صلى الله عليه وآله ، وبعده لأمير المؤمنين والأئمة من ولده «ع» ، لأن المعرفة بنبوة الأنبياء المتقدمين من آدم الى عيسى «ع» غير واجبة علينا ، ولا تعلق لها بشيء من تكاليفنا ، ولو لا أن القرآن ورد بنبوة من سمي فيه من الأنبياء المتقدمين فعرفناهم تصديقاً للقرآن . وإلا فلا وجه لوجوب معرفتهم علينا ، ولا تعلق لها بشيء من احوال تكاليفنا .

وبقي علينا ان ندل على الأمر على ما ادعيناه .

والذي يدل على ان المعرفة بامامة من ذكرناه «ع» من جملة الايمان وان الاخلال بها كفر ورجوع عن الايمان : (اجماع) الشيعة الامامية على ذلك فانهم لا يختلفون فيه ، واجماعهم حجة ، بدلالة ان قول الحجة المعصوم الذي قد دلت العقول على وجوده في كل زمان في جملتهم وفي زمريهم ، وقد دللنا على هذه الطريقة في مواضع كثيرة من كتبنا ، واستوفينا ذلك في جواب المسائل التباينات خاصة ، وفي كتاب نصره ما انفردت به الشيعة الامامية من المسائل الفقهية ، فان هذا الكتاب مبني على صحة هذا الأصل .

ويمكن أن يستدل على وجوب المعرفة بهم «ع» (باجماع الامة) مضافا الى ما بيناه من اجماع الامامية .

وذلك : ان جميع اصحاب الشافعي يذهبون الى ان الصلاة على نبينا في التشهد الأخير فرض واجب ، وركن من اركان الصلاة متى اخل بها الانسان فلا صلاة له واكثرهم يقول : ان الصلاة في هذا التشهد على آل النبي عليهم الصلاة والسلام في الوجوب واللزوم ووقوف أجزاء الصلاة عليهم كالصلاة على النبي «ص» .

وبالقول منهم يذهبون : الى أن الصلاة على آل مستحبة وليست بواجبة فعلى القول الأول لا بد لكل من وجبت عليه الصلاة من معرفتهم من حيث كان واجبا عليه الصلاة عليهم ، فان الصلاة عليهم فرع على المعرفة بهم ، ومن ذهب الى أن ذلك مستحب فهو من جملة العبادة ، وان كان مستنونا مستحبا ، والتعبدية يقتضي التعبد بما لا يتم الا به المعرفة .

ومن عدى اصحاب الشافعي لا يفكرون أن الصلاة على النبي وآله «ص» في التشهد مستحبة ، وأي شبهة تبقى مع هذا في انهم «ع» افضل الناس وأجلهم وذكرهم واجب في الصلاة ، وعند أكثر الامة من الشيعة الامامية ، وجمهور اصحاب الشافعي : ان الصلاة تبطل بتركه ، وهل مثل هذه الفضيلة لمخلوق سواهم او يتعداهم .

ومما يمكن الاستدلال به على ذلك : أن الله تعالى قد ألهم القلوب وغرس في كل النفوس تعظيم شأنهم ، راجلال قدرهم ، على تباين مذاهبهم ، واختلاف ديانتهم ونحلهم ، وما اجمع هؤلاء المختلفون والمتباينون مع تشتت الأهواء وتشعب الآراء على شيء كاجماعهم على تعظيم من ذكرنا واكباره فانهم يزورون قبورهم ويقصدون من شاطئ البلاد وشاطئها مشاهدتهم ، ومدافنتهم ، والمواضع التي رسمت بصلاتهم فيها ، وحلولهم بها ، وينفقون في ذلك الاموال ، ويستنفدون الأحوال .

فقد اخبرني من لا احصيه كثرة أن أهل نيشابور ومن والاها من تلك البلدان يخرجون في كل سنة الى طوس لزيارة الامام أبي الحسن علي بن موسى الرضا صلوات الله عليهما بالجمال الكثيرة ، والاهب التي لا يوجب مثلها الا للحج الى بيت الله الحرام ، هذا مع ان المعروف من انحراف أهل خراسان عن هذه الجهة ، وازورارهم عن هذا الشعب ، وما تسخير هذه القلوب القاسية ، وعطف هذه الامم النائية ، إلا كالحارقات للعادات ، والخارج عن الامور والمألوفات ، والا فها الحامل للمخالفين لهذه النحلة ،

المنحازين عن هذه الجملة، على أن يراوحوها هذه المشاهد ويغادوها، ويستنزّلوا عندها من الله تعالى الأرزاق، ويستفتحوا بها الأغلاق، ويطلبوا ببركتها الحاجات، ويستدفعوا البليات، والأحوال الظاهرة كلها لا توجب ذلك، ولا تقتضيه ولا تستدعيه، والأفعال ذلك فيمن يعتقدون هم أو أكثرهم إمامته وفرض طاعته، وأنه في الديانة موافق لهم غير مخالف، ومساعد غير معاند، ومن المحال أن يكونوا فعلوا ذلك لداع من دواعي الدنيا، فإن الدنيا عند غير هذه الطائفة موجودة، وعندها هي مفقودة. ولا لتقية واستصلاح، فإن التقية هي فيهم لا منهم، ولا خوف من جهتهم، ولا سلطان لهم، وكل خوف إنما هو عليهم، فلم يبق إلا داعي الدين، وذلك هو الأمر الغريب العجيب الذي لا تنفذ في مثله الأمشية الله، وقدرة القهار التي تذلل الصعاب، وتقود بأزمتهما الرقاب.

وليس لمن جهل هذه المزية أو تجاهلها أو تعامى عنها وهو يبصرها، أن يقول: إن العلة في تعظيم غير فرق الشيعة هؤلاء القوم ليست ما عظمتوه وفخمتوه وادعيتهم خرقه للعادة وخروجه عن الطبيعة، بل هي لأن هؤلاء القوم عن عترة النبي «ص»، وكل من عظم النبي «ص» فلا بد أن يكون لعترته وأهل بيته معظماً ومكرماً، وإذا انضاف إلى القرابة الزهد، وهجر الدنيا والعفة والعلم، زاد الاجلال والاكرام لزيادة أسبابها.

والجواب عن الشبهة الضعيفة: أن قد شارك أئمتنا (ع) في نسبهم وحسبهم وقرابتهم من النبي «ص» غيرهم، وكانت لكثير منهم عبادات ظاهرة وزهادة في الدنيا بادية وسمات جميلة، وصفات حسنة، من ولد أبيهم عليه وآله السلام ومن ولد عمهم العباس رضوان الله عليهم، فما رأينا من الاجماع على تعظيمهم، وزيارة مدافنهم، والاستشفاع بهم في الأغراض والاستدفاع بمكانهم للأغراض والأمراض، ما وجدنا مشاهداً معيناً في هذا الاشتراك، إلا فمن الذي اجمع على فرط اعظامه وإجلاله من ساير صنوف العترة، يجري في هذا الحال مجرى الباقر والصادق والكاظم والرضا صلوات الله عليهم أجمعين، لأن من عدا من ذكرنا من صلحاء العترة وزهادها ممن يعظمه فريق من الأمة ويعرض عنه فريق، ومن عظم منهم وقدمه لا ينتهي في الاجلال والاعظام إلى الغاية التي ينتهي إليها فيمن ذكرناه ولولا أن تفصيل هذه الجملة ملحوظ معلوم لفصلناها على طول ذلك، ولسمينا من كنيها عنه، ونظرنا بين كل معظم مقدم من العترة، ليعلم أن الذي ذكرناه هو الحق الواضح وما عداه هو الباطل الماضح^(١).

وبعد: فمعلوم ضرورة إن الباقر والصادق ومن وليهما من أئمة ابنائهما «ع» كانوا في الديانة والاعتقاد وما يفتون به من حلال وحرام على خلاف ما يذهب اليه مخالفوا الامامية، وإن ظهر شك في ذلك كله فلا شك ولا شبهة على منصف في أنهم لم يكونوا على مذاهب الفرق المختلفة المجمععة على تعظيمهم والتقرب إلى الله تعالى بهم، وكيف يعترض ريب فيما ذكرناه؟! ومعلوم ضرورة أن شيوخ الامامية وسلفهم في ذلك الأزمان كانوا بطانة للباقر وللصادق صلوات الله عليهما ومن وليهما أجمعين السلام، وملازمين لهم متمسكين بهم ومظهرين أن كل شيء يعتقدونه وينتحلونه ويصححونه أو يبطلونه

فعنهم تلقوه ومنهم اخذوه، فلو لم يكونوا «ع» بذلك راضين وعليه مقرين لأبوا عليهم نسبة تلك المذاهب اليهم، وهم منها بريئون خليون، ولنقوا ما بينهم من مواصلة ومجالسة، وملازمة وموالاتة، ومصافاة، ومدح واطراء وثناء، ولأبدلوه، باللوم والدم، والبراءة والعداوة، فلو لم يكن انهم «ع» لهذه المذاهب معتقدون وبها راضون، لبان لنا واتضح، ولو لم يكن الا هذه الدلالة لكفت وأغنت، وكيف يطيب قلب عاقل، أو يسوغ في الدين لأحد: ان يعظم في الدين من هو على خلاف ما يعتقد انه الحق وما سواه باطل، ثم ينتهي في التعظيمات والكرامات إلى أبعد الغايات وأقصى النهايات، وهل جرت بمثل ذلك عادة؟ أو مضت عليه سنة؟ أو لا يرون أن الامامية لا تلتفت إلى من خالفها من العترة، وحاد عن جاداتها في الديانة، ومحجتها في الولاية، ولا تسمح له بشيء من المدح والتعظيم، فضلا عن غايته واقصى نهايته، بل تبرأ منه وتعاديته، وتجريه في جميع الأحكام مجرى من لا نسب له ولا حسب، ولا قرابة ولا علفة، وهذا يوقظ على ان الله تعالى خرق في هذه العصابة العادات، وقلب الجبلات، ليبين من عظيم منزلتهم، وشريف مرتبتهم، وهذه فضيلة تزيد على الفضائل، وتوفي على جميع الخصائص والمناقب، وكفى به برهاناً لا تحجاً، وحجاً بأراجحاً.

قطعنا هذا الكتاب على كلام السيد علم الهدى قدس الله روحه، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

محتويات الكتاب

٥ تقديم بقلم العلامة الجليل السيد محمد بحر العلوم

١٣ مقدمة المؤلف

فصل

١٥ في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتي هي أحسن وفضل أهله .

فصل

٢١ في ذكر طرف مما جاء عن النبي (ص) من الجدال والمحااجة والمناظرة وما يجري مجرى ذلك مع من خالف الإسلام وغيرهم واحتجاجه (ص) على من اجتمع عنده من ممثلي الأديان الخمسة : اليهود ، والنصارى ، والدةهرية ، والثنوية ، ومشركي العرب .

٢٨ احتجاجه (ص) على جماعة من المشركين .

٢٩ احتجاجه ايضاً على جماعة من المشركين .

٣٨ جوابه (ص) رسالة أبي جهل ، واخباره بواقعة بدر ومن يقتل فيها من المشركين قبل حدوثها .

٤٠ احتجاجه (ص) على اليهود في جواز نسخ الشرايع وغير ذلك .

٥٠ احتجاجه (ص) على المنافقين في طريق تبوك ، وكيدهم له بالليل على العقبة .

٥٥ احتجاج النبي (ص) يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب (ع) ومن بعده من ولده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين .

٧٠ ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله (ص) من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة من قبل من

استحقها ومن لم يستحق والاشارة إلى شيء من انكار من انكر على من تأمر على علي بن أبي

طالب (ع) تأمره ، وكيد من كاده من قبل ومن بعد وخروج النبي (ص) متوكئاً على علي (ع)

والعباس ، وحديث الثقلين وامره (ص) بتجهيز جيش اسامة ، وقصة السقيفة واختلاف

المهاجرين والأنصار في أمر الخلافة وبيعة أبي بكر .

امتناع أمير المؤمنين (ع) عن البيعة واحتجاجه عليهم بأحقية بالخلافة ومناشدته لهم ان يشهدوا

بما سمعوه يوم غدیر خم من قول رسول الله (ص) : « من كنت مولاه فهذا علي مولاه » وقول زيد بن ارقم : « فشهد اثنا عشر رجلاً بذلك وكنت ممن سمع القول فكتمته فدعا علي فذهب بصري » .

الاثنا عشر الذين انكروا على أبي بكر في المسجد وهو على المنبر .
المهجوم على دار علي (ع) واكراهه على البيعة ، وكتاب أبي قحافة الى أبي بكر وامره برد الحق الى اهله .

وتأمر القوم على اغتيال علي عليه السلام .

٩٠ احتجاج أمير المؤمنين (ع) على أبي بكر وعمر لما منعوا فاطمة الزهراء (ع) فذك بالكتاب والسنة .
احتجاج فاطمة على أبي بكر في فذك وطلب أبي بكر منها الشهود ، وشهادة ام ايمن وعلي بن أبي طالب (ع) ، والكتاب الذي كتبه ابو بكر لفاطمة (ع) في فذك ومزقه عمر .

٩٥ رسالة لأمير المؤمنين (ع) الى أبي بكر لما بلغه عنه كلام بعد منع الزهراء (ع) فذك .

٩٧ احتجاج فاطمة الزهراء (ع) على القوم لما منعوها فذك وقولها لهم عند الوفاة بالامامة .
وخطبتها سلام الله عليها في المسجد وجواب أبي بكر لها ، وادعائه انه سمع رسول الله (ص) يقول : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » ورددها عليها السلام على ذلك وعودتها الى دارها بعد الخطبة وعتابها لعلي أمير المؤمنين (ع) وجوابه لها (ع) يسليها ويهون عليها . ودخول نساء المهاجرين والأنصار عليها بعدتها في مرضها الذين توفيت فيه وكلامها (ع) معهن .

١١٠ احتجاج سلمان الفارسي رضي الله عنه في خطبة خطبها بعد وفاة رسول الله (ص) على القوم لما تركوا أمير المؤمنين (ع) واختاروا غيره ونبذوا العهد المأخوذ عليهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

١١٢ احتجاج لأبي بن كعب على القوم بمثل ما احتج به سلمان رضي الله عنه .

١١٥ احتجاج أمير المؤمنين (ع) على أبي بكر لما كان يعتذر إليه من بيعة الناس له ويظهر الانبساط له .
١٣٠ احتجاج سلمان الفارسي (ع) على عمر بن الخطاب في جواب كتاب كتبه اليه حين كان عامله على المدائن بعد خديفة بن اليمان .

١٣٢ احتجاج أمير المؤمنين (ع) على القوم لما مات عمر بن الخطاب وقد جعل الخلافة شوري بينهم .
١٤٥ احتجاجه (ع) على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار لما تذاكروا فضلهم بما قال رسول الله (ص) من النص عليه وغيره من القول الجميل .

١٥٥ جمعه (ع) للقرآن بعد وفاة الرسول (ص) وعرضه عليهم ، وقول عمر يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه .

١٥٧ خطبة أبي ذر في الموسم وهو آخذ بحلقة باب المسجد يدعو الناس الى أهل البيت (ع) ويحدثهم بحديث السفينة وحديث الثقلين .

١٥٨ قول علي (ع) لعثمان : كذبت انا خير منك ومنها عبدت الله قبلكم وعبدته بعدكم . قول النبي (ص)

لعلي (ع) : « فاخر العرب وانت أكرمهم ابن عمي ، وأكرمهم صهراً ، وأكرمهم زوجة ، وأكرمهم أخاً .. الخ » ورواية سليم بن قيس : جلست الى سلمان وابي ذر والمقداد فجاء رجل من أهل الكوفة فجلس اليهم مسترشداً فقال له سلمان : عليك بكتاب الله فالزمه ، وعلي بن أبي طالب فانه مع القرآن لا يفارقه وقوله : لقد أمرنا رسول الله وأمرهما معنا فسلمنا جميعاً على علي بامرة المؤمنين .

ورواية القاسم بن معاوية : « قلت لأبي عبد الله (ع) هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم : انه لما اسري برسول الله رأى مكتوباً على العرش : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله (ص) أبو بكر الصديق » قال : (سبحان الله غيروا كل شيء حتى هذا !!! .. الخ) .
ورواية عبد الله بن الصامت : رأيت أبا ذر أخذاً بحلقة باب الكعبة مقبلاً بوجهه للناس وهو يقول .. الخ .

- ١٥٩ أفضل منقبة لعلي بن أبي طالب (ع)
١٦٠ احتجاجه (ع) على الناكثين بيعته في خطبة خطبها حين نكثوها .
١٦١ احتجاج أمير المؤمنين (ع) على الزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله لما أزمعا على الخروج عليه ، والحجة في انها خرجا من الدنيا غير ثائين من نكث البيعة .
١٦٥ احتجاج ام سلمة رضوان الله عليها زوجة رسول الله (ص) على عائشة في الانكار عليها بخروجها على علي أمير المؤمنين عليه السلام .
١٦٨ احتجاج أمير المؤمنين (ع) بعد دخوله البصرة بأيام على من قال من أصحابه : انه ما قسم الفتيء فينا بالسوية ، ولا عدل في الرعية وغير ذلك من المسائل التي سئل عنها في خطبة خطبها .
١٧٢ احتجاجه (ع) على قومه في الحث على المسير الى الشام لقتال معاوية وفيما اخذ عليهم من العهد والميثاق بالطاعة له حيال بيعتهم اياه .
١٧٦ احتجاجه (ع) على معاوية في جواب كتاب كتبه اليه وفي غيره من المواضع وهو من أحسن الحجج وأصوبها . وغير ذلك من كتبه الى معاوية واحتجاجه عليه وعلى عمرو بن العاص .
١٨٣ كتاب محمد بن أبي بكر الى معاوية واحتجاجه عليه وجواب معاوية له .
١٨٥ احتجاجه (ع) على الخوارج لما حملوه على التحكيم ثم انكروا عليه ذلك ونقموا عليه اشيا فأجابهم (ع) عن ذلك بالحجة وبين لهم ان الخطأ من قبلهم بل واليهم يعود .
١٨٩ احتجاجه (ع) في الاعتذار من قعوده عن قتال من تأمر عليه من الأولين ، وقيامه على قتال من بغى عليه من الناكثين والقاسطين والمارقين . وخطبته (ع) المعروفة بالشقشقية .
١٩٥ وروي أن أمير المؤمنين (ع) قال - في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيام حاكياً عن رسول الله (ص) قوله - : « يا علي انت باق بعدي ، ومبتل بامتي ، ونخاصم بين يدي الله فاعدد للخصومة جواباً »

قول عبادة بن الصامت لأحمد بن همام : يا أبا ثعلبة اذا سكتنا عنكم فاسكتوا فوالله لعلي بن

- أبي طالب (ع) كان احق بالخلافة من أبي بكر ، كما كان رسول الله (ص) احق بالنبوة من أبي جهل وحديث الطائر المشوي .
- ١٩٨ احتجاجه (ع) فيما يتعلق بتوحيد الله وتنزيهه عما لا يليق به من صفات المصنوعين من : الجبر ، والتشبيه ، والرؤية والمحيي ، والذهاب والتغير ، والزوال ، والانتقال من حال الى حال ، من اثناء خطبه ومجاري كلامه ، ومخاطباته ، ومحاوراته .
- ٢٠٥ وروي أنه وفد وفد من بلاد الروم الى المدينة على عهد أبي بكر وفيهم راهب من رهبان النصارى فأتى مسجد رسول الله (ص) ومعه بختي موثر ذهباً وفضة وكان أبو بكر حاضراً وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار . . الخ .
- ٢٠٨ كلامه (ع) حين خاض أصحابه في التعديل والتجريح وجوابه (ع) لمن سأله بعد انصرافه من الشام « يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا الى الشام أبقياء وقدر ؟ » .
- ٢١٠ احتجاجه (ع) على اليهود من أجازهم ممن قرأ الصحف والكتب في معجزات النبي (ص) وكثير من فضائله .
- ٢٢٦ احتجاج أمير المؤمنين (ع) على بعض اليهود وغيره في انواع شتى من العلوم ، واجوبته (ع) مسائل ابن الكوا ، وقوله (ع) : والذي بعث محمداً بالحق نبياً ، ان نور أبي يوم القيامة ليطفىء انوار الخلايق كلهم الا خمسة انوار .
- ٢٣٥ احتجاجه (ع) على من قال بزوال الأدوية بمداوات الأطباء دون الله سبحانه . وعلى من قال بأحكام النجوم من المنجمين وغيرهم من الكهنة والسحرة .
- ٢٤٠ احتجاجه (ع) على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من القرآن متشابهة محتاج إلى تأويل ، على أنها تقتضي التناقض والاختلاف فيه ، وعلى امثاله في أشياء اخر .
- ٢٥٨ قوله (ع) « سلوني قبل أن تفقدوني » واجوبته مسائل ابن الكوا .
- ٢٦١ احتجاجه (ع) على من قال بالرأي في الشرع ، والاختلاف في الفتوى ، وان يتعرض للحكم بين الناس من ليس لذلك بأهل ، وذكر الوجه لاختلاف من اختلف في الدين والرواية عن رسول الله (ص) .
- ٢٦٦ جواب الحسن بن علي (ع) مسائل الخضر بحضرة ابيه (ع) .
- ٢٦٧ جواب الحسن مسائل جاءت من الشام والروم بحضرة ابيه (ع) .
- ٢٦٩ احتجاج الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) على جماعة من المنكرين لفضله وفضل ابيه من قبل في مجلس معاوية «لع» .
- ٢٧٩ مفاخرة الحسن بن علي (ع) على معاوية ، ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة ، والوليد بن عتبة ، وعتبة بن أبي سفيان .

فهرس الهوامش

٥	ترجمة (أبي جعفر) مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي .
١٥	ترجمة (أبي عبد الله) جعفر بن محمد بن أحمد الدوريسي .
١٦	ترجمة (أبي جعفر) محمد بن أحمد بن العباس العباسي الدوريسي .
١٦	ترجمة (أبي جعفر) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي .
١٦	ترجمة (أبي الحسن) محمد بن القاسم الاستربادي المفسر .
١٦	ترجمة (أبي يعقوب) يوسف بن محمد بن زياد .
١٦	ترجمة (أبي الحسن) علي بن محمد بن سيار .
٢٢	التعريف باليهود ، والنصارى ، والثنوية ، والمجوس ، والذهرية .
٥٥	ترجمة (أبي علي) الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي .
٥٥	ترجمة (شيخ الطائفة) أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي .
٥٥	ترجمة (أبي محمد) هارون بن موسى التلعكبري الشيباني .
٥٥	ترجمة (أبي علي) محمد بن همام .
٥٥	ترجمة (أبي محمد) العلوي .
٥٥	ترجمة (محمد بن موسى) أحمداني .
٥٦	ترجمة (محمد) بن خالد الطيالسي .
٥٦	ترجمة (سيف) بن عميرة النخعي .
٥٦	ترجمة (صالح) بن عقبة بن قيس بن سمعان .
٥٦	ترجمة (علقمة) بن محمد الحضرمي .
٥٦	مصادر حديث الغدير
٦٨	ترجمة (عبد الرحمن) بن سالم الأشلي .
٦٨	ترجمة (أبي بصير) يحيى بن القسم الأسدي .
٦٨	ترجمة (علي بن أبي حمزة) مولى الأنصار الكوفي .
٧٠	ترجمة (محمد) بن عبد الله الشيباني (أبو الفضل) .
٨٠	ترجمة (سليم) بن قيس الهلالي .
٩٠	ترجمة (حماد) بن عثمان الفزاري . والتفريق بينه وبين حماد بن عثمان (ذو الناب) .
٩١	(أم أيمن) مولاة النبي (ص) وحاضنته ، قول النبي (ص) : « هي أمي بعد أمي » وقوله : « من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليزوج أم أيمن » . رواية الطبرسي في مجمع البيان لما نزل قوله : « وآت ذا القربى حقه » أعطى رسول الله (ص) فاطمة فدكا .

- ٩٢ رواية محب الدين الطبري حين نزلت آية التطهير : دعى رسول الله (ص) فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » .
- ٩٣ شيء من أحوال (خالد) بن الوليد وقصة مالك بن نويرة .
- ٩٤ ترجمة أسماء بنت عميس الخثعمية .
- ٩٧ ترجمة (عبد الله المحض) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (ع) مصادر خطبة الزهراء عليها السلام .
- ١٠٤ كلمة صريحة للاستاذ محمود ابورية ، حول موقف أبي بكر من فاطمة (ع) وما فعل معها في ميراث أبيها .
- ١٠٨ ترجمة (سويد) بن غفلة الجعفي .
- ١٠٨ سند خطبة الزهراء (ع) التي خطبتها في مرضها الذي توفيت فيه برواية ابن أبي الحديد عن أبي بكر الجوهري .
- ١١٠ ترجمة (سلمان) الفارسي رضوان الله عليه .
- ١١٢ ترجمة (أبي) بن كعب .
- ١١٢ ترجمة (محمد) ذي النفس الزكية «رض» واخيه يحيى «صاحب الديلم» الشهيد «رض» .
- ١١٦ مصادر حديث (أول من أسلم علي بن أبي طالب) .
- ١١٦ إرسال النبي (ص) علياً (ع) بسورة براءة ، وعدوله عن بعث أبي بكر وقوله : « لا يبلغ عني غيري او رجل مني » ومصادر هذه الاثارة .
- ١١٧ مبيت علي (ع) على فراش النبي (ص) حين هاجر الى المدينة ونزول آية : ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ في شأنه عليه السلام .
- ١١٨ مصادر حديث تصدق علي (ع) بالخاتم ونزول قوله تعالى : ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ في حقه .
- ١١٨ قول النبي (ص) لعلي (ع) : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » وبيان ان هذا القول قد تكرر منه في مناسبات شتى ، ومصادر الحديث وقول عمر : اما علي فسمعت رسول الله (ص) يقول فيه ثلاث خصال ، لوددت ان تكون لي واحدة منهن وكانت احب الي مما طلعت عليه الشمس .
- ١١٩ وحديث المباهلة وتفسير قوله تعالى : ﴿قل تعالوا ندع ابنائنا . الخ﴾ .
- ١١٩ نزول آية التطهير في خمسة : (النبي ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين) ورواية انس بن مالك : ان رسول الله (ص) كان يمر بباب فاطمة اذا خرج الى صلاة الفجر ويقول : الصلاة يا أهل بيتي انما يريد الله ، الآية .
- ١١٩ نزول سورة (هل أتى) في علي وفاطمة والحسين (ع) حين اطعموا اليتيم والاسير

- والمسكين ، ولم ينالوا شيئاً من الطعام وهم صيام ثلاثة أيام ومصادر هذه الكرامة .
- ١٢٠ مصادر حديث رد الشمس لعل (ع) .
- ١٢٠ نداء جبرئيل (ع) بين السماء والأرض : لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي . وقصة اعطاء النبي الراية يوم خيبر لعل عليه السلام .
- ١٢١ قتل علي (ع) عمرو بن عبد ود .
- ١٢٣ في ان تزويج علي من فاطمة (ع) كان بأمر من السماء ، ومصادر حديث (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وابوهما خير منهما) .
- ١٢٣ ترجمة جعفر بن ابي طالب عليها السلام .
- ١٢٤ قصة الطائر المشوي .
- ١٢٥ قول النبي (ص) علي يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله .
- ١٢٥ في علم علي (ع) وشيء من فضائله .
- ١٢٥ في ان النبي (ص) أمر اصحابه بالسلام على علي بامرة المؤمنين .
- ١٢٦ في ان علياً آخر من شهد كلام رسول الله (ص) وولي غسله ودفنه .
- ١٢٦ قصة الدينار الذي حباه الله علياً (ع) .
- ١٢٧ قصة صعود علي (ع) على منكب النبي وتكسيه الاصنام التي كانت على ظهر الكعبة .
- ١٢٧ في ان علياً (ع) هو صاحب لواء رسول الله (ص) في الدنيا والآخرة وحديث سد الأبواب الشارعة في المسجد الا باب علي وقول النبي (ص) « والله ما سددت شيئاً ولا فتحتة ولكن امرت بشيء فاتبعته » .
- ١٢٨ آية في كتاب الله لم يعمل بها غير علي (ع) .
- ١٢٨ قول النبي (ص) لفاطمة (ع) : « زوجتك خير اهل بيتي أعلمهم علماً وافضلهم حلياً . وأولهم سلماً .
- ١٢٩ تسليم الملائكة على علي (ع) يوم القلب .
- ١٣٠ ترجمة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .
- ١٣٢ في ذكر مصادر مناشدة علي (ع) أصحاب الشورى وحديث المناشدة كما هو في مناقب الخوارزمي .
- ١٣٤ ترجمه (عمرو) بن شمر الجعفي .
- ١٣٤ ترجمة (جابر) بن يزيد الجعفي .
- ١٣٥ ترجمة (حمزة) بن عبد المطلب (ع) (سيد الشهداء) .
- ١٣٦ في ان علياً (ع) رأى جبرئيل (ع) في مثال دحية الكلبي .
- ١٣٦ قول عمر للأعرابي : ويحك ما تدري من هذا ؟! - يريد علياً (ع) - هذا مولاي ومولى كل مؤمن ، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن .

- ١٣٧ في ان الله تعالى سمي علياً (مؤمناً) في عشر آيات من القرآن ، وبيان تلك الآيات العشرة .
- ١٣٩ قول النبي (ص) اول هذه الامة وروداً على الخوض اولها اسلاماً علي بن أبي طالب (ع) .
- ١٣٩ قول النبي (ص) يا أنس اول من يدخل عليك من هذا الباب امير المؤمنين وسيد المسلمين ، وقائد الغر المحجلين ، وخاتم الوصيين ، فكان علياً (ع) .
- ١٤٢ قول النبي (ص) : من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله .
- ١٤٢ في ان علياً (ع) صلى قبل ان تصلي الناس بسبع سنين .
- ١٤٢ وقول النبي (ص) لو قد ثقيف لتسلمن او لأبعثن (رجلاً مني) او قال (مثل نفسي) فليضربن اعناقكم . قال عمر : « فوالله ما تمنيت الامارة الا يومئذ » .
- ١٤٣ قوله (ص) انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب .
- ١٤٩ حديث الثقلين .
- ١٥٤ قول عمر : (النبي يهجر) .
- ١٥٤ نص النبي على الأئمة الاثني عشر (ع) بأسمائهم .
- ١٥٥ قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ . وان المراد بالشجرة الملعونة بنو امية (لع) .
- ١٥٥ ترجمة (أبي ذر) الغفاري رضوان الله عليه .
- ١٥٨ ترجمة (القاسم) بن بريد بن معاوية العجلي .
- ١٥٨ ترجمة (عبد الله) بن الصامت .
- ١٥٩ قوله تعالى : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ﴾ فالذي على بينة من ربه هو رسول الله (ص) والذي يتلوه وهو شاهد منه هو علي (ع) وهو المراد بمن عنده علم الكتاب في قوله تعالى : ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ .
- ١٦٢ ترجمة (نصر) بن مزاحم المنقري .
- ١٦٤ ترجمة (أبي عبد الله) محمد بن عمر بن واقد المدني .
- ١٦٥ ترجمة (عبد الله) بن عباس و(محمد) بن اسحاق و(ام سلمة) ام المؤمنين (رض) .
- ١٦٥ ترجمة (الشعبي) عامر بن شراحيل الكوفي .
- ١٦٩ ترجمة (الاصمغ) بن نباتة رضوان الله عليه .
- ١٧١ ترجمة (أبي يحيى) الواسطي .
- ١٧٧ في معنى قوله (ع) : « فانا صنایع ربنا ، والناس بعد صنایع لنا » .
- ١٨٠ ترجمة (أبي عبيدة) معمر البصري .
- ١٨١ ترجمة (عمار) بن ياسر رضوان الله عليه .

- ١٨٣ ترجمة (محمد) بن أبي بكر رضوان الله عليه .
 ١٨٥ التعريف بالخوارج لعنهم الله .
 ١٩٠ ترجمة (اسحاق) بن موسى .
 ١٩١ مصادر الخطبة الشقشقية .
 ١٩٦ ترجمة (جابر) بن عبد الله الأنصاري (رحمه الله) .
 ٢٠٧ ترجمة (الجاحظ) عمرو بن بحر بن محبوب . و(الجبائي) محمد بن عبد الوهاب .
 ٢٠٨ عقيدتنا في القضاء والقدر .
 ٢٢٧ ترجمة (ابن الكوا) عبد الله الخارجي الملعون .
 ٢٣٠ مصادر قول علي (ع) : « ان نور أبي يوم القيامة ليطغى انوار الخلايق كلهم الا خمسة .
 ٢٣٠ ترجمة (أبي طالب) عليه السلام .
 ٢٣٩ ترجمة (سعيد) بن جبير رضوان الله عليه .
 ٢٥٤ في ان القرآن الكريم لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة .
 ٢٦٣ ترجمة (مسعدة) بن صدقة .
 ٢٦٥ ترجمة (يحيى) الحضرمي . و(أبي هاشم) الجعفري .
 ٢٦٧ ترجمة (محمد) بن قيس أبو نصير .
 ٢٦٩ ترجمة (أبي) مخنف . و(يزيد) بن أبي حبيب .
 ٢٧٧ قصة المغيرة بن شعبة والي عمر على البصرة حين زى بأمر جميل فجلد عمر الشهود ولم يقم عليه الحد .

فهرس الجزء الثاني

- ٢٨٥ احتجاج الحسن بن علي (ع) على معاوية في الامامة من يستحقها ومن لا يستحقها بعد مضي النبي صلى الله عليه وآله .
 ٢٨٨ احتجاجه عليه السلام على من أنكر عليه مصالحة معاوية لعنه الله ونسبه الى التقصير في طلب حقه .
 ٢٩٢ احتجاج الحسين بن علي (ع) على عمر بن الخطاب في الامامة والخلافة .
 ٢٩٣ احتجاج الحسين عليه السلام بذكر مناقب أمير المؤمنين وأولاده (ع) حين أمر معاوية لعنه الله بلعن أمير المؤمنين (ع) وقتل شيعته ، وقتل من يروي شيئاً من فضائله .
 ٢٩٦ احتجاج الحسين (ع) على معاوية توبيخاً له على قتل من قتله من شيعة أمير المؤمنين (ع) وترحه عليهم .
 ٢٩٨ احتجاجه صلوات الله عليه بامامته على معاوية وغيره وذكر طرف من مفاخراته ومشاجراته التي جرت له مع معاوية واصحابه .
 ٣٠٠ احتجاجه (ع) على أهل الكوفة .
 ٣٠٢ احتجاج فاطمة الصغرى على أهل الكوفة .

- ٣٠٣ خطبة زينب بنت علي بن أبي طالب بحضرة أهل الكوفة في ذلك اليوم تقريراً لهم وتأنياً .
- ٣٠٥ احتجاج علي بن الحسين عليهما السلام على أهل الكوفة حين خرج من الفسطاط وتوبيخه إياهم على غدرهم ونكثهم .
- ٣٠٦ احتجاجه عليه السلام بالشام على بعض أهلها حين قدم به وبمن معه على يزيد لعنه الله .
- ٣٠٧ احتجاج زينب بنت علي بن أبي طالب عليهم السلام حين رأته يزيد لعنه الله يضرب ثانياً الحسين (ع) بالمخصرة .
- ٣١٠ احتجاج علي بن الحسين زين العابدين (ع) على يزيد بن معاوية (لع) لما ادخل عليه .
- ٣١٢ احتجاجه (ع) في أشياء شتى من علوم الدين وذكر طرف من مواعظه البليغة .
- ٣١٦ احتجاجه (ع) على محمد بن الحنفية في الإمامة .
- ٣١٨ في بيان سبب اختصاص الإمام جعفر بن محمد بلقب (الصادق) وهم (ع) كلهم (الصائغون) .
- ٣٢١ احتجاج أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام في شيء مما يتعلق بالاصول والفروع .
- ٣٢١ احتجاجه (ع) على نافع مولى عمر بن الخطاب .
- ٣٢٢ احتجاجه (ع) على الحسن البصري .
- ٣٢٣ احتجاجه على سالم في إمامة علي (ع) .
- ٣٢٦ أجوبته (ع) على مسائل طاووس اليماني .
- ٣٣١ احتجاج أبي عبد الله الصادق (ع) في أنواع شتى من العلوم الدينية على اصناف كثيرة من أهل الملل والديانات .
- ٣٣٣ أجوبته (ع) لهشام بن الحكم - رحمه الله - عن اسماء الله عز ذكره واشتقاقها .
- ٣٣٤ احتجاجه (ع) على الزنديق المصري .
- ٣٣٥ احتجاجه (ع) على ابن أبي العوجاء .
- ٣٣٦ احتجاجاته (ع) على الزنادقة .
- ٣٥٩ احتجاجه عليه السلام على (أبي حنيفة) النعمان بن ثابت بن زوطي .
- ٣٦٥ احتجاج الصادق (ع) على رؤساء المعتزلة .
- ٣٦٧ احتجاجه (ع) على رجل من أهل الشام وأمره اصحابه بمناظرته .
- ٣٦٧ مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد .
- ٣٦٨ احتجاجه (ع) على رجل تصدق بما سرقه .
- ٣٧٠ مناظرة بحضرة الإمام الصادق (ع) بين رجل من شيعة وآخر من مخالفه .
- ٣٧١ احتجاجه (ع) على الزيدية .
- ٣٧٢ احتجاجه (ع) في مواضع شتى من العلوم .
- ٣٧٤ احتجاجه (ع) في بيان وجه الحكمة في غيبة الإمام المنتظر (عج) .
- ٣٧٦ احتجاج مؤمن الطاق على زيد بن علي بن الحسين (ع) .

- ٣٧٨ احتجاج مؤمن الطاق على ابن أبي حذرة .
- ٣٨١ احتجاج مؤمن الطاق على أبي حنيفة .
- ٣٨٢ احتجاج رجل من الشيعة على أبي الهذيل العلاف .
- ٣٨٥ احتجاج أبي إبراهيم موسى بن جعفر (ع) في أشياء شتى على المخالفين .
- ٣٨٧ احتجاج الامام موسى بن جعفر (ع) على أبي حنيفة .
- ٣٨٩ أجوبة الامام موسى بن جعفر (ع) لأسئلة الرشيد .
- ٣٩٢ المأمون يتعلم التشيع من الرشيد .
- ٣٩٤ احتجاج الامام موسى بن جعفر (ع) على أبي يوسف .
- ٣٩٦ احتجاج الامام أبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) في التوحيد والعدل وغيرهما، على المخالف والمؤلف ، والاجانب والأقارب .
- ٣٩٧ خطبته (ع) في التوحيد في مجلس المأمون .
- ٤٠١ احتجاجه (ع) على المروزي متكلم خراسان في مجلس المأمون .
- ٤٠٥ احتجاجه (ع) على أبي قرة المحدث .
- ٤٠٨ أجوبته (ع) على أسئلة أبي الصلت الهروي .
- ٤١٠ أجوبته (ع) لمن سألته عن صفات الله سبحانه .
- ٤١٠ أجوبته (ع) على مسائل في التوحيد .
- ٤١٤ كلامه (ع) في نفي الجبر والتفويض .
- ٤١٥ احتجاج الرضا (ع) على أهل الكتاب والمجوس ورؤس الصابئين وغيرهم .
- ٤١٦ أجوبته (ع) على أسئلة المأمون .
- ٤٣٢ احتجاجه صلوات الله عليه فيما يتعلق بالامامة وصفات من خصه الله تعالى بها وبيان الطريق الى من كان عليها وذم من يجوز اختيار الامام ولؤم من غلا فيه وأمر الشيعة بالتورية والتقية عند الحاجة اليهما وحسن التآب .
- ٤٣٣ كلام له (ع) في صفات الامام (ع) .
- ٤٣٧ كلامه (ع) في ذم الغلاة والمفوضة .
- ٤٤٠ كلامه (ع) في التقية .
- ٤٤١ احتجاج أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليهما السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية .
- ٤٤٣ أجوبته (ع) على مسائل يحيى بن أكثم في مجلس المأمون .
- ٤٤٩ احتجاج أبي الحسن علي بن محمد العسكري عليهما السلام في شيء من التوحيد وغير ذلك من العلوم الدينية والدنياوية على المخالف والمؤلف .
- ٤٥١ رسالته (ع) إلى أهل الأهواز في نفي الجبر والتفويض .
- ٤٥٥ احتجاج أبي محمد الحسن بن علي العسكري (ع) في أنواع شتى من علوم الدين .

- ٤٦١ احتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين .
- ٤٦٦ في ذكر توقيع له (ع) جواباً على كتاب انفذ إليه حينما تشاجر جماعة من الشيعة في (الخلف) .
- ٤٦٨ في ذكر توقيع خرج الى احمد بن اسحاق جواباً على كتاب أرسله اليه وفي درجة كتاب جعفر الذي أرسله الى احمد بن اسحاق يدعوه الى نفسه .
- ٤٦٩ في ذكر توقيع بخطه (ع) خرج بواسطة محمد بن عثمان العمري جواباً على أسئلة اسحاق بن يعقوب ، وفيه بيان علة وقوع الغيبة ووجه الانتفاع به في غيبته (عج) .
- ٤٧١ في ذكر توقيع له (عج) خرج جواباً على سؤال وجه اليه في ان الأئمة عليهم السلام هل فوض الله اليهم أن يخلقوا ويرزقوا ، أم لا ؟
- ٤٧٣ وما خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه ، رداً على الغلاة من التوقيع جواباً لكتاب كتب على يدي محمد بن علي بن هلال الكرخي .
- ٤٧٣ في ذكر توقيع خرج على يدي الحسين بن روح «ره» في لعن من ادعى البابية والبراءة منهم .
- ٤٧٧ في ذكر الأبواب المرضيين والشفراء المدوحين في زمن الغيبة .
- ٤٧٩ في ذكر طرف مما خرج أيضاً عن صاحب الزمان (عج) من المسائل الفقهية وغيرها ، في التوقيعات على أيدي الأبواب الأربعة وغيرهم .
- ٤٧٩ فيما ورد من اجوبة مسائل محمد بن جعفر الأسدي على يد الشيخ محمد بن عثمان العمري «ره» .
- ٤٨٠ عن أبي الحسين الأسدي قال : ورد علي توقيع من الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري - قدس الله روحه - ابتداءً لم يتقدمه سؤال عنه .
- ٤٨١ وما خرج عنه (عج) من جوابات المسائل الفقهية أيضاً ما سأل عنها محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري .
- ٤٨٥ وفي كتاب آخر لمحمد بن عبد الله الحميري الى صاحب الزمان (عج) من جواب مسائله التي سألها عنها سنة سبع وثلاثمائة .
- ٤٨٧ وكتب اليه صلوات الله عليه أيضاً في سنة ثمان وثلاثمائة كتاباً سأل فيه عن مسائل اخرى .
- ٤٩٢ وعن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري انه قال : خرج التوقيع من الناحية المقدسة حرسها الله تعالى - بعد المسائل - (وفيه آداب التوجه بهم (ع) الى الله تعالى) .
- ٤٩٧ ذكر كتاب ورد عن الناحية المقدسة - حرسها الله ورعاها - في أيام بقيت من صفر ، سنة عشر واربعمائة على الشيخ المفيد رحمه الله .
- ٤٩٨ وورد عليه - رحمه الله - كتاب آخر من قبله صلوات الله عليه ، يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة اثني عشر واربعمائة .
- ٤٩٩ احتجاج الشيخ المفيد السديد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه .
- ٥٠٢ احتجاج السيد الأجل علم الهدى المرتضى أبي القاسم علي رضي الله عنه وأرضاه على أبي العلاء المعري في جواب ما سأل عنه مرموزاً .

٥٠٦ احتجاجه - قدس الله روحه - في التعظيم والتقديم لأئمتنا (ع) على سائر الوري ما عدا نبينا (ع) بطريقة لم يسبقه اليها أحد ذكرها في رسالته الموسومة بالرسالة الباهرة في فضل العترة الطاهرة .

فهرس الهوامش

- ترجمة « حنان » بن سدير بن حكيم بن صهيب (أبي الفضل) الصير في الكوفي .
 ترجمة « سدير » بن حكيم الكوفي والد (حنان) .
 ترجمة (حكيم) بن صهيب الكوفي والد (سدير) .
 ترجمة (أبي سعيد) عقيصان ، من بني تيم الله بن ثعلبة .
 ترجمة (زيد) بن وهب الجهني .
 ترجمة (الأعمش) أبي (محمد) سليمان بن مهران الأسدي مولا هم الكوفي .
 ترجمة (سالم) بن أبي الجعد الأشجعي ، مولا هم الكوفي .
 ترجمة (صالح) بن كيسان المدني .
 ترجمة (موسى) بن عتبة بن أبي عياش المدني (تابعي) .
 (محمد) بن السائب .
 (مصعب) بن عبد الله من آل الزبير (مجهول) .
 ترجمة (زيد) بن موسى بن جعفر عليها السلام .
 (حذيم) بن شريك الأسدي من أصحاب الامام علي بن الحسين (ع) .
 ترجمة (أبي حمزة الثمالي) ثابت بن دينار (الثقة الجليل) .
 ترجمة (عبد الله) بن سنان بن طريف ، مولى بني هاشم ، ويقال مولى بني أبي طالب .
 ترجمة (ثابت) البناني (أبي فضالة) من أهل بدر ، قتل بصفين .
 ترجمة (أبي خالد الكابلي) واسمه (وردان) ولقبه (كنكس) .
 ترجمة (الزهري) (أبي بكر) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحرث بن شهاب بن
 زهرة بن كلاب ، الفقيه المدني التابعي .
 ترجمة (أبي الجارود) الأعمى الكوفي ، زياد بن المنذر .
 ترجمة (حمران) بن أعين « رحمه الله » .
 ترجمة (ابان) بن تغلب بن رياح (أبي سعيد) البكري الجري .
 ترجمة (هشام) بن الحكم « رحمه الله » .
 ترجمة (عيسى) بن يونس بزرج .
 ترجمة (يونس) بن ظبيان .
 (سعيد) بن أبي الخضيب البجلي من أصحاب الصادق (ع) .
 ترجمة (الحسين) بن زيد بن علي بن الحسين (ع) .
 ترجمة (حفص) بن غياث (أبي عمرو) النخعي القاضي الكوفي .

- ٣٥٤ ترجمة (ابن أبي العوجاء) عبد الكريم .
- ٣٥٥ ترجمة (عبد المؤمن) الأنصاري .
- ٣٥٥ (نصير الخنعمي) أبي الحكم .
- ٣٥٥ (عمر) بن حنظلة العجلي البكري الكوفي من أصحاب الصادق (ع) .
- ٣٥٧ ترجمة (الحسن) بن الجهم بن بكير بن أعين (أبي محمد الشيباني) .
- ٣٥٧ ترجمة (الحوث) بن المغيرة النصري ، بصري عربي .
- ٣٥٧ ترجمة (سماعة) بن مهران بن عبد الرحمن الحضرمي ، مولى عبد ابن وايل بن حجر الحضرمي . يكنى (أبا ناضرة) وقيل : (أبا محمد)
- ٣٥٨ ترجمة (ابن أبي ليلى) محمد بن عبد الرحمن القاضي الكوفي .
- ٣٥٨ ترجمة (النعمان) بن ثابت بن زوطي (أبي حنيفة) .
- ٣٦٢ (عيسى) بن عبد الله القرشي (مجهول) .
- ٣٦٢ ترجمة (الحسن) بن محبوب السمراد ويقال : الزراد مولى بجيلة كوفي .
- ٣٦٢ (عبد الكريم) بن عتبة الهاشمي من أصحاب الكاظم (ع) .
- ٣٦٤ ترجمة (يونس) بن يعقوب (أبي علي) الخلاب البجلي .
- ٣٧١ ترجمة (معاوية) بن وهب البجلي .
- ٣٧١ ترجمة (سعيد) بن عبد الرحمن وقيل : ابن عبد الله الأعرج السمان .
- ٣٧٢ ترجمة (زيد) بن علي بن الحسين عليهما السلام .
- ٣٧٤ (أبو يعقوب) الأسدي امام بني السيد الكوفي من أصحاب الصادق (ع) .
- ٣٧٤ ترجمة (المعلل) بن خنيس (أبي عبد الله) مولى الصادق (ع) ومن قبله كان مولى بني أسد ، كوفي .
- ٣٧٥ ترجمة (محمد) بن أبي عمير الكوفي .
- ٣٧٥ ترجمة (عبد الله) بن الوليد السيان .
- ٣٧٦ (عبد الله) بن الفضل الهاشمي من أصحاب الصادق عليه السلام .
- ٣٧٦ ترجمة (علي) بن الحكم من اهل الأنبار .
- ٣٧٨ في التنبيه الى أن البيت المشهور في مخاطبة عائشة : (تجملت تبغلت) الى آخره هو لابن عباس وليس لمحمد بن أبي بكر .
- ٣٧٨ ترجمة (شريك) بن عبد الله بن سنان بن أنس النخعي الكوفي .
- ٣٧٨ ترجمة (أبي نعيم) النخعي الصغير . عبد الرحمن بن هاني الكوفي .
- ٣٨٠ مصادر (حديث السفينة) .
- ٣٨١ ترجمة (سعد) بن عبادة . رئيس (الخزرج) .
- ٣٨٢ (فضال) بن الحسن بن فضال الكوفي .
- ٣٨٢ (أبو الهذيل) العلاف بن عبد الله بن مكحول البصري .

- ٣٨٣ قول أبي بكر : « وليت عليكم ولست بخيركم » وقوله : « ان لي شيطاناً يعتريني »
- ٣٨٤ قول عمر : « كانت بيعة أبي بكر فلتة » .
- ٣٨٥ (الحسن) بن عبد الرحمن الحماني روى عنه في الكافي .
- ٣٨٦ (يعقوب) بن جعفر روى عنه في الكافي والتهذيب عن الصادق والكاظم عليهما السلام
- ٣٨٦ (الحسن) بن راشد ، مولى بني العباس كوفي .
- ٣٨٧ (دارم) بن قبيصة .
- ٣٨٨ ترجمة (علي) بن يقطين بن موسى البغدادي سكن بغداد وهو كوفي الأصل .
- ٣٨٩ (أبو احمد) هاني بن محمد العبدي .
- ٣٩٦ (محمد) بن عبد الله الخراساني « خادم الرضا (ع) » (مجهول) .
- ٣٩٩ شرح موجز لبعض الفقرات الواردة في خطبة الامام الرضا (ع) (في التوحيد) .
- ٤٠١ (الحسن) بن محمد بن سهل النوفلي .
- ٤٠١ عقيدتنا في البداء .
- ٤٠٥ ترجمة (صفوان) بن يحيى (أبي محمد) البجلي مولى بني بجيلة يباع السابري . كوفي .
- ٤٠٨ ترجمة (أبي الصلت) الهروي . عبد السلام بن صالح .
- ٤٠٩ رواية عائشة عن رسول الله (ص) في ان نطفة الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها قد
- ٤١٠ تكونت ليلة المعراج من ثمار الجنة .
- ٤١٠ (الحسين) بن خالد من أصحاب الكاظم عليه السلام .
- ٤١٠ ترجمة (ابراهيم) بن أبي محمود . خراساني ثقة .
- ٤١٣ ترجمة (أبي القاسم) عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) .
- ٤١٤ (يزيد) بن عمير بن معاوية الشامي (مجهول) .
- ٤٢٦ عقيدتنا في عصمة الأنبياء والأئمة (ع) .
- ٤٣٢ (أبو يعقوب) البغدادي (مجهول) .
- ٤٣٢ ترجمة (ابن السكيت) يعقوب بن اسحاق الدورقي الأهوازي (أبي يوسف) الامامي النحوي اللغوي الأديب .
- ٤٣٣ (القاسم) بن مسلم (مجهول) .
- ٤٣٣ (عبد العزيز) بن مسلم من أصحاب الرضا (ع) .
- ٤٣٧ (خالد) بن الهيثم الفارسي (مجهول) .
- ٤٤١ ترجمة (أبي داود) بن القاسم الجعفري بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ع) .
- ٤٤٣ (الريان) بن شبيب ، خال المعتصم .
- ٤٤٧ في تكذيب ما روى عن رسول الله (ص) في أن جبرئيل جاءه وقال له : « يا محمد ان الله عز وجل

يقرؤك السلام ويقول لك : سل أبا بكر هل هو عني راض فاني عنه راض ، . وقول الذهبي
«بعد نقله» : كذب .

٤٤٧ في تكذيب ما رووا من أن رسول الله (ص) قال عن أبي بكر وعمر : (انها سيذا كهول أهل
الجنة) ويبان انه وضع في أيام بغى أمية معارضة لقوله صلى الله عليه وآله : « الحسن والحسين
سيذا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما » .

٤٤٨ في تكذيب ما رووا من أن رسول الله (ص) قال : « ان السكينة تنطق على لسان عمر » أو قال :
« الحق ينطق على لسان عمر » أو قال : « ان ملكاً ينطق على لسان عمر » .

٤٤٩ ترجمة (احمد) بن اسحاق بن سعد بن عبد الله بن سعد بن مالك الأحوص الأشعري أبي علي
القمي .

٤٥٠ (العباس) بن هلال الشامي من أصحاب الرضا (ع) .

٤٦١ (سعد) بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي .

٤٦١ (احمد) بن اسحاق الرازي من أصحاب أبي الحسن الثالث (ع) أورد الكشي ما يدل على
اختصاصه بالجهة المقدسة .

٤٦٦ ترجمة (عثمان) بن سعيد العمري (أبا عمرو) (السمان) ويقال له : (الزيات) أول النواب
الأربعة .

٤٦٩ ترجمة (الكليني) محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (أبي جعفر) الملقب (ثقة
الإسلام) .

٤٦٩ (أبي جعفر) محمد بن عثمان العمري ، ثاني الوكلاء الأربعة المعروف بـ (الخلائي) .

٤٧١ (أبو الحسن) علي بن احمد الدلال القمي .

٤٧١ ترجمة الشيخ (الصدوق) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (أبي جعفر) ره .

٤٧٢ (محمد) بن ابراهيم بن اسحاق الطالقاني .

٤٧٢ ترجمة (الحسين) بن روح «نضر الله وجهه» ثالث النواب الأربعة .

٤٧٥ في ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية ومنهم : (السريعي ، والنميري ، والكرخي ،
والبلاي ، والشلمغاني ، والعلاج ، وابن أبي العزافر .

٤٧٨ ترجمة (أبي الحسن) (علي) بن محمد (السمري) آخر النواب الأربعة .

٤٧٩ ترجمة (محمد) بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي (أبي الحسين) الكوفي .

٤٨١ ترجمة (عبد الله) بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميري .

٤٨١ (علي) بن محمد بن الحسين بن الملك المعروف بملك بادوكة لم أعثر له على ترجمة .

٤٨٣ ترجمة (محمد) بن عبد الله بن الحسين بن جامع بن مالك الحميري . (أبي جعفر) القمي .

٤٩٥ ترجمة (الشيخ المفيد) محمد بن النعمان (أبي عبد الله) المعروف بـ (ابن المعلم) .

٤٩٩ (أبو علي الحسن بن محمد الرقي) .

- ٥٠٢ ترجمة (علم الهدى) الشريف (المرتضى) علي بن الحسن بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر عليهم السلام (أبي القاسم) .
- ٥٠٤ (أبو العلاء) المعري احمد بن عبد الله بن سليمان المعري .
- ٥١٠ فهرس متن الكتاب ج ١
- ٥١٤ فهرس هامش الكتاب ج ١ .
- ٥١٨ فهرس متن الكتاب ج ٢
- ٥٢٢ فهرس هامش الكتاب ج ٢



مركز تحقيقات كتابي ویر علوم اسلامی